



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرأيا
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

ملجأيتك

في الحكايات والحديث والذهب



الفتوة العكبر

لشيخنا الفاضل والرحمن والرحيم

الشيخ فاضل بن الخطاب الكلباني

١-٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لمحات

کاتب:

آیت الله العظمی لطف الله صافی گلپایگانی

نشرت فی الطباعة:

دفتر آیت الله لطف الله صافی گلپایگانی

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبيوتریة

الفهرس

٥	الفهرس
١٥	لمحات فى الكتاب و الحديث و المذهب
١٥	اشاره
١٦	المجلد ١
١٦	اشاره
٢٢	المقدمه
٢٤	نبذه موجزه عن شخصيه المؤلف الجليل:
٢٨	المرء بأفكاره وآرائه:
٤٠	إلى هدى كتاب الله
٤٠	اشاره
٤٢	المقدمه
٥٥	ميلاد جديد:
٦٠	أحاديث افتراق المسلمين على ثلاث وسبعين فرقه
٦٠	اشاره
٦٢	المقدمه
٦٧	كلمات العلماء حول هذه الأحاديث:
٧٤	تعيين الفرقة الناجيه
٧٨	الشيعة الإماميه هم الفرقة الناجيه
٨٦	تنبيه:
٩٠	الأحاديث الداله على نجاه المؤخدين
٩٨	مَن لهذا العالم؟
٩٨	اشاره
١٠٠	المقدمه
١٣٤	العقيده بالمهديه

١٣٤	اشاره
١٣٦	المقدمه
١٤٤	إحشاءات العقيدة بالمهديه
١٤٦	الأصل فى العقيدة بالمهديه:
١٤٨	الكتب المفرده فى المهديه
١٤٨	عصمه الأنبياء والأئمه عليهم السلام
١٤٨	اشاره
١٧٠	المقدمه
١٧٤	نصّ الرساله وأسئلتها:
١٧٦	جواب آيه الله الصافى:
١٧٦	اشاره
١٧٨	المبحث الأول: فى عصمه الأنبياء والأئمه عليهم الصلاه والسلام
١٧٨	اشاره
١٨٠	المسأله الأولى: ما هى العصمه؟
١٩٢	المسأله الثانيه: ما هى أنواع العصمه؟
١٩٤	المسأله الثالثه: الأدله التى تقام على عصمه الأنبياء والأئمه عليهم السلام
١٩٨	المسأله الرابعه: ما هى الدلائل العقليه على عصمه الأنبياء والأئمه صلوات الله عليهم أجمعين؟
٢٠٤	المسأله الخامسه: ما هى أدله عصمتهم من مصادر التشريع الإسلامى؟
٢١٦	المبحث الثانى: فى علم الإمام عليه السلام
٢٢٤	المبحث الثالث: فى اختلاف مستويات الأئمه عليهم السلام فى الإيمان والعلم والأخلاق
٢٢٨	إيران تسمع وتُجيب
٢٢٨	اشاره
٢٣٠	المقدمه
٢٣٥	معوّقات وحده الكلمه:
٢٣٧	وبأؤوا حُسراناً:
٢٣٨	واجب العلماء والمصلحين:

- ٢٤٠ رابطته العالم الإسلامي
- ٢٤٣ الإيفاد:
- ٢٤٤ وما أدراك ما إيران:
- ٢٤٤ اسمعى يا إيران!:
- ٢٤٨ مهمات الرابطه:
- ٢٤٩ للضيافه الأحكام!!
- ٢٥١ الفكره القومييه:
- ٢٥٤ وفد الرابطه... ماذا زار؟ وبمن التقى؟:
- ٢٥٨ هذا ما نتوقع
- ٢٦٠ هل... وهل... وهل...؟:
- ٢٦٤ نظره العين الواحده:
- ٢٦٥ يا أعضاء جمعيه الرابطه، ووفدها!:
- ٢٧٠ هذا رأينا...:
- ٢٧٦ مقياس صدق الدعوه:
- ٢٨٠ قبر هارون الرشيد:
- ٢٨٤ هذا ما ينبغى:
- ٢٨٥ تبصره:
- ٢٨٨ جلاء البصر
- ٢٨٨ اشاره
- ٢٩٠ المقدمه
- ٢٩٩ أما الأحاديث:
- ٣١٢ متون الأحاديث:
- ٣٢٠ ما يصح أن يقال فى توجيه هذه الأحاديث:
- ٣٢٤ مشروعيه الاستخاره: وأنها ليست من الاستقسام بالأزلام
- ٣٢٤ اشاره
- ٣٢٨ المقدمه

٣٤٤	تفنيد كذوبه خطبه الإمام عليّ على الزهراء عليهما السلام
٣٤٤	اشاره
٣٤٤	المقدمه
٣٥٨	البكاء على الإمام الحسين عليه السلام
٣٥٨	اشاره
٣٦٠	المقدمه
٣٧١	في تفسير آيه التطهير
٣٧١	اشاره
٣٧٣	المقدمه
٣٨٠	تحقيق دقيق:
٣٨٩	تفسير آيه الإنذار: وأحاديث يوم الدار، أو بدء الدعوه
٣٨٩	اشاره
٣٩١	المقدمه
٣٩٩	نقده الآخر:
٤٠٠	آيه الإنذار وحديث الدار:
٤٢٧	المجلد ٢
٤٢٧	اشاره
٤٢٨	اشاره
٤٣٤	مع الخطيب في خطوطه العريضة
٤٣٤	المقدمه الأولى
٤٥٤	الخطوط العريضة
٤٦٠	كيف تمت فكره التقريب
٤٦٤	فريه الخطيب على علماء النجف الأشرف
٤٦٨	الأصول قبل الفروع
٤٧٠	الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي
٤٧٤	التقيه لا تمنع من التجاوب والتفاهم

- ٤٨٤ تأويل آيات الكتاب، وتفسيرها عند الشيعة
- ٤٨٦ صيانه الكتاب من التحريف
- ٤٩٨ الواجب على المسلم
- ٥٠٢ فصل الخطاب في فصل الخطاب
- ٥٠٨ سوره الولايه، وكتاب دبستان مذاهب
- ٥١٥ «دبستان مذاهب» ليس من كتب الشيعة
- ٥١٨ المستشرقون دعاه الإستعمار (١)
- ٥٢٢ الكلام حول أحاديث المسأله
- ٥٢٦ الشيعة تؤيد كل حكومه إسلاميه
- ٥٣٤ معنى الناصب
- ٥٤٠ الدعاء الذى نقله عن مفتاح الجنان
- ٥٤٢ افتراؤه على الشيعة بالتعصب للمجوسيه
- ٥٥٢ خدمات الفرس للإسلام والمسلمين
- ٥٥٦ الإيمان بظهور المهدي عليه السلام فكره إسلاميه
- ٥٦٦ الشيعة والعقيدته بالرجعه
- ٥٧٠ من سوء أدب الخطيب بنسبه التزوير إلى السيدين
- ٥٧٤ نهج البلاغه
- ٥٧٨ بيعه الرضوان
- ٥٨٤ حكم من نفى الإيمان عن بعض الصحابه أو سبب بعضهم عند أهل السنه
- ٥٩٠ منزله النبى والإمام عند الشيعة
- ٥٩٤ غلط الخطيب فى فهم كلام العلامه الأشتياني
- ٦٠٥ افتراء الخطيب على الشيعة بالتملق للحكومات و تدخل الخواجه و ابن العلقمى فى فاجعه بغداد
- ٦١١ كارته خروج المغول واستيلائهم على بلاد مسلمين وأسباب سقوط بغداد
- ٦٢٥ من عجيب افتراءات الخطيب على الشيعة
- ٦٢٧ منزله زيد الشهيد وسائر أهل البيت عند الشيعة
- ٦٣١ المشهد العلوى المقدس

- ٦٤١ سيره يزيد
- ٦٤٢ غلو الخطيب في الصحابه
- ٦٤٣ عقائد الشيعة، والتقريب بين المذاهب
- ٦٥١ الشيوعيه والتشيع
- ٦٥٣ الشيوعيه وليده مظالم المستعمرين
- ٦٥٧ آذربايجان إقليم شيعى
- ٦٦٣ صوت الحق ودعوه الصدق
- ٦٦٣ اشاره
- ٦٦٥ المقدمه
- ٦٧٤ كتب الفتنه والتمزيق والإلحاد
- ٦٨٣ عقائد الشيعة والسنة
- ٦٨٨ كتاب الشيعة والسنة وتحريف القرآن
- ٧٥٦ الكلام حول الأحاديث
- ٧٦٠ اقتراح جذرى لحسم الخلاف
- ٧٦٣ أمان الأتمه
- ٧٦٣ اشاره
- ٧٦٥ المقدمه
- ٧٩٥ حجه أخبار الثقات
- ٨٠٠ وجوب العمل بالأحاديث المخزجه فى أصول الشيعة و جوامعهم المعتبره
- ٨٢٣ وجوب تقديم روايات أهل البيت عليهم السلام على روايات غيرهم
- ٨٣٧ العمل بالقياس
- ٨٤٣ النصوص الصحيحه فى وجوب التمسك بأهل البيت عليهم السلام
- ٨٦٣ من هو الذى يجب التمسك به من العتره؟
- ٨٧٣ أحاديث السفينه
- ٨٨٣ أحاديث الأمان
- ٨٨٩ سائر الأحاديث

المجلد ٣	٩٣٢
إشاره	٩٣٢
إشاره	٩٣٣
الأحكام الشرعيه ثابتة لا تتغير	٩٣٩
إشاره	٩٣٩
الإسلام دين إلهي عالمي لجميع العصور	٩٤٠
الأمر الأول: الخلط بين الحكم الشرعي والفتوى	٩٤٧
الأمر الثاني: التفصيل بين الأحكام في الثبات والتغير	٩٥١
الأمر الثالث: أحكام المعاملات	٩٥٥
الأمر الرابع: هل أن أحكام المعاملات إلهيه، أو اجتهادات من الرسول صلى الله عليه و آله؟	٩٦١
الأمر الخامس: النبي والإجتهد	٩٦٧
الأمر السادس: الأحكام كليتها وجزئيتها	٩٧١
الأمر السابع: فتاوى السابقين لاحصانه لها	٩٧٣
الأمر الثامن: الآراء والأحكام البشريه	٩٧٥
الأمر التاسع: باب الإجتهد مفتوح للجميع إلى يوم القيامة	٩٧٧
الأمر العاشر: الأحكام الحكوميه	٩٨١
الأمر الحادى عشر: بعض الأمثله فى الفتاوى والأحكام الإلهيه	٩٨٣
مسأله التعصيب	٩٨٧
إشاره	٩٨٧
ما يستدل لإثباته فى الفقه السننى أو الشيعى	٩٩١
نص آخر من السنه يدلّ على بطلان التعصيب	١٠١٠
المقارنه العلميه	١٠١٥
نكته مهمه	١٠٢٠
إجماع الصحابه	١٠٢٣
الفقه المدون الصحيح الثابت	١٠٢٧
القرآن مصون عن التحريف	١٠٣٣

- ١٠٤٧ ----- وقت الغداه فى بلاد الاغتراب
- ١٠٤٧ ----- اشاره
- ١٠٥٣ ----- الأمر الأول
- ١٠٦٠ ----- الأمر الثانى: فى مفهوم لفظ (الفجر) لغه واصطلاحاً
- ١٠٦٤ ----- الأمر الثالث
- ١٠٧١ ----- حديث عرض الدين
- ١٠٧١ ----- اشاره
- ١٠٧٣ ----- المقدمه فى الإيمان و مراتبه
- ١٠٧٩ ----- عرض الدين على قاده الدين
- ١٠٩٣ ----- عرض الدين فى العصر الراهن
- ١٠٩٩ ----- تاريخ عرض الدين
- ١١٠١ ----- السيد عبد العظيم عليه السلام يعرض دينه
- ١١٠٥ ----- أدب و أخلاق كريمه
- ١١٠٩ ----- شرح حديث عرض الدين
- ١١٠٩ ----- اشاره
- ١١١١ ----- البحث فى جهتين
- ١١١١ ----- سند الحديث
- ١١١٤ ----- نكتة روايته
- ١١١٧ ----- متن الحديث و شرحه
- ١١٣٩ ----- عرض الدين و النبوه
- ١١٧١ ----- بين العلمين الشيخ الصدوق و الشيخ المفيد
- ١١٧١ ----- اشاره
- ١١٧٧ ----- كتابان قيما
- ١١٨٧ ----- الاعتقاد فى صفات الذات وصفات الأفعال
- ١١٩٠ ----- الاعتقاد فى التكليف
- ١١٩٠ ----- الاعتقاد فى أفعال العباد

- ١١٩٣ الاعتقاد فى نفى الجبر والتفويض
- ١١٩٤ الاعتقاد فى الإراده والمشينه
- ١١٩٨ الاعتقاد فى القضاء والقدر
- ١٢٠٣ الاعتقاد بالفطره
- ١٢٠٤ الإعتقاد فى الإستطاعه
- ١٢٠٥ الإعتقاد فى البداء
- ١٢٠٥ الإعتقاد فى التناهى عن الجدل
- ١٢٠٦ الاعتقاد فى اللوح والقلم
- ١٢٠٨ الإعتقاد فى الكرسي
- ١٢٠٨ الاعتقاد فى العرش
- ١٢٠٩ الاعتقاد فى النفوس والأرواح
- ١٢١٥ الاعتقاد فى الموت
- ١٢١٨ المساءله فى القبر
- ١٢١٨ الإعتقاد فى الأعراف
- ١٢١٩ الاعتقاد فى العقبات
- ١٢٢١ فى باب الحساب والميزان
- ١٢٢٣ الاعتقاد فى الجنه والنار
- ١٢٢٤ الاعتقاد فى كيفية نزول الوحي
- ١٢٢٤ الإعتقاد فى نزول القرآن
- ١٢٢٥ الإعتقاد فى مُبَلِّغ القرآن
- ١٢٢٥ الإعتقاد فى الأنبياء والرسل والحجج والملائكه
- ١٢٢٥ الإعتقاد فى العصمه
- ١٢٢٨ الاعتقاد فى نفى الغلو والتفويض
- ١٢٢٩ الإعتقاد فى الظالمين
- ١٢٢٩ الإعتقاد فى التقيه
- ١٢٣٠ الإعتقاد فى آباء النبى صلى الله عليه و آله

- الإعتقاد في العلويه ١٢٣٠
- الإعتقاد في الأخبار المفسره والمجمله ١٢٣٢
- الإعتقاد في الحظر والإباحه ١٢٣٢
- الإعتقاد في الأخبار الوارده في الطب ١٢٣٣
- الإعتقاد في الحديثين المختلفين ١٢٣٣
- سبب البداء ١٢٣٥
- اشاره ١٢٣٥
- حول البداء ١٢٣٩
- اعتقاد الشيعه بالبداء بمعناه الصحيح ١٢٤٩
- دفع الإشكال عن البداء ١٢٥٢
- جريان البداء وقانون العليه ١٢٥٥
- في محل البداء ١٢٤٢
- لا يقع البداء فيما أخبر به الله أو حججه ١٢٤٥
- دفع الوهم ١٢٤٩
- دفع التنافي بين الأخبار ١٢٩٤
- فتنه ردّ النصوص أو الاجتهاد في مقابل النص ١٣٠٧
- اشاره ١٣٠٧
- ردّ النصوص وتاريخه ١٣١٥
- فتنه الفلاسفه والفلاسفه ١٣٢٠
- فتنه العرفاء والمتصوفه ١٣٢٣
- فتنه المتقفين العصريين ١٣٢٥
- تعريف مركز ١٣٢٩

سرشناسه: صافی گلپایگانی، لطف الله، ۱۲۹۸ -

Safi Gulpaygan, Lutfullah

عنوان و نام پدیدآور: لمحات في الكتاب و الحديث و المذهب / لطف الله الصافي الكليپايگانی مدظله الشريف.

مشخصات نشر: قم: مکتب تنظيم و نشر آثار آيت الله صافي گلپایگانی دام ظله، ۱۴۳۹ ق. = ۱۳۹۷.

مشخصات ظاهري: ۳ ج.

شابك: ۱۰۰۰۰۰۰ ریال: دوره ۹-۰۹-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ ؛ ج ۱. ۸-۰۶-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ ؛ ج ۲. ۵-۰۷-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ ؛

ج ۳. ۲-۰۸-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ :

وضعت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ دوم.

یادداشت: ج ۲ و ۳ (چاپ دوم: ۱۴۳۹ ق. = ۱۳۹۷) (فیپا).

یادداشت: چاپ قبلی: موسسه البعثه، قسم الدراسات الاسلامیه، ۱۳۶۶.

یادداشت: کتابنامه.

موضوع: احادیث شیعه -- قرن ۱۴

موضوع: Hadith (Shiites) -- Texts -- ۲۰th century

موضوع: شیعه -- دفاعیه ها

موضوع: Shi'ah -- Apologetic works

موضوع: شیعه -- ردیه ها

موضوع: Shi'ah -- Controversial literature

شناسه افزوده: دفتر تنظیم و نشر آثار حضرت آیت الله العظمی حاج شیخ لطف الله صافی گلپایگانی

رده بندی کنگره: BP۱۳۶/۹/ص ۱۸/۸۱۳۹۷

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۲۱۲

شماره کتابشناسی ملی: ۵۳۰۸۲۹۲

اطلاعات رکورد کتابشناسی: فیپا

ص: ۱

المجلد ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

المقدمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد نبيّه وآله الطيبين الطاهرين.

منذ بدايه عصر غيبه مولانا بقيه الله الأعظم والسّر الأكبر وصاحب العصر والزمان - أرواحنا له الفداء - ينبرى بين الفينه والأخرى خلال فترات متزامنه علماء وفقهاء أفذاذ، ممّن بذلوا ويذلون على مرّ التاريخ الغالى والنفيس من أجل إحياء تراث أهل بيت النبوه عليهم السلام، دفاعاً عن العقيدة الحقه وإيصال علوم الرساله الإسلاميه إلى أذهان معتنقيها ومريديها، والباحثين عنها لأجل الخلاص من الوضع العالمى المأساوى الذى تعيشه الشعوب المستضعفه فى ظلّ أنظمه بشريه لا ترى إلّا مصالحها الخاصه....

وقد برز من بين ظهرانى هؤلاء الفطاحل شيخنا المقدم، حامل لواء الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، المفكر الإسلامى المشهور بالأطروحه المهدويه فى هذا العصر، صاحب منتخب الأثر، وهو بحقّ شيخ صدوق زماننا، الفقيه الكبير، المرجع الدينى سماحه آيه الله العظمى الشيخ لطف الله الصافى الكلپايگانى دام ظلّه الوارف.

لقد كان لرواج هذا السفر العظيم أثراً كبيراً بين الشعوب المسلمه، وفى إثراء المكتبه الإسلاميه فى بحوثٍ فى غايه الأهميه، ممّا ساعد الأئمه على تطورها ونموها فى المحافل العالميه وعلى مسار المراحل التاريخيه الأخيره.

وكتاب «لمحات في الكتاب والحديث والمذهب» - عزيزى القارئ - الذى بين أيدينا هو مجموعه من المقالات الإسلاميه والكتب والرسائل الدينيه فى مواضيع شتى، من العقيدة والتفسير والحديث والكلام والفقہ والتاريخ والقضايا الثقافيه والفكرية المهمه، قد كتبت فى مواضيع عدّه وتواريخ مختلفه يعود زمن بعضها إلى أكثر من نصف قرن من حياتنا، وهى ما بين مطوّله ومختصره، جعل كلّ منها بحسب الحاجه إليها فى ظروف ساعدت على دفع الشبهات والدفاع عن المذهب والدين الحنيف.

وهذا السفر الثرّ فى محتواه، الذى يعتبر عصاره أفكار فقيه اهل البيت عليهم السلام هو جامع للعلوم العقلية والنقلية والمدافع عن ساحه الولاية المقدسه.

وقد وجدنا لهذه الثروه الفكرية النفع الأكيد بعد زياده الرغبه فيها، والإقبال عليها، والطلب لها فى إعادة جمعها وطبعها فى ثلاث مجلدات، وهى مجموعه من ثلاثٍ وعشرين رساله.

ونسأل الله تعالى أن يُمدّد فى عمر وعافيه وتوفيق كاتبها، وأن يجعل فيما كتبه الخير والبركه لعامة المسلمين وأحرار العالم أجمعين بحقّ محمّد وآله الطاهرين.

وفى النهايه نتقدّم بالشكر الجزيل والامتنان الوفير لكلّ من ساهم فى تهيئه وإخراج هذا الكتاب، ونشكر سماحه العلّامه الأستاذ الشيخ محمدحسن الصافى الكلبيگانى حفظه الله، الذى كان وجوده برکه فى إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً فى نشر هذا الكتاب القيم الذى طُبِع تحت إشرافه، نسأل الله تعالى أن يوفّقه لكلّ خيرٍ، إنّه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله ربّ العالمين.

قسم النشر العالمى

ص: ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماء مشاعل النور على طريق الكمال والارتقاء، ومصايح الضوء فى ظلمات الحياه، بل إنهم كنجوم السماء يهتدى بهم التائهون فى لجج الأحداث، ويستدلّ بهم الحائرون فى ظلمات الدروب(١).

ص: ٩

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء يُهتدى بها فى ظلمات البرّ والبحر، فإذا طُمست أو شكك أن تضلّ الهداه» المحجّه البيضاء: ج ١ ص ٢١، وبحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٥. وقال الإمام محمد بن على الباقر سلام الله عليه: «العالم كمن معه شمعته تضىء للناس، فكلّ من أبصر شمعته دعا له بخير، كذلك العالم معه شمعته يزيل بها ظلمه الجهل والحيره» بحار الأنوار: ج ٢ ص ٤، والمحجّه البيضاء: ج ١ ص ٣١.

كيف لا وهم يدلّون على الله، ويدبّون عن دينه، ويمسكون أزمه القلوب من أن تزيغ، ويدفعون عن شرائع الله تحريف المحرّفين وكيد المبطلين؟

ومؤلفنا الجليل سماحه آيه الله العلامه الشيخ لطف الله الصافيّ هو أحد هؤلاء الأعلام، الذين كرسوا حياتهم للذبّ عن حياض العقيدة والشريعة، والدفاع عن جوانبها بأقلامهم وكتاباتهم ومواقفهم.

ومن هنا ينبغي لقارئنا الكريم أن يتعرّف على هذه الشخصيّة عن كثب، وإن كانت رسائله وكتاباتاته الحاضره خير طريق لهذه المعرفة، وأفضل وسيله لهذا التعرّف.

ولا غرو فمؤلفنا الجليل من بيت شيد على اسس الزهد والتقوى، ومن شجره قد ضربت بجذورها في العلم والكمال(1).

فقد وُلد سماحته في ١٩ جمادى الأولى من عام ١٣٣٧ هـ، وأخذ المقدمات والعلوم الآليه من الأديب البارع الشيخ ابوالقاسم المشتهر بالقطب، حيث قرأ عليه الصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان والبديع، كما أنه قرأ عند والده العلامه الشيخ محمدجواد الصافي: القوانين والفرائد والمكاسب والكفایه، ل.

ص: ١٠

١- فوالده هو العلامه المجاهد الفاضل الجليل الشيخ محمدجواد الصافي، ولد في ٢٧ شعبان المعظم من عام ١٢٨٧ هـ، وتوفّي في ٢٥ رجب من عام ١٣٧٨ هـ، وقد ترجم له العلامه الشيخ آغا بزرك الطهراني في «نقباء البشر». ووالدته العالمه الفاضله، والشاعره الْمُحِبّه لأهل البيت النبوي الطاهر، المرّيّه لأولادها الأفاضل، على خير الصفات والفضائل.

وذلك في مسقط رأسه في جرفادقان، في عصرٍ كان تحصيل العلوم الإسلاميه والانخراط في سلك رجال الدين أمراً صعباً للغاية؛ نظراً للمضايقات التي كانت تمارسها حكومه الطاغيه «البهلوي» المقبور، وما كان يقوم به زبانيته من ملاحقه لطلاب العلوم الإسلاميه والمترزين بزيمهم، بشتى الأعذار والحجج الواهيه.

إلا أنّ مؤلفنا الجليل اختار هذا السبيل بطوع رغبته، ومضى فيه دون أن يعبأ بالمتاعب والمشكلات، واستمرّ في تحصيل العلوم الإسلاميه المباركه، كما أنّه تزيّاً بزى أهل العلم في تلك الظروف غير عابئ بالصعوبات.

ثمّ إنّه عام (١٣٦٠ هـ) انتقل لتكميل دراساته الإسلاميه العليا إلى الحوزه العلميه، التي أسّسها في مدينه قم المقدسه المجاهد العظيم فقيه الأئمه الإمام الراحل الشيخ عبدالكريم الحائري عام (١٣٤٠ هـ) (١).

فحضر أبحاث أصحاب السماحه الآيات العظام:

السيد محمدتقى الخونسارى المتوفى عام (١٣٧١ هـ).

والسيد محمد الحجه الكوهكمري المتوفى عام (١٣٧٢ هـ).

ص: ١١

١- توفى آيه الله الإمام الشيخ عبدالكريم الحائري مؤسس الحوزه العلميه عام (١٣٥٥ هـ)، وقد أرخ العلامه الجليل السيد صدرالدين العاملي - الذي كان واحداً من الزعماء البارزين في الحوزه العلميه في قم، بعد وفاه شيخنا المؤسس - بقوله: دعاه مولاه فقل مورّخاً: لدى الكريم حلّ ضيفاً عبده (١٣٥٥ هـ).

والسيد صدرالدين العاملي المتوفى عام (١٣٧٣ هـ).

والسيد محمدرضا الكلبايگاني قدس سره.

والإمام الراحل الحاج سيد حسين البروجردى - قدس الله روحه الشريفه - المتوفى عام ١٣٨٠.

وقد كان أكثر دراسته على الأخير حيث استفاد من أبحاثه ما لم يستفده من سواه.

فقد حضر أبحاث آية الله البروجردى - رضوان الله تعالى عليه - مده سبعة عشر عاماً، وتلقى منه بحوثاً قيّمة في مجالى علم الفقه والأصول على مستوى الخارج، وقد كان سماحته يحظى لدى الإمام البروجردى بمكانه خاصه، حتى أنه كان يشترك في مجالس استفتاءاته، وربما أناط رحمه الله إليه مهمه حلّ الكثير من المسائل الفقيهيه والعقائديه الوافده من مختلف الأنحاء والأصقاع.

ومن هنا تبلورت مواهبه وقابلياته تحت رعايه الإمام المحقق البروجردى قدس الله روحه الشريفه.

ثم إنّه هاجر - أثناء دراسته فى قم - إلى النجف الأشرف عام (١٣٦٤) وحضر فى حوزتها الإسلاميه العريقه أبحاث:

العلامة الشيخ محمد كاظم الشيرازى، المتوفى عام (١٣٦٧ هـ).

والعلامة السيد جمال الدين الكلبايگاني، المتوفى سنه (١٣٧٧ هـ).

والعلامة الشيخ محمدعلى الكاظمى، المتوفى عام (١٣٦٤ هـ).

كما حصل على إجازته الروايه والحديث من خاتمه المجيزين المعاصرين العلماءه المتتبع الشيخ آغا بزرك الطهرانى والعلامة الشيخ محمد صالح السمنانى ومن والده الجليل رحمهم الله.

ثم إن المترجم له غادر النجف الأشرف عائداً إلى بلاده، وقد كان العلامة الراحل الشيخ محمد كاظم الشيرازى مُصرّاً على أن يقيم سماحته فى حوزة النجف عندما شَعَرَ بأنَّه ينوى الرحيل إلى إيران، إلماً أنَّ بعض الأسباب والعلل دفعت به إلى أن يغادر النجف إلى إيران وسكن حوزة قم المشرفه، مواصلاً جهوده العلميه، ومتابعاً حركته الفكرية بحدٍ كبير.

المرء بأفكاره وآرائه:

إنَّ أفضل ما يوقفنا على حقائق الرجال وما يتحلّون به من فضائل وملكات وسجايا، وما ينطوون عليه من علم وفكر وثقافه هو آثارهم وذخائرهم العلميه، وما دبجته يراعاتهم من آراءٍ وأفكار.

ولهذا فإننا إذا لاحظنا ما كتبه مؤلفنا الجليل فى طائفه من حقول المعرفه الإسلاميه لَعَلِمْنَا من فورنا بأننا نواجه بحق شخصيه علميه فذه، وقمه فكرية قلما يوجد الدهر بأمثالها إلأى فترات معينه من تاريخ الأمه.

فهو - دام ظلّه - متخصص في بعض العلوم الإسلاميه ومشارك في بعض آخر، وأفضل دليل على ذلك: كتاباته القيمه ومؤلفاته العلميه الثمينه، التى نشير إلى طائفه منها فى هذه اللمحه العابره على سبيل المثال لا الحصر:

١ - منتخب الأثر في أحوال الإمام الثاني عشر:

وهو الكتاب الذى طُبِعَ عدّه مرات، وقد قال عنه العلامه المحقّق الشيخ آغا بزرك الطهرانى فى رساله إلى المؤلّف بأنّه لم يَرِ كتاباً فى الجامعيّه نظيره.

كما وكتب عنه العالم الراحل الشيخ حبيب المهاجر العاملى فى كتابه «الإسلام فى علومه وفنونه» كلاماً مفصّلاً قال فيه: ولا ينبغى لمؤمن إلّا أن تكون عنده نسخه من هذا الكتاب.

ولم تُقتصر الإشاده به على علماء الشيعة، بل وأشاد به جملة من علماء السنّه وبعض المستشرقين أيضاً، ولذلك أصبح هذا الكتاب مرجعاً ومصدراً لكلّ من أراد الكتابه حول الإمام المهديّ المنتظر صلوات الله عليه وعلى آبائه الطيبين.

والسرّ فى كلّ ذلك: أنّ المؤلّف الجليل جمع فيه كلّ ما ورد من الأحاديث والروايات حول الإمام المهديّ عليه السلام وبوّبه أحسن تبويب، ونسقه أحسن تنسيق، وأشار فى نهايه كلّ باب ما يمكن أن يكون شاهداً لهذا الباب ممّا جاء فى الأبواب الأخرى.

٢ - مع الخطيب فى خطوطه العريضة:

ومحبّ الدين الخطيب - الذى يتعرّض هذا الكتاب للردّ على ما نشره فى كتابه الخطوط العريضة - هو من النواصب المعاصرين، الذين لم يكتموا بغضهم وعداءهم لآل الرسول صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

فقد سعى الخطيب هذا فى تفنيد كلّ ما ورد حول فضائل أهل البيت النبوى

الطيبين فى كتب أهل السنّه، وانكاره وردّه.

ولم يقتصر على هذا، بل أظهر بغضه الدفين وحقده المشؤوم على أهل البيت النبوى فى سعيه الحثيث لإحياء ونشر ما ألفه بعض النواصب من القدامى فى الإيقاع بالشيعة التابعين لأهل البيت النبوى وقادتهم من آل الرسول صلى الله عليه وعليهم، ومن ذلك تعليقه على كتاب «العواصم من القواصم»!

ولا غرابه «فكلّ إناءٍ بالذى فيه ينضح»^(١).

كما لا غرو أن يصدر كلّ ذلك فى هذا العصر، عصر العلم والتفتّح العلمى ما دامت هناك حكومات وأنظمة تجد بقاءها واستمرارها فى إيجاد الفرقه بين طوائف المسلمين، وانقسام الأمة الواحده إلى شعوب متنازعه بدل أن تكون متعارفه متعاطفه، ومن هذه الحكومات «النظام السعودى»، الذى كان ولا يزال يستأجر أقلاماً لتأليب السنّه على الشيعة، وإثاره مشاعر الشيعة ضدّ السنّه، وإذا بهذه الأقلام المأجوره تقدح فى الرجال الطاهرين من أئمة المسلمين من أبناء الرسول، بينما تمجّد بالسكّيرين والفاسقين أمثال يزيد بن معاويه، والوليد بن عبدالملك، والملوك والسلاطين المعاصرين الذين حذوا حذوهم واقتفوا أثرهم.

وقد كان كتاب «الخطوط العريضة» لمحّبّ الدين هذا من جمله تلك الأوراق المسمومه والصحائف الصفراء التى قامت الحكومه السعوديه الجائره..

ص: ١٥

١- مع الأسف أنّ بعض الإذاعات فى دول الخليج فى مثل هذه الظروف الخطيره من حياه الأمة الإسلاميه بدأت تروج لهذا الكتاب، وتلفت نظر المستمعين إليه، ولا ندرى ما إذا كان ذلك جهلاً أو...

بطبعها ونشرها وترويجها، وهو الكتاب الذى أُلصق فيه «الخطيب الحاقد» تُهماً كثيرةً بالشيعة، وسعى فى تشويه سمعتهم الناصعه بهدف إيجاد الشقاق والفرقة بين المسلمين.

فقد طُبع هذا الكتاب على نفقه النظام السعودى، وقامت سلطات السعوديه بتوزيعه على الحجيج مجاناً؛ تحقيقاً لأهداف الاستعمار البغيض الذى لا تروقه وحده الصفّ الإسلامى وتماسكه.

وقد تصدّى مؤلفنا الجليل - انتصاراً للحقّ ودفاعاً عن الحقيقه - بالردّ الموضوعى الهادئ والعلمى على هذا الكتاب.

إنّ القرآن الكريم وإن كان يصف المؤمنين بأَنَّهُمْ [إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا] (١)، وَأَنَّهُمْ [إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا] (٢) إلّا أنّ قيام أعداء الوحده ببثّ هذا الكتاب ونشره باللغات المختلفه جعل السكوت عليه أمراً غير جائز ولا وارد؛ ولهذا قام المؤلف الجليل بكتابه الردّ العلمى المذكور على ذلك الكتاب.

٣ - جلاء البصر لمن يتولّى الأئمه الاثنى عشر:

وقد قام المؤلف فى هذا الكتاب بتوضيح وإثبات أنّ عدد الأئمه اثنا عشر، لا ثلاثه عشر، وقوم سنده وممتنه، وقد طُبع أيضاً ٣.

ص: ١٦

١- الفرقان: الآيه ٧٢.

٢- الفرقان: الآيه ٦٣.

وقصّه هذا الكتاب هي: أنّه بعد أن انتشر كتابه «مع الخطيب في خطوطه العريضة» الذي كان ردّاً على افتراءاته للشيعة، وتوضيحاً لما ارتكبه الخطيب من جنایات على الإسلام والمسلمين عامّة وعلى الشيعة والتشيّع خاصّة، أوعزت السلطات السعودية إلى أحد اللاهوريين باسم «إحسان اللهی ظهير» بأن يكتب ردّاً قاسياً على ما كتبه مؤلفنا الجليل ويتنصر للخطيب ويؤيد افتراءاته، وقد سمى كتابه «الشيعة والسنة»، وأعلن فيه بقوه بأن الشيعة والسنة لا يمكن أن يتحدا، وجاء الكتاب ليكون نعره جديده من نعرات الخلاف والشقاق، فقام مؤلفنا الجليل - بحكم الواجب - بتأليف كتاب آخر باسم «صوت الحق ودعوه الصدق»، استعرض فيه ما ارتكبه المؤلف الثاني من أخطاء.

وكان بهذا الكتاب وقع جيد، حيث كتب أحد الأفاضل من الجيزه بمصر عنه في رساله تقدير يقول مخاطباً سماحه المؤلف دام بقاءه:

(طالعت كتابكم الكريم الموسوم «صوت الحق ودعوه الصدق» وهو يسفر عن غير تكم الصادقه، وحرصكم الشديد على سلامه الدين، ووحده المسلمين ولمّ شعّهم وقوّه شوكتهم؛ ليكونوا درعاً حصيناً وجنّة وثيقه لمكافحه كلّ ما يتهدّد سلامه مبدئهم ويؤول إلى تفريق جمعهم.

وليت شعري ما الذي يجنيه هؤلاء - مثل محبّ الدين وأشباهه - من وراء إفكهم؟! ومن المُستفيد من طعنهم وافتراءهم على عباد الله المؤمنين؟!

لا أجد مبرراً لإثمهم وبهتانهم سوى الحسد والشنآن الذي يضمرونه لأهل

البيت عليهم السلام وشيعتهم، ظانين - بزعمهم - أنهم بذلك يستطيعون طمس آياتهم الساطعه وإطفاء أنوارهم المتلألأه. هيهات هيهات، فلو اجتمع أهل الأرض على أن يثيروا التراب على السماء فلن يثروه إلأعلى أنفسهم، وتبقى السماء كما هي صاحكه السنّ، بسامه المحيا).

ثم إنّ أحد العلماء الأفاضل ألف كتاباً حاكماً فيه المؤلفين والكاتبين باسم «الشيعة والسنّه في الميزان».

٥ - العقيدة بالمهديّه:

وأثبت فيه المؤلف أنّ العقيدة بالإمام المهدي مأخوذه من صميم الإسلام، وأورد فيه ما أورده العلماء السنّه والشيعة في جوامعهم الحديثه في شأنه عليه السلام.

وقد سبق المؤلف في هذا العمل بعض القدامى الأفاضل من علماء أهل السنّه، فقد ألف العلامه الحجّه علي بن حسام الدين المتقى الشاذلي المتوفى عام (٩٧٧هـ)، كتاباً في هذا المجال أسماه «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان».

وأما مؤلفنا الجليل فقد أورد في كتابه أسماء ثمانية وعشرين من الصحابه، وخمسه وأربعين من التابعين، واثنين وأربعين من المشايخ وأرباب الجوامع ممن رووا أحاديث المهدي.

وبما أنّ التعريف بتفصيل كلّ واحد من مؤلفات العلامه الصافي - دام بقاؤه - ممّا يوجب الخروج عن حجم هذه المقدمه فإننا نكتفي بذكر أسماء ما تبقى من

ص: ١٨

هذه المؤلفات على سبيل التعداد:

- ٦ - نويد أمن و أمان: وهو كتاب باللغة الفارسيه حول الإمام المهدي - صلوات الله عليه - غيبه و ظهوراً، وقد طبع مراراً وتكراراً.
- ٧ - عقيدته نجات بخش: وهو أيضاً بالفارسيه ومطبوع مراراً، يستعرض فيه الآثار البنّاءه للعقيدته بالإمام المهدي عليه السلام.
- ٩ - انتظار عامل مقاوم و حركت: بالفارسيه أيضاً، ويبين فيه المؤلف كيف أنّ انتظار الإمام المهدي خير عامل للمقاومه والحركه، مضافاً إلى ما له من ثواب اخروي، لا أنّه تنحصر ثمرته في الحياه الأخرى كما توهم بعض الغافلين والجاهلين؟
- ١٠ - فروغ ولايت: بالفارسيه، وهو بحث علمي حول دعاء الندبه المعروف، ومعالجته من حيث السند والمتن.
- ١١ - مفهوم وابستگي جهان به وجود إمام عليه السلام: ويستعرض فيه المؤلف معنى ارتباط الكون بالإمام والحجّه وهو بالفارسيه.
- ١٢ - نظام إمامت و رهبري: بالفارسيه، ومطبوع مراراً، ويبين فيه موضوع نظام الإمامه والفوارق الجوهرية بين هذا النمط من القيادة والأنماط الأخرى.
- ١٣ - حول حديث الافتراق: طبع بالعربيه ويتناول فيه المؤلف حديث ستفترق امتي بالدراسه والتحليل، وبيان الفرقه الناجيه.
- ١٤ - اصالت مهديت: وهو مطبوع بالفارسيه، ويردّ فيه على النظرية

ص: ١٩

القائله بأن فكره المهدي فكره باطنيه انتهى إليها الشيعة تحت الضغوط والمضايقات السياسيّه، ويثبت فيه أصاله هذه الفكره وتجذرها في الثقافه الإسلاميّه.

١٥ - أمان الأئمّه من الضلال والاختلاف: مطبوع بالعربي وهو يستعرض الطرق التي يمكن أن تؤدّي إلى تقريب وجهات النظر الفقهيّه وتضييق شقّه الخلاف الفقهي بين الطوائف الإسلاميّه.

١٦ - إيران تسمع فتجيب: مطبوع باللغه العربيّه، وهو يجيب على بعض افتراءات وتساؤلات الندوى التي أوردّها في كتابه «اسمعي يا إيران».

١٧ - راه إصلاح، يا أمر به معروف ونهي از منكر: مطبوع باللغه الفارسيّه.

١٨ - پيرامون روز تاريخي غدیر: مطبوع بالفارسيّه.

١٩ - جابر بن حيان: مطبوع بالفارسيّه.

٢٠ - المباحث الأصوليه: وهي تقريرات آيه الله البروجردی - قدّس الله روحه - وهي تتمتع بأهميه كبرى؛ لأنها تحتوى على تحقيقات هامّه في مجال علم الأصول، عُرف بها الإمام الراحل البروجردی.

٢١ - إرث الزوجه: مطبوع بالعربيّه.

٢٢ - رساله في حكم القضاء على المدعى عليه إذا نكل عن اليمين، أو رد: وهو مطبوع بالعربيّه.

٢٣ - پرتوی از عظمت حسین علیه السلام: مطبوع باللغه الفارسیه مراراً، وهو يتناول نهضة الإمام الحسين عليه السلام من بدئها إلى ختامها في تحليل رائع وقيم.

٢٤ - شهيد آگاه: وهو مطبوع بالفارسیه، ويبحث فيه المؤلف عن نهضة الإمام الحسين من زوايا خاصه.

٢٥ - الهيات در نهج البلاغه: وهو مطبوع بالفارسیه، ويتناول فيه كل ما ورد في نهج البلاغه حول الذات الإلهيه المقدسه وصفاتها الكمالیه والجلالیه.

٢٦ - ولايت تكوينی وتشریعی: مطبوع بالفارسیه يبحث فيه المؤلف عن هاتين الولايتين في الثقافه الإسلامیه.

٢٧ - حول الاستقسام بالأزلام: باللغه العربیه، أجب فيه على ما كتبه العلامه الشيخ محمود شلتوت في مجله «رساله الإسلام» من أنّ الاستخاره المرويّه عن أهل البيت هي من قبيل الاستقسام بالأزلام المنهيه عنه.

وقد طلب الإمام البروجردی رحمه الله من مؤلفنا الجليل أن يكتب حول هذه المسأله ويرسل ما يكتبه إلى الشيخ شلتوت.

٢٨ - ندای اسلام از اروپا: وهي مجموعه مقالات وأجوبه ألقاها باللغه الفارسیه في مجالس إسلامیه عقدت في المجمع الإسلامی بلندن، وقد طبع مراراً.

٢٩ - پاسخ به پرسشها: بالفارسیه.

٣٠ - عالیترین مكتب تربیت یا ماه مبارك رمضان: بالفارسیه.

٣١ - حوادث تاریخی: بالفارسیه.

ص: ٢١

- ۳۲ - تاریخ حوزه های شیعی: بالفارسیه، وهو يتناول تاريخ الحوزات العلمیه الشيعیه وأهم مراكزها ونشاطاتها ومقارنتها بغيرها من الحوزات والمراكز العلمیه.
- ۳۳ - پیرامون مسائل اسلامی: بالفارسیه.
- ۳۴ - پاسخ به پرسش های یک خانم مسلمان: بالفارسیه.
- ۳۵ - نظام امامت و اُمت: بالفارسیه.
- ۳۶ - حواشی بر عروه الوثقی: بالعربیہ.
- ۳۷ - تعلیقات بر کفایه: بالعربیہ.
- ۳۸ - به سوی آفریدگار: بالفارسیه، وهذا الكتاب يعالج ۱۲ سؤالاً حول الالهيات والمعارف الإسلامیه.
- ۳۹ - تفسیر آیه الفطره: بالفارسیه.
- ۴۰ - تجلّی توحید در نظام امامت: بالفارسیه.
- ۴۱ - مسأله شناخت: بالفارسیه.
- ۴۲ - پیرامون معرفت امام: بالفارسیه.
- ۴۳ - شرح دعای معرفت حجت: بالفارسیه.
- ۴۴ - درباره زندگی یوذا سف: بالفارسیه.
- ۴۵ - اعتبار قصد قربت در وقف: بالفارسیه.
- ۴۶ - التعزیر أحكامه وملحقاته: بالعربیہ.

٤٧ - تفسير آية التطهير: بالعرييه.

٤٨ - عصمه الأنبياء والأئمه عليهم السلام: بالعرييه.

٤٩ - أحاديث الفضائل المخرّجه من الجامع الصغير: بالعرييه.

٥٠ - من لهذا العالم؟: بالعرييه.

٥١ - چند رساله فقهی: بالفارسيه.

٥٢ - سفرنامه حج: بالفارسيه.

وهذه الرسائل والكتب القيمه مطبوعه، وله غير هذه الكتب والرسائل كتب اخرى مخطوطه، أو هي تحت الطبع، أو طبعت، ممّا يقارب عدد مجموعها السبعين، وتكشف عن ثقافه المترجم وسعه اطلاعه، ومدى ارتباطه بواقع المسلمين.

وفي الختام تفتخر مؤسسه البعثه أن تقوم بنشر مجموعه قيمه من الرسائل التي ألفتها سماحه المؤلف الجليل حول القضايا المتنوعه في جزئين، الجزء الأوّل يشتمل على (١٢) كتاباً، والجزء الثاني يشتمل على (٤) كتب.

وتقدّم هذه المؤسسه هذه المجموعه الكريمه والشمينه إلى القراء الكرام على أمل أن تخدم بذلك الإسلام والمسلمين، كما هو هدف المؤلف دام بقاءه، والله خير معين.

جعفر السبحاني

٢٠ جمادى الآخره، ١٤٠٤

ص: ٢٣

إلى هدى كتاب الله

إشارة

ص: ٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فانه شافع مشفع وماحل مصدق. من جعله أمامه قاده إلى الجنه ومن جعله خلفه ساقه إلى النار» صدق رسول الله الصادق المصدق الأمين، فلا ريب أن المسلمين لم يقعوا فيما وقعوا فيه من ذهاب العز وفقد المجد، واختلاف الكلمه وتشتت الآراء وسلطه الاعداء وتكثر الحكومات والنظامات الجاهليه المستورده من الشرق والغرب بدلاً عن الحكومه الاسلاميه الواحده إلأبنبذهم الكتاب الكريم وراء ظهورهم وإخراجهم إياه عن شؤونهم السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه، فأصبحوا وكتاب الله متروكاً وهو بين أظهرهم لا يعملون به ولا يهتمون بأمره، اكتفوا بتلاوته ودرسه وهو خارجون على هداه وسلطان أحكامه ونظاماته يأولون آياته وأحكامه ويحملونها على آرائهم وأهوائهم ولذا التبست عليهم الفتن كقطع الليل المظلم، وصاروا في بلادهم عبيداً أذلاء بعد ما كانوا في بلاد غيرهم أحراراً أعزاء.

وهذه رساله صدرت من مصلح مخلص وداع صادق من دعاه الحركه

الاسلاميه العامه الشامله لجميع أقطار وطننا الاسلامى الكبير يدعو الأُمه جمعاء إلى هدى القرآن والرجوع إليه. كتبها قبل قيام الثورة الاسلاميه بسنوات، نشرناها لأنّ حال غير ايران من بلاد المسلمين وإن أثرت فيها الثورة الاسلاميه فى ايران وحركه الغيارى وأيقظت أبناءها لم تتغير من جهه نظاماتهم الفاسده التى تعمل لمصلحه أعداء الاسلام نشرناها لأنّ يد الاستكبار الامريكى لم تقطع من بلادنا الاسلاميه فى الشرق الأوسط سيما فلسطين ولبنان وفى افريقيا والاحتلال الروسى المستكبر الآخر فى آسيا وإفريقيا وبلاد مثل باكو وتاشكند وسمرقند وبخارا وتاجيكستان وعشق آباد وكازخستان وكرخيزيا وبلاد افغانستان وغيرها.

نشرناها استنهاضاً للمسلمين واستنصاراً منهم لنصره الاسلام واستعاده بلاد القرآن المنتصبه فى شرق الأرض وغربها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] (١).

[وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا] (٢).

«إِذَا التَّبَسَّثَ عَلَيْكُمُ الْفِتْنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ» (٣).

هل نحن مسلمون؟

هل نحن مؤمنون؟ ٩.

ص: ٢٩

١- آل عمران: الآية ١٠٣.

٢- الفرقان: الآية ٣٠.

٣- الكافي: ج ٢ ص ٥٩٩.

هل نتلو القرآن حقّ تلاوته؟ هل نؤمن به ونستعذب حياضَ معارفه وتعاليمه؟ هل اتّخذناه منهاجاً لدنيانا وآخرتنا، نحكمه في قضايا الاجتماعيه والاقتصاديّه والتربويه، ومصدراً لأنظمتنا، ونظاماً لأمرنا؟

أخي المسلم: إنك إن كنت تريد استعادته مجدك الذاهب، مجد آبائك وأجدادك، إن كنت تريد النصر والغلبه على أعداء امتك، وإن كنت تريد النجاه بنفسك، وإنقاذ أبناء امتك من هذه الشبكات التي حاكتها يد الاستعمار ونشرتها في بلادنا ومدارسنا وكلّياتنا وأسواقنا، وحتى في بيوتنا، وإن كنت من طلاب الصلاح والإصلاح والفوز والفلاح، فتعال، تعال لتمسيك بحبل القرآن، نهتدي بهداه، ونستضيء بنوره، ونعيش في ظلاله بأمن وطمأنينه، ونستشفى به من أدوائنا، ونستعين به على لأوائنا، ونرتله ترتيلاً.

إننا يا أخي مسؤولون غداً عند الله تعالى عن هذا القرآن في محكمته العادله: [يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] (١) وسيخاصمنا نبينا صلى الله عليه وآله إذا كنا من الذين نبذوه وراء ظهورهم، يحتج علينا بكل آيه من آياته، ويحاكمنا على كلّ حكم أهملناه من أحكامه.

إنّ داء المسلم المعاصر ليس إلمافي تركه العمل بالقرآن، والاكتفاء باسم الإسلام مسجلاً على بطاقه هويته، محققاً بذلك قول الرسول الصادق الأمين «سيأتي زمان على أمتي لا يبقى من القرآن إلا رسمه ولا من الإسلام إلا ٩».

ص: ٣٠

اسمه؛ يسمون به وهم أبعد الناس منه»(١).

إنني أدعوك أيها المسلم لأن تنظر بعين البصيره إلى الآيات التاليه، كرر، وأعد، ثم أعد تلاوتها، وتفكر ثم تفكر في معانيها وما تستهدفه من أغراض حكمه وتعاليم ساميه، ثم عرج بالنظر إلى واقع عالمنا الإسلامى، وإلى النظم الاجتماعيه فى بلاد المسلمين، فهل تجد بلداً طبق هذه الآيات، أو بعضها فيها كمنهاج للحياه فى نطمه الاجتماعيه أو السياسيه أو مناهجه الثقيفيه أو التربويه؟

أنا لا أقول بأ نك لم تسمع الآيات التى سأتلوها عليك، بل لاشك أنك قد قرأتها كثيراً فى صباحك ومساءلك، وفى شهر صومك، وعند دعائك، وحينما أردت استكثار الثواب بقراءه كتاب الله تعالى، ولكن مجرد القراءه لا يكفيننا، ولا ينجينا إذا نحن لم نتفهم معانيه ومقاصده، ولم نأخذ بمضمون ما نقرأ، ولم نعمل بأوامره، ولم ننزجر بزواجره.

إن الغايه من نقلها إليك أيها الأخ المسلم إنما هى محاوله الاستفاده من تعاليمها الساميه؛ علها تشحذ فى الهمة وتقوى عزائمنا، وتدفعنا إلى العمل على ضوئها؛ لتعيد بناء مجدنا وعظمتنا، وترفع بأنفسنا - التى أراد الله لها أن تظل كريمه عزيزه - عن الإعتساف فى الشهوات، التى أدت بنا إلى هذا السقوط؛ مما جعل أعداءنا يغزوننا فى عقر دارنا، بعد أن كانوا هم هدفاً لغزونا لهم فى عقر دارهم، ولا حول ولا قوه إلا بالله.

قال الله تعالى: [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ۗ۝۳].

ص: ٣١

١- ثواب الأعمال: ص ٢٥٣.

وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ [١].

[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] [٢].

[قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] [٣].

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] [٤].

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا] [٥].

[وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] [٦].

[وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ ۙ

ص: ٣٢

١- المجادلة: الآية ٢٢.

٢- النساء: الآية ٦٥.

٣- التوبة: الآية ٢٤.

٤- المائدة: الآية ٥١.

٥- النساء: الآية ١٤٤.

٦- آل عمران: الآية ١٣٩.

مَعَ الصَّابِرِينَ [١].

[وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] [٢].

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَأَيُّ لُونِكُمْ خَبَالًا وُدُّوا مَا عَتَبْتُم مَقَدِّدَاتِ الْبُغْضَاءِ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ] [٣].

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] [٤].

[وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا] [٥].

[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ] [٦].

[الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا] [٧].

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۗ

ص: ٣٣

١- الأنفال: الآية ٤٦.

٢- الحشر: الآية ١٩.

٣- آل عمران: الآية ١١٨.

٤- التوبة: الآية ١٢٣.

٥- آل عمران: الآية ١٠٣.

٦- الحجرات: الآية ١٠.

٧- البقرة: الآية ٢٧٥.

ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [١].

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٢].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُزِدُواكُمْ عَلَىٰ أَغْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ [٣].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ [٤].

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ [٥].

أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [٦].

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ

ص: ٣٤

١- الأحزاب: الآية ٥٩.

٢- آل عمران: الآية ١٠٤.

٣- آل عمران: الآية ١٤٩.

٤- التوبة: الآية ٣٨.

٥- النساء: الآية ٣٤.

٦- المائدة: الآية ٥٠.

يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ [١].

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ... [٢].

وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [٣].

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ [٤].

إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [٥].

وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [٦].

إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ [٧].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوْ ٧.

ص: ٣٥

١- الأنفال: الآية ٦٠.

٢- النور: الآية ٣١.

٣- التوبة: الآية ٣٤.

٤- النور: الآية ٢.

٥- المائدة: الآية ٩٠.

٦- المائدة: الآية ٤٤.

٧- الإسراء: الآية ٢٧.

وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ [٢].

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [٣].

هذه الآيات ومثيلاتها - مِمَّا تَضَمَّنَ تحديد السلوك العام للإنسان المسلم والأمة المسلمة - تعرفها أنت ويعرفها كل مسلم غيرك؛ ولكن أين هو التطبيق؟

اقرأ القرآن كتاب الله ودستور دينك الذي تعتقد في قراره نفسك أحقَّيته بالتَّبَاعِ، وقف عند كل آية من آياته بتدبُّر، ثم قارن بين ما تَضَمَّنَتْه من أمر أو نهى وبين سلوكك أنت وسير النظام في بلدك وطريقه حياه قومك، فهل تجد في كافه هذه الجهات من يأخذ بها، أو يبني مسلكه في الحياه على هداها؟

بل إنَّك لن تجد غير الانفصال التام في حياتك ونظام حكومتك وسلوك مجتمعك عنها، لا بل سوف تجدها خارجه عن نطاق دنياك، وكأنها لا تعنيك ولا تقصدك في الخطاب.

أجل، إنني أكرّر الطلب لمبادره قراءه هذه الآيات، ثم البحث في مطاوى تاريخنا الإسلامى، فهل تجده قد تحدّث في عصر من عصور امتنا السالفه عن جيل اتّخذ القرآن مهجوراً كما اتّخذهُ أبناء جيلنا في عصرنا وزماننا هذا؟ ١.

ص: ٣٦

١- النساء: الآيه ١٣٥.

٢- هود: الآيه ١١٣.

٣- الحج: الآيه ٤١.

لعن الله العلمانيه ومن جاء بها، ومن سنَّ شرعيه هذا المبدأ الخبيث الذي قلب الإسلام ظهراً لبطن.

تعال معي لتتجول في أسواق المسلمين، فترى أنّ أكثر ما يباع فيها سلع مستورده من الأعداء، وأكثرها ممّا لا ضروره في بيعها ولا في شرائها، بل منها ما له خطر الأثر على مقومات وجودهم وأخلاقهم، كأنواع الخمور وآلات اللهو وأدوات القمار.

ثمّ لنُعرج معاً على معاهد العلم ومدارسه وكلياته، حيث لانرى في مناهجها وأساليب تعليمها إلّما يدفع الشباب إلى الانحراف عن العقائد الصحيحه، ويشوّقهم إلى ترك الالتزام بالآداب والتعاليم الإسلاميه، وما ذلك إلّما لأنّها من وضع أعداء الإسلام، والمتربّصين به وبأهله الدوائر.

ثمّ لنلقِ نظره على تُكنات الجيش ومراكز القوّات المسلّحه في البلاد الإسلاميه ومحافل موظّفي حكوماتها، لنرى أنّ أعظم شعار إسلامي وهو الصلاه لاتقام في أوقاتها بينهم.

ثمّ انظر إلى الشوارع والأزقّه والأسواق، لتراها غاصّه بأفواج النساء المتبرّجات السفارات العاريات تقريباً، وهنّ يزاحمن الرجال بالمناكب والصدور، وفي ذلك ما فيه من إغراء للشباب، ودفعه إلى هاويه الرذيله وانعدام الرجوله، ممّا يؤدّي حتماً إلى انهيار المجتمع ودماره وتفكّكه.

وهيّا لنذهب ونراقب ما يجرى في قاعات البرلمان ومجالس الأمه، ونصغى إلى ما يطرحه أعضاؤها من مشاريع وقرارات، لنرى كيف يسوّغون

لأنفسهم حقَّ التشريع والتقنين حتى على خلاف أحكام القرآن وضدَّ مصالح المسلمين!؟

ولا تغفل يا أخى عن استعراض أراضينا المعتصبة من وطننا الإسلامى، وخصوصاً الجزء المقدَّس منها، أعنى اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فهل ترى من سبب لبقائها فى أيدي الأعداء إلّا اختلاف الرؤساء المتغلِّبين على بلاد المسلمين، وتفريقهم وعدم اعتصامهم بحبل الله؟ وهل تجد لهؤلاء من عذر عند الله تعالى فى تنصيب كلِّ واحد منهم نفسه رئيساً أو أميراً أو سلطاناً أو ملكاً على مجموعته من المسلمين فى بقعه من بقاع وطننا الإسلامى الكبير، من غير أن يتنازلوا عن هذه العروش لمصلحه الإسلام واجتماع كلمه المسلمين ووحدتهم، تحقيقاً لقول النبى الأعظم «وهم يدُّ على من سواهم»^(١)، حتى غدا العالم الإسلامى موزعاً إلى دويلات ضعيفه واهيه مشتقه متباعده فى المشارب والأهواء والسياسات!؟

فهذه عميله لأمرىكا، وتلك تعمل لمصلحه روسيا، هذه تقتل الفدائيين وتريد اجتثاثهم من الأرض، ومن كانت حاله أحسن منها فى ذلك تترك نصرتهم بحجه أنها بعيدة عن منطقه المعركه، أو بدعوى ضعف إمكاناتها العسكريه والهجوميه، إلى غير ذلك من الترهات والأباطيل.

ولقد أصبح المسلمون - ويا للأسف الشديد - فى كافه مظاهر حياتهم وعاداتهم وأوضاعهم مقلِّدين لأعدائهم، ولو كان هذا التقليد فيما ينفع لكان نعمه ٤.

ص: ٣٨

وهو ليس بمعيب، إذ أن الأمم العاقلة هي التي تقتبس عن مثيلاتها كل ما تراه صالحاً لها، ولكن الذي اقتبسناه نحن عن الأجنبي من عادات وتقاليد أكثره يكمن فيه الضرر إن لم يكن جميعه كذلك.

فبالله عليك يا أخي قل، وليكن قولك الحق، نحن في أكثر عاداتنا ومظاهر حياتنا وقوانين حكوماتنا مسلمون، أم أننا في وادٍ و تعاليم ديننا ومفاهيمه في وادٍ آخر؟

ولن أتعرض لما عليه صحافتنا وسائر وسائل إعلامنا، فإن ما هي عليه من ترويج الفساد وسوء الأخلاق والتشجيع على الدعارة، والدعوه إلى الخلاعه، والاستهتار بالقيم، والحث على الإلحاد، كل ذلك أمر بديهي لا يحتاج إلى برهنه.

ومن أشدّ أمراضنا: مرض النفاق، إذ أننا نقول بإذاعاتنا ومآذنا وأثناء صلواتنا: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وعبداه ورسوله»، مع أننا خارجون عن سلطان دين الله وسلطان أحكامه، متمسكون بالمنهج الكافره الداعيه إلى الشرك أو الإلحاد، نقرأ القرآن، ونردّد في مفتتح كلّ سوره «بسم الله الرحمن الرحيم»؛ إلماً أنّ منّا من يُردّد ويهتف في افتتاحيه مقاله وفي الكتابات الرسميه وغيرها باسم سيمو الأمير، أو فخامه الرئيس، أو جلاله الملك والسلطان، غير آبهين بما أمرنا الله تعالى بالأخذ به، وجعله شعاراً لهذه الأمة، أمه التوحيد، من الابتداء باسمه المجيد.

الله أكبر! ما أبعدنا عن مفاهيم الإسلام وتعاليمه! ما الباعث لنا ياترى على قبول الذل والصغار تجاه عبد ذليل مثلنا، مع أننا نسمع قول الله سبحانه ونردّده

[ولا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا آرِبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ] (١)، نؤمن لرساله رسول الله محمد صلى الله عليه و آله، لكننا مع ذلك لا نتبع ما جاء به من عند الله ولا نتأسى به، ثم نأخذ بمبادئ أعدائنا، فإذا لم يكن ذلك من النفاق، فما معنى النفاق إذن...!؟

اللهمَّ إِنَّا نستغفرك ونتوب إليك ممَّا نحن فيه من ضلالٍ ماحِقٍ لعزِّنا، دافع لنا إلى نسيان ديننا وكتابنا وسنَّه نبينا.

ميلاد جديد:

أَجِل، إِنَّه لا-ريب ولا شكَّ في تحقُّق جميع ما تقدَّم ممَّا نحن عليه، إلَّا أنَّ المسلمين أو أكثرهم من الواعين قد أدركوا داءهم، وعرفوا دواءهم، ولولا-نفوذ بعض المفاهيم الاستعماريه، والدعايه الشديده لها في عدّه أقطار من عالمنا الإسلامى بمختلف الأساليب الخداعه، ولولا سيطره بعض الرؤساء والزعماء ممَّن أعمى أبصارهم الجاه وحبُّ الرئاسه، ولولا هذه التمرّقات الإقليميه، والعصبيات العنصريه والقوميه، التى وزّعت عالمنا الإسلامى، وحالت بين كلّ إقليم وإقليم آخر، لولا كلّ ذلك لكان المسلمون اليوم على هامه التاريخ يعيشون فى عالم كلّه نور، وفى مدنيه علميه وصناعيه هى أرقى من جميع المدنيات.

وإننا ليحدونا الأمل رضوخاً لقول الله سبحانه: [لا تَتَأَسُّوا مِنْ رَوْحٍ

ص: ٤٠

اللَّهِ...[١]، و [لا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ] [٢]، بانبعث نهضه إسلاميه واعيه على أيدي رجال مجاهدين، قد تَوَزَعُوا هنا وهناك من بلاد المسلمين، وآلوا على أنفسهم أن يعيدوا الإسلام إلى واقع المسلمين، ويدفعوهم إلى طريق إعادة مجدهم الإسلامي الزاهر، وبناء مجتمعنا على دعائم العقيدة الإسلامية الحقّه، والوقوف صفاً واحداً في وجه نوايا الاستعمار الخبيثه.

وإننا لنجد في كل قطر رجالاً- مجاهدين قد ثاروا على الباطل، وتبّهوا لأحاييل الاستعمار، ووقفوا في وجه كلّ دعايه أجنبيه تهدف إلى النيل من قداسه الإسلام وعزّ المسلمين ووحدهم.

ولقد قام الاستعمار من جانبه، مستعملاً كل ما لديه من قوه سياسيه وماديه لإباده هؤلاء الأبطال والتضييق عليهم ومطاردتهم، يساعدهم على ذلك أعوانهم وعملائهم؛ ذلك لأنّه يعلم بأنّ عمل هؤلاء المصلحين الدائب سوف يؤدّي إلى تيقظ المسلمين، وبالتالي إلى وحدتهم ولو سياسياً، وذلك من أعظم الموانع دون تحقيق نواياه الخبيثه فيهم، إلّا أنّه بعون الله سيفشل في العاقبه، وستفشل أحاييل الصهيونيه المتمثله بإسرائيل والدول المؤيده لها والمنفقه عليها، فإنّ الحقّ لا بدّ وأن ينتصر في النهايه على الباطل مهما طال الأمد، والله ينصر من ينصره.

والوصول إلى الغايه لا يتمّ إلّا بالدعوه إلى الجهاد المتواصل، والعمل على ٣.

ص: ٤١

١- يوسف: الآيه ٨٧.

٢- الزمر: الآيه ٥٣.

إعادته مناهج الإسلام وإرشاداته، وإلى واقع حياتنا الاجتماعيه والسياسيه، وذلك لا يتم إلا باشتراك الباحثين والكتّاب المسلمين ومفكرهم ومصالحهم في علاج جميع المشاكل، وبيانها لأبناء أمتهم، وعرض مفاهيم الإسلام وأساليبه السياسيه والاقتصاديّه والاجتماعيه وغيرها بأشكال واضحه ومفهومه لعموم المسلمين؛ حتى لا ينخدع الجهله بهذه الحقائق بالمبادئ الكافره والنظم المستورده، وللصحافه أكبر الأثر في القيام بهذا الواجب ونقل الأفكار الإسلاميه إلى أبناء المسلمين.

ولا يخفى حاجتنا اليوم إلى دعايه إسلاميه عالميه جامعته، تبليغ رسالات الإسلام في جميع نواحي الحياه إلى جميع الأجيال والأمم المعاصره، وتعرض على العالم الإسلامى مشاكل المسلمين في كل إقليم من أقاليمهم، وتطلب من الجميع العمل على معالجه تلك المشاكل، وتشرح لجيلنا المعاصر، سيما الشباب والطلّاب والطالبات أهداف الإسلام وغاياته، وتقوم بالدفاع عن قداسه الإسلام ودفع شبهات المستعمرين عنه.

إننا نعلم يقيناً أنّ العالم سيلجأ إلى الإسلام، ويقطع رجاءه وأمله عن الأفكار الماديّه والبرامج البهيميه الشرقيه والغربيه، فقد ظهر عجز تلك المذاهب عن حلّ المشاكل الإنسانيّه، بل شدّدتها وكثّرتها هذه المذاهب التي لا ترى هدفاً للحياه، ولا ما يعانیه البشر في هذه البسيطه، ولا تفسر لوجودنا وبقائنا هنا تفسيراً معقولاً مرضياً تطمئنّ به النفوس، وتسوق نحو العمل والحركه.

فهذا من خواص المذهب المادى أنه لا يعرف لهذا العالم مفهوماً معقولاً، ومعنى صحيحاً، وقصداً وهدفاً، ويوماً بعد يوم تجرّب البشريه، وتذوق مراره

الأفكار والمذاهب التي بنيت على هذا الأساس، وتدرّك أنها لا تُشيع الإنسان، ولا يقنع الإنسان بها.

ولاشكَّ أنَّ الإسلام هو الدين الوحيد والرسالة الفرد الذي يحلّ كلّ المشكلات، ويفسّر كلّ ما في العالم تفسيراً معقولاً، ويقوّى في النفوس حبّ العمل والخير والإحسان والتضحية دون الحقّ والعدالة.

إذن فعلى عاتق الجيل الحاضر - سيما العلماء والكتاب والمثقفين والشبان - مسؤوليه كبيره؛ لأنّ العالم يسير إلى نقطه لا بدّ له من الالتجاء إلى الإسلام، وذلك لا يحصل إلّا بالبلاغ المبين، وعرض الإسلام بمبادئه ونظمه للجيل الحاضر.

فاليوم الإسلام بحاجة كبيره إلى تبليغ أهدافه وتعاليمه وإرشاداته، كما أنّ العالم بحاجة ملحه إلى الإسلام وحكومته ونظامه.

فالمستقبل للإسلام، و [إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] (١)، [وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ] (٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

حرّره لطف الله الصافي الكلپايگانی ٥.

ص: ٤٣

١- الأعراف: الآية ١٢٨.

٢- التوبة: الآية ١٠٥.

أحاديث افتراق المسلمين على ثلاث وسبعين فرقه

أشاره

ص: ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

هنالك روايات متواتره ينقلها الشيعة والسنة عن أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد تتبأ بأن ما جرى على الأمم السابقيه سيجرى على هذه الأمة أيضاً. يروى أبوسعيد الخدرى عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قوله:

«لَتَتَّبِعَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا شَبْرًا، وَذِرَاعًا ذِرَاعًا، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ جِجْرًا ضَبَّ تَبَعْتُمُوهُمْ».

قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» (١).

ومن المسائل التي جرت على الأمم السابقيه، ووردت عنها أحاديث عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله هي مسأله «افتراق الأمم» ففي أمثال هذه الأحاديث يشير النبي صلى الله عليه وآله إلى افتراق امتى موسى وعيسى - على نبينا وآله وعليهما السلام -

ص: ٤٧

١- مسند أحمد: ج ٣ ص ٩٤؛ صحيح مسلم (شرح النووي): ج ١٦ ص ٢١٩، كتاب العلم؛ صحيح البخارى: ج ٢ ص ١٧١ (كتاب الأنبياء)؛ كنز العمال: ج ١١ ص ١٢٣؛ مسند الطيالسى: ح ٢١٧٨.

ويقول أنّ أمته أيضاً سوف تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقه، منها فرقه واحده فقط هي الناجيه ومن أهل الجنه، وسائر الفرق الباقية هالكه ومن أهل النار.

إنّ هذه مقاله التي تمرّ تحت أنظار القارئ الكريم، دراسه إجماليه وجامعه تسعى إلى أن تتعرّف على «الفرقه الناجيه» تعرّفاً أوسع وأفضل، وهي تقوم على اسس من الدلائل والشواهد العقليه والنقلية.

إنّ المؤلّف المحترم، بإراءته هذه القرائن والدلائل، يثبت أنّ «الفرقه الناجيه» ماهي إلّا أتباع الأئمه الإثني عشر ومحبي أهل البيت عليهم السلام، اللهمّ اجعلنا في زمريهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين أبي القاسم محمد، وآله الطاهرين.

أَخْرَجَ جَمْعٌ مِنْ أَرْبَابِ الْمَسَانِيدِ وَالسَّنَنِ وَجَوَامِعِ الْحَدِيثِ: كَأَحْمَدَ، وَأَبِي دَاوُدَ، وَابْنَ مَاجَةَ، وَابْنَ حَبَّانَ، وَالتِّرْمِذِيَّ، وَالنَّسَائِيَّ، وَالبَغْوِيَّ، وَالدَّارِمِيَّ، أَحَادِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَيَّ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً:

منها ما لانصَّ فيه على الهالكه من الفرق والناجيه منها.

ومنها ما فيه أنَّ واحده منها في الجنة والباقيين في النار(١).

وفي بعضها: أنَّ كلَّها في الجنة إلَّا الزنادقه.

وعن الشمس محمد بن أحمد بن بشار المقدسي في «أحسن التقاسيم»:.

ص: ٤٩

١- المناقب: ص ١٣١، ط سنه (١٣٢٦ هـ).

أَنَّ حَدِيثَ «اِثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَوَاحِدَةٌ فِي النَّارِ» أَصَحُّ إِسْنَادًا، وَحَدِيثَ «اِثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ نَاجِيَةٌ»، أَشْهَرُ.

وَمِنْهَا مَا لَا تَعْرُضُ فِيهِ لِتَعْيِينِ الْهَالِكَةِ وَالنَّاجِيَةِ.

وَفِي بَعْضِهَا: أَنَّ النَّاجِيَةَ هِيَ الْجَمَاعَةُ، وَفِي الْبَعْضِ الْآخَرَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

وَفِي بَعْضِهَا كِرْوَايَةٌ أَخْرَجَهَا خُوَارِزْمُ مَوْفِقُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَكِّيُّ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَلِيُّ مَا حَكَى عَنْهُ، عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَحَدِيثُ رِوَاةِ الْحَافِظِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى الشِّيرَازِيِّ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ التَّفَاسِيرِ الْعَشْرَةِ (١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَلِيُّ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ [وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ] وَهُمْ أَنَا وَشِيعَتِي».

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّغَانِيُّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٦٥٠ هـ) فِي «الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ» (٢): «افْتَرَقَتْ أُمَّةُ أَخِي مُوسَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتْ أُمَّةُ أَخِي عَيْسَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسْتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلِيُّ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا هَالِكَةٌ إِلَّا فِرْقَةَ وَاحِدَةٍ» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ ضَاقَ الْمُسْلِمُونَ ذُرْعًا وَضَجُّوا بِالْبُكَاءِ، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ لَنَا؟

ص: ٥٠

١- رِوَايَاتُ الْجَنَاتِ: ص ٥٠٨، الطَّبَعَةُ السَّابِقَةُ.

٢- نَقَلْنَا الْحَدِيثَ عَنِ النُّسخَةِ الْمَخْطُوطَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، الْمَوْجُودَةِ فِي مَكْتَبَةِ «آسْتَانَ قُدْس» بِرَقْمِ ١٧٠٦.

بعدك بطريق النجاه؟ وكيف لنا بمعرفة الفرقه الناجيه حتى نعتمد عليها؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسّ بكم به لن تضلّوا من بعدى أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إنّ اللطيف الخبير بئاني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عليّ بن أبي طالب، قال: «افتترقت بنو إسرائيل بعد موسى إحدى وسبعين فرقته، كلّها في النار إلّا فرقته، وافتترقت النصارى بعد عيسى على اثنتين وسبعين فرقته، كلّها في النار إلّا فرقته، وتفترق هذه الأمم على ثلاث وسبعين فرقته، كلّها في النار إلّا فرقته، فأما اليهود فإنّ الله يقول: [وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ] (١) وأما النصارى فإنّ الله يقول: [منهم أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ] (٢) فهذه التي تنجو.

وأما نحن فيقول: [وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ] (٣)، فهذه التي تنجو من هذه الأمم (٤).

ويستفاد من بعضها: أنّ الهالكه قوم يقيسون الأمور برأيهم، وهو ما رواه الحاكم في المستدرک (٥)، كتاب الفتن، وصححه علي شرط البخاري ومسلم، عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستفترق أمتي على بضع وسبعين».

ص: ٥١

١- الأعراف: الآية ١٥٩.

٢- المائدة: الآية ٦٦.

٣- الأعراف: الآية ١٨١.

٤- الدرّ المنثور: ج ٣ ص ١٣٦.

٥- المستدرک للحاكم: ج ٤ ص ٤٣٠.

فرقه، أعظمها فرقه يقيسون الأمور برأيهم، فيحرّمون الحلال، ويحلّون الحرام»(١).

كلمات العلماء حول هذه الأحاديث:

لقد كثرت كلمات العلماء حول رجال هذه الأحاديث ومتونها، وتعارض بعضها مع بعض، وشرح ألفاظها، وتعيين الفرقة الناجية، فأنكر بعضهم صحّته، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وصحّحه ولم يذكر الناجية والهالكه، وعلّل بعضهم ما في أسانيد محمد بن عمرو الليثي، وعباد بن يوسف، وراشد بن سعد، ووليد بن مسلم، وبعض المجاهيل.

واختلفوا في أنّ المراد بالأُمَّه هل هي أمّه الدعوه أم أمّه الإجابة؟ وفي اختصاص الاختلاف بأصول الفرق دون فروعها، كما اختلفوا في العدد المأثور، وأنّ العدد لمجرد الكثير أو أنّ العدد لامفهوم له، فلا مانع من الزيادة على العدد المأثور وإن لم يجز النقص، أو أنّ المقصود أصول الفرق دون فروعها.

وقال الكوثري: إنّ تشعب الفرق لا ينتهي إلى انتهاء تاريخ البشر، فلا يصحّ قصر العدد على فرق دون فرق، ولا على قرن دون قرن؛ لاستمرار ابتكار أهواء

ص: ٥٢

١- وإن شئت الإطلاع على سند هذا الحديث من طرق أهل البيت عليهم السلام، وما ورد عنهم في تفسيره، وكلمات أكابر العلماء وتحقيقاتهم الشافيه حول هذه الأحاديث، راجع موسوعه «بحار الأنوار»، الجزء ٢٨ من الطبعة الحديثه، باب افتراق الأمّه بعد النبي صلى الله عليه وآله على ثلاث وسبعين فرقه. وما أفرده بعض علمائنا بالتأليف حول هذا الحديث.

وتلفيق آراء مده دوام الحياه البشريه فى هذا العالم، فالكلام فى الفرق من غير تقيّد بعدد هو الأبعد عن الحكم، وهو الذى لا يكون مدعاةً لهزء الهازئين من غير أهل هذا الدين (١).

واختلفوا فى تعداد الفرق وتفصيل معتقداتهم، وقد وقعوا فى اشتباهات وجهالات فى هذا المقام، وقالوا عن الشيعة وغيرهم ما يدل على جهلهم بأوضح المطالب التاريخيه والكلاميه ممّا ليس هنا محلّ ذكره. واخترعوا مذاهب وفرقاً لم تخرج بعد إلى عالم الوجود، فراجع «الفصل» لابن حزم، و«الملل والنحل» للشهرستانى، و«التبصير» لأبى المظفر الإسفراينى وغيرها.

فلا ينبغي الاستناد فى نقل مذهب أى فرقه من فرق المسلمين على مثل هذه الكتب المليئه بالخرافات والجهالات، وما فيه شين للإسلام والمسلمين، والجامعه بين الغثّ والسمين، والصحيح والسقيم، وأعاجيب الأكاذيب، وإن شئت أن تكتب عن طائفه أو شخص من المسلمين وغيرهم فلا تَعزُّ إلى شخص ولافرقه من الفرق إلّما سجّل فى كتبهم المعتمده ومؤلفاتهم المعتمده، ولا تلزم أحداً منهم بلازم قوله إلّا إذا كان لازمه لزوماً بيّناً.

واستشكلوا أيضاً فى كفر هذه الفرق ما عدا واحده منها، فعن الشاطبى:

أهل السنه لا يكفرون كلّ مبتدع، بل يقولون بإيمان أكثر الطوائف التى فسّروا بها الفرق، ورجح أنّ الحكم بكون هذه الفرق فى النار ما عدا الجماعه الملتزمه لما كان عليه صلى الله عليه وآله وسلم هو وأصحابه لا يقتضى أنّها كلّها خالده خلود الكفار، فجوّز أن ٨.

ص: ٥٣

١- التبصير فى الدين: ص ٨.

يكون منها من يُعذَّب على البدعه والمعصيه، ولا يخلد في العذاب خلود الكفار المشركين، أو الجاحدين لبعض ما علم من الدين بالضروره(١).

فهذه الروايه لو لم تقل بدالاتها على كون جميع الفرق مسلمه ومعدوده من الأُمَّه لا تدلّ على كفر الجميع إلّا الواحده. نعم قد دلّ بعضها على دخول الجميع في النار ماعدا الواحده منها.

ومن أعظم ما وقع الاختلاف فيه في هذه الأحاديث: تعيين الفرقة الناجيه، والتي تكون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، على ما في بعض طرقه.

قال الشيخ محمد عبده، مفتى الديار المصريه سابقاً: وأما تعيين أيّ فرقته هي الناجيه - أي التي تكون على ما كان النبي عليه وأصحابه - فلم يتعيّن لي إلى الآن، فإنّ كلّ طائفه ممّن يدعن لنا بالرساله تجعل نفسها على ما كان عليه النبي وأصحابه... إلى أن قال: ومما يسرّني ما جاء في حديث آخر: أنّ الهالك منهم واحد(٢).

فهذا فهرس موارد الاختلاف في هذا الحديث من حيث السند والتمن والدلاله، ولا يخفى عليك أنّ تعيين الفرقة التي تكون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، والجماعه الملتزمه لِمَا كانوا عليه لا يثبت بنفس هذه الأحاديث، بل لابدّ من الرجوع إلى غيرها من الروايات والآثار والأدله العقلية، مضافاً إلى أنّ أخبار (الجماعه) مطعون فيها من حيث السند؛ لاشتماله على مثله.

ص: ٥٤

١- تفسير المنار: ج ٨ ص ٢٢٠، الطبعة الثانيه.

٢- المصدر السابق: ج ٨ ص ٢٢١-٢٢٢، الطبعة الثانيه.

أزهر بن عبد الله الناصبي، وعبد بن يوسف، وراشد بن سعد، وهشام بن عمار، ووليد بن مسلم، وعن الزوائد: (إسناد حديث عوف بن مالك فيه مقال)، وليس ببعيد أن تكون زياده (وهي الجماعه) من بعض الرجال، ففسر الحديث وبين معناه على وفق رأيه وما هو الصواب عنده، ويؤيده: أن الدارمي خرّج هذا الحديث ولم يذكر هذه الزياده، وحديث أنس مضافاً إلى ما في سنده أيضاً معارض بحديثه الآخر، فإن لفظ الحديث في بعض طرقه: «كلّها في النار، إلّا واحده، وهي الجماعه»، وفي بعضها: «قيل يا رسول الله: من هم؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي».

فالاغترار بهذه الزيادات مع هذه المعارضات في نفس هذه الأحاديث، وابتلاؤها بالمعارضات الخارجيه بعيد عن الصواب، ويؤيد زياده جمله (وأصحابي) بعد قوله: (ما أنا عليه) في بعض متون هذه الأحاديث، وزياده كلمه (الجماعه) في البعض الآخر عدم استقامه مفادهما.

أمّا الأول فلا نُه إنّما نجا من نجا وينجو من هذه الأُمَّه بسبب كونه على ما عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا عبره بكونه على ما عليه غيره كائناً من كان، وإن كان من أهل النجاه؛ لأنّه أيضاً إنّما نجا بكونه على ما عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فما معنى قوله:

(وأصحابي)؟ وإن كان المراد الكون على ما هو عليه مده بقائه في هذه الدنيا، وعلى ما عليه أصحابه بعد ارتحاله فهذا أيضاً لا يستقيم؛ لأنّه لاشكّ في وجود المنافقين في الصحابه، كما دلّت عليه آيات كثيره، كما لاشكّ في ارتداد كثير منهم، كما دلّت عليه أحاديث الحوض المتواتره وغيرها.

ولأنّه إذا كان الميزان قبل ارتحاله الكون على ما هو عليه، وبعد ارتحاله

الكون على ما عليه الصحابه فما هو الميزان بعد عصر الصحابه؟

مضافاً إلى أنّه كيف يمكن الكون على ما عليه الصحابه مع ما حدث بينهم من الاختلاف، حتى ضرب بعضهم بعضاً، ولعن بعضهم بعضاً، ووقع بينهم ما وقع؟! هذا، ولا أظنُّ بأحد من المسلمين القول بأنّ ميزان النجاه الكون على ما عليه النبي وأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم، بمعنى عدم الكون على ما عليه صلى الله عليه وآله وسلم و آله و سلم موجباً للنجاه إلّا إذا انضمَّ إليه الكون على ما عليه الأصحاب.

إذن فما يقول هؤلاء في نجاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فهل هي أيضاً متوقفه عندهم على كونه على ما كان عليه أصحابه؟! نعوذ بالله من جرأتهم على الله ورسوله، ومن زياداتهم واختلاقاتهم في الأحاديث حُبّاً للبعض وبغضاً لأهل بيت العتره الطاهره، ولأنّ يثبتوا باختلاقهم الأحاديث وإدخال الزيادات فيها لغير أهل البيت محناً لا يقاس بهم ما يشابه فضائلهم، ولكنَّ الله عليم بذات الصدور، يُظهر أكاذيبهم ومفتعلاتهم.

وأما الثاني - وهو زياده (الجماعه) - فالدليل على أنّها زياده لا يعتدّ بها، سيما مع عدم ذكرها في سائر المتون: أنّ المراد منها: إن كان ما عليه جميع الأئمّه فهو خلاف المفروض في الحديث من افتراق الأئمّه، وإن كان ما عليه السواد الأعظم والأكثرية فكيف صار الكون منها أبداً موجباً للنجاه؟ فهذه سيده نساء الجنه، حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت تعتقد بعدم شرعيه ولايه أبي بكر (1)، وماتتا.

ص: ٥٦

١- حكى لنا سيدنا الأستاذ آيه الله المغفور له السيد محمد تقي الخونساري ما جرى بينه وبين العلامة الشهير الشيخ حسن البنا، مؤسس جمعيه إخوان المسلمين من المباحثات حول المذهب، وذكر أنّ الشيخ بعد هذه المناظرات أعلن في المسجد الحرام، أو مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الترديد متّى) حسن عقيدته بالشيعه، واعتذر عنهم من عقيدتهم في الخلافه، وعدم شرعيه خلافه غير الإمام على عليه السلام، بأنّ ذلك كان عقيدته فاطمه سلام الله عليها.

وهى واجده عليه، وأهل السنه يدعون أنّ الجماعه كانت تذهب إلى شرعيه ولايته، مع أنّك تجد في الأئمه فرقاً كثيره أعظمها شيعة أهل البيت على عقيدته سيدتنا فاطمه الزهراء عليها السلام، ولا تجد فيها فرقاً ولا واحداً يشكُّ في كونها من أهل النجاه، وأنها سيده نساء العالمين، بل هذا دليل على عدم صحه زياده (وأصحابي) أيضاً؛ لأنّ عقيدتها تفترق عن عقيدته جمع من الصحابه من حزب أبي بكر وعمر بن الخطاب.

اللهمّ وإن قيل بإرادته جميع الصحابه من قوله: (وأصحابي)، وعليه يكون المراد: أنّ أهل النجاه من يقول بقول جميع الصحابه، ويأخذ بما اتفقوا عليه كلّهم، وهذا قريب من روايه «كلّهم في الجنّه إلّا الزنادقه»، وعليه فالواحد هو الخارج عنه بما اتفق عليه كلّ الصحابه وينكر بعضه أو كلّ فهو ليس من الأئمه لا أنّه منها وليس من الناجيه.

والعجب ممّن كتب في الفرق المختلفه، ويقول: إنّ أول اختلاف وقع بين الأئمه كان في أمر الحكومه وزعامه الأئمه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويذكر مخالفه سيدتنا الزهراء عليها السلام وسائر بنى هاشم وشيعتهم، ثمّ يتمسك بهذه الزياده، ويقول:

الفرقه الناجيه هي (الجماعه).

ويورد عليه على فرض صحه هذه الزياده، وأن المراد منها السواد الأعظم: أنّ السواد الأعظم ثار على عثمان، وأنكر عليه أفاعيله وبدعه،

واستعماله الخونه وبنى اميه على المسلمين، وصرفه بيت مال المسلمين فى أقاربه وخواصه، وإهماله حدود الله، وطلبوا منه التوبه وإبطال بدعه وطرده الخونه عن الاستيلاء على الأمور، إلا أنه لم يقبل منهم، ولم يعمل بنصح ناصح مثل الإمام على عليه السلام، و أصر على ما أغضب به رجالات الإسلام حتى قُتل، فهل يعترف من يروى هذه الزيادة ويقول بصحتها أن عثمان لم يكن من أهل النجاه، بل هو من أهل النار؟ وأمثلة ذلك كثيره فى تاريخ الإسلام.

ونسأل ونسأل، حتى نسأل: هل الحنابله المجسّمه بما اعتقدوا فى الله على خلاف سائر المسلمين وجماعتهم، من العين واليد، من أهل النجاه، أو من أهل النار؟

وابن تيميه مع آرائه المخالفه للجماعه من أىّ الفريقين؟ والشيخ محمد عبده، ورشيد رضا، وفريد وجدى وغيرهم من أهل الثقافه الحديثه والمتأثرين بالمذاهب الفلسفيه الغربيه الذين خالفوا جماعه العلماء وجماعه المسلمين، من أيّهما؟

والفرقه التى أحدثتها أيادى الاستعمار، وأثارت الفتن المخزيه الداميه، وهدمت المشاهد والمعالم التاريخيه، والبنائيات الأثريه الإسلاميه، التى كانت من أقوى الدلائل والشواهد على أمجادنا التاريخيه وسيره الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ومشاهدها، من أىّ الفريقين؟

وبعد ذلك كلّه فالأقوى فى النظر زياده هاتين الكلمتين، وعدم صدورهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى فرض الصدور لا يمكن الاعتماد عليهما؛ لإجمالهما وعدم استفاده ميزانيه ظاهره مستقيمه منها لمعرفة الفرقة الناجيه.

فإذن لانجد مرجعاً فى نفس هذه الأحاديث لتعيين الفرقه الناجيه غير مثل الحديث الذى أخرجه أخطب خوارزم، وابن مردويه، والحافظ الشيرازى عن أنس، وغير الحديث الذى أخرجه الحافظ الصغانى، وقد دلّ الأول على أنّهم شيعه على، والثانى على أنّهم هم المتمسكون بالثقلين: كتاب الله والعتره.

ونحن لانحبّ الخوض فى هذه المسائل الكلاميه التى طال اشتغال الفريقين بها، ويغنى الباحثين ما كتبه السلف فيها، إلّا أنّ بعض من يكتب كذباً وزوراً عن الشيعه ما يوافق هواه، حيث تعرّض لكلام المحقّق الطوسى فى شرح الحديث، واستشهد بزعمه به، لما يريد من إثارة الفتن بين المسلمين والافتراء على الشيعه بأنها تخالف المسلمين فى الأصول، أوجب علينا أن نبين له ولأمثاله معنى ذلك، وأنهم أرادوا بمباينتهم مع الجميع أنّ الجميع يتشاركون فى

الأصول والعقائد الموجهة لدخول الجنة، ولا يخالفهم أحد سوى الإمامية، فإنهم اشترطوا فيه بالأدلة الصحيحة ولا يه الأئمة الاثنى عشر أيضاً، ومعنى ذلك: أنهم شاركوا الجميع في العقائد الإسلامية الموجهة لدخول الجنة، وباينوا الجميع لاشتراطهم في دخول الجنة ولا يه الأئمة، فهم أهل النجاه، فلا يبد لنا من نقل كلام المحقق الطوسي عمّن هو الأصل في حكايته عنه، وهو العلامة الحلي في كتابه «منهاج الكرامه»، وإجراء الكلام على سبيل الإيجاز حول تعيين الفرقة الناجية.

قال العلامة في «منهاج الكرامه»: الوجه الثاني في الدلالة على وجوب اتباع مذهب الإمامية: ما قاله شيخنا الإمام الأعظم الخواجه نصير الحق والملة والدين محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه، وقد سألته عن المذاهب؟ فقال: بحثنا عنها، وعن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحده منها ناجية، والباقي في النار»، وقد عيّنت الفرقة الناجية والهالكه في حديث آخر صحيح متفق عليه، وهو قوله: «ممثل أهل بيتي كمثل سفينه نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»، فوجدنا الفرقة الناجية هي الإمامية؛ لأنهم باينوا جميع المذاهب، وجميع المذاهب قد اشتركت في اصول العقائد (١).

وننقل أيضاً كلام السيد الجزائري عن كتابه «الأنوار النعمانية»، قال بعد نقل كلام المحقق الطوسي: (وهذا تحقيق متين، وحاصله: أنه لو كانت الفرقة الناجية غير الإمامية لكان الناجي كلهم، لافرقه واحده؛ وذلك لأنهم متشاركون ٩.

ص: ٦٠

فى الأصول والعقائد الموجهة لدخول الجنة، ولا يخالفهم أحد سوى الإماميه، فإنهم اشتروا فى دخول الجنة ولايه الأئمه الاثنى عشر والقول بإمامتهم(1)، انتهى كلامه.ه.

ص: ٦١

١- الأنوار النعمانية.

ولتوضيح ما حَقَّقَه المحقِّق الطوسي نقول: الذي نحتجُّ به لكون الفرقة الناجيه هم الشيعة الإماميه وأتباع علي والأئمه من ولده عليهم السلام، مضافاً إلى ما أخرجه أخطب خوارزم، وابن مردويه، والحافظ محمد بن موسى الشيرازي، عن أنس وعلى عليه السلام من أنهم شيعة علي وأصحابه، امور:

١ - إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عيَّن الفرقة الناجيه والهالكة صريحاً في الحديث المشهور الصحيح، الذي أخرجه جمع كثير من الحفاظ: «إنَّ مَثَل أهل بيتي فيكم مثل سفينه نوح، مَنْ ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك»^(١). فالفرقة الناجيه هي الفرقة المتمسِّكه بأهل البيت، والفرقة الهالكة هي المتخلفه عنهم، ولاريب في استناد الشيعة في الأصول والفروع وجميع العلوم الدينيه كالتفسير والعقائد والفقهِ

ص: ٦٣

١- انظر: بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٠٤، والحديث متواتر رواه الخاصه والعامه.

إلى أهل البيت عليهم السلام، وليس لغيرهم هذا الاستناد والاختصاص والتمسك بفتاواهم، لو لم نقل بإعراضهم عن أهل البيت، فهذه كتب القوم مشحونه بالاحتجاج بأحاديث النواصب، وفتاوى أعداء العتره، أمثال: معاوية، وعمرو، وكعب الأحبار، وعكرمه، ومقاتل، وعمران بن حطّان، وحريز بن عثمان، ومروان، وغيرهم، ولم يُخَرَّجُوا عن أهل البيت إلَّا نزرًا قليلًا لا يُعتدُّ به جدًّا، كما لم يحتجوا بفتاواهم أيضًا في الفقه (١).

٢ - وقد عيّنهم في غير أحاديث السفينه أيضًا، في الأحاديث الكثيره التي بعضها متواتر، مثل أحاديث الثقلين الداله على انحصار الأمن من الضلال في التمسك بهم وبالكتاب، وعدم افتراقهم عنه، و عصمتهم عن الخطأ، وأنّ التخلّف عنهم سبب للهلاك، ويشهد لذلك الحديث الذي نقلناه عن «الشمس المنيره» للحافظ حسن بن محمد الصغانى، ومثل أحاديث الأمان، وأحاديث الخلفاء والأئمه الاثنى عشر، ومثل ما خرّجوه في تفسير قوله تعالى [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ] (٢)، عن ابن عباس، أنّه قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام: «تأتى أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتى أعداؤك غضاباً مقمحين» (٣). ومثل ما ورد في أنّه وشيعته هم الفائزون يوم القيامة.٩.

ص: ٦٤

١- راجع في ذلك كتابنا «أمان الأمة»، وكتاب «شيخ المضيره» للأستاذ الشيخ محمود أبو ريّه، وكتاب «أبو هريره» للشريف السيد شرف الدين.

٢- البيّنه: الآيه ٧.

٣- راجع الدرّ المنثور، والصواعق المحرقة: ص ١٥٩.

ومثل ما خرّجه في منتخب كنز العمال (١) «علّي مع القرآن، والقرآن مع علّي، لن يفترقا حتى يردا علّي الحوض» (كك طس) عن أم سلمه.

وما أخرجه أيضاً في المنتخب (٢): «من أحب أن يحيا حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنه الخلد التي وعدني ربي، فإن ربي عز وجل غرس قضبانها بيده، فليتولّ علي بن أبي طالب، فإنه لم يُخرجكم من هدى، ولم يُدخلكم في ضلاله» (طب كك) وتعقب، وأبو نعيم في فضائل الصحابه عن زيد بن أرقم.

وأخرج أيضاً (٣) «من أحب أن يحيا حياتي ويموت ميتتي، ويدخل الجنه التي وعدني ربي قضباناً من قضبانها غرسه بيده، وهي جنه الخلد، فليتولّ علياً وذريته من بعده، فإنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلاله»، مطير والباوردي، وابن شاهين، وابن منده عن زياد بن مطرف.

وما أخرجه أيضاً (٤) «تكون بين امّتي فرقه واختلاف، فيكون هذا وأصحابه على الحق، يعني علياً» (طب) عن كعب عجره، والأحاديث بهذه المضامين كثيره، وإحصاؤها صعب جداً (٥).

ص: ٦٥

١- المطبوع بهامش مسند أحمد: ج ٥ ص ٣٠.

٢- منتخب كنز العمال: ص ٣٢.

٣- المصدر السابق: ص ٣٢-٣٤.

٤- المصدر السابق: ص ٣٤.

٥- من أراد الاطلاع على طائفه منها، وتحقيق إسنادها ومتونها، وبحوث لا يستغنى الباحث عنها، فليراجع كتابنا «أمان الأمان من الضلال والاختلاف».

وانتهاء الإماميه إلى على عليه السلام وذريته، وانقطاعهم إليهم ظاهر من كتبهم في الحديث، ومذاهبهم في الفقه.

٣ - قد اتفقت مذاهب أهل السنّه فيما هو السبب للنجاه والخلاص من النار، أى الشهادتين والإتيان بالأركان الخمسه: الصلاه والزكاه، والحجّ والجهاد، ووافقهم الشيعه فى جميع ذلك، وزادوا على هذه الأمور ولايه الأئمه من أهل البيت عليهم السلام بدلاله روايات متواتره خرّجها حفّاظ الفريقين، فالإماميه قد أخذوا بما هو ملاك النجاه عند أهل السنّه، ولا عكس، فيجب أن تكون الهالكه غيرهم.

٤ - قد اشتركت الشيعه وأهل السنّه فى اصول العقائد من التوحيد والنبوه، والمعاد وغيرها، وفى الفروع مثل الصلاه والصوم، والحجّ والزكاه، والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغيرها، وامتازت عن أهل السنّه فى مسأله الإمامه. فهى عندهم منصب إلهى يختار الله له من يشاء من عباده وينصّيه، ويأمر النبىّ بالنصّ عليه، كما نصّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الأئمه الاثنى عشر فى الروايات الصحيحه، وقد نص النبى على عددهم فى الأحاديث المخرّجه فى أصحّ كتب حديث أهل السنّه، كصحيح البخارى ومسلم، ومسنّد أحمد، فإنّه قد خرّجه من أربعه وثلاثين طريقاً، وغيرهم من أرباب الجوامع، وأخرجوه عن غير واحد من الصحابه، كجابر بن سمره، وابن مسعود، وأنس.

فهذه عقيدته تشهد على صحتها ونجاه صاحبها صحاح الأحاديث، فالفرقه الناجيه إن كانت هى الشيعه فهى، وإن كانت غيرهم من أهل السنّه يجب أن تكون الشيعه أيضاً من الناجيه؛ لاشتراكها مع أهل السنّه فى اصول العقائد الإسلاميه

وفى الفروع العمليه، مع أنّ القول بكون الناجيه أهل السنّه يرجع إلى القول بنجاه جميع الفرق أو أكثرها، بخلاف ما لو كانت الشيعه هى الناجيه، فالقول بنجاه أهل السنّه مستلزم للقول بنجاه الشيعه؛ لاشتراكها مع سائر الفرق فى ما هو سبب للنجاه، ولاعكس، وهذا الوجه قريب من الوجه السابق.

٥- إنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد اختلفوا فى مسائل كثيره، ولم يحصل منهم الاتفاق على جميع الأمور، ولم يعلم عصمه طائفه منهم بالخصوص، ولم يتفق الفريقان فى جواز الرجوع إلى شخص معين منهم، إلّا إلى على وفاطمه والحسن والحسين عليهما السلام، فالتمسّكون بهداهم الآخذون بحجرتهم أهل النجاه والفلاح قطعاً وإجماعاً، بخلاف المتمسّك بغيرهم كائناً من كان، فإن نجاه المتمسّك بغيرهم غير مقطوع به ولا متفق عليه.

٦- إنّ الأخبار الصحيحه قد دلّت على ارتداد أكثر الصحابه إلّا القليل منهم، مثل ما رواه البخارى فى كتاب الحوض (١)، عن أبى هريره: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم، فقال: هلمّ! فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم، فقال: هلمّ! قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل همّل النعم».

ص: ٦٧

وهذا الحديث يدلّ على ارتداد جمع كثير من الصحابه، فلا تكون متابعتهم مطلقاً، وإن لم يثبت ثبات المتبوع وعدم ارتداده سبباً للاندراج في الفرقة الناجيه، كما أنّ الحكم بنجاه جميعهم مخالف لصريح هذه الأحاديث، واتفق الفريقان على أنّ علياً وفاطمه والحسن والحسين وشيعتهم، كأبي ذرّ والمقداد وسلمان وعمّار وغيرهم من الصحابه لم يكونوا من المرتدّين، فمن تمسّك بهم ولم يعدل عنهم إلى غيرهم في الأمور الدينيه، سواء كانت اعتقاديّه أم عمليه يكون من الفرقة الناجيه.

ومن الروايات المصرّحه بذلك: ما أخرجه في كنز العمال (1)، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، قال: كان علي عليه السلام يخطب، فقام إليه رجل فقال:

يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعه؟ ومن أهل الفرقة؟ ومن أهل السّينّه؟، ومن أهل البدعه؟ فقال: «ويحك! أما إذا سألتني فافهم عني، ولا عليك أن تسأل عنها أحداً بعدى، فأما أهل الجماعه فأنا ومن اتبعني وإن قلّوا، وذلك الحقّ عن أمر الله وأمر رسوله صلّى الله عليه وآله، فأما أهل الفرقة فالمخالفون لى ولمن اتبعني وإن كثروا، وأما أهل السنّه فالمتمسّكون بما سنّه الله لهم ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإن قلّوا، وأما أهل البدعه فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله صلّى الله عليه وآله، العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا، وقد مضى منهم الفوج الأوّل وبقيت أفواج، وعلى الله قصمها واستئصالها عن جذبه الأرض...»، والحديث طويل، فيه بعض أحكام البغاه، وساقه إلى أن قال: ٩.

ص: ٦٨

١- كنز العمال: ج ٨ ص ٢١٥، ح ٣٥٢٩.

«وتنادى الناس من كلِّ جانب: أصبت يا أمير المؤمنين، أصاب الله بك الرشاد والسداد» فقام عمار فقال: يا أيها الناس، إنكم والله إن اتبعتموه وأطعتموه لم يضلَّ بكم عن منهاج نبيكم قيس شعره، وكيف يكون ذلك وقد استودعه رسول الله صلى الله عليه وآله المنايا والوصايا وفصل الخطاب على منهاج هارون بن عمران، إذ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت منى بمنزله هارون من موسى، إلا أنَّه لانبئى بعدى» فضلاً عما خصَّه الله به إكراماً منه لنبهه صلى الله عليه وآله وسلم حيث أعطاه ما لم يُعطِ أحداً من خلقه...» الحديث.

وهذا الحديث وأشباهه لا تنطبق إلا على الشيعة الإمامية، المنيخين مطاياهم بفناء أهل البيت عليهم السلام، والتمسكين بهم.

ويُعجبنى هنا ذكر أبيات ذكرها للشافعي أحمد بن القادر العجيلي في كتابه «ذخيره المأل»، والشريف الحضرمي في «رشفه الصادى»، وهى هذه:

ولما رأيتُ الناسَ قد ذهبَ بهم، ٥.

ص: ٦٩

فإن قلت: في الناجين فالقولُ واحدٌ، وإن قلت: في الهلاكِ خفتَ عن العدلِ

إذا كان مولى القوم منهم فإني أ.

ص: ٧٠

أخرج الحاكم في المستدرک (١)، في كتاب الفتن، قال: أخبرنا محمد بن المؤمل ابن الحسن، ثنا الفضل بن محمد بن المسيب، ثنا نعيم بن حماد، ثنا عيسى بن يونس، عن جرير بن عثمان، عن عبد الرحمان بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك (رض)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقه، أعظمها فرقه قوم يقيسون الأمور برأيهم، فيحرمون الحلال ويحللون الحرام»، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

دلّ هذا الحديث على ذمّ أعظم الفرق، فرقه هي أكثرهم عدداً وجماعه، وهم أهل القياس والرأى، الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام، ولا يخفى أنّ معظم أهل السنّه والجماعه هم أهل الرأى والقياس.

ص: ٧١

ويؤيد هذا ظاهر حديثه الآخر، وهو ما أخرجه ابن ماجه عنه (١)، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقه، فواحدة فى الجنة وسبعون فى النار، وافتترقت النصرى على ثنتين وسبعين فرقه، فأحدى وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة، والذى نفس محمد بيده لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقه، فواحدة فى الجنة وثنان وسبعون فى النار، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: الجماعة». فإن ظاهره السؤال عن الفرق التى تكون فى النار، فقال: «الجماعة».

وسواء كان ظاهر حديث ابن ماجه عنه هذا أم لم يكن فلا-ريب أن حديث الحاكم عنه معارض لحديث فُسِر فيه الناجيه بالجماعه، إلما إذا كان المراد منها ما نصّ عليه على عليه السلام فى حديث أخرجه عنه فى كنز العمال، وإذا دار الأمر بين الأخذ بحديث الجماعة وحديث الحاكم وجب الأخذ بالأخير، فإنّ حديث الجماعة مطعون فيه من حيث السند والمتن والدلاله.

ومما لاشكّ فيه أنّ الشيعه ليست من الفرق العامله بالقياس والرأى التى دلّ هذا الحديث الصحيح على ذمّها؛ لشده تمسّكهم بالكتاب والسنة، وعدم جواز العمل بالقياس والرأى عندهم، وهذا معروف من مذاهب أئمتهم، مذكور فى كتبهم، وقد بيّننا فى بعض تصانيفنا أنّ سبب أخذ القوم بالقياس فى الأحكام الشرعيه قلّه مصادرهم، وميلهم عن أهل البيت، وعدم رجوعهم إلى الروايات المأثوره عنهم.ى.

ص: ٧٢

١- سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ٤٧٩، الطبعة الأولى.

ثم لا يخفى عليك أنّ الأدلة السّته التي أقمناها على أنّ الناجيه من الفرق هى الشيعة قائمه عليها، وإن قيل بعدم صحه أحاديث افتراق الأّمه.

فكلّ منها دليل مستقلّ وبرهان واضح على أنّ المذهب الصحيح بين جميع المذاهب ليس إلّا مذهب أهل البيت عليهم السلام والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

فنعم ما قيل:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً

ص: ٧٣

قد علمت ممّا سبق اشتراك جميع الفرق فى اصول العقائد، يعنى بذلك:

الإيمان بالتوحيد والنبوه والبعث والصلوات الخمس إلى القبله والحجّ وصوم شهر رمضان والزكاه، وغيرها من الأمور التى اتّفقت الأمّه فى دخلها فى الإيمان، وعدم حصول النجاه بدون الإيمان بها، وقد أعلن ذلك الصحاح السنّه وغيرها من كتب أهل السنّه، فدلت رواياتهم على نجاه من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر، وأقام الصلاه وآتى الزكاه، وحجّ البيت، وصام شهر رمضان، بل فى صحاحهم روايات كثيره دلت على نجاه مطلق المؤحدين.

ففى صحيح البخارى (١)، فى كتاب الرقاق، عن أبى ذرّ قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «قال جبرائيل: من مات من امتك لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة،

ص: ٧٥

قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق».

وفيه (١)، عن أبي هريره: أنّ أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: دُلّنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدّي الزكاه المفروضه، وتصوم رمضان». قال: والذي نفسى بيده لأزيد على هذا، فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا».

وفيه (٢)، فى كتاب الرّفاق، عن عتبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لن يوفى عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله، يبتغى به وجه الله، إلّا حرّم الله عليه النار».

وأخرج فى اسد الغابه (٣)، فى ترجمه أبى سلمى راعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من لقى الله عزّ وجلّ، يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وآمن بالبعث والحساب، دخل الجنة»، قلت: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فأدخل إصبعيه فى أذنيه، فقال: سمعت هذا منه غير مره، ولا مرتين ولا ثلاث، ولا أربع.

وإن شئت أكثر من ذلك فراجع «مصايح السنّه» للبعوى (٤)، وغيره من ٧.

ص: ٧٦

١- البخارى: ج ٢ ص ١٠٩.

٢- البخارى: ج ٧ ص ١٧٢.

٣- اسد الغابه لابن الأثير: ج ٥ ص ٢١٩.

٤- مصايح السنّه، كتاب الإيمان: ص ٣-٧.

وهذه الأحاديث داله على نجاه الشيعة، وأتَّهم من أهل الجَنَّة؛ لأنَّهم يشهدون بجميع ما فيها من التوحيد والنبوه والبعث والحساب، ويؤمنون بها، لا يشركون بالله شيئاً، يقيمون الصلاة، ويؤدُّون الزكاة، ويصومون شهر رمضان، وشاركوا أهل السنَّة فيما هو عندهم من ملاك الإيمان والنجاه.

وقد أفتى بهذه النصوص، وإيمان المعتقدين بالأصول المذكوره جماعه من علماء أهل السنَّة، فراجع «الفصول المهمه» إن شئت تفصيلاً شافياً في ذلك كله؛ حتى تعلم أنَّ التقريب بين المذاهب والتفاهم بين الفرق أمر ممكن، وأنَّ ما عليه الشيعة من ولايه أهل البيت والقول بإمامتهم والتبري من أعدائهم لا- يمنع ذلك، ولا يخالف الأصول التي بنى عليها الإسلام، فإنَّ غير ما تلونا عليك ممَّا ذهب إليه أهل السنَّة كلَّهم أو بعضهم، حتى تصويب ما صدر عن الشيخين وعداله الصحابه ليس من اصول الدين في شيء، ولا دخل لهذه الأمور في الإيمان أو في كماله، لاسيما إذا كان من يرى خلاف ذلك مجتهداً.

فمَنْ يُؤوِّل رزيه يوم الخميس - التي يقول عنها ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ ثمَّ جعل تسيل دموعه على خديه كأ نَّها نظام اللؤلؤ، ويعذر عمر ابن الخطاب وحزبه فيما قالوا لمَّا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أئتوني بدواه وصحيفه أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً». فقال عمر وهو أول من منعه عن ذلك: إنَّ النبي غلبه الوجع، وفي بعض طرقه: فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

وفى بعضه الآخر: قالوا: إنّ رسول الله يهجر (١)، وعن أحمد بن عبد العزيز الجوهري فى كتاب السقيفه، (٢) فقال عمر كلمه معناها أنّ الوجع قد غلب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كيف لا يؤؤل قرح من يقدح فى عداله صحابى اجتهاداً، ولا يقرّ خلافه الشيخين كما لم يقرّها فاطمه وعلى وغيرهما من بنى هاشم، والصحابه الذين امتنعوا عن البيعه.

ومن تأمل فى ألفاظ هذا الخبر يعلم أنّ عمر بن الخطاب هو أول من تكلم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم يهجر نعوذ بالله، وإن قاله غيره أيضاً قاله متابعه له، والتعبير بأنه قد غلبه الوجع من النقل بالمعنى لا باللفظ تأدّباً وتحزّراً عن نقل تلك الكلمه، ولو سلّم أنّه لم يزد على قوله: إنّ النبى غلبه الوجع! أفليس معناه أنّه صلى الله عليه وآله وسلم يهجر أو يغلط؟!

أليس هذا ردّ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعارضه صريحه؟! أترى فى هذا الكلام دلاله على غلبه الوجع وعدم الاعتداد بكلام المتكلم به لو صدر مثله عن مريض يجوز أن يقال مثل هذا فيه؟

بالله يا أخى تأمل فى مغزى هذه الحادته.

فليس لأحد من الصحابه - كائناً من كان - ردّ قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم، لاسيّما).

ص: ٧٨

١- راجع صحيح البخارى، باب كتابه العلم: ج ١ ص ٢١ و ٢٢، والجزء الثانى منه: ص ١١١، باب جوائز الوفده، وفى باب مرض النبى صلى الله عليه وآله: ج ٣ ص ٥٨ بطريقتين، وباب كراهيه الخلاف: ج ٤ ص ١٦٧، وراجع أيضاً صحيح مسلم فى كتاب الوصيه، ومسند أحمد من حديث ابن عباس.

٢- راجع شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ٢ ص ٢٠ (ط مصر).

وهو يريد كتابه وصيه لن تضلّ الأمّة بعدها أبداً.

وما معنى الاجتهاد قبال الأمر الصريح الصادر عن النبي الذي قال الله تعالى فيه: [مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى] (١).

وقال: [مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] (٢).

فانظر بعين الإنصاف تأولات القوم في هذه الرزية، فهذه حاشيه السندی على صحيح البخارى، باب كتابه العلم، فاقراً فيها تأولاتهم فيها حتى تعرف أنهم لم يأتوا في هذا الباب بشيء تسكن عنده النفس، ويقبله المنصف.

فالذي لا يعتريه الشكّ أنّ كلامه صريح في ردّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعارضته له، وأنّ الأمّة حرمت بذلك عن الأمن من الضلال، ولم يُرد ابن عباس بقوله:

«الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين كتابه» إلهاً؛ لأنّ حرمان الأمّة من الأمن من الضلال رزية ليس فوقها رزية، ترتّب عليها جميع المصائب والاختلافات، فلا- إيراد على المسلم المنصف إن وقف عند هذه الواقعة العظيمة وتفكّر في مغزاها، كما لا اعتراض عليه إن قال: إنّ الأمر الذي أراد كتابته فمنعوه عنه كان توثيق عهده لأخيه وابن عمّه عليّ عليه السلام بالإمامه والخلافه بعده، ولكنهم لمّا علموا من تنصيصاته المتكرّره في غدیر خمّ، وحديث الثقلين الذي حصر فيه الأمن من الضلال بالتمسك بالكتاب والعترة، وحديث المنزل وغيرها صدّوه عن كتابته، وهذا هو الأمر الذي أبكى ابن عباس حتّى خضب دمه الحصباء، وقال: ٧.

ص: ٧٩

١- النجم: الآيه ٢-٤.

٢- الحشر: الآيه ٧.

ولو كان صاحب هذه الكلمه غير عمر لكان موقفهم تجاهها غير هذا، ولكنّ الذى يهون الخطب عنده، ويسهل له قبول التأولات المذكوره فى حاشيه السندى وغيرها أنّ المتكلم بها عمر.

وليعلم أنّه ليس غرضنا من هذا المقال الطعن على الخليفه، ولا على غيره من المسلمين، ولا ردّ تأولاتهم فى ذلك، فحساب الخلق على الله، [وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى] (١)، بل غرضنا النظر فى أمثال هذه الحوادث، من الناحيه العلميه.

فمَن يتأول رزيه يوم الخميس وأمثالها، ولا يرى فى ذلك بأساً، ويجتهد لأن يحملها على المحامل الصحيحه كيف لا يؤول قول من قدح فى عداله أحد من الصحابه اجتهاداً ونظراً إلى مثل هذا الحديث الصريح فى ردّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومعارضته معه، وهو فى هذا الحال حتى اختصموا عنده، وأكثروا اللغو والاختلاف؟ وكيف يقول بقدح ذلك فى الإيمان، ولا يقول بقدح ما هو أقبح وأفزع منه؟

وإن شئت أن تعرف مبلغ أفاعيل السياسه فقايس بين أنّهم منعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن كتابه الوصيه التى لو كتبها لن يضلوا بعده أبداً، وقالوا ما قالوا، ولم يردوا على أبى بكر حين أراد الوصيه فى مرض موته، ولم يقولوا: إنه يهجر، وحسبنا كتاب الله، بل كتب أبو بكر وصيته لعمر حين اغمى عليه وقبل أن ينصّ على عمر، وأفارق بعد ذلك، وصوب ما كتب، ودعا لعثمان. ٧.

ص: ٨٠

اللهم أنت الحَكَم العَدل، فاحكم بين أهل بيت نبيك وبين من عاداهم، وأنكر فضائلهم، وأراد إطفاء نورهم، وأظهر كلمتهم الحق، وأبطل بهم باطل أعدائهم، واحشرنا مع محمد وآله الطاهرين، صلواتك عليهم أجمعين.

حرره لطف الله الصافي الكلبياني

ص: ٨١

مَن لهذا العالم؟

اشاره

ص: ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مَن لهذا العالم المليء بالفساد، والفواصل، والمظالم؟ من لدفع هذه الأساليب الإلحاديّة التي هوت بالإنسانيه فى أسفل درجات الحيوانيه؟ (من نصّ الكتاب).

هذا بيان جميل يفصح عن الواقع الكائن فى المجتمع البشرى المعاصر، هذا المجتمع المليء بالجهل والضلاله، والظلم والجريمه والفساد وعدم المعرفه... والذى ما فتىء سائراً فى هذا المسير المنحط نحو مزيد من السقوط والتردى.

ترى ما العمل؟ من ذا الذى ينجى هذا الإنسان من بحر الفساد الهائج هذا؟

«كما تعرف تتيقن، أنّ المبشّر به فى لسان الأنبياء، والكتب السماويه، والقرآن الكريم، والسنة النبويه، والأحاديث المرويّه عن العتره الطاهره، والآثار المخرّجه عن الصحابه، هو ابن الإمام الحسن العسكري بن على بن محمّد بن

على بن موسى بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام وهو الإمام الثانى عشر، والعدل المشتهر، وصاحب الزمان، أرواح العالمين له الفداء» (من نصّ الكتاب).

بهذا السمو يُنهي مؤلّف كتاب «من لهذا العالم» مقدمته، ثم يأخذ بذكر الآيات الالهيه، والأحاديث النبويه بخصوص إمامه ولى العصر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ويشير فى المقال إلى أسماء بعض من الصحابه وكتب مشايخ أهل السنّه من الذين يشيرون إلى الروايات المبشّره بظهور الإمام المنتظر. وفى الختام يورد أسماء بعض من الكتب بعينها ممّا ألف حول هذا الموضوع.

لقد طُبِع هذا الكتاب عدّه مرّات، وطُبِع لأوّل مرّه فى بدايه الجلد الثانى من كتاب «مكيال المكارم» الشريف كمقدّمه له.

فعسى أن تكون مطالعه هذه رساله نافعه للقراء الكرام، وتجلب رضا إمام العصر، وسروره، أرواحنا فداه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَنْ لِهَذَا الْعَالَمِ الْمَلِيءِ بِالْفَسَادِ وَالْفَوَاضِلِ وَالْفَوَارِقِ وَالْمِظَالِمِ؟

مَنْ لِدَفْعِ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ الْإِلْحَادِيَةِ الَّتِي هَوَتْ بِالْإِنْسَانِيَةِ فِي أَسْفَلِ دَرَكَاتِ الْحَيَوَانِيَةِ؟

مَنْ لِهَذِهِ التَّجْهِيزَاتِ الْحَرْبِيَّةِ الَّتِي يُنْفَقُ عَلَيْهَا مِنْ أَمْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالْبَائِسِينَ فِي الدَّقِيقَةِ الْوَاحِدَةِ أَكْثَرَ مِنْ (٣/٤) مِيلْيُونِ دُولَارٍ (٧٥٠) أَلْفِ دُولَارٍ، وَفِي السَّنَةِ (٤٠٠) أَلْفِ مِيلْيُونِ دُولَارٍ، وَهَذَا الرَّقْمُ يَسَاوِي مَا يَنْفَقُ عَلَى الصَّحَّةِ الْعَامَّةِ مَرَّتَيْنِ وَنِصْفًا؟ (١).

وَإِحْصَائِيَّةٌ أُخْرَى تَقُولُ: بَلَّغَتِ النِّفَقَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ فِي الْعَالَمِ (٣٥٠٠) مِلْيَارَ فِرَانْكَ فِرَنْسِيٍّ، وَهَذَا الْمَبْلَغُ يَكْفِي لِتَجْهِيزِ (٣٥) مِيلْيُونِ فِرَاشٍ لِعِلَاجِ الْمَرْضَى، وَبِنَاءِ (٥٠) مِيلْيُونِ مَسْكَنٍ، وَمِلْيُونِ كِيلُومِترٍ مِنَ الطَّرِيقِ الْحَدِيثَةِ، وَأَلْفِهِ.

ص: ٨٧

١- حضاره الإسلام: ص ٩٢، من العدد السادس من السنه التاسعه عشره.

مدینه تتسع الواحده ل (٢٠٠) ألف ساكن (١).

وإحصائيه ثالثه تقول: لقد باعت الولايات المتحده فى عام (١٩٧٣ و ١٩٧٤) من الأسلحه ما قيمته (٨٣) مليار دولار، والاتحاد السوفياتى ما قيمته (٥٥) مليار دولار، وفرنسا ما قيمته (٣٣) ملياراً من الدولارات، وبريطانيا (١٣) ملياراً (٢) والولايات المتحده تنفق على تسليح كل جندى (٦٠) مره أكثر مما تُنفق على تعليم كل تلميذ (٣).

وأيضاً هذه الولايات المتحده الأمريكيه تُنفق من أول اكتوبر (١٩٧٨) ولمده اثنى عشر شهراً فى غضون سنه ما يبلغ مليارين وتسعمائه وسبعه وسبعين مليون دولار لصرفها على المواد اللازمه لتوليد القنبله النيترونيه (٤)، وذلك ما يساوى مبلغ خمسه آلاف وسبعمائه وسبعه وستين دولاراً تقريباً فى كل دقيقه من دقائق هذه المده.

من لهذه القنابل الذريه، والهيدروجنيه، والنيترونيه التى تدمر البلاد الكبيره، والممالك العظيمه، وتقضى على المدنيات، وتهدم كيان الإنسانيه، فُكره واحده فى حجم البرتقاله الكبيره من ماده البلوتونيوم التى تنتجها ٣.

ص: ٨٨

-
- ١- حضاره الإسلام: ص ١٤٦، العدد الخامس والسادس من السنه السادسه عشره، عن مجله الإكسبريس، أيلول ١٩٧٤ م.
 - ٢- حضاره الإسلام: ص ١٣٥، العدد ١٠٩ من السنه ١٧.
 - ٣- حضاره الإسلام: ص ٩٧، العدد الثانى من السنه ١٩.
 - ٤- جريده أطلاعات الإيرانيه: العدد ١٥٧٤٣.

المفاعلات الذريه الغريبه قادره على قتل مليار إنسان(١)؟

من لدحض هذه الشبهات التي اشغلت أفكار شبابنا وشبيبتنا، وفتياننا وفتياتنا؟

من لإزالة هذا الخوف والاضطراب والعناء الذى استولى على جميع البريه؟

من لهذه النعرات الطائفية والقوميه والدعايات الممزقه؟

من لهذه الحكومات المستبدّه التي استعبدت الأقوام والأفراد، وازدادت ديكتاتوريتها واستضعافها على استبداد الأكاسره، والقياسره؟

من لهذه القوانين الكافره المستورده من الشرق والغرب؟

من لإنقاذ البشريه من هذه المهالك والمساقط التي جاءت بها مذاهب ونظريات الشرق والغرب، ودعاه الشرك والإلحاد؟

من لهذه الأفلام السينمائية والتلفزيونيه التي تهبط بالمجتمع إلى مهاوى الشهوات، ورذائل الأخلاق؟

من لإلغاء هذه الحكومات الإقليميه والإمبرياليه والماركسيه، وإعلان تأسيس حكومه الله العالميه العادله على الأرض؟

من ذا الذى يقوم بإذن الله بإزاله هذه الخلاعه والدعاره التي شملت البلاد؟

من الذى يحارب هذه الجاهليات التي هى أخطر وأضرّ لمفاهيم الإنسانيه.

ص: ٨٩

١- حضاره الإسلام: ص ١٤٦، العدد ٥ و ٦ من السنه ١٦.

الصحيحه من الجاهليات الأولى؟

مَن هو الذى يُحِبُّ العدل والإنصاف، ويُمِيت الجور والاعتساف؟

مَن هو الذى يردّ الغيره إلى الرجال، والحياء والشخصيه والعِفَّة إلى النساء، ويُزيل عنهنّ عار السفور والخروج إلى الأسواق والأنديه، كاشفات عاريات، فأحسنهنّ حالاً الأجيريه فى المراقص والملاهى؟

مَن الذى يرفع الله به المستضعفين، ويؤمّن به الخائفين، وينجى به الصالحين، ويضع به المستكبرين، ويجتثّ به اصول الظالمين؟

مَن هو المصلح الذى بشرّ الله به الأمم بلسان أنبيائه، وما أوحى إليهم فى كتبه وصحفه؟

مَن الموعد الذى يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً؟

مَن الذى يحقّق الله على يده الأمن والأمان، ويمحو به الظلم والعدوان، ويفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها؟

مَن هو الذى يجمع الكلم على التقوى، ويرفع لواء القسط فى الدنيا؟

مَن الذى يثور على الظالمين ويبيدهم، ويهدم قصورهم وديارهم، ويحطّم آثارهم؟

مَن الذى يُحِبُّ الله به الأرض بعد موتها؟

فمتى يقوم بأمر الله القائم الذى لَمَّا قرأ دِعبل قصيدته التائه المشهوره على

الرضا عليه السلام فذكره بقوله:

خروج إمام لا محالة لازمي قوم على اسم الله والبركات (١)

وضع الرضا عليه السلام يده على رأسه، وتواضع قائماً ودعا له بالفرج، وقال:

«اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه» (٢) يراجع منتخب الأثر: الباب (٢)، الفصل (٦). (٣)؟

وإلى متى يبقى في حجاب الغيبة، فقد ظهر كثير من علائم ظهوره وقيامه وعضنا البلاء؟ فمتى يظهر؟

فها هي الفتن شملت الآفاق، والجور قد عم البلاد، وتترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصار المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وخرجت النساء كاشفات عاريات متبرجات، خارجات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مستحلات للمحرمات (٣)، لم يبق من القرآن إلّا الاسم، يُسمون به وهم أبعد الناس عنه.

وها هي الصلاة قد امتيت، والأمانة قد ضيقت، والخمر يباع ويشرب علانية، وأهل الباطل قد استعلوا على أهل الحق، والأموال الكثيره تصرف في معصية الله، وتنفق في سخطه، والولاه يقربون أهل الكفر، ويبعدون أهل الخير، والحدود قد عطلت، والسلطان يُذل المؤمن للكافر، والرجل يتكلم بشيء من الحق، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقوم إليه من ينصحه في نفسه).

ص: ٩١

١- ديوان دعبل بن علي الخزاعي: ص ٦٣ (ط مؤسسه الأعلمی - بيروت، سنة ١٤١٧ هـ).

٢- منتخب الأثر: ٥٠٥-٥٠٦، الباب

٣-، الفصل (١٠) ح ٣ و ٤.

ويقول: هذا عنك موضوع، وظهر الاستخفاف بالوالدين، وكثر الطلاق، والنساء قد دخلن فيما لا ينبغي لهنّ دخوله، والقضاء يقضون بغير ما أنزل الله، واستحلّ الربا لا يرى به بأس، والرجال تشبهوا بالنساء والنساء تشبهن بالرجال، وكثر أولاد الزنا، وظهرت القينات والمعازف، وتداعت علينا الأمم، كما تداعت الأكلة على القصاص؛ لكراهيتنا الموت وحبنا للدنيا، وركبت ذوات الفروج السروج، وتغنّوا بالقرآن، وتعلّموه لغير الله، واتخذوه مزامير، وهدر فنيق الباطل بعد كظوم، وتواخى الناس على الفجور، يمسى الرجل مؤمناً ويصبح كافراً، تحزن ذوات الأولاد وتفرح العواقر... و... و(١) نهج البلاغه: الخطبه ١٨٥. (٢).

فمتى تشرق شمس الإقبال والسعادة من مشرق بيت الوحي والرساله والولاية؟

سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ما أطول هذا العناء وأبعد هذا الرجاء، كما أخبرنا به مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (٢).

فالله أكبر الذي جعل مع كلّ عُسرٍ يُسرًا، ولكلّ ضيقٍ رخاء، ولكلّ فتنه مخرجًا، ولكلّ شدّه فرجًا.

فلا تيأسوا يا إخواني من روح الله، إنّه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

ولا تحسبوا قوه الظالمين وسلطه الكافرين شيئًا؛ فإنهم على شفا حفرة ٥.

ص: ٩٢

١- يراجع في ذلك كلّ منتخب الأثر: الباب

٢-، الفصل (٦).

الهلاك والدمار، وعن قريب يزول ملكهم، ويبور سعيهم.

وإن أمعنت النظر يا أخى فى كتاب ربِّك - القرآن الكريم - وفى الأحاديث المرويّه عن نبيك والأئمه الطيبين من عترته - صلوات الله عليهم أجمعين - زاد رجائك بالمستقبل الزاهر، وبُعِدَ عنك اليأس والكسل، ولبعثك النشاط والأمل إلى السعى والعمل، ولأدّيت واجبك من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولعرفت مسؤولياتك وما أنت مسؤول عنه قبّال دينك وكتاب دينك وأحكامه، ولعرفت أنّ الذى خلق العباد لا يهملهم سيّدئى، ولا يتركهم فى تيار هذه الخسارات والمهالك، وأنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحجّه إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً.

وتعرف أنّ البشريه ليست محكوماً عليها بالبؤس والشقاء والظلم، وأنّ الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده، والعاقبه للمتقين.

كما تعرف أيضاً أنّ نهايه المطاف ليس إلّا النور، وإلّا العلم والمعرفه، وإلّا العدل والأمان.

وتعرف أنّ العالم يسير نحو الكمال، ولا يرجع القهقري وإلى الوراء، وأنّ الظلم والاستكبار والاستثمار والاستضعاف لا بدّ وأنّ ينتهى، ومحكوم بالزوال والانقراض، وأنّ النَّصر مع جنود الحقّ وأنصار العدل ودعاه الخير والثائرين على الظلم والاستبداد، وأنّ حزب الله هم الغالبون.

كما تعرف أنّ العالم سيتخلّص من هذه الحكومات المتشعبه المتفرّقه، التى تأسّست لاستعباد الناس بعضهم بعضاً، وستوحد الحكومات، وتسقط هذه

الرايات والأعلام، ويُنشر لواء واحد باسم الله، لواء الحق، لواء التوحيد، لواء رساله الإسلام.

كما تعرف، وتتيقن أنّ المبشّر به في لسان الأنبياء والكتب السماويه، والقرآن الكريم والسنة النبويه، والأحاديث المرويه عن العتره الطاهره، والآثار المخرّجه عن الصحابه هو ابن الإمام الحسن العسكري بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهو الإمام الثاني عشر، والعدل المشتهر، وصاحب الزمان، أرواح العالمين له الفداء.

فالله لا يُخلف الميعاد، وهو أصدق القائلين، حيث يقول:

[وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُري فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ] (١).

وقال تعالى جدّه:

[وَعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا] (٢).

وقال عزّ اسمه: ٥.

ص: ٩٤

١- القصص: الآيه ٥-٦.

٢- النور: الآيه ٥٥.

[إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ] (١).

وقال تبارك وتعالى:

[وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ] (٢).

وقال رسوله الصادق المصدق صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا- تقوم الساعة حتى تُمَلَأَ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً» (٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطَوَّلَ اللهُ ذلك اليوم، حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي يُظهِرُ الإسلام ولا يُخِلِفُ وعده، وهو على وعده قدير» (٤).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطَوَّلَ اللهُ ذلك اليوم، حتى يخرج رجلٌ من أمتي يواطئ اسمه اسمي، وكنيته كنيته، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً» (٥).

ص: ٩٥

١- غافر: الآية ٥١.

٢- الصافات: الآية ١٧١-١٧٤.

٣- المستدرک للحاکم: ج ٤ ص ٥٥٧، منتخب الأثر: ص ١٩، الباب الأول، الفصل الثاني، وفي هذا الباب من الأخبار المبشّره بالمهدى عليه السلام ما يزيد على ستمائه حديث.

٤- منتخب الأثر: ص ٢٣، ب ١، الفصل الثاني.

٥- منتخب الأثر: ص ٢٦، ب ١، الفصل الثاني.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أبشروا بالمهدى (قالها ثلاثاً) يخرج على حين اختلاف من الناس، وزلزال شديد، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملأ قلوب عباده عبادته، ويسعهم عدله» (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الأئمة من بعدى اثنا عشر، أولهم أنت يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها» (٢).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث أبي سعيد الخدري: «الأئمة بعدى اثنا عشر، تسعه من صلب الحسين، فالتاسع قائمهم فطوبى لمن أحبهم» (٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن علياً إمام امتي من بعدى، ومن ولده القائم المنتظر، الذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر».

فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله، لولدك القائم غيبه؟ قال: «إي ورّبي، ليمحصنّ الذين آمنوا، ويمحق الكافرين، يا جابر، إن هذا الأمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، مطوّى من عباد الله، وإياك والشكّ فيه؛ فإنّ الشكّ في أمر الله عزّ وجلّ كفر» (٤).

ص: ٩٦

١- منتخب الأثر: ص ٨٠ ب ١، ف ٢.

٢- منتخب الأثر: ب ٤، ف ١، ح ٢، وفي الباب ٩١ حديثاً.

٣- منتخب الأثر: ب ٧، ف ١، ح ٤، وفي الباب ١٠٧ حديثاً.

٤- منتخب الأثر: ب ٥، ف ٢، ح ١، وفي الباب ٢١٤ حديثاً.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَهْدِي هَذِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي يَصَلِّي عَيْسَى خَلْفَهُ مِنَّا، ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى مَنْكَبِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: مِنْ هَذَا، مِنْ هَذَا» (١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «تَنْقُضُ الْفِتْنَ حَتَّى لَا يَقُولَ أَحَدٌ (لَا- إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا- يُقَالُ (اللَّهُ اللَّهُ) ثُمَّ ضَرَبَ يَعْسُوبَ الدِّينِ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ قَوْمًا كَقَرْعِ الْخَرِيفِ، وَإِنِّي لِأَعْرِفُ اسْمَ أَمِيرِهِمْ وَمَنَاخَ رُكَابِهِمْ» (٢).

وقال عليه السلام: «إِنَّ ابْنِي هَذَا (يَعْنِي الْحُسَيْنَ) السَّيِّدَ، كَمَا سَمَّاهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَسَيُخْرِجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ، يُخْرِجُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِمَاتِهِ الْحَقُّ، وَإِظْهَارُ الْجَوْرِ، وَيَفْرَحُ لَخُرُوجِهِ أَهْلَ السَّمَاءِ وَسَكَّانَهَا...» - إِلَى أَنْ قَالَ: - «يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجُورًا» (٣).

وقال عليه السلام في بعض خطبه: «وَلِيَكُونَنَّ مِنْ يَخْلَفُنِي فِي أَهْلِ بَيْتِي رَجُلٌ يَأْمُرُ بِأَمْرِ اللَّهِ، قَوِيحْكُمُ بِحُكْمِ اللَّهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ زَمَانٍ مَكْلَحٍ مَفْصَحٍ يَشْتَدُّ فِيهِ الْبَلَاءُ، وَيَنْقَطِعُ فِيهِ الرَّجَاءُ وَيَقْبَلُ فِيهِ الرَّشَاءُ...» الْخُطْبَةُ (٤).

وقال عليه السلام في خطبه أُخْرَى: «فَنَحْنُ أَنْوَارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَسَيُفْنُ النَّجَاهُ، وَفِينَا مَكْنُونُ الْعِلْمِ، وَإِينَا مَصِيرُ الْأُمُورِ، وَبِمَهْدِينَا تَقْطَعُ الْحَجَجُ، فَهُوَ ٣.

ص: ٩٧

١- منتخب الأثر: ب ٨، ف ٢، ح ٣، وفي الباب ١٨٥ حديثاً.

٢- منتخب الأثر: ب ١، ف ٢، ح ٦٢.

٣- منتخب الأثر: ب ١، ف ٢، ح ٦٤.

٤- منتخب كنز العمال: ج ٦ ص ٣٤، منتخب الأثر: ب ١، ف ٢، ح ٦٣.

وقال الإمام السبط الأكبر الحسن المجتبي محدثاً عن أبيه أمير المؤمنين عليهما السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمر امتي رجل من ولد الحسين، يملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً» (٢).

وقال سيد أهل الإباء وأبو الشهداء، أبو عبد الله الحسين عليه السلام: «منا اثنا عشر، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق، يحيى الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون، له غيبه يرتد فيها قوم، ويثبت على الدين فيها آخرون، فيؤذون ويقال لهم [متى هذا الوعد إن كنتم صادقين] (٣). أما إن الصابرين في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزله المجاهدين بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» (٤).

وقال الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في حديث رواه عنه أبو خالد: «تمت الغيبة بولي الله عز وجل الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده، يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته، القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان؛ لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول».

ص: ٩٨

- ١- تذكره الخواص: الباب ٦؛ منتخب الأثر: ب ١، ف ٢، ح ١٥.
- ٢- منتخب الأثر: ب ٨، ف ٢، ح ٢، وفي الباب ١٨٥ حديثاً.
- ٣- يونس: الآية ٤٨؛ الأنبياء: الآية ٣٨؛ النمل: الآية ٧١؛ سبأ: الآية ٢٩؛ يس: الآية ٤٨؛ الملك: الآية ٢٥.
- ٤- منتخب الأثر: ب ١٠، ف ٢، ح ٤، وفي الباب ١٤٨ حديثاً.

والأفهام ما صارت به الغيبة عندهم بمنزله المشاهده، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزله المجاهدين بين يدي رسول الله، اولئك هم المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً، والدُّعاه إلى دين الله عزَّوجلَّ سرّاً وجهراً. وقال: انتظار الفرج من أفضل العمل»(١).

وقال الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام في حديث: «إنَّ قائمنا هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام؛ لأنَّ الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنا عشر، الثاني عشر هو القائم»(٢).

وقال الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «إنَّ الغيبة سَتَقَعُ بالسادس من ولدي، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم بالحق، بقيه الله في الأرض، وصاحب الزمان» الحديث(٣).

وقال عليه السلام في حديث آخر: «هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيده الإمام، يغيب غيبه يرتاب فيها المبطلون، ثم يُظهِره الله عزَّوجلَّ، فيفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلِّي خلفه، فتشرق الأرض بنور ربِّها، ولا تبقى في الأرض قطعه عبْد فيها غير الله عزَّوجلَّ إلَّا عبَد الله عزَّوجلَّ فيها، ويكون الدين لله ولو كره».

ص: ٩٩

- ١- منتخب الأثر: ب ٢٤، ف ٢، ح ١، وفي الباب ١٣٦ حديثاً.
- ٢- منتخب الأثر: ب ٨، ف ١، ح ٣٤، وفي الباب ٥٠ حديثاً.
- ٣- منتخب الأثر: ب ٢٧، ف ٢، ح ٥، وفي الباب ٩١ حديثاً.

وقال الإمام أبو إبراهيم، موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فى حديث: «القائم الذى يُطَهَّرُ الأرض من أعداء الله، ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، هو الخامس من ولدى، له غيبه يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها أقوام، ويثبت فيها آخرون» ثم قال عليه السلام: «طوبى لشيعتنا، المتمسّكين بحبلنا فى غيبه قائمنا، الثابتين على مولاتنا، والبراءه من أعدائنا، اولئك منّا ونحن منهم» الحديث(٢).

وقال الإمام أبو الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام فى حديث: «الإمام بعدى ابنى محمد، وبعد محمّد ابنه على، وبعد على ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّجّه القائم، وهو المنتظر فى غيبته، المطاع فى ظهوره، فيملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»(٣).

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن علىّ الجواد عليه السلام: «إنّ القائم منّا هو المهديّ الذى يجب أن ينتظر فى غيبته، ويطاع فى ظهوره، وهو الثالث من ولدى، والذى بعث محمداً بالنبوه وخصّنا بالإمامه إنّه لو لم يبق من الدنيا إلّا يومٌ واحد لَطَوَّلَ الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» إلى أن قال عليه السلام: «أفضل أعمال شيعتنا انتظاراً.

ص: ١٠٠

١- منتخب الأثر: ب ٢٢، ف ٢، ح ٤، وفى الباب ٩ أحاديث.

٢- منتخب الأثر: ب ١٦، ف ٢، ح ٣، وفى الباب ٩٨ حديثاً.

٣- منتخب الأثر: ب ١٧، ف ٢، ح ٣، وفى الباب ٩٥ حديثاً.

وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام: «الإمام بعدى الحسن ابني، وبعد الحسن ابنه القائم، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً»(٢).

وقال الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام: «أما إنَّ لولدي غيبه يرتاب فيها الناس، إلّا من عَصمه الله».

وقال عليه السلام في حديث آخر: «أما إنَّ له غيبه يُحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون ويُكذَّب فيها الوقّاتون، فكأنّي أنظر إلى أعلام بيضٍ تخفق فوق رأسه بنجف الكوفه»(٣).

وممّا وجد بخطه عليه السلام: «أعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، ونسوا الله ربّ الأرباب، والنبى وساقى الكوثر في مواطن الحساب، ولظى والطامه الكبرى ونعيم يوم المآب، فنحن السنّام الأعظم، وفينا النبوه والإمامه والكرم، ونحن منار الهدى، والعروه الوثقى، والأنبياء كانوا يغترفون من أنوارنا، ويقتفون آثارنا، وسيظهر الله مهدينا على الخلق، والسيف المسلول لإظهار الحقّ، وهذا بخطّ الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بنّ.

ص: ١٠١

١- منتخب الأثر: ب ١٨، ف ٢، ح ١، وفي الباب ٩٠ حديثاً.

٢- منتخب الأثر: ب ١٩، ف ٢، ح ١، وفي الباب ٩٠ حديثاً.

٣- منتخب الأثر: ب ٢٠، ف ٢، ح ٢ و ٣ وفي الباب ١٤٦ حديثاً.

هذا غيض من فيض، وقطر من بحر، وقليل من كثير، ومن سَبَر غور كتب الأحاديث والجوامع المعتمده يعرف أنّ النبي والأئمه من أهل بيته عليهم السلام بشرّوا الناس بظهور المهدي عليه السلام في البشائر المؤكّده الصّريحه المتواتره، وأنّ ذلك كان عقيدته السلف من عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابه، وقام اتفاق المسلمين عليه، ولا اعتناء بمناقشه البعض في بعض الخصوصيات والصفات؛ لقله مصادره، أو لبعض الأغراض الفاسده، والدعايات الباطله، بعدما ورد فيه من الأحاديث المعينه لشخصه وصفاته ونسبه.

وقد أخرج محدثو الفريقين من أرباب الجوامع والكتب هذه الأحاديث عن جمع من الصحابه، مثل:

١ - أمير المؤمنين على عليه السلام.

٢ - وسيده نساء العالمين فاطمه الزهراء عليها السلام.

٣ - والإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

٤ - والإمام الحسين سيد الشهداء عليه السلام.

٥ - وأُم سلمه.

٦ - وعائشه.

٧ - وعبد الله بن مسعود.٩.

ص: ١٠٢

- ٨ - وعبد الله بن عباس.
- ٩ - وعبد الله بن عمر.
- ١٠ - وعبد الله بن عمرو.
- ١١ - وسلمان.
- ١٢ - وأبي أيوب الأنصاري.
- ١٣ - وأبي علي الهلالي.
- ١٤ - وجابر بن عبد الله الأنصاري.
- ١٥ - وجابر بن سمره.
- ١٦ - وثوبان.
- ١٧ - وأبي سعيد الخدري.
- ١٨ - وعبدالرحمان بن عوف.
- ١٩ - وأبي سلمى.
- ٢٠ - وأبي هريره.
- ٢١ - وأنس بن مالك.
- ٢٢ - وعوف ابن مالك.
- ٢٣ - وحذيفه بن اليمان.
- ٢٤ - وأبي ليلي الأنصاري.

٢٥ - وجابر بن ماجد الصدفي.

٢٦ - وعدي بن حاتم.

٢٧ - وطلحه بن عبيد الله.

٢٨ - وقره بن أياس المزني.

٢٩ - وعبد الله بن الحارث.

٣٠ - وأبي امامه.

٣١ - وعمرو بن العاص.

٣٢ - وعمار بن ياسر.

٣٣ - وأبي الطفيل.

٣٤ - وأويس الثقفي.

كل هؤلاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن ظفرنا بأحاديثهم المبيّره بالمهدى عليه السلام، وأما أسماء أصحاب أمير المؤمنين وسائر الأئمه عليهم السلام والتابعين وتابعى التابعين وغيرهم فأكثر من أن تحصى.

ولا يخفى عليك أنّ أكابر أهل السنّه من حُفَاطِهِمْ ومحدّثِهِمْ قد خرّجوا طوائف كثيره من هذه الأحاديث فى مسانيدهم وسننهم، وصحاحهم وجوامعهم، فقلّما يوجد كتاب حديث لم تكن فيه روايه أو أثر فى المهدى عليه السلام، فإليك أسماء بعض كتبهم:

١ - مسند أحمد.

ص: ١٠٤

- ٢ - السنن، للترمذى.
- ٣ - كنز العمال، لعلّى المتقى الهندى المكي.
- ٤ - منتخب كنز العمال، له أيضاً.
- ٥ - سنن أبي داود.
- ٦ - سنن ابن ماجه.
- ٧ - صحيح مسلم.
- ٨ - صحيح البخارى.
- ٩ - ينابيع الموده للقندوزى.
- ١٠ - موده، القربى للسيد على الهمدانى.
- ١١ - فرائد السمطين، للحموينى الشافعى.
- ١٢ - المناقب، للخوارزمى.
- ١٣ - المقتل، له أيضاً.
- ١٤ - الأربعين، للحافظ ابن أبى الفوارس.
- ١٥ - مصابيح السنه، للبعوى.
- ١٦ - التاج الجامع للأصول، للشيخ منصور على ناصف.
- ١٧ - الصواعق، لابن حجر.
- ١٨ - جواهر العقدين، للسهمودى.

- ١٩ - السنن، للبيهقي.
- ٢٠ - الجامع الصغير، للسيوطي.
- ٢١ - تيسير الوصول، لابن الديبع الشيباني.
- ٢٢ - جامع الأصول، لابن الأثير.
- ٢٣ - المستدرک، للحاكم.
- ٢٤ - المعجم الكبير.
- ٢٥ - والأوسط.
- ٢٦ - والصغير، للطبراني.
- ٢٧ - الدرّ المثور، للسيوطي.
- ٢٨ - نور الأبصار، للشبلنجي.
- ٢٩ - إسعاف الراغبين، للصبّان.
- ٣٠ - مطالب السؤل، لمحمد بن طلحه الشافعي.
- ٣١ - تاريخ إصبهان، لابن منده.
- ٣٢ - حليه الأولياء، للحافظ أبي نعيم الإصبهاني.
- ٣٣ - تاريخ إصبهان، له أيضاً.
- ٣٤ - تفسير الثعلبي.
- ٣٥ - العرايس، للثعلبي أيضاً.

- ٣٦ - فردوس الأخبار، للديلمى.
- ٣٧ - ذخائر العقبي، لمحّب الدين الطبرى.
- ٣٨ - تذكره الخواصّ، للسبط ابن الجوزى.
- ٣٩ - فوائد الأخبار، لأبى بكر الإسكاف.
- ٤٠ - شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد.
- ٤١ - الغرائب، للنيسابورى.
- ٤٢ - تفسير الفخر الرازى.
- ٤٣ - نظره عابره، للكوثرى.
- ٤٤ - البيان والتبيين، للجاحظ.
- ٤٥ - الفتن، لنعيم التابعى.
- ٤٦ - العوالى، لابن حاتم.
- ٤٧ - تلخيص الخطيب.
- ٤٨ - بدايع الزهور، لمحمد بن أحمد الحنفى.
- ٤٩ - الفصول المهمه، لابن الصبّاغ المالكى.
- ٥٠ - تاريخ ابن عساكر.
- ٥١ - السيره الحلبيه، لعلى بن برهان الدين الحلبى.
- ٥٢ - السنن، لأبى عمرو الدانى.

- ٥٣ - السنن، للنسائي.
- ٥٤ - الجمع بين الصحيحين، للعبدري.
- ٥٥ - فضائل الصحابه، للقرطبي.
- ٥٦ - تهذيب الآثار، للطبري.
- ٥٧ - المتفق والمفترق، للخطيب.
- ٥٨ - تاريخ ابن الجوزي.
- ٥٩ - الملاحم، لابن المنادي.
- ٦٠ - الفوائد، لأبي نعيم.
- ٦١ - اسد الغابه، لابن الأثير.
- ٦٢ - الإعلام بحكم عيسى عليه السلام، للسيوطي.
- ٦٣ - الفتن، لأبي يحيى.
- ٦٤ - كنوز الحقائق، للمناوي.
- ٦٥ - الفتن، للسليبي.
- ٦٦ - عقيدة أهل الإسلام، للغماري.
- ٦٧ - صحيح، ابن حبان.
- ٦٨ - مسند الروياني.
- ٦٩ - المناقب، لابن المغازلي.

- ٧٠ - مقاتل الطالبين، لأبى الفرج الاصبهاني (١).
- ٧١ - الإتحاف بحب الأشراف، للشبراوى الشافعى.
- ٧٢ - غايه المأمول، للشيخ منصور على ناصف.
- ٧٣ - شرح سيره الرسول، لعبد الرحمان الحنفى السهلى.
- ٧٤ - غريب الحديث، لابن قتيبه.
- ٧٥ - سنن أبى عمرو المقرئ.
- ٧٦ - التذكرة، لعبد الوهاب الشعرانى.
- ٧٧ - الإشاعه، للبرزنجى المدنى.
- ٧٨ - الإذاعه، للسيد محمد صديق حسن.
- ٧٩ - الاستيعاب، لابن عبد البر.
- ٨٠ - مسند أبى عوانه.
- ٨١ - مجمع الزوائد، للهيثمى.
- ٨٢ - لوامع الأنوار البهيه، للسفارينى الحنبلى.
- ٨٣ - حجج الكرامه، للسيد محمد صديق.ا.

ص: ١٠٩

١- ذكرناه فى طى هذه الكتب؛ لاشتهاره بين الفريقين، وإلا فمؤلفه شيعى زيدي، وقد أخرج بعض الأحاديث فى المهدي عليه السلام غيره أيضاً من الزيديه فى كتبهم وجوامعهم، توجد عدّه نسخ منها فى مكتبتنا.

٨٤ - إبراز الوهم الممكنون، له.

٨٥ - مسند أبي يعلى.

٨٦ - الإفراء، للدارقطنى.

٨٧ - المصنّف، لليهقى.

٨٨ - الحربيات، لأبى الحسن الحربى.

٨٩ - النظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر الكتانى.

٩٠ - التصريح بما تواتر فى نزول المسيح، للشيخ محمد أنور الكشميرى.

٩١ - إقامة البرهان، للغمارى.

٩٢ - المنار، لابن القيم.

٩٣ - معجم البلدان، لياقوت الحموى.

٩٤ - مقاليد الكنوز، لأحمد محمد شاكراً.

٩٥ - شرح الديوان، للمييدى.

٩٦ - مشكاه المصابيح، للخطيب التبريزى.

٩٧ - مناقب الشافعى، لمحمد بن حسن الأسنوى.

٩٨ - مسند البزار.

٩٩ - دلائل النبوه، لليهقى.

١٠٠ - جمع الجوامع، للسيوطى.

ص: ١١٠

- ١٠١ - تلخيص المستدرک، للذهبي.
- ١٠٢ - الفتوح، لابن أعمم الكوفي.
- ١٠٣ - لوامع العقول، للكشخاني.
- ١٠٤ - تلخيص المتشابه، للخطيب.
- ١٠٥ - شرح ورد السحر، لأبي عبدالسلام عمر الشبراوي.
- ١٠٦ - الهدية النديه، للسيد مصطفى البكري.
- ١٠٧ - شواهد التنزيل، للحاكم الحسكاني.
- ١٠٨ - روح المعاني، للآلوسي.
- ١٠٩ - لسان الميزان، لابن حجر.
- ١١٠ - أرجح المطالب، للشيخ عبد الله الأمر تسري الهندي الحنفي.
- ١١١ - نهايه البدايه والنهائيه، لابن كثير الدمشقي.
- ١١٢ - الجمع بين الصحاح الستّه، للعبدي.
- ١١٣ - التاريخ الكبير، للبخاري.
- ١١٤ - تاريخ الرقه، للقشيري.
- ١١٥ - الفقه الأكبر، للمولوي المشهور بحسن الزمان.
- ١١٦ - ميزان الاعتدال، للذهبي.
- ١١٧ - تذكره الحفاظ، له.

- ١١٨ - المقاصد الحسنه، للحافظ السخاوى
- ١١٩ - الفتاوى الحديثيه، لابن حجر المكي.
- ١٢٠ - أشعه اللمعات، للشيخ عبد الحق.
- ١٢١ - العرائس الواضحه، للآياري.
- ١٢٢ - تمييز الطيب، لابن الديبع.
- ١٢٣ - ذخائر المواريث، للنايلسى الدمشقى.
- ١٢٤ - رموز الأحاديث، للشيخ أحمد الحنفى.
- ١٢٥ - الفتح الكبير، للنبهانى.
- ١٢٦ - التدوين، للرافعى.
- ١٢٧ - سنن الهدى، للقدوسى الحنفى.
- ١٢٨ - الاعتقاد، للبيهقى.
- ١٢٩ - مشارق الأنوار، للحمزاوى.
- ١٣٠ - السراج المنير، للعزيرى.
- ١٣١ - غاليه المواعظ، لنعمان أفندى.
- ١٣٢ - تاريخ الخميس، للدياربكرى.
- ١٣٣ - البدء والتاريخ، للمقدسى.
- ١٣٤ - تاريخ الإسلام والرجال، للشيخ عثمان العثمانى.

١٣٥ - وسيله النجاه، لمحمد مبین الهندی.

١٣٦ - شرف النبی صلی الله علیه و آله و سلم، للنبهانی.

١٣٧ - وسيله المآل، للحضرمی.

١٣٨ - الرياض النضره، لمحَبّ الدين الطبری.

١٣٩ - شرف النبی صلی الله علیه و آله و سلم، للخراگوشی.

١٤٠ - تاریخ بغداد، للخطیب.

وغيرها من الكتب والجوامع.

ولا يخفى عليك أن للقوم في المهدي المنتظر عليه السلام وما يرجع إليه كتباً مفردة، لا بأس بذكر أسماء بعضها مما أطلعت عليه:

١ - البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، للعالم الشهير الملا علي المتقي، المتوفى سنة ٩٧٥.

٢ - البيان في أخبار صاحب الزمان، للعلامه الكنجي الشافعي المتوفى عام ٦٥٨.

٣ - عقد الدرر في أخبار الإمام المنتظر، لجمال الدين يوسف الدمشقي، من أعلام القرن السابع.

٤ - مناقب المهدي عليه السلام، لأبي نعيم الاصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.

٥ - القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، لابن حجر، المتوفى عام ٩٧٤.

ص: ١١٣

٦ - العرف الوردى فى أخبار المهدي، للسيوطى، المتوفى عام ٩١١.

٧ - مهدي آل الرسول، لعلى بن سلطان محمد الهروى الحنفى.

٨ - فوائد الفكر فى ظهور المهدي المنتظر، للشيخ مرعى.

٩ - المشرب الوردى فى مذهب المهدي، لعللى القارى.

١٠ - فوائد فوائد الفكر فى الإمام المهدي المنتظر، للمقدسى.

١١ - منظومه القطر الشهدي فى أوصاف المهدي، لشهاب الدين أحمد الخليجى الحلوانى الشافعى.

١٢ - العطر الوردى بشرح القطر الشهدي، للبليسى.

١٣ - تلخيص البيان فى علامات مهدي آخر الزمان، لابن كمال باشا الحنفى، المتوفى سنة ٩٤٠.

١٤ - إرشاد المستهدى فى بعض الأحاديث والآثار الواردة فى شأن الإمام المهدي، لمحمد على حسين البكرى المدنى.

١٥ - أحاديث المهدي، وأخبار المهدي، لأبى بكر ابن خيثمه.

١٦ - الأحاديث القاضيه بخروج المهدي، لمحمد بن إسماعيل الأمير اليمانى، المتوفى سنة ٧٥١.

١٧ - الهديه النديه فيما جاء فى فضل ذات المهديه، لقطب الدين مصطفى بن كمال الدين على بن عبد القادر البكرى الدمشقى الحنفى، المتوفى سنة ١١٦٢.

١٨ - الجواب المقنع المحرّر فى الردّ على من طغى وتجرّب بدعوى أنّه عيسى أو المهدي المنتظر، للشيخ محمد حبيب الله بن مايبى الجكنى الشنقيطى المدنى.

١٩ - النظم الواضح المبين، للشيخ عبد القادر بن محمد سالم.

٢٠ - أحوال صاحب الزمان، للشيخ سعد الدين الحموى.

٢١ - الأربعين (من أحاديث المهدي)، لأبى العلاء الهمدانى، كما فى ذخائر العقبى.

٢٢ - تحديق النظر فى أخبار المهدي المنتظر، لمحمد بن عبد العزيز بن مافع، كما فى مقدمه الينابيع.

٢٣ - تلخيص البيان فى أخبار مهدي آخر الزمان، لعلّى المتقى.

٢٤ - الردّ على من حكم وقضى بأنّ المهدي جاء ومضى، للملّا على القارى، المتوفّى سنة ١٠١٤.

٢٥ - علامات المهدي للسيوطى.

٢٦ - المهدي، لشمس الدين ابن قيم الجوزيه، المتوفّى عام ٧٥١.

٢٧ - المهدي إلى ما ورد فى المهدي، لشمس الدين محمد بن طولون.

٢٨ - النجم الثاقب فى بيان أنّ المهدي من أولاد على بن أبى طالب.

٢٩ - الهدية المهديّة، لأبى الرجاء محمد الهندي.

٣٠ - كتاب المهدي، لأبى داود صاحب السنن.

٣١ - الفواصم عن الفتن القواصم، كما ذكر في السيره الحلبيه ٢٢٧/١.

٣٢ - رساله في المهدي عليه السلام، لابن كثير الدمشقي.

٣٣ - كلمتان هامتان: (١) نصف شعبان، (٢) والمهدي المنتظر، لمحمد زكي إبراهيم المعاصر.

٣٤ - رساله في ردّ من أنكر أن عيسى عليه السلام إذا نزل يصلّي خلف المهدي عليه السلام صلاه الصبح.

٣٥ - فصل الحكم بالعدل، وفضل الإمام العادل.

٣٦ - التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح، للشوكانى الزيدى.

ثم اعلم أنّه مضافاً إلى ما ذكر فقد صرّح جمع من أكابر أهل السنّه بتواتر أحاديث المهدي عليه السلام، وباتفاق المسلمين على ظهوره، كما قد صرّح جمع منهم بأنّه هو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وصرّحوا بولادته وتاريخه وغيبته وبقائه حياً إلى أن يُظهِره الله تعالى (١).^١

ص: ١١٦

١- يراجع في ذلك مقدمه كتاب «الجواب المقنع المحرر» و «غايه المأمول»: ج ٥ ص ٣٦٢ و ٣٨١ و ٣٨٢ و «الصواعق المحرقة»: ص ٩٩، المطبعه الميمنيه، و «حاشيه الترمذى»: ص ٤٦ (ط دهلى سنه ١٣٤٢ هـ) و «إسعاف الراغبين»: ب ٢ ص ١٤٠ (ط مصر سنه ١٣١٢ هـ) و «نور الأبصار»: ص ١٥٥ (ط مصر سنه ١٣١٢ هـ) و «الفتوحات الإسلاميه»: ج ٢ ص ٢٠٠ (ط سنه ١٣٢٣ هـ) و «سبائك الذهب»: ص ٧٨، و «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» ب ١٣، و «مقاليد الكنوز» المطبوع بذييل مسند أحمد: ج ٥ ص ٣٥٧١، و «الإذاعه لما كان وما يكون بين يدي الساعه»، و «الإشاعه لأشراط الساعه»، و «إبراز الوهم المكنون»، و كتبنا «منتخب الأثر»، و «نويد أمن وأمان»، و «مع الخطيب»، وغيرها.

هذا مختصر الكلام في شأن الموضوع عند أهل السنّه والزبيديه، وكمال عنايه أكابرهم وعلمائهم به.

وأما الشيعة الإثنا عشرية فأحاديثهم ومقالاتهم وكتبهم في ذلك أكثر من أن تحصى، فكن من الشاكرين على ذلك، وإيتاك والتقصير في أداء تكاليفك ومسؤولياتك، وأن يكون حظك من الإيمان بذلك الظهور وانتظار الفرج، وكشف الغمّه، والتظاهر بالشوق إلى لقائه وانتظار دولته وأيامه، والدعاء لتعجيل فرجه، فتكتفى بالصراخ والندبه، وتترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحبّ في الله والبغض في الله، ومحادّه من حادّ الله ورسوله، وتتقاعد عن العمل والجهاد لإعلاء كلمه الله، وتصبح وتُسمى كسلاناً آيساً فارغاً عمّا يقع في بلاد المسلمين وما يصيبهم.

«من أصبح لا يهتمّ بأُمور المسلمين فليس بمسلم»^(١)، فما نسخ شيء من أحكام الإسلام وفرائضه، فحلال محمد صلى الله عليه و آله و سلم حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد صلى الله عليه و آله و سلم حرام إلى يوم القيامة، [ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين]^(٢).

فسنن الله تعالى في عصر الغيبه هي سننه في عصر الحضور، و [لن تجدّ ٥.

ص: ١١٧

١- الكافي: ج ٢ ص ١٦٣، ١٦٤.

٢- آل عمران: الآية ٨٥.

لَسَنَّهُ اللَّهُ تَبْدِيلًا [١]، فلا تجهل حقيقته هذا الأمر وما اريد منه من التمييز والتمحيص، ولا تتبع من يحرف الكلم عن مواضعه، فلا إذن ولا رخصه لأحد في ترك الفرائض وفعل المحرمات.

والإيمان بالمهدى عليه السلام ووجوده وظهوره يؤكد الشعور بالمسؤولية، ويحبب إلينا إقامة العدل والحق، وإماته الظلم والباطل. فالمسلم المؤمن به هو القوى في دينه لا يخاف غير الله، ولا يتقاعس عن نصره دينه، فهو دائماً في السير والحركة حتى يصل هو والعالم إلى نقطه الكمال، ويملاً الله الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قال الله عزوجل: [قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ] [٢].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لطف الله الصافي الكلبي كاني

٥ جمادى الثانية ١٣٩٨ هـ.

ص: ١١٨

١- الأحزاب: الآية ٦٢.

٢- التوبة: الآية ١٠٥.

العقيدہ بالمہديه

اشارہ

ص: ۱۱۹

بسم الله الرحمن الرحيم

«لا ريب أنّ العقيدة المهدويّة عقيدة إسلاميه خالصه نبعت من الكتاب والسنة واتّفق المسلمون سلفاً وخلفاً عليه، وحكم بتواتر أحاديثها جمع من الأكابر والأفذاذ» (من نصّ الكتاب).

إنّ القصد من هذه مقاله هو إثبات ما ورد في النصّ المذكور في أعلاه، فالكاتب المحترم، عند البحث في ذلك، يورد مقدمه قصيره جامعه حول «العقيدة بالمهديه» ثمّ يأخذ بعد ذلك بتعريف كتاب بعنوان «البرهان في علامات مهديّ آخر الزمان» وبتوضيحه.

إنّ الكتاب المذكور من جمله الكتب المستقلّه التي كتبت في هذه العقيدة الشريفه، ومؤلف الكتاب من مشاهير علماء أهل السنّه، ويدعى «علي بن حسام الدين المتّقى الشاذلي» (المتوفّى سنة ٩٧٧هـ). إنّه ينقل في كتابه روايات المهدويه عن ٢٨ من الصحابه، و ٤٥ من التابعين، و ٤٢ من المشايخ وأرباب

ص: ١٢١

الجوامع من أهل السنّه. إنّ أسماء هؤلاء مع أربعين حديثاً من الروايات المذكوره فى كتاب «البرهان» تأتي فى ختام هذه مقاله.
واليوم، لما كانت هذه مقاله مفيدة ونافعه، فضلاً عن كونها صغيره الحجم أيضاً، نُعيد طبعها ونشرها، آمليين أن يُمنّ الله جلّ
جلاله بالقبول الحسن على الكاتب والناشر، وعجّل الله فرج مولانا صاحب الزمان.

ص: ١٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطاهرين.

لا ريب أنّ العقيدة بالمهديه عقيدة إسلاميه خالصه، نبتت من الكتاب والسنة، واتفق المسلمون سلفاً وخلفاً عليها، وحكم بتواتر أحاديثها جمع من الأكابر والأفذاذ.

فهى فكره إسلاميه مبنيه على أقوى الأدله النقليه والعقليه، ويؤيدها التاريخ والشواهد الكثيره، ولم يبلغنا إنكارها والشكّ فيها من أحد من المسلمين، خواصّهم وعوامهم، إلّابعض الناشئه المتأثرين بدعايات الغريبيين، والساقطين فى شبكات الاستعمار، والذين لا يفسرون الثقافه إلّابإنكار النصوص أو تأويلها بما يوافق أهواء الملحدين والماديين، وقد حاولوا بذلك فتح باب لو فتحت - ولا وفّقهم الله له - لسقط الاعتماد على السنّه، والاستناد

ص: ١٢٣

إليها، وبظواهرها، وظواهر الكتاب، ووقعت الشريعة والدعوه المحمّديه فى معرض التغيير والتحريف حسب ما يريد أهل البدع والأهواء. وإذا أمكن إنكار مثل هذه الأحاديث التى صرّح رجال علم الحديث ومهره هذا الفنّ من المتقدّمين والمعاصرين بتواترها، فما ظنّك بغيرها من الأحاديث المستفيضه والآحاد؟

وقد نبّه على خطر هؤلاء الخارجين على الكتاب والسّنّه وجرأتهم على الله ورسوله جماعه من علماء الإسلام، وألّفوا فى تفنيد آرائهم الكتب والمقالات، ولا أرى وراء ذلك إلّا أيدى الذين يريدون تضعيف التزام المسلمين وتمشّكهم بنصوص الشريعة، فما يمنعهم عن النفوذ فى بلاد المسلمين والسلطه عليهم إلّا تمسّك المسلمين بالكتاب والسّنّه، ولم يفتح لهم باب ذلك إلّا بعد ضعف هذا الالتزام والغفله عنه، عصمنا الله تعالى من فتن أهل الزيغ والأهواء، وأذنب الاستعمار.

ومما يضحك الثكلى أنّ هؤلاء الذين اتّبعوا أهواءهم كثيراً ما استندوا فى تضعيف هذه الأحاديث: تارةً بأنّ هذه العقيدة ليست فى أصلها من عقائد أهل السنه القدماء، ولم يقع لها ذكر بين الصحابه فى القرن الأول ولا بين التابعين.

وأخرى بأنّها سببت المنازعات والثورات على الحكومات، والدعايات السياسيه، وثالثه ببعض اختلافات وقع فى بعض أحاديثها مع البعض الآخر، وهذا من غرائب ما تشبّث به فى رد السنّه النبويه،

أمّا أولاً: فأى دليل أقوى على وقوع ذكرها بين الصحابه والتابعين، وأنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو المصدر الأول لبثّ هذه العقيدة بين المسلمين، من هذه الأحاديث

المتواتره، ومن إجماع المسلمين، ومن أنهم لم يردوا دعوى أحد من مدعى المهديوه بإنكار صحه خروج المهدي عليه السلام، بل ردّوهم بفقدانهم الصفات والعلائم المذكوره له، كما تشهد بذلك حكاية محمد بن عجلان مع جعفر بن سليمان، وما قاله فقهاء أهل المدينة وأشرافهم (١).

فإذا لم تكن هذه الأحاديث مع كثرتها وتواترها، واتفاق المسلمين على مضمونها، دليلاً، فبأي دليل يُستند على صحّه نسبه أيه عقيدته إسلاميه إلى الصحابه، وإلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟

وثانياً: فلعلّك لا- تجد عقيدته ولا- أصلاً لم تقع حولها المنازعات والمخاصمات، وقد وقعت حول الإلوهيه وحول النبوات المنازعات والمخاصمات أكثر من المهديه بكثير، كما وقع النزاع بين الأشاعره وغيرهم، وبين أتباع المذاهب من الشوافع والأحناف والحنابله والمالكيه وغيرهم منازعات وحروب كثيره، بل يمكن أن يقال: إنّ العدل والأمن وغيرهما من المفاهيم التي اتفق أبناء الإنسان كلّهم على لزومها وقعت حولها وحول تحقيقها، ودفع من اتخذها وسيله لمقاصدها السياسيه معارك داميه. ولعلّك لا تجد ضحايا موضوع أكثر من ضحايا البشريه باسم إقامه الحق ورعايه العدل والقسط، والحمايه عن حريه الإنسان وحقوقه.

والحاصل: أنّ لبس الحقّ بالباطل، وعرض الباطل مقام الحق وإن كان يصدر من أهل الباطل والمبطلين بكثير غير أنّه لا يضُرُّ الحقّ، والله تعالى يقول ٤.

ص: ١٢٥

١- راجع: البرهان في علامات مهديّ آخر الزمان: ص ١٧٤.

[بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ] (١)

هذا، مضافاً إلى أن قبول دعوه الدجاله المدّعين للمهدويه كثيراً ما يقع من أجل عدم الاهتداء بعلامات المهديّ عليه السلام ونسبه، وخصائصه المصرّحه بها في الأحاديث، وإلّا ليس فيه موضع للإضلال والتضليل. ومن واجب العلماء أن يبيّنوا هذه العقيدة وما تهدف إليه، وما به يعرف المهدي من الدجاله المدّعين للمهدويه وفق الروايات المأثوره.

وثالثاً: أنّ من الفروق بين المتواتر وغيره: أنّ في المتواتر اللفظي التفصيلي يحصل القطع واليقين بصدور حديث معين بعين ألفاظ متنه، وفيه لا- يمكن الاختلاف والتعارض إلّامع متواتر آخر، والمتبع فيه علاج التعارض بالتوفيق، والجمع بينهما بحمل العامّ على الخاصّ، أو المطلق على المقيد، أو الظاهر على الأظهر، وغير ذلك، وإلّا فيتساقط ظاهر كلّ منهما من صلاحية الاستناد به، وفي المتواتر الإجمالي لا-عبره بالاختلاف وتعارض متون الأحاديث التي علم إجمالاً- بصدور واحد منها بلفظه، بل يؤخذ ما هو الأخصّ مضموناً من الجميع.

وفي المتواتر المعنوي - وهو ما اتفق عليه عدّه أحاديث يحصل القطع بها عليه وإن لم يكن بينها مقطوع الصدور بلفظه ومتنه، مثل ما جاء في جود حاتم من الحكايات الكثيره، فإنّ من جميعها يحصل القطع بما هو القدر المشترك والمضمون العام بين الجميع، وهو وجود حاتم في زمانٍ من الأزمنه، وجوده - يؤخذ بالقدر المشترك والمضمون المتفق عليه بين الأحاديث. ٨.

ص: ١٢٦

فعلية لا يضرّ بالتواتر اختلاف المتون والمضامين، بل في غير المتواتر أيضاً من الأحاديث لا يضرّ الاختلاف بصحة ما هو الصحيح بين المتعارضين، وما هو أقوى بحسب السنّه أو المتن أو الشواهد والمتابعات، وهذه امور لا يعرفها إلّا الحاذق في فنّ الحديث، وإلّا فلو أمكن ترك الأحاديث بمجرد وجود تعارض بينها لزم ترك جلّها لولا- كلّها، ولتغيّر وجه الشريعة في أكثر الأحكام الفرعية؛ لأنّه قلّ موضوع في العقائد والأحكام والتاريخ وتفسير القرآن الكريم وغيرها يكون أحاديثه سليمة من التعارض، ولو بالعموم والخصوص والإطلاق والتقييد.

فالمتمنّع في علاج هذه التعارضات التي لا يخلو كلام أهل المحاوره عنها وفي تشخيص الحديث الصحيح عن السقيم، والقوى عن الضعيف، والمعتبر والحجه عن غير المعتبر، هي القواعد المعتمده العقلانيه، والرجوع إلى مهره الفن، وردّ بعض الأحاديث إلى البعض، والجمع والتوفيق بينها في موارد إمكان الجمع والأخذ بما هو أقوى سنداً أو متنأ أو أوفق بالكتاب والسنّه الثابته وغير ذلك، لا ردّها والإعراض عنها.

والأخبار التي وردت في المهديه كلّها تلاحظ على ضوء هذه القواعد، فيؤخذ بمتواترها، ويعامل مع آحادها معاملة غيرها من أخبار الآحاد، فيقوى بعضها ببعض، ويفسّر بعضها بعضاً، ويؤخذ بالضعيف منها أيضاً بالشواهد، والمتابعات، وغيرها من المؤيدات المعتمده، فلا- يرُدُّ مثل هذه الأحاديث إلّا الجاهل بفنّ الحديث، والمتقف المعادى للسنّه، والمتأثر بالدعايات الباطله وأضاليل المستعمرين.

لا يخفى عليك أنّ العقيدة بالمهدية عقيدة ينبعث منها الرجاء، والنشاط والعمل، وتطرد الفشل واليأس والكسل، وتشجّع الحركات الاصلاحية والإسلامية، وتقوّى النفوس الثائرة على الاستكبار والاستضعاف. فالإسلام لم يستكمل أهدافه، ولم يصل إلى تحقيق كلّ ما جاء لأجل تحقّقه، وسيكون المستقبل للإسلام، ولا بدّ من يوم يحكم فيه الإسلام على الأرض، ويقضى على كلّ المظالم والاستضعاف. و سيجأ أبناء العالم إلى الإسلام، كلّ يوم أظهر من أمس، ويرون نوره أسطع، وضياءه ألمع من قبل، وسنشاهد جميعاً فشل هذه الأنظمة السائدة المستكبره، والأحزاب المتنمّره الملحده، وسوف يعرض الإسلام برامجه الاقتصاديه والسياسيه فى بسط الأمن والأمان، وتحقيق أهداف الإنسانيه، والقضاء على الجهل والظلم والعدوان والعنصريه، وتفتّيح قلوب البشريه لقبول الإسلام وبرامجه التي هى العلاج الوحيد للمشاكل اللإنسانيه

العالمه فى المجتمعات البشرىه الآن.

فالبشرىه الحائره لم ولن تجد ضالّتها فى الأنظمه الغربىه والشرقىه، ولم تنتج هذه الأنظمه والمكاتب إلّا زىاده الطين بلّه، وتعقيد الأمور والمشاكل، والدعاره والخلاعه والفساد والاستعلاء والاستكبار.

والعقیده بالمهدیه توقظ شعورنا بكرامه الإنسان، وأنّ الأرض لله لا للظالمين والمستعمرين، وأنّ العاقبه للمتقين، وأنّ الله أرسل رسوله النبى الخاتم سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وتُشربنا حبّ الحق والعدل والإحسان، وتُنهضنا لإعلاء كلمه الله وإقامه حدوده وتنفيذ سلطانه، وتربطنا بمبادئنا الإسلاميه، وتطالبنا بالعمل بمسؤولياتنا.

فالله تعالى أصدق القائلين، حيث يقول: [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَكُم مَّرَءُ الْيَوْمِ الْأَمْرُ] (١).

ويقول تعالى: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] (٢).

ويقول تعالى شأنه: [وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ ٥.

ص: ١٣٠

١- التوبه: الآيه ٣٣؛ الصف: الآيه ٩.

٢- النور: الآيه ٥٥.

أُمَّةً وَنَجَّلَهُمُ الْوَارِثِينَ [١].

ويقول عز اسمه [وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ] [٢].

الأصل فى العقيدة بالمهديه:

والأصل فى العقيدة بالمهديه، وظهور الإسلام على جميع الأديان، وانتهاء العالم فى سيره إلى حكمه الإسلام وحكومته أحكام الله، ووحده القوانين والأنظمه، وخلافه المؤمنين الصالحين فى الأرض، وتبديل خوف البشرىه بالأمن، وزوال الاستضعاف بكل صورته ومظاهره هو ما كان فى نفس دعوته الإسلام وعقيدته التوحيد وكلمه الإخلاص من القوه المبدئيه للقضاء على جميع مظاهر الشرك والاستكبار، ولتحرير الإنسان من سلطان الطواغيت، وإخراج البشرىه من ذل عباده الناس إلى عز عباده الله.

وما نرى من أن العالم ينحو فى سيره لإقامه مجتمع بشرى عالمى، وإدغام المجتمعات بعضها ببعض، وتقليل الفوارق السياسيه والاجتماعيه من الطبقيه والعنصرىه، والعلم والتقدم الصناعى، أتاح للبشرىه أن تكون جملة واحده، وأن تكون الملل مله واحده، وتوسيع العلاقات والروابط بين الملل والأقوام، جعلهم كأهل بلد واحد ومحله واحده، فكما خلف البشرىه المجتمعات القبليه، ووصلت

ص: ١٣١

١- القصص: الآيه ٥.

٢- الصافات: الآيه ١٧١-١٧٣.

فى سبرها إلى المآمآماع المآآنيه الآى آأسآسآى على أساس آوآلال ومناطق مؤزعه من آآل اللغه، او على أساس منافع سباسبه أو اقآصاآبه أو عنصربه، وآرغب كل واحآه منها فى الآلب والسلطه والسبطره على آبرها، فالآمه الكببره سوف آآلص آوماً من هآه الآكوماآ والوآآاآ الصآبره فآصبآ وآآه كبرى وآكومه إلهبه عالمبه عظمى، لا آآص بفرد وطائفه ومنطقه وعنصر آون آآر، بل آكومه الإسلام الآى آشمل الآمبب، والآمبب فىها سواء.

وما وعد الله به المؤمنبن والبشربه آممعاء فى الآآاب المآآب، وبشآرنا به على لسان أنببائه ورسله، وما آآبرنا به نببنا الصاآق الأمبن صلواآ الله وسلامه عليه، فآما آمنا بكل ما آآبرنا به من المآآبآ، وآمنا بملائكه الله وآآبه ورسله، وما آآب إآباره به من آفاصل المعاء والآنه والنار وآبر ذلك من امور لا بمكن إآباآ أصلها أو آفاصلها إلبالوآى وإآبار النبب صلى الله عليه وآله، آمنا بذلك ألبضاً، ونسأل الله الآباآ عليه وعلى آمبب مباءنا الإسلامبه، والاعآقاآ الصآبآه القوبمه.

[رَبَّنَا لَا تُرْغُ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ] (١) .٨.

ص: ١٣٢

١- آل عمران: الآبه ٨.

اهتم علماء الإسلام بأحاديث المهدي وإخراجها وتحقيقها وتثبيت الإيمان بها في القلوب اهتماماً كبيراً، فمضافاً إلى إخراجها في كتب السنن والجوامع والمسانيد وغيرها أفردوا فيما جاء فيه من الأحاديث والآثار كتباً كثيرة، وقفتُ على ما يربو على الثلاثين ممّا أفرده أكابر أهل السنّه في ذلك، مثل: كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» و «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» و «عقد الدرر» و «العرف الوردى» وغيرها من الكتب التي أقلّ ما يثبت بها هو أنّ العقيدة بالمهديه عقيدة إسلاميه، أصلها ثابت في الكتاب والسنّه، وأنّها عقيدة جميع السلف والصحابه والتابعين، لا تختصّ بفرقه من فرق المسلمين، وهي أحد البراهين على ختم رسالات السماء بنبيّنا محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ شريعته لا تُنسخ أبداً، وأنّ المهدي عليه السلام - كما اختار أبو داود في سننه في كتاب «المهدي» ودلت عليه الأحاديث الصحيحه - خليفته الثاني

عشر، الذين بشر الرسول الأعظم الأئمة بهم في الأحاديث المرويه بطرق كثيره في المسند والصحيحين وغيرها.

ومن أراد الاطلاع على قوه ما استند عليه المسلمون في العقيدة بالمهديه، وكثره أحاديثها ومخرجها، واشتهارها بين علماء المسلمين فليراجع كتب الجوامع والسنن والمسانيد والتفاسير والتاريخ والرجال واللغه وغيرها، ليعرف أنّ استقصاء هذه الأحاديث والكتب المخرجه فيها صعب جداً، ونحن نسرد الكلام فيما جاء في كتاب واحد حول هذا الموضوع كنموذج منها، ودليل على كثره ما في غيره، وهو كتاب «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان».

فنقول بحول الله تعالى وقوته: أما الكتاب والمؤلف، فهما غيّبان عن التعريف؛ لأنّ الكتاب معروف، توجد نسخه المخطوطه في عده من المكتبات الكبيره، وطبع أخيراً من النسخه الفتوغرافيه التي مخطوطتها محفوظه في مكتبه المسجد الحرام بمكه المكرمه، ورأيت نسخه مخطوطه منه ومحفوظه في مكتبه جامع المغفور له الإمام البروجردى بقم.

وأما مؤلفه فهو العالم الكبير المحدّث عليّ بن حسام الدين بن عبدالملك المتقى الشاذلي المدني الهندي، المتوفّى سنه سبع وسبعين وتسعمائه، مشهور، ترجمته موجوده في كتب التراجم، كما أنّها مذكوره في مقدمه النسخه المطبوعه من كتابه هذا.

وأما ما جاء في هذا الكتاب ممّا أردنا الاطلاع عليه جملةً فهي أسماء المشايخ والمحدّثين وأرباب الجوامع والسنن والمسانيد، الذين خرّجوا هذه

الأحاديث في كتبهم، وأخرجها مؤلف هذا الكتاب عنهم، وأسماء جماعه من المشاهير والتابعين الذين رووا هذه الأحاديث والآثار، وأسماء جمع من الصحابه الذين رووها عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وإليك أسماءهم:

أسماء المشايخ وأرباب الجوامع:

- ١ - الطبرانى.
- ٢ - أبو نعيم الإصبهاني.
- ٣ - الخطيب البغدادي.
- ٤ - ابن أبي شيبه.
- ٥ - نعيم بن حماد، أحد شيوخ البخارى.
- ٦ - الحاكم.
- ٧ - أحمد بن حنبل.
- ٨ - الماوردى.
- ٩ - البزار.
- ١٠ - الترمذى.
- ١١ - الدارقطنى.
- ١٢ - ابن ماجه.

ص: ١٣٥

١٣ - أبو يعلى الموصلى.

١٤ - ابن عساكر.

١٥ - مسلم.

١٦ - الثعلبى.

١٧ - أبو داود.

١٨ - ابن الجوزى.

١٩ - ابن أبى اسامه.

٢٠ - تمام البجلى.

٢١ - الرويانى.

٢٢ - ابن منده.

٢٣ - الحسن بن سفيان الشيبانى.

٢٤ - عثمان بن سعيد الدانى.

٢٥ - أبو الحسن الحربى.

٢٦ - ابن كثير.

٢٧ - ابن سعد.

٢٨ - الواقدى.

٢٩ - أبو بكر بن المقرئ.

ص: ١٣٦

٣٠ - ابن المنّاوى.

٣١ - أبو غنم الكوفى.

٣٢ - ابن مردويه.

٣٣ - ابن خزيمة.

٣٤ - أبو عوانه.

٣٥ - أبو بكر الإسكافى.

٣٦ - الدّيلمى.

٣٧ - القُرطُبى.

٣٨ - ابن لُهيعة.

٣٩ - أبو بكر أحمد البيهقى.

٤٠ - أبو الحسن الآبرى.

٤١ - ابن حبان.

٤٢ - أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقه.

أسماء المشاهير من التابعين وغيرهم:

١ - عاصم بن عمرو البجلي.

٢ - سعيد بن المسيّب.

ص: ١٣٧

٣ - أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام.

٤ - إسحاق بن يحيى.

٥ - شهر بن حوشب.

٦ - الزُّهري.

٧ - مطر الوراق.

٨ - طاووس.

٩ - صباح.

١٠ - عمرو بن علي.

١١ - مكحول.

١٢ - كعب بن علقمه.

١٣ - قتاده.

١٤ - عبد الله بن الحارث.

١٥ - محمد بن جبير.

١٦ - أرتاه بن منذر.

١٧ - حكيم بن عُيينه.

١٨ - أبو قبيل.

١٩ - ابن أبي طلحه.

ص: ١٣٨

- ٢٠ - كثير بن مرّه.
٢١ - ابن سيرين.
٢٢ - مجاهد.
٢٣ - خالد بن سعد.
٢٤ - أبو مریم.
٢٥ - شريك.
٢٦ - أبو أرطاه.
٢٧ - ضميره بن حبيب.
٢٨ - حکم بن نافع.
٢٩ - خالد بن معدان.
٣٠ - محمد بن الحنفیه.
٣١ - السدی.
٣٢ - سليمان بن عيسى.
٣٣ - بقیه بن الوليد.
٣٤ - وليد بن مسلم.
٣٥ - قيس بن جابر.
٣٦ - عمرو بن شعيب.

٣٧ - ابن شوذب.

٣٨ - دينار بن دينار.

٣٩ - معمر.

٤٠ - فضل بن دكين.

٤١ - سالم بن أبي الجعد.

٤٢ - محمد بن صامت.

٤٣ - حكيم ابن سعد.

٤٤ - إبراهيم بن ميسره.

٤٥ - أبو اميه.

أسماء الصحابه والصحائيات:

١ - أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ - عمار بن ياسر.

٣ - حذيفه بن اليمان.

٤ - أبو سعيد الخدرى.

٥ - طلحه بن عبيدالله.

٦ - ابن عمر.

ص: ١٤٠

٧ - عبد الله بن مسعود.

٨ - جابر بن عبد الله.

٩ - عبد الرحمان بن عوف.

١٠ - عمر بن الخطاب.

١١ - ابن عباس.

١٢ - أبو هريره.

١٣ - أنس بن مالك.

١٤ - أبو أمامه.

١٥ - الهاللي.

١٦ - أبو الطفيل.

١٧ - الحسن عليه السلام.

١٨ - الحسين عليه السلام.

١٩ - ثوبان.

٢٠ - أبي بن كعب.

٢١ - جابر بن سمره.

٢٢ - جابر الصدفي.

٢٣ - عمرو بن العاص.

ص: ١٤١

٢٤ - عبد الله بن عمرو بن العاص.

٢٥ - أم سلمه.

٢٦ - عائشه.

٢٧ - أسماء بنت عميس.

٢٨ - أم حبيب.

ثمّ إنّنا بعد ذلك رأينا لمزيد بصيره القارئ، ولعدم خلوّ هذه الرساله من متون هذه الأحاديث، ولأجل كسب الثواب الموعود في أحاديث «من حفظ على امتي، أو من امتي...»(١)، إخراج أربعين حديثاً من أحاديث هذا الكتاب التي تربو على مائتين، في هذه الرساله فيما يلي، وما توفيقى إلّابالله.

١ - أخرج أحمد وابن أبي شيبه وابن ماجه ونعيم بن حمّاد، في الفتن، عن عليّ عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: المهدىّ منّا أهل البيت، يصلحه الله في ليله»، (ب ٢، ص ٨٩ ح ١).

٢ - وأخرج أبو داود وابن ماجه والطبرانى والحاكم، عن أم سلمه، قالت:

سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يقول: «المهدىّ من عترتى، من ولد فاطمه»، (ب ٢، ص ٨٩ ح ٢).

ص: ١٤٢

١- نقل عن الشافعى أنّه قال في هذه الأحاديث: المراد: الحديث في مناقب على بن أبى طالب عليه السلام، ولهذا حكاية عجيبة عن أحمد بن حنبل تطلب من كتاب الأربعين للشيخ أبى الفتح محمد بن أحمد بن أبى الفوارس (المتوفى في سنة ٤١٢ هـ).

٣ - وأخرج الحاكم وابن ماجه وأبو نعيم عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «نحن سبعة ولد عبد المطلب ساهه أهل الجنة: أنا، وحمزه، وعلي، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدى»، (ب ٢، ص ٨٩ ح ٣).

٤ - وأخرج الترمذى وصححه، عن أبي هريره، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يلى المهدى»، (ب ٢، ص ٩٠ ح ٢).

٥ - وأخرج الطبرانى فى الأوسط من طريق عمرو بن على، عن على بن أبى طالب عليه السلام أنّه قال للنبي صلى الله عليه وآله: «أمنا المهدى أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: بل منّا، بنا يختم الله، كما بنا فتح، وبنا يُستنقذون من الشرك، وبنا يؤلّف الله بين قلوبهم بعد عداوه الشرك»، (ب ٢، ص ٩١ ح ٧).

٦ - وأخرج نعيم بن حمّاد، وأبو نعيم من طريق مكحول، عن على، قال:

«قلت: يا رسول الله، أمنا آل محمد المهدى، أم من غيرنا؟ فقال: لا بل منّا، يختم الله به الدين كما فتح، بنا يتقذون من الفتنه كما انقذوا من الشرك، وبنا يؤلّف الله بين قلوبهم، وبنا يصبحون بعد عداوه الفتنه إخواناً، كما أصبحوا بعد عداوه الشرك إخواناً فى دينهم»، (ب ٢، ص ٩١ ح ٨).

٧ - وأخرج الحارث بن أبى اسامه وأبو نعيم، عن أبى سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لتملأنّ الأرض ظلماً وعدواناً، ليخرجنّ رجل من أهل بيتى حتى يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت عدواناً وظلماً»، (ب ٢، ص ٩١ و ٩٢).

٨ - أخرج الطبراني في الكبير، وأبو نعيم، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي، وخلقه خلقى، يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»، (ب ٢، ص ٩٢، ح ١١).

٩ - وأخرج أبو نعيم، عن حذيفه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وَيَحِ هذه الأمة من ملوكٍ جباريه، يقتلون ويُخيفون المطيعين إلامن أظهر طاعتهم، فالمؤمن التقى ليصانعهم بلسانه ويفرّ منهم بقلبه وجنانه. فإذا أراد الله تعالى أن يعيد الإسلام عزيزاً قصم كلَّ جبار عنيد، وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمه بعد فسادها. يا حذيفه، لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يملكك من أهل بيتي رجل، تجرى الملاحم على يديه، ويُظهر الإسلام، لا يُخلف وعده، وهو سريع الحساب»، (ب ٢، ص ٩٢، ح ١٢).

١٠ - أخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم، عن أبي هريره، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم يبقَ من الدنيا إلّا ليله ليملك فيها رجل من أهل بيتي»، (ب ٢، ص ٩٢، ح ١٣).

١١ - أخرج الروياني في مسنده، وأبو نعيم، عن حذيفه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدى رجل من ولدى، لونه لون عربى، وجسمه جسم إسرائيلى، على خده الأيمن خال كأنه كوكب درى، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى فى خلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير

فى الجوء»، (ب ٢، ص ٩٣ و ٩٤، ح ١٦).

١٢ - أخرج أبو نعيم، عن الحسين عليه السلام: أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمه: «يا بئته، المهدي من ولدك»، (ب ٢، ص ٩٤، ح ١٧).

١٣ - وأخرج ابن عساكر، عن الحسين عليه السلام، أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أبشرى يا فاطمه، المهدي منك»، (ب ٢، ص ٩٤، ح ١٧).

١٤ - أخرج الطبرانى فى الكبير، وأبو نعيم، عن الهلال(١): أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمه: «والذى بعثنى بالحقّ، منهما - يعنى الحسن والحسين - مهدي هذه الأمه إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن، وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً، ولا صغير يوقر كبيراً، يبعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلاله وقلوباً غفلاً، يقوم بالدين فى آخر الزمان كما قمت به فى أول الزمان، ويملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً»، (ب ٢، ص ٩٤ و ٩٥، ح ١٩).

١٥ - وأخرج أيضاً (يعنى نعيم بن حماد) عن علىّ وعائشه، عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «المهدي رجل من عترتى، يقاتل على سنتى كما قاتلت أنا على الوحي»، (ب ٢، ص ٩٥، ح ٢١).

١٦ - وأخرج أيضاً، عن علىّ عليه السلام، قال: «المهدي رجل منّا، من ولد فاطمه»، (ب ٢، ص ٩٥، ح ٢٣).

ص: ١٤٥

١- فى بعض النسخ (الهاللى).

١٧ - وأخرج الطبراني، عن عوف بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «تجىء فتنة غيراء مظلمه، تتبع الفتن بعضها بعضاً، حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له: المهدي، فإن أدركته فاتبعه، وكن من المهتدين»، (ب ٤، ف ١، ص ١٠٣، ح ٢٠).

١٨ - وأخرج الداني، عن الحكم بن عيينه، قال: قلت لمحمد بن علي:

سمعت أنه سيخرج منكم رجل يعدل في هذه الأمة، قال: «إنا نرجو ما يرجو الناس، وإنا نرجو لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يكون ما ترجو هذه الأمة، وقبل ذلك فتن شر فتنة، يُمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً، فمن أدرك ذلك منكم فليتيق الله، وليكن من أحلاس بيته»، (ب ٤، ف ١، ص ١٠٤، ح ٧).

١٩ - وعن عمّار بن ياسر: «إذا قتلت النفس الزكية، وأخوه تقتل بمكة صنيعة، نادى منادٍ من السماء: أن أميركم فلان، وذلك المهدي، الذي يملأ الأرض حقاً وعدلاً»، أخرجه الإمام أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن.

(ب ٤، ف ٢، ص ١١٢، ح ٧).

٢٠ - أخرج الطبراني في الأوسط، عن طلحة بن عبيد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله:

«ستكون فتنة، لا يهدأ منها جانب إلّا جاش منها جانب، حتى ينادى منادٍ من السماء: أن أميركم فلان»، (ب ١، ص ٧١، ح ١).

٢١ - أخرج أبو نعيم، والخطيب في تلخيص المتشابه، عن ابن عمر، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي: أن هذا مهدي

ص: ١٤٦

فاتبعوه»، (ب ١، ص ٧٢، ح ٢).

٢٢ - وأخرج أبو نعيم، عن علي، قال: «إذا نادى منادٍ من السماء: أنّ الحقّ في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس، ويُشربون حُبّه، ولا يكون لهم ذكر غيره»، (ب ١، ص ٧٣، ح ٤).

٢٣ - وأخرج أيضاً (يعنى نعيم بن حمّاد)، عن شهر بن حوشب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «في المحرم ينادى منادٍ من السماء: ألا إنّ صفوه الله (من خلقه) فلان فاسمعوا له، أطيعوه في سنه الصوت الممعمه»، (ب ١، ص ٧٥، ح ٩).

٢٤ - وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، قال: «تختلف ثلاث رايات:

رايه بالمغرب، ورايه بالجزيره، ورايه بالشام، تدوم الفتنة بينهم سنه - ذكر خروج السفيناني وما يفعله من الظلم والجور، ثم ذكر خروج المهدي ومبايعه الناس له بين الركن والمقام، وقال: - يسير بالجيش حتى يسير بوادي القرى في هدوء ورفق، ويلحقه هناك ابن عمّه الحسنى في اثني عشر ألف فارس، فيقول له: يا ابن عم، أنا أحق بهذا الجيش منك، أنا ابن الحسن وأنا المهدي. فيقول له المهدي: بل أنا المهدي. فيقول له الحسنى: هل لك من آيه فأبايعك؟ فيومى المهدي إلى الطير فيسقط على يديه، ويغرس قضيباً.. فيخضّر ويؤرق. فيقول له الحسنى: يا ابن عمى، هي لك»، (ب ١، ص ٧٦ و ٧٧، ح ١٥)(١).ر.

ص: ١٤٧

١- هذا الحديث يدلُّ على أنّ المهدي عليه السلام من ولد الحسين عليه السلام، كما دلّت عليه أخبار كثيره ذكرناها في منتخب الأثر.

٢٥ - وأخرج نعيم، وأبو نعيم، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له: المهدي، يكون عطاؤه حثياً»، (ب ١، ص ٨٤، ح ٣٣).

٢٦ - وأخرج أبو نعيم، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يكون عند انقطاع من الزمان، ليعثن الله من عترتي رجلاً، أفرق الثنايا، أجلى الجبهه، يملأ الأرض عدلاً، يفيض المال فيضاً»، (ب ١، ص ٨٤، ح ٣٢).

٢٧ - وأخرج أحمد ومسلم، عن أبي سعيد وجابر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يكون في آخر الزمان خليفه يقسم المال ولا يعده»، (ب ١، ص ٨٣، ح ٢٨).

٢٨ - وعن حذيفه بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وآله في فضيه المهدي عليه السلام ومبايعته بين الركن والمقام، وخروجه متوجهاً إلى الشام، قال: «وجبرائيل على مقدمته، وميكائيل على ساقته، يفرح به أهل السماء والأرض، والطير والوحش، والحيتان في البحر». أخرجه أبو عمر وعثمان بن سعيد المقرئ في سننه.

(ب ١، ص ٧٧، ح ١٦).

٢٩ - وأخرج أحمد والباوردي في المعرفه، وأبو نعيم، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بشراكم بالمهدي، رجل من قريش من امتي على اختلاف من الناس وزلازل، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال صحاحاً

ص: ١٤٨

بالسويه بين الناس، ويملاً قلوب أمه محمد غنى، ويسعهم عدله حتى أنه يأمر منادياً فينادى: من له حاجه؟ فما يأتيه أحد إلا رجل واحد، يأتيه يسأله، فيقول: ائت السادن يعطيك، فيأتيه، فيقول: أنا رسول المهدي إليك لتعطيني مالاً. فيقول: إحث، فيحثي، فلا يستطيع أن يحمله، فيخرج به ويندم، فيقول: أنا كنت أجشع امه محمد نفساً، كلهم دعى إلى هذا المال فتركه غيرى، فبرده عليه، فيقول: إننا لانقبل شيئاً أعطينا، فليث في ذلك ستاً أو سبعاً أو تسع سنين، ولا خير في الحياه بعده»، (ب ١، ص ٧٩ و ٨٠ ح ٢١).

٣٠ - وأخرج أيضاً عن عبد الله، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وآله (المهدي منا، أجلي الجبهه، أقنى الأنف) (ب ٣، ح ٣، ص ٩٩).

٣١ - وأخرج نعيم بن حماد عن أبي سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ستكون بعدى فتن، منها فتنه الأجلاس، يكون فيها حرب وهرب، ثم بعدها فتنه أشد منها، ثم تكون فتنه. كلما قيل انقطعت تمادت حتى لا يبقى بيت إلا دخلته، ولا مسلم إلا ملته حتى يخرج رجل من عترتى»، (ب ٤، ص ١٠٣، ح ٣).

٣٢ - وأخرج نعيم بن على، قال: «لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث، ويموت ثلث، ويبقى ثلث» (ب ٤، ف ٢، ص ١١١ و ١١٢، ح ٤).

٣٣ - وأخرج ابن أبي شيبه عن مجاهد، قال: حدّثنى فلان - رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله -: «أن المهدي لا يخرج حتى تُقتل النفس الزكيه، فإذا قتلت

النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض، فأتى الناس، فزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليله عرسها، وهو يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وتنعم امتي في ولايته نعمه لم تنعمها قط»، (ب ٤، ف ٢، ص ١١٢، ح ٦).

٣٤ - وأخرج أبو عمرو الداني في سننه، عن حذيفه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم كأثما يقطر من شعره الماء.

فيقول المهدي: تقدّم، صلّ بالناس. فيقول عيسى: إنّما أقيمت الصلاة لك، فيصلّي خلف رجل من ولدي»، (ب ٩، ص ١٦٠، ح ٩).

٣٥ - وأخرج الطبراني في الأوسط، والحاكم، عن أم سلمه، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يباع الرجل بين الركن والمقام عدة أهل بدر، فتأثيه عصائب أهل العراق وأبدال أهل الشام، فيغزوه جيش من أهل الشام حتى انتهوا بالبيداء خسيف بهم»، (ب ٤، ف ٢، ص ١١٧، ح ١٨).

٣٦ - وعن محمد بن الحنفية رضى الله عنه، قال(١): كُنّا عند على عليه السلام، فسأله رجل عن المهدي؟ فقال: «هيهات هيهات! ثمّ عقد بيده تسعاً، فقال: ذلك يخرج في آخر الزمان(٢)، وإذا قيل للرجل: الله الله قيل(٣)، فيجمع الله له قوماً قزعاً كقزعه.

ص: ١٥٠

١- يعنى: وأخرج نعيم، عن محمد بن الحنفية.

٢- قيل في معنى ذلك: إنّهُ عقد بيده تسعاً عدد الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام، فلما بلغ إلى المهدي عليه السلام قال: ذلك يخرج في آخر الزمان.

٣- الظاهر أنّ الصحيح هكذا: (إذا قال الرجل: الله تعالى قُتِل)، كما في كشف الأستار، وقال: أخرجه الحافظ أبو عبد الله الحاكم في مستدركه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم، ولم يُخرجاه.

السحاب يؤلف بين قلوبهم، لا يستوحشون على أحد، ولا يفرحون بأحد، دخل فيهم على عده أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون ولا يُدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا النهر معه»، (ب ٦، ص ١٤٤، ح ٨).

٣٧ - وأخرج ابن ماجه، والطبراني، عن عبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج ناس من المشرق، فيوطنون للمهدى سلطانه»، (ب ٧، ص ١٤٧، ح ٢).

٣٨ - وأخرج أبو غنم الكوفي في كتاب الفتن، عن علي بن أبي طالب، قال: «ويحاً للطالقان! فإن لله بها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة، ولكن بها رجال عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدى في آخر الزمان»، (ب ٧، ص ١٥٠، ح ١٤).

٣٩ - وأخرج أبو نعيم، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه»، (ب ٩، ص ١٥٨، ح ١).

٤٠ - وأخرج أبو بكر الإسكافي في فوائد الأخبار، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدى فقد كفر»، (ب ١٢، ص ١٧٠، ح ٢).

والحمد لله تعالى على ما شرفني بإخراج هذه الأربعين حديثاً من

الأحاديث في المهدي عليه السلام، ومن أراد التوسع في ذلك فعليه بتتبع كتب المسانيد والجوامع، والموسوعات الكبيره كالبهار
و العوالم، وكتاب كمال الدين للصدوق، والغيبه للشيخ الطوسي، وكفايه الأثر وكتابنا منتخب الأثر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قم المشرفه - لطف الله الصافي الكلبيگانی

١٢ رجب الخير - ١٤٠١

ص: ١٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

من أعظم ما بُنى عليه اليقين بصدق الأنبياء ورسالاتهم السماويه إلى رساله الختميه الخالده المحمديه، وأمان المهتدى بهدى أئمه أهل البيت عليهم السلام من الضلال، عصمتهم عن المعاصي والخطأ والسهو والنسيان قد أشبع الكلام فيه علماء الإسلام بما لا مزيد عليه؛ وهذه رساله فيها بعض ما يتعلّق بالعتيده بعصمه الأنبياء والأئمه المعصومين عليهم السلام وعلمهم، وعلى طالب المزيد والتفصيل مطالعه كتب الأساطين كالمفيد والشيخ والخواجه والعلمامه وغيرهم أعلى الله مقامهم وشكر الله مساعيهم الجميله.

ص: ١٥٥

وردتنا رساله من رئيس الجماعه الإسلاميه (عادل جوهر) فى أمريكا وكندا، تتضمن ثلاثه أسئله، ترجع كلها إلى مسأله العصمه فى الأئمه الأطهار من أهل البيت النبوى، وقد رفعنا هذه الأسئله إلى العلامه الحجه آيه الله الشيخ لطف الله الصافى دام ظله، علماً بأن سماحته أحد الأبطال فى المباحث الاعتقاديه، وخاصه ما يتعلق منها بالولايه، فتفضل - دام ظله - بتدوين رساله مفصله وافيّه بالمراد وشافيّه لغيل السائل، وقد سلمنا نسخه من هذه الرساله إلى مندوب الجماعه، حتى يبعثها إلى الجماعه الإسلاميه.

ونظراً لأهميه محتويات هذه الرساله العقائديه قمنا بنشرها ملحقه بكتاب أقطاب الدوائر التى تدور مسائلها حول آيه التطهير، التى هى من أوضح دلائل العصمه فى أهل البيت عليهم السلام.

ونحن عندما نقوم بطبع هذه الرساله الجوابيه القيمه ننشر معها نص رساله

الجماعه؛ تدليلاً على اهتمامهم بهذه الأمور، وإفاناً لنظر المفكرين الإسلاميين إلى ما يدور في أذهان المسلمين القاطنين في
تلکم الدير. والله نسال التوفيق والهدايه، إنه سميع الدعاء.

١٧ ربيع الاول - ١٤٠٣ هجريه

ص: ١٥٨

نص الرسالة وأسئلتها:

سماحه العلامة الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني دامت إفاضاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، إننا في الجماعه الإسلاميه في أمريكا وكندا نعتزّ أشدّ الاعتزاز بورثه الأنبياء والعترة الطاهره عليهم السلام، علمائنا الأعلام، حفظهم الله تعالى.

ومن جمله النشاطات التي نقوم بها: إصدار مجلّه إسلاميه «الرساله»؛ كى نقوم بجزء يسير من الأعباء والمسؤوليات الكبيره الملقاه على عاتقنا في بلاد الغربه.

وإننا في الحقيقه بحاجة ماسّه إلى البحوث والمقالات الإسلاميه، وبحاجه إلى مشاركه العلماء الأجلّاء في دعم تطور مجلّه «الرساله».

وإننا نوّد من سماحتكم التفضّل بالإجابه على الأسئلة التاليه، ويفضل أن تكون الإجابه على هيئه بحث علمي، كما نوّد أن تجيزونا بنشرها.

ص: ١٥٩

١ - ما هي أدلة عصمه الأئمة عليهم السلام من مصادر التشريع الإسلامي؟ وما هو نوعها؟ وما هو الفرق بينها وبين عصمه الأنبياء؟

٢ - هل يزداد علم الإمام المعصوم عليه السلام مع الأيام؟ وهل أنّ علمه عليه السلام قبل توليه الإمامه يختلف عنه قبل ذلك؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكننا والحاله هذه الحكم بأفضليه الإمام على عليه السلام على الإمام الجواد، الذي تولّى الإمامه وهو ابن تسع سنين؟

٣ - كيف يمكننا درء الشبهه القائله باختلاف مستويات الأئمة إيماناً وعلماً وخلقاً، وذلك باعتبار ما يرويه لنا التاريخ من سيرهم؟

وختاماً أسأل الله عزّ وجلّ أن يتّسع وقتكم للإجابة على هذه الأسئلة، التي تتخذ أهميه بالغه في مثل ظروفنا الحاليه، وأسأله تعالى أن يوفّقكم وإيانا لتحقيق ما فيه رضاه. والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

رئيس الجماعه الإسلاميه

عادل جوهر

الثلاثاء، ١٤ جمادى الآخره، سنه ١٤٠٢ هـ

ص: ١٦٠

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على عباده الذين اصطفى، سيما سيدهم أبي القاسم محمد وآله الطاهرين المعصومين.

وبعد، فهذه رساله وجيزه في الجواب عن أسئله أرسلها بعض الإخوان الأذكياء من أهل الدعوه إلى هدى الإسلام في أمريكا إلى أحد أصدقائي من العلماء وأساتذه الحوزه العلميه، كتبتها التماساً للثواب، وامثالاً لأمر هذا الصديق العزيز أدام الله أيامه، ونفع المسلمين بعلومه وبركاته.

والكلام بالنظر إلى الأسئلة يقع في مباحث:

المبحث الأول: في عصمه الأنبياء والائمة عليهم السلام

المبحث الثاني: في علم الإمام عليه السلام

المبحث الثالث: فى اختلاف مستويات الائمة عليهم السلام فى الإيمان والعلم والأخلاق.

ص: ١٦٢

اشاره

وهذا سؤاله بلفظه عنها:

ما هى أدله عصمه الأئمه عليهم السلام من مصادر التشريع الإسلامى؟ وما هو نوعها؟ وما هو الفرق بينها وبين عصمه الأنبياء؟

والجواب على هذا السؤال يأتى فى طيّ مسائل:

المسأله الأولى: ماهى العصمه؟

المسأله الثانيه: ما أنواع العصمه؟ وما النوع الذى يجب اتّصاف النبى والإمام به؟

المسأله الثالثه: الأدله على عصمه الأنبياء والائمه.

ص: ١٦٣

المسأله الرابعه: ماهى الدلائل العقلية على عصمه الأنبياء والائمة؟

المسأله الخامسه: ماهى أدله عصمتهم من مصادر التشريع الإسلامى؟

ص: ١٦٤

الجواب:

أنّ العصمه قوه قدسيه، وبصيره ملكوتيه، ونورانيه ربانيه راسخه فى النفس، يحفظ بها صاحبها نفسه عن القبائح، وعن إتيان كلّ ما فى فعله الانصراف عن الحق ونسيان المولى.

وإن شئت قلت: هى حضور خاصّ للعبد عند مولاه لا- يرتكب معه ما ينافى هذا الحضور، فلا يشتغل فى هذا الحضور إلّابما يناسبه، ففى مثل هذا الموقف الأقدس لا ذنب ولا معصيه ولا انصراف عن الله تعالى وهذا مقام رفيع لا يناله ولا يفوز به إلّاعباد الله المخلصون الكاملون، الذين ليس لغير الله سلطان عليهم، وهم الأنبياء والأئمه عليهم السلام.

ص: ١٦٥

وإن شئت مثلاً لذلك والمثال لا يُسئل عنه، فانظر إلى نفسك إذا كنت طالباً لسلعه ما فإنك تذهب إلى السوق لشرائها، فيعرضها البائع لك بدينار، وآخر بدينارين، ولاشك أنك مختار في شرائها من الأول أو الثاني، لكن لا تشتريها إلا من الأول؛ لما فيك من قوه التميز بين نفعك وضررك، والمعصوم في صفاء النفس، والاتصال بعالم الغيب، وقوه الإدراك حتى في ترك الأولى كترك المستحبات وفعل المكروهات أصفى نفساً منك ومن غيرك نفساً.

وبالجمه: فالحضور ضد الغياب، والتوجه ضد الانصراف، فمن كان في محضر المولى ليس بغائب عنه، ومن ذاق حلاوه قربه ومؤانسته لا يبتغى عنها بدلاً، ومن جلس على بساط عبادته وأدرك لذه مناجاته يقول كما قال زين العابدين عليه السلام:

«متى راحه من نصب لغيرك بدنه، ومتى فرح من قصد سواك بنيتة؟» (١).

قال العلامة الجليل السيد عبد الله شبر: (العصمه عباره عن قوه العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادراً على المعاصى كلها كجائز الخطأ، وليس معنى العصمه أن الله يجبره على ترك المعصيه، بل يفعل به ألطافاً يترك معها المعصيه باختياره، مع قدرته عليها، كقوه العقل، وكمال الفطانه، والذكاء، ونهايه صفاء النفس، وكمال الاعتناء بطاعه الله تعالى، ولو لم يكن قادراً على المعاصى بل كان مجبوراً على الطاعات لكان منافياً للتكليف، ولا إكراه في الدين، والنبى صلى الله عليه وآله أول .

ص: ١٦٦

من كُلف، حيث قال: [فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ] (١) و [أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] (٢) وقال تعالى: [وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ] (٣).

ولأنه لو لم يكن قادراً على المعصية لكان أدنى مرتبه من صلحاء المؤمنين، القادرين على المعاصي التاركين لها (٤).

وقال الشريف الأجل شارح الصحيفه: العصمه فى اللغة: اسم من عَصِمَهُ اللَّهُ من المكروه يَعِصُهُ (باب ضرب)، بمعنى حفظه ووقاه.

وفى العرف: فيض إلهى يقوى به العبد على تحزى الخير وتجنب الشر...

إلى آخره (٥).

وقال الراغب: (وعصمه الأنبياء حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسميه والنفسيه، ثم بالنصره وبثبت أقدامهم، ثم بإنزال السكينه عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق) (٦).

وقال الشيخ الأ-كبر المفيد قدس سره: (العصمه من الله لحججه هى التوفيق، واللفظ والاعتصام من الحجج بها من الذنوب والغلط فى دين الله تعالى).

ص: ١٦٧

١- الزخرف: الآيه ٨١.

٢- الأنعام: الآيه ١٦٣.

٣- الحجر: الآيه ٩٩.

٤- حق اليقين: ج ١ ص ٩٠.

٥- رياض السالكين: الروضه السادسه عشره.

٦- مفردات القرآن للراغب الإصفهانى، فى ماده (عصم).

والعصمه تفضّل من الله تعالى على من علم أنّه يتمسك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم، وليست العصمه مانعه من قدره على القبيح، ولا مضطرّه للمعصوم على الحسن، ولا ملجئه له إليه(١).

وقال أيضاً رضوان الله تعالى عليه: (العصمه لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمنع عنه وقوع المعصيه، وترك الطاعه مع قدرته عليها)(٢).

وقال العلّامة الحلّي رحمه الله: (هي ما يمتنع المكلف معه من المعصيه متمكناً فيها، ولا يمتنع فيها عدمها)(٣).

وقال الفاضل السيوري قدس سره: (قال أصحابنا ومن وافقهم من العدييه: هي لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع المعصيه؛ لانتفاء داعيه، ووجود صارفه، مع قدرته عليها، ووقوع المعصيه ممكن نظراً إلى قدرته، وممتنع نظراً إلى عدم الداعي ووجود الصارف، وإنما قلنا بقدرته عليها لأنه لولاه لما استحقّ مدحاً ولا ثواباً؛ إذ لا اختيار له حينئذٍ؛ لأنهما يستحقّان على فعل الممكن وتركه، لكنّه يستحقّ المدح والثواب لعصمته إجماعاً فيكون قادراً)(٤).

وقالت الأشاعره: (هي القدره على الطاعه، وعدم القدره على ٣).

ص: ١٦٨

١- تصحيح الاعتقاد: ص ٢١٤.

٢- النكت الاعتقاديّه: ص ٤٥.

٣- كتاب الألفين: المبحث السابع، وراجع في ذلك كلامه في شرح تجريد الاعتقاد، المسأله الثانيه من المقصد الخامس.

٤- اللوامع الإلهيه: ص ٢٤٣.

وقال بعض الحكماء: (إنَّ المعصوم خلقه الله جبَّله صافيه، وطينه نقيه، ومزاجاً قابلاً وخصّه بعقل قوى وفكر سوى، وجعل له ألطافاً زائده، فهو قوى بما خصّه على فعل الواجبات واجتناب المقبحات، والالتفات إلى ملكوت السماوات، والإعراض عن عالم الجهات، فتصير النفس الأماره مأسوره مقهوره في حيز النفس العاقله.

وقيل: هو المختصّ بنفسٍ هي أشرف النفوس الإنسانيه، ولها عنايه خاصه وفيض خاصّ، يتمكّن به من أسر القوه الوهميه والخياليه، الموجبتين للشهوه والغضب، المتعلّق كلّ ذلك بالقوه الحيوانيه).

ولبعضهم كلام حسن جامع هنا حيث قال: (العصمه ملكه نفسانيه يمنع المتّصف بها من الفجور مع قدرته عليه، وتتوقّف هذه الملكه على العلم بمثالب المعاصي، ومناقب الطاعات لأنّ العفّه متى حصلت في جوهر النفس، وانضاف إليها العلم التام بما في المعصيه من الشقاوه والطاعه من السعاده صار ذلك العلم موجباً لرسوخها في النفس، فتصير ملكه، ثمّ إنّ تلك الملكه إنّما تحصل له بخاصيه نفسه أو بدنيه تقتضيها، وإلّا لكان اختصاصه بتلك الملكه دون بنى نوعه ترجيحاً من غير مرجّح، ويتأكّد ذلك العلم بتواتر الوحي، وأن يعلمه.

ص: ١٦٩

١- لا يخفى عليك بطلان هذه مقاله لأنّ القدره على الطاعه لا تُحقّق إلّا مع القدره على تركها، والقدره على ترك الطاعه هي القدره على المعصيه.

أقول: لا ريب أنّ الاختصاص بتلك الملكة إنّما يكون بوجهه مرجّحه يعلمها الله تعالى، وليس علينا السؤال عن هذه الجهة، وهذا كاختصاص كثير من المخلوقات بل كلّها بأوصاف خاصه، واختلافهم في الأفراد والأنواع، واختصاص السماء والأرض بالخلق وغير ذلك.

وما هو المعلوم عقلاً وشرعاً أنّ كلّ ذلك لم يكن عبثاً، ومن خلق هذا الخلق وجعل هذا النظام المتقن في كلّه وأجزائه لم يكن لاعباً وعبثاً، فالنظام الحاكم على عالم الإنسان، والحاكم على عالم الحيوان والنباتات بأنواعها والجمادات تشهد بحكمه كلّ تلك المخلوقات وتقدّسه عن اللغو والعبث.

وقال سبحانه وتعالى في وصف اولى الألباب:

[وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ](٢).

وقال تعالى: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ](٣).

وقال عزّ من قائل: [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ](٤). ٥.

ص: ١٧٠

١- اللوامع الإلهية، اللامع العاشر: ص ١٦٩ و ١٧٠.

٢- آل عمران: الآية ١٩١.

٣- ص: الآية ٢٧.

٤- المؤمنون: الآية ١١٥.

وهذا لا يمنع عن القول بأشرفيه البعض من البعض، وأفضليته، بل غاية ما يقال فيه: إن ذلك بتقديره وحكمته.

فالسؤال الذى ربّما يختلج فى بعض الأذهان فى اصطفاء من اصطفاه الله من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، هو السؤال عن اختصاص كل ذوى الفضل فى هذا العالم بنوعه أو فردة على غيره.

والجواب على النحو العام هو: أنّ أفعال الله تعالى كلّها متقنه محكمه صدرت عنه لأغراض متعالیه، والتفضيل المشاهد فى العالم: إمّا أن يحصل لعلل يقتضيها ضيق عالم المادة، وما جعل الله فى كلّ جزء من أجزاء هذا العالم بتقديره من التأثير فى غيره أو التأثير منه، وإمّا أن يحصل لعلل اختياريه تؤثّر فى كمال النفس وفضلها، وتؤثّر فى تفضيل بعض الأفراد من الإنسان والحيوان والنبات على غيرها، وقد يحصل لعلل اخرى اختياريه للبعد وغير اختياريه ممّا توجب الترجيح وتؤثّر فيه، والجهات المرجّحه كثيره لا يمكننا إحصاؤها ومعرفه تفاصيلها، فإذا وجد بإذن الله تعالى وتقديره شخص قابل للإفاضه الغيبية والعنايه الربانيه كالعصمه والعلوم اللدنيه لا يحرم منها، ويستحيل أن يمنع الله تعالى ذلك عنه، والله تعالى أعلم بموارد عناياته وإفاضاته.

هذا، ولنا أن نقول: إنّ النظام لا يتم بل لا يقوم إلا على التفضيل والإختصاص والاصطفاء فاختصاص العين بالرؤيه، والأذن بالسمع، وسائر الأعضاء بخاصّيه معينه، وكذا اختصاص هذا الشجر بهذا الثمر، وهذا بهذا هو المقوم لهذا النظام بإذن الله تعالى، ولو لم يكن هذا الاختصاص لم يكن هذا العالم

[ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] (١).

فالاصطفاء والاختصاص والتفضيل أمر واقع في عالم التكوين مهما كانت علته، معلومه كانت لنا، أو مجهوله عندنا، نرى ذلك بالعيان، ونقرؤه في تراجم الأنبياء والأولياء وأرباب العقول الكبيره وغيرها، كما نلمس عصمه الأنبياء والأولياء من خلال سيرتهم وعباداتهم، وخصائصهم وأخلاقهم، لايمكننا إنكار الواقعيات. والقرآن المجيد أيضاً ناطق باصطفاء بعض الناس على بعض، وبعض الأنواع على بعض، قال الله تعالى: [وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ] (٢).

وقال سبحانه: [تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ] (٣).

وقال عز من قائل: [وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ] (٤)، أى على عالم زمانها كما ورد فى التفاسير.

وقال جل شأنه: [يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ] (٥) أى على عالمى زمانهم.

وقال الله تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ] .

ص: ١٧٢

١- يس: الآيه ٣٨؛ الأنعام: الآيه ٩٦؛ فصلت: الآيه ١٢.

٢- الإسراء: الآيه ٥٥.

٣- البقره: الآيه ٢٥٣.

٤- آل عمران: الآيه ٤٢.

٥- البقره: الآيه ٤٠.

الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا[١]

وقال تعالى جَدَّه: [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ][٢].

وقال تعالى شأنه: [ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا][٣].

وقال تعالى: [وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ][٤].

نعم، يستفاد من بعض الآيات الدالة على التفضيل وجهه أيضاً، كقوله تعالى: [فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا][٥]

وقوله عزَّ شأنه: [يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ][٦]

حيث يستفاد من الآية الأولى أنّ وجه تفضيل المجاهدين على القاعدين هو جهادهم، ومن الثانية أنّ وجه رفع درجات المؤمنين والعلماء هو إيمانهم وعلمهم.

كما يستفاد من البعض الآخر وجه التفضيل، كقوله تعالى: [مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِنا].

ص: ١٧٣

١- الإسراء: الآية ٧٠.

٢- آل عمران: الآية ٣٣.

٣- فاطر: الآية ٣٢.

٤- النساء: الآية ٣٢.

٥- النساء: الآية ٩٥.

٦- المجادلة: الآية ١١.

الْقُدْسِ] (١) حيث يستفاد منه أنّ جهه تفضيل موسى على بعض الأنبياء: أنه كلم الله، وجهه تفضيل عيسى: البيئات تأييده من جانب الله تعالى بروح القدس، وكما يستفاد من البعض الآخر أنّ التفضيل إنّما يكون لحكمه اخرى خارجه عن المفضل والمفضل عليه، وإن كان فائدته يرجع إليهما وإلى النظام، كقوله تعالى:

[وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا] (٢).

إذن فلا- استبعاد في اختصاص بعض الناس بالاصطفاء والعصمه وغيرها من الفضائل بعد ما يرى مثلها في نظام الله تعالى في خلقه، وبعد ما جرى عليه عادته وسنته، فلا يجوز السؤال عن ذلك حسداً أو اعتراضاً، ولا فائده فيه، قال الله تعالى: [أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا] (٣)

وروى شيخنا ثقه الإسلام الكليني في «الكافي» عن عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حماد بن عثمان، عن عبد الله الكاهلي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لو أنّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاه، وآتوا الزكاه، وحجّوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنع الله أو صنع رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا صنع خلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية: [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

ص: ١٧٤

١- البقره: الآيه ٢٥٣.

٢- الزخرف: الآيه ٣٢.

٣- النساء: الآيه ٥٤.

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(١) ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: عليكم بالتسليم»^(٢). ٥.

ص: ١٧٥

١- النساء: الآية ٦٥.

٢- الكافي: ج ٢ ص ٣٩٨، ح ٦، عنه مرآة العقول: ج ٤ ص ٢٨٠.

المسأله الثانيه: ما هي أنواع العصمه؟

وما هو النوع الذى يجب أن يكون النبى والإمام متّصفين به؟

والجواب:

أنّ العصمه تارةً تطلق ويراد منها العصمه عن الكفر، والكذب فى تبليغ الرساله والإخبار عن أحكام الله، والمعارف الدينيه.

وتارةً اخرى يراد منها العصمه عن الكفر، ومطلق الكذب بعد النبوه، أو مع ما قبلها.

وثالثهً يراد منها العصمه عن مطلق المعاصى وكلّ ما ينفّر عنه بعد النبوه او مع ما قبلها.

ورابعهً يراد منها العصمه عن المعاصى، وكلّ ما ينفّر عنه، وعن ترك الأولى

ص: ١٧٧

أيضاً بعد النبوه أو مع ما قبلها.

فهذه سبعة أنواع، كل نوع تحت نوعٍ أوسع وأشمل، حتى يصل إلى النوع السابع وهو العصمه عن المعاصي، وترك الأولى، وكل ما ينفر عنه قبل النبوه وبعدها.

ولأجريب أن الدليل عليه دليل على الجميع، والأقوال في النوع المعتبر في النبي والإمام مختلف لافائده في ذكرها هنا، من أراد الإطلاع عليها فليراجع كتاب «تنزيه الأنبياء» والكتب المؤلفه في الكلام والفرق.

والذي نقول به ونعتقده هو عصمه الأنبياء عن جميع المعاصي وعمّا ينفر عنه، قبل النبوه وبعدها، وعن الخطأ والسهو والاشتباه في كل ما يرجع إلى تبليغ رسالات الله تعالى، وعصمه نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله والأئمه المعصومين عليهم السلام عن جميع ذلك وعن ترك الأولى وعن الخطأ والسهو في جميع الأمور.

ص: ١٧٨

المسأله الثالثه: الأدله التي تقام على عصمه الأنبياء والأئمه عليهم السلام

هل هي عقليه أو سمعيه؟ وأعنى بالثانيه: ما يستفاد من مصادر التشريع الإسلامى، وهل الأصل فى إثبات هذا الموضوع هو العقل أو النقل يكفى فى ذلك، فإن لم تقم الأدله العقليه عليه فهل يجوز إثباته بالنقل؟

والجواب:

أمّا عن الأول فنقول: قد دلّ العقل والنقل على وجوب عصمه الإمام، وأدلتها العقليه والنقله كثيره جداً، فهذا كتاب «الألفين» لنايغه علوم المعقول والمنقول العلماءه الحلّى رضوان الله تعالى عليه، والنسخه المطبوعه منه - وإن كان ناقصه - مشتمله على ما يتجاوز عن ألف دليل عقلى وسمعى على أنّ الإمام يجب ان يكون معصوماً.

ص: ١٧٩

وأما الجواب عن الثانى: فالأصل فى الاعتقاد بعصمه النبى والإمام، ووجوب كون الإمام معصوماً هو حكم العقل، والشرع يؤيد العقل فى حكمه هذا، وذلك لأنّ العقل قاطع بوجوب اتصاف النبى والإمام بالعصمه، والشرع إنّما يكون المرجع الأول فى كلّ مورد، لو حكم فيه بالإيجاب أو السلب لم يكن حكمه بأيّهما مغايراً لحكم العقل.

وبعبارة اخرى: الشرع هو المرجع الأول فى كلّ مورد لم يكن للعقل فيه حكم بالإيجاب أو السلب، بحيث يكون حكم الشرع بالسلب أو الإيجاب موضوعاً لحكم العقل به أيضاً، أو لحكمه الآخر، كحكمه برمى الجمار والسعى بين الصفا والمروه، فإنّ العقل بعد حكم الشرع به يحكم به كما يحكم بوجوب إطاعته ووجوب الأمر به وذمّ تاركه.

وضابطه اخرى فى ذلك: أن لا يكون حكم الشرع فى مورد تكون حجيه حكم الشرع أو أصل الشرع متوقفه على حكم العقل به.

ففى مسأله عصمه الأنبياء فإنّ العقل هو المرجع الأول، ويحكم بوجوب كون النبى معصوماً لأدلته، وأما الشرع فالعلم بأصله متوقف على العلم بلزوم بعث النبى وشرائطه وأوصافه، والعلم بهذه لو كان ممكن الحصول من جانب الشرع لزم الدور لأنّ العلم بالشرع وما يخبر عنه النبى متوقف على العلم بأوصافه، ولو كان العلم بأوصافه متوقفاً على إخبار النبى للزم الدور.

فقد اتّضح من ذلك أنّ ما فى دائره حكم الشرع به والشرع هو المرجع الأول فيه هو ما لم يكن للعقل فيه حكم إيجابى أو سلبى، ولم يكن ممّا يتوقف

عليه العلم بالشرع، وإثبات اشتراط العصمة في النبي خارج عن ذلك، وكذا إثبات اشتراط عصمة الإمام، فإنه وإن لم يكن ممّا يتوقف عليه العلم بالشرع لكنّ العقل حاكم به بالإيجاب، وعليه يكون الشرع فيه مرشداً إلى حكم العقل ومؤيداً ومقرراً له، ومن هنا يعلم أنّ الحكم بوجود إطاعة الله تعالى عقلي وإرشادي، كما أنّ الحكم بوجود إطاعة النبي والإمام شرعي ومولوي.

فإن قلت: إذا كان العقل هو المرجع الأول في تلك المسألة فمن أيّ طريق نعرف عصمة النبي، وأنّ المعجزه التي أتى بها دليل على صدقه ونبوته، وبالتالي على عصمته.

وبعبارة أخرى صدق مدّعي النبوه يثبت بالمعجزه إذا كان معصوماً، ومن المعلوم عدم وجود دليل عقلي على عصمه مدّعيها، إلّا أن يقال: إنّ المعجزه كما تدلّ على صدق مدّعي النبوه تدلّ على عصمته أيضاً، وعليه كيف يكون العقل هو المرجع الأول؟.

قلت: أولاً: ما قلنا بأنّ العقل هو المرجع الأول فيه هو لزوم العصمة في النبي والإمام، وفرق بين مسأله وجوب كون النبي والإمام معصومين وبين مسأله طريق معرفه المعصوم، والمعجزه دليل على صدق مدّعي النبوه وعصمته بحكم العقل، فما يدلّ عليه العقل أولاً بدون الاستعانه بالمعجزه هو لزوم بعث النبي ونصب الإمام ولزوم اتصافهما بالعصمه، وما يحكم به العقل بالمعجزه هو كون هذا الشخص المعين هو النبي المعصوم، والإمام المعصوم.

وثانياً: أنّ المعجزه وإن يثبت بها صدق النبي وعصمته ليست من الأدله

السمعيه والشرعيه، بل هي ممّا يثبت بها الشرع وحجيه السمع، فمعجزات الأنبياء والأولياء خارجه عن الأدله السمعيه الشرعيه، ومدلولها ليست من الأمور التي تثبت بإخبار النبي والإمام.

فظهر بذلك أن لامنافاه بين كون العقل حاكماً بلزوم العصمه في النبي والإمام، وبين كون المعجزه دليلاً على صدق النبي وعصمته، وكذلك الإمام، وأنّ هذا أيضاً حكم العقل، وليس من الشرع وما يثبت حجّيته وحقيته بالمعجزه بشيء.

نعم، هنا أمر لا بأس بالإشاره إليه، وهو: أنّ المعجزه إنّما تكون دليلاً على العصمه إذا لم يكن في مدّعي النبوه عملاً وخلقاً وخلقاً ما ينافي العصمه، وإذا كان فيه ما ينافي ذلك كارتكاب القبائح وسوء الأخلاق فهو الدليل على أنّ ما يظهره بعنوان المعجزه ليس معجزه لأنّ الله لا يؤيد عمل المبطلين، ولا يصلح عمل المفسدين، وهكذا يجيء الكلام في النص الصادر عن النبي على نبوه من يأتي بعده أو إمامته، فإذا كان المدّعي لورود النصّ عليه غير مرضي الأخلاق والأفعال لا يعتنى بما يدّعيه، ويُعلم من ذلك أنّ ما يدّعيه من النصّ لم يصدر، أو صدر في حقّ غيره.

ص: ١٨٢

المسأله الرابعه: ما هي الدلائل العقليه على عصمه الأنبياء والأئمه صلوات الله عليهم أجمعين؟

الجواب:

أدلتها كثيره، نذكر نموذجاً منها ممّا يدلّ على معتقد الحقّ.

فمنها: أنّهم لو لم يكونوا معصومين عن المعاصي عمدًا وسهواً، وعن الخطأ والنسيان والسهو في كلّ ما يرجع إلى ما يجب اتّباعهم من أقوالهم وأفعالهم وسيرهم وسلوكهم ليرفع الاطمئنان والاعتماد عن اتّباعهم والاقتداء والتأسي بهم، وتبطل فائده بعث الأنبياء ونصب الأئمه، ويُتقَض الغرض الباعث إلى إرسال الرسل، بل خطؤهم ونسيانهم في الأمور العاديه أيضاً يضعف ذلك الاعتماد، وتنزّههم عنه يقوى ذلك ويؤكّده غايه التأكيد، فاللطف والحكمه يقتضى

ص: ١٨٣

اختصاصهم بعنايات وألطف تدفع عنهم السهو والنسيان.

لا يقال: إن ذلك غلوّ فيهم، وإنهم ما فوق الإنسان وأعلى منه.

لأنه يقال: اختصاصهم بتلك العنايات، وكون ذكرهم وتوجههم دائماً ليس فوق حدّ الإنسان، ولا يقول ذلك إلا من قصر عن معرفه الإنسان ومراتب كماله، وما يصل إليه في سيره إلى الله تعالى.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام (١) على ما روى عنه: الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ.

ويُنسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

وأنت الكتابُ المُبينُ الذي أُحرّفه يظهرُ المُضمّرَ (٢)

الغلوّ إنّما يحصل برفعهم من مرتبه العبوديه والمخلوقيه، والفقر الذاتى إلى مرتبه المعبوديه والخالقيه والغنى الذاتى.

والفضائل وكثير من الصفات وما يتقرّب به العبد إلى المولى ويتخلّق بأخلاقه مشتركه بين الإنسان والملائكه، فلم يدلّ دليل على امتناع اتصاف البشر بها وإن لم تحصل إلا للأوحدى من الناس، وإثباتها لهم ليس غلوّاً فيهم، وغايه ما يقال فيهم: إنّ هذه الصفات فى الملائكه فعليه، وليست بالاستعداداد.

ص: ١٨٤

١- شرح الأسماء الحسنی للسيزوارى: ج ١ ص ١٢.

٢- تفسير الصافى: ج ١ ص ٩٢؛ شرح الأسماء الحسنی للسيزوارى: ج ١ ص ١٢.

وبالقوه، والإنسان لا بشرط في ذلك عن الفعلية والاستعداد، فبعض أفراد الإنسان فيه هذا بالقوه، وبعضهم حاصل فيه بالفعلية.

هذا، مضافاً إلى أنّ القول بأنّهم ما فوق الإنسان إن اريد به رفعهم إلى مرتبه الملائكه وإثبات هويتهم لهم فليس هذا رفعاً لهم من مرتبتهم إن لم يكن إثباتاً لقصر لهم إذ الأنبياء والأئمه أفضل من الملائكه؛ لأنّ عصمتهم عن المعاصي ليس معناها عدم تمكّنهم منها، أو نفى ما كان يمكن أن يكون داعياً لهم، وكم فرق بين من لا يتحقق له الداعى إلى الأكل لعدم إمكان ذلك له، فلا يسند إليه ترك الأكل حقيقه، وإن اسند إليه فلا يكون إلامجازاً، كقول القائل: إنّ الحجر لا يأكل، فامتناعه عن الأكل ليس عن عمد واختيار، بل لا يصحّ أن يسند إليه الامتناع عن ترك الأكل، وبين من يمتنع عنه بالاختيار، ويسند إليه كسائر أفعاله وتروكه الاختيارية؛ ولأجل هذا يقول المحقق الطوسى القدوسى قدس سره فى أفضلية الأنبياء على الملائكه: والأنبياء أفضل؛ لوجود المضاد(١).

وأما قوله تعالى: [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ] (٢)، وقوله تعالى: [قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا] (٣) فليس مفادهما أنّ إثبات صفات الملائكه لهم غلوّ ورفع عن درجه الإنسان إلى درجه أعلى، بل المراد نفى الغلوّ بإثبات صفات الله المختصه لهم وإثبات الإستقلال لهم فى عرض إرادته الله ٣.

ص: ١٨٥

١- راجع كتاب: الصراط المستقيم للعالمى النباطى: ج ١ ص ١٣١ الرقم ٨ (ط المكتبه الرضويه، المطبعه الحيدريه - ايران، ١٣٨٤ هـ).

٢- الكهف: الآيه ١١٠؛ فصلت: الآيه ٦.

٣- الإسراء: الآيه ٩٣.

ومشيئته، فهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ليس لهم الإتيان بآيه إلا بإذن الله تعالى، فمثل النبي الخاتم صلى الله عليه وآله الذى:

فاق النَّبِيْنَ فى خَلْقِ وفى خُلُقِ

[مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] (١).

وأيضاً مثل هاتين الآيتين ردّ على من يطلب من النبي صلى الله عليه وآله ترك ما هو ضروره وجود الإنسان، كالأكل والشرب والمشى فى الأسواق زعماً منه أن ترك ذلك كمال النبي صلى الله عليه وآله؛ ولهذا قالوا [مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشَىٰ فى الأسواق] (٢)، وقال سبحانه وتعالى [وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا * قُلْ لَوْ كَانَ فى الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا] (٣).

ومن الأدله التى اقيمت على عصمه الأنبياء والأئمه عليهم السلام: أنه يجب فى النبي والإمام قوه الرأى والبصيره وعدم السهو، وكلّ ما يُنْفَر عنه، ومن المعلوم أنّ المعصيه كبيره كانت أو صغيره من أعظم ما يُنْفَر عنه ومن أقوى الشواهد على ضعف الرأى، والسهو أيضاً يذهب بمكانته الاجتماعيه، وربما يصير سبباً.

ص: ١٨٦

١- النجم: الآيه ٣.

٢- الفرقان: الآيه ٧.

٣- الإسراء: الآيه ٩٤ و ٩٥.

لاستهزاء الناس به، وإنكاره ما عليه وأدعائه ما ليس له، وكلّ ذلك ينافي مصلحه النّبوات.

ومنها: أنّه يجب متابعتهم وإطاعتهم، ولو لم يكونوا معصومين جاز أن يأمرُوا بالمعصية وما فيه المفسده، وينهوا عن الطاعه وما فيه المصلحه، وذلك يؤدّي إلى إغواء الناس وإضلالهم، وهذا ضدّ المقصود من بعث الرسل؛ لأنّ الغرض فيه هدايه العباد والبياره والإنذار.

ومنها: غير ذلك من الأدله التي تُعدّ بالمئات، ذكرها العلامة الحلّي في «الألفين» وفي سائر كتبه في الكلام والإمامه، وذكر طائفه منها غيره أيضاً، من شاء أكثر من ذلك فليراجع هذه الكتب.

ص: ١٨٧

المسأله الخامسه: ما هى أدله عصمتهم من مصادر التشريع الإسلامى؟

الجواب:

أن الأدله الداله عليها مصادر التشريع الإسلامى كثيره جداً، تجد المئات منها أيضاً فى كتاب «الألفين». ونحن نشير إلى بعض تلك الأدله بتعبيرٍ منا.

فنبول: من الأدله الداله عليها من القرآن المجدد: قوله تعالى: [وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ] (١). فهذه الآيه الكريمة صريحه فى عظم أمر الإمامه، وأنها عهد الله تعالى لاينالها الظالمون، والظلم عنوان عام لكل ما لايجوز فعله شرعاً أو

ص: ١٨٩

١- البقره: الآيه ١٢٤.

عقلاً، كما تعرف ذلك من موارد استعمالاته في الكتاب والسنة واللغة.

لا يقال: إن الآيه لاتدلّ على أكثر من عدم لياقه الظالم لئيل منصب الإمام في حال تلبسه بالظلم، ولاتدلّ على عدم نيئه إذا كان متلبساً به فيما مضى.

لأنه يقال: أولاً: لا نسلّم كون المشتقّ حقيقه في المتلبس بالمبدأ في الحال، أى في حال الجرى والنسبه، بل هو أعم منه ومما انقضى عنه المبدأ.

وثانياً: أن ما هو الملا-ك في عدم نييل الظالم الإمامه هو صدور الظلم عنه، فما يمنع شارب الخمر وقاتل النفس المحترمه، والسارق وغيرهم من الظالمين عن التشرف بمقام الإمامه هو شرب الخمر وقتل النفس والسرقه، وإن صدر عنهم في الماضي وتابوا بعده، وليس المراد أن الشارب حال تلبسه بشرب الخمر، والزانى في حال تلبسه بالزنا، والسارق في حال تلبسه بالسرقه، وعابد الأصنام في حال تلبسه بعباده الأصنام وعدم توبته عن هذه الأفعال غير صالح لهذا المقام، أمّا بعد هذا الحال ولو بساعه ولحظه وبعد التوبه لاتقدح هذه المعاصى في صلاحيته، وهذا واضح يُعرّف بأدنى تأمل.

إن قلت: فما هو معنى قوله صلى الله عليه وآله: «الإسلام يجب ما كان قبله»^(١)، و «التوبه تجب ما قبلها»^(٢)، وقوله صلى الله عليه وآله: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(٣).٥.

ص: ١٩٠

١- بحار الأنوار: ج ٦ ص ٢٢.

٢- مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٢٩، عن عوالى اللآلى.

٣- الكافى ج ٢ ص ٤٣٥.

قلتُ: لا ريب في ذلك، ولكن قد بينّا لك أنّ الشرع إنّما يحكم تأسيساً، وهو المرجع الأول فيما لاحكم فيه للعقل، ففي دائره الأحكام والتكاليف الشرعيه - وضعيه كانت أو تكليفيه - الإسلام يجب ما قبله، ويذهب بالآثار الشرعيه المترتبه على الأفعال التي ارتكبتها الشخص قبل إسلامه على التفصيل المذكور في الفقه، أمّا الآثار الوضعيه الحقيقيه فليست بتشريعيه، ولا تنالها يد الإنشاء والاعتبار، فليست قابله للمحو بالإسلام والتوبه.

فتنفر الطباع عمّن ارتكب قبائح الأعمال والشُرور وعبد الأصنام قبل إسلامه وتوبته لا يزول بهما، وكذا عدم الاعتماد على الكذابين والخائنين وأهل الفجور والشر والفساد أمر طبيعي لا يمكن رفعه بالإنشاء، ومصلحه النبوات وتربيته العباد، وسياسه امورهم تقتضى أن يكون النبي والإمام من غيرهم.

وكم فرق بين من لم يكفر بالله طرفه عين، وكان له في سالف عمره سوابق حسنه، وكانت حياته مضيئه بالخيرات مشرقه بالصلح والسلم والكرامه الإنسانيه والرشد والفلاح ومنع الظلم ورحمه الأيتام والضعفاء والمستضعفين، وبين من مضى برهه من عمره في عباده الأصنام وارتكاب القبائح حتى وأد البنات بقساوه شديده قلّمَا يرى مثلها في تاريخ الإنسان (١).

ص: ١٩١

١- وهذا عمر بن الخطاب قد دفن فيما روى ستّاً من بناته في الجاهليه، وإن كان ليحفر لإحداهنّ الحفره يريد أن يثدها فيها فيتخلّله غبار الحفر فتنفض البنت عن أبيها غبارها، وتمشّط لحيته بأصابعها حناناً ورقه فلا يلين ذلك من قلبه شيئاً، حتى إذا انتهى زجها في قبرها وأهال التراب بين بكائها وعويلها واستنجاها به: يا أبتاه! (الأستاذ محمد سعيد الأفغاني - مجله حضاره الإسلام، طبع دمشق، العدد ٢، ص ٢١، س ٢٢).

وثالثاً: عدم نيلِ الظالم عهدَ الله تعالى في حال ظلمه، سيّما إذا كان ظلمه عباده الأصنام وارتكاب الفجور، والظلم للعباد بالاستعلاء عليهم واستضعافهم واضح لا يحتاج توهمه إلى دافع، سيّما إذا كان السائل نبياً جليلاً كإبراهيم الخليل الذي بلغ في معرفه الله تعالى الغايه القصوى، ودفع توهمه خلاف البلاغه، فإذن ليس المراد منه إلّا مطلق من صدر عنه الظلم، بل خصوص من صدر عنه الظلم في الماضى، أو يعلم الله بصدوره عنه في المستقبل، وأمّا المتلبس بالظلم، فعدم أهليّته معلوم بالضروره لاجاه إلى التنبيه عليه.

نعم، هذه الآيه لاتدلّ على أزيد من عصمتهم عن المعاصى.

ومن هذه الآيات قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ] (١).

وهذه الآيه دلّت على وجوب إطاعه الرسول، وأولى الأمر فى كلّ ما يأمر به وينهى عنه، ولو لم يكونوا معصومين لزم الأمر بإطاعه غير المعصوم، والأمر بإطاعته قبيح؛ لكونه معرّضاً للأمر بالقبيح والنهى عن الحسن.

ومنها قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] (٢).

فإنه يدلّ على وجوب الكون مع الصادقين، والكون معهم عباره عن متابعه أقوالهم والافتداء بأفعالهم، والتزام سيرتهم وعدم مفارقتهم، فيجب أولاً عدم خلو الزمان منهم، وثانياً كونهم معصومين عن المعاصى والخطأ والسهو، بل ٩.

ص: ١٩٢

١- النساء: الآيه ٥٩.

٢- التوبه: الآيه ١١٩.

وترك الأولى، وقد روى من طرق الشيعة وأهل السنّة أنّ الصادقين هم أئمة أهل البيت عليهم السلام(١).

وللفخر الرازي في تفسيره الكبير كلام حول تفسير هذه الآية يؤيد بالإنفصاح مذهب الشيعة الإمامية، وكلامه في غايه التحقيق، ولاعبره بما قال في ذيل كلامه من الجواب عمّا تفتنّ به فإنه في غايه الضعف، ويستبعد خفاء ضعفه عن مثله، فلعلّه إنّما قاله خوفاً من النواصب الذين يرون إنكار فضائل أهل بيت النبي عليهم السلام وبغضهم من علائم كون الشخص من أهل السنّة، مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال:

«لا يحب علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن»(٢).

وقال على عليه السلام: عهد إليّ النبي صلى الله عليه وآله: أنّه «لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»(٣).

ومن الآيات الداله على عصمتهم: قوله تعالى حكاية عن إبليس: [فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ] (٤). ٣.

ص: ١٩٣

١- يراجع في ذلك شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ١ ص ٢٥٩-٢٦٢، والدرّ المنتور للسيوطي: ج ٣ ص ٩٠، وخصائص الوحي المبين لابن بطريق: الفصل الثالث والعشرون، ص ١٣٦، وغيرها من كتب أعلام الشيعة وأهل السنّة، ولابن بطريق هنا استدلال على أنّ الإيمان والتقوى لا ينفعان إلّا بعد الكون مع أمير المؤمنين على عليه السلام.

٢- أخرجه الترمذي وأحمد، فراجع.

٣- راجع مسند أحمد: ج ١ ص ٨٤ و ٩٥ و ١٢٨، وغيره من الجوامع مثل: سنن النسائي، وابن ماجه، والترمذي.

٤- ص: الآية ٨٣.

وقوله تعالى: [إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ] (١).

وقوله سبحانه: [أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] (٢)، وقوله عز وجل: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ] (٣). وقوله عز من قائل [إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] (٤) وغيرها مما يطول بنا المقام بذكرها وبيان الاستدلال بها.

إن قلت: إذا كان الأمر بإطاعه غير المعصوم قبيحاً لا يصدر عن الحكيم كما ذكرتم في بيان الاستدلال بقوله تعالى: [أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] (٥) فما تقولون في امراء السرايا، وحكام البلاد، والمفتى والقاضى، مع أن الأمة اتفقت على وجوب إطاعتهم وعدم عصمتهم؟

قلت: أولاً: إنهم وإن كانوا ممن تجب طاعته فيما علم بعدم خطئهم، وفيما لا طريق إلى العلم بخطئهم، إلّا أنه لو علم بخطئهم لم تجب إطاعتهم؛ لأنه «لاطاعه لمخلوق في معصية الخالق» (٦) وليس أمر امراء السرايا وحكام البلاد بحيث لا يمكن تخلّفه عن الواقع وفرض الخطأ فيه، كما هو الأمر في أمر النبي والإمام وحكهما، لأنه لا يتخلّف عن الواقع، ودليل على الشرع، والشرع ١.

ص: ١٩٤

١- الحجر: الآية ٤٢؛ الإسراء: الآية ٦٥.

٢- يونس: الآية ٣٥.

٣- آل عمران: الآية ٣١.

٤- الأحزاب: الآية ٣٣.

٥- النساء: الآية ٥٩.

٦- من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨١.

يعرف به كما يعرف بغيره من مصادر التشريع.

وثانياً: إنّ النبي والإمام إذا أخطأ ليس من ورائهما نبي أو إمام يتبّه على خطئهما، بخلاف امرء السرايا والحكّام فإنّ النبي والإمام من ورائهم يحفظان الشريعة من التحريف والتغيير، ويتبّهان على خطأ امرء السرايا والعمال.

وثالثاً: نقول: إمّا أن نقول بوجوب إطاعه الإمام في جميع الأوقات، أو يخصّص عمومه ببعض الأوقات، لاسيّب إلى الثاني، فإنّ الأئمّه اتّفقت على وجوب إطاعته مطلقاً وفي جميع الأوقات، وعلى هذا لو فرض كون الإمام غير المعصوم يمكن أن يقع في الخطأ في وقت ما، ويأمر على خلاف ما أمر به النبي فحينئذ: إمّا أن تجب إطاعته ومخالفه النبي، وهذا باطل قطعاً، وإمّا أن تجب إطاعه النبي ومخالفه الإمام، وهو مخالف لوجوب إطاعه كلّ واحدٍ منهما؛ لأنّ الله ساوى بينهما في الأمر بإطاعتهما، وإمّا أن تجب إطاعه كلّ واحدٍ منهما وهو محال وتكليف بما لا يطاق، فلا يبقى إلّا الأمر الرابع وهو عصمه الإمام كالنبي، وعدم وقوع المخالفه بينهما.

وعلى هذا فنقول: فرق واضح بين إطاعه الإمام وإطاعه امرء السرايا والحكّام، فإنّ الله لم يساو بين إطاعتهم وإطاعه الإمام والنبي، وإنّما وجبت إطاعتهم بأمر النبي أو الإمام بتعيينهما إيّاهم لهذه المناصب؛ ولذا يجب أن يكون الإمام كالنبي معصوماً دون غيرهما من امرء السرايا والحكّام.

هذا بعض الأدله التي اقيمت على عصمه الأنبياء والأئمّه عليهم السلام من القرآن المجيد المصدر الأول للتشريع الإسلامي بتقرير منّا.

وهنا أيضاً أدله كثيره من السنّه التي هي المصدر الثاني للتشريع، نشير إلى طائفه منها:

فمنها: الأحاديث المتواتره المشهوره بين الفريقين بأحاديث الثقلين (١) وهذه الأحاديث على كثرتها وتواترها، وكثره مُخرِجِها ورواتها من الصحابه قد دلت على عدم خلوّ الزمان من إمام معصوم عن الذنب والسهو والخطأ، وحصر طريق الأمن من الضلال والاختلاف بالتمسك بالكتاب والعترة الهاديه المعصومه.

ومنها: أحاديث السفينه (٢)، الداله على أنّ «مثل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله كسفينه نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق».

وهذه الأحاديث أيضاً دلت على وجود إمام معصوم من أهل البيت في جميع الأعصار.

ص: ١٩٦

١- منها: ما أخرجه عبد بن حميد في مسنده، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إني تارك فيكم ما إن تمسيتم به لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». إحياء الميت بفضائل أهل البيت: ج ٧. ومنها: ما أخرجه أحمد في مسنده: ج ٣ ص ١٧: «إني اوشك أن ادعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّوجلّ، وعترتي، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروني بيم تخلفوني فيهما».

٢- أخرج هذه الأحاديث من أعلام العامه ما يربو على المائه عن جمع من الصحابه وألفاظها في بعض طرقها هكذا: «مثل أهل بيتي مثل سفينه نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق».

ومنها: أحاديث الأمان،(1) وهذه الأحاديث أيضاً دلت على عدم خلوّ الزمان من معصوم من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله يكون وجوده أماناً لأهل الأرض، والتمسك به أماناً من الضلاله والاختلاف.

وقد أشبعنا الكلام حول هذه الأحاديث «أحاديث الثقلين»، و «أحاديث السفينه»، و «أحاديث الأمان» وإسنادها ومتونها ودلالاتها في كتابنا «أمان الأمة من الضلال والاختلاف».

ولا يخفى عليك أنّ الأحاديث في عصمه النبي والإمام كثيره جداً، والأحاديث المذكوره وإن لم تدلّ على عصمه النبي إلّا أنّها بعد الدلاله على عصمه الإمام تدلّ على عصمه النبي بالطريق الأولى، وإنّما استشهدنا بهذه الأحاديث لتواترها وشهرتها بين الفريقين، ومن أراد أكثر من ذلك فليراجع الموسوعات والجوامع، كالكافي والبحار.

وقد ثبت بالأدله العقلية والنقلية عصمه النبي والإمام عن جميع المعاصي عمداً وخطأً وسهواً، وعن السهو والنسيان فيما يؤول إلى تبليغ أحكام الله تعالى، وشؤون رساله والإمامه، وأمّا العصمه عن الخطأ والنسيان والسهو في الأمور العادية وترك الأولى لغير نبينا والأئمه عليهم السلام من الأنبياء الماضين فغير ثابتة، بل ربما يستظهر من بعض الآيات والأحاديث صدور هذه الأمور من بعضهم، وهذا وإن كان قابلاً للتأويل إلّا أنّّه ليس في البحث عنه كثير فائده؛ لأنّ مثل ذلك غير».

ص: ١٩٧

١- ولفظها في بعض طرقها هكذا: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف...».

مضّر بشؤون رسالاتهم ومقاماتهم العليه الثابته، وليس من الأمور الاعتقاديّه التي تجب معرفتها، فيكفينا الاعتقاد في ذلك إن قيل بوجوب الاعتقاد فيه بما هو الواقع.

نعم، لمّا قلنا: إنّ العصمه هي أعلى مراتب حضور العبد عند مولاه، ونورانيه نفسانيه ملكوتيّه تذهب بكل الظلام، وتشرق كلّ وجود صاحبها فلا- شكّ أنّ لهذه النورانيه مراتب ودرجاتٍ أعلاها ما حصل لنبيّنا والأئمّه عليهم السلام، وأدناها ما يصون الشخص عن المعاصي عمدًا وسهواً، وعن الاشتباه والسهو والنسيان في أمر الرساله وشؤونها، فعلى هذا يمكن أن يوجد في عظماء الأنبياء نورانيه وعنايه ربانيه دائمه تصرفهم عن ترك الأولى، وتدفع عن قلبهم غطاء السهو و حجاب النسيان.

وأما بالنسبه إلى نبيّنا محمدٍ صلى الله عليه وآله وأوصيائه وخلفائه الاثنى عشر عليهم السلام فحيث إنّهم في أعلى مراتب القوه القدسيه والنورانيه الربانيه، ولا تفوق رتبتهم في الحضور عند المولى والجلوس على بساط قربه وأنسه رتبه، فعدم صدور ترك الأولى عنهم كعدم صدور المعاصي في نهايه الوضوح، يظهر ذلك لكلّ من درس تاريخ حياتهم النوريه وأخلاقهم الإلهيه، وأدعيتهم ومناجاتهم، وخشيتهم من الله تعالى، وإنابتهم إليه وانقطاعهم عن الخلق.

فهم أكمل المظاهر لإخلاص العبد وترك الاشتغال بغير الله تعالى، لا يصدر عن إلعن أمره، كلّ أفعالهم محموده مرضيه، وكلّ حالاتهم حميده شريفه، لا-تؤثر فيهم الدواعي إلّاداعي الله، فكمال إخلاصهم يمنعهم عن الاعتناء بغير داعي الله تعالى، وعن الاشتغال بغير ذكره وامثال أوامره ونواهيّه، قد

خرقت أبصار قلوبهم حجب النور فوصلت إلى معدن العظمه، وصارت أرواحهم معلقه بعزّ قدسه، جباههم ساجده لعظمته، وعيونهم ساهره فى خدمته، ودموعهم سائله من خشيته، وقلوبهم متعلقه بمحبّته، وأفئدتهم منخلعه من مهابتته، انقطعت همّتهم إليه، وانصرفت رغبتهم نحوه، لقاءه قره أعينهم، وقربه غايه سؤلهم. إذن فكيف يصدر ترك الأولي ممن بعض شؤونه وحالاته ما سمعت؟! رزقنا الله تعالى محبتهم وولايتهم وشفاعتهم، وحشرنا فى زمرتهم.

ولا- يخفى عليك أنّ ترك الأولي ليس معناه ترك المستحبّ أو فعل المكروه فحسب، بل ربّما يكون بترك المستحب أو فعل المكروه، وربّما يكون بفعل المستحب وترك المكروه، والنبى والإمام أعلم بموارد ترك الأولي، فلا يجوز نسبه ترك الأولي إلى النبى والولى، بل إلى غيرهما من الفقهاء العارفين بأحكام الله تعالى، وموارد تزامم المستحبات والمكروهات، بعضها من بعض، بمجرد ترك المستحب أو فعل المكروه، بل يمكن الاستدلال بفعالها على عدم كون هذا الفعل أو الترك مستحباً أو مكروهاً بقول مطلق، وإلاّ لما كان يصدر عنهم.

ثم إنّه قد بقى مطلب آخر، وهو: النظر فى الآيات والأحاديث الذى تُؤهّم منه عدم عصمه الأنبياء، ولئلاّ يطول بنا المقام نحيل الباحثين إلى التفاسير المأثوره عن أهل بيت النبوه أعدل القرآن الكريم، وكتاب «تنزيه الأنبياء» و«الشافى» وتلخيصه، و«اللوامع الإلهيه»، و«بحار الأنوار» وغيرها من كتب الكلام والحديث، ومجمل القول فى الآيات: إنّها غير ظاهره فى عدم عصمه الأنبياء، ولو سلّم ظهور لبعضها يجب تأويله وحمله على المجاز، لدلاله هذه القرائن العقلية على عدم إرادته ظاهرها.

وأما الأحاديث فأكثرها من الإسرائيليات، ومخرّجه في كتب العامه، فهي إمّا موضوعه لاسند لها ولا أصل، كخبر الغرانيق والإسرائيليات التي اخذت من اليهود، مثل كعب الأحبار ووهب بن متبه في قصص الأمم الماضيه وأنبيائهم، تجد فيها من الخرافات والأعاجيب ما تضحك له الثكلى. وإما ضعيفه السند لايعتمد عليها، سيما في اصول الدين، ومعارضه بأحاديث اخرى صحيحه معتضده بحكم العقل.

وبالجملة: فلا تجد في الأخبار ما يصحّ التعويل عليه، والركون إليه في نفى العصمه للأنبياء صلوات الله على نبينا وآله وعليهم أجمعين، والله الهادى إلى الصواب.

ص: ٢٠٠

المبحث الثاني: في علم الإمام عليه السلام

وإليك سؤال السائل العزيز بلفظه:

هل يزداد علم الإمام المعصوم عليه السلام مع الأيام؟ وهل أنّ علمه عليه السلام بعد تولّيه الإمامه يختلف عنه قبل ذلك؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكننا والحاله هذه الحكم بأفضليه الإمام على عليه السلام على الإمام الجواد عليه السلام الذي تولّى الإمامه وهو ابن تسع سنين؟

الجواب: قد عقد شيخ المحدثين ثقه الإسلام الكليني رضى الله عنه فى كتاب الحجّه من الجامع الكافى أبواباً فى علومهم، منها: «باب: لولا أنّ الأئمه عليهم السلام يزدادون لنفد ما عندهم».

وإبداء الرأى فى هذه الأبواب لو لم نقل بكون بعضها من متشابهات كلامهم

ص: ٢٠١

وأسرارهم عليهم السلام موقوف على ملاحظه جميعها، وما فيها من الأحاديث، وردّ مجملها على مفصّلها، وظاهرها على صريحها، وملاحظه أسنادها، ثم شرحها وتفسيرها بما لا يخالف اصول المذهب، كأفضليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من سائر الأئمه عليهم السلام، وأفضليه رسول الله صلى الله عليه وآله من الجميع.

فلو فرض وجود حديث معتبر يدلّ بلازمه الخفيّ مثلاً على أفضليه بعض الأئمه عليهم السلام من أمير المؤمنين عليه السلام لا يحتجّ به؛ لأنّ المعلوم من ضروره المذهب، وما يعرفه الخاصّ والعامّ من مذهب أهل البيت عليهم السلام، اتّفاقهم على أفضليه أمير المؤمنين من غيره من الأئمه عليهم السلام.

فمثل هذا اللازم ليس المراد قطعاً، وهذه القرينه القطعيه تكفي في تعيين المراد، وعدم اعتبار مثل هذه اللوازم بل الظواهر.

إذن إذا عرضت هذه الأحاديث على أهل الفن، وعلى من له أنس بأحاديثهم ومعرفة مذاهبهم لا يعتنى بمثل هذه الاحتمالات، كما أنك لا تحتمل إذا سمعت قائلاً يقول: «رأيت أسداً يرمى» أنّ مراده من الأسد هو الحيوان المفترس.

وبعد هذه المقدمه نقول: إنّ ازدياد علم الإمام المعصوم أمر ممكن معقول قد ورد في الأحاديث، ولا شكّ في أنّ الأنبياء والأئمه عليهم السلام وإن علّموا الأسماء كلّها، وأنّ الأئمه عليهم السلام علّموا علم ما كان وما يكون (1) إلّا أنّه لا شكّ في أنّ علم ٢.

ص: ٢٠٢

١- عقد في الكافي باباً بهذا العنوان: «باب أنّ الأئمه عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنّه لا يخفى عليهم شيء» كما عقد باباً بهذا العنوان: «باب أنّ الأئمه عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي اخرجت إلى الملائكه والأنبياء والرسول عليهم السلام»، وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على ما في نهج البلاغه (الخطبه ١٧٥): «والله لو شئت أن اخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله؛ ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصّه ممّن يؤمن ذلك منه، والذي بعثه بالحقّ واصطفاه على الخلق ما أنطق إلّا صدقاً، وقد عهد إليّ بذلك كلّ، وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسى إلّا أفرغه في أذنّي وأفضى به إليّ» وقال عليه السلام (الخطبه ١): «فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالله الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيءٍ فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فتنه تهدى مائه وتضلّ مائه إلّا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحطّ رحالها، ومن يقتل من أهلها ويموت منهم موتاً». نهج البلاغه، شرح محمد عبده: ص ١٨٢.

الجميع عند علم الله ليس إلّا كما قال الله تعالى: [وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا] (١)؛ ولذا خاطب نبيه الذي علّمه ما لم يكن يعلم وقال: [وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا] (٢).

فالإمام كالنبي في حركته الكمالية، وسيره الى الله تعالى لا يقف على حدّ، كما أنّ السير إلى الله تعالى، في عين أنّه في كلّ مرحله من مراحل مرتبه من الوصول ونيل للمقصود، فإنّه لانهايه له، ولا ينتهي إلى حدّ، ففي هذا المسير يسير الإمام دائماً إلى الأمام، ولا يتساوى يومه، بل كلّ يوم من أيامه أفضل من أمسه، وليس ابتداء هذا السير من حين الولادة الجسمانية، بل يبتدئ من حين وجوده النوري، ويستمرّ في العوالم والنشآت التي يسار به قبل هذا العالم، كما أنّ أمدّه لا ينتهي بارتحاله من هذه الدنيا، ولعلّ سائر الناس من الصلحاء في عالم البرزخ ٤.

ص: ٢٠٣

١- الإسراء: الآية ٨٥.

٢- طه: الآية ١١٤.

كان هذا حالهم، لا ينتهي سيرهم الكمالى بالموت العنصرى، بل يمكن أن يكون الموت لهم بحسب صلاحياتهم وقابلياتهم مبدأً لمثل هذا السير، والله أعلم.

والحاصل: أنّ مثل هذا السير لازم لكل سالك إلى الله، ولانهايه له، فهو لا يزال فى حال الرجوع إلى الله تعالى: قال الله سبحانه: [إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] (١)، وقال تعالى: [أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ] (٢). ولو فرض لسلكه وسيره ورجوعه هذا انتهاء فلا دخل لطول حياته العنصرية، وقصرها فيه.

ولا يخفى عليك أنّنا وإن عجزنا عن درك حقيقه هذا الشأن والعلوم التى تفاض على الإمام، إلّا أنّّه لا وجه لاستبعاد مثل هذا الشأن لهم وكم لهم من الشؤون بل ولغيرهم ممّا لاندرك حقيقته؟ ولكن نعرفه بآثاره ونلمسه بعينه.

إذن فلا دخل لتولّى الإمامه وعدمه فى العلم الذى يزداده الإمام حتى يشكل الحكم بأفضليه الإمام على عليه السلام على الإمام الجواد عليه السلام.

نعم، فى العلوم المشار إليها بقوله سبحانه: [وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا] (٣) وفيما هو من مؤهلات الإمامه فإنّ الأئمه عليهم السلام سواء، لا يتفاوت علمهم هذا بعد توليه الإمامه من قبلها، ولا يزدادون فيه بتولّيهم.

وعلى هذا يدفع توهم الإشكال فى أفضليه الإمام على عليه السلام من الإمام الجواد عليه السلام لتولّي الإمامه فى صغر سنّه؛ لعدم ثبوت أفضليته على سائر الأئمه ١.

ص: ٢٠٤

١- البقره: الآيه ١٥٦.

٢- الشورى: الآيه ٥٣.

٣- البقره: ٣١.

بذلك.

ومسأله تولّى أمر الإمامه أمر إدارى منظم يرجع إلى الحكم والإدارة، لانتحصر شؤون الإمامه فيه، والإمام صاحب هذه الشؤون هو قبل تولّيه الإمامه كبعد تولّيه، فمن جمله هذه الشؤون: حجّيه أقواله وأفعاله فى الأحكام الشرعيه، والمعارف الإسلاميه، فهذه ثابتة له مطلقاً، ولادخل لتولّيه الإمامه فى ذلك.

فالإمام الحسن المجتبى عليه السلام إمام وأسوه، وأقواله وأفعاله وسيرته وهُدياه حجّه يجب الأخذ بها، ويحرم ردّها فى حياه أبيه وقبل تولّيه الإمامه وأُمور النظام.

كما أنّ الحسين عليه السلام أيضاً قبل تولّيه الأمور فى عصر أبيه وعصر أخيه كان إماماً، كما نصّ على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١). فهما إمامان حتى فى عصر النبي صلى الله عليه وآله وفى صغر سنّهما.

والإمام على عليه السلام أيضاً كان إماماً وولياً قبل تولّيه الإمامه والولاية فى عصر رساله أيضاً، ولاينافى ذلك كونه مأموراً بإطاعه النبي صلى الله عليه وآله، وكون النبي صلى الله عليه وآله و آله متبوعاً ونبياً وحاكماً عليه، والإمام عليه السلام تابعاً له ومقتدياً به، وواحداً من أمته، ومستضيئاً من أنوار علومه، ومتبوعاً لشريعته، وكون إمامه الإمام وسائر الأئمه عليهم السلام أيضاً جزءاً من شريعته ورسالاته.

ويدلّ على ذلك: الحديث الأول من «باب حالات الأئمه عليهم السلام فى صغر السنّ» من كتاب الحجّه من الكافى، والحديث طويل أخرجه بإسناده عن ١.

ص: ٢٠٥

الكناسى، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام... - إلى أن قال: - فقلت: جعلت فداك، أكان على عليه السلام حجه من الله ورسوله على هذه الأمة فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال:

«نعم يوم أقامه للناس ونصّبه علماً ودعاهم إلى ولايته، وأمرهم بطاعته»، قلت: وكانت طاعه على عليه السلام واجبه على الناس فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته؟ فقال: «نعم، ولكنّه صمت فلم يتكلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت الطاعه لرسول الله صلى الله عليه وآله على امّته وعلى على عليه السلام فى حياه رسول الله، وكانت الطاعه من الله ومن رسوله على الناس كلّهم لعلى عليه السلام بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان على عليه السلام حكيماً عالماً» (١).

ثمّ إنّ لنا كلاماً فى المقام لأبأس بالإشاره إليه، وهو: أنّ أفضليه بعض الناس من بعض، وبعض الأنبياء من بعض، وبعض الأئمه من بعض إنّما تكون بقول مطلق فى الصفات النفسيه والخصائص الذاتيه، والتخلّق بالأخلاق الإلهيه إذا كان المفضل فى كلّ هذه الكمالات أقوى وأفضل من غيره، أمّا فى غيرها من الفضائل فربّما لا يوجد من يكون باعتبار جميع العناوين والأوصاف أفضل من غيره؛ فإنّ الإمام على عليه السلام أفضل من ابنه سبطى نبيّ الرحمه، من جهه: أنّه ابن عم الرسول، وزوج البتول، وأبو السبطين، فليس لهما ابن عمّ كابن عمّ أبيهما، وزوجه كزوجته، وابنين كابنيه، وهما أفضل من الإمام عليه السلام من جهه: أنّ لهما أباً مثل الإمام، وجداً مثل الرسول صلى الله عليه وآله، وأمّاً مثل سيده نساء العالمين، وليس للأمير عليه السلام هذه الفضائل، وجعفر الطيار الشهيد أفضل من أخيه الإمام، من جهه: ٢.

ص: ٢٠٦

أَنَّ لَهُ أَخًا كَالْإِمَامِ، وَلَيْسَ لِلْإِمَامِ أَخٌ كَأَخِ جَعْفَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومسأله تولى الإمام الجواد عليه السلام الإمامه فى صغر السنّ فضيله، وإن شئت قل: أفضليته من هذا القبيل، فالإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام استشهد وابنه الإمام الجواد عليه السلام فى صغر السنّ لابدّ له من تولى الإمامه بعد أبيه، وقيامه مقامه؛ لأنّه وسائر الأئمه عليهم السلام فى مؤهلات تولى الأمر فى حال صغرهم وكبرهم سواء.

ومن هنا يعلم أنّ نبوه عيسى ويحيى فى صغرهما وكونهما صبيّين لا يدلّ على أفضليتهما من غيرهما من الأنبياء؛ لأنّ نبوتهما فى حال الصغر ليس لأنّهما استأهلا لذلك وغيرهما ممّن صار نبياً بعد ما بلغ أشده لم يستأهل لذلك فى حال الصغر، بل ربّما ذلك كان لحكمه ومصلحه اقتضت ذلك فيهما، وتلك فى غيرها، فبقاء النبى فى القوم أربعين سنه، وظهور صدقه وأمانته، ومكارم أخلاقه فى الناس ربّما كان هو المصلحه الموجبه لتأخر بعثه ومأموريته للدعوه إلى الله تعالى، كما ربّما يكون ذلك لحصول الاستعداد اللازم فى الناس لقبول الإسلام، وغير ذلك من المصالح التى لا يعلمها إلّا الله والراسخون فى العلم [اللّه أعلم حيث يجعل رسالته] (١). ٤.

ص: ٢٠٧

١- الأنعام: الآية ١٢٤.

المبحث الثالث: فى اختلاف مستويات الأئمة عليهم السلام فى الإيمان والعلم والأخلاق

قال السائل المحترم زاد الله فى سداده ورشاده: كيف يمكننا درء الشبهه القائله باختلاف مستويات الأئمة عليهم السلام إيماناً وعلماً وخُلُقاً؟ وذلك باعتبار ما يرويه لنا التاريخ من سيرهم.

أقول: إن كان المراد من المستويات: مقومات الأهليه للإمامه، وتولّى الزعامه والقياده فكل واحد منهم عليهم السلام واجد لتلك المرتبه، وإن كان المراد اختلاف مستوياتهم فى الزائد على هذه المرتبه فالذى دلّ عليه الدليل هو أفضليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من سائر الأئمة ومن أنبياء السلف على نبينا وآله وعليهم السلام.

ويستفاد من بعض الأحاديث أنّ مولانا المهدي عليه السلام - وهو تاسع الأئمة من

ذريه الحسين عليه السلام - أفضل التسعه عليهم السلام كما أنّ الأحاديث الكثيره دلت على أنّه عليه السلام يؤمّ عيسى بن مريم وعيسى يقتدى به صريحه في أفضلّيته من عيسى على نبينا وآله وعليه السلام.

وإن كان المراد: أنّ سيرهم التاريخيه دلت على اختلاف مستوياتهم فنقول:

أولاً: إنّ سيرهم التاريخيه إنّما دلت على علوّ مستوى أرباب هذه السيره، ولم نجد فيها ما يدلّ على اختلاف مستوياتهم، ومجرد عدم حفظ التاريخ سيره بعضهم، وما صدر عنه من العلوم لا يدلّ على أنّ مستوى غيره ممّن حفظ عنه التاريخ ذلك كان أرفع وأعلى منه، لاسيّما مع ما نعلم بأنّ السبب الوحيد في عدم حفظ ما صدر عن بعض الأئمه عليهم السلام مثل الإمامين السبطين عليهما السلام إلّا النزر اليسير، هو السياسات الغاشمه الجباره الحاكمه على المسلمين.

وإن شئت أن تعرف أفاعيل السياسه في ذلك، والخسارات العلميه التي منيت بها هذه الأئمه من أرباب هذه السياسات، التي حرمت الناس حرياتهم في أخذ العلوم الإسلاميه من منابعها الأصليه ومصادرنا الأوليه راجع كتب التاريخ، وكتاب «النصائح الكافيه»، وكتابنا «أمان الأئمه».

نعم، مرّت على هذه الأئمه أزمنه كان أخذ العلم عن أهل البيت عليهم السلام وروايته من أعظم الجرائم السياسيه، يُعذّب مُحِبُّوهم وشيعتهم شرّاً تعذيب، ويُنكّل بهم أشدّ التنكيل، يُقَطِّعون أيديهم وأستهم، ويقتلونهم شرّاً قتله، ويسبّون بطل الإسلام ونفس الرسول وباب علمه وخليفته ووصيّته على المنابر، التي لم تقم في

الإسلام إلبمجاهداته وتضحياته وبطولاته.

ففى هذه الظروف والأحوال لم تسمح الفرص لبعض الأئمة عليه السلام القيام ببث العلم كما سمحت للبعض الآخر مثل الإمام الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما السلام، ومع ذلك فما فى أيدينا منهم يكفى فى الدلالة على علومهم اللدنيّة، وأنّ مستوى كلّ واحد منهم فى الإيمان والعلم والأخلاق أعلى المستويات، وأنّهم خزّان العلم، ومعادن الإيمان، وينابيع الحكم، وكنوز الرحمن، إليهم يفىء الغالى، وبهم يلحق التالى، وعلم كلّ واحد منهم علم الجميع.

فهذا الإمام جعفر الصادق عليه السلام قد أخذ العلم منه جماعه يربو عددهم على أربعة آلاف رجل، حتّى أنّ الحافظ الشهير ابن عقده (المتوفى سنة ٣٣٣ هـ) صنّف كتاباً فى أسماء الرجال الذين رووا عنه أربعة آلاف رجل، وأخرج لكلّ رجل حديثاً وعلماً رواه عن الصادق عليه السلام، وله أيضاً كتاب من روى عن أمير المؤمنين، وكتاب من روى عن الحسن والحسين عليهما السلام، وكتاب من روى عن على بن الحسين عليه السلام، وكتاب من روى عن أبى جعفر محمد بن على عليه السلام، وهو الذى قال فى مجلس مناظره له:

إنّه يجيب بثلاثمائة ألف حديث من أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

ومن سبر غور كتب الحديث، وأصول الشيعه، وكتب التراجم والرجال، وما بقى ممّا صدر عنهم فى الأجواء المملوءه بالاضطهاد والضغط والقمع، فى جميع حاجات الإنسان المعنويه والماديه يعرف أنّ مستواهم فى جميع الكمالات أعلى وأنبل من أن يُقاس إليهم أحد من الناس، جعلنا الله تعالى من

شيعتهم، ووقفنا لمتابعتهم، والافتداء بهم، والمنتظرين لفرج قائمهم، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

لطف الله الصافي الكلپايگانی

ليه السابع عشر من رجب المرجب سنه ١٤٠٣ هـ. ق.

ص: ٢١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ رساله «إيران تسمع فتجيب» ردّ على مزاعم كاتب وهّابيّ مغرض، كان هذا الكاتب الذي يدعى «أبو الحسن ندوى هندی» قد زار إيران في عهد حكومه الطاغوت على رأس وفد من عربستان، حيث اجتمع المذكور بعدد من الطاغوتيين وبشخصيات علميّه ودينيّه، كما زار بعضاً من المساجد والمدارس التي ارتأى له رجال الأمن زيارتها. وعندما رجع ندوى هذا إلى بلاده، كتب رساله تحت عنوان «إسمعى يا إيران» راح فيها يأخذ بعض المآخذ غير الصحيحه ويورد الاتّهامات الفاسده على الشعب المسلم في إيران.

وكتاب «إيران تسمع فتجيب» ردّ على التساؤلات والاعتراضات التي يشير إليها هذا الوهّابى، ممّا يكشف بوضوح سياسه الوهّابيين الاستعماريه، وجواب عالم الإسلام عليها.

إنّ من المسائل المؤسفه التي يذكرها هذا الكاتب الوهّابى هو: لماذا يجهل

ص: ٢١٥

الناس فى إيران موضع قبر طاغوت كبير مثل هارون الرشيد بحيث أنّ أحداً لم يستطع أن يدلّنا عليه.

إنّنا بإعادة نشر هذه الرسالة نستهدف القضاء على جذور أمثال هذه الاعتراضات والافتراءات التي لا تستند إلّاعلى التعرّض وسوء التيه.

ص: ٢١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل صلواته وأزكى تحياته على خير خلقه، محمدٍ وعترته الأطهار، ما تعاقب الليل والنهار.

وبعد، فقد قال عزّ من قائل في محكم كتابه الكريم ومبرم خطابه العظيم:

[وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا] (١)، و [إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] (٢).

لا ريب أنّ الشعوب الإسلاميه بحاجه ملحه إلى استعاده شخصيتها الإسلاميه، وتنميه الإحساس بالإسلام، وبتوجيهاته السياسيه والاجتماعيه والتربويه والاقتصاديه، وإلى أن تقف موقفاً حاسماً أمام التيارات المدمره الملحده الوافده من خارج العالم الإسلامي؛ كي لا يجد المستعمر مجالاً لزرع ٧.

ص: ٢١٧

١- آل عمران: الآية ١٠٣.

٢- محمّد صلى الله عليه و آله: الآية ٧.

الأفكار الإلحاديه الهدّامه كالصهيونيه والشيوعيه.

فالمسلمون يواجهون في عقر دورهم، وفي بلادهم، وفي نواديهم ومجتمعاتهم وجامعاتهم وشوارعهم وأسواقهم ومجملاتهم وجرائدهم جاهليات كثيره: جاهليه العصر الحاضر، جاهليه القرن، جاهليه الشرق، جاهليه الغرب، جاهليه الرأسماليه والإمبرياليه، جاهليه الشيوعيه والماركسيه...، وجاهليات هي ليست أقلّ خطراً من الجاهليه الأولى إن لم تكن أخطر.

فحاضر المسلمين في مظاهرهم وظواهرهم، وفي ملابسهم، وفي مطبوعاتهم، وفي إذاعاتهم، وفي أفلام سينماتهم يدلّ على أنّهم أصبحوا بعيدين كلّ البعد عن الإسلام شكلاً ومضموناً.

أمّا شكلاً فيلاحظ ذلك في عاداتهم، وآدابهم، وأزيائهم، ومخالطاتهم، ومعاشراتهم.

وأمّا مضموناً فيلاحظ ذلك في قوانينهم وبرامجهم وأنظمتهم؛ إذ أنّ أكثر الجماعات الإسلاميه اتخذت العلمانيه مبدأً رسمياً وعملياً لها، فمن لم يتّخذها رسمياً اتخذها عملياً، فبنذوا الإسلام وأصوله ومبانيه وتعاليمه الساميه، وعزلوه عن إداره المجتمع، وأصبح المثل الأعلى للمسلمين والهّم الأكبر لهم رجالاً ونساءً، هو مسيره ركب الحضاره الغربيه أو الشرقيه ومتابعتها...، وأكثر ما يتجلّى ذلك في نداءات الكثير من قادتهم ومثقفهم وكتّابهم بضروره الأخذ بتلك الحضارات المليئه بالمضارّ والمفاسد والشرور واتّباعها.

ومن المحزن والمخزى أنّ العامه من الناس تستجيب لهذه النداءات

المغريه، والدعوات الخُلمابه، وهى لا- تعلم خلفياتها وحقيقتها وما تنطوى عليه، معتقده بكلّ صدق وإخلاص وبراءه أنّ هؤلاء الجهله المأجورين يعالجون أدواءهم، فأصبحت لذلك مناهج الترييه والتعليم، ووسائل الثقافه والإعلام، متأثره بهذا الدواء (السِّيم المعسول).

وبذلك تحققت امنيّه أعداء الدين الإسلامى والأُمّه الإسلاميه، حيث كتب أحد المبشّرين (لقد قضينا على برامج التعليم فى الأفكار الإسلاميه منذ خمسين عاماً، فأخرجنا منها القرآن وتاريخ الإسلام، ومن ثمّ أخرجنا الشُّبّان المسلمين من الوسائط التى تخلق فيهم العقيدّه الوطنيه والإخلاص والرجوله والدفاع عن الحقّ. والواقع أنّ القضاء على الإسلام فى مدارس المسلمين هو أكبر واسطه للتبشير، وقد جئنا بأعظم الثمرات المرجوّه منه)(1).

ففى سبيل إجهاض تلك الحملات الإلحاديّه الهدّامه - التى إن لم تهّدّد كيان الإسلام عقيدته ونظاماً، فإنها تهدد كيان الفرد المسلم - يتحتّم على كلّ مسلم أن يضطلع بالمسؤوليه الكبرى الملقاه على عاتقه، والتى لايرضى الله تعالى بالاستخفاف والاستهان به.

وإذا لم تُجابّه أساليب الاستعمار لدفعها عن وطننا الإسلامى وإبعادها عن أراضينا، ومحو آثارها من اقتصادياتنا، وتعطيل انعكاساتها على حكوماتنا ومدارسنا وكلياتنا وجامعاتنا ومعاهدنا العلميه الأخرى فلايمكننا بأيّ شكل أو سبيل بناء صرح إسلامى جديد. ٥.

ص: ٢١٩

لذلك فإننا نقول: إن حجر الأساس في تحقيق هذه الأهداف هو التمسك بحبل الله، والاعتصام به وبأحكامه وشرعه ومنهاجه القويم، والعمل لتحكيم النظام الإسلامى فى جميع نواحي حياتنا الماديه والمعنويه، واجتماع المسلمين على صعيد واحد، تحت لواء واحد، وفى وطن واحد، وفى ظل سلطان الله وسلطان حكمه، وتطبيق الكتاب والسنة، فى جميع المظاهر والظواهر.

وهذا يتطلب تيقظاً أكثر، ووعياً أوفر، واتحاداً أوثق، واتفاقاً أضمن، ومجالاً أوسع، وأفراداً صلحاء أنور ضميراً، وأوضح تفكيراً.

ونكاد لانجد مسلماً - شيعياً أو سنياً - لا يرى ضروره اتحاد الكلمه وتحقيق الوحده الإسلاميه، وحده تشمل الجماهير المتفرقه، والجماعات المتفرقه فى ظل حكومات مسماه بأسماء ليست من الإسلام فى شىء، وحده تعم جميع الفرق والمذاهب، ليعيشوا فى ظلها إخواناً يشد بعضهم أزر بعض، ويكونوا كالجسد الواحد، إذا شكا منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

مَعَوَّاتٌ وَحَدَهُ الْكَلِمَةُ:

كان المانع من تحقيق هذا الهدف المقدس إلى الآن هو الاستعمار الحربى والعسكرى، أو الاقتصادى أو الثقافى ومن ثم حب الدنيا والمال والجاه، وعدم تقييد أغلب الرؤساء والأمراء والملوك والحكام بنظم الإسلام، وعدم مراعاتهم لمصالحه. وبذلك فرّقوا المسلمين وجعلوهم شيعاً، واختلقوا فى كل قطر وبلد

حكومه، إن لم نقل: إنها استست في الأصل لمصلحه الاستعمار، فبالإمكان القول: إنها استست على قاعده تجعل لكلّ حكومه سياسه خاصه وأهدافاً مستقله، لا ينتفع بها الإسلام والمسلمون، اللهم سوى الطغمه الحاكمه في تلك المنطقه. والاستعمار بعد ذلك هو المستفيد الوحيد من هذه التفرقه تمام الفائده، بل إنه يرى بقاءه في وطننا الإسلامى الكبير منوطاً بهذه التفرقه، مع أنّ الإسلام يؤكّد على ضروره أن يكون لجميع المسلمين، بل لجميع أبناء البشر سياسه موحدّه وحكومه واحده تحفظ جميع سكان الأرض، شرقها وغربها، إذ يقول الله تعالى: [إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ] (١).

وهناك مانع آخر كان له فيما مضى أثر كبير في ضعف المسلمين وتفریق كلمتهم، حتى وصل بهم الأمر، إلى رمى بعضهم البعض بالكفر والشرك، ألا وهو النفاق واللجاج والعناد والتعصّب الأعمى والقبلية!

فالباحث في التاريخ الإسلامى يقرأ الكثير عن الحروب الداميه والغزوات المدمّره، التى راح ضحيتها جماعات من المسلمين، إثر البحوث الكلاميه بين الأشاعره والمعتزله، والخلافات الشديده بين معتنقى المذاهب الأربعة، والعصبيات التى قضت على حريه التفكير الشيعى، وحالت دون أخذ التفسير والفقّه وسائر العلوم الإسلاميه عن أئمه أهل البيت عليهم الصلاه والسلام. ٢.

ص: ٢٢١

١- الأنبياء: الآيه ٩٢.

ولكن هذا المانع أصبح ضعيفاً في عصرنا هذا بفضل المصلحين، وانبثق فجر جديد في تاريخ المسلمين، لا يفكر فيه المسلم - الشيعي أو السنّي - بكيفيه الوقوف بوجه أخيه، بل أصبح على العكس من ذلك، يفكر بكيفيه القيام إلى جنبه أو وراءه؛ لعونه ونصرته ومؤازرته.

فالعالم الإسلامي قد تحرك وانتفض وانتبه واستيقظ من رقدته، وأخذ يسير في طريق انتشال حقه وانتزاعه. فهذه النهضات الإسلاميه في جميع البلاد قد أعييت السلطات التي ابتدعت وأوجدت لحفظ منافع الأعداء ومصالحهم، والقضاء على المناهج الإسلاميه الساميه، والبرامج الدينيه الرفيعه، وكذلك الحركات التي تطالب بالرجوع إلى أحكام الإسلام ابتدأت تقطف ثمار النصر والنجاح، ففي تركيا - مثلاً - تشكلت وزاره ائتلافيه بمتتهى الغرابه من حزب الشعب الجمهورى ذى الميول العلمانيه، ومن حزب الإنقاذ الوطنى ذى الاتجاهات الدينيه المحافظه والذى يتزعمه نجم الدين أربكان، ويدعو أربكان إلى مكافحه الميوعه ومحاربه تردى الأخلاق، كما يبدو فى أحاديثه وتصريحاته حنين إلى الإمبراطوريه العثمانيه، وقد وافق أجاويد زعيم حزب الشعب على امور طالبه بها شريكه فى الحكم، منها إعادة فتح المدارس الثانويه، وتدريس الأخلاق فى الكليات، وغير ذلك (1).

ص: ٢٢٢

بعد هذا العرض للمشاكل الإسلاميه المعاصره يطرح السؤال التالي نفسه:

ما هو واجب العلماء والمصلحين فى هذه الأدوار؟ وما الذى يجب عليهم أن يقوموا به لبناء المجتمع الإسلامى الصحيح؟

والإجابة على هذا تنحصر فى النقاط التاليه:

١ - يجب على العلماء والقاده تشجيع الجماهير الإسلاميه، ولاسيما الشباب منهم على الاتجاهات الدينيه، والتمسك بالآداب والسنن الإسلاميه، ورفض العادات الأجنبيه، وتحذيرهم من مكائد الاستعمار وشراك الإلحاد الصهيونى والتبشيرى والشيوعى، ونهيهم عن التفرق والتشتت والتمزق والاستبداد، وعن الركون إلى دعاه الكفر والضلال، قال الله تعالى إِيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ

ص: ٢٢٣

مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [١].

وقال عزّ من قائل [لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ] [٢].

٢ - على العلماء العاملين أن يعلنوا بطلان أى منهج وسياسه وقياده ونظام، غير الإسلام؛ فإنّ الحكم لله وحده، أمر أن لا يُعبد ولا يطاع غيره، ولا يُحكّم إلا بحكمه [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] [٣].

٣ - على العلماء والقاده المصلحين إنشاء جمعيات من ذوى العزائم، المخلصين والغيارى على الإسلام وكتابه وسنته؛ لتقوم بمهمته الصله بين الجماعات المسلمه فى شتى الأقطار، وتؤيد الحركات الدينيه المؤيده بنصّ من كتاب أو سنّه أو زعيم دينى، والمنبثقه من الجماهير، ولاسيما من الشباب والطلاب والطبقه المثقفه الواعيه، وتوفد إلى البلاد المعتنقه للدين الإسلامى من يطّلع على شؤونهم، ويدرس مستواهم الثقافى والتربوى والاقتصادى والاجتماعى والحكومى، ويدرك مشاكلهم ومتطلباتهم وحاجاتهم المعنويه والماديه، وما يعانونه من الأعداء، وأنهم لو غفلوا أو تغافلوا عن ذلك خسروا كيانهم ومجدهم ودينهم وديانهم وتجارتهم وأخلاقهم. ٤.

ص: ٢٢٤

١- المائده: الآيه ٥٤.

٢- المجادله: الآيه ٢٢.

٣- المائده: الآيه ٤٤.

إنَّ رابطته العالم الإسلامي لهي في مكة المكرمة، قبله المسلمين، والبلد الحرام الذي يؤمّه مئات الآلاف من الحجيج في كلّ عام، يأتون من كلّ فجٍّ عميق؛ ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله ألياماً معلومات، هذا البلد الأمين مَشْرَق شمس نبوه سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله، والمدينه المنوره مهجره وحرمة ومرقده، وحسبنا مكة والمدينه بما ترمزان إليه؛ لتكونا رابطَةً للعالم الإسلامي.

وحسبنا هذا الحجيج رابطَةً تربط جميع أقطار العالم الإسلامي بعضها ببعض، فالحج أكبر وأعظم مظهر من مظاهر وحده الأمة، وأنّ الجميع من العرب والعجم والبيض والسود، والفقراء والأغنياء، والقاده والسوقه امه واحده في رحاب الله.

أسست في هذا البلد الطيب المبارك رابطته العالم الإسلامي وظن الكثير أنّها أسست لتكون اسماً ومسمى كذلك إن شاء الله تعالى، وقد تركت في نفوس

وكان المأمول في هذه الرابطة الدفاع عن مصالح المسلمين، وتشجيعهم في ميادين العمل ضد الاستعمار، ووضعهم في مصافّ الحركات التحرريه والتقدميه، وتوثيق عُرى الأخوه، والتجاوب والتعايش والتفاهم بين المسلمين، وأن تكون انشوده هذا الجيل الحائر المتخبط في الاضطرابات الفكرية والاصطدامات العلميه، وأن تأخذ بأيدي الفتیان والفتيات الجامعيين والجامعيات؛ لئلا يسقطوا في مهاوى اليأس والشقاء، والخلاعه والفحشاء، والميوعه والدعاره والإلحاد.

وقد كتبتُ قبل سنتين أو أكثر مقالاً عرضت فيه على تلك الرابطة بعض ما ينبغي أو يجب أن تقوم به في البلدان الإسلاميه، وأشرتُ إلى ضروره تشجيع النشاط الديني ومكافحه الأساليب الكافره، وكان أملى وطيداً أن يؤخذ ذلك بعين الاعتبار، ولا أدري هل وصل مقالى إليها أم لم يصل، ولعلّ المسؤولين لم يروا مصلحه لهم في نشره في مجلّتهم أو صحفهم.

وعلى أيه حالٍ فالرابطة بدأت مهمتها، وجعلت نفسها في غير موضعها، وأخذت تؤيد الحكومه السعوديه التي أنشأها الإستعمار، وكانت ولا تزال في حضانتها، يعرفها بهذه الخصيصة المسلمون وغيرهم. لقد أحيت هذه الحكومه الملوكيه الخبيثه، وسمت نفسها وبلاد الحرمين الشريفين بالسعوديه؛ لتكون رمزاً لمقاصدها المفزقه، واختصاص الحكم بعائله خاصه. فأخذت الرابطة تؤيد الإستعمار بتأييدها هذه الحكومه، وبدعاياتها الوهايبه التي هي كالأساس لهذه الحكومه وأهدافها الاستعماريه.

ولو كانت الرابطة تقوم بمهمتها سليمة بعيدة عن النزعات الاستعماريه والطائفية لكان موقفها غير موقفها الحالي، ومسيرها غير هذا المسير. ولو أراد أعضاؤها والقائمون بأمرها خدمة الإسلام لوجب عليهم أن ينزّهوا الرابطة عن الدعاية للمستكبرين الذين استضعفوا عباد الله، وجعلوهم خولاً، كما جعلوا مال الله دُولاً، كما وجب عليهم القيام بانتخاب أعضاء صالحين مخلصين، غيارى على الإسلام، عالمين بحاضر العالم الإسلامى وبالأسباب والعوامل التى أدت إلى ضعف المسلمين وتخلّفهم عن مواكبه ركب الحضاره الصناعيه؛ ليدرّكوا حقائق ما يجرى فى كلّ منطقه، ويرشدوا ويوجّهوا كلّ شعب إلى سبل القضاء على سيطره الأجنب وأساليهم الكافره، ويتجنّبوا ما يورث التفرق بين الأفراد والجماعات، والاختلاف فى الآراء المذهبيه وتكرارها فى صحفهم ومجلّاتهم، وعلى لسان وفودهم إلى الأقطار.

فالجيل الحاضر لا يكاد يقبل هذه العصبية المذهبيه، وهو يرى أنّ الأصول الأوليه الجامعه للمسلمين والمقويّه لكيانهم أصبحت معرّضه لخطر الإلحاد وأفكاره الهدّامه، بالإضافة إلى أنّ ذلك يزيد البلاء والمرض، ويورث عصبية غيرهم وحساسياتهم، ويدعو إلى الظنّ بهذه الجمعيه التى نوّد أن تقف فى وجه عملاء الاستعمار، وتعمل لتحرير بلاد الإسلام من سلطه الحكومات العميله.

لقد أوفدت جمعيه رابطته العالم الإسلامي ممثلين وهيئات إلى البلدان الإسلاميه، وهذا عمل كبير، وكلما كان الوفد أوسع فكراً وأبعد نظراً وأكثر تجنباً للعصبيات المذهبيه، وأعرف بواقع العالم الإسلامي ومشاكله، وأكثر إخلاصاً كانت ثمراته أكثر ومنافعه أوفر، وبالعكس تماماً لو كان الوفد غير خبير، ومتحيزاً لفئه دون غيرها، ناظراً إلى العالم الإسلامي وجماهيره بمنظار مذهبه الشخصي ورأيه السياسي، غير عابئ بالمسائل العامه التي اتفقت عليها آراء جميع الفرق فإنه لا يعود إلّبالضرر والفشل والتنازع المنهى عنه فى الكتاب العزيز.

إيران، وما أدراك ما إيران؟ إيران المجاهدة، إيران الصامدة في وجه الاستعمار بفضل نضال شعبها وعلمائها المجاهدين، إيران التي أنجبت للإسلام والمسلمين علماء أعلاماً ورجالاً عباقره، وكتّاباً ومحدّثين، وفلاسفة ومتكلمين وغيرهم، إيران التي كانت ولا تزال محطاً لنظر الاستعمار بكل صوره وأشكاله، والتي حاول بكلّ جهده القضاء على كيانه الإسلامي وروحيتها المؤمنة، ولم ينجح - والحمد لله - كما نجح في بعض البلاد. إيران التي بقي شعبها ملتزماً بالمظاهر الإسلامية والأحكام الدينية، إلّا من فُتِن منهم بالأساليب الغربية والدعايات الفارغة الكاذبه المضلّله.

إيران؛ وما أدراك ما إيران؟ إيران التي ضحّت وتضحّى كلّ يوم في سبيل الدفاع عن الإسلام وأحكام القرآن، لقد ضحّى علماءها الأعلام وطلبه العلوم الإسلامية والعصريه، المؤمنون بالله ورسوله، المتمسكون بمبادئ الإسلام، المطالبون بتطبيق أحكام القرآن، فزجوا في السجون، وأبعدوا عن الأوطان،

وَعَرَّضُوا لِأَنْوَاعِ التَّعْذِيبِ الرُّوحِيِّ وَالْجَسْمِيِّ.

إيران؛ وما أدراك ما إيران؟ إيران التي اتخذت حكومتها العلمانية (عملياً لا رسمياً) أساس مناهجها وبرامجها: فصل الدين عن السياسة والدولة والقضاء والتربية والتعليم والاقتصاد والعمران، كأكثر البلاد الإسلامية.

ص: ٢٣٠

زار إيران وفد الرابطة برئاسه الأستاذ أبى الحسن الندوى، وبعد الزياره كتب الأستاذ المذكور رساله تحت عنوان «إسمعى يا إيران»، آخذَ فيها على الشعب الإيراني زيارته لمشهد الإمام أبى الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام ومشهد اخته السيده فاطمه عليها السلام، وزعم أنّ عنايه الشعب بالمساجد هي أقلّ من عنايته بالمشاهد، وأنّ المشاهد المشرفه أكثر عمراً وأشدّ ازدحاماً، وأنّ كثيراً منها تشكو قلبه المصلين.

وآخذَ فيها على شعب إيران وجود صوره النبي صلى الله عليه وآله وصوره أمير المؤمنين على عليه السلام بكثره فى المساجد والبيوت، وقال: قد رأينا ذلك، وعزّ علينا فى مسجد سبهسالار وبعض المساجد والبيوت، وعدّ ذلك من الذرائع إلى الشرك.

كما آخذَ على الشعب الإيراني المسلم حبه الشديد لأهل البيت عليهم السلام، وخشى أن يكون قد اخذ الشىء الكثير من حق النبوه، حيث قال: «أخشى أن

تكون قد جعلت الإمامه منافسه للنبوه، ومشاركه لها في كثير من الصفات...»، إلى أن ساق الكلام إلى التقريب، وزعم أن الشيعي لا يطلب ذلك بالقلب، ولا يبسط في سبيل ذلك يده، وطلب من الشيعة إذا أرادوا التقريب تغيير نظرهم في صحابه الرسول صلى الله عليه وآله وفي أزواجه امهات المؤمنين، كما حمل على الشيعة بالتلويح في مطاوي كلامه في أكثر من موضع.

ص: ٢٣٢

هذا بعض ما فى رسالته ممّا له مساس بالشؤون الإسلاميه، وهو بهذا لم يأتِ جديد، فهذه امور طُرِحَت من قبلُ واستوفت حقوقها من الجدل والكلام.

ومع هذا نختصر الحديث، ونقول:

إنّ إيران تسمع فتجيب:

أمّا مسأله زياره القبور والمشاهد التى أثارها فى رسالته فإنّها ليست مسأله جديده تنبّه لها الأستاذ الندوى وحده، بل هى من المسائل التى طال البحث والنقاش حولها، فحرّمها فريق خاصّ بلا دليل أو برهان أو شاهد من كتاب أو سنه! وجوّزها الآخرون استناداً إلى الكتاب والسّنّه، واتضح الحق بما لا مزيد عليه. وقد ألفت فى ذلك مئات من الكتب، وكتبت مقالات حولها، وأريقت دماء محترمه بسبب التعصّب فى هذه المسأله، وقد خرجت بعد كلّ هذا من معرض التفكير، وإذا ما فكر فيها اليوم مسلم فإنّما يفكّر لمعرفة الواقع والحقيقه فقط،

وكأنَّ الأستاذَ النَّدَوِيَّ قد زعم وتصور أنَّ جمعيه الرابطه حينما تشكَّلت في مكه المكرمه إنَّما تشكَّلت لدعم المذهب الوهابي فحسب، فلم يلفت نظرها الواقع الإسلامي المعاصر، وما يهدِّد أحكام الإسلام والمجتمعات الإسلاميه من هجمه تقاليد الاستعمار الثقافي الشرقي والغربي، ومن أساليب خداع الشباب، وإبعادهم عن تعاليم دينهم وتقاليد بلادهم التي يكمن فيها الخطر كلَّ الخطر على المسلمين. فكأنني بالأستاذ الندوي يرى أنه ليس في أهداف الرابطه ومشاريعها التدخل في هذه الأمور، فلا يؤاخذ ولا يقول شيئاً عمَّا جنت أيدي الحكومات على الإسلام والمسلمين، من استبدال المناهج التربويه والبرامج التعليميه الإسلاميه بالبرامج الكافره، في المعاهد والكليات والجامعات، ولا يشكو من القوانين التي توضع وتطَبَّق كلَّ يوم رغم أنف الشعوب الإسلاميه (الشيعه والسَّنة) في جميع مرافق الحكومه، وفي الإدارة والقضاء والمجتمع والجيش، وحتى في الأوقاف والمستشفيات وغيرها. وكذلك لا يشكو من إلغاء النظام الإسلامي الذي يؤمن به كلَّ مسلم شيعياً كان أو سنياً.

لضيافه الأحكام!!

نعم، لا يشكو من ذلك، لأنَّه كان في ضيافه مديره الأوقاف التي لم تؤسَّس في إيران إلَّا للقضاء على نفوذ رجال الدين والعلماء الأفاضل، وللسيطره على المساجد ومراقبتها؛ لئلا تكون مراكز للثقافه والإرشاد والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر؛ كي لا يعترض أحد على أحد، لاسيما على أرباب المناصب، فلا يقال للمسؤول في أيه رتبه كان: لِمَ فعلت أو ارتكبت هذا المنكر أو ذاك؟ ولِمَ تجاوزت حدود الله والشرع؟ لماذا تصنعون التماثيل وتنصبونها في الميادين وغيرها وتعظمونها مع أنّ هذا أشدّ نكراً وضرراً من عباده الأوثان؟ إذ أنّ عباده الأوثان لا تزيد في طغيان هذه الأوثان واستبدادها أو تكبرها وغيها، بينما تعظيم تماثيل الأمراء والقواد يزيد في جبروتهم، ويشجعهم على التمداد في الغنى والاستبداد والظلم.

لم يسأل الشيخ الندوى مضيّفه مدير الأوقاف - الذي احتفى به وأكرم ضيافته - عن المساجد الكبيره القديمه الأثرية في إيران، كمسجد الشاه، ومسجد الشيخ لطف الله، والجامع العتيق في إصفهان وشيراز وغيرهما من المدن الإيرانية. لم يسأله: لماذا تسمح الحكومة وأجهزتها بدخول السفارات العاريات إلى بيوت الله، وفي هذا هتك لحرمتها؟!

لماذا لم يلفت سفور النساء وأزيائهنّ المخزيه، والمؤسّسات الربويه التي تزداد وتتضاعف يوماً فيوماً نظر الشيخ الندوى ولم يعترض على مضيّفه؟

لماذا لم يسأل مدير الأوقاف عن سبب تشجيع الحكومة للحركات التي هي في محصلتها النهائيه محاربه للإسلام ومحاولة للقضاء عليه؟!

لماذا لم يؤخذ عليه الأفلام السينمائية التي تفسد الأخلاق وتسوق الشباب إلى هاويه الفحشاء ومهاوى الفساد؟ لماذا لم ينصح أحداً في هذه الأمور في رسالته هذه؟

لماذا لم ينظر إلى الصحف والمجلات التي لا تهدف إلّا إلى ترك السنن الإسلاميه، وتدعو إلى الفسق والفجور والاستهتار؟

هذه مسائل يجب على وفود الرابطه أن يدرسوها ويلحظوها، ويبحثوا عنها في كلّ بلد يفدون إليه، لافرق بين إيران ومصر والجزائر وتونس والمغرب وباكستان وتركيا، وغيرها من البلاد الإسلاميه.

يجب على الوفد نصح الحكومات وشعوبها في هذه المسائل، وإبلاغهم البلاغ المبين: إنّ الإسلام يرفض كلّ قانون يخالف شريعته الله، وينبذ كلّ سلطه لا تهتم بتطبيق الأحكام الإسلاميه التي يؤمن بها المسلم الشيعي والسني على حدّ سواء، فلامعنى لهذه القوانين التي ليست من الإسلام في شيء، ولا تمتّ إليه بصله. وكذلك نصحهم باعتماد أهداف الإسلام في نُظُمهم الاجتماعيه والسياسيه والتربويه والإقتصاديّه، ونبذ النُظُم الوافده أو المستورده من الخارج، ونصحهم بالاستعداد للجواب يوم الحساب.

الفكره القوميّه:

ثمّ ما هذه الفكره الخبيثه التي جزأت العالم الإسلامي ومزّفته شرّ ممزّق، ونبذت تعاليم الكتاب والسنة في المجتمعات المسلمه؟ فكأ نكم تصوّبون وتؤيدون مبدأ العلمانيه، فلاتناقشون الحكومات في هذه المسائل وفي كلّ ما له دخل بالسياسه، ولاتحثّون الشعوب على أن يكونوا صفاً واحداً أمام هذه التيارات الملحده والسياسات المخزيه، وكأنّ هذه الأمور الخطيره ليست همّاً

للمسلمين ولا تشكل منعطفاً خطيراً وصعباً للعقيدة، بل تناقشون فقط زياره المشاهد المشرفه وما رأيتم في مسجد سبسهالار من صوره النبي صلى الله عليه وآله وصوره أمير المؤمنين على عليه السلام؟! هذا المسجد الذي وضعت الحكومه ومديره الأوقاف يدها عليه، وهتكت حرمة بحجه أنه أثرى، فسمحت للكفار بزيارته للاستئناس به والتفرج عليه، ومن جرّاء ذلك عطّلت الجماعه ومجالس الوعظ وقراءه القرآن والتفسير فيه، كما هو الشأن في مئات المساجد العامره بالصلاه، وإقامه الجماعه والجمعه، ومجالس الوعظ ودرس القرآن والتفسير، في طهران وحدها فضلاً عن سائر المدن.

ألم يعلم الموقّد، أم لعلّه لم يشأ أن يعلم أن كثيراً من العلماء الأفذاذ، والخطباء الغيارى على الإسلام هم إمّا سجناء أو مبعدون عن الأهل والوطن، لالشيء إلّالقيامهم بالواجب الدينى من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ ولوقوفهم ضد اليهود والحركات الصهيونية؟! الصهيونية؟!

ص: ٢٣٧

وفد الرباطه... ماذا زار؟ وبمن التقى؟:

... لم يلتق وفد الرباطه فى طهران ومشهد الرضا وقم المقدسه بالعلماء المجاهدين الربانيين، الذين كرسوا حياتهم وأفنوا عمرهم فى سبيل الدفاع عن الإسلام وأحكامه، وهم قِمم وأعلام فى شتى العلوم والمسائل الإسلاميه.

نعم، لم يلتق الوفد إلابمن سمحت مديره الأوقاف بزيارته ولقائه...!

لم يزر الوفد فى قم المشرفه، الجامعه العلميه ومعاهدها التى تدرس فيها المعارف الإسلاميه، التى هى مقرّ الأساتذه الجهابذه، والعلماء والخطباء، والكتّاب والمؤلّفين، كالمدرسه الفيضيه، ودار الشفاء، والحجّتيه وأمّثالها، عند إلقاء المحاضرات العلميه، وإقامه الجمععه والجماعه، التى يشترك فيها المئات من حملة العلم والعلماء والزّهّاد والطلّاب، وقد لا يكون لها نظير فى العالم الإسلامى!

ص: ٢٣٩

كما لم يزر مئات المساجد في قم عند أوقات الصلاة؛ ليرى بأمّ عينيه اهتمام الشعب الإيراني بإقامه الصلاة جماعه.

كما لم يزر المدارس الدينيه ببلده قم المقدسه، كالمدرسه الصادقيه، والجواديه، والرضويه، والمنتظريه، والعلويه، والكرمانيه، والحجتيه الكبرى، ودار الفقاهه، ومدارس آيه الله الكلّبايگاني، وآيه الله المرعشي!

... لم يزر الوفد المكتبات العامه الكبيره، المليئه بنفائس الكتب المخطوطه والمطبوعه لعلماء الشيعه والسنة، كمكتبه الإمام آيه الله البروجردى، ومكتبه آيه الله المرعشى وغيرها!

كما لم يزر الجامع الكبير الذى أسّسه وبناه أخيراً الإمام الراحل السيد البروجردى، تغمده الله برحمته، والذى يُعدّ من أكبر المساجد، ومن أكبر مراكز العلم ونشر الثقافه الإسلاميه، ويلقى فيه مراجع الشيعه محاضراتهم العلميه على جمع غفير من الطلاب والعلماء، فى الفقه والأصول، وهذا المسجد هو آيه من آيات الفنّ، يُعرب عن مدى اهتمام الشيعه بأمر المساجد!

كما لم يَرِ الوفد فى قم من ثمانيه آلاف طالب علم إلّا النفر القليل المشتغلين فى بعض فروع الحوزه العلميه!

فلو كان قد زار المراكز التى أشرنا إليها، وجالس أصحاب السماحه العلماء للنقاش والبحث حول المسائل الإسلاميه وأطلع على آرائهم السديده وحججهم البالغه وأدلتهم الدامغه لما آخذَ على الإيرانيين والشيعه ما آخذ عليهم فى رسالته، ولَعَدَلَ عن تفكيره الباطل حول عقائد الشيعه، ولاسيما عقيدتهم فى أهل

البيت عليهم السلام، ولَعَلِمَ أَنَّ الشيعه هم أشد المسلمين وأكثرهم سداداً في التوحيد، وفي تعظيم معالم النبوه والرساله.

ولم يكن حال الوفد في مشهد سيدنا الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام - الذي ملئت العلوم المرويه عنه الخافقين - بأحسن منه في قم، بل كان أسوأ، فإنه لم يلتق في تلك الربوع المشرفه بالعلماء الذين قلما يوجد مثلهم، اللهم إلاً ببعض منهم بطريق رسمي، كما لم يساعده التوفيق للالتقاء بالعلماء المصلحين المجاهدين المقاومين للتيارات الإلحاديه والأنظمه غير الإسلاميه.

فالالتقاء بأمثال هؤلاء التقاء يفيد الإسلام والمسلمين، وإلاً فاللقاءات المذكوره في «اسمعي يا إيران» تحت إشراف الحكومه والأوقاف والأمن وأجهزه المخابرات ليست غير مفيده فحسب، بل هي مضره تورث يأس الشباب الناهض المتطلع إلى الإصلاح المنشود عن طريق الرابطه والعلماء.

ص: ٢٤١

وهنا أغتنم الفرصه لأخاطب أعضاء الرابطه: بأنّ المتوقّع منكم أن تختاروا لزياره أى بلد من بلاد المسلمين من يدرك مشاكلهم، ويتفهم واقعهم الذى يعيشونه فى المجالات السياسيه والاجتماعيه والتربويه، ويتعرّف بسرعه وحنق وإخلاص على المكائد والأشراك المنصوبه للمسلمين بجميع مظاهرها الطائفية والمذهبيه، والتي ترمى إلى القضاء على الإسلام بكلّ مظاهره، وعلى الكيان الإسلامى والشعائر والالتزامات الدينيه عند الجميع، دونما أى تفریق أو تمييز بين مذهب وآخر.

فالمفروض على الوفود النظر إلى أوضاع البلاد التى يزورونها من هذه الجبهه، وبمثل هذه الرؤيه، ومطالبه المسؤولين والحكام بتطبيق أحكام الإسلام، وكذلك الالتقاء بالعلماء المجاهدين المصلحين الذين وقفوا فى وجه الأفكار الهدّامه الكافره، وأبوا أن يكونوا اجراء للحكومات العميله، وذلك بدعمهم والتنسيق معهم ومع مواقفهم.

وعليها التمعّن في الأوضاع التعليميه والتربويه ومناهجها التي تسير على غير المنهج الإسلامى عند الجميع، وبرمجه كيفيه مؤازره جماهير المسلمين، التي قابلت بكلّ صمود و مسؤوليه الدعايات الفارغه الفاسده، بالدعوه إلى المناهج الإسلاميه، وفي كيفيه الوقوف إلى جانبهم لإعلاء كلمه الإسلام، وتجنّب الدعايات التي لم تأتِ إلّا بالشقاق والتفرقه والضعف، وملاحظه تدبّر مستوى كلّ شعب في الأخلاق والآداب والحكوميه والحرية.

كما عليها أن تدعّ الكلام في المسائل الفرعيه الخلافيه، وتترك كلّ طائفه واجتهادها، ولا تكثر الجدل والنقاش، وتتجنّب ظنّ السوء بالمسلمين، وتسأل عن الاقتصاد والصناعه والتجاره وسائر مقدّرات المسلمين، كيف وقعت في أيدي اليهود وبرائث الفرقة العميله الضالّه المضلّه البهائيه؟

هل سأل الوفد عن أصحاب المصانع الكبيره والمعامل المهمه والمتاجر العظيمة، أهم من الشيعة الذين يزورون المشاهد - على حدّ تعبير الندوى - أم من اليهود وغيرهم من الفرق غير الإسلاميه؟!

هل عرفتم «إلقانيان» اليهودى التاجر الذى استولى على قسم كبير من تجاره هذه المنطقه؟

هل عرفتم «حبيب الثابت» اليهودى البهائى الذى يمتصّ دماء الشعب المسلم بمعامله الكثيره؟

هل عرفتم مؤسس معامل «أرج» لتعرفوا المسلمين بهم ليقاطعوا بضائعهم؟ إذ أنّ فى إمارات الخليج والكويت وبعض البلاد العربيه الأخرى تباع منتوجات اليهود والبهائيه، ويصرف ريعها لصالح الكفر والاستعمار، وللقضاء على اقتصاد المسلمين فى المنطقه!

هل عرفتم يا رئيس الوفد من هذه الأمور شيئاً؟

هل قرأتم الصحف والمجّلات؟ وهل اطلّعتم على القوانين السائده فى البلاد التى اتفق فقهاء الفريقين (السنة والشيعة) على بطلانها؟

هل تتبعتم ما يجرى على الشعب الإيراني المسلم العريق، وما تقوم به الدوله من إحياء آثار المجوس، وأيام كورش، وتعظيم العادات والآداب التي قضى الإسلام (الشيعة والسني) عليها؟!

هل فهتمم شيئاً عن التيارات الإلحاديه الهادفه إلى إضعاف الإسلام في إيران وسائر البلاد الإسلاميه؟!

هل رأيتم التماثيل المنصوبه في الساحات والميادين كالأصنام، يُجبر الناس على تعظيمها؟

هل رأيتم التشريعات المزيفه التقليديه التي يُجرونها ويقومون بها لاحترام الرؤساء والزعماء؟

هل درستم وضع المعاهد التي اختلط فيها الفتيان والفتيات السافرات؟

هل بحثتم مع مَنْ التقيتم به في قم ومشهد من العلماء حول هذه المسائل؟

هل زرتم المعامل، وكذلك المعاهد المنسوبه إلى المعارف، وما إلى ذلك؟

هل سألتهم عن جهاز الدوله، من الحاكم والأمير والوزير والقائد والنائب؟ وهل أُنهم يحضرون جماعات المسلمين وجمعتهم، أو يقيمون الصلاه في أوقاتها؟ هل سألتهم عن إقامه الجمعه أو الصلاه فرادى في الجيش، وإنهم ليأمر ونهم بترك الصلاه والإفطار في شهر رمضان المبارك؟!

هل اجتمعتم في مدينتي قم ومشهد - وفيهما آلاف العلماء والخطباء - بمن تبحثون معه في هذه المسائل التي تعم البلاد الإسلاميه؟ وهل، وهل، وهل وألف هل؟!

إذا لم تعرفوا هذه المسائل، أو لم يُسَمَّح لكم بمعرفتها فما فائدة هذه الرحلات والجولات!؟

ص: ٢٤٧

رأيتم زياره الناس للمشاهد، ولكنكم لم تروا المنكرات والمظاهر المخالفه لروح التوحيد الإسلامى؟ أليس من الشرك أن يختص أحد الناس أو جماعه منهم باسم البرلمان بحق التشريع ووضع القوانين ذلك الحق الذى هو خاص بالله تعالى وحده؟! أليس الحكم كله لله؟! أليس من الشرك أن تصدر المراسيم والبيانات الرسميه باسم جلاله الملك أو سمو الأمير أو سياده الرئيس بدل تصديرها بالبسمله، أو تدشين البنائات والمعامل والمعاهد والمستشفيات وغيرها باسم هؤلاء المستكبرين، تبركاً بأسمائهم التى لاخير فيها ولابركه؟

ألم تسم النظام المسيطر على الحرمين الشريفين والحجاز، أرض الحجاز والمملكه السعوديه والأرض كلها لله، والأسره السعوديه وأمرؤها ليسوا أرباباً من دون الله تعالى، وليسوا أولى بهذه الأراضى المقدسه من غيرهم من سكانها، ولولا القبله التى ولى الله الناس إليها ونشأه الرسول الأكرم والأئمه عليهم السلام وروضه الرسول، وما فى تلك الديار مما يدل على أمجادنا الإسلاميه والبنائات الأثريه

تشهد بصحة تاريخنا المضيء بالإخلاص والبطولات لما قُدمت تلك الجزيره ولما أمها المسلمون، ولما أتوها من كل فج عميق؟!

يا أعضاء جمعيه الرابطه، ووفدها!:

هذه المصائب لم تُصب إيران وحدها، بل تعاني منها جميع البلاد الإسلاميه، وأنتم غافلون أو متغافلون عنها، وتصبّون اهتمامكم في المآخذ التي تورث الشحاء والبغضاء والضعف والتفرقه، لماذا لا-تحملون هذه الخلافات على المحامل الصحيحه وعلى اجتهاد من يقول به؟

ذروا المسلمين واجتهاداتهم في هذه الأمور، واتركوهم ومذاهبهم واجتهادهم في الكتاب والسنة، وكونوا على يقين أن أحداً من المسلمين الذين يتلون سورة التوحيد في صلاتهم ويتلون آيه [أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ] (١) ويتلون آيه [وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] (٢) لا يعبد القبور، ولا يشرك أولياء الله تعالى في شؤونه، فالأمر كله لله، وييده ناصيه كل شيء، لا يملكون لنفسهم نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، نعبده ونستعين به وندعوه ونبتهل إليه، وأنكروا عليهم ما اتفق الكل على خطره وتحريمه، وكونوا أشدء على الكفار رحماء بينكم.

فكروا فيما يهم المسلمين، وفي الأمور التي تورث التودد وتوحيد

ص: ٢٥٠

١- فصلت: الآيه ٦؛ الأنبياء: الآيه ١٠٨؛ الكهف: الآيه ١١٠.

٢- الكهف: الآيه ١١٠.

الكلمه، وتوثيق عُرى الأخوة الإسلاميه، ولا تشغلوا أنفسكم وأوقاتكم بمباحث أكلَ عليها الدهر وشرب، وأذى التعصّب فيها إلى فتن كبيره وإلى إتلاف النفوس.

فقد جرّب المسلمون أضرار أمثال هذا الجدل والنقاش وأخطارها، وعرفوها، فاعرفوها أنتم واعتبروا بها، ولنذكر نموذجاً منها: تلك الفتنة التي وقعت بين الحنابلة والشافعيه، وكان السبب في إثارتها، أسلافكم الحنابلة وأصحاب أبي محمد البربهاري، كما يُحدّثنا ابن الأثير بما نصّه: (فخرج توقيع الراضى بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم، ويوبخهم باعتقاد التشبيه وغيره، فمنه: تارة أنكم تزعمون أن صورته وجوهكم القبيحه السمجه على مثال رب العالمين، وهيتكم الرذله على هيئته، وتذكرون الكفّ والأصابع والرجلين والنعلين المذهبين والشعر القَطَط، والصعود إلى السماء والنزول إلى الدنيا، تبارك الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، ثم طعنكم على خيار الأئمه، ونسبتكم شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله إلى الكفر والضلال، ثم استدعاءكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهره والمذاهب الفاجره التي لا يشهد بها القرآن، وإنكاركم زياره قبور الأئمه، وتشنيعكم على زوارها بالابتداع، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زياره قبر رجل من العوام ليس بنى شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله صلى الله عليه وآله وتأمرون بزيارته، وتدعون له معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، فلعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات، وما أغواه!) (١).

والنموذج الجديد أفاعيل الوهابيه والفتن التي أثارتها انجلترا في الحرمين ٨.

ص: ٢٥١

١- الكامل لابن الأثير: ج ٨ ص ٣٠٨.

الشريفيين بيد عملائها من آل سعود في الإسلام فيها بخسارات عظيمه لعلك لم تجد مثلها في تاريخ الإسلام وبعد إنجلترا جاء دور أمريكا والصهاينه في التلاعب بالنظام السعودي، فجعلته تحت رعايتها وحضانتها فذهبت بثروات المسلمين الاقتصاديه والماديه والمعنويه.

اجتمعوا، وكونوا صفاً واحداً، واسماً على مسمى، رابطه بين المسلمين والعلماء الصالحين المصلحين وأصحاب الغيره على النواميس الإسلاميه، لا مع الحكومات وعملائهم، فإن أكثرهم كما تعلمون يهابون الوحده الإسلاميه ويخشونها، إيماناً منهم بأن وحده الأمة الإسلاميه تزيل سلطانهم وتزعزع أركان حكوماتهم، وتدكّ صروحهم، فترى بعض الحكومات في المجتمعات السنيّه، تحارب فكره الوحده السياسيه والإقليميه، ولا تسمح لأحد أن يعمل لها أو يدعو إليها.

فكروا كيف ينبغي أن تعملوا لإعاده مجد الإسلام، وإعاده سلطان أحكام الله في الدول الإسلاميه وفي مجتمعاتها؟ وكيف ينبغي أن نعمل لتحقيق الوحده الإسلاميه...؟ لا تبادروا إلى نشر مقالات ورسائل مثل «إسمعي يا إيران» و «الخطوط العريضه»، ولا تعاتبوا محبّي أهل البيت عليهم السلام من الشيعه والسنيّه، ومن يأخذ بمذهبهم في الأصول والفروع، ويرى أئمتهم أعدال الكتاب بمقتضى «حديث الثقلين» المسلّم به بين الفريقين، وأحاديث كثيره أخرى، ولا تتهموهم بالغلوّ فيهم، ولا تقولوا: إنّ الشيعه جعلت الإمامه - العياذ بالله - مشاركته للنبوّه، فإنّ الشيعه بريئون من هذه التهم، ويعيدون عمّا تقدفونهم به، وليس حبّهم لأهل البيت عليهم السلام إلّا مظهراً من مظاهر حبّهم واحترامهم للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله؛ فإنّه صلى الله عليه وآله أمر

بِحَبِّهِمْ وَرَغَبٍ فِيهِ تَرْغِيبَاتٍ أَكِيدُهُ، تَشْهَدُ بِذَلِكَ رَوَايَاتٌ مُتَوَاتِرَةٌ، أَخْرَجَهَا الْحَفَازُ وَأَرْبَابُ الْجَوَامِعِ وَالصَّحَّاحُ وَالْمَسَانِيدُ فِي كِتَابِهِمْ، وَلَا يَلُومُ الشَّيْعَةَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ أَوْ نِفَاقٌ...

الشَّيْعِيُّ مُتَأَثِّرٌ بِحَبِّ عَلِيِّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِينِ وَسَائِرِ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يُحِبُّهُمْ، وَيَأْمُرُ بِحُبِّهِمْ، وَكَانُوا أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَعَزَّهُمْ عَلَيْهِ.

هُمُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِمُعْتَصِمٍ بِهَا

فَمَاذَا تَنْقُمُونَ مِنَ الشَّيْعَةِ فِي ذَلِكَ؟ وَلَمَاذَا تَوَازِنُونَهُمْ عَلَى مَا هُوَ مِنْ عِلَائِمِ الْإِيمَانِ وَطَهَارَةِ الْمَوْلِدِ؟

ص: ٢٥٣

وأما ما رأيتم في مسجد سبها سالار وغيره من الصور فقد مرّ الجواب عنه، وقد أفتى علماء الشيعة ببدعه هذه الصور وتركها، كما أفتوا بكراهه الصلاة في مكان فيه صورته. وإنّي لم أزر إلى الآن مسجد سبها سالار، ولكن لم أر في غيره من المساجد الكثيره في طهران وقم وإصفهان ومشهد وغيرها من المدن أیه صورته!...

وأما ما اقترحتم على الجعفرين من وجوب تغيير نظرتهم إلى بعض صحابه الرسول صلى الله عليه وآله وبعض أزواجه امهات المؤمنين إذا أرادوا التقريب، فإن أردتم بذلك أن يترك الشيعة اجتهاده فأنتم تعلمون أن ترك مؤدى الاجتهاد والاعتقاد بخلافه غير جائز، ولا ينبغي لمجتهد أن يطلب من غيره ترك ما أدى إليه اجتهاده.

وأما التقريب فليس معناه ترك السنن أو الشيعة لمذهبه، بل معناه: أن

لا- يؤاخذ كل واحد منهم الآخر بما لا يتنافى مع الإسلام في شيء، ويأخذ كلّ منهما في مقام التجاوب والتفاهم بالأصول الإسلامية، الجامعه المشتركه بين الجميع، وأن لا يُدخِلوا في الدين ما ليس منه، من تأييد الحكومات غير الشرعيه ونحوه؛ فإن عقيدته الشيعه لا تتجاوز في ذلك عقيدته بنت الرسول سيده نساء العالمين، وسلمان وأبى ذرّ والمقداد وحذيفه وعمار ونظائرهم. فالواجب على الشيعه وغيرهم أن يتبعوا في تلك المسائل اجتهادهم الحرّ في الكتاب والسّنّه والتاريخ الصحيح؛ إذ لا يجوز السير على خلاف الاجتهاد إذا أدّى إلى غلط فلان وخيانه فلان.

فإن كان في الكتاب والسّنّه وتاريخ الإسلام أدله كثيره قويه على عدم عداله بعض الصحابه، وعدم مبالاتهم بمصالح الإسلام والمسلمين وأفاعيلهم الموبقه، كماويه وبُسر بن أرطاه وعمرو بن العاص والمغيره بن شعبه والوليد بن عقبه ومروان بن الحكم، من الذين كان يعتقد عمار بن ياسر أنّ دماءهم جميعاً أشدّ حليّةً من دم عصفور فلا ينبغي مطالبه المجتهدين في إيمان هؤلاء وعدالتهم بترك هذه الأدله.

وإذا لم يمكن تخليص الكتاب والسّنّه وتاريخ عصر الرساله والخلفاء وبنى اميه وبنى العباس من هذه الأدله، ولا يمكن تخليص التاريخ من مثل حرب الجمل وصفين فإنه لا يجوز عتاب من يجتهد في ذلك، ولا يجوز منع المسلمين من مطالعه التاريخ والنظر في تلك الأدله، كما لا يجوز سدّ باب التقريب بمطالبه ذلك؛ فإنّ جميع الشيعه لو اتفقوا - العياذ بالله - حتى مع النواصب فالكتاب والسّنّه وتاريخ الإسلام وتراثنا الإسلامي العلمى يأتي بغيرهم شيعه لأهل

البيت عليهم السلام من جديد؛ لأن ذلك أمر طبيعي للبحث ومطالعه الكتاب والسنة والتاريخ.

نعم، لا بأس أن يطلب أحد المذاهب من الآخر تجديد النظر في أدلته، فالواجب على الفريقين أن لا يجعلوا هذه المسائل سبباً للعداوة والبغضاء، ولا يكفّر بعضهم بعضاً، ولا سيّما في هذا العصر الذي أصبحت فيه نتيجة هذه المباحث رأياً مجرداً وعقيدة محضه لمن اعتقد. وليس هناك أى مانع من وقوف الشيعة والسنة صفاً واحداً ما لم يتركوا التمسك بالكتاب والسنة، وتركوا اللجاج والعناد والعصبية العمياء.

فمن لم يرَ الخير والفضل والعدل في بعض الصحابه أو في معتقدهم، بل ولم يعرف ذلك الصحابي ولم يسمع باسمه لا يكون مسؤولاً عن ذلك، ولا يضرّ بإسلامه، ولا يؤاخذة الله تعالى به، لأنه لم يكلف عباده بمعرفه الصحابه والإيمان بهم وبعدااتهم، ولم يجعل ذلك ركناً من أركان دينه، أو حكماً من أحكام شريعته.

إذن فالسبب في التنافر والتباعد والتباغض هو غلُّ بعض الجامدين والجاهلين في هذه المسائل، والاشتغال بها جهلاً أو غفله أو عمداً، أعاذنا الله من الجهل والغفله.

وكذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وآله، فإنهن - ولاشك - قد تشرّفن بما لم تشرّف به غيرهنّ من النساء، وإنّ لبعضهن مكانه مرموقه في العباده والخير وكثره الصدقه والفهم والحكمه، ومنهنّ من أطاعت أمر [وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ] (١)، فلم يغادرن ٣.

ص: ٢٥٧

١- الأحزاب: الآية ٣٣.

البيت، حتى أن جميعهن حججن، غير سوده وزينب بنت جحش، فإنهما قالتا:

لا تحركنا دابة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله حج بنسائه عام حجة الوداع، ثم قال: «هذه الحجة»، ثم ظهور الحصر، وهذه منقبة وفضيله كبيره لأُمَّهات المؤمنين لاتضاهيها أية منقبة، فهنيئاً لهن بتلك الكرامه، حيث لم يُدخلن أنفسهن في الفتن والحروب الداميه التي حدثت بعد النبي صلى الله عليه وآله، وحفظن الرسول في أمته.

نعم، استنكر الشيعة وغيرهم ما صدر عن بعض أمهات المؤمنين في الفتن التي أدت إلى قتل عثمان، والفتن التي أسفرت عن قتل جماعه من الصحابه من المهاجرين والأنصار، وفتحت على المسلمين أبواب الفتن وويلات المحن، وأدت إلى حكومه جبابره بنى اميه، وإماره أمثال الحجاج وبسر ومسلم بن عقبه وأضرابهم.

فمن تصفح التاريخ استنكر ذلك ورأى ما صدر عنها من عظيم المصائب التي حلت بالمسلمين، سواء حمل على الاجتهاد، أو على اتباع الهوى، وبغضها للإمام على بن أبي طالب عليه السلام الذي قال له النبي صلى الله عليه وآله: «لا يُحِبُّكَ إلَّا المؤمن، ولا يبغضك إلَّا منافق»^(١). فالخساره التي أصابت الإسلام والمسلمين بخروجها على ولي الأمر، ومخالفتها له، وبغضها إياه لم تُجبر إلى الآن... ولا عتب على من يقرأ كتب الحديث والتاريخ ويحلل الأمور ولا يمتالك من الحكم عليها، حتى أن أهل بيتها وخاصتها كانوا يعيون عليها خروجها وما أدخل عليهم يوم الجمل ١.

ص: ٢٥٨

١- بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٨١.

وقد روى: أنّها ركبت بغله وخرجت تصلح بين غلمان لها ولابن عباس، فأدركها ابن أبي عتيق وقال: يعتق ما تملك إن لم ترجعي، فقالت: ما حملك على هذا؟ قال: ما انقضى عنا يوم الجمل حتى يأتينا يوم البغلة(١).

ولا يمكن منع الباحثين خاصة الشباب الذين يتطلعون إلى حرية التفكير والبحث والتنقيب، بعد ما سجّل التاريخ ما لا نحبّ ممّا يمسّ كرامه أمّ المؤمنين عائشه، كما لا يمكن منع انتهاء البحث إلى الحكم عليها. فالاعتراف بخطئها أولى من الإصرار على تبرئتها، رغم المصادر الوثيقة التاريخيه، والأحاديث النبويه، فمتابعه الدليل والبرهان والقول بالحق أولى من القول بلا دليل، والمكابره فى الأمور الجليه، فالجيل المعاصر يردّ كلّ قولٍ لا يدعمه دليل، ولا يقبل إلّما أذى إليه أعمال الفكر الحر(٢).

وتبرئه أمّ المؤمنين من أوزار حرب الجمل ليست من العقائد الإسلاميه حتى يطلب ممّن لا يراها الاعتقاد بها.

وليت شعرى إن كان الفريقان فى حرب الجمل وصفين مجتهدين فمن الباغى منهما؟ أم كيف يجوز الاجتهاد قبال الإمام على عليه السلام الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله «على مع الحقّ، والحقّ مع علىّ، ولن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

ص: ٢٥٩

١- تهذيب التهذيب: ج ٦ ص ١١.

٢- راجع فى ذلك ما كتبناه فى «صوت الحق ودعوه الصدق».

يوم القيامة»(١)، و«علّي مع القرآن، والقرآن مع علّي، لا يفترقان حتى يردا علّي الحوض»(٢)، وهل الاجتهاد الممنوع في مقابل النصّ سوى هذا؟

ففي مسأله كهذه - التي هي من القضايا التي قياساتها معها ومع هذه الوثائق التاريخيه - لا يليق بمسلم أن يطلب من غيره الحكم لطرف معيّن، ويسير في بحثه وتنقيبه سيراً ينتهي به إلى نتيجة معينه قبل البحث، بل يجب أن يطلب من الباحثين ترك العصبية، وتشجيعهم على حريه التفكير.

والغرض من ذلك كلّ: أنّ اختلاف الآراء في مثل هذه المسائل لا يمنع من التقريب واتحاد المسلمين، ولا يمكن حسم هذه الاختلافات ما دام التاريخ أمام المطالعه والبحث، فكلّ من يراجع التاريخ، خاصه في العصر الحاضر، ولم يقنع بتبرئه امّ المؤمنين عائشه ومعاويه وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم وأضرابهم بعتذر اجتهادهم، لا ينبغي تحميل رأي آخر عليه، ولا ينبغي عتابه على رأي أدّى إليه اجتهاده، ولا يجوز هجرانه وترك موالاته. فمن يرى تصويب كلّ اجتهاد، أو يرى حمل فعل المسلمين على الاجتهاد، ويرى مرتكبي إراقه الدماء المحترمه، وهتك الأعراض، ونهب الأموال في صدر الإسلام مجتهدين معذورين يجب عليه أن يرى من نظر في التاريخ وظهرت له خيانه زيد أو خطأ عمرو مجتهداً معذوراً، بل هذا أولى بالعدر ممّن سبقه!٥.

ص: ٢٦٠

-
- ١- بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٣٥؛ الغدير: ج ١٠ ص ٢٨٦.
 - ٢- بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٣٥.

وأَمَّا ما تمسَّك به في الصفحه (٣٥) من أن الناس قد اعتادوا أن يقيسوا صدق الدعوه بكثرة ما أبرزته هذه الدعوه من نماذج رائعه، وسوء النظر إلى الصحابه يضعف تأثير الدعوه وقيمه هذه التعاليم، ويضعف الإيمان بمربيهم وقائدهم فهذا كلام خطابي شعري ليست له أيه قيمه علميه، وإلا فيدعى ذلك بالنسبه إلى الله تعالى - العياذ بالله - ويُستدلّ على ضعف هدايته وتعاليمه بقوله من اهتدى بهداه، وعلى قوه إغواء إبليس بكثرة الكفار وأهل المعاصي، ويُستدلّ لقوه تعاليم بوذا بكثرة مؤيديه.

على أن دعوه الرسول صلى الله عليه وآله وتربيته أثرت في جميع الصحابه حتى المنافقين منهم، فغيّر تفكيرهم ومسير حياتهم، فعرفوا للإنسان حقوقاً لم يكونوا يعرفونها لولا هدايه الله تعالى وتعاليم رسوله، وقدمت في مجالات مختلفه رجالاً وأبطالاً، وإذا قسنا نجاح دعوه الإسلام بنجاح الدعوات الأخرى رأينا أن الإسلام أكثر نجاحاً من الجميع. فالإسلام وإن لم ينجح بعد في جميع أهدافه

ومطالبه وأغراضه لكّنه قدّم للبشريه مثلاً رائعاً ونموذجاً حياً من الرجال الكَمَل، أمثال أبي ذرّ وسلمان ومقداد وعمّار وسعد بن معاذ وخزيمه بن ثابت وابن التيهان وخيّاب بن الأرتّ وحجر بن عدى وعمرو بن الحَمق الخزاعي وغيرهم، وبهؤلاء الرجال والآلاف من الجهابذه والأبطال ورجال التضحية والإباء والمثل الإنسانيه العليا، الذين أنجبهم الإسلام خلال أربعه عشر قرناً تعرف قيمه تربيته الإسلام وأهدافه ومقاصده.

ولا يُعبأ على الإسلام أو الدعوه إن ظهر فيها أشقى البريه كابن ملجم المرادى ويزيد ومسلم بن عقبه والحجاج، بل يجب أن نعرف الأسباب التي دعت للقيام في وجه هذه الدعوه ومسئوليه، حتى آل أمر الأُمّه إلى حكومه هؤلاء.

فلا ينبغي لنا تبرئه الخاطئين والخائنين رغم المصادر الوثيقه، ورغم ما نعرف عنهم من الخطأ والخيانه من أجل أن لا يسيء أحد ظنّه، خاصه إذا كان يجهل الأمور ولا يعلم المقاييس الصحيحه، فإن الإسلام أعلى وأقوى برهاناً من أن يمسّ كرامته هذا الزعم الفاسد.

وهذا المنطق يؤدّي بنا - إذا ما أحسنّا الظنّ واعتبرنا ما فعله بعض السلف والصحابه حسناً وسليماً وشرعياً - إلى اتّهام الإسلام وتعاليمه بأنّ هذه التعاليم وهذه المناهج لا تهدي - والعياذ باللّه - إلى الرشاد والعدل و المساواه و المواساه، و إلى الإصلاح والإصلاح.

والحق هو إسناد كلّ فعل حسن صدر عنهم إلى الإسلام وتربيته، وإلى

هدى القرآن، وإسناد أفعالهم المخالفه لهدى القرآن وغير اللائقه بشأنهم إلى أنفسهم.

فمثلاً وقعه الحرّه وأضرابها من الوقائع الكثيره التى وقعت أيام خلفاء بنى اميه وبنى العباس، والتى سَوَّدت وجه التاريخ ليست من آثار دعوه الإسلام، ولاعلاقه لها - بعيده أو قريبه - بالإسلام والتربيه الإسلاميه، إلاعلاقه التباين والتضاد، وهى بعيده عنه بُعد المشركين. وتبرئه الذين لم ينسَ التاريخ خياناتهم وخطيئاتهم مردوده ومرفوضه عند الباحثين المنصفين.

فليس ما ذكرتم عذراً لتحسين الاعتقاد بهم وتصويب أخطائهم. وقد سبق مثل هذا الكلام من الشيخ نظام الدين عبد الملك المراغى - أفضل علماء الشافعيه فى عصره - عند مناظرته للعلامه الحلى فى المذهب، وقد افجَم آنذاك بالأدله الساطعه والبراهين القاطعه التى أقامها العلامه، رضوان الله عليه، بحيث لم يبقَ للحاضرين شبهه، وبهت الشيخ وخجل، وأخذ فى الثناء على العلامه، وذكر محامده وقال: قوه أدله هذا الشيخ فى غايه الظهور، إلاأنَّ السيلفَ منا سلكوا طريقاً، والخلفَ ولأجل إجماع العوام ورفع شقِّ عصا أهل الإسلام سكتوا عن زلل أقدامهم، فبالحرى أن لا تُهتَكَ أسرارهم...

والأخذ بهذه النصيحه إنما يفيد لو لم يسجَل التاريخ، ولم تدوّن كتب الحديث والجوامع والمسانيد والصحاح ما صدر عن بعض الصحابه، ولم يكن صدر عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من أقوال فى أهل بيته ومناقبهم وفضائلهم.

أمّا بعد ذلك وبعد مثل أحاديث الثقلين والروايات المتواتره كروايه «الأئمه

اثنَا عشر» وغيرها، وما حفظ التاريخ من الأحداث والفتن، رغم كونه تحت رقابه السياسه، فإنّ طلب السكوت وترك البحث والتنقيب غير ممكنين ولا مُجديين.

ص: ٢٦٤

قال رئيس الوفد فى الصفحه (١٥): ولم نعرف أثراً لضريح الخليفه هارون الرشيد الذى دوى اسمه فى الآفاق، ونال من الشهره حظاً لم ينله ملك من ملوك المسلمين أو ملوك الشرق، والذى قال لقطعه سحاب مرت على رأسه: امطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك.

فإذا كان الأستاذ الندوى يريد من هذا تنبيه القراء بأن الدهر هكذا يفعل بالملوك وأهل الدنيا الجابره، [فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ] (١)، ولا تُعرف قبورهم، وإن عُرِفَت فالناس يعرضون عنها ولا يسألون عنها، ولا يعتنون بها كاعتنائهم بآثار أولياء الله ورجال الدين والخير، فلا يرب أن ما ذكر إتما هو من العبر، وما أكثر العبر وأقل الاعتبار، وقد عزف عن قبر هارون والترحم عليه حتى أهل السنه، فلم يقصده أحد تقرباً إلى الله تعالى أو تقديراً

ص: ٢٦٥

لشخصيته، فى حين أنّ أكابر العلماء من أهل السنّه كانوا ولا يزالون يزورون مرقد على بن موسى الرضا عليه السلام فى البقعه الهارونيه، ويقدّسون قبره، ويروون عنه الكرامات، كما يزورون قبر والده الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فى الكاظميه ببغداد، الذى أخذه هارون ظلماً، وحيسه، ثم أمر السندى بن شاهك بقتله.

وإن أراد بحديثه هذا إبداء الأسف على عدم معرفه قبر هارون، وكان يودّ أن يكون له ضريح كضريح الإمام الرضا عليه السلام ويحترمه المسلمون كاحترامهم للإمام، فهذا أمر لا يتوقّعه إلّا من لم تكن له بصيره بفلسفه الاجتماع وآثار مواقف الرجال، فموقف الإمام الرضا وسائر أئمه أهل البيت عليهم السلام موقف يجذب العواطف، وينفذ إلى أعماق القلوب، ويحبّب صاحبه إلى كلّ قريب وبعيد، بينما موقف أعدائهم وظالمهم موقف يجعل صاحبه معرضاً للطعن، وتنفر منه القلوب، وتشمئز منه النفوس، ويبغض صاحبه إلى كلّ قريب وبعيد.

وإنّ من أقوى الأدله على حريه التفكير الإسلامى واستقرار روح العدل والمساواه، والنفور من الدكتاتوريه والظلم عند المسلمين: عدم اعتنائهم بآثار الجابره، واعتناؤهم بآثار أهل البيت عليهم السلام والصحابه والعلماء والمصلحين المشهورين بالغيره على الإسلام والجهاد ضد استبداد المستبدين.

وإنّى - وقد ساقنا الحديث إلى هنا - أرى أنه من الضروره بمكان أن نعلن - كمسلمين واعين - عدم شرعيه حكومه هؤلاء المستكبرين، أو اولئك الذين ملكوا المسلمين، وأحيوا سنن الملوكيه بكلّ ما فيها من التواء وانحراف عن خطّ الرساله وصفاء التعاليم السماويه المباركه، وسمّوا أنفسهم خلفاء، ويشهد التاريخ

- كالكامل وغيره - على سيرتهم غير المرضيه، وأن منهاج الشريعة وبرامج الإسلام لا يمكن أن تنجب حكومات كهذه الحكومات، أو تعترف بها وبشرعيتها، كما لا يمكن أن تنجب من يعترف بشرعيتها ويدافع عنها.

فالإسلام والمسلم لا يفخر بهؤلاء، بل يفخر بمبادئه الساميه البناءه، وبمُثله العليا، وقيمه الرفيعه، ورجاله المؤمنين، الذين أدركوا حقيقه رساله الإسلام، من الصحابه والتابعين لهم بإحسان.

فما هي صله ملوك بني اميه وبني العباس في سيرتهم وسلوكهم الحكومى والسياسى والمالى بالإسلام؟ وما عذرنا عند الباحثين فى مبادئ الإسلام وتاريخه إن اعتبرنا حكومه هؤلاء شرعيه، واعتبرناهم مثلاً لسياسه الحكم والإداره واحترام حقوق الإنسان ومبدأ المساواه والمواساه الإنسانيه فى الإسلام، ومظهراً بارزاً من مظاهر التربيه الإسلاميه؟

فما يريد من قبر هارون والمأمون والأمين والمتوكل والوليد ومعاويه ويزيد وعبد الملك وأمثالهم - من لم يكن فى قلبه مرض، وهوى نفسه مع الحكام الجبابره، الذين استكبروا فى الأرض وعتوا عتواً كبيراً؟

والمناهج التربويه الإسلاميه أسمى وأنزّه من أن تؤيد حكماً وقاده يستضعفون الناس، ويتجاهرون بالفسق من الخمر والميسر، والظلم بمصادره أموال الناس وقتل النفوس البريئه، ولم يكن هؤلاء أحسن سيره ممن يتولون اليوم امور المسلمين باسم الملك أو الأمير أو القائد. فهل تسمح يا أخى أن تسند سيرهم التى يُعلن عنها فى الإذاعات وعلى شاشات التلفاز والصحف

والمجلات، وسائر وسائل الإعلام، إلى الإسلام، وتقول: إن الإسلام ونظامه التربوي يرتضى حاكماً يرقص مع النساء الأجنبية في النوادي والحفلات والمجالس الرسمية، ويأتي بالمغنيات والراقصات المحسوبات على المسلمات في مجالس ضيافته للكفار، ولا يحترم السنن الإسلامية، ويسمح باختلاط الرجال الأجانب بالنساء الأجنبية، ولا يتجنب الآداب الغربية في ضيافاتها واستقبالاتها الرسمية، ويشوق النساء بترك الآداب الإسلامية ويهتك العفاف.

اعرف أيها المثقف مناهج الإسلام التربوية، وأهدافه في الحكم والإدارة، وتأمل في آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسيره الأئمة الهداه المهديين، وأعرض سيره هارون وغيره من رؤساء الاستكبار والاستعلاء على كتاب الله تعالى، سيما على مثل هذه الآيه الكريمه [تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ] (١) حتى تعرف أن الإسلام وبرامجه وتعاليمه لا ينجب حكاماً مثل هؤلاء المستكبرين، الذين أحيوا سنن الأكاسره والقياسره الجبارين، وتركوا سنن الأنبياء والمرسلين. ٣.

ص: ٢٦٨

١- القصص: الآيه ٨٣.

إنّ ما ينبغي لوفد الرابطة القيام به:

١ - حثّ الشباب وخرّيجي المعاهد والكليات على التمسّك بالمبادئ الإسلاميّه، والتحلّي بالأخلاق الكريمة، والدعوه إلى الإسلام ونظامه.

٢ - زياره المعاهد العلميّه والجامعات وكليات العلوم الحديثه، وإلقاء المحاضرات على طلبّها، وتشجيعهم على حفظ الاستقلال الإسلامي، والحفاظ على آدابه، ونبذ ما سواه، ودعوتهم إلى الجهد وبذل الجهد في طلب العلم، وتعلّم الصناعات التي سيطر الغرب بها على الشرق.

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومطالبه الحكومات برفض الشعائر الكافره، وعدم تقويه الفرق والأقليات الملحدّه التي اختلقها الاستعمار حديثاً لمقاصده والقضاء على الإسلام، وعدم حمايتهم، كالكاديانيه والبهائيه وغيرها، التي يؤيدها الاستعمار لنواياه الشريره، كالصهاينه والصليبيه

والمجوس، الذين تحيا آثارهم باسم «الفلكلور»، تقويه لقوميات مختلفه مشتتته، في عقر دار الأمه الإسلاميه.

٤ - مطالبه الحكومات بنقض حكم السفور، وفرض الحجاب على الفتيات في المدارس والمعاهد والكليات، وفصل كل من الجنسين عن الآخر بمدارس خاصه، فإن المدارس المختلطة تبعد الطلاب والطالبات عن السنن الإسلاميه، وتُमित فيهم روح الغيره الإسلاميه، وتُظهرهم بمظهر الميوعة، وتذهب بكرم الأخلاق، وتأتى بالفحشاء والمنكر، وفساد الأخلاق والدعاره والاستهتار.

٥ - تشجيع طلاب العلوم الإسلاميه والمدارس الدينيه من الشيعه والسنة، وتحفيزهم على أداء واجبههم الدينى فى شرق الأرض وغربها، وتوحيد الكلمه، وإعلاء كلمه التوحيد، ورفض النعرات الطائفيه، وترك المذاهب وشؤونها.

٦ - إطلاعهم على مدى الخطر اليهودى والتبشير المسيحى والشيعه بشتى مظاهرها على الإسلام والمسلمين ومقدراتهم.

٧ - مناشده المسلمين فى العالم لتوحيد كلمتهم واسترداد حقوقهم المغتصبه؛ لأجل مستقبل إسلامى أفضل.

إلى غير ذلك.

تبصره:

إنما لم تناقش ما أشار إليه من الرأى حول المسائل الفرعيه والآراء

ص: ٢٧٠

الطائفية؛ لأننا لا نُحِبُّ إجابته من يكرّر هذه المناقشات لدواعٍ معلومه، سيّما إذا لم يأتِ بجديد.

فعلى الباحث في هذه مراجعه كتب أعلام المسلمين، كالعلّامة السيد محسن الأمين، والعلّامة كاشف الغطاء، والعلّامة شرف الدين، والعلّامة السبكي الشافعي، والشيخ يوسف النبهاني، وغيرهم من فحول العلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

قم المقدسه - لطف الله الصافي الكلپايگانی

سنه (١٣٩٥) هجريه

ص: ٢٧١

جلاء البصر

اشاره

ص: ٢٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

يتناول كتاب «جلاء البصر لمن يتولّى الأئمّه الإثنى عشر» عدداً من الروايات التي تُوهَم أنّ عدد الأئمّه عليهم السلام ثلاثه عشر إماماً. وكان هذا الموضوع قد ورد ضمن أسئله وُجّهت إلى آيه الله العظمى الكليبايگاني قدس سره فأوكل سماحته حلّ هذا المعضل إلى كاتب هذه مقاله.

وقد جاءت مقاله في أربعة أقسام:

القسم الأول: يتناول الأخبار التي تُوهَم عدم موافقتها لتلك الأخبار الصحيحه والجمع عليها.

القسم الثاني: حول أسنادها.

القسم الثالث: حول نصوصها.

القسم الرابع: حول ما يصحّ أن يُقال في تأويلها والجمع بينها وبين غيرها من أحاديثنا المتواتره الموافقه لما استقرّ عليه مذهب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم

الطائفه المحقّقه الإثني عشرية (من نصّ الكتاب).

بعد أن يقوم المؤلّف بإيراد توضيح علمي وفنيّ حول أسناد تلك الروايات ونصوصها ودلالاتها، يستنتج أنّها حتّى وإن كانت واضحة وصريحه، فإنّها ساقطه من الاعتبار، إذ تدحضها أحاديث متواتره تروى عن طريق الشيعة والسنة تؤكّد أنّ عدد الأئمة الأطهار إثني عشر إماماً.

وبالإضافه إلى ذلك فإنّ كتاب «جلاء البصر» يدحض كلّ هذه الاحتمالات والتوهّمات، ويثبت أنّه حتّى الروايات التي تُوهّم أنّ ظاهرها على كون الأئمة الأطهار ثلاثه عشر إماماً، فإنّها عند إعادته نظره أدقّ تدلّ على أنّ الأئمة اثنا عشر عليهم السلام لا أكثر.

ص: ٢٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على سيد الأولين والآخرين أبي القاسم محمد المصطفى وآله الطاهرين، حجج الله على الخلق أجمعين.

يرد في كل يوم من شتى أقطار العالم الإسلامي على بعض فقهاء العصر ومراجع الشيعة - ممن لا- يرتضى التصريح باسمه الشريف (1)- عشرات من المسائل والاستفتاءات حول المعارف الإسلامية والمفاهيم الدينية، والفروع الشرعية العملية وغيرها، بل قد تنوف في بعض الأيام على المائة، فيتصدى - مدّ ظله - للإجابة عليها، مع ما هو عليه من الأعمال المرهقه المتعلقة بالحوزاته.

ص: ٢٧٧

١- المقصود: هو المرجع الديني الأعلى آيه الله العظمى السيد محمد رضا الكليبايگاني قدس سره، الذي خسرت الأمة بفقدائها أحد الأفضاذ والأركان، والذي كان مثلاً للتواضع وإنكار الذات، فكان يقوم بأعمال عديده وكبيره ولا يرضى بذكر اسمه بالمدح والثناء. تغمده الله برحمته الواسعه وأعلى مقامه.

العلمية والجامعات الدينية وبخاصه جامعه قم الإسلاميه الكبرى من إداره شؤونها، والقيام فيها بمهام التدريس العالى، وإلقاء المحاضرات العلميه يومياً على مجموعه كبيره من فضلاء الحوزه، الذين يحضرون مجلس بحثه للاستفاده من علمه الغزير وتحقيقاته القيمه، بالإضافة إلى نشاطه فى خدمه العلم والدين، عن طريق تأسيس المشاريع العلميه والدينيه، كالمدراس والمساجد والمكتبات العامه، وتشجيع القائمين بأمثال هذه المشاريع مادياً ومعنوياً.

يضاف إلى كل ما تقدم تصديده لإرسال المبلّغين إلى شتى الأنحاء من المدن والقرى، وإنشاء مستشفى ضخّم مجهّز.

هذا بعض ما يقوم به ذلك الرجل الكبير الرائد، الذى لا يجب أن يذكر اسمه الشريف حياءً واستخفاءً، ولأنه يستقلّ ذلك كله فى جنب الله تعالى، أطل الله بقاءه، فقد أصبح بنعمه الله تعالى علماً هادياً، ونجماً لامعاً يهتدى به المؤمنون.

ومما ورد من الأسئلة على سماحته فى هذه الأيام، السؤال التالى:

ما وجه الجمع بين طائفه من الأحاديث التى تدلّ بظاهرها على كون الأئمه الاثنى عشر من ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو من ولده، أو من ولده وولد على، أو من ولد على وفاطمه عليهم السلام، مع غيرها من الأخبار المتواتره التى اتفق عليها الكلّ فى كون الأئمه مع مولانا أمير المؤمنين عليهم السلام اثنى عشر، وأنّ أحد عشر منهم من ولد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم فهل يمكن الجمع بينهما على نحو صحيح عرفى، أم يجب طرح الطائفه الأولى وعدم الاعتداد بها؟

فأمرنى بالإجابة على هذا السؤال وحلّ معضلاته، ودفع ما ربّما يتوهم

ترتبه على ذلك من الإشكال.

وإني امتثالاً لأمره الشريف أتصدى للإجابة عليه، متوكلاً على الله تعالى ومستعيناً به، فأقول:

اعلم أنّ الأخبار المتواتره الداله على أنّ الأئمه اثنا عشر مأثوره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام من طرق الفريقين.

وقد أخرج كثيراً منها جمع من أكابر علماء العامه، كأحمد بن حنبل في مسنده من خمسٍ وثلاثين طريقاً، والبخارى ومسلم في الصحيحين، والترمذى، وأبى داود، والطيالسى، والخطيب، وابن عساكر، والحاكم، وابن الديبع، والسيوطى، والمتقى، والبغوى، وابن حجر، والحميدى، والطبرانى، والشيخ منصور على ناصيف، وأبى يعلى والبزاز وغيرهم (1).ث.

ص: ٢٧٩

١- يراجع مسند أحمد: ج ٥ ص ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ج ١ ص ٣٩٨ (ط مصر المطبعه الميمنيه سنه ١٣١٣ هـ) وصحيح البخارى: ص ١٧٥ (ط مصر سنه ١٣٥٥ هـ) وصحيح مسلم: ج ٢ ص ١٩١ (ط مصر ١٣٤٨ هـ)، وسنن الترمذى: ج ٢ ص ٤٥ (ط دهلى ١٣٤٢ هـ)، وسنن أبى داود: ج ٢ ص ٢٠٧ (ط مصر، الطبعة الثانيه) والمستدرک على الصحيحين (ط حيدر آباد سنه ١٣٣٤ هـ) فى كتاب معرفه الصحابه: ج ٣ ص ٦١٧ و ٦١٨، ومسند أبى داود الطيالسى: ح ٧٦٧، و ح ١٢٧٨، وتاريخ بغداد: ج ٢ ص ١٢٦ رقم ٥١٦، و ج ٦ ص ٢٦٣ رقم ٣٢٦٩، ج ١٤ ص ٣٥٣ رقم ٧٦٧٣ (ط سنه ١٣٤٩ هـ)، وتيسير الوصول: ج ٢ ص ٣٤ ب ١ ف ١ (ط مصر سنه ١٣٤٦ هـ)، وتاريخ الخلفاء: ص ٧، والصواعق: ص ١٨، ف ٣ ب ١ (ط مكتبه القايره)، وينايع الموده: ص ٢٥٨ و ص ٤٤٥، ومصايح السنه: ج ٢ ص ٢٦٥ (ط محمد على صبيح)، ومنتخب كنز العمال، المطبوع بهامش مسند أحمد: ج ٥ ص ٣١٢، ومجمع الزوائد: ج ٥ ص ١٩٠، وغيرها من جوامع الحديث.

وقد صنّف محمد معين السندى - من علماء الجمهور - كتاباً فى هذه الأحاديث سمّاه: «مواهب سيّد البشر فى أحاديث الأئمة الاثنى عشر» كما قد روى هذه الأحاديث جمع من الصحابه:

١ - كأمير المؤمنين على عليه السلام.

٢ - وسيدة نساء العالمين فاطمه الزهراء سلام الله عليها.

٣ - والحسن عليه السلام.

٤ - والحسين عليه السلام.

٥ - وعبدالله بن مسعود.

٦ - وأبى جحيفه.

٧ - وأبى سعيد الخدرى.

٨ - وسلمان الفارسى.

٩ - وأنس بن مالك.

١٠ - وأبى هريره.

١١ - ووائله ابن الأسقع.

١٢ - وعمر بن الخطّاب.

١٣ - وأبى قتاده.

١٤ - وأبى الطفيل.

ص: ٢٨٠

- ١٥ - وشفى الأصبحي.
- ١٦ - ومكحول.
- ١٧ - وعبد الله بن عمر.
- ١٨ - وعبد الله بن أبي أوفى.
- ١٩ - وعمار بن ياسر.
- ٢٠ - وأبي ذر.
- ٢١ - وحذيفه بن اليمان.
- ٢٢ - وجابر بن عبد الله الأنصاري.
- ٢٣ - وعبد الله بن عباس.
- ٢٤ - وحذيفه بن اسيد.
- ٢٥ - وزيد بن أرقم.
- ٢٦ - وسعد بن مالك.
- ٢٧ - وأسعد بن زراره.
- ٢٨ - وعمران بن حصين.
- ٢٩ - وزيد بن ثابت.
- ٣٠ - وعائشه.
- ٣١ - وأم سلمه.

٣٢ - وأبى أيوب الأنصاري.

٣٣ - وجابر بن سمره.

٣٤ - وأبى امامه.

٣٥ - وعثمان بن عفان.

٣٦ - وعبدالله بن عمرو بن العاص (١).

وهذه الأخبار على طائفتين:

فطائفه منها ليس فيها إلّا التصريح بأنّ الخلفاء والأئمة اثنا عشر.

والطائفه الأخرى تتضمّن أسماء الاثني عشر بعضهم أو جميعهم.

ثمّ إنّ هذه الأخبار حسب استقصائنا الناقص بلغت قريباً من الثلاثمائة حديثاً، والأخبار الداله على أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام أول الأئمة عليهم السلام تزيد على ذلك بكثير، منها ما ينوف على المائة وثلاثين حديثاً، من جمله الأحاديث الداله على أنّ الأئمة اثنا عشر، حسب البيان المتقدم، فضلاً عن غيرها (٢)، فلو وجد حديث لا يتوافق مع ظاهر هذه الأحاديث المتواتره وجب تأويله إن أمكن، وإلّا فيطرح ولا ريب في ذلك م.

ص: ٢٨٢

١- يراجع في ذلك الكتب التي أشرنا إليها من كتب أهل السنّه، وجوامع حديث الشيعة ومؤلفاتهم في هذا الموضوع، كالصراط المستقيم إلى مستحقى التقديم في ثلاثه أجزاء، وإثبات الهداه في سبعة، وكفايه الأثر، ومقتضب الأثر، والمناقب لابن شهر آشوب، وبحار الأنوار، والعوالم، والعمده لابن بطريق، وكتابنا منتخب الأثر.

٢- إن شئت التّثبت في ذلك فراجع البحار، وإثبات الهداه، والصراط المستقيم.

وبعد هذه المقدمة نطرق باب الدراسة والتحليل لهذه الطائفة من الأخبار؛ حتى يستبين الحق فيها، ويظهر المراد منها، ودراستنا هذه تدور حول أربع جهات:

الأولى: حول الأحاديث التي تُوهَم عدم موافقتها لتلك الأخبار الصحيحة، والمجمع عليها.

الثانية: حول أسنادها.

الثالثة: حول متونها؟

الرابعة: حول ما يصحّ أن يقال في تأويلها، والجمع بينها وبين غيرها من أحاديثنا المتواتره الموافقه لما استقرّ عليه مذهب أهل البيت عليهم السلام، وشيعتهم الطائفة المحقّقه الاثنى عشرية، إن رأينا في هذه الأحاديث تعارضاً مع غيرها من الأخبار.

ص: ٢٨٣

فمنها: ما رواه شيخنا ثقة الإسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن محمد بن يحيى، عن عبد الله بن محمد الخشاب، عن ابن سماعه، عن علي بن الحسن بن رباط، عن ابن اذينة، عن زراره، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «الإثني عشر الإمام من آل محمد عليهم السلام كلهم محدث، من وُلِدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ولد علي، ورسول الله وعلي هما الوالدان عليهما السلام...» الحديث (١).

ومنها: ما رواه الكليني رضي الله عنه أيضاً عن أبي علي الأشعري، عن الحسن بن عبيد الله، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن علي بن سماعه، عن علي بن الحسن بن رباط، عن ابن اذينة، عن زراره قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

ص: ٢٨٤

١- الكافي: ج ١ ص ٥٣١ باب ما جاء في الإثني عشر والنص عليهم عليهم السلام (ط دار الكتب الإسلامية).

«الاثنا عشر امام (١) من آل محمد كلهم محدث من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولد علي بن أبي طالب، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليه السلام هما الوالدان» (٢).

ومنها: ما أخرجه ثقة الإسلام رضوان الله عليه، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن الحسين، عن أبي سعيد العصفوري، عن عمرو بن ثابت، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني واثنان عشر من ولدي وأنت يا علي رزّ (٣) الأرض، يعني أوتادها (و) جبالها، ٨.

ص: ٢٨٥

١- كذا في الأصل، والظاهر (الاثنا عشر إماماً).

٢- الكافي: الباب المذكور آنفاً: ج ١ ص ٥٣٣، ح ١٤.

٣- كذا في النسخة المطبوعة الموجودة عندنا، قال في القاموس: ج ٢ ص ١٧٦: رزّت الجراده وترزّ: غرزت ذنبها في الأرض لتبيض كأرزت، والرجل طعنه، والباب أصلح عليه الرزّه، وهي حديدته يدخل فيها القفل، والشىء في الشىء أثبتة. وقال العلامة المجلسي رحمه الله في مرآة العقول: فقوله: «يعني أوتادها» كلام أبي جعفر عليه السلام أو بعض الرواه، والمعنى: أنه شبههم عليهم السلام بالرزّ الذي هو سبب استحكام الأرض وشدها وإغلاقها، كذلك هم في الأرض بمنزلة الجبال التي هي أوتاد الأرض بالنسبة إليها، فقوله: «جبالها» عطف بيان للأوتاد، كما قال تعالى: (والجبال أوتاداً) سورة النبأ: الآية ٧. وفي الغيبة: «وجبالها» كما في بعض نسخ الكتاب، وهو أظهر، فيكون عطفاً على «رزّ» من كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو على أوتادها، فيكون من كلام الإمام عليه السلام، والأول على هذا أصوب. وفي بعض النسخ: «زرّ الأرض» بتقديم الزاء على الراء المهملة، كما ضبطه في الوافي، ولعلّ هذا هو الأظهر والأبلغ لبيان المراد. قال في القاموس: ج ٢ ص ٣٨: الزرّ - بالكسر - الذي يوضع في القميص، (ج) أزرار، وزرور، وعظم تحت القلب، وهو قوامه. انتهى. فعلى هذا أطلق عليهم ذلك لأنهم قوام الأرض، فلا تقوم إلابهم، ولو بقيت الأرض بغير حجّه لساخت بأهلها، كما لا يقوم أمر أهل الأرض إلابهم، وأتباع آثارهم والاقتداء بهم، والاهتداء بهديهم عليهم السلام، قد ثبت ذلك بالروايات والنصوص الكثيره، ويظهر من بعض الأخبار المخرجه من طرق أهل السنّه أيضاً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يدعى في لسان الصحابه بهذا اللقب، ويعترفون له هذا العنوان. قال في النهايه في حديث أبي ذرّ: قال يصف علياً عليه السلام: إنّه لعالم الأرض وزرّها الذي تسكن إليه، أي قوامها، وأصله من زرّ القلب، وهو عظم صغير يكون قوام القلب به، وأخرج الهروي هذا الحديث عن سلمان. انتهى كلام ابن الأثير. وهذا المقام الدالّ عليه المعنى المتقدّم الذي أفصح أبو ذرّ وسلمان بثبوتهم لمولانا على عليه السلام هو مقام الولايه الكبرى والإمامه العظمى، التي لا يمكن تقلدها إلا بإذن الله ونصبه، وهو المنصب الإلهي الذي يكون صاحبه والياً ومشرفاً على جميع أمور الدين والدنيا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مقام الخلافة التي لا يليها إلا أئمة أهل البيت، أعني الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجه، إما ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته. نهج البلاغه: ج ٣ ص ١٧٨.

بنا أو تد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدى ساخت الأرض بأهلها ولم يُنظروا» (١).

ومنها أيضاً: ما أخرجه أبو جعفر الكليني بهذا الإسناد، عن أبي سعيد رفعه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من وُلدى اثنا عشر نقيباً، نجباء، محدثون، مفهمون، آخرهم القائم بالحق، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً» (٢). ٨.

ص: ٢٨٦

١- الكافي: ج ١ ص ٥٣٤، ح ١٧.

٢- الكافي: ج ١ ص ٥٣٤، ح ١٨.

ومنها أيضاً: ما رواه عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الانصاري، قال: «دخلت على فاطمه عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر، آخرهم القائم عليه السلام، ثلاثة منهم محمد، وثلاثة منهم علي» (١).

وأخرجه الشيخ قدس سره بسنده عن جابر بن يزيد (٢).

ومنها: ما رواه أيضاً، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن مُسعدة بن زياد، عن أبي عبد الله، ومحمد بن الحسين، عن إبراهيم، عن ابن أبي يحيى المديني، عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى، قال: كنت حاضراً لثمة هلك أبو بكر واستخلف عمر، أقبل يهودى من عظماء يهود يثرب، وتزعم يهود المدينة أنه أعلم أهل زمانه، حتى رفع إلى عمر، فقال له: يا عمر، إنى جئتك أريد الإسلام، فإن أخبرتنى عما سألك عنه فأنت أعلم أصحاب محمد بالكتاب والسنة، وجميع ما أريد أن أسأل عنه. قال: فقال له عمر: إنى لست هناك، لكنى ارشدك إلى من هو أعلم امتنا بالكتاب والسنة، وجميع ما قد تسأل عنه، وهو ذاك، فأوماً إلى علي عليه السلام، ثم ذكر احتجاج اليهودى على عمر، وما سأل أمير المؤمنين عنه... إلى أن قال: فأخبرنى عن هذه الأمة كم لها من إمام هدى؟ وأخبرنى عن نبيكم محمد أين منزله فى الجنة؟ وأخبرنى من معه فى الجنة؟ ٢.

ص: ٢٨٧

١- الكافي: ج ١ ص ٥٣٢، ح ٩.

٢- الغيبة: ص ٩٢.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ لِهَذِهِ الْأَمَةِ اثْنِي عَشَرَ إِمَامًا هَدَىٰ مِنْ ذُرِّيَةِ نَبِيِّهَا، وَهَمَّ مَنِّي، وَأَمَّا مَنْزِلُ نَبِينَا فِي الْجَنَّةِ فَفِي أَفْضَلِهَا وَأَشْرَفِهَا جَنَّةِ عَدْنٍ، وَأَمَّا مَنْ مَعَهُ فِي مَنْزِلِهِ فِيهَا فَهَؤُلَاءِ الْإِثْنَا عَشَرَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَأُمَّهَمُ، وَحَدَّثْتَهُمْ، وَأُمَّهَمُ وَذُرَارِيَهُمْ، لَا يَشْرِكُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ» (١).

وأخرجه الشيخ رضي الله عنه بهذا الإسناد، إلّا أنه قال: عن إبراهيم بن أبي يحيى المدني، وقال «في منزله منها» بدل «في منزله فيها» (٢).

ومنها: ما أخرجه الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي، قال: حدّثنا أبو الفضل محمد بن عبد الله رحمه الله، قال: حدّثنا رجاء بن يحيى أبو الحسن اليسر بناني (٣) الكاتب، قال: حدّثنا محمد بن علاء - بسير من رأي - أبو بكر الباهلي، قال: حدّثنا معاذ بن معاذ قال: حدّثنا ابن عوف، عن هشام بن يزيد، عن أنس بن مالك، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حوارى عيسى؟ فقال: «كانوا من صفوته وخيرته، وكانوا اثني عشر..» - إلى أن قال - فقلت:

فمن حواريك يا رسول الله؟ فقال: «الأئمة بعدى اثنا عشر من صلب علي وفاطمة، وهم حوارى وأنصارى، عليهم من الله التحية والسلام» (٤). ك.

ص: ٢٨٨

١- الكافي: ج ١ ص ٣٥٢، ح ٨.

٢- الغيبة للطوسي: ص ٩٨.

٣- سند الحديث على ما فى البحار: ج ٣٦ ص ٣٠٩، ح ١٤٩ هكذا: أبو المفضل، عن رجاء بن يحيى العبرثاني الكاتب، عن محمد بن خلاد الباهلي، عن معاذ بن معاذ، عن ابن عون، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك.

٤- كفايه الأثر: فى باب ما جاء عن أنس بن مالك.

ومنها: ما خرّجه الشيخ الخزّاز قال: حدّثني محمد بن وهبان، قال:

حدّثني جدّي إسحاق بن البهلول، قال: حدّثني أبو البهلول بن حسان، قال:

حدّثني طلحه بن زيد الرقي، عن الزبير بن عطاء، عن عمير بن هاني العيسى، عن جنادة بن أبي امية، قال: دخلت على الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مرضه... - إلى أن قال: - فقلت: يا مولاي، مالك لا تعالج نفسك؟ فقال: «يا عبد الله، بماذا اعالج الموت؟»، فقلت: إنّنا لله وإنا إليه راجعون. ثمّ التفت إلى فقال:

«والله إنّّه لعهدٌ عهدُهُ إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنّ هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من وُلد علي وفاطمة، ما منّا إلّامسموم أو مقتول»(١).

هذا ما عثرت عليه من الأخبار ممّا قد يُوهِم ظاهره خلاف ما دلّت عليه الأخبار المتواتره، من حصر الأئمه في الاثني عشر، وأنّ أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام. ١.

ص: ٢٨٩

١- كفايه الأثر: في باب ما جاء عن الحسن عليه السلام، وأخرجه في الصراط المستقيم: ج ٢ ص ١٢٨، وفي الإنصاف: ص ١٢١.

ف نقول: أمّا الروايه الأولى والثانيه فقد صرّح العلامه المجلسى رضى الله عنه فى مرآه العقول بمجهوليتهما، وإنّما جعلتا روايتان وتكرّر نقلهما فى الكافى لتعدّد سندهما، وإلا فلا ريب فى أنّهما روايه واحده، رواها زرارّه، عن أبى جعفر عليه السلام، كما لا ينبغى الاعتماد على كل واحد من سنديهما. أمّا السند الأوّل: فمحمّد بن يحيى هو أبو جعفر العطار القمى، من مشايخ الكلينى، شيخ أصحابنا فى زمانه ثقّه عين، كثير الحديث، وعبدالله بن محمد من مشايخه، وهو أخو (بنان) أحمد بن محمد بن عيسى، فهو ليس بالخشاب، والصحيح عبدالله بن محمد، عن الخشاب، والظاهر أنّه الحسن بن موسى الخشاب، كما وقع فى السند الثانى، وهو من وجوه أصحابنا، مشهور كثير العلم والحديث.

وعلّه السند فى على بن سماعه؛ لأنّه غير مذکور فى كتب الرجال، والمذكور أخوه الحسن بن سماعه، فيمكن وقوع التصحيف فيه، وما فى النسخه المطبوعه بهامش مرآه العقول، والنسخه التى أخرجنا منها الحديث «ابن

سماعه»، وعليهما فيحتمل أن يكون هو الحسن بن سماعه بن مهران، وهو واقفي لم تثبت وثاقته، ويحتمل أن يكون الحسن بن محمد بن سماعه، فإنه يروى أيضاً عن علي بن الحسن بن رباط (١)، وهو أيضاً من شيوخ الواقفيه، ثقه، كثير الحديث، وكان يعاند في الوقف، ويتعصب، ويحتمل أن يكون ابن سماعه، هو محمد بن سماعه بن موسى بن رويد، أو محمد بن سماعه بن مهران، وقد أنكر وجود الثاني صاحب تنقيح المقال.

والكلام في ترجيح هذه الاحتمالات بعضها على بعض لا ينتهي إلى ما تركز إليه النفس، ويخرج السند من الجهالة؛ فلذا لا نطيل الكلام في ذلك. فظهر أنّ عله هذا السند هو كون الراوى عن علي بن الحسن بن رباط مجهولاً، لم يعلم أنه علي بن سماعه، أو الحسن بن سماعه، أو الحسن بن محمد بن سماعه، أو محمد بن سماعه.

وأما علي بن الحسن بن رباط فهو ثقه، معوّل عليه، من أصحاب مولانا الرضا عليه السلام.

وابن أذينة شيخ من أصحابنا البصريين، ووجههم، روى عن أبي عبدالله عليه السلام.

وأمر زرارته في جلاله القدر معلوم.

وأما السند الثاني: فالظاهر أنّ أبا علي الأشعري هو أحمد بن إدريس ١.

ص: ٢٩٢

١- يراجع في ذلك الاستبصار: باب ما يحرم جاريه الأب على الابن ج ٣ ص ٢١١، ح ٧٦٥، وباب أنّه تحجب الأم عن الثلث ج ٣ ص ١٤١، ق ٢، ح ٥٢٤، والتهذيب: ج ٩ ص ٢٨٥، ح ١٠٣٢، وج ٧ ص ٢٩١، ح ١٢٢١.

القَمِّي، الثَّقه، الفقيه، كثير الحديث، توفِّي بالقرعاء سنة ستِّ وثلاثمائه.

وأما الحسن بن عبدالله أو عبيد الله فهو أيضاً قَمِّي، ولكنّه مرميٌّ بِالْعُلُوِّ، وعلى بن سماعه - على ما بيَّناه - ليس مذكوراً في كتب الرجال، إلّا أنّ الشيخ قدس سره ذكر «الحسن بن سماعه» بدل «على بن سماعه»^(١)، وهو - كما قرأت - واقفي لم تثبت وثاقته، مع أنّ المفيد أيضاً أخرجها عن علي بن سماعه، وبذلك يضعف احتمال التحريف، ويقوى جهاله السند.

ومثل هذا السند غير معتبر أيضاً فلا يعتمد عليه.

وأما الحديث الثالث: فمحمد بن يحيى هو أبو جعفر العطار القَمِّي المذكور في سند الرواية الأولى، ومحمد بن أحمد هو محمد بن أحمد بن يحيى، وهو وإن كان جليل القدر ثقه في الحديث إلّا أنه كان يروى عن الضعفاء، ويعتمد المراسيل، ولا يبالي عمّن أخذ^(٢).

وكان محمد بن الحسن الوليد يستثنى من روايته ما رواه عن جماعه سمّاهم، وهو صاحب كتاب «نوادير الحكمه»، كتاب يعرفه القمّيون بدبّه شبيب^(٣). ك.

ص: ٢٩٣

١- غيبه الشيخ الطوسي: ص ٩٧.

٢- يراجع في ذلك وغيره مما ذكرناه في هذه الرساله من أحوال الرجال الكتب الرجاليه مثل: جامع الرواه، والفهرست، ورجال العلامه، والنجاشي، والكشي، وتنقيح المقال، ومنهج المقال وغيرها.

٣- شبيب فامي كان بقم له دبه ذات بيوت يعطى منها ما يطلب منه من دهن فشبهوا هذا الكتاب بذلك.

ومحمد بن الحسين هو ابن أبي الخطّاب الهمداني، جليل من أصحابنا، ثقة، عين، عظيم القدر، كثير الروايه.

والظاهر أنّ أبا سعيد العُصفوري وأبا سعيد العصفري وعباد بن يعقوب الرواجني واحد، كما تبّه عليه شيخنا النوري عليه الرحمه.

وقال في جامع الرواه في عباد بن يعقوب: تقدّم عن «جش» قول بأن هذا، وأبا سعيد العصفري واحد (مع).

قال ابن حجر: صدوق رافضى. وعن الذهبي: شيعى وثقه، أبو حاتم، له أخبار المهدي.

وأما عمرو بن ثابت فهو ابن أبي المقدام، من أصحاب مولانا الصادق عليه السلام، ثقه على الأظهر.

وأبو الجارود هو زياد بن منذر، وإليه تُنسب الجاروديه، رويت في ذمّه روايات تضمّن بعضها كونه كذاباً كافراً.

وأما الحديث الرابع: فهو مرفوع، وقد عرفت رجال سنده إلى أبي سعيد.

والحديث الخامس: يظهر ضعف سنده ممّا تقدّم في أبي الجارود.

وأما الحديث السادس: فقال المجلسى قدس سره في مرآه العقول: سنده الأول صحيح، لكنّ الظاهر أنّ فيه إرسالاً؛ إذ مسعده من أصحاب الصادق عليه السلام، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطّاب، من أصحاب الجواد والهادى والعسكرى عليهم السلام، لكن يروى هارون بن مسلم عنه كثيراً، مع أنّه قال النجاشى فيه: لقي أبا محمد وأبا الحسن، فيحتمل أن يكون مسعده معمّراً، روى عنه محمد.

أقول: لا يدفع بذلك احتمال الإرسال؛ لبعده عن فوز مثل مسعده بن زياد بقاء مولانا الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام في مده تزيد على خمسين سنة، وعدم روايته عنهم ولو بالمكاتبه، أو بالواسطه، فالظاهر أنه توفي في زمان الصادق عليه السلام، وقد قبض في شوال سنه ثمان وأربعين ومائه، أو أوائل عصر الكاظم عليه السلام، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب، توفي في سنه اثنتين وستين ومائتين، وبذلك يستبعد روايه محمد بن الحسين عنه بلا واسطه، بل وروايه هارون بن مسلم، فبقى احتمال الإرسال على حاله، والله أعلم.

وأما سند الثاني فمجهول عامي، كما صرح به في مرآه العقول.

وأما الحديث السابع: فضعيف، لم نعثر على بعض رجاله في ما عندنا من كتب رجال الشيعة.

والحديث الثامن: أيضاً لم نعرف بعض رجاله، ولا يخفى عليك، أن الأحاديث والنصوص المخرجه في كفايه الأثر أكثر رجالها وأسنادها من العامه، فإن مؤلفه رضى الله عنه صنف هذا الكتاب لتخريج ما روى بأسانيدهم في النص على الأئمه الاثنى عشر عليهم السلام، فلا اعتداد بما في هذين الخبرين (السابع والثامن) إن ثبت أن ظاهر بعض ألفاظهما يخالف مذهب الحق، ولا يقبل التأويل، بعدما ملأ الخزاز كتابه هذا بالأحاديث الصريحه على عددهم، وأسمائهم، وأوصافهم من طرق العامه، فراجع كتابه حتى تعرف كثره هذه الأحاديث من طرقهم.

هذا تمام الكلام في أسناد هذه الأحاديث، وقد عرفت عللها، وأنها بنفسها لا تنهض حجه، ولا يُعتمد عليها.

اعلم أنّ متن الحديث الأول والثاني واحد، وحيث إنّ المروى عنه في كليهما أيضاً واحد، وينتهي سند كل واحد منهما إلى علي بن الحسن بن رباط، عن ابن اذينة، عن زراره، فلا ريب في اتحادهما، كما تبيننا عليه.

والظاهر أنّه وقع في هذا المتن تحريف، فإنّ المفيد رضى الله عنه أخرج هذا الحديث بسنده عن الكليني، ومثته هكذا: «الاثنا عشر الأئمة من آل محمد كلّهم محدّث: علي بن أبي طالب، وأحد عشر من ولده، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى هما الوالدان»^(١).

وأخرجه الصدوق رضى الله عنه أيضاً عن محمد بن علي ماجيلويه رضى الله عنه عن الكليني - رضوان الله تعالى عليه - بهذا اللفظ: «اثنا عشر إماماً من آل محمد عليهم السلام كلّهم

ص: ٢٩٧

١- الإرشاد: ص ٣٧٥، في باب ماجاء من النصّ على إمامه صاحب الزمان الثاني عشر من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

محدّثون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى بن أبي طالب منهم» (١).

فالمعول على روايه المفيد والصدوق عن الكليني، فإنّها كما توافق غيرها من الروايات المتواتره توافق عنوان الباب الذى أخرج الكليني فيه هذا الحديث، وتوافق الأخبار المخرجه فى نفس هذا الباب.

وأظنّ أنّ التحريف فى هذا المتن ناتج عن نقل معنى الحديث ومضمونه، دون التقيّد بألفاظه، فاشتبه على بعض الرواه، أو أنّ الناقل تسامح فى مقام النقل اتّكالا على وضوح كون عدد الأئمه اثنى عشر، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام منهم وأولهم، وليس خارجاً عنهم، فلا تجد فى فرق المسلمين من كان معتقداً بهذا العدد، ولا يرى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام منهم.

وكيف كان فالاعتماد على متن الحديث على لفظ الإرشاد، والخصال، وعيون أخبار الرضا عليه السلام.

وأما متن الخبر الثالث والرابع: فلا ريب أيضاً فى وقوع التصحيف فيهما، فإنّ أصل أبى سعيد الذى روى عنه هذان الخبران من الأصول الموجوده عندنا، وفيه تسعه عشر حديثاً، ولفظ الحديث الثالث فى هذا الأصل هكذا: «إنى وأحد عشر من وُلدى، وأنت يا على زرّ الأرض، أعنى أوتادها جبالها»، وقال:

«وتدّ الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الأحد عشر من وُلدى ساخت الأرض بأهلها، ولم يُنظروا» (٢). ٦.

ص: ٢٩٨

١- العيون: ج ١ ص ٥٧، الخصال: ج ٢ ص ٤٨٠، ح ٤٩، البحار: ج ٣٦ ص ٣٩٣، باب ٤٥، ح ٦.

٢- أصل أبى سعيد: ص ١٦، ح ٦.

وهذا المتن كما ترى تامّ مستقيم.

ولفظ الحديث الرابع: قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من وُلدى أحد عشر نقيباً نجيباً [نقباء، نجباء، نجباء خ ل] محدّثون، مفهّمون، آخرهم القائم بالحق يملؤها [الأرض خ ل] عدلاً كما ملئت جوراً»^(١).

وهذا المتن أيضاً موافق لألفاظ سائر الأحاديث المتواتره.

وأما الخبر الخامس: فقد أخرجه الصدوق بطريقتين: عن الحسن بن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري بهذا اللفظ: قال: دخلتُ على فاطمه عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء، فعددت اثني عشر، آخرهم القائم عليه السلام، ثلاثه منهم محمد، وأربعة منهم على عليهم السلام»^(٢).

وأخرجه أيضاً في كمال الدين بهذا اللفظ^(٣).

وأوضح من ذلك شاهداً على وقوع التحريف في خبر الكافي، وأنه مختصر من متنه الطويل: ما أخرجه الصدوق قدس سره قال: حدّثنا على بن الحسين بن شاذويه المؤدّب، وأحمد بن هارون القاضي - رضى الله عنهما - قالاً: حدّثنا ٤.

ص: ٢٩٩

١- أصل أبي سعيد: ص ٥، ح ٤، وفي المناقب: ج ١ ص ٣٠٠، وفي حديث أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أهل بيتي اثنا عشر نقيباً محدّثون، مفهّمون، منهم القائم بالحق يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً». وهذا اللفظ أيضاً موافق لألفاظ سائر الروايات المعتمده.

٢- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٤٦ و ٤٧، ح ٦ و ٧.

٣- كمال الدين: ج ١ ص ٢٦٩، ح ١٣ و ص ٣١١، ح ٣، و ص ٣١٣، ح ٤.

محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري الكوفي، عن مالك السلولي، عن درست بن عبد الحميد، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن جبلة، عن أبي السفاتج، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلت علي مولاتي فاطمه عليها السلام وقُدمها لوح يكاد ضوءه يُغشى الأبصار، فيه اثنا عشر اسماً، ثلاثه في ظاهره، وثلاثه في باطنه، وثلاثه أسماء في آخره، وثلاثه أسماء في طرفه، فعددتها فإذا هي اثنا عشر اسماً، فقلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: «هذه أسماء الأوصياء، أولهم ابن عمي، وأحد عشر من وُلدي، آخرهم القائم صلوات الله عليهم أجمعين» قال جابر: فرأيت فيها محمداً محمداً محمداً في ثلاثه مواضع، وعلياً وعلياً وعلياً وعلياً في أربعه مواضع (١).

فالعارف الخبير بفنّ الحديث يعرف أنّ ما رواه الكليني في الكافي، والصدوق في العيون وكمال الدين، والشيخ في الغيبة هو مختصر هذا الحديث.

وأما متن الحديث السادس: فالظاهر أنّ موضوعه هو مجيء يهودى إلى عمر للسؤال عما أراد، وأنّ عمر أرشده إلى أمير المؤمنين عليه السلام، هو بعينه موضوع ما رواه الكليني أيضاً في هذا الباب: ٥٢٩/١ و ٥٣٠، ح ٥، و ٢٩٤/١ و ٢٩٥ و ٢٩٦ ح ٣. وما رواه الصدوق في كمال الدين عن أبي الطفيل، وما رواه بسنده أيضاً في كمال الدين عن أبي عبد الله عليه السلام: ٢٩٧/١ و ٢٩٨ و ٢٩٩، ح ٥، وفيه أيضاً في: ٢٩٩/١ و ٣٠٠، ح ٦، وفيه أيضاً: ص ٣٠٠، ح ٧، و ص ٣٠١ و ٥.

ص: ٣٠٠

١- كمال الدين: ج ١ ص ٣١١، ح ٢، عيون أخبار الرضا: ج ١ ص ٤٦، ح ٥.

٣٠٢، ح ٨، وفي عيون أخبار الرضا: ٥٣/١ و ٥٤، ح ١٩، وفي الخصال:

٤٧٦/٢ و ٤٧٧، ح ٤٠، وفي مقتضب الأثر، عن عمر بن سلمه: ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧، وأخرجه في ينابيع المودّة: ٤٤٣ عن عامر بن واثله. وفي فرائد السمطين على ما في العباة: ٢٤٠/٢، ح ١٢.

فالظاهر أنّ كلّ هذه الأحاديث حكاه عن واقعه واحده، ولفظ الحديث في بعضها: «إنّ لمحمدٍ إثني عشر إمام عدل».

وفي بعضها: «يكون لهذه الأمة بعد نبينا اثنا عشر إماماً عدلاً، والذين يسكنون معه في الجنة هؤلاء الأئمة الاثنا عشر».

وفي بعضها: «فإنّ لهذه الأمة اثني عشر إماماً هادين مهديين»، وأما قولك: «من مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم من امته في الجنة، فهؤلاء الاثنا عشر أئمة الهدى».

وفي بعضها: «إنّ لمحمد من الخلفاء اثني عشر إماماً عدلاً، ويسكن مع محمد في جنة عدن معه اولئك الاثنا عشر الأئمة العدل».

ولفظ بعضها: «يا هارونى، لمحمد بعده اثنا عشر إماماً عدلاً، ومنزل محمد في جنة عدن، والذين يسكنون معه هؤلاء الاثنا عشر».

وبعضها هكذا: قال: «كم لهذه الأمة من إمام هدى لا يضربهم من خالفهم؟ قال: اثنا عشر إماماً، قال: فمن ينزل معه (يعنى مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم) في منزله؟ قال: اثنا عشر إماماً».

وبهذه المتون المعبره جداً يصحّح متن الحديث المروى عن أبى سعيد

الخُدري، وتشهد كلها بوقوع التصحيف فيه، أو المسامحة في نقل ألفاظه أو مضمونه، فلا ريب في أن المعتمد عليه هو هذه المتون الكثيره(١).

وأما الحديث السابع: فلم أعر بعدُ على متنٍ آخر له.

وأما الحديث الثامن: فقد روى في كفايه الأثر في الباب الذي روى فيه هذا الحديث حديثاً آخر عن مولانا الإمام أبي محمد الحسن السبط عليه السلام أيضاً، وساق الكلام إلى أن قال: «ولقد حدّثني حبيبي، عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته».

وهذا المتن خالٍ من الإشكال، ولا يبعد اتحاده مع ما رواه جناده بن أبي اميه عنه عليه السلام، بل الظاهر اتحادهما.

وعنده السبب في هذا الاختلاف في ألفاظ بعض الأحاديث: روايه الحديث بالمضمون والمدلول، وغفله بعض الرواه أو تسامحه، وعدم اهتمامه بحفظ لفظ المعصوم، فلا بدّ من تصحيح مثل هذه المتون بغيرها من المتون المعلومه صحّتها، ولا بدّ في ذلك من الرجوع إلى خبراء الفنّ العارفين بالمتون السليمه والسقيمه. وعندى أنّ هذا الفن - يعنى معرفه المتون - من مهمّات علم الحديث.

هذا تمام الكلام في أسناد هذه الأحاديث ومتونها.

ولقد ظهر لك ممّا تقدم أنّ هذه الأسانيد بنفسها لا تنهض حجّة في قبالم.

ص: ٣٠٢

١- راجع البحار: ج ٣٦، الباب ٤٢، باب نصّ أمير المؤمنين على الأئمه عليهم السلام.

الأحاديث المتواتره وأسانيدها، بل ليست بحجّه مطلقاً، كما أنّ هذه المتون أيضاً لا يُحتجّج بها، فإذا كان ولا بدّ من الاحتجاج بها فلا يحتجّ إلّابما هو خالٍ من الإشكال، مؤيد بغيره، فإنّ الأخبار يُقوّى بعضها بعضاً.

وعليه فلا حاجة لنا إلى النظر في المتون المذكوره وتأويلها وشرحها، على ما يوافق المذهب واتفق عليه أهل الحق.

ولكن لا- بأس بإجراء الكلام في ذلك أيضاً؛ تمييزاً للفائده؛ وحرصاً على دفع هذه الشبهه؛ ووفاءً بما وعدناه في ابتداء هذه الرسالة.

ص: ٣٠٣

ما يصح أن يقال في توجيه هذه الأحاديث:

اعلم أولاً: أن بعض هذه المتون ظاهر في انحصار الأئمة في الاثني عشر، وخروج أمير المؤمنين عليه السلام منهم، كالحديث السادس والسابع والثامن، بل الأول والثاني، وهذا مخالف للضرورة وإجماع الكل من عصر المعصومين عليهم السلام إلى زماننا هذا، وهذا الإجماع والضرورة قرينه قطعيه على عدم إرادته ظاهراً، وأنّ الكلام على فرض صدوره جرى على ما جرى للغلبة؛ أو لكون أكثرهم من صلب علي، أو من ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أو أنه قد استُعير لفظ «الذرية» للعترة، وأريد بها ما يعمّ الولاده الحقيقيه والمجازيه، أو لوجه اخرى مذكوره في البحار وفي مرآه العقول (١).

وثانياً: الظاهر أنّ كلّ من أخرج هذه الأحاديث - كشيخنا الكليني قدس سره، ومشايخه وتلامذته - إنّما أخرجوها في باب ما جاء في الاثني عشر والنصّ

ص: ٣٠٥

١- انظر: بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٩٨، ومرآه العقول: ج ١ ص ٤٣٧.

عليهم؛ لأنهم رأوا أنّ هذه المتون تقبل الجمع مع غيرها من الروايات، وبذلك يرتفع التنافى بينهما على فرض وجوده.

وثالثاً: إنّنا إذا سبرنا الأحاديث يتحصّل لنا منها: أنّهم عليهم السلام سلكوا في إطلاقاتهم وألفاظهم في هذا الباب مسلك المجاز، فأطلقوا على الأئمة عليهم السلام ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو ولده، أو أنّهم من ولد علي وفاطمة تغليياً؛ لكون أكثرهم من ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولد علي وفاطمة عليهم السلام؛ ولمعلومه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ليس من ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولد فاطمه، وبهذا الشاهد يرتفع الإشكال.

فمن الأخبار التي اطلق فيها لفظ «الذريّة» على جميعهم: ما أخرجه الخزّاز بسنده، عن مولانا سيد الشهداء الحسين عليه السلام قال: دخل أعرابي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد الإسلام، ومعه صَبٌّ...، وساق الحديث إلى أن قال: فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّك رسول الله حقاً، فأخبرني يا رسول الله هل يكون بعدك نبي؟ قال: لا، أنا خاتم النبيين، ولكن يكون أئمة من ذريّتي قوامون بالقسط كعدد نساء بنى إسرائيل، أولهم علي بن أبي طالب هو الإمام والخليفة بعدى، وتسعه من الأئمة من صلب هذا، ووضع يده على صدرى، والقائم تاسعهم يقوم بالدين في آخر الزمان، كما قمت في أوله...»
الحديث (١).٧.

ص: ٣٠٦

١- كفايه الأثر: باب ما جاء عن الحسين عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٤٢ و ٣٤٣، ح ٢٠٨، وكتابنا منتخب الأثر: ص ٨٨ و ٨٩، الفصل ١، الباب ٧، ح ١٧.

فمثل هذا الحديث صريح في أنّ هذه الإطلاقات والتعبيرات إنّما صدرت مجازاً واتّكالا على القرينه ووضوح المراد.

وأما الحديث الثالث: فيحتمل فيه أن تكون فاطمه عليها السلام مشموله به ضمن لفظ «الاثنى عشر»، بل إنّ ذلك هو الظاهر من الحديث، ومن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني واثنى عشر من ولدي، وأنت يا علي رزّ الأرض».

هذا، مضافاً إلى صحّحه إطلاق الولد على أمير المؤمنين، وعلى سائر الأئمه تغليباً، وعطف «أنت» عليه من قبيل عطف الخاصّ على العام تأكيداً وتشريفاً، كعطف جبرئيل على الملائكة (١).

وفي الحديث الرابع: أيضاً إنّما قال: «من ولدي» تغليباً؛ أو لكون أكثرهم من ولده.

والحديث الخامس: أيضاً مثله، ويمكن أن يكون المراد من قوله:

«فعددت» يعني فعددتهم مع والدهم اثني عشر، آخرهم القائم، ثلاثه منهم - أي من ولدها - محمد، وثلاثه منهم - أي من ولدها - علي، حيث إنّ لا حاجة في مثل هذا المقام إلى ذكر أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه كان معروفاً بالإمامه، فلا يشكّ في إمامته من رأى الإمامه في ولده، وإنّما أخبر الراوى عن سائر من اسمه علي؛ لأنّه لم تُعلم إمامتهم كما عُلمت إمامه أمير المؤمنين عليه السلام، مع أنّ منهم من لم يكن موجوداً في ذلك الزمان، وهما اثنان: الإمام علي بن موسى الرضا، والإمام علي بن محمد النقي عليهما السلام. ٥.

ص: ٣٠٧

وحاصل ما ذكرناه فى علل هذه الأحاديث امور:

١ - إنَّ أسنادها غير معتبره، فلا يجوز الاعتماد عليها بنفسها.

٢ - إنَّ متونها مصحفه محرّفه، يشهد بتصحيحها وتحريفها غيرها من الروايات المتواتره، فينبغى تصحيح متونها بها.

٣ - إنَّ لبعضها متوناً اخرى بألفاظ صحيحه وسليمه من الإشكال، فينبغى أن يكون الاعتماد عليها، لا على غيرها.

٤ - وعلى فرض صحه صدور هذه المتون فاللازم إنّما هو الجمع بينها وبين سائر الروايات بما ذكرنا، من حملها على التجوّز والتغليب، وغيرهما ممّا لا يابى العرف وأهل اللسان صحّته.

فإن قلت: فما وجه تخريج هذه الأحاديث فى الجامع الكافى مع ما فيها من العلل، ولزوم حمل ألفاظها على المجاز وترك ظواهرها؟

قلت أولاً: إنّ استعمال المجازات ليس خارجاً عن قانون المحاوره، وليس استعمال الألفاظ فى معانيها المجازيه أقلّ من استعمالها فى معانيها الحقيقيه لو لم يكن أكثر، ولا- فرق فى حجّيه ظواهر الألفاظ بين الاستعمالات الحقيقيه والمجازيه، فكلاهما حجّه عند أهل اللسان.

وثانياً: أنّ مَهْرَه فنّ الحديث العارفين بعلى الأحاديث، وما وقع فيها من التغيير والتصحيح إسناداً أو متناً لا يطرحون الحديث بمجرد هذه العلل بعد وضوح مورد التصحيح والتغيير، فكثيراً ما نرى فى كتب الخاصه والعامه أنّهم يصحّحون الأسانيد وأسماء رجالها وطبقاتها بغيرها، ويصحّحون ألفاظ الحديث

أيضاً بألفاظ حديث آخر، ويحملون بعض الألفاظ على المجاز بقريته غيرها من الروايات، ولا يشكون في ذلك.

فبناءً على ما تقدم نقول: إنَّ الكليني رضى الله عنه، الخزيّ في صناعه معرفه الحديث إنّما أدخل هذه الأخبار في باب ما جاء في الأئمة الاثني عشر والنصّ عليهم؛ لعلمه الأكيد بأنّ ليس لهذه الأخبار محامل اخرى غير التنصيص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، فلا يجوز رفع اليد عنها وتركها وطرحها، فإنّ ذلك لا يصدر إلّا من الجاهل الذي لا يعرف أحوال الأحاديث، ولا يدرى أنّ الأخبار يفسّر بعضها بعضاً، ويبين بعضها إجمال بعضها الآخر، وأنّ إسنادها يقوى ويعتمد عليها غيرها.

هذا ما وفّقنا الله تعالى إليه من الكتابه حول هذه الأحاديث الشريفه مع كمال الاستعجال، وكثره المشاغل، وتشتت البال، وقد ظهر بما لا مزيد عليه صحه الاستناد والاعتماد عليها؛ لإثبات إمامه الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، الذين هم سادتنا، وشفعاؤنا، وأولهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، وبعده ابنه الحسن عليه السلام، وبعده الحسين عليه السلام، وبعده ابنه على بن الحسين عليهما السلام، وبعده ابنه محمد بن علي الباقر عليهما السلام، وبعده جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، وبعده موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام، وبعده على بن موسى الرضا عليهما السلام، وبعده محمد بن علي الجواد عليهما السلام، وبعده على بن محمد النقي عليهما السلام، وبعده الحسن بن علي العسكري الأمين عليهما السلام، وبعده ابنه مولانا وسيدنا ناموس الدهر، وولى العصر الحجه بن الحسن المهدي، عجل الله تعالى فرجه، وصلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين.

اللهم اجعلنا من أنصاره وأعوانه ومقوى سلطانه.

قد تمّ تأليف هذه الرسالة فى اليوم السابع والعشرين من جمادى الثانيه من شهر سنه ١٣٩١ هـ ق.

قم المشرفه

لطف الله الصافى الكبايگانى

ص: ٣١٠

مشروعیه الاستخاره: وأنها لیست من الاستقسام بالأزلام

إشاره

ص: ۳۱۱

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل سنوات نشر شيخ الجامع الأزهر، محمود شلتوت، في مجله «رساله الاسلام» القاهريه مقالاً في التفسير، فأورد الآيه الشريفه [وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ] (١) التي تشير إلى هذه السنه الجاهليه المنهيه عنها ويقرنها ب «الاستخاره» التي وردت في روايات معتبره عن أهل البيت عليهم السلام والمتعارف عليها بين الشيعة.

فانبرى المؤلف بأمر من المرجع الفقيه آيه الله العظمى البروجردى قدس سره لكتابه هذه الرساله ردّاً على الشيخ شلتوت وتذكره له، وبعث بها إليه.

يقوم الكاتب في هذه الرساله بإيراد تحقيق كامل عن الاستقسام بالأزلام ويثبت عدم مشابهته للاستخاره.

ومن جمله الأمور التي يذكرها المؤلف في نقد ما توهمه الشيخ شلتوت

ص: ٣١٣

بهذا الخصوص هو أنّ المفسّرين وإن اختلفوا في تفسير الاستقسام بالأزلام إلّا أنّ القول المعتمد في تفسيره أنّ المشركين عندما كانوا ينحرون بغير الأمر ما، كانوا يتوسّلون بهذه الطريقة لمعرفة الشخص الذي يكون عليه دفع ثمن البعير، فأبطل الله تعالى تلك العادة الجاهلية بإنزال الآيه المذكوره.

إنّ المؤلّف، بما بذله من التدقيق والتمحيص بشأن «الاستخاره» يتوصّل إلى إثبات أنّ الاختلاف بين الاستقسام بالأزلام والاستخاره كالاختلاف بين الشرك والتوحيد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين، الذي ترك في أمته ما إن تمسكوا به لن يصلوا أبداً، كتاب الله، وعترته أهل بيته صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

قال الله تعالى: [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا اهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ] (١)

قرأت في «رساله الإسلام» (٢) التي تُصدرها دار التقريب بالقاهرة جزءاً في تفسير القرآن الكريم للأستاذ الشهير الشيخ محمود شلتوت (٣)، ووقفت فيهع.

ص: ٣١٥

١- المائدة: الآية ٣.

٢- العدد الأول من السنة الخامسة.

٣- شيخ الأزهر الأسبق، توفى سنة ١٣٨٣ هـ. وهذا النقد كتب في حياته عندما نشر هذا العدد، وأرسل إليه، وهذا الذي بيد قارئنا العزيز هو ما أرسل إليه مع إضافات اضيفت إليه عند عرضه للطبع.

على ما كتب حول تفسير هذه الآيه الكريمة وقوله تعالى [وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ]، وما اختاره فيه. وقد ألحق فيما ألحق بالاستقسام بالأزلام، من الطرق بالحصى وضرب الفول والرمل، الاستخاره من الله تعالى بالقرآن الكريم، وحيات السبحه المأثوره عن أئمه أهل البيت عليهم السلام، وزعم أنّ كلّ ذلك ينافى احتفاظ الإنسان بعقله، وأنّ القرآن المجيد يصير بذلك - والعياذ بالله - أداه الشعوذّه.

ولا يخفى عليك أنّه إنّما قال ما قال؛ لأنّه لم يتحصّل أولاً معنى الاستقسام بالأزلام، وثانياً لم يتفهّم حقيقه الاستخاره، وأنّها لم ترد في مورد استقلّ العقل بحسن فعله أو تركه، أو حكم الشرع برجحان فعله أو تركه، ولاتنافية كرامه القرآن المجيد وكونه كتاب الهدايه والإرشاد بالتي هي أقوم، كما أنّه لا ينافى ذلك التبرّك به وبآياته، وقراءته لأجل الثواب، وحصول بعض المقاصد كشفاء الأمراض ممّا هو مجرّب ومأثور في الأحاديث الكثيره المتواتره.

غير أنّ التأثير بالثقافه الماديه المسيطره على الأفهام والمشاعر يريد أن لا يقبل تأثير عالم الغيب في عالم الشهاده، ويريد أن لا يؤمن بعلم غير ماديه وتأثيرات غيبية، فينكر أثر التوكّل والتفويض والدعاء والصدقّه؛ ولذا ترى بعضهم يُنكرون معجزات الأنبياء، وما صدر عنهم من خرق العادات في عالم الماده، كقلب العصا بالثعبان، ومعجزه صالح، وحوت يونس، وإحياء الموتى،

وإبراء الأكمه والأبرص، ونصره النبي صلى الله عليه وآله بالملائكة.

ومن لا يُنكر ذلك منهم يؤؤله، ويرى الإيمان به ضرباً من الإيمان بالخرافات، ويُعدّ إنكاره نوعاً من الثقافه، وفتح باب ذلك فى الكتاب والسنة يقرب الشريعة ظهراً لبطن، أعاذنا الله من شر هذه الثقافات.

وفى الاستخارات المأثوره التى هى ليست إلامظهراً من مظاهر الإيمان بالله وطلب الخير أو معرفته منه أيضاً يتبعون هذه الثقافه التى ليست من التفكير الإسلامى بشىء فىنكرونها، ويلحقونها تارة بأفعال المشركين وعاداتهم، وأخرى بما لم يرد فيه حديث وروايه، ولم تثبت شرعيته من جانب الشرع.

هذا، ولزيادة البحث حول تفسير هذه الجملة الشريفه القرآنيه [وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ]، نذكر كلام الشيخ المذكور، ثم نتكلم حول تفسيرها بحول الله وقوته.

قال الشيخ محمود شلتوت: (ويلحق بهذا النوع الذى حرّمه الله على الإنسان احتفاظاً بعقله، ما يشبه من وسائل الاستقسام التى يعتادها الناس اليوم:

كالطرق بالحصى، وضرب الفول والرمل، والاستخاره بحبات السبحة، ومن أقبح أنواع الاستخاره: الاستخاره بالقرآن الكريم، الذى جرت به عادة بعض المسلمين، وصار شأناً معروفاً حتى عند أهل العلم والدين، وما كان الله ليرضى أن يكون كتاب هدايته وإرشاده بالتى هى أقوم فى الحياه العقلية والروحية والعملية أداه الشعوزه، أو لعبه يد عابث أو مضلل أو محتال).

أقول: فى تفسير الاستقسام بالأزلام أقوال:

القول الأول: أنّ المراد بالاستقسام بالأزلام: طلب معرفه الخير والشرّ، وما قسم فى مستقبل الحياه واستعلامها من عند الأصنام. وعلل بعضهم حرمة ذلك على تضمّنه العقيدة بالأصنام. وردّه بعضهم: بأنّ ذلك لم يكن فى جميع الأحوال عند الأصنام، فربّما كان مع الرجل زلمان يستقسم بهما إذا شاء.

ويردّ ذلك بأنّ هذا لا ينافى كون العله تكريم الأصنام، فإنّ الظاهر أنّ الأصل فى ذلك عندهم أن يكون عند الأصنام، وعند تعذّر الحضور فى بيت الصنم يستقسم بما معه من الأزلام، كما أنّ الظاهر أنّ هذا ليس من العله المنحصره، فيمكن أن يكون لحرمة علة اخرى.

وكيف كان، قال فى لسان العرب: (قال الأزهري: الاستقسام مذكور فى موضعه، والأزلام كانت لقريش فى الجاهليه مكتوب عليها أمر ونهى، وافعل ولا تفعل، قد زلمت وسوّيت ووضعت فى الكعبه، يقوم بها سدنه البيت. فإذا أراد رجل سفراً أو نكاحاً أتى السادن، فقال: أخرج لى زلماً، فيخرجه وينظر إليه، فإذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه، وإن خرج قدح النهى قعد عمّا أراد، وربّما كان مع الرجل زلمان وضعهما فى قرابه، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما) (١).

وقال أبو البقاء فى تفسيره: (كانت سبعة عند سادن الكعبه، عليها أعلام، كانوا يحكمونها (يجيلونها - خ ل)، فإن أمرتهم ائتمروا، وإن نهتهم انتهوا) (٢). ٥.

ص: ٣١٨

١- لسان العرب: ج ١٢ ص ٢٧٠.

٢- تفسير الجلالين: ص ١٣٥.

وروى الطبرى فى تفسيره(١): عن ابن إسحاق، قال: كانت هَيْبِلُ أعظم أصنام قريش بمكة، وكانت فى بئر فى جوف الكعبه، وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها ما يُهدى للكعبه. وكانت عند هَيْبِلُ سبعة أقداح، كلّ قدح منها فيه كتاب - إلى أن قال: - كانوا إذا أرادوا أن يجيبوا غلاماً أو أن ينكحوا منكحاً، أو أن يدفنوا ميتاً، أو يشكّوا فى نسب واحد منهم ذهبوا به إلى هيبل بمائه درهم وبجزور، فأعطاها صاحب القداح الذى يضربها، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون، قالوا: يا إلهنا، هذا فلان بن فلان، قد أردنا به كذا وكذا، فاخرج الحق فيه... إلى آخره.

وهذا كما ترى يدلّ على عدم انحصار الاستقسام بالأزلام بمعرفه الخير والشر، بل يعمها ومعرفه الحق عند اختلافهم، فكأنّهم يحكّمونها أو يحكّمون الصنم الذى يستقسمون بالأزلام عنده.

وقال الفصّال: ذكر هذا فى جملة المطاعم؛ لأنّه ممّا أبدعه أهل الجاهليه، وكان موافقاً لما كانوا فعلوه فى المطاعم، وذلك أنّ الذبح على النصب إنّما كان يقع عند البيت، وكذا الاستقسام بالأزلام كانوا يوقعونه عند البيت إذا كانوا هناك.

وقال بعضهم: وإنّما حرّم ذلك لأنّهم كانوا يحملون تلك الأزلام عند الأصنام. وهذا القول هو اختيار جمهور، كما نقل الرازى فى تفسيره.

إلّا أنّ سياق الآيه يأبى ذلك؛ فإنّ الله تعالى قال فى أول السوره: [أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِيمَهُ الْأَنْعَامَ] (٢) ثم ذكر استثناء أشياء بقوله تعالى: [إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ]. وفى هذه ١.

ص: ٣١٩

١- جامع البيان: ج ٦ ص ١٠٣.

٢- المائدة: الآيه ١.

الآية الكريمة ذكر تلك الصورة المستثناة، واستثناء الاستقسام على هذا التفسير من العموم المستفاد من قوله تعالى: [أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ]، مع أنه ليس من المطاعم على هذا القول لا يستقيم، وذكره في جملة المطاعم أيضاً ينافي هذا القول، وتوجيه القفال بعيد من الظاهر.

القول الثاني: ما نقله الرازي (١) وغيره، وقال: إنه قول المؤرخ وكثير من أهل اللغة، وهو: أن الاستقسام هو الميسر المنهى عنه، والأزلام: قداح الميسر.

وإلى هذا يرجع ما حكى عن مجاهد من أنه كعاب فارس والروم التي كانوا يتغامرون بها، وما حكى عن أبي سفيان بن وكيع من أنه هو الشطرنج.

وهذا القول إن كان راجعاً إلى أن الاستقسام هو من أفراد الميسر المنهى عنه يرجع إلى القول الثالث المروى عن أهل البيت الطاهر عليهم السلام. وإن كان المراد منه تفسير الاستقسام بمطلق الميسر يرده السياق والظاهر، كما رددنا به القول الأول. نعم، تفسير الأزلام بقداح الميسر وبما يتغامرون به لا ينافي هذا السياق.

القول الثالث: وهو القول الحق؛ لأنه مروى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام (٢) الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وآله عادلاً للقرآن، وقال: «إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

وهذا القول - كما في «مجمع البيان» وغيره - روى عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين، وابنه جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام، وهو: «إن ٨».

ص: ٣٢٠

١- تفسير فخرالدين الرازي: ج ١١ ص ١٣٥ (ط القديمه، الطبعة الثالثة).

٢- بحار الأنوار: ٣٨/٣٥.

الأزلام عشرة، سبعة لها أنصباء، وثلاثة لا أنصباء لها، وكانوا يعمدون إلى الجزور فيجزئونه أجزاءً، يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها إلى رجل، وثمان الجزور على من تخرج له التي لا أنصباء لها، وهو القمار، فحرّمه الله تعالى»(١).

وذكر هذا القول أبو السعود في تفسيره، إلّا أنّه ترك التنويه بذكر قائله عليه السلام، فقال: وقيل: هو استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعهودة. وذكره البيضاوي والسيوطي وغيرهما.

وقال الآلوسی فی «روح المعانی»: وقيل: المراد بالاستقسام بالأزلام:

استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعلومه، أى طلب قسم من الجزور أو ما قسم الله تعالى منه، وهذا هو الميسر، وقد تقدّم ذلك. وروى على بن إبراهيم، عن الأئمة الصادقين رضی الله تعالى عنهم، ورجّح بأنّه يناسب ذكره مع محرّمات الطعام. إنتهى كلام الآلوسی.

وهذا القول هو القول الموافق لسياق الآيه وما قبلها من الآيات.

ومن هذا القليل يعرف المنصف أنّ الأئمّه لو تمسّـكوا بالكتاب والعترة، وأخذوا العلم من أهله، وأتبعوا هُدى أهل البيت عليهم السلام آمنوا من الضلال والاختلاف، ومن القول بغير علم، وتفسير القرآن بالرأى، ويُعرف أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يأمر الأئمّه بالرجوع إلى أهل بيته إلّالفضائل اختصّهم الله بها؛ ولأنّ الله تعالى أمره بذلك.٢.

ص: ٣٢١

١- مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٧٢.

وقد فسّر الزمان سرّ ذلك، فصدر عنهم في المعارف الإسلاميه والعلوم الحقيقيه من التوحيد والتفسير والفقه والحديث والأخلاق والآداب، وشرح معالم الإنسانيه ما لم يصدر عن أحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، قد اعترف بذلك الموافق والمخالف.

ثم إنّ من جميع ذلك يظهر أنّه لاوجه لإلحاق الاستخاره بالقرآن المجيد وبحبّات السبحه بالاستقسام بالأزلام؛ لوجود الفرق بين الاستقسام بالأزلام وبين الاستخاره. فإنّ حقيقه الاستقسام على القول الأول الذى ظهر لك ضعفه يرجع إلى الشرك، واستعلام ما يكون فى المستقبل، وطلب معرفه الخير والشرّ من الأصنام. والاستخاره حقيقتها: الدعاء وطلب الحاجه ومعرفه الخير من الله تعالى علامّ الغيوب. والفرق بينهما هو الفرق بين الشرك والتوحيد، مع أنّه ليس فى الاستخاره طلب معرفه ما يقع فى مستقبل الحياه مثل الموت والمرض ووجدان الضالّه وغيرها ممّا يكون مآله طلب معرفه الغيوب.

وإنّما يستفاد منها إذا كان مؤدّاها الخير أنّ الأمر كيف وقع؟ ووقع أم لم يقع، يكون فيه الخير، وأنّ ما يقع هو أصلح الأمرين أو الأمور. ومثل هذا إنّما يؤثّر فى الإقدام على الفعل أو تركه، ولهذا ورد النهى عن التفوّل بالقرآن دون الاستخاره به. فإنّ التفوّل إنّما يكون فيما سيقع، كشفاء المريض وقدم المسافر وغيرهما، بخلاف الاستخاره فإنّها طلب لمعرفه الرشد وما فيه الخير.

فعلى هذا فالاستخاره بالقرآن الكريم وبالسبحه ليست مخالفه للكتاب، ولا مانعاً من هدايته وإرشاده للتى هى أقوم ولو قلنا بالقول الأول فى تفسير الاستقسام. وأما بحسب القول الثانى والثالث فلا ارتباط بين الاستقسام

والاستخاره أصلاً، ولاوجه لإلحاقها به.

وبعد ذلك فلا بأس بذكر بعض ما ورد في الاستخاره من الأحاديث، فنقول: دلت الروايات من طرق العامه على استحباب الاستخاره ومطلوبيتها:

فمنها: ما أخرجه أحمد والبخارى وغيرهما من أرباب السنن والمسانيد، عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسول الله يعلمنا الاستخاره في الأمور كلها، كالمسورة من القرآن، يقول «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك...» الحديث.

ومنها: ما أخرجه أحمد في مسنده - ج ١، ص ١٦٨ - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سعادته ابن آدم استخارته الله، ومن سعادته ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقوه ابن آدم تركه استخاره الله، ومن شقوه ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل».

وعن أنس بن مالك: لما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كان رجل ملحد (يلحد)، وآخر يضرح، فقالوا: نستخير ربنا، فبعث (فنبعث) إليهما، فأتيهما سبق تركناه، فأرسل إليهما، فسبق الله صاحب اللحد، فألحدوا له.

وهذا الحديث يدل على أن الاستخاره بالسبحه جائزه، لا إشكال في جوازها.

وأما الأخبار من طرقنا فأكثر من أن تحصى:

فمنها: ما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح، قال: قال أبو عبد

اللّٰه عليه السلام «صلّ ركعتين، واستخر الله، فوالله ما استخار الله مسلم إلّا خار له البتّه».

ومنها: ما روى عن البرقى فى المحاسن عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: «قال الله عزّوجلّ: من شقاء عبدي أن يعمل الأعمال فلا يستخيرنى»^(١).

ومنها: ما روى عن إسحاق بن عمار، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: قلت له:

ربّما أردت الأمر، تفرق منى فريقان، أحدهما يأمرنى، والآخر ينهانى. قال:

فقال: «إذا كنت كذلك فصلّ ركعتين واستخر الله مائه مره ومره، ثمّ انظر أجزم الأمرين لك فافعله، فإنّ الخيره فيه إن شاء الله»^(٢).

وفى روايه عن أبى الحسن عليه السلام: «ثمّ انظر أىّ شىء يقع فى قلبك فاعمل به»^(٣).

وفى روايه اليسع القمى، عن أبى عبد الله عليه السلام: «انظر إذا قمت إلى الصلاه، فإنّ الشيطان أبعد ما يكون من الإنسان إذا قام إلى الصلاه، أىّ شىء يقع فى قلبك فخذ به، وافتح المصحف فانظر إلى أول ما ترى فيه، فخذ به إن شاء الله تعالى»^(٤).

وربّما يُستخار لرفع التحير وطلب التعرّف على ما فيه الخيره بالسبحه، .

ص: ٣٢٤

١- المحاسن: ج ٢ ص ٥٩٨.

٢- الكافى: ج ٣ ص ٤٧١؛ المحاسن: ج ٢ ص ٥٩٩.

٣- الكافى: ج ٣ ص ٤٧١.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٣ ص ٣١٠.

وهي أيضاً مرويه في طرفنا عن الصادق عليه السلام، وكذا بالرقاع، وهي أيضاً مرويه عن أبي عبد الله عليه السلام.

ومنها: ما روى عن أبي عبد الله عليه السلام: «إذا أراد أحدكم شيئاً فليصل ركعتين، ثم ليحمد الله وليثن عليه، ويصلي على محمد وأهل بيته، ويقول:

اللهم إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني وديناي فيسره لي واقدره، وإن كان غير ذلك فاصرفه عني...» (١) الحديث.

ومنها: ما روى في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان علي بن الحسين إذا همّ بأمر حجّ وعمره أو بيع أو شراء أو عتق تطهر، ثم صلى ركعتي الاستخاره، وقرأ فيهما سورة الرحمن والحشر، والمعوذتين وقل هو الله أحد إذا فرغ وهو جالس في دبر الركعتين، ثم يقول: اللهم إن كان كذا وكذا خيراً لي في ديني وديناي وعاجل أمري وآجله، فصل على محمد وآله ويسره لي على أحسن الوجوه وأجملها، اللهم وإن كان كذا وكذا شراً لي في ديني وديناي وآخرتي وعاجل أمري وآجله فصل على محمد وآله واصرفه عني» (٢).

ومنها: ما روى عن محمد بن خالد أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الاستخاره؟ فقال: «استخير الله في آخر ركعه من صلاه الليل، وأنت ساجد، مائه مره ومره»، قال: كيف أقول؟ قال «تقول: أستخير الله برحمته، أستخير الله .»

ص: ٣٢٥

١- الكافي: ج ٣ ص ٤٧٢.

٢- الكافي: ج ٣ ص ٤٧٠.

ومنها غيرها ممّا هو مذكور فى جوامع الحديث.

ولا يخفى عليك أنّه يستفاد من مجموع هذه الأحاديث: أنّ الاستخاره نوعان:

النوع الأول: مجرّد طلب الخير بالدعاء، كما دلّت عليه روايه محمد بن خالد.

النوع الثانى: طلب التعرّف على ما فيه الخير من الله تعالى، أو طلب العزم على ما فيه الخيره، كما دلّ عليه خبر اليسع القمى، وأحاديث الاستخاره بالرقاع وبالقرآن المجيد وبالسبحه وحديث إسحاق بن عمار. ومحلّ هذا النوع تحيّر المستخير فى أمرين مباحين، أو مستحيين، بل ومكروهين إذا لم يكن طريق لمعرفه رجحان أحدهما على الآخر، لامن الشرع ولامن العقل، ولامن أحد يشاوره.

فإذا صار حاله كذلك ولم يأت منه الجزم على أحد الطرفين يستخير الله تعالى؛ لرفع تحييره وتحصيل الجزم على أحد الطرفين، ويعمل على مؤدّى استخارته، ويبنى على أنّ ذلك هو الأرجح، كما أنّه يصير أرجح أيضاً من جهه أداء استخارته إليه وكونه عملاً بما خار الله تعالى له.

وليكن هذا آخر كلامنا فى هذا البيان، ومن أراد التوسّع فى ذلك فعليه ٣.

ص: ٣٢٦

بمراجعته جوامع الحديث، وما كتب الأصحاب حول الاستخاره وآدابها وأنواعها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حزّره لطف الله الصافي الكلبيّ كاني

ص: ٣٢٧

تفنيد اذويه خطبه الإمام عليّ على الزهراء عليهما السلام

اشاره

ص: ٣٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخفى على من له إلمام بالتاريخ والحديث أنّ العلم والتاريخ والحديث تربّي في حجر الحكومه بدلاً عن أن تربّي الحكومه في حجرها وأن سياسات الحكّام الجائره أثرت في نقل التاريخ وروايه الأحاديث، فنقل المؤرّخون المأجورون تقرّباً إلى الحكّام والطواغيت في التاريخ قصصاً موضوعه وحكايات مفتعله تؤيد سياساتهم كما أسقطوا عن الصحيح منها تاره وزادوا عليها اخرى.

وكذا دسّوا في الأحاديث ما لا أصل له وأسقطوا من بعضها وزادوا على بعضها حسب ما ترتضيه سياسات الحكّام. وقد وقع ذلك بالعمده في الأحاديث المأثوره في فضائل أهل البيت عليهم السلام ومثالب أعدائهم من المنافقين والذين أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن سوء حالهم في أحاديث الحوض فسعوا في ترك روايه تلك الطائفتين من الأحاديث أو تحريفها وإلّا فتأويلها.

ولذا لم يبق في الكتب التي ألّفت في عصر ملوك بني اميه وبني العباس

واشتهرت بين الناس وأصبحت من المصادر الحكوميه إلالنزر اليسير، وقد سعوا أيضاً فى الأحاديث الراجعه إلى الفقه ونظامات الإسلام أيضاً بترك الأحاديث المرويّه عن طرق أهل البيت حتّى أميرالمؤمنين على عليه السلام إلأما لا بُدّ منه واستبدلت السياسه الرجال والعلماء بأفراد مأجورين مشبوهين معروفين بالفساد حتّى عند أرباب تلك السياسات، وقد وقعت الأُمّه بذلك فى محنه وبلاء عظيم.

ومن جمله ما دسّوا فى الأحاديث عداءً لأهل البيت عليهم السلام اكدوبه خطبه الإمام أميرالمؤمنين على الزهراء سيده نساء العالمين عليهما السلام فاخترعوها ودسّوها فى بعض متون الأحاديث المتواتره المشهوره المرويّه بطرق كثيره وامتون متقاربه التى مغزيها صحه موقفها وموقف الإمام عليهما السلام قبال ما وقع بين الأُمّه فى الحكم والنظام. وهذه رساله وجيزه فى بيان إبطال هذا الدسّ. واللّه الهادى إلى الصواب.

ص: ٣٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسلام على عباده الذين اصطفى، محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فهذه رساله وجيزه فى تفنيده اكدوبه خطبه الإمام على على الزهراء عليهما السلام، كتبتها ردّاً على بعض نواصب العصر، وتقرباً إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والله الموفق والهادى إلى الصواب.

ليس يخفى على من له إلمام بكتب الحديث أنّ أعداء أهل البيت عليهم السلام قد سعوا فى إطفاء نورهم، وطمس علومهم، وكتمان فضائلهم. وما بقى فى جوامع الحديث من أحاديث فضائلهم ليس إلّا القليل منها، فتركوا روايه مناقبهم لأسباب سياسيه، وكان فى عصر الأمويين والعباسيين روايه الحديث فى فضل على وأهل بيته عليهم السلام من أكبر الجرائم، وكان من أهم الوسائل للتقرب بها إلى الحكام وضع الأحاديث المشعره بتنقيص أهل البيت ومدح آخرين، وفيما يكون مغزاه الاعتراف بشرعيه الحكومات، وسيره الخلفاء والأمراء، وكانوا يعدّون من

ص: ٣٣٣

أظهر العلائم بكون الرجل من أهل السنّه ميله عن أهل البيت، ومحبتّه للعثمانيين(١).

وكان أقلّ ما عملوا في ذلك كتمانهم فضائل الإمام على عليه السلام، حتّى أن أمّ المؤمنين عائشه تمتنع من التصريح باسم عليّ عليه السلام، كما في حديثها في تمييز النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث كانت تقول: فخرج ويدّ له على الفضل بن عباس ويدّ له على رجل آخر، وفي حديثها الآخر تقول: فخرج بين رجلين، تخطّ رجلاه في الأرض بين عباس بن عبدالمطلب وبين رجل آخر(٢)، فتراها تصرّح باسم الفضل وعباس، وتترك التصريح باسم علي عليه السلام! مع أنّ في هذا ليس كثير فضل لمن هو من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنزله هارون من موسى، وكان له مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشاهدته المعروفه، ونزل في فضله ما نزل من الكتاب المجيد، ولا يبغضه إلّا منافق، ولا يحبّه إلّا مؤمن، وهذا يدلّ على شدّه اهتمامهم لإخفاء مناقب أهل البيت، ومبالغتهم في ذلك.

وازداد حقدهم شدّة في عهد معاويه وملوك بني اميه وبني عباس، حتّيه.

ص: ٣٣٤

١- راجع في ذلك كتاب «العتب الجميل» للحضرمي، و «النصائح الكافية» له، وكتابنا «أمان الأمّه».

٢- راجع صحيح البخارى: ج ٢ ص ٢١-٢٢ (ط المطبعه العامره، سنه ١٣٣٠ هـ). وقال في حاشيته: قوله: لم تُسمّ عائشه، أى لم تذكر اسمها، ولم ترد ذكره، وكانت - رضى الله عنها - واجده على سيدنا على؛ لَمّا بلغها من قوله حين استشار نبينا - عليه الصلاه - في حديث الإفك «النساء سواها كثيره». انتهى. ولنا حول أحاديث عبيد الله بن عتبه بن مسعود مقال، ليس هنا محلّ ذكره.

ضربوا مثل عطيه العوفى أربعمائه سوط وحلقوا لحيته؛ لأنه أبى أن يسب أمير المؤمنين علياً عليه السلام، واستلوا لسان إمام العربية ابن السكيت؛ لأنه لما خاطبه المتوكل وقال: مَنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ، هما - يعنى وَلَدَيْهِ - أو الحسن والحسين؟ فقال:

قنبر خير منهما. فأمر المتوكل باستلال لسانه، فاستلوه حتى مات، وقيل أَمَرَ الْأَتْرَاكَ فداسوا بطنه حتى مات.

ومن عجيب ما ادرج ودس في الأحاديث: أكذوبه خطبه أمير المؤمنين علي عليه السلام بنت أبي جهل على سيده نساء العالمين فاطمه البتول عليها السلام، فزادوا على الحديث المتواتر بين الفريقين «فاطمه بضعه منى، يؤذيني ما آذاها»، وفي رواية اخرى «يؤذيني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»؛ كى تقبلها النفوس، وتقع مورد القبول، ولم يلتفتوا إلى مايمس بهذه الزيادة كرامه مقام الرساله، وقدسيه من لا ينطق عن الهوى.

ونحن مع الغصّ عمّا فى هذه الزيادة من اضطراب المتن، وشده الاختلاف من حيث الألفاظ والمضامين، مثل ما فى بعضها: «أنّ بنى هشام بن المغيرة استأذنونى أن يُنكحوا بنتهم على بن ابيطالب»، وهذا لا يدلّ على أنه عليه السلام خطبها، أو أراد خطبتها، وفى بعضها: أنّ فاطمه أتت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وشكت من ذلك، وفى بعضها لا يوجد ذكر عن أبى العاص، وغير ذلك ممّا يشهد بدسّ هذه الزيادة فى الحديث، مع ما فى بعض روايتها من الانحراف عن على عليه السلام، وكونه من الخوارج، وأتباع ابن الزبير والعثمانيين.

نقول: تشهد بوضع هذه القصة واختلاقها امور:

الأول: عدم وجود هذه الزيادة في بعض طرق الحديث، فأخرجه البخاري (١) هكذا: قال: حدثنا أبو الوليد، حدثنا ابن عُيينه، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فاطمه بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني».

وأخرجه مسلم، قال: حدثني أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم الهذلي، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إتما فاطمه بضعة مني، يؤذيني ما آذاها» (٢).

الثاني: الظاهر أنه لا خلاف بين المسلمين في اختصاص هذا الحكم بفاطمه عليها السلام دون غيرها من أخواتها وسائر النساء، ولم يفت أحد من أهل العلم فيما أعلم بعدم جواز النكاح على سائر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس هذا إلا لما حازته عليها السلام من الفضيله والكرامه والدرجه الرفيعه عند الله تعالى، واختصاصها بفضائلها المشهوره دون غيرها من النساء. ولو كان عله حرمه نكاح امرأه اخرى عليها اجتماع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبنت عدو الله مكاناً واحداً لا شرتك معها في هذا الحكم أخواتها زينب ورقية وأم كلثوم، ولما جاز نكاحهن من أبي العاص بن ربيع، وعُتبه وعُتبيه ابني أبي لهب في حال كفرهم، بل لما جاز نكاحهن بمن كان قبل الإسلام مشركاً كافراً، فإنه إذا لم يجز تزويج امرأه مسلمه لكفر أبيها على بنت رسول الله، ولا يجب الإسلام لها ذلك لا يجوز نكاح بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من).

ص: ٣٣٦

١- صحيح البخاري: باب مناقب فاطمه.

٢- صحيح مسلم: ح ١٤١٧ (ط سنه ١٣٣٢ هـ).

مسلم كان قبل إسلامه مشركاً، وكان أبوه وأمه أيضاً مشركين، بل هذا أولى منه بهذا الحكم.

هذا، مضافاً إلى أنّ عثمان كان متزوجاً بامرأه اخرى، وتزوج معها رقيه على ما يظهر ممّا ذكره في الإصابه(1) في قصه إسلامه في ترجمه سِعدى العَبْشَمِيَّة، ولم ينقل أنّه طلق زوجته قبل نكاح رقيه، ثمّ إنّ بعد وفاه رقيه تزوج أمّ كلثوم، ونكح على رقيه أو على أمّ كلثوم رمله بنت عدو الله شبيهه، ولا يتفاوت الأمر في كون نكاحه رمله قبل عمره القضييه، أو في هذه السنه، فإن عمره القضييه وقعت في سنه سبع، وموت أمّ كلثوم - رضى الله عنها - وقع في سنه تسع. ويشهد لذلك - أى لأنّ عثمان كان متزوجاً بامرأه اخرى على بنت رسول الله صلى الله عليه و آله - حديثُ مفارقتة أهله في ليله وفاه أمّ كلثوم رضى الله عنها، فعلى ذلك لا يستقيم أن يكون عله حرمه نكاح امرأه اخرى على فاطمه عليها السلام ما ذكروه من عدم اجتماع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحد.

الثالث: أترى علياً عليه السلام ناكحاً ابنه أبى جهل لو طلب النبي وفاطمه عليهما السلام ترك نكاحها؟

أترى علياً يخالف النبي صلى الله عليه و آله و سلم، وفاعلاً ما يغضبه؟ فإذا ما دعا النبي صلى الله عليه و آله و سلم بإعلان ذلك على المنبر؟ وكيف لم يملك نفسه عن الغضب، وهو الذى قال الله تعالى في خلقه [إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ] (2)، مع ما فى هذا الإعلان من تنقيص 4.

ص: 337

1- الإصابه فى تمييز الصحابه: ج 4 ص 427، رقم 539.

2- القلم: الآية 4.

لمكانه مجاهد الإسلام وابن عمّه ووصيّته والمدافع عنه بنفسه؟

حاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمّه من ذلك كلّه، وحاشا أن يستولى الغضب على رسول الله صلى الله عليه وآله ويفعل ما لا يفعله إلّا من لا يملك نفسه عند الغضب.

الرابع: إذا كان الزواج بامرأه أخرى على فاطمه عليها السلام حراماً، وكان ذلك من خصائصها على ما دلّ عليه بعض الأحاديث من طرق الشيعة أيضاً (١)، هل يمكن أن يكون على وفاطمه عليهما السلام غير عالّمين بهذا الحكم إلى هذا الوقت؟

وهل يوجد أرضى من على وأسلم منه لله ولرسوله، وهو الذى لم يُسمع منه إلّا التسليم المحض لله ولنبيه، ولم يذكر أحد أنه ردّ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى حكم أو قضيه؟!

إذن فما معنى هذه القصّة؟ وما يريد من نقلها وافتعالها؟

الخامس: ومما يبيّن ذلك أيضاً: رواه على بن الحسين عليهما السلام هذه الزيادة، مع ما فيها من التلويح بتنقيص منزله جده على عليه السلام، بل وتعريض مقام جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما يجب أن ينزّه عنه مقام رساله.

السادس: وأغرب من ذلك أن يقيس النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا العاص بن الربيع - الذى بقى فى شركه إلى عام الحُدَيْبِيّه، وأسر مع المشركين مرتين، وفزق الإسلام بينه وبين زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهاجرت مسلمه وتركته لشركه، ولا يذكر التاريخ بعد إسلامه موقفاً له فى الإسلام غير كونه مع على عليه السلام لمّا بويع).

ص: ٣٣٨

١- راجع مناقب ابن شهر آشوب: ج ٣ ص ٣٣٠ (ط المطبعة العلميه). وممّن أفتى بذلك من أهل السنّه: عبد الله بن داود، فراجع ذخائر العقبى للمحب الطبرى: ص ٣٨ (ط سنه ١٣٥٦ هـ).

أبو بكر - بأخيه وابن عمّه أمير المؤمنين، مع سوابقه المحموده ومشاهده المشهوره فى نصره الإسلام ونصره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفضائله ومكارم أخلاقه، ومع ما قال فى حقّه النبىّ صلى الله عليه وآله: «إنّ عليّاً منى، وأنا من على، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدى» (١) و «أما ترضى أن تكون منى بمنزله هرون من موسى إلّما أنّه لا- نبوه بعدى» (٢)، وقال له: «إنّ الله عزّوجلّ قد زيّنك بزينة لم يتزيّن العباد بزينة أحبّ إليه منها: الزهد فى الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حبّ المساكين، ورضوا بك إماماً، ورضيت بهم أتباعاً. فطوبى لمن أحبّك وصدّق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك، فأمرى الذين أحبوك وصدقوا فيك فهم جيرانك فى دارك، ورفقاؤك فى قصرك، وأما الذين أبغضوك وكذبوا عليك فحقّ على الله أن يوقفهم موقف الكذّابين يوم القيامة» (٣)، وقال صلى الله عليه وآله: «علىّ خير البشر، من شكّ فيه كفر (ع)» وفى روايه: «فمن أبى فقد كفر (حظ)» (٤).

فحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُثنى على أبى العاص - رضى الله عنه - بما فيه التعريض بدمّ على عليه السلام، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينسى مواقف الإمام فى الحروب ونجدته وبسالته وإيثاره نفس النبى على نفسه، فمن كان أوفى بعهد رسول الله من الإمام؟ ومن كان أدفع عن الإسلام منه؟ ٧.

ص: ٣٣٩

١- شرح النهج: ج ٢ ص ٤٥٠ (ط مصر)، ومصابيح السنّه: ج ٢ ص ٢٧٥.

٢- صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٠.

٣- اسد الغابه: ج ٤ ص ٢٣.

٤- كنوز الحقائق، المطبوع بهامش الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٦-١٧.

وأضف إلى ما ذكر: أنك لا تجد في حياه النبي والإمام والزهراء عليهم السلام مثيلاً لهذه القصة، ولا ما يدفع استبعاد وقوعها في حياتهم، بل كلما سبرنا تاريخ حياه الرسول وصهره العزيز وبنته العزيزه وجدناه حافلاً بالشواهد والحكايات التي تكذب هذه القصة جداً. فما أحسن من ترك إخراج هذه الزيادة كالبغوى في مصايح السنه، واكتفى بتخريج قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمه بضعه منى، فمن أغضبها أغضبني»، وفي روايه: «يريني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»، فكأنهم تركوا هذه الزيادة لبعض العلل التي أشرنا إليها.

هذا، ولعلامة المعتزله ابن أبى الحديد كلام حول هذا الحديث، وقد نقل عن شيخه أبى جعفر الإسكافى كون هذه الزيادة من الموضوعات.

وقال السيد المرتضى فى «تنزيه الأنبياء» (هذا خبر باطل موضوع، غير معروف ولا ثابت عند أهل النقل - إلى أن قال: - على أن هذا الخبر قد تضمن ما يشهد ببطلانه، ويقضى على كذبه من حيث ادعى فيه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذم هذا الفعل، وخطب بإنكاره على المنابر، ومعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو كان فعل ذلك على ما حكى لما كان فاعلاً لمحظور فى الشريعة (1)؛ لأن نكاح الأربع حلال على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والمباح لا ينكره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يصرح بدمه، ت.

ص: ٣٤٠

١- لأن على قول من يأخذ بهذا الخبر لم يكن نكاح امرأه على فاطمه عليها السلام قبل نهيه صلى الله عليه وآله وسلم محظوراً، بل كان مباحاً لأنه لو كان محظوراً لا يقدم عليه مثل على بن أبى طالب عليه السلام. فليس مقبولاً عند العقل أن ينكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم على من أراد فعل مباح قبل أن يصير ممنوعاً فى الشريعة، ويبالغ فى إنكاره، بل يذمه على ذلك، فإن الأولى بل اللاتق بخلق الكريم ومقامه العظيم أن يعلم ذلك على من غير ارتكاب هذه التعريضات.

وبأنه متأذيه، وقد رفعه الله عن هذه المنزلة، وأعلاه عن كل منقصه ومذمه. ولو كان عليه السلام نافرًا من الجمع بين بنته وبين غيرها بالطباع التي تنفر من الحسن والقيح لما جاز أن يُنكره بلسانه، ثم ما جاز أن يبالغ في الإنكار، ويُعلن به على المنابر وفوق رؤوس الأشهاد، ولو بلغ من إيلامه لقلبه كل مبلغ فما هو اختصاص به من الحلم والكظم، ووصفه الله به من جميل الأخلاق وكريم الآداب ينافي ذلك ويحيله، ويمنع من إضافته إليه وتصديقه عليه، وأكثر ما يفعله مثله في هذا الأمر إذا ثقل عليه أن يعاقب عليه سرًا، ويتكلم في العدول عنه خفيًا على وجه جميل، ويقول لطيف.

وهذا المأمون الذي لا قياس بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد أنكح أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام بنته، ونقلها معه إلى مدينه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لَمَّا ورد كتابها عليه تذكر أنه قد تزوج عليها أو تسرى، يقول مجيباً لها، ومنكرًا عليها: إنا ما أنكحناه لنحظر عليه ما أباحه الله تعالى، والمأمون أولى بالامتعاض من غيره بنته، وحاله أجمل للمنع من هذا الباب والإنكار له.

فوالله إن الطعن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما تضمنه هذا الخبر الخبيث أعظم من الطعن على أمير المؤمنين عليه السلام وما صنع هذا الخبر إلا ملحد قاصد للطعن عليهما، أو ناصب معاند لا يبالي أن يُشفى غيظه بما يرجع على اصوله بالقدح والهدم.

على أنه لا خلاف بين أهل النقل أن الله هو الذي اختار أمير المؤمنين عليه السلام لنكاح سيده النساء صلوات الله وسلامه عليها، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ردَّ عنها جلَّ أصحابه، وقد خطبها وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لم أزوج فاطمه علياً حتى زوجها الله إياه في سمائه»، ونحن نعلم أن الله سبحانه لا يختار لها من يُغيرها ويؤذيها

ويغمها، فإن ذلك أدل دليل على كذب الراوى لهذا الخبر.

وبعد، فإن الشيء إنما يُحمَل على نظائره، ويُلحق بأمثاله، وقد علم كل من سمع الأخبار أنه لم يعهد من أمير المؤمنين عليه السلام خلافاً على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا كان قطُّ بحيث يُكره على اختلاف الأحوال وتقلب الأزمان، وطول الصحبه، ولا عاتبه عليه السلام على شيء من أفعاله، مع أن أحداً من الصحابه لم يخلُ من عتاب على هفوه ونكير لأجل زلّه، فكيف خرق بهذا الفعل عاداته وفارق سجيته وسنته؟... إلى آخره(١).

هذا، وقد تلخّص وتحصّل من جميع ما ذكر: أن اكذوبه خطبه أمير المؤمنين عليه السلام بنت أبي جهل على سيده نساء العالمين عليها السلام اكذوبه اختلقها النواصب وأعداء أهل البيت عليهم السلام، تكذبها سيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخُلّقه الكريم، وسيره ابن عمّه الإمام على عليه السلام، فكلّ حالاته وسوابقه تشهد باختلاق هذه الأكذوبه.

قال الله تعالى: [إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ] (٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حرّره لطف الله الصّافي الكلپايگانی ٥.

ص: ٣٤٢

١- راجع تنزيه الأنبياء: ص ١٧١-١٧٣ (ط سنة ١٢٩٠ هـ).

٢- النحل: الآية ١٠٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

حول البكاء على مولانا سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين عليه السلام شهيد العبره الأحاديث تجاوزت عن حدّ التواتر. فقلّما يوجد موضوع وردت فيه الروايات بالحثّ والترغيب إليه كموضوع البكاء عليه وإظهار الحزن عليه وذكر مصائبه وإنشاد الشعر فيه.

وشعر الشيعة وأدبها وخلوصها فى ولاء العتره الطاهره بل وحياه الحق وروح التضحيه لإقامته والدفاع عن حرّمات الإسلام، والقيام فى وجه الظلم والاستكبار والاستضعاف تتمثّل فى الشعائر الحسينيه، وهذه كلمه فى فضيله الالتزام بهذه الشعائر وأنّ الاحتفاظ بها احتفاظ بكيان الإسلام وأنّها كعلّه مبقية لشريعته سيّد الأنام صلى الله عليه وآله.

والسلام على مولانا الحسين وعلى أولاده وأصحابه الذين وأسوه بأنفسهم وبدلوا مهجهم فيه لتكون كلمه الله هى العليا وكلمه الذين كفروا السفلى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ.

يَا سَيِّدَ الشَّهَدَاءِ.

يَا مُنْقِذَ الْإِسْلَامِ.

يَا جَمَالَ الْإِنْسَانِيَةِ.

وَيَا مَنْ هَدَمْتَ صُرُوحَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَنَصَرْتَ الْحَقَّ الْمَبِينَ بِقِيَامِكَ وَتَضَحُّيَتِكَ نَفْسَكَ الْكَرِيمَةَ وَنَفُوسَ أَهْلِ بَيْتِكَ وَأَنْصَارِكَ وَأَنْصَارِ اللَّهِ وَأَنْصَارِ رَسُولِهِ.

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزُ فَوْزاً عَظِيماً.

أَنْتُمْ وَاللَّهُ مَعَادِنَ الْحَرِيهِ وَالْكَرَامَةِ، وَشُهَدَاءَ الْإِسْلَامِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَمُبَادِيِ الْإِنْسَانِيَةِ،

لَوْلَا صَوَارِمُكُمْ وَوَقْعُ نِبَالِكُمْ لَمْ تَسْمَعْ الْآذَانَ صَوْتِ مُكَبَّرٍ

وَلَوْلَا- تَضَحُّيَاتِكُمْ لَمَا قَامَ لِلدِّينِ عُمُودٌ، وَلَمَا اخْضَرَ لِلْإِسْلَامِ عُودٌ، وَلَا اسْتَبَدَّلَتِ الشَّرِيعَةُ الْإِلَهِيَّةُ وَالرِّسَالَةُ الْمَحْمُودِيَّةُ بِالرَّجْعِيَّةِ السَّفِيَانِيَّةِ، وَالْجَاهَلِيَّةِ الْأُمُويَّةِ، وَالْإِمَارَةِ الطَّاغُوتِيَّةِ الْيَزِيدِيَّةِ.

يَا حَسِينَ الْحَقِّ، يَا حَسِينَ الْعَدْلِ، وَيَا حَسِينَ الْقُرْآنِ.

يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، نَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفِدَاءَ، وَلِنَفْسِ مَنْ يَحِبُّكَ، وَيَحِبُّ مَحِبَّتَكَ، وَيَسْعُدُ بِزِيَارَةِ قَبْرِكَ، وَيَذْكُرُ مَصَائِبَكَ وَيَبْكِي، وَيَبْكِي لَهَا، وَيَنُوحُ عَلَيْكَ الْفِدَاءَ.

يَا بَطْلَ الْإِسْلَامِ، أَنْتِ جَدَّدْتِ فَخْرَ آلِ هَاشِمٍ، وَأَسَّسْتِ بِنَاءَ لَا يَغْلُقُ بَابَهُ وَلَا يَنْهَدُ صَرْحَهُ أَبَداً.

وَصِيحَاتِكَ فِي وَجْهِ كُلِّ ظَالِمٍ وَغَاشِمٍ وَجِبَارٍ بَاقِيَهُ مَدَى الدَّهْرِ، تَنْذِرُ الطَّوَاغِيَّتِ وَمُسْتَعْبِدِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْخِزْيِ وَالْخِذْلَانِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ! مَا أَكْبَرَ كَلِمَتَكَ الْخَالِدَةَ: «إِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بُرْمًا» (١).

لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ تَعَالَى يَا سَيِّدِي بِالشَّهَادَةِ، وَقَدْ أَعَدَّتْ بِاسْتِشْهَادِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِزَّ الْإِسْلَامِ. فَلَا يَنْسَى الْإِسْلَامَ وَتَارِيخَهُ، وَلَا تَنْسَى الْإِنْسَانِيَةَ مَوَاقِفَكَ الْعَظِيمَةَ.

وَلَا يُنْسَى مَوْقِفَكَ حِينَ خَاطَبْتَ وَالِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةَ لَمَّا عَرَضَ عَلَيْكَ ٥.

البيعه ليزيد، فقلت صلوات الله عليك: «إنا أهل بيت النبوه، ومعدن الرساله، ومختلف الملائكه، ومهبط الرحمه، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمه، معلن بالفسق، ومثلى لايباع مثله»(١).

ولا ينسى ثباتك على هذا المبدأ الأصيل في يوم عاشوراء، الذي استشهد فيه شباب آل محمد ورجال الإسلام وحماه الحق.

فلا يُنسى موقفك العظيم في هذا اليوم، حيث قلت صلوات الله عليك:

«ألا- وإنّ الدّعَى ابن الدّعَى قد ركزنى بين اثنتين، بين السِّلّه والذِلّه، وهيهات منّا الذِلّه! يَأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحُجُور طابت وطهرت، وأنوف حميه، ونفوس زكيه، من أن تُؤثّر طاعه اللئام على مصارع الكرام»(٢).

الله أكبر! تاهت العقول في واقعه الطفّ، وفي معرفه أبطاله العظماء.

لقد أسّس مولانا الحسين عليه السلام في يوم الطفّ مدرسته الكبرى لكلّ من يريد الدفاع عن كرامه الإنسان، ويحبّ الاستشهاد في سبيل الله مدرسهً لاتندرس تعاليمها وإرشاداتها، ولا تُمحا آثارها.

يا أبا الشهداء، يا جمال هذا الكون، ويا نفحة الديان، وصّفوه الإنسان.

على رَغْمِ مَنْ قتلَكَ وقتل أصحابك، وأسر أهل بيتك؛ حرصاً على اجتنابك ١.

ص: ٣٤٩

١- بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٢٥.

٢- تحف العقول: ص ٢٤١.

أصل الدين وإطفاء نور الله فهذا لواء الإسلام يهتَر في أرجاء البسيطة، وهذه شمس هدايته تشرق على الأرض، وهذا صوت الأذان يُسمع من المآذن ومكبرات الصوت والإذاعات في أوقات الصلوات، وهذه شعائر الإسلام تُعظَّم في مشارق الأرض ومغاربها، كل ذلك بركات نهضتك المقدَّسه، وإيثارك الإسلام وأحكامه على نفسك الكريمه، ونفوس أهل بيتك، وأصحابك عليك وعليهم السلام.

يا سيّد الأحرار، ويا معلّم الشجاعه والغيره والإباء.

هذه مجالس الشيعة ومحبي أهل البيت، وحفلاتهم التأبينية تُحيا بذكر مصائبك، وما تحمّلت في سبيل إعلاء كلمه الله من النوائب، وما علمت الإنسانيه من الدروس العالیه في مدرسه كربلاء.

فذكراك، يامولاي، ذكر الله تعالى، وذكرى الرسول، وذكرى والدك بطل الإسلام، وذكرى أمك سيده نساء العالمين، وذكرى جميع رجالات الدين، وأنصار الحق، وحماه المستضعفين.

لقد ظلمك بنو اميه وأتباعهم، واشتروا لأنفسهم اللعن الأبدى، كما ظلمك من أنكر فضيله البكاء، والنياحه عليك، وإقامه المآتم ومجالس العزاء، وحركه المواكب والهيئات، ممّا جرت سيره المتشرّعه من الشيعة، خواصّهم وعوامّهم عليه؛ لِمَا فيه من إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام والتأسى بهم. فهؤلاء الذين يعارضون شعائر العزاء لك - وإن ادّعوا أنّهم من الشيعة - ليس لهم التفكّر الشيعي.

فالشيعة لا تشكّ فيما هو من ضروريات مذهبها، سيما إذا كان من

مقوماته، ولا- تشكّ فيما دلّت السنّه النبويه المرويّه من طرق الفريقين، والأحاديث المتواتره من طرق أهل البيت عليهم السلام على مطلوبيته واستجابته. لعن الله هذه الثقافه الغريبه، التي لا تهدف إلّا إبعادنا عن الإسلام وعن أمجادنا وسنننا.

وإني لا يكاد ينقضى عجبى ممّن يطلب منّي ومن غيرى تسجيل استحباب البكاء، والتعزيه، والإبكاء، وإحياء الشعائر الحسينيه، بكل شكل ونوع لم يكن منهيّاً عنه في الشرع، وقد أفتى به الأساطين، وسعوا في ترغيب الناس إليه، وألّفوا فيه كتباً مفرده. فقلّما تجد كثره الروايات في موضوع من الموضوعات مثل ما جاء في البكاء على الحسين عليه السلام، والتباكي، والإبكاء عليه، وإنشاء الشعر وإنشاده في مصائبه، وإظهار الحزن عليه بكل نحو مشروع. وقد أخرج هذه الروايات في كلّ عصر وطبقه الرواه الثقات ورجالات علم الحديث، وهي فوق التواتر، هذا، مضافاً إلى ما ورد من طرق العامه في ذلك.

ولا يخفى عليك يا أخي، أنّ هذه الناشئه الخبيثه، التي هي من أذنان الاستعمار وعملائه، وتعدّ نفسها من أهل الثقافه تريد صرف أذهان الناس عن هذه الشعائر؛ لأنّها تحيي أمجادنا الإسلاميه، وتوقظ شعور المسلمين، وتزيّن لنفوس التضحيه في سبيل إحياء الحق، وتُنقّر الشعوب عن الظلمه والمستعمرين، وأولئك الذين اتخذوا الناس خولاً، ومال الله دولاً، ولاغرو فإنّ المستعمرين والطواغيت لا يرتضون سيره الحسين عليه السلام، ولا يحبون إحياء ذكره، واهتداء الناس إلى مأساه كربلاء.

فهذه الشعارات الحسينيه، وهذه الألويه التي تنصب على بيوت التعزيه، وتحمل مع الهيئات في الطرق والشوارع تُهدّد كيان الظلمه والمستكبرين،

وَتُشَجِّعُ الشُّعُوبَ لِلْقِيَامِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ وَإِبْطَالِ بَاطِلِهِمْ.

هذه الشعارات تُقَوِّى فى النفوس حَبَّ الخِيرِ، وَحَبَّ أولِيَاءِ اللّهِ، وَحَبَّ الشَّهَادَةِ فى سَبِيلِ اللّهِ، وَحَبَّ إعْلَاءِ كَلِمَةِ اللّهِ، وَحَبَّ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهَلِ الإِيمَانُ إِلَّا الحُبُّ؟

إِذْ نَفْلَانِعْبَا بِالاسْتِعْمَارِ، وَلا نَتَوَقَّعُ مِنْ أَذْنَابِهِ تَأْيِيدَ هَذِهِ الشُّعَائِرِ، فَكُلُّ إِئَاءٍ بِالذِّى هُوَ فِيهِ يَنْضَحُ.

فَلا يَضُرُّ التَّفَكُّرَ الشِّيعَى وَأَصَالَتَهُ الأَصِيلَةَ الإِسْلَامِيَّةَ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ عِدَاءً لِأَهْلِ البَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: إِنَّ الصَّفَوِيَّةَ ابْتَدَعُوا هَذِهِ الشُّعَائِرَ، وَحَمَلُوا النَّاسَ عَلَيْهَا، بَعْدَ مَا دَلَّتْ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةَ المَتَوَاتِرَةَ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالأَئِمَّةَ المَعْصُومِينَ - سَلَامُ اللّهِ عَلَيْهِمْ - هُمُ الَّذِينَ سَنَّوْا النِّيَاحَةَ وَالبُكَاءَ وَالتَّبَاكُى وَالإِبْكَاءَ عَلَى مَوْلَانَا الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمُ الأَصْلُ فى الشُّعَائِرِ الحُسَيْنِيَّةِ، وَهُمُ الَّذِينَ رَغَّبُوا النَّاسَ بِذِكْرِهِ وَإِنْشَادِ الأَشْعَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَصَارَتْ بِذَلِكَ سَنَّهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لا يَقْدِرُ عَلَى مَحْوِهَا جَبَّارٌ وَلا مُسْتَعْمِرٌ وَلا مُسْتَكْبِرٌ.

وَبالجُمْلَةِ: فَلا تَجِدُ فى عِبَادِهِ مُسْتَحْبَهُ وَعَمَلٌ رَاجِحٌ مَا وَرَدَ فى ثَوَابِ النِّيَاحَةِ وَالنُّوحِ وَالبُكَاءِ عَلَى سَيِّدِنَا أبى عَبْدِ اللّهِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفى ثَوَابِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ، وَكُلِّ مَا يَرْجِعُ إِلَى إِحْيَاءِ أَمْرِهِ مِنْ تَذَكُّرِ عَطَشِهِ عِنْدَ شَرْبِ المَاءِ، وَتَذَكُّرِ مَصَائِبِهِ عِنْدَ المَصَائِبِ، وَمَنْ أَنْكَرَ هَذِهِ الأُمُورَ فَهُوَ كَمَنْكَرِ الشَّمْسِ فى رَائِعَةِ النَّهَارِ.

فَليس يَصِحُّ فى الأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى الدَّلِيلِ

وَفى خَتَامِ هَذِهِ المَقَالَةِ الَّتى كَتَبْتُهَا عُجَالَةً وَارْتِجَالاً يَعْجِبُنِى أَنْ أَتَرَنَّمَ بِأَبْيَاتٍ مِنْ قَصِيدَتِى بِاللُّغَةِ الفَارَسِيَّةِ الَّتى نَظَمْتُهَا لِإِظْهَارِ شِدَّةِ شَوْقِى إِلَى كَرْبَلَاءَ، وَتَقْبِيلِ تَرَابِ أَقْدَامِ مَجَاوِرِى رُوضَةِ مَوْلَانَا الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهى هَذِهِ:

كَرْبَلَا، اى كَرْبَلَا، اى كَرْبَلَا،

از تو بانگ انقلاب آید بگوش

ص: ۳۵۲

همچو عباس توز اخوان صفا

حرّره أقلُّ من أناخ مطيّته بأبواب محبّي مولاة الحسين، عليه وعلى أصحابه الكرام أفضل التحية والسلام.

لطف الله الصافي الكلپايگانی

٢٤ صفر الخير ١٣٩٢ هـ

ص: ٣٥٤

في تفسير آيه التطهير

اشاره

ص: ٣٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

لا- يخفى أنّ من أشهر الآيات التي تثبت بها طهاره أهل البيت عليهم السلام من رجس المعصيه والخطأ آيه التطهير التي دلّت الروايات المتواتره المخزجه في كتب الحديث والتفسير على أنّ المراد منهم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمه الزهراء سيده نساء أهل الجنه والامامان السبطان الحسن والحسين عليهم السلام، ثمّ من بعدهم من قام مقامهم إلى خاتم الأئمه الأثنى عشر مولانا المهدي المنتظر ابن الحسن العسكري بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وقد حاول بعض المعاندين للعترة الطاهره لما رأى عدم إمكان إنكار نزولها فيه لمكان هذه الروايات المتواتره عند الفريقين نفى دلالتها على عصمتهم التي دلّت عليها غيرها من الأدلّه العقلية والشرعية أيضاً، فأنكر دلالة الآيه على عصمتهم الاختياريّه إذا كانت الاراده فيه التكوينيّه، وأمّا التشريعيه فزعم أنّها تعمّ جميع المكلفين ولا تدلّ على عصمتهم هذا وقد أُلّف المحقّقون من العلماء حول

ص: ٣٥٧

مفاد الآيه وأن الاراده فيها هي التكوينيّه وسائر الأدلّه التي اقيمت على عصمتهم كتباً مفرده وأثبتوا دلالة الآيه على فضيلتهم وعصمتهم، وعدم منافات كون عصمتهم بالاراده التكوينيّه وكونها من أعظم فضائلهم بما لا مزيد عليه.

ومع ذلك فهذه رساله تثبت فيها دلالة الآيه على عصمتهم وإن تنزّلنا عن كون الإراده تكوينيه وقلنا بأن المراد منها الإراده التشريعيه لم يسبق - فيما نعلم - مؤلفها بهذا البيان غيره فطالعه واغتمه.

ص: ٣٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد رسله أبى القاسم محمد وآله المطهرين المعصومين.

من الآيات التي استدلت بها على عصمه سيده نساء العالمين وسادتنا الأئمة الهداه الميامين - عليهم أفضل صلاة المصلين - وطهارتهم عن كل رجس: آيه التطهير.

قال الله تعالى: [إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً] (١).

وجه الاستدلال بها مضافاً إلى الأخبار الكثيرة التي أخرجها أعلام المحدثين وأكابر المفسرين من العامة والخاصة في كتب الحديث والجوامع والمسانيد وكتب التفسير عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأصحابه: أن لفظه «إنما» ٣.

ص: ٣٥٩

١- الأحزاب: الآية ٣٣.

محقّقه لما ثبت بعدها، نافية لما لم يثبت.

والإرادة التي جاءت في الآية الكريمة هي الإرادة الحتمية والحقيقية التي يتبعها التطهير، دون ما يسمّونه بالإرادة التشريعية التي يتبعها الأمر أو النهي.

وذلك لأنّه تعالى أراد التطهير عن الأرجاس عن جميع المكلفين بالإرادة التشريعية، أي إنشاء البعث أو الزجر، وأمرهم بكلّ ما ينبغي أن يفعلوه، ونهاهم عن كلّ ما ينبغي أن يتركوه، والآية الكريمة تدلّ على اختصاص الإرادة المذكورة فيها بأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم، وهي الإرادة الحتمية الحقيقية التي يتبعها التطهير لا محالة.

وأيضاً لا ريب في أنّ هذا التعبير الصريح في اختصاصهم بهذه الإرادة صريح في المدح والتعظيم لأهل البيت عليهم السلام، وإذا كانت الإرادة غير حتمية فلا مدح لهم بها، ويختلّ نظام الكلام المنزّه عنه كلام العقلاء فضلاً عن الله تعالى.

وعليه فلا مناص من القول بأنّ المراد منها هي الإرادة المستتبعه للتطهير وإذهاب الرجس؛ وبذلك تختصّ الآية بأهل البيت عليهم السلام؛ لأنّه لم يدع ولم يقل:

أحدٌ بعصمه غيرهم، فيندفع توهم شمول الآية لغير أهل البيت عليهم السلام ممّن ثبت عدم عصمتهم كأزواج النبي صلى الله عليه وآله.

ومما يدلّ على أنّ الإرادة هي الإرادة الحقيقية أنّ متعلّق الإرادة في الآية إذهاب الرجس عنهم الذي هو فعل الله تعالى، والإرادة التي تتعلّق بفعله تعالى حتمية لا تتخلّف عن المراد، ففرق بين ما يكون المراد فعله تعالى وبين ما يكون فعل غيره المختار.

فإذا كان متعلّق الإرادة فعل الغير مختار يصحّ أن تكون هي التشريعيه، كما يجوز أن تكون التكوينيّه، وإن شئت قلت: الحقيقه، وإن كان الظاهر من موارد الاستعمالات بلا- قرينه صارفه هو الأولى، وإطلاق الإراده التشريعيه على إنشاء ما يصلح لأن يكون باعثاً أو زاجراً مجرد الاصطلاح.

وإذا كان متعلّق الإراده فعل الله تعالى أو صدور الفعل عن غيره المختار بدون اختياره كانت الإراده حتميه لا تتخلف عن المراد، وإلّا لزم إسناد العجز إلى الباري سبحانه وتعالى شأنه، المنزه عن كلّ عجز ونقص، والمتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً. ولا يخفى عليك أنّ في الآيه ضرورياً من التأكيد في المدح والتعظيم لأهل البيت عليهم السلام، كما يدلّ قوله: [تطهيراً] أيضاً على عظم شأن هذا التطهير.

إن قلت: على هذا إذا كان إذهاب الرجس عنهم بفعل الله تعالى وإرادته الحقيقه لا التشريعيه كيف يوجّه مدحهم وتفضيلهم على غيرهم لأمرٍ لم يكن من فعلهم، ولا باختيارهم؟

قلت: إنّ عنايات الله الخاصه بل والعامه لاتشمل إلّا آمن له قابليه قبولها، وهو عزّ وجلّ أعلم بمحالها ومواردها.

قال الله تعالى: [وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدر معلوم] (١).

وقال جلّ شأنه: [الله أعلم حيث يجعل رسالته] (٢). ٤.

ص: ٣٦١

١- الحجر: الآيه ٢١.

٢- الأنعام: الآيه ١٢٤.

وقال سبحانه وتعالى: [أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ] (١).

وهذا كالتوفيق والخذلان فلا يفوز بالتوفيق من الله - الذى هو ولى التوفيق - إلا من كانت له أهليه ذلك وكسبها بالاختيار، كما لا يصيب الخذلان إلا من جعل نفسه فى معرضه بالاختيار.

قال الله تعالى: [ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أسَاؤُا السُّوْأِ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُونَ] (٢).

فهذه امور مرتبطه بالشؤون الربوبيه، واستصلاح حال العباد وما تقتضيه الحكمة الإلهيه، وهو العالم بها وبمواردها، وهو الحكيم العليم الفياض الوهاب الجواد الذى لا يبخل، ولا تنفذ خزائنه، ولا يمنع فيضه ممن له أهليه ذلك.

ألا- ترى اختلاف الناس فى الاستعدادات والقوى النفسانيه والجسمانيه؟ فالله تعالى أعطى من أعطاه من قوه الإدراك والشعور بحكمته؛ ولأنه أهل لقبول عطيته وأخذ موهبته، ولم يحرم من لم يعطه ذلك ولم يبخل حقه، بل أعطاه بقدر استعداده وقدرته، وهو العالم بذلك كله وهو الحكيم العليم، ونعم ماقاله الشاعر (بالفارسيه):

آنكه هفت اقليم عالم را نهاد .

ص: ٣٤٢

١- الزخرف: الآيه ٣٢.

٢- الروم: الآيه ١٠.

ثم إنّ بعض أهل الأهواء من المعتزّين بالثقافه الغربيه، ومن حذا حذوهم ممّن نعتوا أنفسهم بالثقافه والنور الفكري - وما هم بذلك - زعم أنّ الإراده لو كانت تشريعيه؛ ليكون أهل العصمه وغيرهم سواءً لكان اجتنابهم عن المعاصي والقبائح باختيارهم لكانت أدلّ على فضيلتهم، وكمال نفوسهم من اجتنابهم عن المعصيه بصفه أنّهم معصومون، وأنّ اللّهم أراد عصمتهم عن المعاصي، وبهذا البيان التافه أراد نفى العصمه ونفى دلاله آيه التطهير على عصمتهم، وإنكارها من الأصل.

والجواب عن هذا الزعم الفاسد: أنّه لا ملازمه بين العصمه وعدم الاختيار، ولا منافاه بينها وبين الاختيار، فإنّ الإراده الحتميه والتكوينيّه تارّه تتعلّق بفعله، وما يصدر عنه بلا واسطه أمر بينه وبين المراد، وبعباره اخرى:

تتعلّق بوقوع أمر بدون واسطه أمر آخر، سواء كان في خارج عالم الاختيار والأسباب والمسببات أو في عالم الاختيار والأسباب، فلا تتخلّف الإراده عن المراد، حتى إذا كانت متعلّقه بأمر اختياري لولا هذه الإراده، وبما له أسباب كثيره؛ لأنّه بعد ما أراد وقوعه مطلقاً بدون واسطه الأسباب واختيار فاعل مختار يقع لامحاله كما أراد.

وتارّه اخرى تتعلّق بما يصدر عن العبد بالاختيار، أو بوقوع ما يكون له أسباب متعدده كذلك، أعني باختياره وبواسطه الأسباب، ففي مثله فإنّ حصول

المراد وتحققه وعدم تخلف الإرادة عن المراد إنما يكون بصدوره عن العبد بالاختيار، وبكونه مسبباً لهذه الأسباب، ففي هذه الصورة لاتنافی بين إرادته المتعلقة بما يقع في عالم الإختيار والأسباب والمسببات، وتوسط الوسائط والأسباب، بل لو وقع بغير اختيار العبد أو بتأثير الأسباب لكان من تخلف المراد عن إرادته.

وبناءً على هذا نقول: إنّ قضيه إذهاب الرجس عنهم عليهم السلام، وتعلق إرادته تعالى به التي لاتتخلف عن مراده هي عصمتهم، وعدم صدور القبائح منهم، وطهارتهم عن الأرجاس حال كونهم مختارين في الفعل والترك، غير مقهورين، محفوفين بشواغل عالم الطبيعه، ممّا يدعو النفوس إلى الانصراف عن المألأ الأعلى، والاشتغال بذكر الله تعالى.

تحقيق دقيق:

ولنا تحقيق دقيق في سدّ ثغور دلاله هذه الآيه على عصمه الأئمه عليهم السلام، ألهمنا الله تعالى ببركه ما حقّقه الرجل الإلهي الفريد في عصره، الإمام في العلوم الإسلاميه، سيدنا الأستاذ البروجردي - أعلى الله في الفردوس مقامه - في مباحثه في اصول الفقه، في مبحث الجمع بين الحكم الظاهري والواقعي، ورفع التنافي المتوهم بينهما. نذكره ومماشاهة لمن يصبر على كون الإراده في الآيه تشريعيه.

فَنَقُولُ مُسْتَمْدِينَ الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى:

اعلم أنّ الإرادة التشريعية هي عبارته عن العلم بالشئ بأَنه ينبغي أن يُفعل، أو لايفعل، وإنشاء الأمر والنهي، والطلب والزجر لكونهما صالحين أن يكونا داعيين للعبد إذا فعل ما امر به أو زاجراً له إن فعل ما نهى عنه. وبعبارة أخرى: هي إنشاء ما يصلح لأن يكون داعياً له إلى الفعل المأمور به، وزاجراً عن الفعل المنهَى عنه؛ كي ينبعث نحو الفعل من ينبعث بأمره، وينتهي عن المنهَى عنه من ينتهي عن نهيه، ويُتَمَّ الحُجَّة على غيره مَمَّن يستخفُّ بأمره، ولايعتنى به.

وهذا قد يجتمع مع الطلب الحقيقي وإرادته الفعل من العبد جِداً، وهي روح الحكم كما يمكن أن يفارقه، فإذا علم المولى من حال عبده أَنه ينبعث بأمره، وينزجر بنهيه، وأنَّ أمره يدعوه إلى إطاعته وامتثاله، يريد منه بالإرادة الجديّة والطلب الحقيقي فعل ما أمره به، وترك ما نهاه عنه فأمره ونهيه بالنسبة إلى هذا العبد يكون حقيقياً جدياً.

وإذا علم من حاله أَنه لا-يؤثر فيه أمر المولى، ولايحركه بشئ، ولايصير داعياً له نحو الإطاعه والامتثال فلايعقل أن يكون أمره ونهيه بالنسبة إلى هذا العبد حقيقياً، ولايقترن مثل هذا الأمر والنهي بالإرادة الجديّة من الأمر والناهي.

فإنشاء الأمر والطلب في الصورة الأولى كما يكون بالإرادة الحقيقيه يكون حقيقياً مجامعاً مع الإرادة الجديّة، وفي الصورة الثانية يكون صورياً، وإلتام الحجة وقطع العذر.

ص: ٣٦٥

وبالجملة: فلا يعقل إرادته الانبعاث الجديده والطلب الحقيقي مَمَّن يعلم أَنَّهُ لا ينبعث بأمر المولى، فلا يعقل أن يقول: «قم» أو «لاتزن» أو «لا تشرب الخمر» وطلب القيام وترك الزنا وترك الخمر بالإرادة الجديده مَمَّن يعلم أَنَّهُ لا ينبعث بهذا الأمر ولا يَأْتَمِرُ به، ولا ينزجر عن الزنا وشرب الخمر، ولا ينتهي بنهيها عنهما حتى لو كان المولى من الموالى العرفيين، ولم يعلم ذلك من العبد، واحتمل فى حَقِّه تأثير أمره فيه وانبعاثه به، وتحريكه نحو الفعل، لا تتأتى منه الإرادة الجديده بمجرد ذلك الاحتمال، بل إِنَّمَا يَأْمُرُ وينهى بوجاء انبعاث عبده أو انتهائه.

والحاصل: أَنَّهُ لا يعقل تعلق الإرادة الجديده والطلب الحقيقي بصدور فعل عَمَّن يعلم المرید أَنَّهُ لا يفعلهُ، والأمر أو النهى فى هذه الصورة لا يكون إلَّا صورياً. أى إنشاء الأمر لا لغايه الانبعاث، بل لإتمام الحَجَّة.

وما ذكرناه يستفاد من كثير من الآيات القرآنيه الكريمه، كقوله تعالى [لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ] (١).

وقوله تعالى: [إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ] (٢).

وقوله تعالى جده: [رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا] (٣). ٦.

ص: ٣٦٦

١- يس: الآية ٧٠.

٢- يس: الآية ١١.

٣- النساء: الآية ١٥٦.

وقوله سبحانه: [لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِهِ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنِهِ] (١).

فإرادته قبول الإنذار من المنذر، والإنذار بقصد أن يُنذَر المنذر لا يكون حقيقياً إلا إذا كان المنذر ممن اتّبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب، ويؤثر فيه الإنذار.

أمّا من لم يؤثّر فيه ذلك، ولا يُنذَر بالإنذار فإنذاره ليس إلّا صورياً ولرفع عذره؛ ولئلا يكون له على الله حجة.

هذا، وإن شئت قلت: إنّ الإرادة التشريعية على ضربين:

ضرب منها ما يعلم المرید من حال المراد منه أنّه ينبعث نحو المأمور به بأمره، ويحرّكه ويصير داعياً له، فيطلب منه ذلك بالطلب الحقيقي والإرادة الجديّة.

وضرب منها ما يعلم المرید من حال المراد منه أنّه لا يتأثر بأمره، فيحكم بأمره أو نهيه بما ينبغي أن يفعل أو لا يفعل وينشئ ما يصلح أن يكون داعياً له، ولكن لا طلب له حقيقياً في هذه الصورة، ولا يريد انبعث المأمور بهذا الأمر بالإرادة الجديّة، بل لا يصح إطلاق الطلب والإرادة على ذلك بنحو الحقيقة إلّا مجازاً وبالتمحل، بخلاف الأول فإنّ إطلاق الطلب والإرادة وأنّه مرید وطالب يكون على نحو الحقيقة.

وعلى هذا نقول: إنّ الإرادة المذكورة في الآيه وإن كانت تشريعية إلّا أنّها ٢.

ص: ٣٦٧

جدّيه حقيقيه من النوع الأول الذى أراد الأمر والنهى بالإرادة الجدّيه والطلب الحقيقى انبعاث المأمور، وأمره ونهيه يصدر عنه بداعى انبعاثه، وصراحه الآيه فى ذلك: أنّ الإراده المذكوره فى الآيه وفى كلّ موردٍ لم تكن قرينه على المجاز صريحه فى الإراده الجدّيه الحقيقيه.

وإن أبى المعاند عن كلّ ذلك أيضاً وقال: إنّ الإراده التشريعيه عامه تشمل جميع المكلفين المطيعين والعاصين على السواء.

قلنا: لا تنازع فى الألفاظ والأسماء والاصطلاحات، وقد قيل من قديم:

لامشأحه فى الاصطلاح، فعزّف الإراده التشريعيه بما شئت، وقل: إنّ الإراده التشريعيه هى جعل ما يصلح لأن يكون داعياً للعبد أو زاجراً له، وإنشاء ما له قابليه الداعويه وبعث العبد نحو الفعل أو الترك.

إلما أنّك تعلم أنّ هذا مجرد اصطلاح، ولا يحصر مفهوم الإراده فى ذلك، ولا يخرج عن مفهومها الحقيقى ولا ينفى ما هو واقع الأمر، وهو أنّ المولى إذا علم من حال عبده أنّه ينبعث بأمره ويتحرك بتشريعاته يطلب منه ما أمره به بالطلب الحقيقى وبالإرادة الجدّيه، وإذا علم من حاله أنّه لا ينبعث بذلك ولا يؤثّر أمره ونهيه فى تحريكه أو امتناعه لا يطلب منه بتشريعاته ما شرّعه بالطلب الحقيقى والإرادة الحقيقيه، ولا يدعوه نحو فعل ما أمره به بداعى أن يفعله، بل يدعوه بداعى أن يتمّ عليه الحجّه، وهذا ما نسمّيه بالأمر الصورى، ومن راجع وجدانه يعرف منه ذلك.

فيصحّ أن نقول: إنّ إطلاق الإراده على التشريعيه إطلاق مجازى، بخلافه

على الإرادة الجدّيه فإنّه إطلاق حقيقى.

وبالجملة: فهل يمكنك إنكار الإرادة الجدّيه بالمعنى الذى تلوناه عليك؟

وهل يمكنك أن تقول: إنّها تتعلّق بما لا تؤثر الإرادة التشريعيه فى الانبعاث نحوه؟

وهل يمكنك إنكار تعلّقها حقيقة بالانبعاث، وبوقوع الفعل عن العبد إذا كان الأمر والطلب والإرادة التشريعيه مؤثراً فى بعث العبد أو زجره؟

وهل يمكنك أن تقول بعد ذلك بظهور الإرادة المذكوره فى الآيه فى الإرادة التشريعيه دون الإرادة الجدّيه، مع عدم وجود قرينه صارفه عن المعنى الحقيقى، ووجود الشواهد فى الكلام على أنّ المراد بالإرادة هى الجدّيه؟

وإن شئت فقل: إنّ الإرادة على قسمين: جدّيه، وتشريعيه.

فالتشريعيه عباره عن طلب التكاليف عن جميع المكلفين على السواء بإنشاء ما يصلح أن يكون داعياً لهم، والحكم بما ينبغى أو يجب أن يفعل، أو لا يفعل.

والجدّيه على ضربين: تكوينيه، وغير تكوينيه.

فالتكوينيه ما يتعلّق بكون شىء بدون واسطه فعل فاعل مختار.

وغير التكوينيه ما يتعلّق بفعل فاعل مختار إذا علم من حاله تحريكه وانبعاثه بالطلب منه.

وبعد كلّ ذلك نقول: إنّ الله تعالى وإن قطع بالإرادة التشريعيه عذر عباده،

وأنشأ بأوامره ونواهيه ما يصلح أن يكون داعياً للجميع نحو الفعل المأمور به، أو زاجراً لهم عن الفعل المنهَى عنه، وجعل الكلّ في ذلك سواء، إلّا أنّ إرادته الحقيقيه وطلبه الحقيقي تتعلّق بفعل مَنْ ينبعث عن أمره وينزجر عن نهيه، وأنّ الاستفادة من الآيه الشريفه أنّه لعلمه بحال هذه الذوات المقدّسه، وأنّهم عباد مُكْرَمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، وما يشاؤون إلّا أن يشاء الله، أراد بالإيراده الجديده (لا التكوينيّه) انبعاثهم نحو جميع الطاعات، وانزجارهم عن جميع المنهيات، فأمرهم بما أمرهم، ونهاهم عمّا نهاهم لا لأن يكون هذا الأمر والنهى لقطع العذر وإتمام الحجّه عليهم، بل لانبعاثهم نحو ما امروا به، وانزجارهم عمّا نُهوا عنه؛ وليكون باعثاً وداعياً لهم للامتثال، وتطهيراً لهم عن جميع الأرجاس، وقد أخبرنا بذلك في هذه الآيه الكريمه إعلاماً بجلاله قدرهم، وعلوّ شأنهم، وسموّ مقامهم، وكمال نفوسهم.

وعلى هذا دلّت الآيه الشريفه على أنّ فيهم ملكه قبول كلّ ما أمر الله تعالى به ونهى عنه، والاهتداء بهدأيته، ومن كان حاله هذا يريد الله تعالى إذهاب الرجس عنه، ويوفّر له أسباب التوفيق، ويخصّه بعناياته الخاصّه، ويجعله تحت رعايته الكامله يلهمه كلّ خير، ويميّز له كلّ شرّاً، لا يدعه في حال من الحالات، ولا في شأن من الشؤون، يختاره ويصطفيه من بين عباده، وهو القادر على ما يريد، وبكلّ شيء عليهم، [لا يُسئَلُ عمّا يفعلُ وَهُمْ يُسألُونَ] (١).

لا يقال: إنّ ما ذكرت هو حاصل لغير هؤلاء الذوات الكريمه أيضاً من ٣.

ص: ٣٧٠

الذين يخشون الرحمان بالغيب، ويتبعون الذكر، ويقبلون المواعظ بحسب مراتبهم ودرجاتهم.

فإنه يقال: نعم، ونحن نعرف كثيراً من الناس على بعض مراتب تلك الصفه الساميه والملكه العاليه القدسيه، مطيعين لله خائفين منه، أهل الخضوع والخشوع وقيام الليل، معروفين بالعداله والزهد، ولكن لانعرف على صفه العصمه المطلقه التامه غير من شهد الله تعالى له بذلك؛ لأن صاحب ملكه العصمه المطلقه لا يُعرف إلا من طريق الوحي، والارتباط بعالم القدس والملكوت الأعلى.

وقد عزفنا الله تعالى في هذه الآيه أهل البيت عليهم السلام، وأخبرنا بطهارتهم عن الأرجاس كلها، وعصمتهم صلوات الله عليهم أجمعين، ورزقنا الله أتباعهم والافتداء بهم، وأماتنا بحبهم وولايتهم، ولا يفرق بيننا وبينهم طرفه عين أبداً في الدنيا والآخرة، إنه الكريم المتفضل الوهاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حزره تراب أقدام محبى أهل البيت عليهم السلام

لطف الله الصافى الكلپايگانى

١٦ صفر الخير، ١٤٠٣ هـ

ص: ٣٧١

تفسير آيه الإنذار: وأحاديث يوم الدار، أو بدء الدعوه

اشاره

ص: ٣٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيات النازله فى أهل البيت عليهم السلام سيّما فى فضائل أمير المؤمنين الإمام أبى الحسن على عليه السلام كثيره جداً ذكرها الفريقان فى كتبهم فى أسباب النزول والتفسير وأفرد بعض الأعلام والحفّاظ من أهل السنّه كالحاكم الحسكّانى فى «شواهد التنزيل» كتباً فى ذلك. ورغم جدّ أعدائهم فى المنع عن روايه الأحاديث حول تفسير هذه الآيات أو تأويلها لم تخلص كتب الجوامع والمسانيد التى صُنّفت تحت إشراف هذه السياسات ورقابتها عنها.

ومن هذه الآيات، آيه الانذار التى تقرأ بعض ما يتعلّق بها فى هذه الرساله المسّماه «حديث يوم الدار» وتعرف أنّ إنكار ما ورد فى شأن نزولها، ممّا يدلّ على خلافه على عليه السلام شنشنه اخزميه وخصله امويّه حرّكها بغض الإمام عليه السلام الذى هو من أظهر آيات النفاق، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يُحبّك إلّا مؤمن ولا يُبغضك إلّا منافق.

ص: ٣٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، أبى القاسم محمدٍ وعلى آله الطاهرين.

قال الله تعالى: [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] (١).

لا- يزال يأتينا من الناصبه، وبقية الفئه الباغيه، والمرتقه الذين يعيشون فى أحضان الاستعمار - وهمهم الوحيد التفرقه بين المسلمين، وإشغالهم بخلافات مستحدثه؛ كيلا يلبوا دعوه المصلحين وعباقره الأمه إلى توحيد الكلمه - ما يجرح العواطف، ويثير الفتنة والتباغض والتخالف، مما لا ربح فيه إلّا للأعداء، ولا يزيدنا إلّا للضعف والفسل.

وهذا إن دلّ على شىءٍ، فإنّما يدلّ على أنّهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم؛ حتى لا يسمعوا صرخات المصلحين؛ لأنّهم لا يحبون استيقاظ امتنا الكبيره، التى ٤.

ص: ٣٧٧

١- الشعراء: الآية ٢١٤.

لو استيقظت من نومتها، وعرفت صلاحياتها وطاقاتها وإمكانياتها لقامت بوجه كل استكبار واستضعاف وقضت عليه، ورفعت رايه التوحيد، وأسست المدنيه على النظام الإلهي الخالي من الظلم والانظلام، وسلب الحريات التي منحها الله تعالى الإنسان في شرائع الأنبياء، سيما الشريعة الإسلامية الخاتمه.

نعم، لو التفت الجيل الحاضر المسلم إلى مستقبله وإلى حاضره، وما يجرى في العالم، وما أحاط البشرية من المشاكل التي فرضتها عليها الصهاينه وأذئاب الاستعمار، والتبشير والإلحاد وعبده لنين وماركس أدرك ما يجب عليه من القيام بإبلاغ رساله الإسلام لإنقاذ البشرية، والسعي للقضاء على كل سلطه وسيطره إالأسلطة أحكام الله تعالى، ويدك بذلك عروش الجبابره والمستكبرين ويهدد كيانهم.

ولعمر الحق، ما على البسيطه شيء أشدّ خطراً على الاستكبار العالمي من تيقظ المسلمين من رقدتهم، واعتصامهم بحيل الله تعالى.

إذن فلا- عجب من وقوفهم بوجه المصلحين وسعيهم في تفرقه كلمه المسلمين وتجزئه بلادهم؛ ليكون كل إقليم ومنطقه تحت أمر حاكم عميل ونظام في خدمه الشرق أو الغرب.

فانظر إلى بلاد المسلمين بعين البصيره والعبره؛ لتدرك محتتها من هؤلاء الحكام والمهتمين بتفرقه المسلمين، ثم انظر هل تجد لهذه الحكومات المتخالفه في السياسه والنظام والإداره مفهوماً؟ غير أنّ الاستعمار لم يقم ولن يدوم في بلادنا إلابها. وأوجه السؤال إلى المسلمين المضطهدين تحت سيطره هذه

الحكومات الجائرة عن الحاكم الإسلامى الذى قرن الله طاعته بطاعه رسوله صلى الله عليه و آله من بينها:

فمن هو إذاً حاكم الأردن، أو تركيا، أو الجزيره العربيه المسّماه باسم السعوديه، أو حاكم الكويت، أو البحرين، أو قطر، أو أبوظبي، أو سلطنه عما، أو المغرب، أو تونس، أو الجزائر، أو باكستان، أو ماليزيا، أو أندونزيا، أو الصومال، أو لبنان، أو نيجيريا، أو اليمن الشماليه، أو اليمن الجنوبيه الماركسيه، أو ليبيا الاشتراكيه، أو السودان، أو مصر، أو العراق، أو تانزانيا، أو سوريا، أو أفغانستان، أو اوزبكستان، أو تاجيكستان، أو ألبانيا، أو بنغلادش، وأو... وأو...؟!!

من الذى يحكم من حكام هذه البلاد بحكم الإسلام؟ وأى هذه الحكومات حكومه شرعيه إسلاميه تمثّل وحده الأمه وحكومتها العالميه التى تسود العالم كلّه؟

وهل تعرف منها من لا يتحكّم فى مصيره الشرق الملحد أو الغرب المستعمر؟ ومن هى شبكات هؤلاء المستعمرين الذى لا يرقبون فى مؤمن إلاماً ولا ذمّةً، يُنفقون الأموال الطائله التى يحصلون عليها بامتصاص دماء الشعوب، من أجل اختلاق الخلافات وإنكار الحقائق الإسلاميه، وإيجاد الشكّ فى التاريخ الملىء بأمجادنا وبطولات أبطالنا؟ كما يحاولون أن تبقى اختلافات الفرق بحالها، فحينما يرون أنّ الشعور بالولاء لأهل البيت عليهم السلام والتمسكّ بهم سيشمل جميع الأمه ويوحّدها، ويذهب بالأحقاد التى أوجدتها سياسه، ويقضى على تفرقه الأمه بالفريقين الشيعه والسنّه، ويلفّ الجميع حول الكتاب والعترة (الثقلين) ويوحّد المذاهب أجمع، يتوسّلون بأهل التعصّب والعناد والنصاب

يخيفونهم من ظهور الحق ويقظه الشباب المثقف، وفهمهم ما وراء الوقائع الداميه والخلافات الطائفية من مؤامرات المنافقين ومبغضى أهل البيت عليهم السلام، فيستأجرون لذلك أقلام عبده الدنيا، ومحبي الجاه، والضعفاء الذين لا يفهمون ما وراء هذه الأمور، ولا يفكرون فيما يريده الاستعمار من الاحتفاظ بتفرق المسلمين.

إي والله، لقد أدرك الاستعمار أنّ جيلنا المسلم قد استيقظ عن نومته، وانتبه إلى ما حوله، وأدرك أنّ الخلافات المذهبيه والسياسات العامله لمنع الناس عن التمسك بالثقلين وأخذ العلم عن أهل البيت عليهم السلام الذين هم وحدهم حملته وسدنته، تذوب بالإمعان الخالص من التعصب في الكتاب والسنة والتاريخ، كما أدرك الكثير من أبناء أهل السنة، فلبوا دعوه المصلحين الأفاضل؛ لترك العصبية الطائفية، وفهموا أنّ شيعه أهل البيت عليهم السلام لا ذنب لهم إلّالولاء أهل البيت، وأخذ العلم عنهم في ظروف لم تكن موافقه لسياسه أرباب السلطه المتغلبين على المسلمين، فتحكّموا في رقاب محبيهم ورواه فضائلهم ومناقبهم وحمله العلم عنهم، ونكّلوا بهم أشدّ التنكيل وساموهم سوء العذاب، حتى أصبح الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام ونقل الحديث عنهم، وحتى إعانه الذريه الطاهره النبويه من أعظم الجرائم السياسيه.

وقد بقيت شرذمه ضئيله من أبناء هؤلاء الذين يقولون بشرعيه حكومات الطواغيت، الذين علّوا وطغوا واستكبروا في الأرض، أمثال معاويه ويزيد والوليد وهارون والمتوكل وغيرهم، وكان استكبارهم أكثر من استكبار طواغيت الجاهليه في روما ويران.

وهؤلاء لا يزالون يصدّون المسلمين عن التجاوب والتفاهم، ويتبنون دعوه الاستعمار لإثاره الضغائن وإنكار الحقائق، ينظرون دائماً إلى الخلف، ولا ينظرون إلى الأمام. لا يقبلون من التاريخ والحديث إلّما يؤيد آراءهم، ويجرحون كأسلافهم كلّ من يروى ما لا يوافق أهواءهم، ويطعنون في كلّ حديث يخالف مذهبهم وإن بلغ في الصحه ما بلغ، أو يؤولونه. قد أعمت العصبية أبصارهم وبصائرهم. السنّه عندهم بدعه، والبدعه عندهم سنّه. يقتفون آثار السفينيين، ويدافعون عن سيره الجابره، ويعملون على كتمان فضائل بطل الإسلام، ونفس الرسول وابن عمه وأخيه، وباب مدينه علمه، ومن هو منه بمنزله هارون من موسى إلّأنّه لانيّ بعده، ومن لا يحبّه إلّامؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق، أميرالمؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام. ينكرون مناقبه ومناقب أهل بيته، ويرمون من روى فضائله بالكذب ووضع الحديث، ويعدّون ولاء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله جريمه لا تُغتفر، ولكن لو كانت هذه المناقب مرويه في شأن أعداء آل النبي صلى الله عليه وآله لا يقابلونها بالإنكار، وسيّما إذا كان رجالها مطعونين بالنصب وقتل المسلمين وأقبح الظلم وأشنع الفسق. فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

قرأنا في بعض المجلّات (حضاره الإسلام، العدد الخامس من السنه الثامنه عشره برجب ١٣٩٧ هـ) نقداً من الكاتب محمد حسنين هيكل، على كتاب للجنرال ا. أكرم، ترجمه الركن صبحى الجابى، فيه موارد هامه من الاشتباه، وقلب الحقائق، من أعظمها: الاستناد إلى المنقولات الضعيفه والحكايات الواهيه في شأن بدء الوحي وكيفيه نزوله، ممّا لا يناسب شأن الرساله المحمديه، فيتّهم الرسول صلى الله عليه وآله بخشيته على نفسه عندما نزل عليه

الوحي، وجاءه الملك الأمين جبرئيل عليه السلام يرى كأنه - والعياذ بالله - لم يحصل له اليقين بما جعل الله على عاتقه، وشرفه به من النبوه والرساله، فانطلقت به السيده خديجه أتت به ورقه بن نوفل.

وهذه وإن كانت روايه البخارى ومسلم فى بدء الوحي وكيفيه نزوله إلّا أنّها مردوده عليهما وعلى شيوخهما؛ لأنّ شأن الرسول صلى الله عليه وآله فى المعرفه والإدراك كان أنبل وأجلّ من الشكّ فيما أوحى الله تعالى به، وأمر الرساله أيضاً أعلى وأنزه من ذلك. وكيف لا يعرف الرسول صلى الله عليه وآله ما تعرفه وتؤمن به السيده خديجه - رضى الله تعالى عنها - وقد كان تحت رعايه الله تعالى قبل البعثه، وخلق الله نوره قبل أن يخلق العالم، مضافاً إلى أنّه يجب أن يكون إلقاء الوحي والتعيين لهذا المنصب العظيم سيما الرساله المحمديه العظمى على نحوٍ يحصل للمبعوث بها بنفسها اليقين والإيمان على أنّه بعث إلهى ووحى سماوى. وبالجملة شأن الرساله وشأن الرسول برىء من خشيته صلى الله عليه وآله على نفسه.

اللهمّ إلمأ أن يكون المراد خشيته من الله تعالى لعظم ما أمره به وجعله على عاتقه، ولاريب أنّه صلى الله عليه وآله كان أخشى الناس وأخوفهم من الله تعالى، وكان أعبدهم وأزهدهم، وأعرفهم بالله. ولاريب أنّ من كان أعرف الناس بالله يكون أخوفهم منه وأرجى به منهم، أمّا الشكّ والخشيه على نفسه فلم يعرضه حتى لحظه واحده، وهذا أمر يعرفه من سبر تاريخ حياته وأخلاقه الكريمه، وقد قال الله تعالى: [آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ] (١) فهو من أول ما نزل به الوحي آمن ٥.

ص: ٣٨٢

١- البقره: الآيه ٢٨٥.

بما انزل إليه وخرج من غار حراء وقلبه ملىء بالإيمان بما نزل به.

نقده الآخر:

ثم إنّه أنكر على المؤلّف ما ذكر من أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد بقى مده ثلاث سنوات يتلقّى تعليمات ربّه، دون أن يتكلّم شيئاً عن رسالته، ويوهم القارئ بأنّ علياً وخديجه وأبا بكر أسلموا في زمن واحد، ولم يكن بين إسلام خديجه والإمام واسلام أبي بكر فتره حتى يسيره، مع أنّه يظهر لمن يمعن النظر في الأحاديث الصحيحة والتاريخ أنّ أبا بكر لم يسلم إلّا بعد فتره طويله لا يستبعد تقديرها بثلاث سنين. ولا يابى العقل أن يكون النبي صلى الله عليه وآله مده ثلاث سنوات أو أكثر يتلقّى تعليمات ربّه، ولم يكن مأموراً بإظهارها وتبليغها بغير خديجه وعلى من أهل بيته. فكانوا يعبدون الله بما تعبّده الله به سرّاً، حتّى إذا أمر الله النبي صلى الله عليه وآله بإظهار الدعوه بلغ عدد المؤمنين في ثلاث سنوات إلى الأربعين أو أكثر على اختلاف الروايات في ذلك.

ويؤيّد بل ينصّ على ما قلناه: الروايات الكثيره التي دلّت على أنّ علياً عليه السلام عبد الله تعالى مع رسوله صلى الله عليه وآله سبع أو تسع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمم، وأنّ الملائكه صلّت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى علي عليه السلام سبع سنين؛ لأنّه لم يصلّ معه أحد غيره (١).

ص: ٣٨٣

١- يراجع في ذلك: كنز العمال: ج ١٣ ح ٣٦٣٨٩ و ح ٣٦٣٩٠ و ح ٣٦٣٩١، والخصائص العلويه للنسائي: ج ٣، وتاريخ ابن عساكر، ترجمه الإمام عليه السلام: ح ٧١ و ٨٠ و ٨١ و ٩١ و ٩٩ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤، وفرائد السمطين: ١، ح ١٩١ و ١٩٢ و ١٨٧ و ١٨٨، وتهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣٣٦، وأسد الغابه: ج ٤ ص ١٨، والرياض النضره: ج ٢ ص ٢١٧، وذخائر العقبى: ٦٤، وغيرها.

ومما أخذ هذا الناقد على هذا المؤلف وناقشه: أنه ذكر حديث الدار ويوم الإنذار، وتجاوز عن الحدّ في نقده، وحكم باختلاف الروايه بالأصل؛ لوجود راوٍ مشهور بالكذب وصنع الأحاديث بزعمه، وهو: أبو مريم الأنصاري عبد الغفار بن القاسم، الذي أثنى عليه الحافظ ابن عقده وأطراه، كما في لسان الميزان.

والروايه مشهوره مستفيضه أخرجها جمع من الحفاظ وأكابر المحدثين، واختصرها بعضهم، كما أبدل الطبري في تفسيره قوله صلى الله عليه وآله «فأَيُّكُمْ يُؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم؟» بلفظ «فأَيُّكُمْ يُؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وكذا وكذا».

وقوله صلى الله عليه وآله: «إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» بلفظ «إنّ هذا أخى وكذا وكذا».

والطبري - وهو الذى روى الروايه كامله وتامه فى تاريخه - يرويها بهذه الصوره المحرّفه المشوّهه المجله حتى لا يفهم القارئ مغزاه، ولا يعرف خليفه رسول الله صلى الله عليه وآله المنصوص عليه فى هذه الروايات وفى غيرها من الأحاديث، أو لا يرمونه أهل العناد والنصب بالرفض والتشيع، ولا يفعلون به ما فعله أهل دمشق

وقد تبع الطبرى فى تفسيره ابن كثير فى تاريخه (١) ، وهذا إن لم يدل على شىء فقد دل على أنّ السياسه هى القوه التى تعين منهج سير العلم والحديث والتفكر. فمثل هذه الكلمه القاطعه: «إنّ هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» لا يجوز سياسياً نقلها والتحدث بها، لأنّها إعلان إبطال الحكومات المستبدّه التى قلبت نظام الإدارة والحكم، وأحيت سنن الأكاسره والقياسره.

فالنظام الذى يقطع عرقوبَ مثل بشير بن مروان، ويضرب عطيه العوفى أربعمائنه سوط، وينتف لحيته؛ لإبائهما عن سب الإمام عليه السلام (٢) لا يسمح مهما أمكنه التحدّث بمثل هذه الأحاديث والإجهار بها، ويبالغ فى المنع عن ذلك تخويفاً وتطميحاً.

وهذا يحيى بن يعمر يُبعثُ به من خراسان إلى الكوفه بأمر الحجاج لقوله:

«إنّ الحسن والحسين ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله» (٣):.

ص: ٣٨٥

- ١- البدايه والنهايه: ج ٣ ص ٤٠.
- ٢- تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٢٢٦، و ج ١٠ ص ١٥٧ و ١٥٨.
- ٣- قال فى وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ ح ٨٦٨: حكى عاصم بن أبى النجود المقرئ المقدم ذكره: أنّ الحجاج بن يوسف الثقفى بلغه أنّ يحيى بن يعمر يقول: إنّ الحسن والحسين - رضى الله عنهما - من ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يحيى يومئذٍ بخراسان، فكتب الحجاج الى قتيبه بن مسلم والى خراسان - وقد تقدم ذكره أيضاً - أن ابعث إلى يحيى بن يعمر. فبعث به إليه، فقام بين يديه، فقال: أنت الذى تزعم أنّ الحسن والحسين من ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ والله لألقين الأكثر منك شعراً، أو لتخرجن من ذلك! قال: فهو أمانى إن خرجت؟ قال: نعم، قال: فإنّ الله جلّ ثناؤه يقول: [ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلما هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى] الآيه ٨٤ من سوره الأنعام. قال: وما بين عيسى وإبراهيم أكثر ممّا بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه، فقال الحجاج: وما أراك إلّا قد خرجت، والله لقد قرأتها وما علمت بها قطّ.

إذن فلا- عجب بمؤاخذه هؤلاء المتعصّيين للباطل لهيكل بإخراجه روايه يوم الدار في تاريخه، حتى اضطرّ إلى حذفها منه في طبعته الثانيه.

ولاعجب منهم إن لم يؤاخذوا عليه تركه في تاريخه كثيراً من فضائل الإمام التاريخيه، وما وقع فيه من الأغلاط والاشتباهاات فيما يرجع إلى سيره النبي صلى الله عليه و آله ومواقف وصيته وأخيه الرشيد.

ولاتعجب من الكاتب محمد حسنين، الذي يكتب في مجله حضاره الاسلام مؤاخذته على الجنرال ا. أكرم ومترجم كتابه بنقل حديث يوم الدار بالمضمون.

فتلك شنشنة اخزوميه، وسيره امويه، وبدعه مروانيه قد الزموا بها في ردّ الأحاديث الصحيحه، وجرح رواه فضائل أهل البيت عليهم السلام، في حين أنهم يحتجّون بروايات أمثال: المغيره بن شعبه، وبُسر بن أرطاه، وأزهر الحرازي الحمصي، وحرير بن عثمان الرحبي، وخالد بن عبد الله القسري، وشبابه بن سوار، وعمر بن سعيد بن العاص الأموي، وعمران بن حطان وغيرهم (1).».

ص: ٣٨٦

١- راجع في ذلك كتابنا «أمان الأمة من الضلال والاختلاف».

فانظر كتبهم فى الرجال وفى الجرح والتعديل، مثل: لسان الميزان والجرح والتعديل للرازى، وتدبر فى كلماتهم فى شأن أبى مريم الأنصارى، الذى روى هذا الحديث فى عصرٍ كان روايه مثله من أكبر الجرائم السياسيه، وانظر هل تجد فى ذلك الرجل موضع غمز وتنقيص إلا الموالاه ومودّه ذوى القربى، وروايه مثل هذه الروايه؟!

فلا تجد غير ذلك سبباً لتركهم حديثه وحديث أمثاله، فرموه لذلك تارة بالكذب، وتاره اخرى بعدم الوثاقه، وعلته الأصلية هو التشيع وروايته أحاديث الفضائل. فهذا أحمد بن حنبل يقول فيه، كما نقله الرازى عنه فى الجرح والتعديل: (إنه ليس بثقه، كان يحدث ببلايا فى عثمان) ويقول: (هو متروك الحديث، كان من رؤساء الشيعة). وفى لسان الميزان قال: (يقال: كان من رؤوس الشيعة). ثم أخرج عنه حديث «علّى مولى من كنت مولاه».

فهذا ذنب الرجل أنه أولاً كان يحدث ببلايا فى عثمان، وثانياً: أنه كان من رؤساء الشيعة. وإذا كان الحديث ببلايا عثمان موجباً للقدح فى أحد فما يقولون فى عائشه وطلحه والزبير وعمار وغيرهم من الصحابه، الذين كانوا من المتجاهرين فى القوم ببلايا عثمان وذمه المشيرين عليه حتى قتل؟

وإذا كان عثمان أحدث فى الإسلام ما أحدث، وصنع ما أغضب الصحابه مثل الصحابى الزاهد الكبير الذى قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى حقّه: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذى لهجهٍ أصدق من أبى ذر»⁽¹⁾، فأنكره.

ص: ٣٨٧

عليه صنائعه غير المرضيه، فنفاه عثمان إلى الربذه، فمات في منفاه وحيداً مظلوماً، فما ذنب أبي مريم الأنصارى إن حدث ببلاياه؟ وإن كان هذا سبباً للطعن فيه فمن كان هذه بلاياه أحق وأولى بالطعن منه!

أتريدون أن لايقول أحد من التاريخ ومما جرى على هذه الأمه شيئاً، ولايعرف أحد ما وقع في عصر الصحابه، ولايفهموا تلکم الحقائق التي ترتبط معرفتها بمعرفه رساله الإسلام، ومناهجها العاليه في السياسه والحكومہ والمال وغيرها؟

لاوالله، لايمكن ذلك، وإن أمكن إخفاء تلك الحقائق التاريخيه في العصور الماضيه لايمكن ذلك في عصرنا الحاضر، عصرالطباعه والنشر، والثقافه والفكر، الذي تيقظ فيه المسلمون من رقتهم، وأدركوا - سيما الشبان المثقفون - أن بلاءنا كله يرجع إلى صنائع بعض الأولين من أهل السياسه، ممّا شوّه وجه الإسلام في الحكم والإداره.

وإذا كان قدحاً كون الرجل من رؤساء الشيعه، فما يقول هؤلاء في رؤسائهم، مثل: سلمان، وأبي ذرّ، والمقداد، وعمار بن ياسر(1)، وغيرهم منم.

ص: ٣٨٨

١- قال الكاتب الشهير محمد كرد على - وهو من أبناء السنّه - في كتابه «خطط الشام»: ج ٦ ص ٢٤٥: عُرف جماعه من كبار الصحابه بموالاه على في عصر رسول الله صلى الله عليه و آله، مثل سلمان الفارسي القائل: (بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلى بن أبي طالب والموالاه له). ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول: (امر الناس بخمس، فعملوا بأربع وتركوا واحده)، ولمّا سُئِل عن الأربع؟ قال: (الصلاه والزكاه وصوم شهر رمضان والحج). قيل: فما الواحده التي تركوها؟ قال: (ولايه على بن أبي طالب). قيل له: وإنّها لمفروضه معهنّ؟ قال: (نعم هي مفروضه معهن). ومثل أبي ذرّ الغفارى وعمار بن ياسر وحذيفه بن اليمان وذى الشهداءين خزيمه بن ثابت وأبي أيوب الأنصارى وخالد بن سعيد بن العاص وقيس بن سعد بن عباده، وكثير أمثالهم.

الصحابه المعروفين بالوفاء والولاء لأهل البيت عليهم السلام، ومن التابعين لهم بإحسان؟

وما يقولون فى أئمة الشيعة المعصومين، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً؟

وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وآله الذى هو أول من سن التشيع، وهو الذى لُقّب المؤتمنين بأمر المؤمنين على عليه السلام بالشيعة، وبشّرهم بأنهم خير البرية؟

هذا، ويُسئل عن حال من جرح أبا مريم الأنصارى: هل هو مرضى عند علماء الجرح والتعديل من أهل نحلته؟

فابن معين يتّهم مثل أحمد بن حنبل بالكذب. وقال المقبلى: (نجد أحدهم ينتقل من مذهب إلى آخر بسبب شيخ أو دوله أو غير ذلك من الأسباب الدنيويه والعصبيه الطبيعيه)(١).

وقال ابن معين: (إنّ مالكا لم يكن صاحب حديث، بل كان صاحب رأى)(٢).

وقال الليث بن سعد: (أحصيت على مالك سبعين مسأله، وكلّها مخالفه٩.

ص: ٣٨٩

١- أضواء على السنّه المحمّديه: ص ٣٤٥.

٢- أضواء على السنّه المحمّديه: ص ٢٩٩.

لسنه الرسول صلى الله عليه وآله (١).

وقالوا فى غيرهم من أئمتهم ما قالوا (٢). وعلى هذا لا يبقى اعتماد على أقوالهم فى الجرح والتعديل المبتهى على ما سمعت فى تعرّف أحوال رجال الشيعة والمتشيعين ورواه فضائل أهل البيت عليهم السلام، ولا يجوز الركون عليها.

وبعد ذلك كله نقول: بأن الروايه رويت بإسناد آخر ليس فيه عبدالغفار بن القاسم. فرواه البيهقى فى الدلائل عن ابن إسحاق، عن شيخ أبهم اسمه، عن عبد الله بن الحارث، الى قوله: (إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة) (٣)، ولا أدرى لماذا أبهم ابن إسحاق شيخه الراوى عن عبد الله بن الحارث، كما لا أدرى أن عدم الانتهاء إلى آخر الحديث هل كان من البيهقى، أو من ابن إسحاق، أو غيرهما، وكان ذلك خوفاً عن النواصب، أو إخفاءً للحق عناداً ونصباً؟ ولا يبعد أن يكون الشيخ الذى أبهم اسمه ابن إسحاق، هو عبد الغفار بن القاسم (٤).

وعلى هذا الاحتمال يكون السند فى ذلك موافقاً لسند الطبرى، لا يثبت به ٠.

ص: ٣٩٠

١- أضواء على السنّه المحمديه: ص ٢٩٩.

٢- يراجع فى ذلك أضواء على السنّه المحمديه: ص ٢٨٩، والعتب الجميل وغيرهما.

٣- دلائل النبوه: ج ١ ص ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠، البدايه والنهايه: ج ٣ ص ٣٩-٤٠.

٤- بل هو كما قال البيهقى، قال أبو عمر أحمد بن عبد الجبار: بلغنى أنّ ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم بن مريم المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، وكان ما أخفى النبى صلى الله عليه وآله أمره واستتر به إلى أن أمر بإظهاره ثلاث سنين من مبعثه. قلت: وقد روى شريك القاضى عن المنهال بن عمرو، عن عبدالله الأسرى، عن على فى إطعامه إياهم تقريب (بقریب) من هذا المعنى مختصر (مختصراً). دلائل النبوه ج ١ ص ٤٢٩ و ٤٣٠.

وجود سند آخر للحديث غيره، إلّا أنّه جاء بإسناد آخر ليس فيه هذا الرجل، كما تفتن به ابن كثير، فقال بعد ما قال في عبد الغفار:

(ولكن روى ابن أبي حاتم في تفسيره، عن أبيه، عن الحسين بن عيسى بن ميسره الحارثي، عن عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، قال: قال عليّ: «لما نزلت هذه الآية [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: اصنع لي رجل شاه بصاع من طعام، وإناء لبناً، وادع لي بني هاشم، فدعوتهم، وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل، أو أربعون ورجل» فذكر القصة نحو ما تقدم إلى أن قال: «وَيَدْرَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْكَلَامَ، فقال: أيكم يقضى عني ديني ويكون خليفتي في أهلي؟ قال: فسكتوا، وسكت العباس خشيه أن يحيط ذلك بماله، قال: وسكت أنا ليس العباس. قالها مره اخرى، فسكت العباس، فلما رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله، قال: أنت...»

الحديث»(١).

وقال ابن كثير: (وهذه الطريق فيها شاهد لما تقدم، إلّا أنّه لم يذكر ابن عباس فيها، فالله أعلم. وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عباد بن عبد الله الأسدي وربيعة بن ناجذ عن علي نحو ما تقدم، أو كالشاهد له)(٢).

فابن كثير كما يظهر من كلامه يقوى ضعف السند من طريق الطبري بغيره ممّا لاضعف فيه، إلّا أنّه أيضاً غلط في أصل تضعيف السند كغيره، كما أنّه غلط .

ص: ٣٩١

١- البدايه والنهايه: ج ٣ ص ٣٩ و ٤٠.

٢- المصدر السابق نفسه: ص ٤٠.

غلطاً كبيراً فى الحكم على عبد الغفار بن القاسم بأنه كذاب شيعى ولم يأتِ بدليل على ذلك، غير أنّ ابن المدينى وغيره اتّهمه بوضع الحديث، وضعفه الباقر.

ولا يخفى أنّ من يتّق الله، ويعتقد حرمة عرض المسلم كحرمة ماله ودمه لا يخوض فى عرض المسلم بمجرد التّهمة، ولا يسيئ الظنّ به، ولا يجوز له أن يقول أزيد ممّا قيل فيه. إذا وجب ذلك، فمن أين قلت يا بن كثير: إنّ كذاب؟ وما كذبه؟ ومن أين علمت ذلك؟ وما جوابك حين يخاصمك عبد الغفار عند الله تعالى؟! (1) هذا، وقد ظهر لك أنّ للحديث طرقاً كثيرة، بعضها فيها عبد الغفار، وبعضها ليس فيه هذا الرجل. ا.

ص: ٣٩٢

١- لا يخفى عليك أنّ أرباب الرجال والتراجم والفهارس من الشيعة المشهورين بكمال التورّع والاحتياط، سيما فى الجرح والتعديل صرّحوا بوثاقه هذا الشيخ الجليل (أبى مريم عبد الغفار بن القاسم القيس الأنصارى)، والرجل من أصحاب الإمام زين العابدين على بن الحسين وابنه الإمام محمد بن على الباقر وابنه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام، ويكفيه ذلك فخراً وشرفاً وفضلاً. توجد ترجمته فى فهرست الشيخ ورجاله، وفهرست النجاشى، والخلاصه للعلّامة، ورجال ابن داود، والكشّى، والوجيزه، والبلغه، وجامع الرواه وغيرها. وممّا يؤيد حُسن حال الرجال، ويزيد فى تعرّف حالهم: معرفه شيوخهم وتلاميذهم ومن أخذ عنهم العلم. وللرجل فى هذا شأن سام ومكان عالٍ، فإنّ شيوخه الذين أخذ العقيدة والمذهب منهم، واتخذهم أئمه وتمسك بهم، واعتصم بحبل ولا يتهم الذى هو حبل الله، هم من عرفتهم: الإمام زين العابدين والإمام باقر علوم النبيين والإمام جعفر الصادق عليهم السلام، فقد تخرّج هذا الرجل من مدرستهم الكبيره، وتلمذ عندهم، وأخذ العلم من نَميرهم الصافى. يراجع جامع الرواه، والكشّى، والنجاشى وغيرها.

ونحن نذكر طائفه من هذه الطرق؛ ليظهر لك قوه أسنادها واشتهارها، وأن العلماء الحفاظ والمحدثين تلقوها بالقبول، فنقول:

الطريق الأول: ما أخرجه ابن كثير في تاريخه، عن ابن أبي حاتم في تفسيره، وهذا هو الطريق الذي مرّ نقله عنه، وليس فيه عبد الغفار (١).

الطريق الثاني: ما أخرجه البيهقي في الدلائل، عن ابن إسحاق، عن شيخ أبهم اسمه، أخرجه ابن كثير أيضاً عن البيهقي، وقد مرّ نقله أيضاً (٢).

ص: ٣٩٣

١- وقد روى الحديث عن عطاء، وعدي بن ثابت، والمنهال بن عمرو، ونافع الجرح والتعديل للرازي: ج ٣ ص ٥٣. وسمع منه يحيى بن سعد الأنصاري، وشعبه، وكان حسن الرأي فيه. الجرح والتعديل: ج ٣ ص ٥٣ و ٥٤. وروى عنه جماعه من الأجلء والرواه، كالحسن بن محبوب، ومحمد بن موسى خوراء، وصالح بن عقبه، وموسى بن بكر، وعلي بن الحسن بن رباط، وأبو ولاد، وأبان بن عثمان، وهشام بن سالم، وعلي بن النعمان، وعثمان بن عيسى، وعبدالله بن المغيرة، وثعلبه بن ميمون، ويونس بن يعقوب، والقاسم بن سليمان، وعبد الرحمن بن حماد، ومحمد بن أبي حمزه، ومحمد بن عيسى، والعباس بن المعروف، وسيف، وفضاله، وإبراهيم بن سنان، وظريف، وأحمد بن عمر، وجميل بن صالح والحسن بن سري. جامع الرواه: ج ١ ص ٤٦١ و ٤٦٢. ومما يظهر منه: جلاله قدره، وحسن عقيدته، وإيمانه بالأئمة الاثني عشر، الذين بشر النبي صلى الله عليه وآله الأمه بهم، كما جاء في الروايات المتواتره، ما روى الشيخ الجليل أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز في كتاب «كفايه الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر»، بسنده عنه، قال أبو مريم الأنصاري:

٢- دخلت على مولاي الباقر عليه السلام وعنده اناس من أصحابه، فجرى ذكر الإسلام، قلت: يا سيدي! فأى الإسلام أفضل؟ قال: «من سيلم المسلمون من لسانه ويده»، قلت: فأى الأخلاق أفضل؟ قال: «الصبر والسماحه»، قلت: فأى المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: «أحسنهم أخلاقاً»، قلت: فأى الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده وأهريق دمه»، قلت: فأى الصلاه أفضل؟ قال: «طول القنوت»، قلت: فأى الصدقه أفضل؟ قال: «أن تهجر ما حرّم الله عزّوجلّ عليك»، قلت: يا سيدي، فما تقول في الدخول على السلطان؟ قال: «لا أرى ذلك»، قلت: إنى ربّما سافرت إلى الشام فأدخل على إبراهيم بن الوليد، قال: «يا عبد الغفار، إن دخولك على السلطان يدعو إلى ثلاثه أشياء: محبّه الدنيا، ونسيان الموت، وقله الرضا بما قسم الله لك»، قلت: يابن رسول الله، فأنى ذو عيله وأتجر إلى ذلك المكان لجرّ المنفعه، فما ترى في ذلك؟ قال: «يا عبد الله، إنى لست آمرك بترك الدنيا، بل آمرك بترك الذنوب، فترك الدنيا فضيله، وترك الذنوب فريضه، وأنت إلى إقامه الفريضه أحوج منك إلى اكتساب الفضيله»، قال: فقبت يده ورجله، وقلت: بأبى أنت وأمى يابن رسول الله، فما نجد العلم الصحيح إلّا عندكم، وإنى قد كبرت سنّى ورقّ عظمى، ولا أرى فيكم ما سيّر به، أراكم مقتلين مشرّدين خائفين، وإنى أقمت على قائمكم منذ حين، أقول: أخرج اليوم أو غداً، قال: «يا عبد الغفار، إن قائمنا هو السابع من وُلدى، وليس هو أوان ظهوره، ولقد حدّثنى أبى عن أبيه عن آباءه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الأئمة بعدى اثنا عشر عدد نعباء بنى إسرائيل، تسعه من صلب الحسين، والتاسع قائمهم يخرج في آخر الزمان، فيملؤها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً»، قلت: فإنّ هذا كائن يابن رسول الله، فإلى من بعدك؟ قال: «إلى جعفر، وهو سيد أولادى وأبو الأئمه، صادق في قوله وفعله، ولقد سألت عظيماً يا عبد الغفار، وإنك لأهل الإجابة»، ثم قال: «ألا إنّ مفتاح العلم السؤال»، وأنشأ يقول:

شفاء العمى طول السؤال وإنّما تمام العمى طول السكوت على الجهل راجع كتاب منتخب الأثر وكفايه الأثر للخزّاز القمّي: ص ٢٥٢ (ط منشورات بيدار - قم، ١٤٠١ هـ).

الطريق الثالث: ما أخرجه الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله بن أحمد، المعروف بالحاكم الحسكاني بطريق ليس فيه عبد الغفار، قال: (حدّثني ابن فنجويه، حدّثنا موسى بن محمد بن علي بن عبد الله، حدّثنا الحسن بن علي بن شبيب المعمرى، قال: حدّثنا عبّاد بن يعقوب، عن علي بن هاشم، عن صباح بن

ص: ٣٩٤

يحيى المزني، عن زكريا ابن ميسره، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: لما نزلت [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] (١) جمع رسول الله بنى عبد المطلب، وهم يومئذ أربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل المسننه ويشرب العس، فأمر علياً برجل شاه فآدمها، ثم قال: ادنوا بسم الله، فدنا القوم عشرة عشره، فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بعقب من لبن، فجرع منه جرعه، ثم قال لهم: اشربوا بسم الله، فشرب القوم حتى رووا، فبدرهم أبو لهب، فقال: هذا ما أسحركم به الرجل! فسكت النبي صلى الله عليه وآله يومئذ فلم يتكلم، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشرب، ثم أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا بني عبد المطلب، إنني أنا النذير إليكم من الله عزوجل، والبشير لما يجيء به أحدكم، جئكم بالدنيا والآخرة، فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ومن يؤاخذني ويؤاخذني، ويكون وليي ووصيي بعدى، وخليفتي في أهلي، ويقضى ديني؟ فسكت القوم، وأعاد ذلك ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم ويقول على: أنا، فقال: أنت، فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب:

أطع ابنك، فقد أمره عليك (٢).

وأخرجه ابن البطريق بسنده عن الثعلبي في تفسيره (٣).

الطريق الرابع: ما أخرجه الحافظ الشهير أبو القاسم علي بن الحسن بن هبه الله الشافعي، المعروف بابن عساكر، قال: (أخبرنا أبو البركات عمر بن إبراهيم الزيدى العلوى بالكوفه، أنبأنا أبو الفرج محمد بن أحمد بن علان الشاهد، أنبأنا.

ص: ٣٩٥

١- الشعراء: الآية ٢١٤.

٢- شواهد التنزيل: ج ١ ص ٤٢٠ و ٤٢١ ح ٥٨٠.

٣- العمده لابن البطريق: الفصل الثالث عشر.

محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي، أنبأنا عباد بن يعقوب، أنبأنا عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله، عن علي بن أبي طالب، قال: «لما نزلت [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، اصنع لي رجل شاه بصاع من طعام، وأعد قعباً من لبن - وكان القعب قدرَ رَيِّ رجل - قال: ففعلت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: اجمع بني هاشم، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً - أو أربعون غير رجل، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالطعام، فوضعه بينهم، فأكلوا حتى شبعوا، وإنَّ منهم لمن يأكل الجذعه بأدامها، ثم تناولوا القدح فشربوا حتى رووا وبقي فيه عامته، فقال بعضهم: ما رأينا كاليوم في السحر يرون أنه أبو لهب.

ثم قال: يا علي، اصنع رجل شاه بصاع من طعام، وأعد بقعب من لبن، قال: ففعلت، فجمعهم، فأكلوا مثل ما أكلوا بالمره الأولى، وشربوا مثل المره الأولى، وفضل منه ما فضل في المره الأولى، فقال بعضهم: ما رأينا كاليوم في السحر.

فقال في المره الثالثه: اصنع رجل شاه بصاع من طعام، وأعد بقعب من لبن، ففعلت، فقال: اجمع بني هاشم، فجمعتهم، فأكلوا وشربوا، فبدرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالكلام، فقال: أيكم يقضى ديني ويكون خليفتي ووصيي من بعدى؟ قال: فسكت العباس مخافه أن يحيط ذلك بماله، فأعاد رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام، فسكت القوم، وسكت العباس مخافه أن يحيط ذلك بماله، فأعاد رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام الثالثه. قال: وإني يومئذ لأسوأهم هيئه، إني يومئذ أحمش الساقين أعمش العينين، ضخم البطن، فقلت: أنا يا رسول الله، قال: أنت يا علي، أنت يا

الطريق الخامس: ما أخرجه ابن البطريق بإسناده، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، قال: حدّثنا أسود بن عامر، قال: حدّثنا شريك، عن الأعمش، عن المنهال، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن علي عليه السلام قال: «لَمَّا نزلت هذه الآية [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] جمع النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته، فاجتمع ثلاثون رجلاً فأكلوا وشربوا ثلاثاً، ثم قال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنّة، ويكون خليفتي؟ فقال رجل لم يسمه شريك: يا رسول الله، أنت كنت تجد من يقوم بهذا؟ قال: ثم قال الآخر يعرض ذلك علي أهل بيته، فقال علي: أنا» (٢).

الطريق السادس: ما رواه أيضاً شمس الدين مفتي الفريقين يحيى بن الحسن بن البطريق الأسدي بإسناده، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال:

حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال: حدّثنا شريك، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله، عن علي عليه السلام، قال عبد الله: وحدّثنا أبو خثيمه، قال: حدّثنا أسود بن عامر، قال: حدّثنا شريك، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن علي عليه السلام قال:

«لَمَّا نزلت [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] دعا رسول الله بأربعين رجلاً من أهل بيته، أن كان الرجل منهم ليأكل جذعه، وأن كان شارباً فرقاً، فقدم إليهم، ٧.

ص: ٣٩٧

١- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي: ج ١ ص ٣٧٨.

٢- العمدة: الفصل الثالث عشر، ص ٨٧.

فأكلوا حتى شبعوا، فقال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنه، ويكون خليفتي في اهلي؟ فعرض ذلك على اهل بيته، فقال علي: أنا، قال رسول الله صلى الله عليه و آله: علي يقضى ديني، وينجز مواعيدي». ولفظ الحديث للحماني، وبعضه لحديث أبي خثيمه (١).

الطريق السابع: ما في المسند (حدثنا عبد الله: حدثنا أبي: ثنا عفان: ثنا أبو عوانه، عن عثمان بن المغيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجذ، عن علي رضي الله عنه قال: «جمع رسول الله صلى الله عليه و آله بنى عبد المطلب، فيهم رهط، كلهم يأكل الجذعه ويشرب الفرق، قال: فصنع لهم مداً من طعام، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي الطعام كأ أنه لم يمس. ثم دعا بغمر، فشربوا حتى رووا، وبقي الشراب كأ أنه لم يمس ولم يشرب، فقال: يا بنى عبد المطلب، إنى بُعثت إليكم خاصّة وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذه الآيه ما رأيتم، فأيكم يبايعني علي أن يكون أخى وصاحبى؟ قال: فلم يقم إليه أحد، قال: فقامت إليه، وكنت أصغر القوم، فقال (اجلس) ثلاثاً كان في الثالثة ضرب بيده على يدي».

وأخرجه ابن حجر، وقال: «رواه أحمد، ورجاله ثقات».

وأخرجه ابن عساكر بسنده عن ربيعة (٢)، وروى ابن حجر نحوه، وفيه:

فبدرهم رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: «أيكم يقضى عني ديني؟» قال: فسكت وسكت القوم، فأعاد رسول الله صلى الله عليه و آله المنطق، فقلت: أنا يا رسول الله فقال: «أنت يا علي، أ.». ٨.

ص: ٣٩٨

١- العمده: الفصل الثالث عشر.

٢- مسند أحمد: ج ١ ص ١٥٩، مجمع الزوائد: ج ٨ ص ٣٠٢، تاريخ دمشق ترجمه الإمام عليه السلام: ص ٩٨.

أنت يا علي».

قال ابن حجر: رواه البزار، واللفظ له، وأحمد باختصار، والطبراني في الأوسط باختصار أيضاً. ورجال أحمد وأحد إسنادي البزار رجال صحيح غير شريك وهو ثقة(1).

الطريق الثامن: ما في المسند (حدّثنا عبدالله: ثنا أبي: ثنا أسود بن عامر:

ثنا شريك، عن الأعمش عن المنهال، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية [وَأُنذِرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] قال: جمع النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، فقال لهم: «من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي؟» فقال رجل لم يسمه شريك: يا رسول الله، أنت كنت بحراً، من يقوم بهذا؟ قال: ثم قال الآخر، فعرض ذلك علي أهل بيته، فقال علي رضي الله عنه: أنا(2).

الطريق التاسع: ما أخرجه علامه المعتزله، عن شيخه أبي جعفر الإسكافي، قال: (وقد روى في الخبر الصحيح أنه كلفه في مبدأ الدعوه قبل ظهور كلمه الإسلام وانتشارها بمكه أن يصنع له طعاماً، وأن يدعو له بنى عبد المطلب، فصنع له الطعام، ودعاهم له، فخرجوا ذلك اليوم، ولم يندرهم صلى الله عليه وآله لكلمه قالها عمّه أبو لهب.

فكلفه في اليوم الثاني أن يصنع مثل ذلك الطعام، وأن يدعوهم ثانية، ١.

ص: ٣٩٩

١- مجمع الزوائد: ج ٨ ص ٣٠٢-٣٠٣.

٢- مسند أحمد: ج ١ ص ١١١.

فصنعه ودعاهم، فأكلوا. ثم كلمهم صلى الله عليه وآله، فدعاهم إلى الدين، ودعاه معهم؛ لأنه من بنى عبد المطلب. ثم ضمن لمن يؤازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيه بعد موته، وخليفته من بعده، فأمسكوا كلهم وأجابوه هو وحده، وقال: «أنا أنصرك على ما جئت به، وأؤازرك وأبايعك»، فقال لهم - لما رأى منهم الخذلان ومنه النصر، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة، وعان منهم الإباء ومنه الاجابة -: «هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدى»، فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب: اطع ابنك، فقد أمره عليك(١).

الطريق العاشر: ما أخرجه المتقى، عن علي عليه السلام قال:

(«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطلب، إنني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»). (ابن جرير، وفيه عبد الغفار بن القاسم، قال فى المغنى: تركوه)(٢).

أقول: لم يتركوه إلالولائه لأهل البيت عليهم السلام، ولروايته فضائل ابن عم النبي وأخيه ووصيه وخليفته.

الطريق الحادى عشر: ما أخرجه أيضاً المتقى عن علي عليه السلام قال: ١.

ص: ٤٠٠

١- شرح نهج البلاغه: ج ١٣ ص ٢٤٤.

٢- كنز العمال: ج ١٣ ص ١١٤، ح ٣٦٣٧١.

«لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَاجْتَمَعَ ثَلَاثُونَ، فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا، فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ يَضْمَنُ عَنِّي دِينِي وَمَوَاعِيدِي وَيَكُونُ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ، وَيَكُونُ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي؟ وَقَالَ رَجُلٌ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ كُنْتَ بَحْرًا، مَنْ يَقُومُ بِهَذَا؟ ثُمَّ قَالَ الْآخَرُ: فَفَرَضَ هَذَا عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا. (حم وابن جرير، وصححه الطحاوي ض.) (١).

الطريق الثاني عشر: ما أخرجه أيضاً المتقي، عن علي عليه السلام قال:

«لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] دَعَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا لَيْسَ بِالكَثِيرِ، فَقَالَ: كُلُوا بِسْمِ اللَّهِ مِنْ جَوَانِبِهَا، فَإِنَّ الْبِرْكَهَ تَنْزَلُ مِنْ ذُرُوتِهَا، وَوَضَعَ يَدَهُ أَوْلَاهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ دَعَا بِقَدْحٍ، فَشَرِبَ أَوْلَاهُمْ، ثُمَّ سَقَاهُمْ فَشَرَبُوا حَتَّى رَوَوْا، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَقَدْ مَأْسَحَرَكُم؟ وَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي جِئْتُكُمْ بِمَا لَمْ يَجِئْ بِهِ أَحَدٌ قَطُّ، أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِلَى كِتَابِهِ. فَفَرَفَرُوا وَتَفَرَّقُوا. ثُمَّ دَعَاهُمُ الثَّانِيهِ عَلَى مِثْلِهَا، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ كَمَا قَالَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَدَعَاهُمْ، فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ وَمَدَّ يَدَهُ: مَنْ يَبَايِعُنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي وَوَلِيِّكُمْ مِنْ بَعْدِي؟ فَمَدَدَتْ وَقَلَّتْ: أَنَا أَبَايَعُكَ، وَأَنَا يَوْمئِذٍ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، عَظِيمُ الْبَطْنِ، فَبَايَعُنِي عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: وَذَلِكَ الطَّعَامُ أَنَا صَنَعْتُهُ» (ابن مردويه) (٢). ٥.

ص: ٤٠١

١- كنز العمال: ج ١٣ ص ١٢٨-١٢٩، ح ٣٦٤٠٨.

٢- كنز العمال: ج ١٣ ص ١٤٩، ح ٣٦٤٦٥.

أقول: وهذه الطرق والامتون كلها تقوى ما أسنده الطبرى فى تاريخه بسند فيه عبدالغفار بن القاسم إن فرضنا ضعفه به، فيرقى السند بهذا السند بهذه الطرق وبشواهد كثيرة صحيحة ومتواتره إلى درجه كمال الصحه والاعتبار.

وأما ما أخرجه الطبرى فهو هذا:

(حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمه، قال: حدّثني محمد بن إسحاق، عن عبدالغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب، قال:

«لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لى: يا على، إنّ الله أمرنى أن انذر عشيرتى الأقرين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنّى متى ابادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليه حتى جاءنى جبرئيل، فقال: يا محمد، إنّك إلّا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك.

فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجلاً شاه، واملاً لنا عساً من لبن، اجمع لى بنى عبدالمطلب حتى اكلمهم وأبلغهم ما امرت به.

ففعلت ما أمرنى به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً- يزيدون رجلاً- أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبوطالب، وحمزه، والعباس، وأبولهب. فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذى صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله جدياً من اللحم فشققها بأسنانه، ثم ألقاها فى نواحي الصحف، ثم قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشىء حاجه، وما أرى إلّا موضع أيديهم، وأيّم الله

ص: ٤٠٢

الذى نفسى بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لهم جميعاً، ثم قال:

اسقى القوم، فجئتهم بذلك العسّ، فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلَمَّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلمهم بدره أبولهب، فقال: لقدماً سحركم صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الغد: يا على، إنّ هذا الرجل سبقنى إلى ما قد سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن اكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلى.

قال: ففعلت، ثم جمعتهم، ثم دعانى بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجه، ثم قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العسّ، فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا بنى عبد المطلب، إنّى والله ما أعلم شيئاً فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، إنّى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرنى على هذا الأمر، على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت - وإننى لأحدثهم سنّاً وأرمتهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحشمهم ساقاً - : أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: إنّ هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع (1). ٩.

ص: ٤٠٣

١- تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢١٦، الكامل لابن الأثير: ج ٢ ص ٦٢-٦٣، وأخرجه فى كتر العمال عن ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه وأبو نعيم: ج ١٣ ص ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣، ح ٣٦٤١٩.

ثم اعلم أنّ للحديث طرقاً ومتوناً أخرى، وفيما أتينا بها من الطرق غنيّ وكفايه، ولعلّ الفاحص المتتبع يجد أكثر ممّا أطلعنا عليه. وفي ختام الكلام نُنبّه على امور:

الأول: أنّ الاختصار الواقع في الأحاديث إنّما هو لبعض الأسباب والأغراض: فتارةً اختُصِرَ الحديث لأنّ مجلس إلقاء الحديث كان مناسباً للاختصار، وأخرى لأنّ الراوى قصد من روايه الحديث التنبيه على نكته خاصه وموضوع خاص، وثالثه لأنه سئل عن موضوع خاص مربوط ببعض ما في الحديث، ورابعه لعله خوف الراوى من المُسَدِّتَيْنِ والمستمعين، وخامسه لمنافاه نقل تمام ألفاظ الحديث مع أغراضه السياسيه والدينويه، وغير ذلك.

وكلّ ذلك وإن كان ممكناً في الاختصار الذى عرض على هذا الحديث إلّا أنّ في مثله من أخبار فضائل العتره الطاهره لما كان الحذف والتحريف والإبدال والاختصار، وعدم التصريح بالأسامى، والتأويل، وحتى الإعراض عن سماع الحديث، وترك الإملاء قد وقع في موارد كثيره لاتحصى، الأظهر ان ما وقع في هذا الحديث الشريف أيضاً من الاختصار والإبدال إنّما وقع لإخفاء فضائلهم وكتمان مناقبهم.

فمثل إبدال قوله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا» بجمله «إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَكَذَا وَكَذَا» ليس إلّا عناداً ونصباً، كما إنّ

تركهم تخريج المئات بل الألوف من تلك الأحاديث أو إعراضهم عن أخذ العلم والفقہ عنهم ليس إلالذلك.

ونعم ما قال خليل بن أحمد اللغوى الشهير لما سئل عن فضائل أمير المؤمنين على عليه السلام: (ما أقول فى مدح امرئٍ كتم أجاؤه فضائله خوفاً، وأعداؤه حسداً، ثم ظهر بين الكتمين ما ملأ الخافقين)(١).

وهو الذى قال فى شأن الامام عليه السلام: (احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل على أنه إمام الكل)(٢).

الثانى: أنه قد ظهر لك أن حديث يوم الدار فى التنصيص على خلافه على عليه السلام مستفيض، بل متواتر، وعدم التصريح فى متون بعض طرقها بالخلافه لبعض الأسباب التى ذكرناها فى الأمر الأول لا يضرّ بعدم وجودها فى غيرها، وبعد ما علمنا أن أصل عدم الزيادة يُقدّم عند العقلاء على أصل عدم النقيصه، سيّما فى مورد يمكن تعدّد صدور الكلام وتعدّد وقوع الواقعة، وسيّما إذا كانت الروايات المتضمّنه للزيادة أقرب بحسب الاعتبار بالقبول، وخصوصاً إذا كانت للزيادة فى الأخبار الكثيره شواهد لاتحصى.

الثالث: أنه لاريب أن الوراثه المذكوره فى بعض متون هذا الحديث ليست الوراثه المالىه؛ فإنها مضافاً إلى عدم موافقتها لما عليه إجماع أئمه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من أن البنت ترث جميع تركه الأب بالفرض والردّ، ولا يرث معها غيرها ١.

ص: ٤٠٥

١- الرواشح السماويه: ص ٢٨٩.

٢- معجم رجال الحديث: ج ٨ ص ٨١.

من العمومه والخؤوله وأبنائهم، وأن ابن العمّ الأبيونى يرث العمّ دون العمّ الأبي من غير أن يكون هذا الحكم مختصاً بأمر المؤمنين عليه السلام، لا توافق على مذهب العامه أيضاً الخبر المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله المخالف للقرآن المجيد، وهو:

(نحن معاشر الأنبياء لانورث، ما تركناه صدقه).

والظاهر بدلاله هذه القرينه أنّ الوراثة المذكوره فى هذا الحديث إنّما اريد بها وراثه العلم والولايه.

الرابع: أجاب بعضهم عن هذا الحديث الصريح على خلافه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل أحد: أنّ كلمه «بعدى» لا تقتضى أن يكون هو الخليفه بعده بلا فصل، بل الحديث صادق، وإن سبق عليه الثلاثة الذين تقمصوا بها قبل الإمام عليه السلام.

وجوابه واضح غنى عن البيان، فإنّ قوله: «أنت خليفتى بعدى» صريح فى عدم الفصل، ولو قال بعد ذلك (أنت خليفتى بعد أبى بكر وعمر وعثمان) لكان نوعاً من التهافت أو الأحجيه التى ينبغى تنزيه كلام الحكيم فى مثل هذه المقامات عنهما، وهذا أصرح من أن يقول: (أنت الخليفه بعدى)، وإن كان هذا أيضاً صريح فى ذلك.

ونظير هذا التصريح فى شأن على عليه السلام كثير فى الأحاديث، مثل:

«على ولّى كلّ مؤمن بعدى» (١). ٤.

ص: ٤٠٦

١- كتر العمال: ج ١٣ ص ١٤٢، ح ٣٦٤٤٤.

وقوله صلى الله عليه و آله: «على بن أبى طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو وليكم بعدى»(١).

وقوله: «أنت ولي كل مؤمن بعدى»(٢).

وقوله: «على منى وأنا منه، وهو وليكم بعدى»(٣).

وقوله: «إنّ علياً وليكم بعدى»(٤).

وقوله صلى الله عليه و آله: «هذا أول من آمن بى، وأول من يصفحنى، وهو فاروق هذه الأمة، ويعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمه، وهو الصديق الأكبر، وهو خليفتى من بعدى»(٥).

الخامس: أنك قد عرفت كثره مُخرِجى هذا الحديث من أكابر أهل السنّه، مثل:

١ - أحمد فى مسنده.

٢ - ابن أحمد.

٣ - ابن مردويه.س.

ص: ٤٠٧

١- تاريخ ابن عساكر ترجمه الإمام: ص ١٤٢ و ص ٣٩٩، ح ٤٦٥.

٢- المستدرک للحاكم: ج ٣ ص ١٣٤، ومسند أحمد: ج ١ ص ٣٣١.

٣- تاريخ ابن عساكر ترجمه الإمام: ص ٤٠٠، ح ٤٦٦، و ص ٤٠١، ح ٤٦٧ و ٤٦٨.

٤- المصدر السابق: ص ٤٠٢، ح ٤٧٩.

٥- ميزان الاعتدال: بترجمه عبدالله بن واهر، بسنده عن ابن عباس.

- ٤ - الحسكاني.
- ٥ - ابن إسحاق.
- ٦ - البيهقي في سننه ودلائله.
- ٧ - الثعلبي في تفسيره.
- ٨ - الطبري في تاريخه وتفسيره.
- ٩ - ابن كثير في تاريخه.
- ١٠ - الإسكافي.
- ١١ - ابن أبي الحديد.
- ١٢ - النسائي في الخصائص.
- ١٣ - الحاكم في المستدرک.
- ١٤ - ابن أبي حاتم.
- ١٥ - ابن عساکر.
- ١٦ - الطحاوی.
- ١٧ - الضياء المقدسی.
- ١٨ - سعيد بن منصور.
- ١٩ - ابن الأثير.
- ٢٠ - المتقی.
- ٢١ - الحلبي.

٢٢ - الذهبى.

٢٣ - يحيى بن سعيد فى إيضاح الإشكال.

٢٤ - البزار.

٢٥ - الطبرانى.

٢٦ - جعفر بن محمد الخلدى.

٢٧ - الكنجى الشافعى.

٢٨ - الحمونى.

٢٩ - ابن قتيبه.

٣٠ - ابن عبد ربّه.

وغيرهم من الحفاظ وأرباب التاريخ، كابن حجر، وأبى نعيم وهينكل.

ولشهره هذا الحديث ذكره - كما فى المراجعات - عده من الكتاب الغربيين فى كتبهم الفرنسيه والإنجليزيه والألمانيه، واختصره توماس كارليل فى كتابه «الأبطال» المترجم بالعرييه والفارسيه.

وليكن هذا آخر ما كتبناه حول آيه الإنذار وحديث يوم الدار، حامداً لله تعالى، ومصلياً على النبى وأهل بيته عليهم السلام، سيما ابن عمّه سيف الله المسلول، ونفس الرسول، وزوج البتول الإمام على بن أبى طالب عليهم السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

حرّره لطف الله الصافى الكلپايگانى

ص: ٤٠٩

سرشناسه: صافی گلپایگانی، لطف الله، ۱۲۹۸ -

Safi Gulpaygan, Lutfullah

عنوان و نام پدیدآور: لمحات فی الكتاب و الحدیث و المذهب / لطف الله الصافی الگلپایگانی مدظله الشریف.

مشخصات نشر: قم: مکتب تنظیم و نشر آثار آیت الله صافی گلپایگانی دام ظلّه، ۱۴۳۹ ق. = ۱۳۹۷.

مشخصات ظاهری: ۳ ج.

شابک: ۱۰۰۰۰۰۰ ریال: دوره ۹-۰۹-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ ؛ ج ۱. ۸-۰۶-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ ؛ ج ۲. ۵-۰۷-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ ؛

ج ۳. ۲-۰۸-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ :

وضعیت فهرست نویسی: فیفا

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ دوم.

یادداشت: ج ۲ و ۳ (چاپ دوم: ۱۴۳۹ ق. = ۱۳۹۷) (فیفا).

یادداشت: چاپ قبلی: موسسه البعثه، قسم الدراسات الاسلامیه، ۱۳۶۶.

یادداشت: کتابنامه.

موضوع: احادیث شیعه -- قرن ۱۴

موضوع: Hadith (Shiites) -- Texts -- ۲۰th century

موضوع: شیعه -- دفاعیه ها

موضوع: Shi'ah -- Apologetic works

موضوع: شیعه -- ردیه ها

موضوع: Shi'ah -- Controversial literature

شناسه افزوده: دفتر تنظیم و نشر آثار حضرت آیت الله العظمی حاج شیخ لطف الله صافی گلپایگانی

رده بندی کنگره: BP۱۳۶/۹/ص ۱۸/۸۱۳۹۷

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۲۱۲

شماره کتابشناسی ملی: ۵۳۰۸۲۹۲

اطلاعات رکورد کتابشناسی: فیپا

ص: ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

مع الخطيب في خطوطه العريضة

المقدمه الأولى

كُتبت هذا النقد بعد ما انتشر كتاب (الخطوط العريضة) بطبعته الأولى سنة ١٣٨٠، ثم رأيت أنّ الأولى في هذا العصر الذي تواترت فيه الكوارث والفتن على المسلمين ترك نشره، فخفت أن يكون التعرّض للجواب - أيضاً - سبباً للشقاق والضعف، والفشل والتفرقة المنهى عنها، فذكرت قوله تعالى: ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن (١). وقوله تعالى: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (٢). وقوله تعالى: وإذا مرّوا باللغو مروا كراماً (٣).

فقلت في نفسي: دع الخطيب ومن يحذو حذوه يكتب، ويتقوّل على الشيعة ويفتري عليهم كل ما يريد، فالله سبحانه يقول: ما يلفظ من قول إلّالديه

ص: ٧

١- فصّلت: الآية ٣٤.

٢- الأنفال: الآية ٤٦.

٣- الفرقان: الآية ٧٢.

فالحريُّ بنا وبكل مسلم غيور على دينه وأُمته ترك هذه المناقشات المثيرة والظروف والأحوال على ما يشاهد في العالم الإسلامي، فالفتن والكوارث قد أحاطت بنا من كل جانب، وجحافل الإلحاد بكل أفكاره ومبادئه الشرقيه والغربيه، والإستعمار الصهيوني والصليبي أخذ يحاربنا، وبلا هواده مستعملاً كاهه الأساليب الخداعه والمخططات الهدامه، فهم الآن ومنذ زمن غير قريب يغزوننا في عقر دارنا، يهتكون حرماننا، ويخربون مساجدنا، ويسعون لهدم جميع آثار الإسلام، و صروح الفضيله والشرف والأخلاق الكريمه التي أشادتها رساله نبينا محمد صلى الله عليه وآله.

فالإسلام مهّد من جانب الإستعمار، ومهدد من جانب الصهيونيه، ومن جانب المبشرين الصليبيين، مهّد من جانب المجوسيه، مهّد من جانب الشيوعيه، مهّد من جانب الصحف والمجلات الأجيريه لإشاعه الخلاعه والدعاره، مهّد من جانب النعرات القوميه، مهّد من جانب ما يسمى بالعلمانيه، مهّد... ومهدّد... ومهدّد...

فها هي ذى حرمان الله مساجدنا في فلسطين تهتك، وتدنّس بكل وسائل اللهو والخلاعه والمجون.

وها هو ذا المسجد الأقصى المبارك الذي أضرمت فيه إسرائيل نيران حقدها الدفين على الإسلام والمسلمين، وأعلنت بحرقه نواياها الصهيونيه ٨.

ص: ٨

وهذه فلسطينا الحبيبه مازالت تئن تحت نير احتلال العدو، وتوجه منها فى كل يوم الاعتداءات الإسرائيليه نحو الأراضى الإسلاميه والمحيطه بها.

وهذه مئات الألوف من إخواننا المسلمين المشردين من أبناء فلسطين ما برحوا لاجئين، يعيشون فى المخيمات، ويقاسون أنواعاً من الحرمان والإضطهاد.

فيا أخى ماقيمه كتاب (الخطوط العريضه) ونحن فى هذه الأحوال الدقيقه الحرجه؟ وما فائده هذه الأفلام للإسلام والمسلمين؟ ومن ينتفع بمثل هذه النشريات غير أعداء الدين؟ وهل وراء ذلك غير اليد الصهيونيه الإستعماريه الأثيمه؟

واجبنا والظروف والأحوال هذا هو الجهاد، والتضحيه فى سبيل الله بنفوسنا وأموالنا وألسنتنا، لتكون كلمه الله هى العليا وكلمه الذين كفروا السفلى.

واجبنا سيما القاده والعلماء، والكتّاب والأثرياء، وذوى القدره، أن نبذل كل إمكانياتنا لتحرير الأراضى المغتصبه، ومقدساتنا فى القدس العزيز، وأن نتسلح بسلاح الإيمان، والإعتصام بحبل الله والإتحاد، وأن ندعو المسلمين إلى التحاب والتوادم، لا أن نشغل بالبحث عن المفاضله بين الصحابه، والخلافات المذهبيه، ونجعل ذلك سبباً للجفوه والبغضاء، ونوقد ناراً أخدمتها الأزمنه والدهور، ونحى أحقاداً أ ماتت الشدائد.

فمن أمرّ الأمور علينا، ومما يملأ القلوب حسره هو أن يرى فريق من

المسلمين فى رحاب الحرمين الشريفين، وفى أعظم مؤتمر إسلامى سنوى كرم الله به هذه الأمه، ويؤمه المسلمون من جميع الأصقاع والأقطار جعلوا همهم تفريق كلمه الأممه والدعوه إلى التباض و التقاطع والتنافر، بينما كان من الواجب عليهم أن يوجهوا هذا المؤتمر الإسلامى العظيم إلى معالجه ما ابتلى به المسلمون جميعاً من دعايات الإلحاد، والكفر، فيتخذوا الأساليب الناجحه لدفع هذه النعرات الضاله المضله، وأن يستنهضوا بهذه الجموع الحاشده التى جاءت من كل فج عميق ليذكروا اسم الله، وليطوفوا بالبيت العتيق الأمم الإسلاميه فى شرق الأرض وغربها للجهاد والنضال، والعمل لكل ما يحقق النصر، ورفع الظلامه التى حاقت بأولى القبليين.

إذا لم نتفهم هذه الحقيقه البسيطه فكيف نتوقع أن يعود إلينا مجدنا الزاهب لنعيش كما عاش آباؤنا الذين أكرمهم الله، فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمه الله إخواناً.

فصاروا فى جميع الأرض حراً وصرنا فى أماكننا عبداً

ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم.

نعم، إنى تركت نشر هذا النقد، وأوكلت أمر الخطيب، وما أتى به من البهتان إلى يوم الجزاء، يوم يحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

ولكن لما هو والأيدى الأثيمه، التى كانت ولا تزال وراء هذه النشريات، لم يقتنعوا بطبعته الأولى فكررنا طبعه ثانياً فى جده وثالثاً ورابعاً فى الديار الشاميه، وخامساً فى القاهره سنه ١٣٨٨، وترجم إلى اللغه الأورديه كأنهم

عثروا على كنز مخفى يجب نشره، أو على صحيفه علم لم يطلع عليها أحد.

ثم كرر طبعه للمره السادسه محرّفاً، ووزّع مجاناً فى هذه السنه ١٣٨٩ فى الموسم وفى أرض التوحيد، وفى المملكه العربيه التى يدعو عاهلها المسلمين إلى الإتحاد والإتفاق والوحده الإسلاميه، بين الحجاج الوافدين إلى بيت الله الحرام ليحملوا هذه الدعوه الممزقه المفرقه إلى بلادهم، ويشيروا نار الفتن الداميه بين المسلمين، حتى يهدّد كياننا من الداخل، ويتشجّع أعداؤنا علينا من الخارج.

فلعن الله الإستعمار، والصليبيه، والصهيونيه، ولا- أخالك تظن أنّ أى عمل يرتكز على إثارة العصبيات المذهبيه بين المسلمين كهذا العمل عملاً بسيطاً يقدم عليه متعصّب لمذهبه، فما وراء هذه النشريات يا أخى إلأيد الإستعمار والصهيانه، وليس المنفق على هذه الدعايات إلأ أعداء الإسلام من إسرائيل وحلفائها!!!

فلهذا طلب منى جمع من الأذكيااء الخبراء بما وراء مثل هذه الكتابات نشر هذا النقد، لئلا يقع بعض من لا معرفه له بعقائد الفرق فى مكائد هذه الأقلام، ويعرف أن ما فى كتاب (الخطوط العريضه) إما بهتان محض وافتراء بحت، أو ما ليس الإلتزام به منافياً لأصول الإسلام وما عليه السلف والخلف، خصوصاً إذا كان عن التأول والإجتهد، فأجبتهم إلى سؤلهم متوكّلاً على الله تعالى.

ولا يخفى عليك أنّى فى هذا الكتاب استهدفت الحقيقه والتاريخ بروح موضوعيه مجرّده عن كل تعصّب وانحياز، فمن الإنصاف لقارئ الكريم الذى ينشد الحقيقه أيضاً إلأ يتسرّع إلى الحكم حتى يشبع الكتاب دراسهً واستيعاباً، وحتى يتجرّد عن كل تعصّب مقيت، وله بعد ذلك أن يحكم له أو أن يحكم عليه،

وعند ذلك فالإختلاف والإتفاق قيمه علميه، وبينه قائمه مادام الرائد هو الإنصاف، والحق هو المنشود.

قم المقدّسه - لطف الله الصافي الكلبيكاني

٢٩ ذى الحجه ١٣٨٩ هـ

ص: ١٢

لا ريب في أنّ الدعوه الإسلاميه إنّما قامت على عقيدته التوحيد، وتوحيد العقيدته، وتوحيد الكلمه، وتوحيد الأنظمه والقواعد، وتوحيد المجتمع، وتوحيد الحكومه، وتوحيد المقاصد.

فعقيدته التوحيد هي المبني الوحيد لجميع الفضائل، وهي الحجر الأساسى للحرية، واشتراك الجميع في الحقوق المدنيّه.

فلا- فضل لعربي على عجمي، ولا- لأبيض على أسود، وكل الناس أمام الحق والشرع سواء، والناس كلهم من آدم، وآدم من تراب، و إنّما المؤمنون إخوه (١) و إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم (٢) و «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ ٣.

ص: ١٣

١- الحجرات: الآيه ١٠.

٢- الحجرات: الآيه ١٣.

بعضه بعضاً» (١) و «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى بعض عضوه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (٢) و «من أصبح ولا يهتم بأُمور المسلمين فليس منهم» (٣).

أصبح المسلمون بنعمه الله إخواناً معتصمين بحبل الله تعالى، قلوبهم مؤتلفة وأغراضهم واحده، أشدّاء على الكفار رحماء بينهم، فتحوا الأصقاع والبلدان، وصاروا سادات الأرض، ودعاه الناس إلى الحرية والإنسانيه، وقوَاد الإصلاح والعداله الإجتماعيه.

هدّموا قصور الجبابره المستبدين، وأنقذوا الضعفاء من استعباد الأقوياء الظالمين، وأخرجوا الناس من ذل سلطان الطواغيت وعباده العباد، وأدخلوهم في عز سلطان الله وسلطان أحكامه وعبادته.

هكذا كان المسلمون الذين أخلصوا دينهم لله، ولولا- ما نجم فيهم من النفاق وحب الرئاسة والحكمه، والمنافرات التي وقعت بينهم في الإمارة، لما كان اليوم على الأرض أمه غير مسلمه.

ولكن فعلت فيهم السياسه فعلها الفاتك، ففرقت كلمتهم، وأزالت وحدتهم ومجدهم، فصاروا خصوماً متباعدين، بعدما كانوا إخواناً متحابين، واشتغلوا بالحروب الداخليه عوضاً عن دفع خصومهم وأعدائهم، ونسوا ما ذكروا به من ٧.

ص: ١٤

١- صحيح البخارى: ج ١ ص ١٢٣.

٢- مسند أحمد: ص ٢٧٠ ح ٤.

٣- مستدرک الحاكم: ج ٤ ص ٣١٧.

الأمر بالإنقاذ، والإخوة الدينيه، فصرنا فى بلادنا أذله بعد أن كنا فى غير أوطاننا أعزه.

وأكثر هذه المفاصد إنما أتنا من أرباب السياسات، ورؤساء الحكومات، الذين لم يكن لهم إلّا الاستيلاء على عباد الله، ليجعلوهم خولاً- ومال الله دولاً فأثاروا الفتن، وقلبوا الإسلام رأساً على عقب، وضيعوا السنن والأحكام، وعطلوا الحدود، وأحيوا البدع وقضوا بالعبور والتهمه، واستخدموا عبده الدراهم والدنانير، وأمروهم بوضع الأحاديث لتأييد سياساتهم، وفسروا القرآن وحملوا ظواهر السنّه وفق آرائهم، ومنعوا الناس عن الرجوع إلى علماء أهل البيت الذين جعلهم النبى صلى الله عليه وآله عدلاً للقرآن، وأمر بالتمسك بهم(1). فراجع بعين البصيره والإنصاف كتب التاريخ والحديث حتى تعرف أثر أفاعيل السياسه من الغاشم فى تلك الفظائع التاريخ والحديث حتى تعرف الأثر.

ولا تنس أيضاً أثر سياسات خصوم الإسلام من المسيحيين واليهودا.

ص: ١٥

١- فى الأحاديث الكثيره كحديث الثقلين المتواتر الذى توجد له طرق كثيره فى كتب الحديث مثل صحيح مسلم، ومسنند أحمد والطيالسى، وسنن الترمذى والبيهقى والدارمى، وأسد الغابه، وكنز العمال، ومشكل الآثار، والجامع الصغير، والصواعق، وتهذيب الآثار، ومجمع الزوائد، وحليه الأولياء، وغيرها، وإليك لفظ الحديث فى بعض طرقه: إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظرونى كيف تخلفونى فيهما. وفى بعضها الآخر: إنى أوشك أن ادعى فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزوجل وعترتى، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظرونى بم تخلفونى فيهما.

وغيرهما فى تأجيج نار الشحنةاء والبغضاء بين المسلمين؁ فإنهم لم يسلبوا سلطاناً؁ ولم يملكوا بلادنا إلأبما أوقعوا بيننا من التفرق والتشتت؁ وبما بذلوا من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لبث التنافر والتباغض بين المسلمين؁ ومنعهم من الإتحاد؁ فهم لا يزالون يضعون حواجز فى طريق تقارب الحكومات الإسلاميه؁ ويصرفونهم عن الدفاع عن وطنهم الإسلامى الكبير ليؤسسوا حكومات مستعمره؁ وأوطاناً مفتعله؁ من غير أن يعتبروها أجزاءً لوطننا الإسلامى ويطالبونهم بالدفاع عن حدود هذه الأوطان التى أحدثها المستعمرون وذلك لتفريق كلمه المسلمين؁ وتضاربهم فيما بينهم حتى تقف كل حكومه منهم فى وجه الأخرى.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحاداً

والعارفون بأهداف الإستعمار يعلمون أن تجزئه الأمة الإسلاميه أعظم وسيله تمسك بها المستعمرون للإحتفاظ بسلطتهم.

فيا أخى ما قيمه الوطن الذى افتعله الأجنبى لمصلحه نفسه؁ وأى امتياز جوهرى بين السودانى والمصرى؁ والأردنى والسورى؁ واليمانى والباكستانى؁ والعربى والعجمى؁ بعد أن كانوا مسلمين خاضعين لسلطان أحكام الإسلام؁ وأى رابطه أوثق من الروابط الإسلاميه والإخوه الدينيه.

المسلمون كلهم أولاد علات؁ أبوهم واحد وهو الإسلام؁ وأمهااتهم شتى؁ بلادهم منهم ولكن الإستعمار صيرهم أقواماً متمايزه؁ وأراد أن يكون فى كل بلد وإقليم حكومه خاصه؁ وشعائر تميز بعضها من بعض؁ والله تعالى أراد أن يكون الجمع أمة واحده.

قال الله سبحانه: وإن هذه أمتكم أمه واحده وأنا ربكم فاتقون(١).

وقال عز من قائل: ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم(٢).

فالمسلم أخو المسلم سواء كان من أهل قطره أم لا، المسلم الفلسطيني أخ للمسلم العراقي، وللمسلم الإيراني، وللمسلم الصيني، وللمسلم الأرجنتيني، ووو.

جميع بلاد الإسلام وطن لكل مسلم، والإسلام حكومته، وقانونه وسياسته، وعقيدته ودينه، وأما الحكومات العميله التي لا يتصل بعضها ببعض بالصلوات الإسلاميه الوثيقه، والتي جعلت شعارها القوميات الضيقه المحدوده، وتشدقت بالدفاع عنها، ولم تكثر بأوضاع العالم الإسلامى، وما يصيب المسلمين فى غير إقليمها من الضعف والإضطهاد، فلا تخدم إلا أعداء الإسلام ما لم تجعل شعارها الوحيد الإحتفاظ بمصالح المسلمين وتحقيق أهداف الإسلام فى شرق الأرض وغربها.

فيا الله، يا منزل القرآن، ويا منزل سوره التوحيد وحث حكوماتنا، وخلص المسلمين من كل حكومه انفصاليه إقليميه، واجمعهم تحت رايه حكومه إسلاميه واحده.

المسلمون شعارهم واحد، ومقصدهم واحد، وعقيدتهم واحده، لا يعين ٥.

ص: ١٧

١- المؤمنون: الآيه ٥٢.

٢- آل عمران: الآيه ١٠٥.

المسلم غير المسلم على أخيه المسلم، ولا- يرغب المسلم في حكمه قامت على خيانه المسلمين، ولا يذل نفسه عند الكفار ليعينوه حاكماً على المسلمين.

المسلم لا يكتب ما يوجب اشتداد البغضاء والتنافر بين إخوانه، ويمنعهم عن التقارب والتفاهم.

هذا شيء يسير من تأثير السياسات الغاشمه في الأمة الإسلاميه، ولم يبق منها في هذا العصر ما يمنع من التوفيق بين المذاهب، واتحاد المسلمين واجتماعهم تحت لواء الإسلام إلا بعض العصبيات الجامده التي ليس وراءها حقيقه، ولا مصلحه للمسلمين، وإلا دعايات الإستعماريين (من الشيوعيين والرأسماليين) وقد قام بينهما الصراع في استعمار ممالك المسلمين، وكل منهما يريد أن يستعمر، ولا يرى إلا ما فيه مصلحه لنفسه أبعدهما الله عن المسلمين وممالكهم، وخذل عمّالهما وكل حكمه تأسست على رعايه منافعهما، ومواده من حاد الله ورسوله.

هذا بلاء المسلمين في عصرنا، ومنه يتوجه الخطر عليهم، وهذه السياسه هي التي لا تتوخي إلا فقر المسلم وجهله، وهذه هي التي تشيع الفحشاء في المسلمين، وتبيح بيع الخمر والقمار والربا، تدعو إلى السفور، وتروج الدعاره والتحلل، وخروج النساء سافرات عاريات.

هذه السياسه هي التي تريد اشتغال المسلمين بالملاهي والمعازف، وانصرافهم عن حقائق الإسلام والقرآن، وتروج البطاله، ولا تحب اشتغال المسلمين بالعلوم النافعه والصنائع، وتأسيس المعامل حتى لا يباع في أسواقهم إلا متاع المستعمرين.

وأما السياسات العامله لتفريق المسلمين فى القرون الأولى والوسطى فقد قضى عليها الزمان، فمضت العصور التى استعبدت الناس فيها جبابره الأمويين والعباسيين، ومضت الأعصار التى كان فيها تأليف الكتب وجوامع الحديث تحت مراقبه جواسيس الحكومه. مضت العصور التى كان العلماء فيها تحت اضطهاد شديد، والعَمال والولاه يتقربون إلى الخلفاء والأمراء بقتل الأبرياء، ونفيهم عن أوطانهم وتعذيبهم فى السجون، وقطع أيديهم وأرجلهم.

مضى الذين شجعوا العمل على التفرقه واختلاف الكلمه، وإشعال الحروب الداخليه.

مضت السياسات التى سلبت عن مثل النسائى حريه العقيده والرأى وقتلته شر قتله.

مضى عهد الجبابره الذين صرفوا بيوت أموال المسلمين فى سبيل شهواتهم، واتخاذ القينات والمعازف هوايه لهم.

مضت العصور التى سبوا فيها على المنابر أعظم شخصيه ظهرت فى الإسلام، لا يريدون بسببه إلبس الرسول صلى الله عليه و آله.

مضت الأزمنه التى كان يرمى فيها بعض المسلمين بعضهم بالإفتراء والبهتان وحتى الكفر والإلحاد.

مضت العصور المظلمه التى عاشت فيها كل فرقه وطائفه من المسلمين كأُمَّه خاصه لا يهتمها ما ينزل على غيرها من المصائب والشدائد، ولم يكن بينهم

أى تعاون أو أدنى تجاوب.

نعم قد مضت تلك العصور، وظهرت فى تاريخ الإسلام صحائف مشرقه مملوءه بنور الإيمان والأخوة الإسلاميه، فقامت جماعه من المصلحين المجاهدين بالدعوه إلى الإصلاح والاتحاد، فأدرکوا أن آخر هذا الدين لا يصلح إلّا بما صلح به أوله، وأعلنوا أن المستقبل للإسلام، وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين (١).

فدعوا إلى اتباع الكتاب والسنة، ورفض العصبية: العصبية الشعوبية، والعصبية المذهبية والقبليّة، فأدوا رسالتهم فى شرق البلاد الإسلاميه وغربها، رزقهم الله التوفيق فى توحيد الكلمه، وجمع شمل الأمة، فأثرت أعمالهم الإصلاحية فى نفوس المسلمين أثراً جميلاً، ولتبي دعوتهم جم غفير من الغيارى على الإسلام من العلماء الأفاضل وغيرهم.

فكان من ثمرات هذه الجهود الكبرى بل ومن أحلى أثمارها تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلاميه فى القاهره، وإصدار مجله (رساله الإسلام) العالميه التى جعلت شعارها قوله تعالى: إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون (٢) وكتب فيها من كتاب المذاهب ودعاه الخير والإصلاح، ورجالات الإسلام جماعه من المشايخ، والأساتذه، فحققت مساعيهم كثيراً من أهدافهم فى رفع التدابر والتنافر.

وكان من فوائد هذه الجهود عرض عقائد كل من الفريقين على الآخر بعد أن لم يكن لأكثرهم معرفه بمذهب غيرهم فى الأصول والفروع، وكان هذا الجهل ٢.

ص: ٢٠

١- الأعراف: الآيه ١٢٨.

٢- الأنبياء: الآيه ٩٢.

سبباً لتكفير بعضهم بعضاً فى الأزمنة الماضيه، فعرفوا اتفاق الكل فى الأصول، وأنَّ بعض الخلافات التى أدى إليها اجتهاد كل فريق لا يضر بالتقريب والتفاهم بعد اتفاق الجميع فى الأصول.

وسيزغ بفضل هذا الجهاد فجر وحده المسلمين، ويصبحون كما أصبح أسلافهم فى حياه النبى صلى الله عليه و آله إخواناً، ويدخل هذا الدين على ما دخل عليه الليل ولا تبقى قريه إلأونودى فيها بكلمه التوحيد.

نعم إن قوماً إلههم واحد، وكتابهم واحد، وقبيلتهم واحده، وشعائر دينهم واحده، وقد جعلهم الله أمه واحده، أترى ليس إلى دفع مشاجراتهم واختلافهم سبيل؟

إنَّ الإسلام يدعو إلى وحده الأمم، ووحده الأقوام والطوائف فى مشارق الأرض ومغاربها.

دين الإسلام دين التوحيد، ودين خلع العصبية، ورفض ما يوجب الشحناء والعداوات، دين يسير بأبناء البشر نحو حكمه عادله ومساواه إنسانيه كامله، ونظام عدل للإقتصاد والإجتماع، ونظام للحكم والدستور ونظام للتربيه والتعليم، ونظام فى جميع نواحي الحياه ونظام للجموع وهم فيه سواء.

أترى أنَّ هذا النظام الإلهى لا يقدر على فصل الخصومات، وحسم المنازعات بين أبنائه؟

أترى أنَّ الإسلام لم تكن له أساليب وتعاليم صحيحه لتمكين الأمة فى الوطن الإسلامى الكبير الذى يشمل جميع المسلمين، أحمرهم، وأبيضهم، وأسودهم؟

أترى أنه لا يعرض على أبنائه دواء لدائهم؟

أترى أنه لا يقدر على رفع المشاجرات التي أحدثها عمال السياسات الغاشمه. وأيدى الإستعمار الظالمه تلك المشاجرات التي يعود كل فائدتها لأعدائنا؟

أترى أنّ الله حرم على هذه الأمم أن يجلسوا على صعيد واحد ويعيشوا في ظل حكومه واحده فأقفل عليهم باب التفاهم والتجاوب؟

هذا هو القنوط من رحمه الله واليأس من روحه، وكل دائنا يرجع إلى ذلك.

ودواؤه الثقه بالله، والإيمان بأنّ النصر من عنده، وأنّ جند الله هم الغالبون، وأنّ العالم سيلجأ إلى الإسلام، وأنه هو الدافع الفذ للمشاكل التي أحاطت بالجامعه الإنسانيه، وأنّ المسلمين هم الذين يجب عليهم أن يؤدّوا رساله الإسلام إلى غيرهم وقد آن وقت ذلك وإن لم يأن فعن قريب سيجيء إن شاء الله تعالى.

فإذن لا عجب أن قامت في المسلمين نهضات للإصلاح، ورفع التفرقه وجمع الشمل، وإعاده كيانهم المجيد، ومجدهم العزيز.

ونسأل الله تعالى الإستقامه والصبر للمصلحين، ولمن يوازرهم على توحيد كلمه المسلمين إنه لما يشاء قدير.

ربّنا أفرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا وانصرنا

على القوم الكافرين

ص: ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، وَنَجِيَّتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيَّتِكَ مِنْ عِبَادِكَ، أَمَامَ الرَّحْمَةِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٢). ٠٠.

ص: ٢٣

١- سورة الفاتحه.

٢- الحشر: الآية ١٠.

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى أَتْبَاعِ الرَّسُولِ وَمُصَدِّقِيهِمْ (١):

اللَّهُمَّ وَأَتْبَاعِ الرَّسُولِ وَمُصَدِّقُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ مُعَارَضِهِ الْمُعَانِدِينَ لَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ، وَالْإِشْتِيَاقِ إِلَى الْمُرْسَلِينَ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ، أَرْسَلْتِ فِيهِ رَسُولًا وَأَقَمْتِ لِأَهْلِهِ دَلِيلًا مِنْ لَدُنِ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى، وَقَادَهُ أَهْلُ التُّقَى، عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلَامَ فَادْكُرْهُمْ مِنْكَ بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوَانٍ.

اللَّهُمَّ وَأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ، وَالَّذِينَ أَبْلَوْا الْبَلَاءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى وَفَادَتِهِ، وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسَمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالَتِهِ، وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ فِي أَظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيتِ ثُبُوتِهِ، وَأَنْتَصَرُوا بِهِ، وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ تَجَاوُزَ لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ، وَالَّذِينَ هَجَرْتَهُمُ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ، وَأَنْتَفَتْ مِنْهُمْ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَيَكُنُوا فِي ظِلِّ قَرَابَتِهِ، فَلَا تَنْسَ لَهُمُ اللَّهُمَّ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ، وَأَرْضِيهِمْ مِنْ رِضْوَانِكَ، وَبِمَا حَاشَا الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وَكَانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعَاءَ لَكَ الْيَكَّ، وَاشْكُرْهُمْ عَلَى هَجْرِهِمْ فِيكَ دِيَارَ قَوْمِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سِعَةِ الْمَعَاشِ إِلَى ضَيْقِهِ، وَمَنْ كَثُرَتْ فِي اغْزَاؤِ دِينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ.

اللَّهُمَّ وَأَوْصِلْ إِلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا.

ص: ٢٤

١- هذا الدعاء الرابع من الصحيفة السجادية التي يداوم الشيعة على قراءه أدعيتهها، نقلناه هنا ليعرف الباحثون منزله صحابه النبي صلى الله عليه و آله الرفيعه عند الشيعة.

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ خَيْرَ جَزَائِكَ، الَّذِينَ قَصَدُوا سَمْتَهُمْ، وَتَحَرَّوْا وَجْهَتَهُمْ، وَ مَضَوْا عَلَى شَاكِلَتِهِمْ...

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى التَّابِعِينَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَلَى أَزْوَاجِهِمْ، وَعَلَى ذُرِّيَّاتِهِمْ، وَعَلَى مَنْ اطَاعَكَ مِنْهُمْ صَلَاةَ تَعْصِمُهُمْ بِهَا مِنْ مَعْصِيَتِكَ (إلى آخر الدعاء الشريف).

ص: ٢٥

المسلمون كما أسلفنا الإيعاز إليه في حوجه ماسه إلى الاتحاد، ورفض ما أوجب الشحنة بينهم في الأجيال الماضيه، وإذا كانت بينهم بعض الخلافات فيجب عليهم أن لا يجعلوها سبباً للتنازع والتخاصم. قال الله تعالى: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم (١).

سيما في هذا العصر الذي تداعى علينا الأمم كما تداعى الأكله على القصاص (٢).

ص: ٢٧

١- الأنفال: الآية ٤٦.

٢- أخرج أبو داود في باب تداعى الأمم على الإسلام من كتاب الملاحم: ج ٢ ص ٢١٠ بطريقه عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكله إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قله نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابه منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهيه الموت.

وأولى الناس برعايه هذا الواجب هم الكُتَّاب والمصنّفون، فإنّهم أدلّاء العامه، وهداه الحركات الفكرية، فكما تكون لبعض المقالات والمؤلفات آثار قيمه لجمع الشمل، وعز الإسلام يكون لبعضها الآخر من مصارع السوء، والآثار المخزيه ما لا يمكن دفعها إلّا بعد مجاهدات ومجاهدات، فيجب على المؤلفين الإحتراز عما يوجب إثارة الضغائن المدفونه كما أنّه يجب عليهم التجنّب عن الإفتراء والبهتان، ورعايه الأمانه والصدق، ونصيحه الأُمه.

فإن أراد كاتب أن يكتب حول مذهب ما، كلمه أو كتاباً فالواجب عليه الرجوع إلى مصنفات علماء هذا المذهب في العقائد والفقّه، وملاحظه آراء أكابره، والنظرات المشهوره بين أهل هذا المذهب، وترك الآراء الشاذه المتروكه بينهم، وأن لا يأخذ البريء منهم بجرم المسيء، ولا ينسب إلى الجميع ما ذهب إليه بعض من ابتلى بالشذوذ في الرأى، فإنه ليس من مذهب إلّا ويوجد فيه من له بعض الآراء الشاذه.

ولعمر الحق! لو راعى الكُتَّاب والمؤلفون هذا الأمر حق رعايته لذهبوا بكثير من أسباب المنازعات والمخالفات، ولما وقعت بين المسلمين هذه المنافرات، ولما بهت المسلم أخاه المسلم بالكفر والشرك، وهذا أدب يجب على كل كاتب أن يراعه وإن لم يكن مسلماً.

إذا طهرت الصحف والأقلام من دنس الأغراض والعصبيات، وانتزعت من أيدي الجهّال وغير الخبراء، أدى ذلك إلى تخلّص نفوس العامه من الأحقاد والضغائن، ومن إساءه الظن بالأبرياء.

هذا، ونحن لا نخفى أسفنا الشديد على ما يصدر عن بعض الكُتَّاب مما لا

ينتفع به إلا أعداؤنا، وليست فيه أية فائده إلا الضعف والفشل، وخدمه الإستعمار الغاشم مضافاً إلى ما فى كلماتهم من الإفتراء والبهتان.

ونحن نحسن الظن بإخواننا المسلمين، ولا نحب أن يصدر عن مسلم بصير بعقائد أهل السنه والشيعة وآرائهم مثل هذه المقالات التافهه، ونرجو أن لا يكون بين المسلمين من يتعمد ذلك، ونكره أن يكون بين الأمة من يخون الإسلام بلسانه وقلمه، ولا يشعر بضرره على قومه وأُمَّته.

وربّما عذرنا بعض الكُتّاب الذين يكتبون فى الأجيال الماضيه عن الشيعة وأهل السنه، ويسندون إليهم المقالات المكذوبه عليهم، حيث لم يكن العثور على كتب الفريقين وآرائهم فى وسع كل كاتب، وأما فى هذا العصر الذى أصبح كتب الفريقين فى متناول جميع الباحثين، ويمكن استعلام عقيدته كل طائفه من علمائها بكل الوسائل والسبل، فلا عذر لمن يرمى أخاه بما ليس فيه، ويتهمه بمجرد سوء الظن، وقد قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إنَّ بعض الظنِّ إثمٌ (١).

ومن الكتب التى نسبت إلى الشيعة المخاريق العجيبه، وسلكت مسلك أنصار الأمويين وغيرهم من أعداء عتره النبي صلى الله عليه وآله كتاب سمّاه مؤلّفه الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإماميه الإثني عشرية فبالغ فى البهتان والإفتراء، وتجريح عواطف الشيعة وأهل السنه، وفيه من الكذب الظاهر والفحش البين، والخروج عن أدب البحث والتنقيب ما لا يصدر إلا عن جاهل ١٢

ص: ٢٩

بحث، أو من كان في قلبه مرض النفاق، وأراد تفرقه المسلمين وإفساد ذات بينهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيما رواه الترمذى وأحمد وأبو داود: (١).

ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة، إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هو الخالقه (٢).

وفى خبر من طرقنا إنه صلى الله عليه وآله قال:

إصلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاة، والصيام (٣).

وأخرج الطبرانى عنه صلى الله عليه وآله: من ذكر امرءً بما ليس فيه ليعيبه حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد ماقال (٤).

فما ظنك يا أخى بمن أشاع على طائفه من المسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله وكتابه وباليوم الآخر، وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويصومون ويحجون، ويحرمون ما حرم الله فى كتابه وسنة نبيه، ويحلون ما أحل الله ورسوله، ما هم منه أبرياء.

وقد طعن فى هذا الكتاب على أئمة المذهب ومفاخر الإسلام، ودافع عن سيره يزيد بن معاوية، وأظهر انحرافه عن أمير المؤمنين على عليه السلام الذى لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، ليهيج الشيعة ويستنهضهم على أهل السنة حتى ١.

ص: ٣٠

١- الجامع الصغير: ج ١ ص ١١٤ الطبعة الرابعة.

٢- وفى نسخه اخرى: «الخالقه».

٣- نهج البلاغه: ج ٣ ص ٤٧، بشرح محمّد عبده.

٤- الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٧١.

يعارضوا ذلك بالمثل، فيتحقق أمله وأمل أعداء الدين من المستعمرين وغيرهم بإثارة خصومه حاده بين المسلمين، فإن الإستعمار لا يجب أن يرى الشيعى والسنى يغزوانه فى صف واحد، ولا يريد اتفاهما فى الدفاع عن الصهيونية، ولا يريد اتحاد المسلمين فى إحياء مجدهم واسترجاع تراثهم الإسلامى، واستعادة البلاد والأراضى المغتصبه منهم.

الإستعمار يريد الشقاق والنفاق حتى يصفو له الجو وتتحقق أهدافه، ومحب الدين الخطيب كاتب الخطوط العريضة، ومن يسلك سبيله، يمهد له الوصول إلى مطامعه الخبيثه من حيث يعلم أو لا يعلم.

ولكن لا- يبلغ الإستعمار آماله إن شاء الله تعالى، وسينجح المصلحون، ولا تهن عزائمهم بهذه الكلمات، فإنهم أعلم بمقالات أرباب المذاهب وآرائهم، والتقريب فكره إصلاحيه كلاً مر عليها الزمان يزداد المؤمنون بها، وإن يرى محب الدين استحالتها لأنه لم يفهم أو لم يشأ أن يفهم معناها.

وبعد ذلك كله فنحن نكره أن نتكلم فى نيه محب الدين، وأنه أراد إثارة الفتنة، وخدمه أعداء الإسلام، وإعانتهم على هدم كيان المسلمين فالله هو العالم بالضمائر، فلا نريد أن نسير معه فى مقالاته، ونوضّح أخطاه وعثراته، بل نريد تخلص أذهان بعض إخواننا من أهل السنه، وتطهيرها من هذه التهم والإفتراءات، وجعلنا كتاب الخطوط العريضة مورد البحث والنقد لأنه بالغ فى التهجم على الشيعة، وأتى بكل ما أراد من الكذب والبهتان، ولم نعارضه بالمثل

فإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون(١) بل لم نتعرض لما عند أهل السنه من آراء شاذه فى الفروع والأصول، وما نسب أهل الإعتزال إلى الأشاعره، والأشاعره إلى المعتزله، وأتباع بعض المذاهب إلى غيرهم، وما حدث بينهم من المجادلات الكلاميه فى الكلام وخلق القرآن وغيره، وتكفير بعضهم بعضاً إلأما دعت الحاجه إليه لتوضيح المراد وتحقيق البحث والتنقيب، فإننا لا نرى فائده فى نقل هذه المناقشات إللأضعف المسلمين وتشويه منظر الدين ونأخذ بما أؤدبنا الله تعالى به، فقال سبحانه:

ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوه كأنه ولى حميم (٢).

ونقول: ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم(٣).

ص: ٣٢

١- النحل: الآيه ١٠٥.

٢- فصلت: الآيه ٣٤.

٣- الحشر: الآيه ١٠.

قال محب الدين الخطيب فى ص ٥: ونضرب لذلك مثلاً بمسأله التقريب من أهل السنه والشيعه... ثم هاجم دار التقريب بشده، لأن غرضه الأصلى من تأليفه الخطوط العريضه! مهاجمه مبدأ التقريب.

من سبر أحوال المجتمع الإسلامى فى أمسه ويومه، ووقف على الصراع الطائفى الذى أوردى المسلمين فى مثل هذا الضعف والإنحلال، والسقوط فى أحضان الإستعمار وجد أنّ سبب هذا التنافر والتشاجر وجلّه أو كّلّه يرجع إلى سياسات غابره انتهت وكانت من نتائجها إباده أربابها، ويدرك كما أدرك المصلحون ودعاه الوحده والتقارب أنّ الإسلام لن تعود إليه دولته الذاهبه إلّا إذا عادت إلى المسلمين وحدتهم فى ظل الإسلام.

والواقع: إنّ من أعظم الأسباب فى نشوب هذه المعارك المذهبيه إنّما هو جهل كل طائفه بآراء الطائفه الأخرى، وإن التقارب بين المذاهب الإسلاميه أمر

ممکن إذا ما قَدَّر للمسلمين أن يعيشوا في أفق أعلى وأنزه مما عاشوه في بعض أجيالهم الماضيه.

بل إن ذلك ضروره حتميه لمصيرهم ومستقبلهم، وليس ذلك من المستحيل كما زعمه الخطيب، بل يمكن أن يعيش المسلمون في محبه ووثام، كما عاش خيار الصحابه في صدر الإسلام، مع اختلافهم في الرأي والفتيا، حيث كانوا إخوه أجباء، تتميز أخوتهم بالتفادي والإيثار، ولم يفض اختلافهم في الرأي إلى جفوه أو بغضاء، أو تدابر أو تقاطع أو شحناء.

نعم أدرك المصلحون أن المجتمع الإسلامي في عصرنا هذا لا يقبل تكفير المسلم المؤمن بكتاب الله وسنه رسوله صلى الله عليه و آله بمجرد المزاعم والإفتراءات والخلافات الفرعيه(1).

فليس إذن فكره التقريب فكره شيعيه أو فكره سنيه فضلاً عن أن تكون وليده فكره حكومه شيعيه أو سنيه، ولم تؤسس دار التقريب للتقريب بين السنه والشيعه فقط، بل تأسست للتقريب بين جميع المذاهب الإسلاميه، وقد ساهم في تأسيسها من رجال العلم والدين أفذاذ لا يشك في صدق نياتهم.

وأما ما ذكر من إنفاق دوله شيعيه على دار التقريب فنحيل الفاحص عن ذلك إلى أقطاب جمعيه التقريب السنه وغيرهم.

ولو سلم كون التقريب فكره شيعيه، وصدر من مبدأ شيعي، فلماذا لا يقبله.

ص: ٣٤

١- انظر في ذلك ما كتبه الأستاذ العلّامة الشيخ محمد تقى القمى، السكرتير العام لجماعه التقريب تحت عنوان (قصه التقريب) في (رساله الإسلام) في العدد الرابع من السنه الحاديه عشره.

السني لأنه فكره شيعيه! ما الذي يمنع من التفكر والتأمل حول آراء الطرفين؟

وماذا يخسر السني إذا ما عرض له الشيعي آراءه وعقائده لئلا يسىء إليه الظن ولا يتهمه بالفسق أو الكفر؟

إنّ الشيعي لا يرى بذلك بأساً ولا يحس ضرراً من أن يدرس عقائد أهل السنّه ومذاهبهم، فهو حر في دراسته جميع العقائد يقرأ كتب أهل السنه وصحفهم ومجلّاتهم.

فهذه مكّتبات قم، والنجف وطهران، وجبل عامل وغيرها من البلاد والعواصم الشيعيه، والجامعات العلميه مملوءه من كتب السنيّين القدماء ومن الصحاح، وجوامع الحديث والتفاسير والتواريخ، يدرسونها في مدارسهم، ومن كتب المتأخّرين، والمعاصرين أمثال الشيخ محمد عبده، ومحمد فريد وجدى والعقاد، ورشيد رضا، وهيكّل، والطنطاوى، وأحمد أمين، وسيد قطب، ومحمد قطب، والندوى، والمودودى وعفيف طباره، ومحمد الغزالي، وعبد الرزاق نوفل، والشيخ منصور على ناصيف مؤلف (التاج الجامع للأصول) والشيخ المراغى والشيخ نديم الجسر وغيرهم.

وهذه محاضرات الشيعه في الفقه يدرسون فيها أقوال جميع أئمه الفقه، ورؤساء المذاهب، ويذكرون خلافاتهم، ويبحثون في أدلّه الأَقوال، ويأخذون بما هو أوفق بالكتاب والسنه باجتهدهم من غير تعصّب لرأى، وكانت هذه سيرتهم من القديم، فراجع كتاب الخلاف للشيخ الإمام أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى، والتذكره للعلّامه الحلّى وغيرهما، لم يمنع أحد من العلماء تلامذته، وطلبه العلوم من مراجعه كتب أهل السنه، ولا ينكر أحد على أحد

شراء وبيع كتب أهل السنه فى العقائد والحديث والكلام، ولا يرون بذلك كله بأساً، بل يستحسنونه ويستحثون عليه.

ص: ٣٦

حكى الخطيب (١) في ص ٦ نسبه بشعه من بعض كتب الشيعة إلى الخليفة عمر بن الخطاب، ونسب نشر الكتاب الذي ذكر فيه هذه النسبه إلى علماء النجف، ونسب إليهم أنهم قالوا فيه عنه كذا...

من أوضح ما يظهر منه سوء نية الخطيب، وأنه لم يرد إلّا إثارة الفتن والشقاق والخلاف بين المسلمين بافتراءاته النابية إسناد نشر الكتاب المذكور إلى علماء النجف، وحكايته عنهم أنهم قالوا فيه عن عمر بن الخطاب إنه كان...

ولو أسند نشره إلى ناشر معين وذكر اسمه واسم مؤلفه لكان له عذر في نقلها، ولكنّه أسند نشره كذباً وبهتاناً إلى علماء النجف يعني به جميعهم، وهم من أحوط الناس على رعايه حرمة الإسلام والمسلمين، لا تجرى أقلامهم

ص: ٣٧

١- على ما هو ثابت في طبعته الأولى، ولكن حذف من الطبعة السادسة.

وألستهم الطيبه النزيهه إلفى الإصلاح بين المسلمين وتوحيد كلمتهم، ودعوتهم وإرشادهم إلى الخير، ورفض البغضاء والشحناء، فهم فى طليعه المصلحين المجاهدين لتحقيق الوحده الإسلاميه، ونبذ ما يوجب الخلاف والشقاق.

إذن فلا شك أنه لم يرد بما حكاه عنهم إلتجريح العواطف وتهيج الفتنه، وافتراق كلمه المسلمين أو النيل من الخليفه بنشر هذه النسبه إليه، وتسجيل نقلها عن علماء النجف الأشرف، وفيهم من رجالات الدين والعلم والمعرفه بتواريخ الإسلام، وتراجم الرجال من آرائه وأقواله فى غايه الإعتبار والإعتماد، فكأنه أراد بتسجيل ما حكاه على علماء النجف الأشرف تسجيل أصل النسبه على الخليفه وإشاعتها، فإنّ الكتاب الذى ذكر فيه هذه النسبه (إن كان الخطيب صادقاً فيما حكاه) ليس معروفاً وفى متناول أيدي الشيعة وأهل السنه، فنحن لم نقف عليه ولا على اسم كاتبه بعد، مع الفحص الكثير فى المكتبات، ولم نطلع على ما فيه إلبحكايه الخطيب فى كتابه الذى نشره فى أرجاء العالم الإسلامى، وجعله فى متناول أيدي أعداء الإسلام، والمتبعين لعورات المسلمين، وكان الواجب على الحكومات السنيه مؤاخذه الخطيب ومصادره كتابه بإشاعته هذه النسبه، وحكايته فى كتاب يقرؤه المسلمون وغيرهم.

وعلى كل حال لا- حاجه لنا بتبرئه علماء النجف عما حكى عنهم، فإنّ شأنهم الرفيع أكبر وأنبل من ذكر الأمور الشائكه فى كتبهم، فهم معتمدون فى مقالاتهم وآرائهم فى المذهب والفقّه والعلوم الإسلاميه على أقوى الأدله العلميه.

هذا، ولو فرضنا ذكر شيء من هذا القبيل في نقل لا يعتمد عليه، أيجوز له أن ينسب ذلك إلى الشيعة؟! وإلّا فيجوز أن ينسب إلى السّتين عقائد النواصب الذين سبوا أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، وأحدثوا في الإسلام ما أحدثوا، وقتلوا سبطى رسول الله وريحانتيه صلى الله عليه وآله.

والعجب أنّ الخطيب تارة يقول: إنّ التقيّة عند الشيعة عقيدته دينيه تبيح لهم التظاهر بغير ما يبطنون، وأخرى يقول: بتظاهرهم بأمر، لو كان التقيّة من دينهم لكان الواجب عليهم أن يستروه، لا أن يذيعوه ويكتبوه، وينشروه حتى يقرأه كل معاضد ومعاند، فتأمل ما فى كلماته من التهافت والتناقض، ومجانبه الحق والإنصاف عصمنا الله تعالى منها.

قال الخطيب فى ص ٧: ومن أتفه وسائل التعارف أن يبدأ منها بالفروع قبل الأصول، فالفقه عند أهل السنه وعند الشيعة لا يرجع إلى أصول مسلّمه عند الفريقين، والتشريع الفقهى عند الأئمة الأربعة من أهل السنه قائم على غير الأسس التى يقوم عليها التشريع الفقهى عند الشيعة، وما لم يحصل التفاهم على هذه الأسس والأصول قبل الإشتغال بفروعها، وما لم يتم التجاوب فى ذلك من الباحثين فى المعاهد العلميه الدينيه للطائفتين فلا فائده من إضاعه الوقت فى الفروع قبل الأصول، ولا نعى بذلك أصول الفقه بل أصول الدين من جذورها الأولى... إلى آخره.

إن كان مراده من الأصول تلك التى قامت عليها دعوه الإسلام فلا اختلاف

فيها بين المسلمين من الشيعيين والسنين، لا اختلاف بينهم في أنّ الله واحد أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، ولا في أنّه عليم قدير، سميع بصير، له الأسماء الحسنى، ولا في نبوّه أنبياء السلف، ولا في نبوه خاتم الأنبياء وسيدهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، ولا في أنّ القرآن كتاب الله الذي أنزل إليه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد(١).

ولا- اختلاف بينهم في المعاد، والثواب والعقاب، والجنّه والنار، وغير ذلك من الأمور الاعتقاديّه التي يعرفها المسلمون، ويؤمنون بها كلّهم، كما لاخلاف بينهم في وجوب الصلاه، والصوم، والحج والزكاه وغيرها من التشريعات الماليه والبدنيه، والاجتماعيه والسياسيه.

وإن كان مراده من الأصول مسائل آخر مما اختلف فيه الصحابه أو التابعون، أو الفقهاء فليست هذه المسائل من تلك، وإذا كان الخطيب يعرف أصلاً من الأصول التي قامت عليها دعوه الإسلام مما يعد الإيمان في عصر النبي صلى الله عليه وآله والصحابه عند الجميع من شرايط الإسلام، ولا يعرفه المسلمون من أهل السنه أو الشيعه في هذا العصر فنحن نطالبه به.٢.

ص: ٤٢

١- فصّلت: الآيه ٤٢.

وأما ما ذكره من أن الفقه عند أهل السنه وعند الشيعة لا يرجع إلى أصول مسلمه عند الفريقين، وأن التشريع الفقهي عند الأئمه الأربعة من أهل السنه قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة.

فجوابه: أن الفقه عند جميع المسلمين من الشيعة وأهل السنه يرجع إلى الكتاب والسنه، والشيعة من أشد الناس تمسكاً بهما إن لم نقل إنهم أشد الفريقين في ذلك، ومع ذلك كيف تكون الأسس التي قام عليها التشريع الفقهي عند أهل السنه غير الأسس التي قام عليها عند الشيعة، وما الفرق بين السنن والشيعة في هذه الأسس (1)؟ نعم لا يجوز عند الشيعة إعمال القياس والإستحسان والرأى في

ص: ٤٣

١- ونعم ما قال فضيله العلامه الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر فيما كتبه جواباً عن مسائل أبي الوفاء الكردستاني، وإليك بعض نصوصه: على أن تقسيم المذاهب إلى شيعة وسنة إنما هو اصطلاح في التسميه، وإلا فكل المسلمين أهل السنه لأنهم جميعاً يوجبون الأخذ بالسنه، والشيعة كذلك من غير شك، إذ إنَّ الشيعة لا يقول: قد ثبت حديث ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأرفض العمل به من حيث هو حديث ثابت عن رسول الله، ولكنه يقول كما يقول جميع المسلمين: إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي. وإنما وقع الخلاف أحياناً في ثبوت الحديث عند فريق وعدم ثبوته عند فريق آخر، وتوضيحاً لذلك نذكر ما ذكره أخونا العلامه الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء الشيعي الإمامي في العراق في بعض ما كتب: إنَّ عندنا قضيه صغرى وقضيه كبرى تؤلفان قياساً واحداً شكله هكذا: (هذا ثبت عن رسول الله، وكل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله يجب العمل به شرعاً) فالخلاف بين المسلمين ليس في الكبرى بل كلهم مجمعون عليها إجماعاً لا يتطرق إليه الشك، وإنما هو - أي الخلاف - في الصغرى (انظر: رساله الإسلام، العدد الثالث والرابع من السنه الثانيه عشره).

الشريعة، كما هو المعمول به عند بعض رؤساء المذاهب الأربعة، لأنّ القول بجواز العمل بالقياس والإستحسان يفضى عندهم إلى القول بنقص الشريعة التي لم تترك شيئاً من الأمور الدنيوية والدينيوية إلّا وقد بينت حكمها، ولعدم مسيس الحاجة إلى أعمال القياس، لإمكان استخراج أحكام جميع الوقايح والأحداث والقضايا من الكتاب والسنة، وعدم وجود واقعه لا يمكن إدراجها تحت الأحكام الكلية، وذلك لم يكن من مختصات الشيعة.

ولا- يخفى عليك إنّ أكثر الخلافات الواقعة في الفقه يرجع إلى اختلاف الإجتهد في استخراج الحكم من النصوص، وثبوت بعض الأحاديث عند مجتهد، وعدم ثبوتها عند مجتهد آخر.

هذا مضافاً إلى أنّه لا- إلزام لتبعيه المجتهد للأسس التي قام عليها التشريع الفقهي بحسب مذهب خاص، ولا أن يكون مقيداً بطريقه إمام خاص كالشافعي

وأبى حنيفه وغيرهما، بل يجب أن يكون المتبع هو الأسس التي قام عليها التشريع الإسلامي (الكتاب والسنة) سواء وافق رأى أهل مذهب خاص أم لم يوافق، فإن وافق اجتهاد مجتهد في مسألة فتوى الشافعي، وفي مسألة فتوى الحنفي، وفي مسألة فتوى المالكي، وفي مسألة فتوى مجتهد شيعي لا بأس به، فإن المحذور مخالفه الأصول التي قام عليها التشريع الإسلامي لا الأسس التي قام عليها اجتهاد مجتهد خاص.

وقد كان المسلمون قبل حصر المذاهب في الأربعة يجتهدون في الكتاب والسنة، كما هو سيره الشيعة الإمامية في الاجتهاد إلى اليوم.

وأما صحة الاجتهاد في فتوى مجتهد خاص فلم يدل عليها دليل، ولم يقيم على اعتباره لغيره من المجتهدين حجه من الكتاب والسنة، مضافاً إلى أنه يوجب سد باب الاجتهاد وسلب الحريه عن المجتهدين ووقوف الفقه الإسلامي عن مسيره، وحرمان العلماء عن التفكير والتأمل في الكتاب والسنة، وأظن أن الأئمة الأربعة أيضاً لم يريدوا أن يكون مسلكهم في الفقه حجه لسائر المجتهدين، وسبباً لإقفال باب الاجتهاد عليهم، لتحصن المذاهب في الأربعة (1)هـ.

ص: ٤٥

١- وقد أعلن بفتح باب الاجتهاد، وعدم لزوم اتباع إمام مذهب خاص وعدم حصرها في المذاهب الأربعة، وجواز التعبد بمذهب الإمامية فضيله العلامة شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت في فتواه التاريخيه، وفي أجوبه مسائل أبي الوفاء المعتمد الكردستاني، وفي موارد أخر، فراجع رساله الإسلام، العدد الثالث من السنه الحاديه عشره، والعدد الثالث والرابع من السنه الثانيه عشره. وما أدلى فضيلته إلى إحدى الصحف المصريه الكبرى بحديث خطير الشأن سجل أيضاً بعض فقراتها في رساله الإسلام، العدد الأول من السنه الحاديه عشره، فقد صرح فيه بإفتائه في كثير من المسائل بمذهب الشيعة خضوعاً لقوه الدليل، ذكر منها على سبيل المثال: مسأله الطلاق الثلاث بلفظ واحد، فإنه يقع في المذاهب السنيه ثلاثاً، ولكنّه في مذهب الشيعة يقع واحده رجعيه، ومسأله الطلاق المعلق فإنه على مذهب الشيعة لا يقع به الطلاق مطلقاً. وراجع أيضاً حديثه مع مندوب جريده إطلاعات الإيرانيه المسجل في رساله الإسلام، في العدد الثاني من السنه المذكوره. وراجع مقاله الشيخ محمد محمد المدني عميد كليه الشريعه بالجامعه الأزهرية في رساله الإسلام العدد الرابع من السنه المذكوره، تحت عنوان (رجه البعث في كليه الشريعه). وانظر ما كتبه الشيخ محمد أبو زهره تحت عنوان (الوحده الإسلاميه) في العدد الثالث والرابع من السنه العاشره.

كما أظن أنّ المجتهدين لو جعلوا نصب أعينهم التشريع الإسلامي، والكتاب والسنة، ولم يقيدوا أنفسهم باتباع مذهب مجتهد معين، كما كان عليه المسلمون قبل تأسيس هذه المذاهب، لزال كثير من هذه الإختلافات والمنافرات، ولسار الفقه الإسلامي نحو عالم أرقى وأوفق بالكتاب والسنة وبمزاج العصر، ولمزيد البحث في ذلك مجال آخر.

ص: ٤٤

قال الخطيب فى ص ٧: وأول موانع التجاوب الصادق بإخلاص بيننا وبينهم ما يسمونه (التقيه) فإنها عقيدته دينيه تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون... إلخ.

بعد تصنيف الشيعة فى عقائدهم وفقههم كتباً كثيرة لا يمكن إحصاؤها، وبعد ما أطلع عليه الخاص والعام من معتقدات الإماميه، وبعد عرضهم مذاهبهم بما كتب علماءهم فى التفسير والحديث والكلام والفقّه على الملة الإسلاميه، وبعد إعلانهم عقائدهم على رؤوس المنابر، وفى الجرائد والمجلات، وبعد هذه الحوارات الحاصله بين الفريقين، وبعد المشافهات التى وقعت بين عظمائهم من العلماء وغيرهم حيث يزور إخواننا من أهل السنه بلاد الشيعة، ومعاهد علومهم الدينيه، ويشاهدون بأعينهم التزام الشيعة بشعائر الإسلام، ويحضرون دروسهم، ومحاضراتهم فى العقائد وفى الفقّه، هل يمكن للشيعة التظاهر فى عقائدهم بغير ما يبطنون؟ وهل ينتفعون بإخفاء عقائدهم.

أيزعم الخطيب أن علماء الأزهر، وأقطاب التقريب لم يطلعوا على ما اطلع عليه من كتب الشيعة، ولم يدركوا حقيقه مذهب الإماميه وآرائهم فى التقيه وغيرها؟

أليس شيخ الأزهر أبصر من الخطيب ونظرائه بالمذاهب الإسلاميه؟ هذا المصلح الذى أدرك بعلمه الواسع وغيرته على الإسلام والمسلمين ضروره الإتحاد والإتفاق، وإمكان التقريب بين الطائفتين، فقام لله وأدى ما عليه من نصيحه الأمه، ورفع الجفوه، فأيد الزعماء المصلحين، وأسلافه من مشايخ الأزهر كالعلامه الكبير الشيخ عبد المجيد سليم بإصدار فتواه التاريخيه بجواز التعبد بمذهب الإماميه وجواز الإنتقال من سائر المذاهب إلى هذا المذهب.

ألا- يصير أضحوكه الناس من يقول: إن الشيعة حيث يقولون بالتقيه لا يقبل منهم إقرار واعتراف فى عقائدهم، وإنهم يبطنون خلاف ما يظهرون.

أليست التقيه جائزه عند اهل السنه؟

ألم يعمل بالتقيه الصحابى الجليل عمّار بن ياسر ونزل فيه هذه الآيه الشريفه: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان(١)(٢).

قال الواحدى فى أسباب النزول: قال ابن عباس: (نزلت يعنى قوله تعالى:

من كفر بالله من بعد إيمانه (٢) فى عمّار بن ياسر، وذلك إن المشركين أخذوه وأباه ياسراً، وأمه سُميه وصهبياً وبلاًاً وخباباً وسالمأ، فأما سُميه فإنها ربطت بين بعيرين، ووجئ قلبها بحربه، وقيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال، فقتلت، (٢)

ص: ٤٨

١- و

٢- النحل: الآيه ١٠٦

وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فأخبر النبي صلى الله عليه و آله بأنّ عماراً كفر، فقال: كلّاً إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، وأخط الإيما ن بلحمه ودمه، فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه و آله وهو يبكي، فجعل رسول الله صلى الله عليه و آله يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك فعد لهم بما قلت، فأنزل الله هذه الآية).

ونحن نقل كلمات بعض أعلام الفريقين في التقيه حتى يعلم أنّ القول بها متفق عليه بين فرق المسلمين غير الخوارج، فإنه ينقل أنهم منعوا التقيه مطلقاً.

قال الفخر الرازي في تفسيره المسمى بمفاتيح الغيب(١) في تفسير قوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاه(٢):

المسألة الرابعة: اعلم أنّ للتقيه أحكاماً كثيرة؛ ونحن نذكر بعضها:

(الحكم الأول): إنّ التقيه إنّما تكون إذا كان الرجل في قوم كفّار، ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العداوه باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمعيه والموالاه، لكن بشرط أن يضمّر خلافه، وأن يعرض في كل ما يقول، فإن التقيه تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب.

(الحكم الثاني للتقيه): هو أنه لو أفصح بالإيمان، والحق حيث يجوز له ٨.

ص: ٤٩

١- تفسير مفاتيح الغيب: ج ٢ ص ٤٣٧ (ط ١٣٠٨).

٢- آل عمران: الآية ٢٨.

التقيه كان ذلك أفضل، ودليله ما ذكرنا في قصه مسيلمه.

(الحكم الثالث للتقيه): أنها إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاه والمعاداه، وقد تجوز أيضاً فيما يتعلق بإظهار الدين، فأما ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا، وغصب الأموال والشهاده بالزور، وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البته.

(الحكم الرابع): ظاهر الآيه يدل على أن التقيه إنما تحل مع الكفار الغالبيين إلا أن مذهب الشافعي (رض) أن الحال بين المسلمين إذا شاكلت الحال بين المسلمين والمشركين حلت التقيه محاماه على النفس.

(الحكم الخامس): التقيه جائزه لصون النفس، وهل هي جائزه لصون المال يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله صلى الله عليه و آله: حرمة مال المسلم كحرمة دمه، ولقوله صلى الله عليه و آله: من قتل دون ماله فهو شهيد. ولأنّ الحاجه إلى المال شديده، والماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء، وجاز الإقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز هاهنا والله أعلم.

(الحكم السادس): قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوه دوله الإسلام فلا.

روى عوف عن الحسن أنه قال: التقيه جائزه للمؤمنين إلى يوم القيامة، وهذا القول أولى لأنّ دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان (انتهى كلامه).

وقال الشيخ الطوسي في التفسير المسمى بالبيان، في تفسير الآيه

المذكوره: والتقيه عندنا واجبه عند الخوف على النفس، وقد روى رخصه في جواز الإفصاح بالحق عندها (ثم ذكر ما روى الحسن في قصه مسيلمه وقال:

فعلى هذا، التقيه رخصه، والإفصاح بالحق فضيله، وظاهر أخبارنا يدلّ على أنّها واجبه وخلافها خطأ(1).

وقال الطبرسى في مجمع البيان: وفي هذه الآيه دلالة على أنّ التقيه جائزه في الدين عند الخوف على النفس، وقال أصحابنا: إنها جائزه في الأحوال كلها عند الضروره، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والإستصلاح، وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد في الدين، قال المفيد: إنّها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً، ويجوز أحياناً من غير وجوب، وتكون في وقت أفضل من تركها، وقد يكون تركها أفضل، وإن كان فاعلها معذوراً ومعفواً عنه، ومتفصلاً عليه بترك اللوم عليها.

فهذه جملة من كلمات علماء الفريقين مفصحه بجواز التقيه في الجملة، معلنه بتقارب آرائهم فيها، وأن الكل معتمدون في القول بها على الكتاب والسنة.

إذن فما ذنب الشيعة في القول بها؟ وما وجه مؤاخذتهم عليها إلاّ التعصّب والجهل، نعم رأى الشيعة جواز التقيه، وقد عملوا بها في الأجيال التي تغلبت فيها على البلاد الإسلاميه أمراء الجور، وحكّام جبابره مثل معاويه، ويزيد، والوليد، والمنصور، والهادي، وهارون، وزياد، والحجاج، والمتوكل، وغيرهم ممن.

ص: ٥١

١- بل ذلك ظاهر بعض أخبار أهل السنه أيضاً.

عذبوا أئمه أهل البيت أئمه الخير، وقدوه العلم والزهد والدين، وعذبوا أشياعهم شر تعذيب، وقتلوهم أبشع قتله (١).

وفى العصور التي كان فيها أخذ الحديث من أئمه أهل البيت وعترة النبي صلى الله عليه وآله وممن يحبهم أو يفصلهم على غيرهم من أعظم الجرائم السياسيّة، فى العصور التي سلبت عن المسلمين الحريه التي هتف بها الإسلام، وكان سب أمير المؤمنين على عليه السلام سُنّه جاريه لا يجترئ أحد أن ينكره.

نعم عملوا بالتقيه فى الأزمنه التي كان فيها من بنى فاطمه الزهراء بضعه الرسول صلى الله عليه وآله من يخفى انتسابه إليها وإلى بعلمها عليهما السلام ليسلم من القتل والسجن والسوط، وأنواع التعذيب للمتشرفين بهذه النسبه الشريفه الطاهره الزكيه، وفى الأجيال التي لا يعد الرجل فيها من أهل السنه إلا إذا كان فى نفسه عن أمير المؤمنين وفاطمه وسائر أهل البيت عليهم السلام شىء من البغض، أو يتظاهر بذلك ويترك أحاديث فضائلهم.

هذا الخطيب البغدادي يذكر فى تاريخه (٢): أنّ نصر بن على الجهضمي المحدث الكبير لما حدّث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحبني وأحب هذين (وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام) وأباهما وأمهما كان معي ٥.

ص: ٥٢

١- راجع مقاتل الطالبين لأبى الفرج الإصبهاني المرواني، حتى تعرف فظاعه ماجرى على أهل البيت عليهم السلام من المصائب والمحن، من عبده الرئاسه وأرباب السياسه.

٢- تاريخ بغداد: ج ١٣ ص ٢٨٨ رقم ٧٢٥٥.

فى درجتى يوم القىامه»(١) أمر المتوكل بضربه ألف سوط، وكلمه جعفرين عبد الواحد، وجعل يقول: هذا الرجل من أهل السنه، ولم يزل به حتى تركه.

فهل تجد فى مثل هذا العصر بدأ من التقيه. فتأمل من مغزى هذه القصه وأمثالها، وقد عمل بالتقيه فى هذه العصور كثير من المحدثين والعلماء من أهل السنه أمثال أبى حنيفه والنسائى، ولم يكن للمحدثين وأرباب الصحاح والمسائيد كأحمد وغيره حريه فى تخريج ما يخالف سياسه الحكومه وأهواء الأمراء، ولم يكن للمصنفين فى تأليف الكتب ونقل الروايات بد من التقيه لكونهم تحت اضطهاد شديد ومراقبه عيون الحكومه التى بثت جواسيسها فى البلاد للفحص عن من يرى أو يروى لأهل البيت منقبه وفضيله. ولقد أجاد إمام الحنيفيه فى الأشعار المنسوبه إليه:

حب اليهود لآل موسى ظاهرى.

ص: ٥٣

١- وأخرجه القاضى فى الشفاط سنه ١٣٢٤: ج ٢ ص ٤٢، وابن حجر فى تهذيب التهذيب بترجمه نصر بن على.

لم يحفظوا حتى النبي محمّد في آله والله بالمرصاد(١)

هكذا كان حال المسلمين وعلمائهم في تلك القرون المظلمه، وأمّا في هذا العصر فالعلماء والباحثون أحرار في إظهار آرائهم حول المباحث الإسلاميه، وليس بين الشيعي والسني ذلك التنافر الذي أوجدته السياسه في تلك العصور، فلا خوف ولا قتل ولا سجن لبيان الرأى، ولا يقاس هذا الزمان بعصر الأمويين والعباسيين، وعصر الحجاج والمتوكل، ذلك زمان وهذا زمان(٢) ولكن الخطيب لما رأى أنّ تصريحات علماء الشيعة في رساله الإسلام، وفي كتبهم في العقائد وغيرها بدأت يدفع عنهم ما افترت عليهم السياسه والتعصّب والجهل ويذهب بالتنافر الذي بقى بين المسلمين أكثر من ١٣ قرناً لم يتمكّن أن يقول شيئاً غير مقاله إن الشيعة يتظاهرون بغير ما يبطنون.ح.

ص: ٥٤

١- راجع الفاتحه السابعه: ص ١١٥ من شرح الديوان للعلّامه الشيخ حسين ابن معين الدين الميبدى، من أعلام أهل السنه في القرن التاسع والعاشر الهجرى.

٢- نعم يوجد في بعض الأحيان بعض العصبيات في بعض الممالك الإسلاميه الذى لا يملك قطانه من الحريه ما ملك غيرهم من المسلمين، فيأخذون الإقرار من المتّهمين بأنواع التعذيب، فراجع كتاب (جزيره العرب تتهم حكّامها) ففي ظروف وأحوال يؤخذ الإقرار عن المتّهم بالسياط، وتعليق أظافره بالكلبتين في السجن، وكيّه بالسفايد المحماه بالنار، لا عجب أنّ حكم القاضى بقتل مسلم شيعى يحترم مسجد الحرام أكثر من احترام القاضى بتهمه إرادته تلويث المسجد (العياذ بالله). ولا يستغرب فتوى القاضى بقتل شاب مسلم مخلص بما أبدى من اجتهاده في إسلام أبى طالب عم النبي صلى الله عليه و آله والذابّ عنه وعن الإسلام في كتابه: شيخ الأبطح.

وسواء أراد الخطيب وناشر كتابه أم لم يرد فقد حسن التجاوب بين الفريقين، والتفاهم فيما بينهم، إلى حد أن صدرت عن شيخ الأزهر فتواه التاريخيه بجواز التعبد بمذهب الإماميه، كما صدرت عن علماء الشيعة مثل السيد شرف الدين والسيد محسن الأمين، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وغيرهم مقالات وكتب قضت على الإفتراءات قضاءً حاسماً^(١).ر.

ص: ٥٥

١- فراجع كتاب (نقض الوشيعة) و (أصل الشيعة وأصولها) و (الدعوة الإسلاميه) و (الفصول المهمه في تأليف الأمة) و (وأجوبه مسائل موسى جار الله) وكتاب (المراجعات) التي جرت بين العلامة الإمام شرف الدين الموسوي وبين الأستاذ الكبير الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر يوم ذاك وهذا الكتاب كما قال الأستاذ محمود أبو ريه في كتابه (أضواء على السنه المحمديه) ص ٣٤٦، نفيس جداً يجب على كل مسلم أن يقرأه لأنه يحمل من البحوث الدينيه والفوائد العلميه ما لم يحمله كتاب آخر.

قال الخطيب فى ص ٨: وحتى القرآن الذى كان ينبغى أن يكون المرجع الجامع لنا ولهم على التقارب نحو الوحده، فإن أصول الدين عندهم قائمه من جذورها على تأويل آياته وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابه عن النبى صلى الله عليه وآله وإلى غير ما فهمه منها أئمه الإسلام عن الجيل الذى نزل عليه القرآن.

عقائد الشيعة مأخوذه من الكتاب والسنة القطعيه، ومن الأدله العقليه القاطعه، وتام الملاك والمناطق الفذ والمرجع الوحيد فى تمييز العقيدة الصحيحه عن السقيمه عندهم هو العقل وظواهر القرآن والسنة، فالشيعى لا يعتقد بما خالف ظواهر الكتاب أو السنة، نعم إذا صادم الظاهر ما قام عليه البرهان القطعى

العقلى أو تعارض ما دل عليه نص أو صريح من الكتاب أو السنه لا يعتمدون عليه، كما برهنوا عليه فى الأصول، ويؤولون هذا الظاهر بتأويل صحيح مقبول لدى العقل والشرع، ومع ذلك لا يستندون إلى هذا التأويل، ولا يؤسسون الأمور الإعتقادية، بل والمسائل العمليه الفرعيه على تلك التأويلات.

وعند الشيعة روايات بطرقهم عن أئمه أهل البيت عليهم السلام، إسناد بعضها صحيحه وبعضها سقيم، فى تفسير الآيات وبيان مصاديقها، وشأن نزولها وتقييد بعض مطلقاتها، وتخصيص بعض عموماتها، وبيان خاصها وعامها، وغير ذلك.

وأفرد بعضهم فى هذا القسم من التفسير، وجمع فيه تلك الروايات وليست مقبوله عند الشيعة، وهو بينهم كتفسير السيوطى المسمى (بالدر المنثور فى التفسير بالمأثور) عند الجمهور.

والعجب من الخطيب أنه يرمى الشيعة بتأويل الآيات، ويغمض النظر عن تأويلات أكابر أهل السنه، وأقطابهم من المتصوفه وغيرهم مما لا يقبله الطبع السليم والذهن المستقيم، ومما تضحك به الثكلى.

فاقرأ يا أخى قليلاً من هذه التأويلات الخياليه الباطله فى تفسير النيشابورى (غرائب القرآن). وراجع التفاسير المشهوره المعتمده عند الشيعة كالتيان للشيخ الطوسى، ومجمع البيان لأمين الإسلام الطبرسى حتى تعرف نزاهه الشيعة عن هذه التأويلات الوهميه الشعريه وعدم اعتدادهم بها.

قال الخطيب فى ص ٨: بل إن أحد كبار علماء النجف وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى الذى بلغ من إجلالهم له عند وفاته سنة ١٣٢٠ هـ أنهم دفنوه فى بناء المشهد المرتضى بالنجف، فى إيوان حجره بانو العظمى بنت السلطان الناصر لدين الله، وهو إيوان حجره القبليه عن يمين الداخل إلى الصحن المرتضى من باب القبلة فى النجف الأشرف بأقدس البقاع عندهم.

هذا العالم النجفى أُلّف فى سنة ١٢٩٢ هـ وهو فى النجف عند القبر المنسوب [\(١\)](#) إلى الإمام على كتاباً سَمّاه (فصل

ص: ٥٩

١- راجع ما كتبنا فى دفع هذا التشكيك الخبيث من الحقائق التاريخيه تحت عنوان (المشهد العلوى المقدّس).

الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهداتهم في مختلف العصور بأن القرآن قد زيد فيه ونقص منه، وقد طبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة ١٢٩٨ هـ، وعند طبعه قامت حوله ضجة لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصوراً بين خاصتهم ومتفرقاً في مئات الكتب المعتره عندهم، وأن لا يجمع ذلك في كتاب واحد تطبع منه ألوف من النسخ، ويطلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم، ماثله أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه، وألف كتاباً آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وقد كتب هذا الدفاع في آخر حياته قبل موته بنحو سنتين، وقد كافئوه على هذا المجهود في إثبات أن القرآن محرّف بأن دفنوه في ذلك المكان الممتاز من بناء المشهد العلوي في النجف... إلخ.

القرآن معجزه نبينا محمد صلى الله عليه وآله الخالده، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قد عجز الفصحاء عن الإتيان بمثله، وبمثل سورة وآيه منه، وحير عقول البلغاء وفطاحل الأدباء، قد بين الله تعالى فيه أرقى المباني، وأسمى المبادئ، وأنزله على نبيه دليلاً على رسالته، ونوراً للناس، وشفاءً لما في الصدور، وهدى ورحمةً للمؤمنين.

قال سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: واعلموا أن هذا

القرآن (١) هو الناصح الذي لا يغش، والهادى الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّاقام عنده زياده أو نقصان، زياده فى هدى، ونقصان من عمى، واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقه، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم (٢).

ولا- ينحصر إعجاز القرآن فى كونه فى الدرجه العليا من الفصاحه والبلاغه، وسلاسه الترتيب، وسلامه التركيب، والتأليف العجيب، والأسلوب البكر فحسب، بل هو معجزه أيضاً لأنه حوى أصول الدين والدنيا، وسعاده النشأتين. ومعجزه لأنه أنبأ بأخبار حوادث كثيره تحققت بعده.

كما أنه معجزه فى التاريخ، وبما فيه من أخبار القرون السالفه، والأمم البائده، التى لم يكن لها تاريخ فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله مما أثبتت الكشوف الأثريه صحتها.

ومعجزه لأنّ فيه أصول علم الحياه والصحه والوراثه، وماوراء الطبيعه، والإقتصاد والهندسه والزراعه. ١.

ص: ٦١

١- هذا القرآن الذى يشير إليه أمير المؤمنين والأئمه من ولده عليهم السلام و يحتون شيعتهم بالرجوع إليه والإستشفاء به فى ألوف من الأحاديث ليس إلّاهذا الذى هو ما بين الدفتين، والكتاب المجيد الذى يعرفه المسلمون جميعاً يقرؤونه فى الليل والنهار.

٢- نهج البلاغه (ط مصر، مطبعه الإستقامه): ج ٢ الخطبه ١٧١.

ومعجزه فى الإحتجاج.

وإعجاز فى الأخلاق و الآداب وما إلى ذلك.

وقد مرت عليه أربعة عشر قرناً ولم يقدر فى طول هذه القرون أحد من البلغاء أن يأتى بمثله، ولن يقدر على ذلك أحد فى القرون الآتية والأعصار المستقبلة، ويظهر كل يوم صدق ما أخبر الله تعالى به فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا(١).

هذا هو القرآن، وهو روح الأمة الإسلامية، وحياتها ووجودها وقوامها، ولولا القرآن لما كان لنا كيان.

هذا القرآن هو كل ما بين الدفتين، ليس فيه شىء من كلام البشر، كل سورة من سورة وكل آية من آياته متواتر مقطوع به، لا ريب فيه، دلت عليه الضرورة والعقل، والنقل القطعى المتواتر.

هذا هو القرآن عند الشيعة ليس إلى القول فيه بالنقيصه فضلاً عن الزيادة سبيل، ولا- يرتاب فى ذلك إلّا الجاهل أو المبتلى بالشذوذ.

وإليك بعض تصريحات أعلام الإمامية ورجالاتهم فى العلم والدين، الذين لا يجترى شيعى على رد آرائهم سيما فى أصول الدين، وفى أمثال هذه المسائل، لجلالتهم فى العلم والتبع وكثرة إحاطتهم، وقوه حذاقتهم فى الفنون الإسلامية.٤.

ص: ٦٢

١- البقره: الآيه ٢٤.

قال شيخ المحدّثين محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالصدوق (ت ٢٨١ هـ) ومؤلف كتاب من لا يحضره الفقيه، وعشرات من الكتب القيّمة، في رسالته المعروفه باعتقادات الصدوق: اعتقادنا في القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك - إلى أن قال - : ومن نسب إلينا أنا نقول: إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب، ثم شرع في إقامه البرهان على ذلك، (فراجع تمام كلامه).

وقال الشيخ المفيد: وأمّا النقصان! وقد قال جماعه من أهل الإمامه إنّه لم ينقص من كلمه، ولا من آيه ولا من سوره، ولكن حذف ما كان ثبثاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله وتفسير معانيه على حقيقه تنزيهه، وذلك كان ثابتاً منزلاً، وإن لم يكن من جمله كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً قال تعالى: ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً(١) فسمى تأويل القرآن قرآناً، وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف، وعندى أن هذا القول أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقه دون التأويل، وإليه أميل والله أسأل توفيقه للصواب.

وأما الزيادة فيه فمقطوع على فسادها(٢).

وقال الشيخ الجليل أبو علي أمين الإسلام الطبرسي أحد أعلام الشيعة في علوم القرآن، في تفسيره القيم المسمى بمجمع البيان(٣) ١.

ص: ٦٣

١- طه: الآيه ١١٤.

٢- أوائل المقالات للمفيد: ص ٥٥.

٣- تراجع مقدمه تفسير مجمع البيان، الفن الخامس منها.

فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأما النقصان منه فقد روى جماعه من أصحابنا وقوم من حشويه أهل السنه أن فى القرآن نقصاناً، والصحيح من مذهبنا خلافه، وهو الذى نصره المرتضى (قدس الله روحه)، واستوفى الكلام فيه غاية الإستيفاء فى جواب المسائل الطرابلسيات، وذكر فى مواضع: أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث العظام، والكتب المشهوره، وأشعار العرب، فإنَّ العناية اشتدت، والدواعى توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم تبلغه فيما ذكرنا، لأنَّ القرآن معجزه النبوه، ومأخذ العلوم الشرعيه، والأحكام الدينيه، وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغايه، حتى عرفوا كل شىء اختلف فيه من إعرابه وقراءته، وحروفه وآياته، فكيف أن يكون مُعْتَرِياً أو منقوصاً مع العناية الصادقه والضبط الشديد!!

قال: وقال أيضاً: إنَّ العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه فى صحه نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضروره من الكتب المصنفه، ككتاب سيبويه والمزنى، فإنَّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من جملتها ما يعلمون من تفصيلها، حتى لو أن مُدْخِلاً أدخل باباً من النحو فى كتاب سيبويه أو من غيره فى كتاب المزنى لُعرِفَ ومُيِّزَ، وعلم أنَّه ملحق ليس من أصل الكتاب، ومعلوم أنَّ العناية بنقل القرآن وضبطه أكثر من العناية بضبط كتاب سيبويه، ودواوين الشعراء.

قال: وذكر أيضاً: إنَّ القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدلَّ على ذلك بأنَّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان، حتى عيّن على جماعه من الصحابه فى حفظهم له، وأنَّه كان يعرض على النبى صلى الله عليه وآله ويتلى عليه وأنَّ جماعه من الصحابه مثل عبدالله بن

مسعود، وأبى بن كعب وغيرهما، ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله عدة ختمات، كل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبتوت، وذكر أن من خالف ذلك من الإماميه والحشويه من أهل السنه لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفه ظنوا صحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع بصحته.

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ومؤلف كتاب الخلاف والمبسوط، والتهذيب والإستبصار وغيرها، في تفسيره المسمى بالبيان (١) أما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذى نصره المرتضى (رحمه الله)، وهو الظاهر فى الروايات (إلى أن قال:). ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته، والتمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف الأخبار فى الفروع إليه، وعرضها عليه فما وافقه عمل عليه، وما خالفه تجنّب ولم يلتفت إليه.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله روايه لا يدفعها أحد إنّه قال: (إنى مخلف فيكم الثقيلين ما إن تمسيكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) وهذا يدل على أنه موجود فى كل عصر، لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدر على التمسك به، كما أن أهل البيت ومن يجب اتباع قوله حاصل فى كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته).

ص: ٦٥

١- تفسير البيان: ج ١ ص ٣ (ط النجف).

فينبغي أن نتشغل بتفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه.

وقال العالم الجليل الشيخ جعفر كاشف الغطاء في كتابه المسمى بكشف الغطاء: (والسابع في زيادته) لا زياده فيه من سوره ولا آيه، من بسمله وغيرها، لا- كلمه ولا حرف، وجميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام الله تعالى بالضروره من المذهب بل الدين وإجماع المسلمين، وأخبار النبي والأئمه الطاهرين عليهم السلام.

وقال: (الثامن في نقصه) لا ريب في أنه محفوظ من النقصان، بحفظ ملك الديان، كما دلّ عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبره بالنادر، وماورد من أخبار النقيصه تمنع البديهه من العلم بظاهرها (إلى آخر كلامه المتين).

وقال الشيخ الأكبر العالم الشهير، نابغه الزمان، الشيخ محمد بهاء الدين العاملي على ما حكى عنه في آلاء الرحمن ص ٢٦:

الصحيح أنّ القرآن العظيم محفوظ عن ذلك، زياده كان أو نقصاناً، ويدلّ عليه قوله تعالى: وإنا له لحافظون(١)، وقال في كتاب الزبده: القرآن متواتر لتوافر الدواعي على نقله.

وممن صنّف في نفي النقيصه، بعد الإجماع على عدم الزياده، الشيخ العلامة الجليل على بن عبد العالی الكركي، المعروف بالمحقق الثاني.

وقال العلامة الكبير المولى محمد إبراهيم الكلّباسي في كتاب الإشارات:

بعد استقراء كلمات علماء الإسلام بأصنافهم في كتبهم الكلاميه والأصوليه ٩.

ص: ٦٦

١- الحجر: الآية ٩.

والتفسيرية، وما اشتمل على الخطابات والقصص، وما يتعلّق بعلم القرآن بأصنافه، ومنه علم القراءه والتواريخ وغيرها، مع كمال اهتمامهم فى ضبط ما يتعلّق بكل واحد منها يتبيّن أن النقصان فى الكتاب مما لا أصل له، وإلا لاشتهر وتواتر، نظراً إلى العاده فى الحوادث العظيمه، وهذا منها بل من أعظمها.

وقال العلماء المغفور له المجاهد المعاصر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى (أصل الشيعه وأصولها): إنّ الكتاب الموجود بين المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله إليه للإعجاز والتحدى، وإنه لا نقص ولا تحريف، ولا زياده فيه، وعلى هذا إجماعهم.

وممن فنّد القول بالتحريف زياده ونقيصه، ورد كل شبهه فى ذلك، بأتم بيان، وأوضح برهان، العالم الجليل المفسّر المتكلم المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغى صاحب الكتب الممتعه، والتصانيف القيمه، فى مقدمه تفسيره المعروف والمسمى بآلاء الرحمن، فإنه قد أدى حق المقام، ودافع عن قداسه القرآن، وأظهر الحق وأبطل الباطل، فراجعه حتى تعرف قيمه خدمات الشيعه للإسلام والقرآن، وغيرتهم على الدين والكتاب.

وقال الشريف المصلح السيّد عبد الحسين شرف الدين فى الفصول المهمه فى تأليف الأُمّه (١): والقرآن الحكيم لا- يأتية الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، إنّما هو ما بين الدفتين، وهو ما فى أيدي الناس، لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، ولا تبديل فيه لكلمه بكلمه، ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر ٣.

ص: ٦٧

فى كل جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحى والنبوہ، وكان مجموعاً على ذلك العهد الأقدس مؤلفاً على ما هو عليه الآن، وكان جبرئيل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله مراراً عديده، وهذا كله من الأمور المعلومه لدى المحققين من علماء الإماميه، ولا عبره بالحشويه فإنهم لا يفقهون.

وقال العالم المتتبع، والرجالى الكبير السيد محسن الأمين الحسينى العاملى فى أعيان الشيعة(1): لا يقول أحد من الإماميه لا قديماً ولا حديثاً إن القرآن مزيد فيه قليل أو كثير فضلاً عن كلهم، بل كلهم متفقون على عدم الزيادة، ومن يعتد بقوله من محققيه متفقون على أنه لم ينقص منه.

وقال العالم المفسّر الشيخ محمد النهاوندى فى مقدمه تفسيره (نفحات الرحمن): قد ثبت أن القرآن كان مجموعاً فى زمان النبى صلى الله عليه وآله، وكان شده اهتمام المسلمين فى حفظ ذلك المجموع بعد النبى صلى الله عليه وآله وفى زمان احتمال بعض وقوع التحريف فيه، كاهتمامهم فى حفظ أنفسهم وأعراضهم (إلى آخر كلامه التام).

وممن صنّف فى الإماميه فى ردّ شبهه التحريف العالم الرئيس السيد محمد حسين الشهرستانى، فإنه صنّف فى ذلك كتاباً أسماه (رساله فى حفظ الكتاب الشريف عن شبهه القول بالتحريف) وقال فيه على ما حكى عنه، بعد رد ما فى فصل الخطاب من الشبهات: لا شبهه فى أنّ هذا القرآن الموجود بين الدفتين منزل على رسول الله صلى الله عليه وآله للإعجاز للتسالم على نفي زياده الآيه والسوره فيها، والشكّ إنما هو فى نزول ما عداه إعجازاً والأصل عدمه. ٨.

ص: ٦٨

وممن أذى حق الكلام فى بطلان القول بالتحريف العالم الجليل والمرجع الدينى السيد أبو القاسم الخوئى فى تفسيره المسمى ب (البيان) فراجع ما أفاده فى ص ١٣٦-١٨١ فقد أثبت بما لا مزيد عليه أن مسأله نقصان الكتاب مما لا أصل له، وقال فى آخر كلامه:

وقد تبين للقارئ مما ذكرناه أن حديث تحريف القرآن حديث خيالى لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل فى أطرافه حق التأمل، أو من ألجأ إليه حب القول به، والحب يعمى ويصم، أما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك فى بطلانه. انتهى كلامه.

ولنعم ما أفاده العلامة الفقيه، والمرجع الدينى السيد محمدرضا الكلپايگانى بعد التصريح بأن ما بين الدفتين هو القرآن المجيد: ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه، والمجموع المرتب فى عصر الرساله بأمر الرسول صلى الله عليه وآله بلا تحريف ولا تغيير، ولا زياده ولا نقصان.

وإقامه البرهان عليه: أن احتمال التغيير زياده ونقيصه فى القرآن كاحتمال تغيير المرسل به، واحتمال كون القبله غير الكعبه فى غايه السقوط لا يقبله العقل وهو مستقل بامتناعه عاده.

ولو رمنا استقصاء كلمات علمائنا الأعظم فى كل جيل لطلال بنا الكلام، ولا يسع ذلك كتاب كبير ضخيم، ويكفى فى ذلك تصريح أستاذنا الإمام راويه أحاديث أهل البيت وحامل علومهم، نابغه العصر ومجدد العلم والمذهب فى القرن الرابع عشر، السيد الحاج آقا حسين الطباطبائى البروجردى (حشره الله مع جده النبى الكريم صلى الله عليه وآله) فإنه أفاد فى بعض أبحاثه فى الأصول كما كتبنا عنه فى

تقريرات بحثه «بطلان القول بالتحريف»، وقداسه القرآن عن وقوع الزيادة فيه، وإن الضروره قائمه على خلافه، وضعّف أخبار النقيصه غايه التضعيف سناً ودلالهً وقال:

إنّ بعض هذه الروايات مشتمل على ما يخالف القطع والضروره، وما يخالف مصلحه النبوه، وقال فى آخر كلامه الشريف:

ثم العجب كل العجب من قوم يزعمون أنّ الأخبار محفوظه فى الألسن والكتب فى مده تزيد على ألف وثلاثمائه سنه، وأنّه لو حدث فيها نقص لظهر، ومع ذلك يحتملون تطرق النقيصه فى القرآن المجيد.

ص: ٧٠

اعلم أنّ الواجب على كل مسلم غيور على الدين والقرآن أن يدفع عن الكتاب الكريم هذه الشبهه، وأن يحتاط في نسبه القول بالتحريف أو التشكيك في القرآن إلى أحد من المسلمين، ويعلم أنّه مسؤول عند الله تعالى عما يقول ويكتب.

وكان الأولى بالخطيب أن يتمسك بأقوال العلماء ذوى الإختصاص والمهاره من الشيعة والسنه في صيانه القرآن من النقصان والزياده، لا أن يركض وراء القول بالتحريف، ويسجل ذلك على طائفه كبيره من المسلمين.

وقد أراد الخطيب بذلك تشويه سمعه التشيع، ولم يعلم أنّه شوّه سمعه الدين، وضرب الكتاب المبين، وخدم أعداء الدين، وفتح السبل أمام شبهات المبشّرين، وقد نسى هذا الكاتب أنّه يهدم بهذه الفريه على الشيعة أساس الإسلام، والشيعة أشد الناس غيره على كتاب الله تعالى، وأدفعهم عن جلاله القرآن وقداسته، ينكرون القول بالزياده والنقيصه أشد الإنكار، وكتبهم مشحونه

بالدلائل العقلية والنقلية على تنزه القرآن عن الريب والشبهات.

فاقرأ أيها الخطيب كتبهم في التفسير والعقائد والحديث، واقرأ فيها الأحاديث المتواتره القطعيه الداله على أنّ القرآن هو هذا الذى بيد المسلمين، وانظر إلى الأخبار المأثوره على طرقهم فى ثواب قراءه القرآن وقراءه سوره وآياته وكلماته، وفى وجوب الرجوع إليه والتمسك به يقرؤون القرآن فى صلاتهم، ويتلونه فى ليلهم ونهارهم، يعظمونه كمال التعظيم، ليس عندهم كتاب أعظم من القرآن، فارجع إلى كتبهم فى الفقه والحديث، والدعاء إن كنت أهلاً للإنصاف.

ولا يسوؤنا والله نسبه هذه الفريه إلى الشيعة كما يسوؤنا ما يمس منها كرامه الدين الحنيف والقرآن المجيد.

أيها الخطيب لو قال لك بعض المبشرين أو غيرهم: إن من مذهب الشيعة وهم طائفه كبيره من المسلمين، وقوع التحريف فى الكتاب كما تسجل عليهم، وفيهم من العلماء والمحققين، وأساتذه فن التاريخ والحديث، والعلوم الإسلاميه رجال لا يستهان بشأنهم وجلالتهم، وهم يسندون عقائدهم وعلومهم إلى أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله أعدل الكتاب بدلاله حديث الثقلين، ما تقول فى جوابه؟.

أتقول: إنهم كفار؟.

أو تقول: إنهم يسبون الصحابه؟ أو تقول: إنهم يقرؤون دعاء صنمى قريش؟ قل ما تقول فى جوابه أيها الكاتب الإسلامى؟.

لو تعلم أنك وأمثالك كم توقعون بالإسلام والمسلمين من الضرر، والضعف والفشل، بهذيانكم وافتراءاتكم على الشيعة، لتركتم هذه المخاصمات

البارده، والمناقشات التي لا طائل تحتها، ولغسلتم عن كتبكم هذه المهازل والمخاريق.

وكم من فرق بين الخطيب وبين العلامه الشيخ رحمه الله الهندي! فالخطيب يسند إلى الشيعة فريه يتبرأ منها كل شيعي، ولا يلتفت إلى أنّ تلك النسبه إنّما تجعل القرآن معرضاً للشك، و العلامه الشيخ رحمه الله الذى يعد من أكبر علماء أهل السنه ومن أحوطهم على الإسلام أدرك أنّ هذه النسبه هي منتهى أمل المبشرين وغايه مناهم، وأنّ الواجب على السنّى كالشيعي أن يدفعها عن الشيعة فأثبت في كتابه (إظهار الحق) الذى هو من نفايس كتب المسلمين فى الرد على المسيحيين، بل قيل: لم يكتب مثله فى ردّ المبشرين بطلان هذه النسبه، وأدى ما عليه من إظهار الحق وإزهاق الباطل، وإماتة الشبهه، وقد دفع عن حريم القرآن هذه التهمه، حيث قال فى الفصل الرابع من الجزء الثانى ص ٨٩:

القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإماميه الإثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقله مردود غير مقبول عندهم، (ثم نقل كلمات جماعه من أعلام الشيعة كالصدوق والسيد المرتضى والطبرسى والقاضى نور الله، والمولى صالح القزوينى شارح الكافى، والشيخ محمد الحر العاملى) وقال:

فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقه الإماميه الإثني عشرية أنّ القرآن الذى أنزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين، وهو ما فى أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، وأنّه كان مجموعاً مؤلفاً فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وحفظه ونقله ألوف من الصحابه كعبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب وغيرهما، ختموا القرآن

على النبي عدّه ختمات، ويظهر القرآن ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر رضى الله عنه (إلى أن قال:) وقد قال الله تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (١) (قال:) فى تفسير الصراط المستقيم، الذى هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة: أى إنّنا لحافظون من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان (انتهى كلامه). ٩.

ص: ٧٤

١- الحجر: الآية ٩.

قبل إبداء الرأي حول كتاب فصل الخطاب نلفت من يحتج على الشيعة بهذا الكتاب، ويزعم تفردهم بهذا التأليف إلى كتاب اسمه (الفرقان) جمع فيه مؤلفه وهو من إخواننا أهل السنه من أمثال ما في فصل الخطاب من الأحاديث الضعيفه المرويّه عن طرق أهل السنه، وإليك نص الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى عميد كليه الشريعه بالجامعه الأزهرية قال:

وأما إن الإماميه يعتقدون نقص القرآن فمعاذ الله، وإنما هي روايات رويت في كتبهم، كما روى مثلها في كتبنا، وأهل التحقيق من الفريقين قد زيفوها وبيّنوا بطلانها، وليس في الشيعة الإماميه أو الزيديه من يعتقد ذلك، كما أنه ليس في السنه من يعتقدّه.

ويستطيع من شاء أن يرجع إلى مثل كتاب الإتيقان للسيوطي (1) ليرى فيه

ص: ٧٥

١- انظر: ص ٣٠ من الجزء الثاني من كتاب الإتيقان.

أمثال هذه الروايات التي نضرب عنها صفحاً، وقد أُلّف أحد المصريين في سنة ١٩٤٨ م كتاباً اسمه (الفرقان) حشاه بكثير من أمثال هذه الروايات السقيمه، المدخوله المرفوضه، ناقلاً لها عن الكتب والمصادر عند أهل السنه، وقد طلب الأزهر من الحكومه مصادره هذا الكتاب بعد أن بين بالدليل والبحث العلمى أوجه البطلان والفساد فيه، فاستجابت الحكومه لهذا الطلب، وصادرت الكتاب فرفع صاحبه دعوى يطلب فيها تعويضاً، فحكم القضاء الإدارى فى مجلس الدوله برفضها.

أيقال: إن أهل السنه ينكرون قداسه القرآن؟ أو يعتقدون نقص القرآن لروايه رواها فلان؟ أو لكتاب أُلّفه فلان؟ فكذلك الشيعة الإماميه إنما هى روايات فى بعض كتبهم كالروايات التى فى بعض كتبنا، وفى ذلك يقول الإمام العلامة السعيد أبو الفضل بن الحسن الطبرسى من كبار علماء الإماميه فى القرن السادس الهجرى فى كتابه (مجمع البيان لعلوم القرآن) (١) ثم نقل كلام صاحب المجمع الذى سبق ذكره.

وبعد هذا كلّه نقول: لم نر فى علماء الإماميه ومشايخهم من يعتنى بكتاب فصل الخطاب، ويستند إليه، وليس بينهم من يعظم المحدث النورى لهذا التأليف، ولو لم يصنف هذا الكتاب لكان تقدير العلماء عن جهوده فى تأليفه غيره من المآثر الرائعه كالمستدرک وكشف الأستار وغيرهما أزيد من ذلك بكثير، ولنال من التقدير والإكبار أكثر ما حازه من العلماء وأهل الفضل، ودفنه فى ٣.

ص: ٧٦

١- انظر: رساله الإسلام، العدد الرابع من السنه الحاديه عشره: ص ٣٨٢ و ٣٨٣.

المكان المشرف ليس لأجل تأليفه هذا الكتاب، إنما المقام مقدس يدفن فيه من ناله التوفيق، وقد دفن فيه من العلماء وغيرهم من ذوى الثروه والسلطه والعوام جمع كثير.

وليست جلاله قدر الرجل فى العلم والتتبع والإحاطه بالحديث مما يقبل الإنكار، وإن خطأه بسبب تأليف هذا الكتاب وصير هدفاً لسهام التوبيخ والإعتراض، فبئذ كتابه هذا وقوبل بالطعن والإنكار الشديد^(١) بل صنف بعضهم فى ردّه وفى إثبات عدم التحريف كتباً مفردة، كالعلامة الشهير السيد محمد حسين الشهرستاني مؤلف (رساله حفظ الكتاب الشريف عن شبهه القول بالتحريف)، والعالم المحقق الشيخ محمود الطهراني حيث ردّه بكتاب (كشف الإرتياب).

ومع ذلك كله نقول: من أمعن النظر فى كتاب (فصل الخطاب) يرى أن المحدّث النورى لم ينكر ما قام عليه الإجماع واتفاق المسلمين من عدم الزيادة، ولم يقل إنّ القرآن قد زيد فيه، بل قد صرّح فى ص ٢٣ بامتناع زياده السوره أو تبديلها، فقال: هما منتفیان بالإجماع، وليس فى الأخبار ما يدلّ على وقوعها، بل فيها ما ينفيه كما يأتى، وقد اعترف المحدّث المذكور بخطائه فى تسميه هذا الكتاب كما حكى عنه تلميذه الشهير وخريج مدرسته العالم الثقة الثبت الشيخ آقا بزرگ الطهراني مؤلف الذريعه، وأعلام الشيعة، وغيرهما من الكتب القيمه، فقالذ.

ص: ٧٧

١- قال الشيخ الجليل والعلامة الخبير الشيخ محمد جواد البلاغى النجفى فى مقدّمه تفسيره (آلاء الرحمن) ص ٢٥: وإنّ صاحب فصل الخطاب من المحدّثين المكثرين المُجدّدين فى التتبع للشواذ.

فى ذيل ص ٥٥٠ من الجزء الأول من القسم الثانى من كتابه (أعلام الشيعة):

ذكرنا فى حرف الفاء من (الذريعة) عند ذكرنا لهذا الكتاب مرام شيخنا النورى فى تأليفه فصل الخطاب، وذلك حسبما شافهنا به، وسمعناه من لسانه فى أواخر أيامه فإنه كان يقول: أخطأت فى تسميه الكتاب، وكان الأجدر أن يسمى بفصل الخطاب فى عدم تحريف الكتاب، لأنى أثبتُّ فيه أنّ كتاب الإسلام (القرآن الشريف) الموجود بين الـدفتين المنتشر فى أقطار العالم وحي إلهى بجميع سوره وآياته وجمله، ولم يطرأ عليه تغيير أو تبديل، ولا زياده ولا نقصان من لدن جمعه حتى اليوم، وقد وصل إلينا المجموع الأولى بالتواتر القطعى، ولا شك لأحد من الإماميه فيه، فبعد ذا، أمنّ الإنصاف أن يقاس الموصوف بهذه الأوصاف بالعهدين أو الأناجيل المعلومه أحوالها لدى كل خير؟ كما أنى أهملت التصريح بمرامى فى مواضع متعدده من الكتاب، حتى لا تسدد نحوى سهام العتاب والملامه، بل صرحت غفله بخلافه، وإئما اكتفيت بالتلميح إلى مرامى فى ص ٢٢.

إذن المهم حصول اليقين بعدم وجود بقيه للمجموع بين الـدفتين، كما نقلنا هذا العنوان عن الشيخ المفيد فى ص ٢٦ (إلى أن قال:): هذا ما سمعناه من قول شيخنا نفسه، وأما عمله فقد رأيناه وهو لا يقيم لما ورد فى مضامين الأخبار وزناً، بل يراها أخبار آحاد لا تثبت بها القرآنيه بل يضرب بخصوصياتها عرض الجدار سيره السلف الصالح من أكابر الإماميه كالسيد المرتضى والشيخ الطوسى وأمين الإسلام الطبرسى وغيرهم، ولم يكن العياذ بالله يلصق شيئاً منها بكرامه القرآن، وإن ألصق ذلك بكرامه شيخنا (قدس سره) من لم يطلع على مرامه، وقد

ص: ٧٨

كان باعتراف جميع معاصريه رجالي عصره، والوحيد في فنه، ولم يكن جاهلاً بأحوال تلك الأحاديث.

ولمزيد التوضيح نقل كلاماً آخر من الشيخ المذكور في ذيل ص ٣١١ من الجزء الثالث من الذريعة قال:

إنّ من الضروريات الأوليه عند الأمم كافه أن الكتاب المقدّس في الإسلام وهو المسمى بالقرآن الشريف، وإنه ليس للمسلمين كتاب مقدّس إلهي سواه، وهو هذا الموجود بين الدفتين المنتشر مطبوعه في الآفاق، كما أن من الضروريات الدينيه عند المعتنقين للإسلام أن جميع ما يوجد فيما بين هاتين الدفتين من السور والآيات وأجزائها كلّها وحى إلهي نزل به الروح الأمين، من عند رب العالمين، على قلب سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، وقد بلغ بالتواتر عنه إلى أفراد المسلمين، وإنه ليس بين هاتين الدفتين شيء غير الوحي الإلهي لا- سوره ولا- آيه، ولا- جمله ذات إعجاز، وبذلك صار مقدساً محترماً بجميع أجزائه، وموضوعاً كذلك للأحكام من تحريم مس كتابته بغير طهاره، وتحريم تنجيسه، ووجب إزاله النجاسه عنه، وغيرها من الأحكام الثابته، (إلى أن قال):

وقد كتبنا في إثبات تنزيه القرآن عما ألصقه الحشويه بكرامته، واعتقدت فيه من التحريف مؤلفاً سَمِيناًه (بالنقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف) وأثبتنا فيه أنّ هذا القرآن المجيد الذي هو بأيدينا ليس موضوعاً لأي خلاف يذكر، ولاسيما البحث المشهور المعنون مسامحه بالتحريف... إلخ.

وقال نحواً من هذا الكلام أيضاً في الجزء العاشر من الذريعة: ص ٧٨-٧٩ وقال في جملته:

ص: ٧٩

إن كتاب الإسلام المشهور فى الآفاق هو الموسوم بالقرآن الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس هو إلهذا الموجود بين الدفتين الواصل إلينا بالتواتر عن النبى صلى الله عليه و آله، وأثبتنا أنه بجميع سوره وآياته وجمالاته وحى إلهى (إلى أن قال:) فهو منزّه عن كل ما يشينه من التغيير والتبديل، والتصحيح والتحريف، وغيرها باتفاق جميع المسلمين، وليس لأحد منهم خلاف أو شبهه أو اعتراض فيه، واختلاف القراءات إنما هو اختلاف فى لهجات الطوائف (إلى آخر ما أفاده).

هذا كتاب فصل الخطاب، وهذا قدره عند علماء الشيعة، وهذا كلام مؤلفه فيه، وهذا ما يقول عنه أكبر تلامذه مؤلفه، وهذه عقيدته مؤلفه وتلامذته فيه.

ص: ٨٠

قال الخطيب: ومما استشهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص من القرآن إيراده في الصفحه ١٨٠ من كتابه سوره تسميها الشيعه سوره الولايه، مذكور فيها ولايه على: يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي الذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم... إلخ، وقد اطلع الثقه المأمون الأستاذ محمد على سعودي الذي كان كبير خبراء وزاره العدل بمصر، ومن خواص تلاميذ الشيخ محمد عبده على مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق براين، فنقل منه هذه السوره بالفتوغراف، وفوق سطورها العربيه ترجمتها باللغه الإيرانيه، وكما أثبتتها الطبرسي في

كتابه فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، فإنها ثابتة أيضاً فى كتابهم (دبستان مذاهب) باللغه الإيرانيه لمؤلفه محسن فانى الكشميرى، وهو مطبوع فى إيران طبعات متعدده، ونقل عنه هذه السوره المكذوبه على الله العلامه المستشرق فولدكن، فى كتابه تاريخ المصاحف: ج ٢ ص ١٠٢، ونشرتها الجريده الآسيويه الفرنسيه سنه ١٨٤٢، ص ٤٣١-٤٣٩... إلخ.

السور القرآنيه كانت مؤلفه مشهوره فى عصر الرساله بأمر النبى صلى الله عليه و آله، وكان المسلمون يعرفونها بحدودها، وآياتها وتدلّ على ذلك الروايات الكثيره المتواتره الوارده فى فضل السور وثواب قراءتها، وأنّ من قرأ سوره يس أو سوره البقره فله كذا وكذا من الأجر والثواب، وما ورد فى أنّ الرسول صلى الله عليه و آله قرأ سوره البقره وسوره آل عمران فى صلاه الآيات، وما ورد فى نزول بعض السور جمله، وغيرها من الروايات الدالّه على كون سور القرآن مؤلفه معينه بآياتها فى عهد الرسول صلى الله عليه و آله، ولا- خلافاً بين الشيعة فى أنّ سور القرآن ليس أكثر من هذه السور المعروفه مائه وأربع عشره سوره، واتفق فقهاؤهم بعد الإتفاق على وجوب قراءه سوره كامله بعد الحمد فى الأوليين على كفايه قراءه أى سوره من سور القرآن فى الصلاه عدا سورتي الضحى وألم نشرح، فإنهما سوره واحده، وسوره الفيل ولإيلاف قريش، فهما أيضاً واحده، ولا تجد فى أصل من أصولهم

ص: ٨٢

وفى أحاديثهم ورواياتهم سورة أخرى غير هذه السور الموجوده بين الدفتين.

ولا- خلاف معتد به بين أهل السنّه أيضاً فى ذلك، أى كون القرآن مائه وأربع عشره سورة، نعم قال بعضهم: بأنها مائه وثلاث عشره، فعّد الأنفال والبراءه سورة واحده، كما قد حكى عن بعضهم موافقتهم مع الشيعة فى كون الضحى وألم نشرح سورة واحده، والفيل وإيلاف أيضاً سورة واحده(1)، ولكن أخرج أهل السنه فى كتبهم روايات دلّت على زياده سور القرآن على ما بين الدفتين كسورتى القنوت (الحفد والخلع) وأن مصحف أُبَيّ كان عدّد سورها مائه وست عشره، لأنّه كتب فى آخره سورتى الحفد والخلع(2).

وقد قال ابن حجر فى شرح البخارى: وقد صح عن ابن مسعود إنكار ذلك (يعنى إنكار كون المعوذتين من القرآن) فأخرج أحمد وابن حبان عنه أنّه لا يكتب المعوذتين(3).

وقال هبه الله بن سلامه (ت ٤١٠ هـ) فى الناسخ والمنسوخ(4) فيما نسخ خطه وحكمه: وأما ما نسخ حكمه وخطه، فمثل ما روى عن أنس بن مالك (رض) أنّه قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله سورة تعدلها سورة التوبه، ماى.

ص: ٨٣

١- يراجع الإتقان: ج ١ ص ٦٧.

٢- يراجع الإتقان: ج ١ ص ٦٧.

٣- الإتقان: ج ١ ص ٨١.

٤- طبع بمصر، بهامش أسباب النزول للواحدى.

أحفظ منه غير آيه واحده: ولو أنّ لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً، ولو أنّ له ثالثاً لابتغى إليها رابعاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب، ويتوب الله على من تاب.

وهذه الأخبار وإن كانت مطروحة لا يجوز الإتكال عليها، وقامت الضرورة والإجماع من الفريقين على خلافها، ولا يشك من له معرفه بكلام العرب وفنون الأدب أنّ هذه الجمل لا تشبه بلاغه القرآن، مضافاً إلى ما في بعضها من الأغلاط اللفظية أو المعنوية التي أشار إليها المفسّر الشيعي الشهير البلاغي في مقدّمه تفسيره، إلّا أنّ المنصف يعرف منها أنّه لو جاز نسبة القول بوقوع نقص السوره في القرآن إلى الشيعة أو أهل السنه (ولا- يجوز ذلك البتة) لكان أهل السنه أولى بها، فإنّهم نقلوا في كتبهم المعتره وتفاسيرهم ذلك، وإن سمي بعضهم بعض هذه بمنسوخ التلاوه والحكم، أو منسوخ التلاوه فقط، فإنّ ذلك لا يدفع الإشكال، لأنّ وقوع النسخ محتاج إلى الإثبات، واتفقت كلمه العلماء على عدم جواز نسخ القرآن بخبر الواحد، مضافاً إلى أنّ بعض هذه الأخبار آتية عن هذا التأويل، وقد تردّد الأصوليون من السنه في جواز تلاوه الجنب ما نسخت تلاوته، وفي جواز مس المحدث كتابته واختار بعضهم عدم الجواز.

وأما الشيعة: فلم يقل أحد منهم بنقص سوره من القرآن، ولا بزياده سوره أو آيه أو كلمه عليه، وليس في رواياتهم ما يدلّ على نقص سوره أو زيادتها،

والسوره التي نسب اختلاقها إلى الشيعة، وسماها سوره الولاية لا ترى في أصول الشيعة وكتبهم منها عيناً ولا أثراً، ومقام الشيعة وفيهم ألوفا من زعماء فن البلاغه والأدب المشهورين أرفع وأجل من أن يلصقوا بكرامه القرآن هذه الجمل التي يظهر فيها أثر الوضع، ويعرف ضعف تأليفها وخروجها عن أسلوب القرآن من كان له أنس بكلام الفصحاء والبلاغاء.

ولا عجب من نسبه محب الدين هذا الإفتاء إلى الشيعة، فإنه جعل هذا دأبه في كتابه، ولا يضر الشيعة ذلك بعد كون كتبهم ومصنفاتهم في معرض مطالعه العلماء، ولكن العجب منه أنه قال، ولم يخشى من ظهور كذبه عند الناس كالشمس في رابعه النهار: (ومما استشهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص من القرآن إيراده في ص ١٨٠ من كتابه سوره تسميها الشيعة (سوره الولاية) المذكور فيها ولاية علي (إلى أن قال: فكما أثبتها الطبرسي في كتابه، فإنها ثابتة أيضاً في كتابهم (دبستان مذاهب) باللغة الإيرانية لمؤلفه محسن فاني كشميري، وهو مطبوع في إيران طبعات متعددة.

فانظر ما في كلامه هذا من الكذب الفاحش والإفتاء البين!!!؟

الكذبه الأولى: ليس في فصل الخطاب لا في ص ١٨٠ ولا في غيرها من أول الكتاب إلى آخره، ذكر لهذه السوره المكذوبه على الله تعالى، التي يقول الخطيب: إن الشيعة تسميها سوره الولاية المذكوره فيها ولاية علي (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبى والولى اللذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم... إلخ).

الكذبه الثانيه: ما معنى المصحف الإيراني أيها الخطيب؟ ألا تستحيى من الله تعالى؟ ما هذا المصحف الذى لم يعرفه الإيرانيون، ولم يوجد بعد عند خاصتهم وعامتهم، ولم يطلع عليه أحد إلا محمد على سعودى المصرى عند براين المسيحى.

أيها العلماء، أيها المنصفون، أيها المصلحون ما هذه الإفتراءات، وما عذر الخطيب وناشر كتابه محمد نصيف... من أهالى جدّه الحجاز وأمثالهما عند الله تعالى؟ وما يريدون بانتشار هذه الأكاذيب؟ وما يطلبون من شيعه أهل البيت؟ وما عذر من يتغافل من زعماء السنه وعلماهم وحكوماتهم عما يرد من هذه الأقلام على الإسلام والمسلمين من الضرر والفشل؟.

أليس فى إخواننا أهل السنه والجماعه من يرشدهما إلى ما فيه مصلحه نفسيهما، ومصلحه أمتهما، ومصلحه المسلمين؟

أيها المسلمون! اسألوا من إخوانكم السنه من أهالى إيران ومن ألوف من الذين زاروا إيران ويزورونها فى كل شهر ويوم، هل سمعتم فى إيران بمصحف غير هذا المصحف المطبوع المشهور فى جميع الأقطار؟

أم هل وجدتم عند إيراني كتاباً يعتقد أنه وحى إلهى يقرؤه آناء الليل وأطراف النهار غير القرآن، ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه ويؤمن به جميع المسلمين؟ ولكن «إذا قل دين المرء قلّ حياؤه»، لا يستحيى من الكذب من اعتاده، ولا يخاف من تشويه سمعه الدّين، وإيراد الطعن على الكتاب المبين، من

لا يعقل ما يقول أو باع دينه بديناه، واعتنق خدمه أعداء المسلمين.

الإيرانيون أشدّ الناس احتراماً للقرآن المجيد، ولآياته وكلماته وحروفه، أسواقهم ومجالسهم وإذاعاتهم وبيوتهم ومدارسهم وكراماتهم عامره بقراءته، لهم في كل قرية وبلد مجالس ومدارس لتعليم التجويد، وقراءه القرآن والتفسير، يهتمون بتعلّم القرآن كمال الإهتمام، ويؤدّبون أولادهم على قراءته، لم يسمع أحد منهم لا قديماً ولا حديثاً بهذا المصحف الذي تقول، ولم يطلع عليه أحد من علمائهم ولا ادّعى رؤيته من كان فيهم من أهل الفحص والتنقيب.

نعم يوجد عندهم وفي مكاتبهم الكبيره مثل مكتبه (آستان قدس) في المشهد الرضوى وغيرها أقدم النسخ المخطوطه من القرآن وأنفسها، يرجع تاريخ كتابته إلى صدر الإسلام، وتنسب كتابه بعضها إلى سيدنا الإمام أمير المؤمنين، وبعضها إلى الإمام السبط الحسن المجتبي، وبعضها إلى الإمام على بن الحسين زين العابدين عليهم السلام، لا تجد لهذه النسخ اختلافاً ما، حتى في حرف واحد مع هذه المصاحف المطبوعه إلّافي رسم الخط.

الكذبه الثالثه: وكذبه الآخر قوله بثبوت هذه السوره في دبستان مذاهب مع أنه ليس لهذه السوره ذكر في هذا الكتاب أيضاً.

الكذب الرابعه: ومن افتراءاته على الشيعة إسناده كتاب دبستان مذاهب إليهم، وهو كتاب فى الملل والنحل، جمع مؤلفه فيه بين الغث والسمين، والحق والباطل، وفيه حكايات يأبى العقل احتمال صحتها، واستند فى نقل أكثر ما فيه إلى النقل عن المجاهيل، ويظهر من أسمائهم أنهم كانوا من دراويش الهند، ولم يعلم مذهب مؤلفه ولا اسمه على التحقيق، فقد أخفى مؤلفه اسمه ومذهبه، لا يوجد فى أصل الكتاب اسمه ولا اسم مذهبه، كما هو الشأن فى غير هذا الكتاب من ذكر اسم المؤلف ومذهبه. وغرضه من ذلك: أن لا يحمل كلامه على العصبية، واختلف فى اسمه، فحكى عن «سرجام ملكم» أن اسم مؤلفه محسن الكشميرى المتخلص فى شعره بالفانى ويوجد ترجمته فى كتاب (صبح گلشن) من غير أن يذكر له هذا التأليف، وحكى عن مؤلف (مآثر الأمراء) أن اسمه كان ذو الفقار، وقيل: إنه لسياح، عاش فى أواسط القرن الحادى عشر، وعن بعض المستشرقين أن فى مكتبه بروكسل نسخه منه مذكور فيها أن اسم مؤلفه كان (محمد فانى).

وفى كشف الظنون: أنه تأليف مؤيد شاه المهتدى صنفه لأكبر شاه، وعن مقدمه قزارستان أنه تأليف مؤيد أفراسياب، وقيل: إن اسم مؤلفه كان كيخسرو ابن آذر كيوان، ولم أجد لهذه الأقوال شاهداً قوياً لا فى نفس الكتاب ولا فى

وأما مذهب مؤلفه: فيلوح من بعض ما ذكر فيه عدم اعتقاده بالنبوات وبعث الأنبياء، فراجع ما ذكره في بحث الأديان، وما حكى فيه من المباحث الواقعة بين النصارى والمسلمين، وبين أهل السنه والشيعة، وما ذكر فيه من اختلاف الفرق، ويوجد فيه من نقل أعاجيب الأكاذيب ما ليس في غيره، وذكر فيه مذاهب أهل السنه ثم تعرّض لمذهب الشيعة، ويظهر من بعض مواضعه أنه كان إلى مذاهب أهل السنه أميل، ونسبه بعض علماء الشيعة المتتبعين إلى الزندقه والإلحاد، والله العالم بحقيقه حاله، وهو عليم بما في الصدور، ومع ذلك كله كيف يقول الخطيب إنّه كان من الشيعة الإيرانيين، ثم يقول على سبيل الجزم أنه تأليف محسن الفانى الكشميرى.

ومن الأعاجيب التى تضحك الثكلى ما نقل فى «دبستان مذاهب» عن الشيعة من إسقاط سوره من القرآن (غير السوره التى نقلها الخطيب كذباً عنه) ولم يستند فى ذلك إلى كتاب أو نقل عن مجهول، ونقلها فى «فصل الخطاب» فيما نقل عن كتب أهل السنه، وهذه السوره المختلقه مشتمله على الأغلاط اللفظيه والمعنويه، وركاكه الأسلوب يعرف من تدبّر فيها أنّها من اختلاقات أعداء الإسلام، ولا يرتاب من له معرفه بكلام العرب أنّها دون كلام سوقتهم فضلاً عن فصحاءهم، وفضلاً عن كلام الله تعالى، وقد أوضح ذلك غايه الإيضاح العالم الشيعى الجليل الشيخ البلاغى فى مقدمه تفسيره فراجع، واقتض العجب عن من

يستند إلى هذه الكتب أو ينقل مثل هذه المهزله في كتابه.

والحاصل: أنّ نسبه القول إلى نقص سوره من القرآن إلى الشيعة كذب محض، لم يقل به أحد من الشيعة، وليس في رواياتهم منها عين ولا أثر، كما أنّ نسبه تأليف كتاب «دبستان مذاهب» إليهم أيضاً كذب محض، لا شاهد له في نفس الكتاب ولا في غيره، ولم يعتمد أحد من الشيعة على هذا الكتاب.

الكذبه الخامسه: في كلامه هنا قوله بطبع «دبستان مذاهب» في إيران طبعات متعدده، وليت شعري من أين قال ذلك؟ وأيّ نسخه من هذا الكتاب طبع في إيران؟ وما اسم المطابع التي طبع فيها طبعات متعدده؟ ولمّ لم ينقل تاريخ طبعه في إيران وسائر خصوصياته؟ وما فائده هذه الأكاذيب؟

نعم قد عثرنا بعد فحص كثير في عدّه مكّتابات كبيره على ثلاث نسخ مطبوعه، الأولى: طبعت في بمبئي الهند، سنة ١٢٤٢ والثانيه: في سنة ١٢٤٧ غير أنّه لم يذكر فيها مكان الطبع، والثالثه: طبعت أيضاً في بمبئي سنة ١٢٧٧، ظني أنّ النسخه الثانيه أيضاً مطبوعه في الهند، ومع هذا كيف يقول إنّّه مطبوع في إيران طبعات متعدده؟!.

من أعظم البلاء على المسلمين بل عامه الأمم الشرقيه افتتان بعض شبانهم ومثقفهم بمقالات الغربيين، سيما المتسمين منهم بالمستشرقين، واعتمادهم على ثقافتهم وآرائهم فى المسائل الراجعه إلى الشرق وإلى الإسلام، مع أن كثيراً منهم لا يريدون بالإستشراق إلما الواقعه بالمسلمين، وتتبع عوراتهم، وتفریق كلمتهم، وبعضهم يرؤجون الحضارات التى كانت قبل الإسلام، ويضعفون العلائق الدينيه، يريدون بذلك إرجاعهم إلى الجاهليه، وإحياء شعائر الأمم الكافره التى قضى عليها الإسلام قضاءً حاسماً، ففى إيران يرؤجون أساطير

كورش وداريوش، وعادات المجوس، وأيامهم وأعيادهم، كسَدَه ومهرجان، وفي مصر يبعثون جمعيات للتحقيق في تاريخ الفراعنه وما يوصل مصر الحديثه بالقديمه. وهذا ما يسمونه (بالفولكلور) أى ترويج الدراسات الشعبيه، والفحص عن عادات الشعب وعقائد أبنائه، ومدنيتهم وآثارهم وقصصهم فى الأجيال الماضيه، وكشف آثار الأقدمين، فيدعون الأدباء والكُتّاب إلى البحث عن العقائد التى نسيها الزمان، والعادات والبرامج المتروكه، ويشوّقون بعض الشبان وضعفاء العقول، ويصرفون الدراهم والدنانير والدولارات لتأليف الكتب وطبعها، ويستأجرون أقلام الصحف والمجلات والجرايد لترويج أهدافهم.

وهذا من أضر الأعيب الإستعمار على المسلمين، لم يقصدوا بذلك إلّا إحياء الحضارات السابقه على الإسلام، وتكثير العصبيات القوميه وتفريق الكلمه، ويرى آثار هذه السياسات الغاشمه فى مصر والشام، والعراق وإيران، وتركيا وشمال أفريقيا، وهند وأندونيسيا، ولبعض المستشرقين قدم راسخ فى تحقيق أهداف الإستعمار، وتضعيف علائق الإتحاد الإسلامى، وإنشاء روح القبليه، والنخوه الجاهليه التى حاربها الإسلام.

ومن أعظم البليه أنّ بعض من لاخبره له بالتاريخ، ومصادر التشريع الإسلامى وأهداف الدين القويم يحسب آراء المستشرقين من أصح الآراء، ويستشهد بها مبتهجاً بذلك.

ولبعضهم حول البحوث الإسلاميه، وتاريخ رجال الدين وزعماء الشرق كتب ومقالات ربّما لا تجد فيه خلافاً مع ما عليه المسلمون إلّا فى نقطه واحده، ولكنّه لم يقصد بتأليف كتاب ضخم إلّا إبداء الشبهه فى هذه النقطه، وإنكار حقيقه

وللأستاذ عبد الوهاب حموده مقال تحت عنوان (من زلّات المستشرقين) (١) ذكر فيه زلّات المستشرقين المتكرره، وهفواتهم الشائعه وتصيّدهم للروايات الضعيفه، ونقد كتاب العقيد والشريعه لجولد تسيهر، وكتاب (الإسلام) لجيوم وغيرهما.

وربّما لم يكن لعنايه بعض من لا إحاطه له بالمسائل التاريخيه والمباحث الإسلاميه إلى أقوال المستشرقين إلّا انخداعهم بالأسماء التي يحسبون أنّ لها شأنًا كبيراً أمثال: براون، ونولدكن، وهنرى لامنس، وإميل درمنغم، فيحسب المسكين أنّ تحت هذه الأسماء حقائق عاليه، وآراء ثاقبه، وليس ذلك إلّا لضعف الشرق، واستيلاء الغرب عليه، حتى أنّ بعض أبناء الشرق يعتقد صعوبه المناقشه في آراء المستشرقين ونظرات الغربيين والرد عليهم، لأنّه يحسبهم من رجالات العلم والإطلاع في جميع العلوم، ويظنّ أنّ تقدّمهم في الصناعات والطب والبيطره مستلزم لتقدمهم في سائر العلوم، وأن يكونوا أخير بحال الشرق وطباع أبنائه وتاريخ الإسلام، وأصول التشريع، وعقائد الفرق الإسلاميه من علماء المسلمين، ولم يعقل أنّ ما حصل للمستشرقين من العلوم الإسلاميه والبحوث التاريخيه لم يحصل إلّا لأجل الغور في علوم المسلمين، ومطالعه كتب علمائهم (٢). ٠.

ص: ٩٣

١- انظر: رساله الإسلام، العدد الثالث والرابع من السنه العاشره.

٢- لا- شك عند جميع المحقّقين من المسلمين وغيرهم أنّ تأخر المسلمين ليس لضعف الفلسفه والآداب والتاريخ ونقصان قوانينهم، فإنّ الإسلام أحسن كافل لهم في ذلك، ولكنهم غلبوا، لأنهم تركوا الإشتغال بالعلوم التجريبيه الماديه بتمام فروعها الكيمياء والطبيعيه، والميكانيكيه التطبيقيه والنظريه وغيرها، غلبوا لأنهم لم يملكوا المصانع وفقدوا من أدوات الحرب ما يضاهون به عدوهم، وما يتحررون به من هذا السجن الإقتصادي، قد قال الله تعالى: واعدوا لهم ما استطعتم من قوه سوره الأنفال: الآيه ٦٠.

هذا مضافاً إلى أنهم لا يريدون باستشراقهم إلّا خدمه أمتهم وحكوماتهم، وليست آراؤهم العلميه خاليه عن النزعات السياسيه، ومع ذلك أليس من أبشع ما فى كتاب الخطيب استشهاده بنقل ما وجد عند (براين) وحكايه (فولدكن) والجريده الآسيويه الفرنسيه.

أليس هذا لو كان الخطيب صادقاً فى نقله شاهداً لما قلنا من أنّ كثيراً من المستشرقين لا- يخدمون باستشراقهم إلباسيات حكوماتهم؛ ولا- يطلبون إلبقاء سياده الغرب على الشرق، واستعباد الأمم الشرقيه سيّما الإسلاميه منها، بإلقاء الخصومات والخلافات بينهم، وإلبأى مستشرق بصير عارف بلسان العرب وتاريخ الإسلام، ومقالات الشيعه وكتبهم، لا يعلم اختلاق هذه النسبه على الشيعه، ولا يعلم أنّ هذه الألفاظ لا تمس كرامه القرآن، وليس للشيعه علم واطلاع على هذه السوره المكذوبه على الله تعالى. فكأنّ الخطيب لم يقرأ قوله تعالى: إن جائفكم فاسق نبأ فتبينوا أن تصيبوا قومأ بجهاله فتصبحوا على ما فعلتم نادمين(1).6.

ص: 94

1- الحجرات: الآيه 6.

لا نريد أن نعارض الخطيب بالمثل، ولا نحب نقل هذه الأخبار المطروحة السقيمة، سواء أكان من طرق الشيعة أم من طرق أهل السنة، حذراً من أن يتوهم جاهل لصوق بعض ما في هذه الأخبار بكرامه الكتاب، أو يتمسك به بعض المستشرقين والمبشرين عند من ليس له تضرع في التاريخ والحديث، ولكن ما ذنبنا بعدما يرمى الخطيب وأقرانه الشيعة بهذا البهتان، ومع ذلك لا نأتى بمتون هذه الروايات، ونشير إلى مواضعها في كتب القوم على سبيل الإختصار، ونبين الجواب عنها بحول الله تعالى وقوته؛ فنقول:

إنّ نقل الروايات حول هذا الموضوع لم يكن من مختصات بعض كتب الشيعة كما أسلفنا مراراً، ولا يمنع من التقريب، ولا يجوز الطعن على الشيعة بذلك، فإنّ الروايات عن طرق أهل السنة في هذه المسألة أيضاً كثيرة جداً، وقد ذكرنا بعض ما ورد عن طرقهم ممّا يدلّ على نقص سوره تامه، بل في أحاديثهم ما يدلّ على نقص سوره كسوره البراءه في الطول والشده، وبعضها يدلّ على

نقص آيه أو أكثر، والتغيير والتبديل، بل وبعضها يدل على وقوع الزيادة، فراجع الإتيان (١)، ومسند أحمد (٢)، وصحيح البخارى باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت (٣)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٤) ترجمه أبي بن كعب، وكتاب الأحكام للآمدى (٥)، وتفسير الطبرى فى تفسير آيه: فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن (٦). وراجع تفسير الفخر الرازى أيضاً فى ذلك، وراجع صحيح البخارى فى باب: والنهار إذا تجلى (٧) من كتاب التفسير (٨) وفى باب: ما خلق الذكر والأنثى (٩)، وراجع أيضاً ما فى كتاب الأحكام فى أصول الأحكام (١٠) من أن ابن مسعود أنكر كون المعوذتين والفتاحه من القرآن، وقد صرح فى الجزء الأول (١١) باختلافهم فى كون البسملة من القرآن. ٣.

ص: ٩٦

- ١- الإتيان: ج ١ ص ٦٧ و ٨١، وج ٢ ص ٢٥ و ٢٦.
- ٢- مسند أحمد: ج ٥ ص ١٣٢.
- ٣- صحيح البخارى: ج ٤ ص ١٢٥ (ط سنة ١٣٠٤ و ١٣٠٥).
- ٤- تاريخ دمشق: ج ٢ ص ٢٨٨.
- ٥- كتاب الأحكام للآمدى: ج ١ ص ٢٢٩.
- ٦- أخرج فيه بالإسناد إلى كل من: أبي بن كعب وابن عباس وسعيد بن جبير والسدى، أنهم كانوا يقرؤون: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فاتوهن أجورهن»، وأرسل الزمخشري أيضاً فى الكشاف هذه القراءة عن ابن عباس إرسال المسلمات.
- ٧- الليل: الآية ٢.
- ٨- صحيح البخارى: ج ٣ ص ١٥٢ ط (١٣٠٤).
- ٩- الليل: الآية ٣.
- ١٠- كتاب الأحكام للآمدى: ج ١ ص ٢٣٠.
- ١١- المصدر السابق: ص ٢٣٣.

فعلى قول من يقول بعدم كون البسملة من القرآن كأبى حنيفة يلزم زياده البسملة فى مائه وثلاث عشر موضعاً، وراجع أيضاً صحيح مسلم باب «لو كان لابن آدم» من كتاب الزكاه (١) وذكر فى فصل الخطاب أكثر من تسعين حديثاً فى هذا الباب من كتب العامه.

وروى عن عمر فى آيه الرجم إنه قال: لولا- أن تقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لكتبتها، يعنى آيه الرجم، فراجع الإتيان (٢) وذكر اليعقوبى المؤرخ الشيعى أن عمر قال هذا حين حضرته الوفاه.

وفى هذه الروايات على ما حققه وبيّنه بعض علماء الشيعة من الإضطراب والتدافع، والتناقض فى مضامينها، ومعارضتها بغيرها من الأخبار الكثيره الصحيحه، وركاكه الأسلوب وضعف المعانى، وانحطاط الفقرات، وعدم مشابهتها بآيات القرآن ما لا يكاد يخفى على من له أدنى معرفه بأساليب الكلام وقواعد البلاغه (٣).

وأما الروايات المأثوره عن طرق الشيعة فهى إلاًلألنزر القليل منها غير مخزّجه فى أصولهم المعتره كالكتب الأربعة، ومطعون فيها بضعف السند أو الدلاله أو هما معاً، ويمكن حمل أكثرها على التفسير، وبيان بعض المصاديق الظاهره، وغير ذلك من المحامل الصحيحه التى يقبلها العقل والعرف.ى.

ص: ٩٧

١- صحيح مسلم: ج ١ ص ٣٨٦.

٢- الإتيان: ج ٢ ص ٢٦.

٣- راجع مقدّمه تفسير آلاء الرحمن، للعلّامه المغفور له الشيخ البلاغى النجفى.

أضف إلى ذلك أنك لا تجد في أحاديثهم روايه تدلّ على نقص سوره أو زيادتها كما يوجد في روايات أهل السنه، وقد عرفت أقوال أكابر الشيعة وحال هذه الروايات عندهم، وأنها مضافاً إلى كونها مطروحه متعارضه معارضه بالأخبار المتواتره القطعيه.

هذا مختصر الكلام حول الأحاديث، وغرضنا من ذلك هنا أنّ اعتراض الخطيب وبعض من لا خبره له بالمسائل الإسلاميه على الشيعة مع وجود مثلها بل أصرح منها في كتب أهل السنه وصحاحهم ليس في محله، والإعتذار عن ذلك بأنها من منسوخ التلاوه ومنسوخ الحكم، أو منسوخ التلاوه فقط، عين الإعتراف بأنّ ما نزل قرآناً كان أكثر من هذا الموجود بين الدفتين، مع أنّ إثبات النسخ بخبر الواحد ممنوع، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر كما حكى عنهم بامتناع نسخ القرآن بالسنه المتواتره، ولو تم لهم هذا الإعتذار فلا اختصاص لهم به لأنهم والشيعة فيه سواء:

ولكن التحقيق في الجواب إنكار أصل نزول أكثر من هذا الموجود بين الدفتين، كما حققه محققوا الشيعة، وبرهنوا عليه، لا الإعتراف بالنزول ثم التمسك بنسخ التلاوه، وعلى كل حال فهذه النقول لا تمس كرامه القرآن المجيد، ولا تقاوم الضروره وإجماع الفريقين والأخبار المتواتره القطعيه.

قال فى ص ١٤: والحقيقه الخطيره التى نلقت إليها أنظار حكومتنا الإسلاميه أن أصل مذهب الشيعة الإماميه الإثني عشرية التى تسمى أيضاً بالجعفرية قائم على اعتبار جميع الحكومات من يوم وفاه النبى صلى الله عليه و آله إلى هذه الساعه عدا سنوات حكم على بن أبى طالب حكومات غير شرعيه، ولا يجوز الشيعى أن يدين لها بالولاء والإخلاص من صميم قلبه (إلخ)؟

زاد فى الطنبور نغمه أخرى ليزيد الفتنه تأججاً، ويثير بها أولياء الحكومات على الشيعة، فقال: إن أصل مذهب الشيعة قائم على اعتبار جميع الحكومات غير الشرعيه.

والجواب: هل يعتبر أهل السنه والخطيب - إن كان منهم - هذه الحكومات التى تأسست فى بلاد المسلمين كلها شرعيه، وهل يعتبر الحكومات التى أسسها

المستعمرون والحكومات التي لا عنايه لها بشعائر الإسلام والحكومات التي قامت بتفكيك الأمور السياسيّه ونظام الحكومه عن الإسلام حكومات شرعيه، تلك الحكومات التي ألغت أصول الإسلام ومناهجه السياسيّه والاجتماعيه، والنظاميه والعمرائيه، ومنعت الإسلام عن التدخّل في شؤون الحكومه، وخضعت لأعداء المسلمين واعتنقت نير المذله، حتى بدّل بعضها التاريخ الهجرى الإسلامى بالتاريخ الميلادى المسيحى.

هل يعتبر السنّى حكومه يقول زعيمها (جمال كورسل) على ما فى بعض الجرائد(1): (يجب على الإسلام والمسلمين الخروج عن استعمار اللسان العربى فى صلواتهم وأذانهم ودعائهم) حكومه شرعيه.

وهل يعتقد شرعيه حكومه ألغت نظام الإسلام فى الميراث والطلاق وغيرهما؟

أمّا نحن معاشر الشيعة فنؤيّد كل حكومه إسلاميه تخدم الإسلام وتقوم بحفظ مصالح المسلمين، وتدافع عن شرفهم وكيانهم وحقوقهم، ونرى تضعيفها والخروج عليها من الموبقات العظيمه، والشيعة تراعى مع كل حكومه مصلحه الإسلام، لم يخرج منهم من خرج فى الأعصار الماضيه على بعض الحكومات لكون أوليائه من أهل السنه، ولم يتركوا نصيحه الخلفاء والأمراء سيما فى ما يرجع إلى قوه الإسلام وظهور المسلمين على غيرهم.

وكان الإمام على فى خلافه أبى بكر وعمر ناصحاً لهما يشير عليهما بآرائه).

ص: ١٠٠

١- جريده (آرزو) الإيرانيه، العدد الخامس عشر (شهر يور ماه سنه ١٣٤٠ الشمسيه).

السديده في معضلات الأمور، ودخل في الأعمال الحكوميه آنذاك جمع من الصحابه من شيعه الإمام كسلمان، وأبى ذر، والمقداد، وعمار، وغيرهم، وكان على في خلافة عثمان أيضاً من أخلص نصحائه وأحوطهم عليه، ولو قبل عثمان نصيحته لكان تاريخ الإسلام غير هذا.

نعم إنَّ الشيعة لا يعتبرون الحكومات اليزيدية حكومات شرعية، كما لا تعتبر حكومه الطواغيت الظالمين المستحلين لآل محمد صلى الله عليه وآله ما حرّم الله ورسوله ومبغضيهم وأعدائهم من أهل النفاق حكومه شرعية، لا تعتبر حكومه معاويه التي حاربت أمير المؤمنين علياً عليه السلام الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله:

إنَّ علياً منى وأنا من على، وهو ولي كل مؤمن بعدي(١).

وقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه(٢).هـ.

ص: ١٠١

١- راجع في ذلك أسد الغابه ج ٤ ص ٢٧ و ج ٥ ص ٩٤، ومسنند أحمد ج ٤ ص ٤٣٧ و ج ٥ ص ٣٥٦، وسنن الترمذى ج ٢ ص ٢٩٧، ومسنند الطيالسى ج ٣ ص ١١١ و ص ٣٦٠، وحليه الأولياء ج ٦ ص ٢٩٤، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٩ و ١١٩ و ١٢٧ و ١٢٨، وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٩، و ٣٩٦ و ٤٠١، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٣٩، والخصائص للنسائي ص ١٩ و ٢٣ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٧١ و ٢٠٣، والإصابة ج ٦ ق ١ ص ٢٢٥، والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١١١ و ١٣٤.

٢- راجع سنن الترمذى ج ٢ ص ٢٩٨، وابن ماجه ج ١ ص ٥٨ و ٥٦، ومسنند أحمد ج ١ ص ٨٤ و ٨٨ و ١١٨ و ١١٩ و ١٥٢ و ٣٣٠ و ج ٤ ص ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ج ٥ ص ٣٠٧ و ٣٤٧ و ٣٥٨ و ٣٦١، و ٣٦٦ و ٤١٩، والمستدرک للحاكم ج ٢ ص ١٢٩، و ج ٣ ص ١٠٩ و ١١ و ١١٦، و ٣٧١ و ٥٣٣، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩. أقول: استقصاء جوامع الحديث والكتب التي جاء فيها هذا الحديث وغيره من أحاديث الولاية صعب جداً، وإن شئت الزيادة فراجع كنز العمال، والرياض النضرة، والإصابة، وفيض القدير، وحليه الأولياء، والمرقاه، والخصائص، والدر المنثور، وتفسير الفخر، وتاريخ بغداد، والصواعق، وأسود الغابه، ومشكل الآثار، وكنوز الحقائق، والجامع الصغير، وقد أفرد كل من ابن عقده، والمذهبي، وأبى سعيد السنجرى، وأبى جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى، وابن الحداد الحسكاني وغيرهم لهذا الحديث كتاباً خاصاً به فراجع مقدّمه الكتاب القيم الموسوم بفتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينه العلم على، وخطبته ص ١٤ و ١٥ و ٢١ من الطبعة الثانيه.

وقال: أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي (١).

وقال له ولفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام: أنا حرب لمن حاربتم وسلّم لمن سالمتم (٢).

حكومه شرعيه، تلك الحكومه التي أعلنت سب على علي المنابري.

ص: ١٠٢

-
- ١- يراجع صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابه (ج ٧ ص ١٢٠) والبخارى كتاب بدء الخلق فى باب مناقب على ص ١٨٥ ج ٢، وفى باب غزوه تبوك ج ٣ ص ٥٤، وسنن ابن ماجه ص ١٥٥ ج ١، ومسنند أحمد ج ١ ص ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠، ج ٢ ص ٣٠٩ و ج ٣ ص ٣٣٨، و ج ٦ ص ٣٦٩ و ٤٣٨، ومسنند الطيالسى ج ١ ص ٢٨ و ٢٩، والحليه، والخصائص، ومشكل الآثار، وتاريخ بغداد، وأسد الغابه، وسنن الترمذى، والمستدرک، والطبقات، ومجمع الزوائد وكنز العمال، والرياض، وذخائر العقبى، وتاريخ الطبرى، وسيره ابن هشام، وغيرها من كتب السيره وجوامع الحديث.
 - ٢- سنن الترمذى ج ٢ ص ٣١٩، وابن ماجه ص ١٤، والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٤٩، وأسد الغابه ج ٥ ص ٥٢٣، ومسنند أحمد ج ٢ ص ٤٤٢ وغيرها من المصادر الأخرى.

ودست السُّم إلى الحسن عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة (١)، ولا تؤيّد حكومه يزيد الفاسق المعلن بالمنكرات والكفر، وقاتل الحسين عليه السلام، والمتمثل بأشعار ابن الزبير المعروف فرحاً بحمل رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، والذي أباح بأمره مسلم ابن عقبة المدينة ثلاثاً فقتل خلقاً من الصحابه ونهبت بأمره المدينة، وافترض في هذه الواقعة التي سوّدت صحائف التاريخ ألف عذراء حتى ولدت الأبقار لا يعرف من أولدهنّ، وهو الذي أمر بغزو الكعبة (٢).

الشيعة لا تقول بشرعيه هذه الحكومه ولا بشرعيه حكومه عبد الملك الغادر الناهي عن الأمر بالمعروف، الذي قال السيوطي في حقه: لو لم يكن من مساوئه إلاّ الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابه، يهينهم ويذلّهم قتلاً وضرباً وشتماً وحسباً، وقد قتل من الصحابه والتابعين ما لا يخفى فضلاً عن غيرهم وختم في عنق أنس وغيره من الصحابه ختماً، يريد بذلك ذلّهم فلا رحمه الله ولا عفا عنه (٣).

نحن لا نقول بشرعيه حكومه الوليد بن يزيد الفاسق الشريب للخمر، والمتهتك لحرمة الله تعالى، الذي أراد الحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة فمقتته الناس لفسقه، وهو الذي فتح المصحف فخرج: واستفتحوا وخاب كل جبار (٧).

ص: ١٠٣

-
- ١- مقاتل الطالبيين ص ٧٣، شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٧ (ط المطبعة الميمنية)، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٣، النصائح الكافية ص ٦٢ و ٦٣.
 - ٢- راجع في ذلك كله: تاريخ الخلفاء، وتاريخ اليعقوبي، والطبري، وابن الأثير، وابن كثير، ومروج الذهب، وتذكره الخواص.
 - ٣- تاريخ الخلفاء: ص ١٤٧.

عند (١) فألقاه ورماه بالسهم، وقال ما قال، وحكى عنه من قبائح الأعمال (٢) ما بقى عاره على من يعتبر تلك الحكومات حكومات شرعية إسلامية.

نحن لا نفتى بشرعية حكمه هؤلاء، ولا حكمه أكثر الخلفاء العباسيين، والجبابرة الذين خانوا الإسلام، وأظهروا الفسق، وارتكبوا الفجور، كما لم يعتبر أبو حنيفة حكمه المنصور العباسى حكمه شرعية، وأفتى بجواز الخروج عليها، وكما لم يعتبر الأمة المصرية حكمه فاروق حكمه شرعية فخلعته عن الحكم.

ولا تؤيد الشيعة حكمه تعمل لإثارة الفتن بين المسلمين، وتسعى سعيها لتجديد ذكر الأمويين، وخدمه الإستعمار، وتتبع سبيل هنرى لامنس المسيحي المستشرق الخيىث عدو الإسلام والمسلمين.

وعليك أيها القارئ العزيز بالتأمل فى هذا الحديث، فعن جابر بن عبد الله الأنصارى أنّ النبى صلى الله عليه وآله قال لكعب بن عجرة:

أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنْ إِمَارَةِ السَّفَهَاءِ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَمْرَاءُ سَيَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي مِنْ دَخَلُوا عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظَلْمِهِمْ فَلَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يَعْزَمْ عَلَيْهِمْ عَلَى ظَلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَأُولَئِكَ ع.

ص: ١٠٤

١- إبراهيم: الآية ١٥.

٢- راجع مروج الذهب: ص ١٤٩ ج ٣، تاريخ الخلفاء: ص ١٦٦.

يردون عليّ الحوض (١).

وأخرج في أسد الغابه (٢) عن أبي سلامه الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

سيكون عليكم أئمه يملكون أرزاقكم، وإنهم يحدّثونكم فيكذبونكم، ويعملون فيسيئون، ولا يرضون منكم حتى تحسّنوا قبيحهم، وتصدّقوا كذبهم، فأعطوهم الحقّ مارضوا به، فإذا تجوروا فقاتلوهم، فمن قتل على ذلك فإنه منّي وأنا منه، أخرجه الثلاثة.

وفي حديث آخر وصف فيه حال الفقهاء والقراء الذين يأتون الأمراء الظالمين:

إنّ ناساً من أمتي سيستفقهون في الدين، ويقرأون القرآن، ويقولون نأتى الأمراء فنصيب من دنياهم، ونعتزل بديننا، ولا يكون ذلك، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قربهم إلّا... قال الراوى: كأنه يعنى الخطايا.

ونعم ما وصف به فيلسوف المعرّه حال الأئمه مع هؤلاء الأمراء حيث قال:

قلّ المقام فكم أعاشر أمة

والأساس المتين الذى يجب أن تقوم عليه كل حكمه إسلاميه لتكون شرعيه يجب على الناس تأييدها أن تكون صالحه عادله، مصدر تحقيق رساله الإسلام، ومظهر نظامه الاجتماعى والسياسى والاقتصادى، مجتهده فى رفع ألويه العلم والدين، تضع أزمّه الأمور فى أنظف الأيدي، وتعترف للجميع حقوقهم، وتحترم الحريات التى منحها الإسلام، ويكون رجالها خداماً للإسلام، حرّاساً لحقوق المسلمين.

هذا وقد أيد الشيعة الحكومه الإسلاميه، ودافعوا عن حقوق كافه المسلمين، ودعاياتهم على الحكومات المستعمره فى المؤتمرات العالميه وغيرها، فالعالم الإسلامى لا ينسى مساعى الشيعة فى سبيل استقلال دوله الجزائر المسلمه والباكستان وأندونيسيا وحمايتهم عن حكومه الجمهوريه العربيه المصريه فى واقعه قتال السويس ولم يكن فرح أبناء الشيعة بهذه الفتوح أقل من فرح إخوانهم أبناء الجماعه إن لم يكن أكثر. ٧.

ص: ١٠٥

١- مصابيح السنّه (طبع محمد على صبيح): ج ٢ ص ٧٠.

٢- أسد الغابه: ج ٥ ص ٢١٧.

نقل الخطيب في ص ١٥ بواسطة بعض الكتب عن كتاب مسائل الرجال مكاتبه محمد بن علي بن عيسى إلى الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم عليه السلام، ثم فسّر ما فيها من السؤال عن الناصب والجواب عن ذلك، واستخرج من تفسيره تحامل الشيعة على الشيخين، وأنه يكفي لأن يُعدّ أي إنسان ناصباً وعدواً لآل البيت إذ قدّمهما واعتقد إمامتهما.

إن ما افتري على الشيعة وملائم به مجموعته، إما أن لا يكون له مصدر وإما أن ليس له مصدر سوى كتاب مجهول، أو شخص مجهول، أو متن شاذ، أو ما لا يؤيّد دعواه إلّا إذا فسّره بما يوافق هواه، أو ما فيه كل هذه العلل، ومن جملة ذلك هذه المكاتبه، فمصدرها كتاب مسائل الرجال كتاب مجهول لم نظفر بعد الفحص الكثير على اسم جامعه ومؤلفه، ومحمد بن علي بن عيسى أيضاً مجهول، ولم يفسّر لها الخطيب بما فسّره إلبهيج به أهل السنه على الشيعة، ويوقد نار النزاع، ويفرق بين المسلمين، ويوقظ الفتن الراقده التي ترجع تمام فائدتها إلى أعداء

الدين، فما تستفيد الأمة من ذكر هذه الأمور التي أبلاها الدهر، وأنساها الزمان؟ وما فائده استعراض هذه المباحث إلا التفريق المنهى عنه في الإسلام؟ وما لنا والدخول في هذه المناقشات، وماذا نخسر لو حملناها على المحامل الصحيحة، وما يحمل الخطيب أن يفسر مثل هذه المكاتبة التي عرفت علتها بهذا التفسير الشائك؟

وما فائده الإهتمام في تكثير الفوارق بين المسلمين، ولم لم يكتب بعد كاتب مصلح كتاباً في مشتركاتهم الأساسية، وما اتفق عليه كلمة الكل من العقائد الإسلامية التي هي الملاك الفذ للحكم بالإسلام؟

وما يمنع الخطيب من مراجعته كتب الشيعة المعتمدة عندهم وأحاديثهم الصحيحة، وفتاوى فقهاءهم حتى يعرف أن الناصب عندهم وفي اصطلاحهم كما صرح به أكابر علمائهم من ينصب العداوة لأهل البيت، ويسبهم، ويبغضهم (١).

قال شيخ المحدّثين محمد بن علي بن الحسين الملقّب بالصدوق (ت ٣٨١ هـ) في (من لا يحضره الفقيه) وهو أحد الجوامع الأربعة التي يدور عليها فقه الشيعة الإمامية في جُلّ أبوابه بل كلها. والجهال يتوهمون أنّ كل مخالف ناصب وليس كذلك (٢).

وبعد ذلك كله نسير في هذا البحث على نحو عام، بحيث يظهر منه أن مجرد تخريج خبر في كتاب لا يصحّ الاحتجاج به حتى على مؤلفه فضلاً عن ٥.

ص: ١٠٨

١- راجع كتاب (المعتبر) و (تذكرة الفقهاء) و (المنتهى) وغيرها.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٢٨٥.

أهل مذهبه، فتخريج الأحاديث وجمعها وحفظها مطلب، وملاحظه إسنادها ومتونها ودلاله ألفاظها وعامها وخاصها ومطلقها ومقيدها، والنظر في متابعتها أو معارضاتها، مطلب آخر.

فنقول: أولاً: لو كان إخراج كل رواية في كتاب من كتب أهل السنه أو الشيعة حجه عليهم وإن لم تكن الروايه معتبره عندهم حتى عند مخرجيها حسبما ذكره في كتب الحديث والدرايه والرجال لكان حجه الشيعة على أهل السنه أقوى، فيستندون بروايات عن طرقهم في الأصول والفروع وفي صفات الله تعالى مما خالف ضروره العقل والكتاب والسنه ويحتجون على أهل السنه بعقائد بعض مشايخهم من المتصوفه وغيرهم مما لا نحب ذكره.

وثانياً: إن الشيعة لا يعملون بالأحاديث إلا بعد الفحص والتنقيب عن حال روايتها ومخرجيها، وبعد حصول الإطمئنان بكون رواه الحديث في جميع الطبقات من الثقات الأثبات، أو حصول الوثوق بصدور الحديث من الأمارات المذكوره في محلها، ولو كان حديثاً معارضاً بحديث آخر يأخذون بما وافق منهما الكتاب والسنه القطعيه، ولهم في ذلك أصول تكشف عن كمال تدقيقهم في تمييز الأحاديث الصحاح والحسان من الضعاف، ويعتبرون في حجه الحديث أن يكون معمولاً به بين رؤساء المذهب وقدماء الشيعة المعاصرين لأئمه أهل البيت، أو من قارب عصرهم، فلو كان حديثاً متروكاً لم يعمل به الفقهاء أو لم يعمل به إلا الشاذ منهم وأعرض عن الفتوى والعمل به المشهور لا يعتمدون عليه، ولا يفتون بظاهره، فلا يحتج على طائفه هذا مسلكهم في العمل بالأحاديث والأخبار بكل حديث خرّجوه في كتب الحديث فضلاً عن غيره.

فلا- ينبغي معاتبه الشيعة وغيرهم والحكم عليهم بمحض تخريج خبر في بعض كتبهم قبل الفحص عن حال الكتاب، وقيل النظر في سند الخبر وفي متنه، وأنه وقع مورد القبول عند علمائهم وحكموا له بالصحاح والإعتبار أم لا.

وثالثاً: الحديث الذي يحمله الراوى مشافهة قراءة أو سماعاً أقرب إلى الصحة والإعتبار عند الشيعة من الحديث الذي تحمله بالمكاتبه، لأنّ في كثير من الموارد بواسطة وقوع الإشتباه في تشخيص خط المروى، وعدم حصول الوثوق بذلك، ودخاله اجتهاد الراوى وحده في تشخيص الخط يسقط الحديث عن الإعتبار، نعم لو كانت هناك قرائن معتبره تدل على وقوع المكاتبه وكون الكتاب بخط المروى عنه لا كلام في اعتباره.

ورابعاً: هب أنّ في الشيعة من يتحامل على بعض الصحابه ولا- يرى بأساً بحسب اجتهاده، أيكون هذا مانعاً من التقريب والتجاوب؟ أو يوجب خروجه عن الإيمان، أترى أنّ الله تعالى يقبل عذر بعض الصحابه في مشاتمات وسباب وقعت بينهم بحضرة النبي صلى الله عليه وآله أو بعد ارتحاله إلى الرفيق الأعلى، وفي محاربات وقعت بينهم، وشهاده بعضهم على بعض بالزنا وشرب الخمر، وقتل النفس والسرقه والكفر(1)، ولا يقبل عذر من يتحامل على بعضهم اجتهاداً ونزولاً على حكم الأدله الشرعيه، فليس هذا معذوراً مأجوراً، أليس هذا أولى بقبول عذره.

ص: ١١٠

١- راجع أسباب النزول للواحدى ص ١١٨، ومسند أحمد ج ٢ ص ٤٣٦، والباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفاء، وراجع ترجمه قدامه بن مظعون في الإستيعاب والإصابة، وطبقات ابن سعد في ترجمه أبي هريره، وكتب التواريخ في قتل خالد مالك بن نويره وهما صحبايان ونكاحه زوجه مالك من ليلته.

قال ابن حزم: من سب أحداً من الصحابه (رضى الله عنهم) فإن كان جاهلاً فمعدور، وإن قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق، كمن زنى وسرق، وإن عاند الله تعالى فى ذلك ورسوله صلى الله عليه و آله فهو كافر، وقد قال عمر (رض) بحضرة النبي صلى الله عليه و آله عن حاطب وحاطب مهاجرى بدرى: دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً بل كان مخطئاً متأولاً^(١). وقال: من كان على غير الإسلام وقد بلغه أمر الإسلام فهو كافر، ومن تأول من أهل الإسلام فأخطأ فإن كان لم تقم عليه الحجة، ولا تبين له الحق فهو معدور مأجور أجراً واحداً لطلبه الحق وقصده إليه مغفور له خطؤه... إلخ^(٢).

وقال أيضاً: أما الشيعة فعمده كلامهم فى الإمامه والمفاضله بين أصحاب النبي صلى الله عليه و آله، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم^(٣).

ولا ريب أن الشيعة لم تقل فى الإمامه والمفاضله ما قالت إلّابالحجج التى عندها من الكتاب والسنة، ولو كانوا بزعم غيرهم مخطئين متأولين فهم معدورون مأجورون على كل حال، ويأتى مزيد إيضاح لذلك إن شاء الله تعالى فى بعض المباحث الآتية، والله الهادى إلى الصواب. ٣.

ص: ١١١

١- الفصل: ج ٣ ص ٢٥٧ (الطبعة الأولى).

٢- الفصل: ج ٣ ص ٢٥٨.

٣- الفصل: ج ٢ ص ٢١٣.

وفي ص ١٥ نقل عن مفتاح الجنان دعاء، ثم فسّره بما يهين بعض الصحابه، وقال: هو يعنى كتاب مفتاح الجنان بمنزله دلائل الخيرات(١) فى بلاد العالم الإسلامى... إلخ.

لم أجد هذا الدعاء فى أصل من أصول الشيعة، ولم أسمع بواحد من مشايخى، ولا بأحد من الشيعة يقرأ هذا الدعاء، ولم أعثر بعدُ عليه إلّافى كتاب الخطيب، والكتاب الذى ذكره ليس من الكتب المعتمده، وليس له هذا الشأن والإعتبار والإشتهار، فقد تفحصت عنه فى عدّه من المكتبات فلم أجد فيها وفى فهارسها منه عيناً ولا أثراً.

نعم يوجد عند الشيعة كتاب دعاء أسماء مؤلفه المحدث الشيخ عباس

ص: ١١٣

١- كتاب «دلائل الخيرات» رائج بين العامه، وفيه أشياء تخالف السنه على ما تبه عليه بعضهم فى ذيل ص ١٧ من الخطوط العريضة فى الطبعة السادسة، ومع ذلك لم ينكر عليه الخطيب كما أنكر على مفتاح الجنان.

القمى (مفاتيح الجنان) ليس فيه هذا الدعاء، ويوجد فيه طعن شديد على الكتاب الموسوم بمفتاح الجنان، ولعله هو الكتاب الذى ذكره الخطيب، وهذا الكتاب لو كان أصله من تأليف بعض الشيعة لا شك فى وقوع التصرف والدرس فيه، وذكر المحدث القمى أن فيه زيادات ليست فى كتب الأدعية المعتبرة، قد دسّ بها فيه الوضاعون، والمحدث المذكور صنّف المفاتيح لتخليص المفتاح عن هذه الزوائد، وما لا مأخذ له فى كتب الدعاء.

وعلى كل حال فلم أر لهذا الدعاء فيما بأيدينا من كتب الشيعة روايه، والأدعية التى يداوم الشيعة على قراءتها هى الأدعية المأثوره عن أهل البيت عليهم السلام.

ومن أراد أن يرى الشيعة فى مرآه أدعيتهم ينبغى له الرجوع إلى الكتب التى صنفها علماؤهم الأجلّاء، كالشيخ الطوسى، والسيد ابن طاووس، وغيرهما فى الدعاء، وقد أفردوا فى جوامعهم فى الحديث أيضاً كتباً فى الدعاء لا ترى لهذا الدعاء فيها اسماً ولا أثراً، وهذه الأدعية مشتمله على المطالب العالیه فى المعارف والأخلاق الإسلاميه، والآداب الاجتماعيه بأفصح الألفاظ، وأبلغ العبارات، تهذب الأخلاق وتصفى الأرواح، وتكتمل النفوس وتطهرها عن الأوساخ الماديه، وتزید فى الوعى الإسلامى، فأقرأ الدعاء الذى علّمه الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام أبا حمزه الثمالى، والدعاء الذى علّمه سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام كميل بن زياد، ودعاء الحسين عليه السلام فى يوم عرفه، وأقرأ الصحيفه السجديه وسائر الأدعية حتى تعرف مبلغ ثروه الشيعة العلميه والروحيه فى الدعاء، وتعرف أن الخطيب وزملاءه ممن يعيب الشيعة بدعاء صنمى قریش الذى عرفت حاله، ويتركون هذه الأدعية لا يريدون إلّا إثارة الضغائن المدفونه بالإفتراء وتتبع عورات المسلمين.

قال فى ص ١٦: وقد بلغ من حنقهم على مطفىء نار المجوسيه فى إيران، والسبب فى دخول أسلاف أهلها فى الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمّوا قاتله أبا لؤلؤه المجوسى (بأبا شجاع الدين) روى على بن مظاهر من رجالهم، عن أحمد بن إسحاق القمى الأحوص شيخ الشيعة ووافدهم أنّ يوم قتل عمر بن الخطاب هو يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخره، ويوم التبجيل، ويوم الزكاه العظمى، ويوم البركه، ويوم التسليه... إلخ.

الشيعة طائفه كبيره من المسلمين منتشرون فى الممالك الإسلاميه وغيرها كسوريا، ولبنان، وإمارات الخليج، والمملكه العربيه، والأفغان، وهند وباكستان، وإيران، والعراق، واليمن وتركيا، وتاييلاند، وأندونيسيا، وتانزانيا، وبرما، وسائر بلاد آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا، وأكثر قدمائهم كانوا من

عظماء المهاجرين والأنصار والتابعين، وليس جميعهم إيرانيين حتى يقال عنهم أنهم سموا أبا لؤلؤه (بأبي شجاع الدين) تعصياً للمجوسيه، وحنقاً على الخليفه.

ومطفىء نار المجوسيه فى إيران هو مطفىء نار الكفر والشرك وعباده الأوثان فى البلاد العربيه، وسائر الممالك الإسلاميه، والسبب فى دخول أسلاف أهلها فى الإسلام هو السبب فى دخول جميع المسلمين من الصحابه وغيرهم فى الإسلام، وليس هو إله الرسول الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله المبعوث إلى كافة الناس، والذى أرسله رحمه للعالمين، وبالهدى ودين الحق، وليظهره على الدين كله، وهو أكرم خلق الله وأعزهم وأحبهم إلى الشيعة، ومن كان فى قلبه حنق عليه مثقال ذره وأقل من ذلك فهو كافر عندهم خارج عن الإسلام، والقسط الأكبر والسهم الأوفر فى نصره الرسول صلى الله عليه وآله لإطفاء نار الوثنيه والمجوسيه وسائر أنواع الكفر والشرك لأصحابه المجاهدين الأولين السابقين الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس من المهاجرين والأنصار الذين بذلوا أنفسهم دونه، وجاهدوا فى سبيل الله وقتلوا وقتلوا: كأبى دجانة الأنصارى، وسيد الشهداء حمزه، وجعفر الطيار، وبطل الإسلام ومجاهده الأكبر، رجل الحق والتضحيه، فارس الغزوات وقاتل صناديد الشرك على بن أبى طالب.

وكل باحث فى التاريخ يعلم أن سبب فتوحات المسلمين بعد ارتحال النبى صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى هو إيمان المجاهدين بحقيقه رساله، وخلوص عقائدهم، وصدق نياتهم وقوه عزائمهم، وثباتهم وصبرهم عند لقاء العدو، وحبهم للتضحيه والشهاده، والجهاد فى سبيل الله، فهذه الفتوحات فتوحات الدين، فتوحات الإيمان والعقيده، فتوحات التريبه المحمديه، وفتوحات الأمة

الإسلاميه لا تنسب إلى شخص واحد أو قوم واحد، لأنها ليست كغيرها من فتوحات الجبابره مثل: إسكندر و نابلتون التي ليس ورائها قصد إالاستعباد الناس، وبسط السلطه والملك، واغتصاب الأراضى، وليس الغلبه فيها بالسلاح وكثره العُدّه والعدد، بل كان بقوه الإيمان والثقه بالله، وإنّ النصر منه، والأرض له يورثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين.

وأما دخول أسلاف أهل إيران فى الإسلام فإنه لم يكن بالإكراه والإجبار حتى يوجب الحقن على من أدخلهم فيه، بل كان عن كمال الإشتياق والإختيار، فقد فتحت حقيقه دعوه الإسلام وخلوصها عن الشرك وسماحه شرائعه وأحكامه، وجامعيه تعاليمه وأكملته قلوب الإيرانيين إلى الإسلام، وثباتهم على العقيدة الإسلاميه، وشده تمسّكهم بمبادئه إلى اليوم، وخدماتهم للإسلام - كما تأتى الإشارة إليها - سجّلت فى التاريخ الإسلامى، والخطيب يفترى عليهم ويرميهم بالتعصّب للمجوس، وينسى حقن المنافقين على على بن أبى طالب لأنه قتل آبائهم وأبنائهم وأقاربهم فى سبيل الله، وحقن الأمويين وغيرهم من مبغضى أهل البيت على الإسلام على الإمام على، فلم يسند ما ظهر من الفتن الداميه بين المسلمين إلى حقن هؤلاء الذين لم تذب بالإسلام عصبياتهم الجاهليه، وبقيت قلوبهم مملوءه بالحقن والحقن على النبى صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وعلى المجاهدين الأبطال الذين جعل الله بسيوفهم ومجاهداتهم كلمه الإسلام هى العليا وكلمه الذين كفروا السفلى.

فراجع ما ذكره المسعودى فى مروج الذهب (١) فى حوادث سنه اثنتى عشره ومأتين من سبب أمر المأمون بلعن معاويه على المنابر حتى تعرف حنق هؤلاء على الرسول صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته.

وعلى كل حال، فالمؤمنون كلهم إخوه، لافرق بين إيرانيهم وعربيهم، وأبيضهم وأسودهم إلبالتقوى، قال الله تعالى: إِنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم (٢).

وأما ما ذكره من روايه على بن مظاهر فهى روايه ضعيفه المتن وضعيفه السند، لم نجد لها فى الجوامع والأصول المعتبره عند الإماميه، كما لم نجد ترجمه على بن مظاهر الذى عدّه الخطيب من رجال الشيعة لا فى كتب الرجال ولا فى غيرها، ولا يستغرب وجود مثل هذا النقل عن مجهول فى بعض المجاميع الكبيره المبسوطه التى اعتاد مؤلفوها بجمع الأخبار من غير أن يكثرثوا لاعتبار إسنادها وتحقيق متونها، وأمثالها فى كتب أهل السنه أيضاً، فلا ينبغى مؤاخذه السنّه أو الشيعة بهذه الأخبار، بل يجب الرجوع إلى الماهرين فى علم الحديث من علماء الفريقين العارفين.

وما ذكره من أنّ أبا لؤلؤه كان مجوسياً فلم يثبت، بل قيل كما حكى عن الذهبى والطبرى إنّه كان نصرانياً حبشياً، وروى أنّه كان مجوسياً، وهو عم أبى الزناد الذى كان عالم أهل السنه فى المدينه، وإمامهم فى الحساب والفرائض، والفقّه والحديث والشعر، وكان عبداً للمغيره بن شعبه، وهل كان معتقاً للإسلام ٣.

ص: ١١٨

١- مروج الذهب: ج ١ ص ٣٦١ و ٣٦٢.

٢- الحجرات: الآية ١٣.

حين ما كان في المدينة المنوره أم لم يكن قد أسلم بعد؟ الظاهر أنه اعتنق الإسلام، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بإخراج الكفار من المدينة المنوره المكرمه، فلو كان كافراً لم يكن مأذوناً من الخليفه في المقام بالمدينه، والدخول في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، والوقوف في صف المصلين (١).

وعلى كل: لو كان فيمن يتولى حبيبه الرسول فاطمه الزهراء سيده نساء العالمين ويبالغ في ولايتها من سمع بمقاله النظام (٢)، أو قرأ كتاب الإمامه).

ص: ١١٩

١- كان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة، أو لا يأذن لصبي قد احتلم في دخول المدينة، فكتب إليه المغيره وهو على الكوفه يذكر له غلاماً عنده جمله صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويرغبه في ذلك، ويقول: إن عنده أعمالاً كثيره فيها منافع للناس إنه حداد، نقاش نجار، فأذن له في دخول المدينة (راجع: تاريخ الخلفاء، ومروج الذهب). فليسمح لي القارى أن أقول: إن هذه القصة ليست بسيطه، فما أراد المغيره من استئذانه الخليفه أن يدخل غلامه المدينة وترغبه في ذلك مع علمه بأنه لا يأذن ذلك لمثله ولا يقبل النفس أن يكون ما ذكره المغيره الداهيه هو السبب لاستئذانه. فإن مثل هذا الغلام العارف بهذه الصنائع لم يكن بقليل في ذلك الزمان، أليس هذا شاهداً على أن بعث الغلام كان من أفاعيل السياسه وعلى تدخل المغيره فيها أمر يحتاج إلى البحث والتنقيب. وذهب بعض الباحثين إلى أن وراء قتل عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء كانت مؤامرات يهوديه، وأن لكعب الأحبار الذي كان من أشد المنحرفين عن أهل البيت وكان من أصدقاء معاويه ومقويه سلطانه يداً في تدبير المؤامره على قتل عمر، وليس ذلك بعيداً فإنهم لا يزالون وراء أكثر الفتن التي أصابت المسلمين إلى عصرنا هذا، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

٢- نقل الشهرستاني في الجزء الأول من الملل والنحل (المطبوع بهامش الفصل) ص ٧٣ إنه قال: إن عمر ضرب بطن فاطمه عليها السلام يوم البيعه حتى ألقت المحسن من بطنها، وكان يصيح: إحرقوها بمن فيها، وما كان في الدار غير على وفاطمه والحسن والحسين. (انتهى كلامه).

والسياسة لابن قتيبة (١) وغيره، فسمى - بزعم الخطيب - أبا لؤلؤه بأبي شجاع الدين لا- يخرج ذلك من الإيمان، ولا يجوز تفسيقه إذا كان عن اجتهاد، بل لا يجوز تكفير قاتله إن ثبت إسلامه، ولم تقم قرينه على معاندته للحق، وخصومته للإسلام، بل كان ذلك منه تشفياً لغيظه وغضبه على عمر، لأنه لم يكثر خراجه، ولم ينتصف له بزعمه من المغيرة.

فالمسلمون لم يكفروا من نقم على عثمان من الصحابة وغيرهم ولم يكفروا قتلته، وفي أهل السنه من لا يكفر عمران بن حطان الناصبي الذي مدح أشقى الآخرين، وشقيق عاقر ناقه صالح عبد الرحمن بن ملجم المرادي بأبياته المشهوره الخبيثه، بل أخذوا عنه الحديث، بل اجترأ بعضهم وعدّ ابن ملجم من الصحابه مع قولهم بأنّ الصحابه كلهم عدول (٢).ن.

ص: ١٢٠

١- الإمامه والسياسة: ج ١ ص ١١-١٤ (الطبعة الأولى).

٢- إذا كان الصحابه كلهم عدولاً فما معنى الحديث الذي أخرجه البخارى ج ٣ ص ١٣٦ (المطبوع فى المطبعة الميمنيه) ص ١٣٢٠، وهو الحديث الثانى من كتاب الفتن بإسناده عن النبى صلى الله عليه و آله: أنا فرطكم على الحوض ليرفنن إلئى رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دونى. فأقول: أى ربّ أصحابى، فيقول: لا تدرى ما أحدثوا بعدك. وفى صحيح مسلم ج ٨ ص ١٥٧ (ط المطبعة العامره) ص ١٣٣٣ بإسناده عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله خطيباً بموعظه... (إلى أن قال:): ألا وإنّه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يارب أصحابى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كلّ شىء شهيد، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم، قال: فيقال لى: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. وفى حديث معاذ: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. وإن شئت زياده على ذلك فراجع أيضاً صحيح مسلم (باب إثبات الحوض ج ٧ ص ٦٥ إلى ٧١) حتى تعرف كثره هذه الأحاديث الصحيحه التى رواها خلق من الصحابه، منها ما أخرجه بإسناده عن أنس إنّه صلى الله عليه و آله قال: ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلئى اختلجوا دونى، فلاقولن: أى ربّ أصحابى أصحابى، فيقالن لى: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. فإذا كان الصحابه كلهم عدولاً لا يوجد مصداق لهذه الأحاديث والآيات النازله فى المنافقين.

فمن لم يكفر أمثال عمران بن حطان، وحرير بن عثمان الرحبي الذي قال عنه يحيى بن صالح: صلّيت معه سبع سنين، فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً (عليه الصلاه والسلام) سبعين مره(١). وغيرهما من مبغضى على بن أبي طالب(٢)، يأخذ منهم، ومن شمر بن ذي الجوشن، وعمر بن سعد...

الحديث.

ويذكر ابن ملجم في عداد الصحابه، كيف يعاتب الشيعة بزعم أنّ فيهم من يمدح أبا لؤلؤه، ويسميه بأبا شجاع الدين، ويعد ذلك مانعاً من التقريب واتحاد كلمه المسلمين.ه.

ص: ١٢١

١- تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ١٤٠.

٢- أخرج في أسد الغابه: ج ٥ ص ١٠١ بإسناده عن يحيى بن عبد الرحمن الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحب علياً محياه ومماته كتب الله تعالى له الأمن والإيمان ما طلعت الشمس وما غربت، ومن أبغض علياً محياه ومماته فميتته جاهليه، وحوسب بما أحدث في الإسلام. أخرجه أبو موسى. أقول: الأخبار بهذا المضمون ونحوه كثيره متواتره.

فأمّ المؤمنين عائشه سجّدت لقتل الإمام على شكراً، وقالت ما قالت حتى عابها الناس (1)، وهذا معاويه أظهر السرور بقتل أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام، وسبه وأمر بسبه على رؤوس المنابر، ألم يظهر العثمانيون والمروانيون السرور بقتل الحسين عليه السلام، واتخذوا يوم عاشوراء عيداً، ووضعوا في فضيلته الأحاديث؟

فإذا كان إظهار الفرح بقتل عمر بن الخطاب سبباً للفسق أو الكفر أو العتاب فلم لا تعاتبون ولا تكفرون هؤلاء الذين أظهروا سرورهم بقتل أهل بيت النبي والوصى عليهم السلام واتخذوا يوم قتلهم عيداً.

كانت ما تم بالعراق تعدّها أمويه بالشام من أعيادها

فإذن ما ذكره الخطيب لا يمنع من التقريب والتجاوب، والتفاهم واتحاد الكلمه، بعد الإتفاق على الأسس التي قام عليها الإسلام، وعلى المسلمين أن لا- يتركوا الإعتصام بحبل الله لهذه الآراء التي أحدثتها سياسه الأُمراء الجبارين، وأن يتمسّكوا بالدعوه المحمديه، وهدي القرآن والسنة، ويأخذوا بقوله تعالى: تلكى.

ص: ١٢٢

١- هذا الطبرى وابن الأثير وغيرهما من المؤرخين ذكروا: لما انتهى الى عائشه قتل على (رض) قالت: فألقت عصاها واستقرت بها النويكما قرّ عيناً بالإياب المسافر فمن قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت: فإن يك نائياً فلقد نعاها غلام ليس فيه التراب فقالت زينب بنت أبى سلمه: ألعلى تقولين هذا؟ فقالت: إني أنسى فإذا نسيت فذكرونى.

أَمْهَ قَدِ خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١).

وَأَنْ لَا يَجِدُوا هَذِهِ الْمَنَاقِشَاتِ، وَلَا يَخُوضُوا فِي هَذِهِ الْمَبَاحِثِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابُ الْأَمْوَاتِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُمْ غَرَضٌ إِلَّا نَشْدَ الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ.

عيد سعيد عيد سعيد عيد سعيد ١.

ص: ١٢٣

١- البقره: الآيه ١٣٤ والآيه ١٤١.

يجب على كل مسلم في شرق الأرض وغربها أن يقدر خدمات الفرس للإسلام وعلومه، وأن يفتخر بهم وبمساعيهم الجميله في سبيل إعلاء كلمه الإسلام ومعارفه وآدابه، قوم مدحهم الله في كتابه، فقال سبحانه وتعالى: ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم(١).

أخرج البغوى(٢) عن أبى هريره: أن رسول الله صلى الله عليه وآله تلا هذه الآية: وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم(٣) قالوا: يارسول الله، من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسى ثم قال: هذا وقومه، ولو كان الدين عند الشريا لتتاله رجال من الفرس.

ص: ١٢٥

١- محمد صلى الله عليه وآله: الآية ٣٨.

٢- تفسير البغوى: ج ٢ ص ٢٨٩.

٣- محمد صلى الله عليه وآله: الآية ٣٨.

وأخرج أيضاً (١) عن أبي هريره قال: ذكرت الأعاجم عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لأنا بهم أو ببعضهم أوثق منى بكم أو ببعضكم».

وأخرج أيضاً (٢) عن أبي هريره قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله إذ نزلت سورة الجمعة، فلما نزلت هذه: وآخريين منهم لما يلحقوا بهم (٣) قالوا: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال وفينا سلمان الفارسي، ثم قال: فوضع النبي صلى الله عليه وآله يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء. وأخرج ابن الأثير (٤) عن قيس بن سعد: لو كان العلم متعلقاً بالثريا لناله ناس من فارس.

وأخرج السيوطي في مفحومات الأقران في تفسير مبهمات القرآن (٥) (سورة الجمعة) وآخريين منهم لما يلحقوا بهم أخرج البخاري عن أبي هريره مرفوعاً: إنهم قوم سلمان، وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: هم الأعاجم.

وأخرج البخاري (٦) عن أبي هريره قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله فأنزلت عليه سورة الجمعة: وآخريين منهم لما يلحقوا بهم قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجع حتى سأله ثلاثاً، وفيها سلمان الفارسي، وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل ٥».

ص: ١٢٦

١- البغوي كما في المصدر السابق ص ٣٠٠.

٢- تفسير البغوي: ج ٢ ص ٢٨٥.

٣- الجمعة: الآية ٣.

٤- تاريخ ابن الأثير: ج ٤ ص ٢١٦.

٥- مفحومات القرآن في مبهمات القرآن: ص ٤٦.

٦- صحيح البخاري: ج ٣ ص ١٢٥.

من هؤلاء»، وأخرج مسلم نحوه في كتاب الفضائل، باب فضل سلمان.

وأخرج الحافظ أبو نعيم^(١) بإسناده أحاديث رويت عن النبي صلى الله عليه وآله في فضل الإيرانيين وأنهم المبشرون بمنال الإيمان والتحقق به وإن كان عند الثريا، ولفظ بعضها: لو كان الدين عند الثريا لذهب رجل أو قال: رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه، وفي بعضها إنه قال صلى الله عليه وآله: «أعظم الناس نصيباً في الإسلام أهل فارس، لو كان الإسلام في الثريا لتناوله رجال من أهل فارس»، وفي بعضها:

«لو كان الدين معلقاً»، وفي بعضها: لو كان هذا العلم بالثريا لناله قوم من أهل فارس، وفي بعضها: لو كان الخير منوطاً بالثريا لتناوله منكم رجال (إلخ).

قوم نشأ فيهم من رجالات العلم والفقه والحديث والتاريخ، والفلاسفة والمتكلمين، وأساتذته البلاغة والأدب من يفتخر بهم الملاء الإسلامى، كالبخارى والنسائى، وأبى داود السجستانى، والترمذى وابن ماجه ومسلم من أرباب السنن، والطبرى وابن ماكولا الجرفاذقانى (الكيايگانى) والحاكم والنيسابورى، والفخر الرازى والبيضاوى والفيروز آبادى وغيرهم من أعلام السنين.

وكالصدوق والكلينى والشيخ الطوسى، وأمين الإسلام الطبرسى والطبرى الشيعى، وابن شهر آشوب، والأردبيلى، والسيد عليخان الشيرازى وقطب الدين الرازى، والشيخ الرضى مؤلف كتاب شرح الرضى، والعلامة المجلسى، والفيلسوف أبى نصر الفارابى، وأبى على سينا البلخى، والخواجه نصير الدين الطوسى وابن مسكويه، والحكيم الإلهى السيد الداماد، وصدر المتألهين).

ص: ١٢٧

١- حليه الأولياء: ج ١ ص ١٢ إلى ١٤ (ط ليدن ١٩٣١ م).

الشيرازى والفاضل الآوى، وسالار الديلمى، والشيخ بهاء الدين محمد العاملى، والوحيد البهبهانى، والفاضل النراقى، والشيخ الأنصارى والميرزا الشيرازى، وفى هذا العصر ترجمان العلوم الإسلاميه أستاذنا السيد الزعيم آغا حسين الطباطبائى البروجردى المتوفى سنه ١٣٨٠ (١) وغيرهم من أعلام الشيعة.

فحق للإيرانى بل لكل مسلم أن يفتخر بألوف من أمثال هؤلاء الجهابذه، والنوابغ الذين لا ينسى التاريخ مساعيهم المشكوره فى خدمه الإسلام، وجهودهم فى الإحتفاظ بشعائر الدين الحنيف، وهذه كتبهم ومدارسهم ومساجدهم تنبى عن قدمهم الراسخه فى الغيره على الإسلام وكتابه وأمته، وعن خلوص نياتهم فى سبيل إعلاء كلمه التوحيد وإن نسب إليهم الخطيب التعصب للمجوس، فالله تعالى يقول: وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (٢)، ويقول عز شأنه: ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (٣). ٩.

ص: ١٢٨

١- وقد كان أكبر همّه إعلاء كلمه الإسلام، وبسط تعاليمه فى العالم، وكان من الزعماء المصلحين الداعين إلى الإتحاد والإتفاق، والأخوة الإسلاميه والإعتصام بحبل الله تعالى، وله فى التقريب خطوات واسعه، وجهوده مشكوره لا تنسى، فرحمه الله تعالى وأرضاه.

٢- محمد صلى الله عليه و آله: الآية ٣٨.

٣- الشعراء: الآية ١٩٨-١٩٩.

مما اتفق عليه المسلمون خلفاً عن سلف، وتواترت فيه الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه لا بد من إمام يخرج في آخر الزمان من نسل علي وفاطمه يسمى باسم الرسول ويلقب بالمهدي، ويستولى على الأرض ويملك الشرق والغرب، ويتبعه المسلمون ويهزم جنود الكفر، ويملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وينزل عيسى من السماء ويصلي خلفه...

وأخرج جمع من أعلام أهل السنه والجماعه روايات كثيره في أنه من عتره رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ولد فاطمه، ومن ولد الحسين، وإنه يملأ الأرض عدلاً، وإن له غيبتين إحديهما تطول، وإنه الخليفه الثاني عشر من الخلفاء الذين أخبر النبي صلى الله عليه وآله بأنهم يملكون أمر هذه الأمة، وإنه لا يزال هذا الدين منيعاً إلى اثني عشر، وفي شمائله وخلقه وخلقه، وسيرته بين الناس، وشدته على العمال،

وجوده بالمال، ورحمته بالمساكين، وفي اسم صاحب رايته وما كتب فيها، وكيفيه المبايعه معه بين الركن والمقام، وما يقع قبل ظهوره من الفتن وذهاب ثلثي الناس بالقتل والموت، وخروج السفيناني واليماني والدجال، ووقوع الخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكيه، وفي علائم ظهوره وأنه ينادى ملكك فوق رأسه: (هذا المهدي خليفه الله فاتبعوه) وإن شيعته يسيرون إليه من أطراف الأرض، وتطوى لهم طياً حتى يبابعوه، وإنه يستولى على البلدان، وإن الأمم ينعمون في زمنه نعمه لم ينعموا مثلها. وغيرها من العلائم والأوصاف التي اقتطفناها من روايات أهل السنه، فراجع كتبهم المفرده في ذلك: كأربعين الحافظ أبي نعيم الإصبهاني، والبيان في أخبار صاحب الزمان لأبي عبدالله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨هـ)، والبرهان في علامات مهدي آخر الزمان للعلامه المتقى صاحب منتخب كنز العمال (ت ٩٧٥هـ)، والعرف الوردى في أخبار المهدي للسيوطي (ت ٩١١هـ)، والقول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر (ت ٩٧٤هـ)، وعقد الدرر في أخبار المنتظر للشيخ جمال الدين يوسف الدمشقي من أعلام القرن السابع، والتوضيح في تواتر ماجاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).

أضف إلى ذلك روايات أخرجهما أكابر المحدثين منهم في كتبهم وصحاحهم ومسانيدهم كأحمد، وأبي داود، وابن ماجه، والترمذي، ومسلم، والبخاري، والنسائي، والبيهقي، والماوردي، والطبراني، والسمعاني، والرويانى، والعبدرى وابن عساكر، والدارقطنى، وأبي عمرو الدانى، وابن حبان، والبغوى، وابن الأثير، وابن الديبع، والحاكم النيسابورى، والسهيلي، وابن

عبد البر والشبلنجي، والصّبّان والشيخ منصور على ناصف، وغيرهم ممن يطول الكلام بذكر أسمائهم.

وأضف إليها تصريحات جماعه من علمائهم بتواتر الأحاديث الواردة في المهدي عليه السلام (1).

فلا خلاف بين المسلمين في ظهور المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وإنّما الخلاف وقع بينهم في أنّه ولد أو سيولد، فالشيعة الإماميه يقولون بولادته، وبوجوده وحياته وغيبته، وإنّه سيظهر بإذن الله تعالى، وإنّه الإمام الثاني عشر، وهو ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ورواياتهم في ذلك تجاوزت حدّ التواتر، معتبره في غايه الإعتبار، مؤيّده بعضها ببعض، وكثير منها من الصحاح بل مقطوع الصدور، رواها في جميع الطبقات الأثبات الثقات، من الأجلّاء الذين لا طريق للغمز فيهم، وإن شئت أن تعرف مقدار ذلك فارجع إلى ما ألفه الحافظ الجليل الثقة أبو عبدالله النعماني بإسناده العاليه، وما ألفه الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الإمام فيا.

ص: ١٣١

١- راجع في ذلك: غايه المأمول ج ٥ ص ٣٦٢ و ٣٨١ و ٣٨٢، والصواعق ص ٩٩ (ط المطبعه الميمنيه بمصر)، وحاشيه الترمذى ص ٤٦ (ط دهلي) ص ١٣٤٢، وإسعاف الراغبين ج ٢ ص ١٤٠ (ط مصر س ١٣١٢)، ونور الأبصار ص ١٥٥ (ط مصر ١٣١٢)، والفتوحات الإسلاميه ج ٢ ص ٢٠٠ (ط ١٣٢٣)، وسبائك الذهب ص ٧٨، والبرهان في علامات مهدي آخر الزمان ص ١٣، ومقاليد الكنوز المطبوع بذييل مسند أحمد ج ٥ ح ٣٥٧١، والإذاعه لما كان وما يكون بين يدي الساعه، والإشاعه لأشراط الساعه، وإبراز الوهم المكنون، وغيرها.

جميع العلوم الإسلامية، وكتاب كمال الدين وتمام النعمة تأليف الشيخ المحدّث الكبير محمد بن علي ابن الحسين الصدوق (ت ٣٨١هـ) وكتابنا منتخب الأثر، ومئات من الكتب المصنفة في ذلك.

وهذه الروايات مخرّجه في أصول الشيعة وكتبهم المؤلّفه قبل ولاده الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليهما السلام، بل قبل ولاده أبيه وجده عليهم السلام.

منها كتاب المشيخه لإمام أهل الحديث الشيخ الثقة الثبت الحسن ابن محبوب السّرّاد الذي كتبه هذا في كتب الشيعة أشهر من كتاب المزني ونظرائه، وصنّفه قبل ولاده المهدي بأكثر من مائه سنه، وذكر فيه أخبار الغيبه فوافق الخبر المخبر، وحصل كلما تضمّنه الخبر بلا اختلاف.

وأما ولادته عليه السلام (فقد ثبت بأوكد ما يثبت به أنساب الجمهور من الناس إذ كان النسب يثبت بقول القابله، ومثلها من النساء اللاتي جرت عادتهنّ بحضور ولاده النساء، وتولّى معونتتهن عليه، وباعتراف صاحب الفراش وحده بذلك دون من سواه، وبشهادته رجلين من المسلمين على إقرار الأب بنسب الإبن منه، وقد ثبتت أخبار عن جماعه من أهل الديانه والفضل، والورع والزهد، والعباده والفقّه، عن الحسن بن علي أنه اعترف بولاده المهدي عليه السلام، وآذنههم بوجوده، ونص لهم على إمامته من بعده، وبمشاهده بعضهم له طفلاً، وبعضهم له يافعاً، وشاباً كاملاً) (١).

وهذا الفضل بن شاذان العالم المحدّث المتوفى قبل وفاه الإمام أبي محمد.

ص: ١٣٢

١- الفصول العشره في الغيبه للمفيد.

الحسن العسكري عليه السلام، روى عنه في كتابه في الغيبة خبر ولاده ابنه المهدي، وكيفية تاريخها، وكانت ولادته عليه السلام بين الشيعة وخواص أبيه من الأمور المعروفة، وقد أمر أبوه عليه السلام أن يعق عنه ثلاث مائه شاه، وعرضه على أصحابه يوم الثالث من ولادته.

والأخبار الصحيحة الواردة بإسناد عاليه في ذلك كثيرة متواتره جداً، وقد أحصى بعض العلماء أسماء جماعه ممن فازوا بلقائه في حياه أبيه وبعدها، كما قد نقل عن بعض أهل السنه الاجتماع به عليه السلام، بل أخرج بعض حفاظهم مثل حافظ زمانه أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري الحديث عنه عليه السلام.

نعم كان أبوه وشيعته يسترون ولادته عن أعدائه من بنى عباس وغيرهم، وكان السر في ذلك إن بنى العباس لما علموا من الأخبار المرويه عن النبي والأئمه من أهل البيت عليهم السلام أن المهدي هو الثاني عشر من الأئمه، وهو الذي يملأ الأرض عدلاً، ويفتح حصون الضلاله، ويزيل دوله الجابره، أرادوا إطفاء نوره بقتله، فلذا عتِنوا العيون والجواسيس للتفتيش عن بيت أبيه، ولكن أبى الله إلماً أن يجرى في حجتة المهدي سُينه نبيه موسى عليهما السلام، وقد ورد في الروايات الكثيره عن آبائه عليهم السلام خفاء ولادته، ومشابهته في ذلك بموسى عليه السلام، فراجع الباب الثاني والثلاثين من الفصل الثاني من كتابنا منتخب الأثر.

فعلى هذا لم ينبعث الإيمان بظهور المهدي عليه السلام إلماً من الإيمان بنبوه جده محمد صلى الله عليه وآله، وليس في الخصوصيات المذكوره أمر غير مألوف مما لم نجد مثله في هذه الأمه أو الأمم السالفه، فلا بد لمن يؤمن بالله وبالنبي الصادق المصدّق بعد العلم بهذه الأخبار الكثيره الإيمان بظهور المهدي المنتظر صاحب هذا النسب

المعلوم، والسمات والنعوت المشهوره، ولا يجوز مؤاخذه الشيعى بانتظار هذا الظهور، ولا يصح دفع ذلك بمحض الإستبعاد.

فالمسلم الذى يؤمن بحياه عيسى، بل وحياه الدجال الكافر، وخروجه فى آخر الزمان، وبحياه خضر وإدريس، ويروى عن نبيه فى أصح كتبه فى الحديث(١) إنه احتمال كون ابن صياد هو الدجال، ويروى عن تميم الدارى ما هو صريح فى أنّ الدجال كان حياً فى عصر النبى صلى الله عليه وآله وأنه يخرج فى آخر الزمان، ويؤمن بطول عمر نوح ويقراً فى القرآن: فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً(٢) وقوله تعالى: فلولا- أنه كان من المسبّحين للبت فى بطنه إلى يوم يبعثون(٣) وأمثال هذه الأمور مما يستغربه بعض الأذهان لقله الأُنس به، كيف يعيب الشيعة على قولهم ببقاء الإمام المنتظر، وينسبهم إلى الجهل وعدم العقل، ومفاسد هذه الإستبعادات فى المسائل الدينيه كثيره، ولو فتح هذا الباب لأمكن إنكار كثير من المسائل الإعتقاديّه وغيرها مما دلّ عليه صحيح النقل بالإستبعاد، ويلزم من ذلك طرح ظواهر الأخبار والآيات بل وصريحها، ولا أظن بمسلم أن يرضى بذلك وإن كان الخطيب ربّما لا يأبى عن ذلك ويراه نوعاً من الثقافه.

ووافق الإماميه من أعلام أهل السنه فى أنّ المهدي هو ابن الحسن ٤.

ص: ١٣٤

-
- ١- يراجع صحيح مسلم، القسم الثانى من الجزء الثانى، باب ذكر ابن صياد وباب خروج الدجال، وسنن الترمذى ج ٢، وأبى داود، باب خبر ابن صايد من كتاب الملاحم، وابن ماجه ج ٢ أبواب الفتن، باب فتنه الدجال، وخروج عيسى عليه السلام.
 - ٢- العنكبوت: ١٤.
 - ٣- الصافات: ١٤٣-١٤٤.

العسكري عليهما السلام جمع كثير كصاحب روضه الأحياء، وابن الصباغ مؤلف (الفصول المهمه) وسبط ابن الجوزى مؤلف (تذكره الخواص) والشيخ نور الدين عبدالرحمن الجامى الحنفى فى كتاب (شواهد النبوه) والحافظ محمد بن يوسف الكنجى الشافعى مؤلف (البيان فى أخبار صاحب الزمان) والحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى الفقيه فى (شعب الإيمان) فإنه يظهر منه على ما حكى عنه الميل إلى موافقه الشيعة بل اختيار قولهم، وذلك لأنه نقل عقيدته الشيعة ولم ينكرها، وكمال الدين محمد بن طلحه الشافعى صاحب (العقد الفريد) صرح بذلك فى كتابه (الدر المنتظم) و (مطالب السؤل) وله فى مدحه عليه السلام أبيات، والقاضى فضل بن روزبهان شارح الشمائل للترمذى، ومؤلف (أبطال نهج الباطل) وابن الخشاب والشيخ محبى الدين، والشعرانى، والخواجه محمد پارسا، وملك العلماء القاضى شهاب الدين دولت آبادى فى (هدايه السعداء) والشيخ سليمان المعروف بخواجه كلان البلخى القندوزى فى (ينابيع الموده) والشيخ عامر بن عامر البصرى صاحب القصيده التائيه المسماه بذات الأنوار وغيرهم من العلماء ممن يطول بذكرهم الكلام.

وقد صرح بولادته جماعه من علماء أهل السنه الأساتذه فى النسب والتاريخ والحديث كابن خلكان فى (الوفيات) وابن الأزرق فى (تاريخ ميفارقين) على ما حكى عنه ابن خلكان، وابن طولون فى (الشذرات الذهبية) وابن الوردى على ما نقل عنه فى (نور الأبصار) والسويدى مؤلف (سبائك الذهب) وابن الأثير فى (الكامل) وأبى الفدا فى (المختصر) وحمدالله المستوفى فى (تاريخ كزیده) والشبراوى الشافعى شيخ الأزهر فى عصره فى (الإتحاف)

والشبلنجى فى (نور الأبصار) بل يظهر منه اعتقاده بإمامته، وأنه المهدي المبشّر بظهوره، وإن شئت أن تقف على أكثر من ذلك فراجع كتابنا (منتخب الأثر) الباب الأول من الفصل الثالث منه.

ومع هذا أليس من عجيب جرأه الخطيب وعناده وتحامله على الشيعة إنكاره فى ص ١٦ و ٢٩ ولاده المهدي عليه السلام لأنها لم تسجّل بزعمه فى سجل مواليد العلويين، وقد خرج هنا عن حدود الأدب وبالغ فى الفحش والإفتراء، وأظهر سجيته «وكل إناء بالذى فيه ينضح» ولم يستند فيما ذكره من الأراجيف والأضاليل إلى البرهان، وادّعى أنّ ولادته لم تسجّل فى مواليد العلويين، كأنهم جعلوا سجل مواليدهم عنده، وكان هو النقيب القائم على سجل ولاداتهم، وعلم أنساب أهل البيت مذخور عنده دون غيره من العلويين وشيعتهم ودون أرباب التواريخ وعلماء الأنساب، فمن لم يعرفه الخطيب ليس منهم؟

أيها الخطيب! ما هذا السجل الذى سجّل فيه ولاده العلويين فى عصر الإمام أبى محمد الحسن العسكرى عليه السلام، ومن أين يطلب؟ ومن أخبرك به؟ ومن أطلعك على مواليد جميع العلويين؟ ومن كان النقيب فى تلك الأعصار؟ ومن أين تقول إنّ العلويين لا يعرفون ولداً للحسن العسكرى عليه السلام، مع أن كثيراً منه من أخلص الناس ولاء له؟ وهل يوجد طريق لإثبات ولاده المولود أوثق من أخبار والده وقابله، وخواص أهل بيته؟ أيشك عاقل فى ولاده من رآه مئات من الناس، والأخبار الأثبات، وظهرت منه الكرامات الكثيره؟

إذا كان هذا ومثله معرضاً للشك فلا يبقى اعتماد على ما نقله التاريخ من حوادث الأعصار ووقائع الأمصار.

نعم قد خفيت ولادته عن أعدائهم لأنهم كانوا ساعين في إطفاء نوره والإستيلاء عليه، لما وصل إليهم من الأخبار المباشرة بظهوره، وأنه هو الشخص الذي يزيل دوله الجبابره، فهذا المعتضد الخليفه العباسى يرسل الجواسيس إلى بيت الإمام الحسن بن على العسكرى عليهما السلام لأخذ ابنه(1).

ومن الأغلاط الفاحشه التى أسنדהا هذا الرجل (تبعاً لأسلافه) إلى الشيعة هو أنّ الإمام المنتظر مخبوء فى سرداب بيت أبيه، وأسند اختراع هذه الفكره إلى محمد بن الحسن النميرى المعروف بين الشيعة بالكفر والزندقه والإلحاد، والملعون فى لسان الإمام أبى الحسن على الهادى عليه السلام، وأعجب من ذلك عدّه النوّاب وو كلاء الإمام باباً للسرداب إلى آخر ما قال من الهديان والإفتراء.

أقول: هذه كتب الشيعة المؤلفه قبل ولاده المهدي وولاده أبيه وجده عليه السلام إلى هذا الزمان ليس فيها لهذا البهتان أثر فى كتاب واحد من أصاغر علماء الشيعة فضلاً عن أكابره كالكلىنى والصدوق والنعمانى، والمفيد والشيخ، والسيدى المرتضى والرضى وغيرهم، فراجع كتب الشيعة حتى تقف على مبلغ عصبيته.

ص: ١٣٧

١- ذكرنا فى منتخب الأثر أسماء جماعه ممن شاهدوه فى حياه أبيه، وأما أسماء الذين شاهدوه من ابتداء زمان غيبته إلى هذا الزمان فليس فى وسع الكاتب إحصاؤها وضبطها، وقد صنف فى أسمائهم وحكاياتهم كتباً مفردة ككتاب (تذكره الطالب فىمن رأى الإمام الغائب) و (تبصره الولى فىمن رأى القائم المهدي عليه السلام) و (دار السلام فىمن فاز برؤيه الإمام) و (بدائع الكلام فىمن فاز بلقاء الإمام) و (بهجه الأولياء فىمن فاز بلقاء الحجه عليه السلام)، وكذا ذكرنا فيه أخبار ولادته وعله غيبته، وشباهته فى ولادته بموسى على نبينا وآله وعليه السلام، فعليك بالرجوع إليه فإننا قد استقصينا الكلام حول نواحي وجوده وشخصيته الكريمة.

الخطيب ونظرائه وعنادهم، وتعرف ميزان ثقافتهم وعلمهم بآراء الفرق والمذاهب.

نعم لو قرأ هو وأسلافه كتب الشيعة لوجدوها مشحونة من أحاديث تكذب هذه النسبه، ولكنهم لم يعتادوا الفحص والتبع والتحقيق سيما في الفرق والمذاهب فيقولون فيهم ما يشاؤون، ويتبعون ما لا يعلمون وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون.

ص: ١٣٨

وقع البحث بين الشيعة وغيرهم فى مسأله الرجعه منذ عهد قديم، مما يرجع تاريخه إلى المائه الأولى من الهجره، ولهم فيها مقالات وبحوث واحتجاجات، يجدها المتتبع فى كتب الفريقين، وكان القول بالرجعه رأى العتره الطاهره، و كان البحث فيها رائجاً بينهم وبين غيرهم، ومستندهم فى ذلك آيات من القرآن المجيد، وروايات رووها بإسنادهم الذهبية عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

فالحقيقه التى لا يمكن إنكارها لدى الباحثين فى المسائل الإسلاميه أنّ المصدر فى العقيدة بالرجعه أئمه أهل البيت الذين ثبت وجوب التمسك بهم بحديث الثقلين وغيره.

فالشيعة تقول بالرجعه على نحو الإجمال لاستلزام إنكارها رد القرآن والروايات المتواتره المخرجه فى كتبهم المعتره، ولعدم مانع عقلى أو شرعى من القول بها.

واستشهدوا لأصل إمكان الرجعه ووقوعها وعدم استحالتها بوقوعها في الأمم السالفه، وقد أخبر الله تعالى عنه في آيات: منها قوله تعالى: ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم(١) وقوله تعالى: أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه(٢).

ويمكن الإستشهاد له أيضاً بقوله تعالى: فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمه من عندنا وذكرى للعابدين(٣).

واستدلوا بأنها سيقع في هذه الأمة لا محاله بقوله تعالى: ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون(٤) فإن هذا اليوم ليس يوم القيامة لأن فيها يحشر الله تعالى جميع الناس، لقوله تعالى: وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً(٥).

فأخبر الله تعالى في الآيتين بأن الحشر حشران: حشر عام، وحشر خاص، فاليوم الذي يحشر فيه من كل أمة فوجاً لا بد أن يكون غير يوم القيامة وهو يوم الرجعه، واعتمدوا أيضاً فيها على روايات كثيرة، منها الخبر المعروف بين الفريقين: لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا(٧).

ص: ١٤٠

١- البقره: الآيه ٢٤٢

٢- البقره: الآيه ٢٥٩.

٣- الأنبياء: الآيه ٨٤.

٤- النمل: الآيه ٨٣.

٥- الكهف: الآيه ٤٧.

فيجب أن يكون من هذه الأمة قوم يرجعون إلى الدنيا بعد موتهم كما وقع ذلك في الملائ الذين خرجوا من ديارهم وفي غيرهم. فلا وجه لأن يستبعد الرجعه من يؤمن بالله تعالى وبقدرته، بعد دلاله العقل والنقل على إمكانها، وبعد وقوعها في الأمم السابقة وإخبار النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته بوقوعها في هذه الأمة، ولا قيمه للاستبعاد في إنكارها، وإلا لجاز أن يرد به كثير من معجزات الأنبياء، وإحياء الموتى يوم القيامة، وعذاب القبر، وغيرها من المطالب الثابتة بالنقل.

وأما ما ذكر الخطيب في ص ١٦ و ١٧ وغيرهما حول تفاصيل الرجعه وكيفيتها فليس أكثره مما دلت عليه آية، أو وردت فيه روايه معتمده صحيحه، بل لا يلزم الإعتقاد ببعض هذه التفاصيل، وإن وردت فيه روايه، لعدم حجيه أخبار الآحاد في المسائل الإعتقاديّه.

هذا مضافاً إلى ضعف كثير من هذه الأخبار الدالّة على التفاصيل؛ إما من جهة الدلالة أو من جهة السند، ومع هذا كيف أسند هذا المفترى على الشيعة ما ذكره في ص ٢٠ من الإعتقاد برجعه الشيخين وصلبهما على شجره في زمان المهدي عليه السلام، وأعجب من ذلك إسناده هذه العقيدة إلى السيّد الشريف المرتضى الذي اشتهر عنه عدم جواز الإحتجاج بأخبار الآحاد في الفروع الفقهيّه، فضلاً عن مثل هذه المسأله، وهذا كتاب مسائل الناصريه موجود عندها، لم نجد فيه ٢.

ص: ١٤١

بحثاً عن الرجعه.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أنّ القول بالرجعه ليس مورد اتفاق جميع الشيعة^(١) وليس التشيع منوطاً به، ولا من لم يتحصّله خارجاً عنه، ولم يؤمن بها من آمن بها إلتاسليماً بما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله، وتصديقاً لما أنبأ عن المغيبات، ولكن القوم ينكرون ذلك على الشيعة ويؤاخذونهم به كأنهم عبدوا حجراً أو صنماً.

فعلى ما ذكر ليس فى العقيدة بالرجعه سيما على وجه الإجمال ما يمنع من التفاهم والتقريب، ولا منافاه بين هذه العقيدة وبين جميع ما يجب أن يلتزم به المسلم من أركان الدين وما بنى عليه الإسلام).

ص: ١٤٢

١- سئل الشريف المرتضى فى المسائل التى وردت عليه من الرى عن حقيقه الرجعه فأجاب: بأنّ الذى تذهب إليه الشيعة الإماميه أنّ الله تعالى يعيد عند ظهور المهدي عليه السلام قوماً ممن كان تقدم موته من شيعته وقوماً من أعدائه، وأنّ قوماً من الشيعة تأوّلوا الرجعه على أنّ معناها رجوع الدوله والأمر والنهى من دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات. (أعيان الشيعة ص ١٧٣ و ١٧٤ ج ١).

نسب الخطيب فى ص ٢٠ إلى الشريف المرتضى وأخيه الشريف الرضى الإشتراك فى تزوير الزيادات على نهج البلاغه. فقال فيما ذكر أخيراً فى الرجعه السيد المرتضى مؤلف كتاب أمالى المرتضى وهو أخو الشريف الرضى الشاعر، وشريكه فى تزوير الزيادات على نهج البلاغه، ولعلها أكثر من ثلث تلك الكتاب، وهى التى فيها تعريض للصحابه وتحامل عليهم إلخ.

إذا وصف الطائى بالبخل مادر

من هو أنّ الدنيا أنّ من ملأ كتاباً بأبشع الأكاذيب، وخان الإسلام بقلمه وتزويراته، ينسب إلى التزوير من بلغ فى الصدق والأمانه والتثبت درجه قلماً يوجد نظيره فى العلماء الأثبات الثققات، وإننى أرى أنّ الإعراض والصفح الجميل عن سوء أدبه بالسيدىين أولى، فإن تحامل مثله عليهما لا- يمس ما هما عليه من الجلاله وقداسه النفس والشخصيه والعبقريه وعلو المقام، فهما المثلان البارزان فى العلم والأدب والبلاغه، وإباء النفس وعلو الطبع، والتقوى وكرائم الأخلاق ومحامد الأوصاف.

وقد شهد بعضه قدرهما ونبوغهما فى العلم والأدب والورع والدين عظماء الفريقين، وترجمهما علماء التاريخ والرجال، ومؤلفو المعاجم، وأثنوا عليهما بكل الثناء.

وهذه عشرات من تصانيفهما تنبئ عن شموخ مقامهما، وخدماتهما للعلوم الإسلاميه والأدب العربى، فجدير بكل مسلم فى شرق الأرض وغربها أن يعتر بهما.

وقد تخرّج من مدرستهما جماعه من العلماء الفطاحل الأفاضل، وشُدّت إليهما الرحال، ووفد إليهما الناس من كل الأصقاع ليس فيهما وضع غمز، ومكان عيب.

والحق أنّهما معجزتان من معجزات الإسلام، ومفخرتان لأهل بيت سيد الأنام، وآيتان ظاهرتان من آيات الله البيّنات، وشأن من هذا مكانته فى الجلاله والتقوى أعلى وأنبل من التزوير والكذب، ولو كان مثل السيدين معرضاً لتهمه الكذب والتزوير لما بقى فى العلماء ونقله الأحاديث من يعتمد على أقواله

ورواياته.

ولو كان جميع ما فى نهج البلاغه مما يوافق هوى الخطيب لكان الشريف الرضى عنده من أوثق الرواه، وكان كتابه عنده فى المرتبه العليا من الإعتبار.

ص: ١٤٥

إليك ما قاله الأستاذ الشيخ محمدحسن نائل الرصفي في مقدمه كتابه شرح نهج البلاغه:

أما كتاب نهج البلاغه فهو الكتاب الذي أقامه الله حجه واضحه على أن علياً (رضي الله عنه) قد كان أحسن مثال حي لنور القرآن وحكمته، وعلمه وهدايته، وإعجازه وفصاحته، اجتمع لعل في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء، وأفذاذ الفلاسفه، ونوابغ الربانيين من آيات الحكمة الساميه، وقواعد السياسه المستقيمه، ومن كل موعظه باهره، وحجه بالغه تشهد له بالفضل وحسن الأثر، خاض على في هذا الكتاب لُجّه العلم والسياسه والدين، فكان في كل هذه المسائل نابغه مبرزاً، ولئن سألت عن مكان كتابه من العلم فليس في وسع الكاتب المسترسل، والخطيب المصقع، والشاعر المفلق أن يبلغ الغايه من وصفه، والنهايه من تقريظه، وحسبنا أن نقول إنه الملتقى الفذ الذي التقى فيه جمال الحضاره وجزاله البداوه، والمنزل الفرد الذي اختارته الحقيقه لنفسها

ص: ١٤٧

منزلاً تطمئن فيه، وتأوى إليه بعد أن زلّت به المنازل في كل لغه(١).

وهو كتاب تتجلى فيه روح شريفه، يكسب القارئ في هذا الكتاب منها العصبية للحق، والشده في الدين، والقصد في الحكمة والسياسة، وعندنا أن الذين يسمون إلى الإصلاح في هذا البلاد يجب عليهم أن يتخذوا هذا الكتاب إماماً في إصلاحهم من جهاته اللغويه، والعلميه والدينيه، وأن الناشئين لو تأثروا هذا الكتاب في العبارة وصدق النظر، لبلغوا من قوتى العقل واللسان تلك المنزله التي تتمنى لهم، ونودّ أن لو يصلون إليها في وقت قريب(٢).

والذى لا- يعتريه الشك هو كون الجامع لهذا الكتاب الشريف الرضى، قد ثبت ذلك بالتواتر القطعى، وصرح به في غيره من تصانيفه(٣) وفي الجزء الخامس من تفسيره،(٤) ونسخه كتبت في عصر الشريف الرضى وشحت بخطه الشريف موجوده مشهوره، لم يشترك معه أحد في جمعه لا الشريف المرتضى ولا غيره، وهذا غنى عن البيان.

ولا- شك أيضاً في أنّ الشريف الرضى اختار ما فيه من الخطب والكلمات المأثوره عن أمير المؤمنين عليه السلام في الكتب المعروفه، والأصول المعتمده المعتبره، وكانت هذه الخطب والكتب والكلمات وحتى الخطبه الشقشقيه أيضاً(٧).

ص: ١٤٨

١- من مقدمه شارح نهج البلاغه الأستاذ الشيخ محمد حسن نائل المرصفي، مدرّس البيان بكلية الفريير الكبرى (طبع مصر سنه ١٣٢٨): ص ٤.

٢- شرح نهج البلاغه للشيخ محمد حسن نائل المرصفي المذكور.

٣- المصدر السابق: ص ٤١ و ١٦١ و ٢٢٣ و ٢٥٢.

٤- المصدر السابق: ص ١٦٧.

من خطب أمير المؤمنين عليه السلام المعروفه بين العلماء والمؤلفين، أثبتوها في الكتب قبل ولاده الرضى والمرضى وولاده أبيهما، وقد سبق الرضى (في جمع خطب أمير المؤمنين) أبو سليمان زيد الجهني، فألف في عصر أمير المؤمنين كتاب (الخطب) جمع فيما أملاه أمير المؤمنين عليه السلام كما قد شرح خطب أمير المؤمنين (قبل تأليف نهج البلاغه) جماعه كأبي الحسين أحمد بن يحيى الراوندى المتوفى سنة ٢٤٥ هـ، والقاضى أبى حنيفه نعمان المغربى المتوفى سنة ٣٦٣ هـ.

وكيف يقبل العقل أن يزور مثل الشريف على مثل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى كتاب اطلع عليه السنّى والشيعى فى عصره، سيما فى مدينه بغداد الحافله بجماهير من العلماء، من غير أن ينكر ذلك أحد عليه أو يرده، مع وجود الدواعى الشديده لهم فى تكذيبه، وإظهار تزويره، فاحتمال ذلك حتى بالنسبه إلى كلمه من هذا الكتاب مقطوع العدم، وإن شك الخطيب فيها، فمثل العلّامه الشيخ محمد عبده يصرّح بأنّ جميع ألفاظ كتاب نهج البلاغه صادر عن الإمام على عليه السلام، ويجعل ما فيه حجه على معاجم اللغه، فراجع ما كتبه الأستاذ محمد محيى الدين المدرّس فى كليه اللغه العربيه بالجامع الأزهر مقدّمه على نهج البلاغه وشرحه، وراجع أيضاً مقدّمه شرح الشيخ محمد عبده، وشرح ابن أبى الحديد، وغيرها من الشروح، وكتاب (ما هو نهج البلاغه) و (الذريعه: ج ١٤ ص ١١١-١٦١) وكتاب مدارك نهج البلاغه ودفع الشبهات عنه حتى تعرف مبلغاً من مكانه هذا الكتاب وقوه اعتباره.

نقل الخطيب فى ص ٢١ عن بعض الشيعة أنه نفى نعمه الإيمان عن أبى بكر وعمر، لأنه قال فى كتابه: وإن قالوا إنَّ أبابكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نص على الرضا عنهم فى القرآن فى قوله فى هذه السوره (يعنى الفتح):

لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجره (١) قلنا: إنه لو قال: لقد رضى الله عنه الذين يبايعونك تحت الشجره أو عن الذين بايعوك لكان فى الآيه دلالة على الرضا عن كل من بايع، ولكن لما قال: لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك فلا دلالة فيها إلأعلى الرضا عن محض الإيمان.

ص: ١٥١

١- الفتح: الآيه ١٨.

(ثم قال الخطيب): ومعنى ذلك أنّ أبابكر وعمر لم يحضرا الإيمان فلا يشملهما رضا الله.

نحن نسوق الكلام أولاً: فيما يستفاد من الآيه، وثانياً: فى أنّ نفى الإيمان عن بعض الصحابه إذا كان النافى مجتهداً متأولاً، هل يوجب الكفر أو الفسق عند أهل السنه أم لا؟ ونبحث فى كلتا الجهتين من ناحيتهما العلميه.

أمّا الكلام فى الآيه الكريمه: فلا شك فى دلالتها على فضل بيعه الرضوان وفضل المؤمنين الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه و آله تحت الشجره، ولكن لا- دلالة لها على الرضا عن كل من بايعه حتى المنافقين الذين لا دافع لاحتمال دخول بعضهم فى المبايعين.

فالحكم بالرضا عن شخص معيّن إنّما يصح إذا كان إيمانه محققاً معلوماً، فلا يشمل من ليس مؤمناً وإن كان من المبايعين، كما لا- تشمل الآيه المؤمن الذى لم يكن حاضراً تحت الشجره فلم يبايع هناك، كما لا يجوز التمسك بالآيه لإثبات إيمان بعض معيّن من المبايعين لو صار معرضاً للشك، كائناً من كان، فإنّه هو التمسك بعموم العام فى الشبهه المصداقيه الذى برهن فى الأصول على عدم صحته، نعم لو قال لقد رضى الله عن الذين بايعوك تشمل كل من بايعه كائناً من كان وإن شك فى إيمانه، ولكن لا- يجوز التمسك به فيمن شككنا فى أصل بيعته، كما لا- يثبت إيمان من شككنا فى إيمانه بقوله: لقد رضى الله عن المؤمنين(1) وهذا كلام متين فى غايه المتانته، ولذا سكت الخطيب عن جوابه. ٨.

ص: ١٥٢

١- الفتح: الآيه ١٨.

وأيضاً هذه الآيه لاتدلّ على حسن خاتمه أمر جميع المبايعين المؤمنين، وإن فسق بعضهم أو نافق، لأنها لا تدلّ على أزيد من أن الله تعالى رضى عنهم ببيعتهم هذه، أى قبل عنهم هذه البيعه ويشبههم عليها، وهذا مشروط بعدم إحداث المانع من قبلهم. والحاصل أن اتصاف الشخص بكونه مرضياً لا يكون إلا بواسطة عمله المرضى، والعامل لا يتصف بنفسه بهذه الصفه، فهذه صفه تعرض الشخص بواسطة عمله، فإذا صدر عنه الفعل الحسن والعمل المرضى يوصف العامل بهذه الصفه أيضاً، ولا دلالة للآيه على أنّ من رضى الله عنه بواسطة عمله يكون مرضياً طول عمره، وإن صدرت منه المعاصى الموبقه بعد ذلك، ورضا الله تعالى عن أهل بيعه الحديبيه ليس مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد، والدليل على ذلك قوله تعالى فى هذه السوره فى شأن أهل هذه البيعه وتعظيمها:

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتية أجراً عظيماً (١).

فلو لم يجز أن يكون فى المبايعين من ينكث بيعته وكان رضا الله عنهم مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد لافائده لقوله تعالى: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه.

وأيضاً قد دلت آيات من القرآن وأحاديث صحيحه على وقوع غضب الله تعالى وسخطه على من يرتكب بعض المعاصى، ومع ذلك لم يقل أحد بأن هذا مانع من حسن إيمانه فى المستقبل، وذلك مثل قوله تعالى فى سوره الأنفال: .

ص: ١٥٣

١-الفتح: الآيه ١٠.

ومن يولهم يومئذ دبره إلامتحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئه فقد باء بغضبٍ من الله وماواه جهنم وبئس المصير (١).

فإذا لم يكن بوء شخص أو قوم إلى غضب الله مانعاً من حسن حاله في المستقبل لم يكن رضاه أيضاً سبباً لعدم صدور فسق أو كفر من العبد بعد ذلك.

والقول بدلاله الآية على حسن حال المبايعين مطلقاً، وعدم تأثير صدور الفسق عنهم في ذلك مستلزم للقول بوقوع التعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال المذكورة، فيمن ولّى دبره عن الجهاد من المبايعين، لأنها أيضاً تدلّ بإطلاقها على سوء حال من يولى دبره، وعدم تأثير صدور الحسنات في رفع ذلك.

هذا وقد أخرج مالك في الموطأ في باب الشهداء في سبيل الله، من كتاب الجهاد (٢) عن أبي النضر مولى عمر بن عبید الله: أنه بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ألسنا ياخوانهم أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا، فقال رسول الله: بلى ولا أدري ما يحدثون بعدى، قال: فبكى أبو بكر ثم بكى، ثم قال: أئنا لكاثنون بعدك؟

وهذا الحديث صريح بأنّ حسن خاتمه مثل أبي بكر من الصحابة المبايعين المهاجرين موقوف على ما يحدث بعد الرسول صلى الله عليه و آله).

ص: ١٥٤

١- الانفال: الآية ١٦.

٢- الموطأ لمالك: ص ١٧٣ و ١٧٤ (ط مطبعة الفاروقى).

هذا مختصر الكلام حول مدلول الآيه الكريمه، وعليه ليس المستفاد منها أنّ أبا بكر وعمر لم يحضوا الإيمان، نعم لا يثبت بها إيمان واحد معيّن من المبايعين على نحو التفصيل، فلا يصح التمسك بها في إثبات إيمان صحابي خاص وعدم نفاقه، أو حسن حاله إذا شك فيه، وإن كان الخطيب يرى دلالتها على أكثر من هذا، فليبين لنا حتى ننظر فيه.

ص: ١٥٥

حكم من نفى الإيمان عن بعض الصحابه أو سبب بعضهم عند أهل السنّه

لا حاجة إلى الإشارة إلى ماورد في ذم سب المؤمن، فإنّ هذا معلوم بالضرورة من الدين، وإنكار أصل حرمة موجب للكفر، ولا شك في أنّ المناقشات الحادثه بين المسلمين مناقشات صغرويه، مثل عداله شخص أو إيمانه، أو فسقه أو نفاقه، فالنزاع في هذه الأمور وأشباهاها يرجع إلى إثباتها بالأدله الشرعيه وعدمه، ويذهب كل من اختار أحد الطرفين إلى ما تقتضيه الأدله باجتهاده، ولو علموا جميعاً ثبوت شيء في الدين أو عدم ثبوته لم يختلفوا فيه، وقلما يوجد من حملته العصبية واللجاج على إنكار الحق فلا ريب في أنّ أكثر المسلمين من الطائفه الأولى لا ينكرون ما ثبت عندهم بالأدله الشرعيه.

فمن أنكر من المسلمين أمراً يراه غيره من الدين لعدم ثبوته عنده أو ثبوت خلافه ليس كافراً ولا فاسقاً، وإذا كان الحال هذا لا اعتراض على من قال الخطيب في ص ٢١: إنّ معنى كلامه إن أبابكر وعمر لم يمحصا الإيمان فلا

يشملهما رضا الله، ولا- يحكم بكفره وفسقه إذا كان ذلك منه عن اجتهاد وتأول، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث أخرجه البخارى ما نصّه(١): إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر.

وهذا ابن حزم يقول(٢): وذهبت طائفه إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا، وإن كل من اجتهد في شيء من ذلك، فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال، وإن أصاب فأجران وإن أخطأ فأجر واحد.

(قال:) وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة، والشافعي وسفيان الثوري، وداود بن علي، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً.

وقال الفاضل النبهاني في أوائل كتاب (شواهد الحق) على ما حكى عنه:

اعلم أنني لا أعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة لا الوهابية ولا غيرهم، وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمه التوحيد والإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله، وما جاء من دين الإسلام.

وبالغ في ذلك الشيخ أبو طاهر القزويني (على ما حكى عنه) في كتابه (سراج العقول) فقال بإثبات الإسلام لكل فرد من أهل القبلة، وجزم بنجاه الجميع من كل فرق الإسلام، وحكى عن شيخ الساده الحنفية ابن عابدين في ٧.

ص: ١٥٨

١- في باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ: ج ٤ ص ١٦٥ (ط مصر سنة ١٣٢٠).

٢- المصدر السابق: ج ٣، ص ٢٤٧.

باب المرتد من كتاب الجهاد ص ٣٠٢: أنه حكم قاطعاً بإسلام من يتأول في سب الصحابه، مصرحاً بأن القول بتكفير المتأولين في ذلك مخالف لإجماع الفقهاء.

وقد أسلفنا في بعض المباحث السابقه مقاله ابن حزم فيمن سب أحداً من الصحابه، وما قال في تكفير عمر بحضرة النبي صلى الله عليه و آله حاطباً، وهو صحابي مهاجرى بدرى. ولا- يخفى أنه لو كان في من ينتحل دين الإسلام من سب بعض الصحابه أو غيرهم من المسلمين عناداً لله ورسوله فلا- شك في كفره، وأما إذا كان الساب جاهلاً، أو أوردته الشبهه ذلك المورد، يكون على ما صرح به ابن حزم معذوراً.

وعن الأوزاعي إنه قال: لئن نشرت لا أقول بتكفير أحد من أهل الشهادتين. وعن صاحب الإختيار: اتفق الأئمه على تضليل أهل البدع أجمع وتخطئتهم، وسب أحد من الصحابه وبغضه لا يكون كفراً لكن يضل.

وعن صاحب فتح القدير: إنه قطع بعدم كفر من يكفر الصحابه ويسبهم، وذكر أن ما وقع في كلام أهل المذهب في تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون إنما هو من كلام غيرهم.

وصرح ابن حجر(١): بأن مذهبه فيمن لعن أنه لا يكفر بذلك.

ولو سردنا الكلام في نقل فتاوى أعلام أهل السنه في ذلك خرجنا عن طريق الإيجاز، ومقتضى كلام غير واحد من هؤلاء أن الساب لا يكفر، وإن كان متعمداً في ذلك، عالماً بحرمته، مثل أن يسبه لمناقشه وقعت بينهما.١.

ص: ١٥٩

١- فتح القدير: ص ٢٥١.

وأضف إلى جميع ذلك كله النصوص الكثيره المخترجه فى الصحاح الستة الحاكمة على أهل الأركان الخمسه بالإسلام ودخول الجنه، وإذا كان الخوارج الذين استحلّوا دماء المسلمين، وكفّروا الصحابه، وحاربوا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، ونص النبى صلى الله عليه وآله على أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّه ثم لا- يعودون فيه، وأنهم شر الخلق والخليقه، وطوبى لمن قتلهم وقتلوه، عند أهل السنه من المسلمين والمعذورين فى مذهبهم، فغيرهم ممن تمسّكوا بالثقلين وتمذهبوا بمذاهب أهل البيت أعدل الكتاب، واقتفوا أثرهم واهتدوا بهديهم أولى بذلك.

ومن شاء أن يطلع على الكلام الفصل فى ذلك فعليه بكتاب (الفصول المهمه فى تأليف الأئمّه) للعلامة المصلح السيّد عبد الحسين شرف الدين، فإنّه (رضوان الله عليه) قد أدى حق التحقيق والإفاده فى ذلك، وسعى فى جمع الشمل ولمّ الشعث، فراجع كتابه هذا ومراجعاته، وكتابه (إلى المجمع العلمى العربى) وكتاب (أبى هريره) وغيرها من تصانيفه القيمه.

والحاصل: أنّ نفي الإيمان عن بعض الصحابه وسبهم إذا كان النافى والساب مجتهداً لا يضر بالإسلام عند أكابر أهل السنه، وليس مانعاً من التقريب ورفض الشحناء والبغضاء، واعتصام الجميع بحبل الله تعالى، والعجب ممن لا يكفر ولا يفسق معاويه وأتباعه فى سب أمير المؤمنين على عليه السلام على منابر المسلمين، ويفسّق من سب الشيخين تأوّلاً واجتهاداً أعاذنا الله تعالى من العصبية واللجاج.

نصيحه وتذكره

ينبغى لمن يرى جواز سب أحد من المسلمين أن لا يعلن بذلك، ولا يجهر

ص: ١٦٠

به بمشهد منه أو بمشهد أقاربه، ومن لا يرى رأيه بل يحرم ذلك في بعض الموارد إذا كان السب إيذاء لمسلم حاضر أو سبياً لتجريح العواطف، وحدوث الفتن وضعف المسلمين، وظهور التخاصم والتنازع بينهم.

ص: ١٦١

ذكر الخطيب في ص ٢٢: أنّ الشيعة يرفعون أئمتهم من منزله البشر، ونقل عناوين أبواب من الجامع المعروف بالكافي في علوم الأئمة، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل، وأنهم يعلمون علم القرآن كله وغير ذلك، وأفتى على الشيعة بأنهم يثبتون لأئمتهم علم الغيب وينكرون على النبي صلى الله عليه وآله ما أوحى الله به من أمر الغيب... إلخ.

الشيعة لا يعتقدون فضيله ومنقبه لأئمتهم إلا ويعتقدون لرسول الله صلى الله عليه وآله تلك الفضيله على النحو الأتم الأكمل، ولا يفضّلون أحداً من السابقين واللاحقين من الأنبياء والأئمة، والملائكة وغيرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله، بل يفضّلونه على جميع المخلوقات ويعدون الإمام من أتباع الرسول ومن أئمة، لا يعدل النبي عند الشيعة أحد من أئمة، والإمام مأمور بطاعه الرسول لا يسعه غير

أتباعه، ولا- يرفعون النبي ولا- أحداً من الأئمة من منزله البشر، والنبي والأئمة هم المثل الأعلى لكمال الإنسان، اختصهم الله بعناياته الخاصة، والإمامه عندهم منصب يختار الله له من كان مستأهلاً لتقلده، ويأمر نبيه بالنص عليه، وصنفوا في هذه النصوص كتباً مفردة، خرّجوا فيها طائفه من تلك النصوص عن الكتب المعتمده عند أهل السنه وصحاحهم.

ومن النصوص المعروفه المتواتره على كون الأئمة اثني عشر الأحاديث التي خرّجها مسلم، وأحمد، والبخارى، والترمذى، والطيالسى، وأبو نعيم الإصبهاني، والسجستاني، والحاكم، والمتقى، وابن الديبع، والخطيب، والسيوطى وغيرهم، فى عدد الأئمة عن غير واحد من الصحابه كجابر بن سمره وعبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك، ومن المعلوم أنّ هذا العدد لا ينطبق إلأعلى الأئمة الإثني عشر.

وأفرد فى هذه الأحاديث العلّامه محمد معين السندى كتاباً أسماه (مواهب سيّد البشر فى حديث الأئمة الإثني عشر).

ويدل على وجوب التمسك بأئمة أهل البيت، وأخذ العلم عنهم، وعصمتهم، وبقائهم إلى يوم القيامة، وعدم خلو الزمان من إمام منهم، وكونهم أعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله، وأن التمسك بهم أمن من الضلال، وانحصار سبيل النجاه فى التمسك بهم، وبالكتاب الكريم، أحاديث الثقلين المتواتره، وأحاديث الأمان، وأحاديث السفينه، وغيرها من النصوص الكثيره، وقد صرح بجميع ذلك جمع من أعلام أهل السنه، ذكرنا أسمائهم ومقالاتهم فى كتاب أفردناه فى وجوب الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام فى الفقه والمعارف الإسلاميه، وفى

وجوب العمل بالأحاديث المخزّجه في جوامع الشيعة.

ولو قرأ الخطيب كتب الإماميه، ودرس العلوم المأثوره عن أئمتهم لأقرّ بأنّ الأبواب المعنونه في الكافي ليس إلّا عناوين لبعض ما ورثوا عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ولعرف أن من أشدّ ما ابتلى به المسلمون، وأضره عليهم انصرافهم عن أهل بيت نبيهم، وإعراضهم عن أوجب الله تعالى ورسوله عليهم الرجوع إليه في الأمور الدينيه، والأحكام الشرعيه.

ومن تتبّع قليلاً في الكتب الإسلاميه يعرف اختصاص أئمه أهل البيت سيما أمير المؤمنين على عليه السلام بعلوم كثيره من التفسير، والفقه، والحديث، والتوحيد، وغيرها مما ليس عند غيرهم.

هذه عقيدته الشيعه في أهل البيت وعلومهم، وإليك بعض ما قال سيدنا أمير المؤمنين على عليه السلام في ذلك:

قال: لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفى الغالى وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصيه والوراثه(١).

وقال: موضع سره، ولجأ أمره، وعييه علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه(٢).

وقال: فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن ٤.

ص: ١٦٥

١- نهج البلاغه (ط مصر مطبعه الاستقامه) ج ١ الخطبه ٢ ص ٢٤ و ٢٥.

٢- نهج البلاغه: ج ١ الخطبه ٢ ص ٢٤.

وقال: هم عيش العلم، وموت الجهل، ويخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وسمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام، وولائج الإعتصام، بهم عاد الحق في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن مقامه، عقلوا الدين عقل وعايه ورعايه، لا عقل سماع و روايه، فإن رواه العلم كثير، ورعاه قليل(٢).

وقال: وإنما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنه إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه(٣).

هذا ما يقول الشيعة في أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يقولوا ما قالوا فيهم اختراعاً واقتراحاً من عند أنفسهم، بل أخذوه من الأحاديث النبويه، والنصوص العلويه، والأخبار المرويّه عن أهل بيت النبوه، وأئمة العتره (عليهم الصلاه والسلام).٤.

ص: ١٦٦

١- نهج البلاغه: ج ٢ الخطبه ١٥٠ ص ٥٨.

٢- نهج البلاغه: ج ٢ الخطبه ١٣٤ ص ٢٥٩ و ٢٦٠.

٣- نهج البلاغه: ج ٢ الخطبه ١٤٨ ص ٥٤.

قال في ص ٢٢ و ٢٣: وبينما يدعون لأئمتهم الإثني عشر ما لا يدّعيه هؤلاء لأنفسهم من علم الغيب، وأنهم فوق البشريه، فإنهم - أي الشيعة - ينكرون على النبي صلى الله عليه و آله ما أوحى الله به إليه من أمر الغيب كخلق السماوات والأرض، وصفه الجنة والنار، وقد سجّلت ذلك مجله (رساله الإسلام) التي تصدرها دار التقريب في القاهره إذ نشرت في عددها الرابعه من السنه الرابعه صفحه ٣٦٨ بقلم رئيس المحكمه العليا الشرعيه الشيعيه في لبنان، وبعّدونه من ألمع علمائهم العصريين، مقالاً بعنوانه (من اجتهادات الشيعة الإماميه) نقل فيه عن مجتهدهم الشيخ محمد حسن الآشتياني إنه قال في كتابه (بحر الفوائد) ج ١ ص ٢٦٧: إنّ الرسول إذا أخبر عن الأحكام الشرعيه أي

مثل نواقض الوضوء وأحكام الحيض والنفاس يجب تصديقه، والعمل بما أخبر به، وإذا أخبر عن الأمور الغيبية مثل خلق السماوات والأرض، والحدود والقصور فلا يجب التدين به بعد العلم به (أى بعد العلم بصحة صدوره عن الرسول) فضلاً عن الظن به (إلخ).

ذكرنا عقيدته الشيعيه فى النبوه والإمامه، وأنّ النبى ينص على الإمام بأمر من الله، وأنه تبع للنبى، والنبى مفضّل عليه فى جميع الكمالات، فالنبى كالأصل والإمام فرعه، وليس فى الشيعه من يستيح لنفسه الشك فيما أخبر به النبى صلى الله عليه وآله فضلاً عن إنكاره، سواء كان المخبر به من الأمور العاديه كقيام زيد وعود عمرو، أم من الأمور الدينيه، فالنبى هو الصادق المصدق فى جميع ما أخبر به، وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحى (1)، ومن أنكر أو أظهر الشك فيما أخبر به النبى صلى الله عليه وآله من أمر الغيب كخلق السماوات والأرض، وصفه الجنه والنار بعد حصول اليقين بإخباره عنه كافر، لا شك عند الشيعه فى كفره.

ولكن الخطيب حيث عجز عن فهم كلام العلماء الأشتيانى، وكلام رئيس المحكمه العليا الشرعيه فى لبنان الذى هو من ألمع العلماء المجاهدين المعاصرين، حملة على ما يوافق هواه، وخاض فى الإفتاء والهديان، فادعى أنّ الشيعه ينكرون على النبى صلى الله عليه وآله ما أوحى الله به من أمر الغيب.

وحيث إنّ المسأله المبحوث عنها فى كلام المحقق الأشتيانى فى نفسها ٤.

ص: ١٦٨

١- النجم: الآيه ٣ و ٤.

من المسائل العلميه النظرية لا- بأس بالإشارة إليها هنا، حتى يعلم أنّ الأولى للخطيب ونظرائه عدم الخوض في هذه المسائل، وإيكال البحث عنها إلى أهلها.

فنقول في توضيح ما أفاده الأشتياني:

إنّ ما أخبر به النبي صلى الله عليه و آله على قسمين: أولهما ما يكون من الأمور العاديه كقيام زيد ومجىء عمرو، ولا يكون مرتباً بالدين لا بأمره الاعتقادي، ولا بأحكامه الشرعيه، ولا بأحكامه العمليه، كالصلاه والصوم والحج وغيرها.

وثانيهما: ما يكون من الدين، وهذا أيضاً على قسمين: أحدهما: ما يكون في الأمور الاعتقاديه، وما يجب أن يعتقده المسلم كالتوحيد والنبوه والمعاد وغيرها.

وثانيهما: ما يكون في الأحكام الدينيه العمليه كالصلاه والزكاه والصوم وغيرها.

فالقسم الأول: أعنى ما ليس مرتباً بالدين كالأخبار عن الأمور العاديه والإخبار ببعض كيفيات خلق السماوات والأرض، والكواكب وبدء الخلق، وبعض تفاصيل الجنه والجحيم، وخصوصيات الحور والقصور، وأشجار الجنه وأنهارها ومياهها(1) ليس من الأمور الاعتقاديه التي بنى عليها الإسلام، ولا يحكم بإسلام من لم يكن عارفاً بها، فمن لم يؤمن بالله أو لم يعتقد النبوه أو المعاد، أو أنكر الثواب والعقاب، والجنه والنار، كافر خارج عن الإسلام، أما منه.

ص: ١٦٩

١- تفاصيل بعض هذه الأمور، وإن كان لا يعلم إلا من جهة بيان النبي صلى الله عليه و آله، وبهذا الاعتبار تُعدّ من الأمور الدينيه، ولكن ليست مما يجب التدبّر به.

لم يعرف بعض خصوصيات الجنة وبعض أنواع الملائكة وأسمائهم، وكيفيه مبدء خلق السماء وعدد قصور الجنة أو عدد ولدانها، ولم يقرع سمعه ماورد في ذلك من الأحاديث لا- يضر ذلك بإسلامه، ولا يكلف بتحصيل هذه المعارف، وهذا كالأطلاع على عدد غزوات النبي صلى الله عليه وآله، وعدد أولاده وزوجاته، فإن المعرفة بهذه الأمور والأحوال وإن كانت في حدّ نفسها راجحه مرغوباً فيها، لكن ليست من الأمور الاعتقادية التي يدور مدار معرفتها ترتيب آثار الإسلام، ويحكم بكفر منكرها.

نعم من ثبت عنده إخبار الرسول عن هذه الخصوصيات والتفاصيل يحصل له الاعتقاد بها لاعتقاده صدق الرسول صلى الله عليه وآله في كل ما أخبر به، وإظهار الشك فيها أو إنكارها بعد العلم بإخبار النبي عنها موجب للكفر قطعاً لرجوع ذلك إلى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله.

وأما القسم: الثاني فيجب الاعتقاد وتحصيل الإيمان والمعرفة به، لم يختلف في ذلك اثنان من الشيعة.

وأما القسم الثالث: أي إخباره عن الأحكام العملية فيجب العمل به، ولا يجوز إنكاره بعد ثبوته عنده، وإنكاره بعد العلم بإخباره موجب للكفر والخروج عن الإسلام (1)، ولا يتفاوت في ذلك أي عدم وجوب التدين بالأمور.

ص: ١٧٠

١- ولأجل إيضاح بطلان افتراء الخطيب نقل كلام العلّامة الآشتياني في بحر الفوائد: ص ٢٧٦ قال: المعارف بالمعنى الأعم على قسمين: أحدهما: ما لا يكون من الدين، ولا دخل له بشريعته سيد المرسلين صلى الله عليه وآله مثل كيفية خلق السماء والأرض، والحوار والقصور، وغير ذلك مما عرفت بالإشارة إليه عن قريب. ثانيهما: ما يكون من الدين، لا يقال: لا معنى للتقسيم المذكور لأن كل ما بينه النبي صلى الله عليه وآله يكون من الدين لا محاله، وإلّا لم يبينه، لأننا نقول: هذا غلط واضح، وخط ظاهر، فإن الرسول قد يخبر عن الشيء من حيث كونه شارحاً ومبلغاً عن الله تعالى، وأموراً بتبليغه على العباد، وقد يخبر عن الشيء لا من الحيثية المذكورة، بل من حيث كونه عالماً بالغيب بإفاضه الله سبحانه، ومن المعلوم أنّ هذا لا يرجع إلى الإخبار عن الأمر الديني. ثم الثاني: أي ما يكون من الدين، وشريعته سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ينقسم على قسمين: أحدهما: ما يتعلق بالعمل بالمعنى الأعم من التعلّق الأولي الذي يسمى بالحكم الفرعي، والتعلّق الثانوي بالواسطة الذي يسمى بالحكم الأصولي العملي. ثانيهما: ما يكون المقصود منه والغرض الأصلي المطلوب منه الاعتقاد وإن ترتّب عليه عمل أحياناً. أما الأول: أي ما لا دخل له بالدين أصلاً، فلا إشكال في أنّه لا يوجب التدين به بعد حصول العلم به فضلاً عن الظن به، نعم لا يجوز إنكاره بعد ثبوته من حيث إيجابه لتكذيب النبي صلى الله عليه وآله فيكون كفراً. وأما الثاني: فما يتعلّق منه بالعمل ولو بالواسطة، فلا إشكال في إمكان التعلّب فيه بغير العلم بل وقوعه في الجملة على ما عرفت مفصلاً، وإن كان مقتضى الأصل الأولي البناء فيه على عدم وقوع التعيّد، وما يتعلّق منه بالاعتقاد قد عرفت سابقاً أنّه على قسمين: أحدهما: ما يجب به الاعتقاد مطلقاً فيجب تحصيل المعرفة به. وثانيهما: ما لا يجب فيه ذلك، بل إن حصلت المعرفة به حصلت الاعتقاد قهراً، ويجب التدين بمقتضاه، والمعتقد في المقامين قد يكون أمراً إجمالياً بمعنى أنّه قد يجب الاعتقاد بشيء والتدين به إجمالاً، سواء كان وجوباً مطلقاً أو مشروطاً بالمعنى الذي عرفته، فلا يجب تحصيل تفصيله، نعم لو حصل العلم به وجب التدين به من حيث كونه عين ما وجب الاعتقاد والتدين به

إجمالاً، ضروره كون المفصل عين المجمل، وإن افترقا من حيث الإجمال والتفصيل، وقد يكون أمراً تفصيلاً... وقال في هذه الصفحة: تكذيبه (يعنى تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله) ولو فى أخباره العاديه موجب للكفر، قطعاً، وهو ما يرجع إلى بيان أمور واقعيه لا تعلق لها بالدين، مثل بيان مبدأ خلق السماوات والأرض، وحوار العين والفصل بين كل سماء، إلى غير ذلك مما يرجع إلى بيان خلقه المخلوقات، فإنه ليس أمراً دينياً اعتقادياً بحيث يجب التدين به، والإقرار به، وإن لم يجر إنكاره بعد العلم بثبوتة من صاحب الشرع. هذا وتوهم كون جميع ما بينه النبى صلى الله عليه وآله من الدين فاسد كما عليه. انتهى.

العادية، وخصوصيات الأمور المذكورة بين إخبار النبي وإخبار الإمام عليهما السلام، ووجوب تصديق النبي في إخباره عن المعيّبات أولى من وجوب تصديق الإمام، ومقدّم عليه بحسب المرتبة، فإنّ وجوب تصديق الإمام فرع وجوب تصديق النبي صلى الله عليه وآله، هذا حاصل كلام الأشتياني في المقام.

وقد صرح في موضعين من عباراته في ص ٢٧٦ بكفر من أنكر إخبار الرسول في الأمور العادية، ولكن الخطيب يفتري على الشيعة، ويقول: إنهم يرفعون مرتبة أئمتهم في إخبارهم عن الأمور الغيبية (والعياذ بالله) فوق مرتبة النبي صلى الله عليه وآله ونسى أن في أهل السنه من يقول: إنّ النبي كان فيما قال وعمل في الأمور الدينية مما لا نص فيه مجتهداً كسائر المجتهدين(١).

ثم إنّه لم يقنع بذلك فقال: إنّ جميع رواه الغيبيات عن الأئمة الإثني عشر معروفون عند علماء الجرح والتعديل من أهل السنه بأنهم كانوا كذبه، وهذا من أبشع افتراءاته على علماء الجرح والتعديل، فإنّ كرامات الأئمة الإثني عشر.

ص: ١٧٢

١- راجع تفصيل هذه المسألة في كتاب (المستصفي من علم الأصول: ج ٢ ص ١٠٤ و ١٠٥) و (عده الأصول: ص ٢٩٤ و ٢٩٥).

عشر عليهم السلام، وإخبارهم عن الأمور الغيبية بما هو مخزون عندهم من علوم جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وورثوا عنه ثابتته بالتواتر، قد خرج طائفه منها جمع عن أعلام أهل السنه، لا سيما ما صدر منها عن أمير المؤمنين على عليه السلام، ولا عجب في ذلك لأنّ النبي صلى الله عليه وآله اختصهم بعلوم ليست عندهم، ولذلك أمر أمته بالرجوع إليهم، وجعل الأمان والنجاه والأمن من الضلال في التمسك بهم.

وقد احتج بروايات رجال الشيعة جمع من علماء أهل السنه (1) رواه أحاديث الشيعة الأثبات الثقات معروفون في كتب الرجال، ومن راجع كتب الجرح والتعديل للشيعة يقف على اهتمامهم بتعرّف أحوال الرجال، وعدم احتجاجهم بأحاديث الضعاف سواء كان الراوى شيعياً أم سنياً، ولو كان للخطيب أدنى خبره بكتب الشيعة لعلم مبلغ اعتنائهم بتحقيق حال الرواه، ولو قرأ كتاب (تأسيس الشيعة) لعرف تقدّمهم في علم الحديث، والفحص عن أحوال الرواه وسائر الفنون الإسلاميه.

والأصول التي يعتمد عليها الشيعة في استخراج الأحاديث الصحاح والحسان في غاية المتانة والإنضباط.ه.

ص: ١٧٣

١- قال العلامة المحدّث أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الحسنى المغربى: قد جمع الحافظ أسماء من روى لهم البخارى منهم (يعنى من الشيعة) فسمى نحو السبعين: وما أراه استوعب. وأما صحيح مسلم ففيه أكثر من ذلك بكثير، حتى قال الحاكم: إنّ كتابه ملآن من الشيعة، راجع كتاب (فتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينه العلم على ص ١٠٦ من طبعته الثانيه) وهذا الكتاب نفيس جداً يجب على الباحث أن يقرأه لأنّ فيه من البحوث العلميه والفوائد الرجاليه ما ربّما لا يوجد في غيره.

والحاصل: أنّ كثيراً من الروايات المأثوره فى إخبارهم عن الحوادث المستقبلية والأُمور الغيبية من صحاح الأحاديث، رواها الثقات بأسناد عاليه.

ولا يرتاب المتتبع فى تواترها إجمالاً بل بعضها متواتر تفصيلاً، وإنكار جميع هذه الروايات زلّه كبيره، فمن أين علم الخطيب أنّ جميع رواه هذه الأحاديث معروفون بالكذب، ومن أين اطلع على جميع تلك الأحاديث ورواتها، مع أنه لا يعرف من أسماء كتب الشيعة واحداً من الأُلوف، وفى أى كتاب ذكر علماء الجرح والتعديل من أهل السنه أنّ جميع رواه تلك الأحاديث كانوا كذبه، ولمّ لم يأت بأسماء هؤلاء المعروفين؟

وهذه أخبار أمير المؤمنين على عليه السلام عن المغيبات مخرّجه فى كتب أهل السنه فى التاريخ والحديث، وبعضها ثابت بالتواتر التفصيلي وبعضها بالتواتر الإجمالى.

والعجب من جماعه يثبتون لرؤساء الصوفيه والدرأويش أخباراً عن الأمور الغيبية، وكرامات يابى العقل قبولها، ثم يستبعدون ما صدر عن أئمه أهل البيت مثل أمير المؤمنين وسبى رسول الله، والسجاد والباقر عليهم السلام وغيرهم أعدال الكتاب، وعدول أهل البيت الذين بشر النبي صلى الله عليه وآله بأنهم ينفون عن الكتاب تحريف الغالين، وإبطال المبطلين، ويقدحون فى رجال هذه الأخبار بأنهم كانوا كذبه، مع أنّه لا ذنب لهم إلّا روايتهم بعض فضائل أهل البيت والنصوص المأثوره فى إمامتهم وعلومهم من الأحاديث التى كانت روايتها فى عصر الأمويين والعباسيين من أكبر الجرائم السياسيه.

وقد أشبعنا الكلام فى ذلك فى كتاب أفردناه لإثبات حجه روايات أصول الشيعة، ووجوب الرجوع إليها والتمسك بها فى الفقه، كما قد أفردنا لتخريج

مناقب كل واحد من الأئمة الإثني عشر وتاريخ حياتهم عن كتب أهل السنة كتاباً (لكل واحد من الأئمة كتاباً).

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لإتمامها ونشرها.

ص: ١٧٥

افتراء الخطيب على الشيعة بالتملق للحكومات و تدخّل الخواجه و ابن العلقمي في فاجعه بغداد

نسب الخطيب في ص ٢٤ إلى الشيعة أنّهم يتملقون أيّ حكومه من الحكومات الإسلاميه بألسنتهم إذا كانت قويه، فإذا ضعفت أو هوجمت من عدو انحازوا إلى صفوفه، واستشهد أخيراً على خروج المغول وما صدر منهم في بغداد من سفك الدماء وهتك الأعراس، وغيرها من الجرائم العظيمه، واتّهم حكيم الشيعة وفيلسوف الإسلام الخواجه نصير الدين الطوسي الشهير، وابن أبي الحديد المعتزلي من السنيه، وابن العلقمي مؤيد الدين الوزير بالتدخّل في هذه الفاجعه... إلخ.

كان الأولى أن يترك الكلام عن أفعال الشيعة، وما صدر بزعمه عنهم فإنّ عقيدته طائفه ورأيها شيء وعملها شيء آخر، وربما لا يوافق أعمال بعض الناس

ص: ١٧٧

عقيدتهم، ولا- يجوز الإعتماد فى استنباط آراء الفرق وعقائدهم على مجرد أعمال بعضهم، فإنه ما من قوم إلا يوجد فيهم من يخون قومه، ويقدم على ضرر أمته، ولو جعلنا تاريخ الإسلام نصب أعيننا لعثرنا على خيانات كثيرة من عصر رساله إلى هذا الزمان صدرت من المنافقين وفساق المسلمين، وأولئك الذين أوهن قلوبهم حب الدنيا وكرهيه الموت.

وهل تأخر المسلمون عن غيرهم إلا الخيانات صدرت من عمال السياسة وعبد الرئاسه وأتباع الشيطان، أنظر بعينك أيها المنصف إلى الملاء الإسلامى، وانظر إلى القواد العملاء والأمراء العبيد للاستعمار الذين لم تقع الأمه فيما وقعت فيه إلا بخياناتهم افتري سبباً لبقاء الحكومه الغاصبه الإسرائيلييه التى أنشأها المستعمرون فى بلاد المسلمين غير خيانه بعض الحكام والأمراء؟ أنسيت ما فعلت يد الخيانه بالجيش المصرى فى حكومه فاروق؟ ألم تقرأ فى الصحف والمجلات خيانات تصدر من بعض رؤساء الحكومات المسماة بالإسلاميه على الإسلام وأبنائه؟

ألم يقرع أذنك ما وقعت فيه الأمه فى الحرب العالميه الأولى بسبب خيانه بعض القواد وطلّاب الرئاسه والحكومه، فتمزقت الوحده الإسلاميه، وتأسست فى كل قطر حكومه ضعيفه مستعمره، وأصاب المجتمع الإسلامى ما أصاب حتى ألغى بعض تلك الحكومات سنن ديننا الحنيف فى جميع الشؤون الحكوميه، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوه إلا بالله.

ولو نظرت إلى التاريخ وقايست بين الشيعة وأهل السنه فى ذلك لطمست ما كتبت أيها الخطيب، ولعلمت أن أى الفريقين أحق باللوم والتوبيخ.

ومما هو جدير هنا بالذكر نموذجاً لهذه المخاصمات التي أذهبت مجد المسلمين وسلطانهم ما أصاب الناس من القتل والسبي والنهب عند افتتاح جيوش التتار بلده إصبهان، وذلك بعد أن عجزوا عن افتتاحها ونزلوا عليها مراراً في سنة سبع وعشرين وستمائه، ووقع الحرب بينهم وبين أهلها، وقتل من الفريقين خلق كثير، ومع ذلك لم يبلغوا التتار غرضهم حتى وقع الإختلاف بين أهل إصبهان في سنة ثلاث وثلاثين وستمائه؛ وهم طائفتان: حنفيه وشافعية، وبينهم حروب متصله، وعصبيه ظاهره.

فخرج قوم من أصحاب الشافعي إلى من يجاورهم من التتار، فقالوا لهم:

اقتصدوا بلدنا حتى نسلّمه إليكم، وكان ذلك في سلطنه ابن چنگيزخان، فأرسل جيوشاً نزلوا على إصبهان في سنة ثلاث وثلاثين المذكوره، فحاصروها فاختلف سيفا الشافعية والحنفيه في المدينه حتى قتل كثير منهم، وفتحت أبواب المدينه، فتحها الشافعية على عهد كان بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفيه، ويعفو عن الشافعية، فلما دخلوا البلد قتلوهما جميعاً وبدأوا بالشافعية فقتلوهم قتلاً ذريعاً، ولم يقفوا مع العهد الذي عهدوه لهم، ثم قتلوا الحنفيه ثم قتلوا سائر الناس، وسبوا النساء وشقوا بطون الجبالى، ونهبوا الأموال، وصادروا الأغنياء ثم أضرموا النار فأحرقوا إصبهان حتى صارت تلوّاً من الرماد(١) وأمثال هذه الحادته بين أرباب المذاهب ليست بقليله، مثل الفتنة الكبرى التي هاجت ببغداد لاختلاف الحنابله وغيرهم في معنى قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً(٢) فقالت ٩.

ص: ١٧٩

١- شرح نهج البلاغه للحيدى: ج ٨، ص ٤٦٤.

٢- الإسراء: الآية ٧٩.

الحنابله: معناها يقعده الله على عرشه، وقال غيرهم: بل هي الشفاعة ودام الخصام، واقتتلوا حتى قتل جماعه كثيره (١) ومع ذلك لا- لوم على جميع أهل هذه المذاهب، إنما اللوم والذنب على سفهائهم وجهالهم، وعلى الذين اتخذوا هذه المذاهب سبباً للإختلاف والتفرقة بين المسلمين وتفسيق غيرهم من سائر الفرق، وجعلوها وسيلة لتحقيق أغراضهم الدنيه.

ثم إن التملق لأرباب السلطه والحكومات كيف صار من خصائص الشيعة، وكيف نسي تملق بعض السنين من الحكومات في عصر الأمويين والعباسيين، فقرأ دواوين الشعراء وانظر إلى جماعه زينوا للناس قبائح أعمال الأمراء في تلك العصور المظلمه، وانظر إلى العلماء والمحدثين الذين لم يطعنوا في سيره هؤلاء وتركوا نصيحتهم، ولم يطلبوا منهم الرجوع إلى الكتاب والسنة في حين أنهم يفتون بوجوب إطاعتهم، ويعدون الخروج عليهم من أعظم المحرمات، فلو تملق بزعم الخطيب بعض الشيعة لجبابره الملوك عملاً بالتقيه وحقناً للدم، وحفظاً للعرض تملق بعض السنين للحطام الدنيوى، والزخارف الفانيه.

ويكفيك مثلاً- وشاهداً ما وقع لغيث بن إبراهيم النخعي، حيث دخل على المهدي العباسي فوجده يلعب بالحمام، فساق في الحال إسناداً إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (لا سبق إلأفي نصل أو خف أو حافر أو جناح) اتباعاً لهوى المهدي، فأمر له المهدي ببدره، فلما قام قال المهدي: أشهد على قفاك إنّه قفا كذاب على ٥.

ص: ١٨٠

١- تاريخ الخلفاء: ص ٢٥٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أمر بذبح الحمام لكن لم يتعزّض له ولم يأخذ ما أعطاه، حتى فعل نحواً من ذلك مع هارون الرشيد(١).

وخبر شقّ أبي البختری وهب بن وهب أمان الرشيد ليحيى ابن عبد الله بن الحسن بالسكين، فوهب له هارون بذلك ألف ألف وستمائيه ألف، وولاه القضاء(٢)، ونظائر ذلك كثيره لا سيما في استيلاء بني أميه وبني العباس، وإذا كان هذا حال بعض السنيين فهل يجوز أن يسند ذلك إلى جميعهم؟ وهل تجد قوماً أو أمه لم يكن فيهم أمثال هؤلاء؟

فلا يجوز لأهل السنه مؤاخذه الشيعة على ما صدر على بعضهم، كما لا يجوز للشيعة أيضاً أن يؤاخذ السنن بأعمال الحجّاج ومسلم بن عقبه وغيرهما من الجبابره.

هذا ولا ريب في أنّ استيلاء التتار على بغداد كان من أعظم مصائب المسلمين في التاريخ، ولكن هل كان ابتلاؤهم بهذه الفاجعه أعظم أم ابتلاؤهم بحكومته معاويه، ومحاربتة أمير المؤمنين علياً عليه السلام؟ فما ترتّب بعد على حادثه ما ترتّب على أفاعيل معاويه ومحاربتة علياً عليه السلام من المفاسد.

قال أحد كبار علماء الألمان في الآستانه لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكه: إنّه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاويه ابن أبي سفيان في ٠.

ص: ١٨١

١- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: ص ٨٦، نخبه الفكر: ص ٦١ و ٦٢، نزّه النظر في توضيح نخبه الفكر: ص ٦١، تاريخ الخلفاء: ص ١٨٣، أخبار مكه المشرفه: ج ٣ ص ٩٨.

٢- مقاتل الطالبين: ص ٤٨٠.

ميدان كذا من عاصمتنا (برلين).

قيل له: لماذا؟ قال:

لأنه هو الذى حوّل نظام الحكم الإسلامى عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب، ولولا ذلك لعمّ الإسلام العالم كله، ولكننا نحن الألمان وسائر شعوب أوربه عرباً مسلمين (١). ٠.

ص: ١٨٢

١- تفسير المنار: ج ١١، ص ٢٦٠.

كارثة خروج المغول واستيلائهم على بلاد مسلمين وأسباب سقوط بغداد

قال الله تعالى: وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً(١).

تحكّموا واستطالوا في حكومتهم

كانت حادثه خروج التتار حادثه عظمى، ومصيبه كبرى، عمّت الخلائق وخص المسلمون بشده بلائها، لم يطرق الأسماع بمثلها، شوّهت تاريخ الإنسانيه وما قيل في شرحها من قتل العلماء والصلحاء، والخواص والعوام،

ص: ١٨٣

١- الإسراء: الآية ١٦.

وتخريب البلاد، وشقّ بطون الحوامل، وقتل الأجنه، وهدم الجوامع والمعابد، وإحراق الكتب وهدم الأعراس في كل مدينه افتتحوها ليس إلّا إجمال عن تفاصيل هذه الأحوال، فشملت الفتنة المسلمين وممالك الإسلام، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، وكانت مدينه بغداد من البلاد التي أُصيبت في هذه الحادته بأشدّ المظالم، وبلغ عدد من قتل فيها على ما قيل أكثر من مليون نسمة، بل قيل: إنّه لم يسلم إلّامن اختفى في بئر أو قناه، ووقع فيها من القتل الفظيع وهدم الأعراس ونهب الأموال وغرق الناس في دجله وضياح الكتب ماقلّ نظيره في تاريخ العمران، ولم تكن خساره الشيعة في هذه الكارثه لا في بغداد ولا في غيرها من بلاد خراسان وما وراء النهر بأقل من خساره أهل السنه، فقتلوا فيمن قتل، وكان في القتلى من الأشراف والفاطميين ما لا يحصى.

وكان من أقوى أسباب انهزام المسلمين(1) ما حدث بينهم من المنازعات والحروب الداخليه، والرغبه في الملك والسلطان، وانهماكهم في المعاصير.

ص: ١٨٤

١- من الجدير بالذكر: أنّ أسباب هذه الفاجعه لم تتولد جميعها في زمن المستعصم، وإنّما كان لها جذور تاريخيه ذات صله وثيقه بحصول هذه المأساه، نجمت واكتمل نموّها في زمن الخليفه المذكور، فأدّت إلى ما أدّت إليه من الفظائع والآلام. وكان عدم قيام خلفه هؤلاء الخلفاء على أسسها الرشيديه الإسلاميه عنصر شر كبير في وقوع هذه الكوارث والمحن التي قضت على عزه الإسلام وتقدّم المسلمين، فلم يكن المنهج الذي انتهجوه في سياسه الحكم المال وغيرها موافقاً لمنهج الإسلام العادل في الحكم والمال، بل جدّدوا سيره السلاطين والملوك الأكاسره والقياسره، وشر من هؤلاء من صوب حكوماتهم واعتبرها شرعيه ولم ينكر، عليهم وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والشهوات، وضعف الخلفاء فى تدبير الأمور،^(١) وظهور العصبية الباردة فى المسائل الكلامية، والخلافات المذهبية،^(٢) واشتغال أرباب المناصب بالملاهى وتكبر الخليفة المستعصم، وبخله بالأموال، فكان كما وصفه فى تاريخ الخلفاء^(٣) تائهاً فى لذاته لا يطلع على الأمور، وليس له غرض فى المصلحة.

وقال ابن كثير: ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائه، استهلت هذه السنة، وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبه الأميرين اللذين على مقدمه عساكر سلطان التتار هولاء كوخان... إلى قوله: وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب، حتى أصيبت جاريه كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياها، وكانت مولده تسمى (عرفه) جاءها سهم من بعض الشباييك فقتلها، وهى ترقص بين يدي الخليفة فانزعج الخليفة من ٩.

ص: ١٨٥

-
- ١- فالخليفة العباسى الناصر لدين الله هو الذى يقال: إنه كاتب التتار وأطمعهم فى البلاد (راجع تاريخ الكامل ج ٩ ص ٣٦١، وابن كثير ج ١٣ ص ١٠٧، والأعلام للزركلى ج ١ ص ١٠٦، وروضه الصفاح ٥ ص ٧٨ و ٧٩).
 - ٢- قال الصفدى فى الوافى بالوفيات (ج ١ ص ٢٨٠) فى ترجمه البروى الشافعى أحد المشاهيرالمشار إليهم بالتقدم فى النظر وعلم الكلام والفقه، وكان يببالغ فى ذم الحنابلة، وقال: لو كان لى أمر لوضعت عليهم الجزية، فجاءته امرأه فى الليل بصحن حلوى، قالت: أنا أغزل وأبيعه، وقد اشتريت هذا الصحن وهو حلال وأريد أن يأكل الشيخ منه، فأكله هو وزوجته وولد له صغير فأصبحوا موتى. فانظر كيف ضرب الإختلاف المذهبى بعض المسلمين ببعض، وكيف نسوا ما ذكروا به.
 - ٣- تاريخ الخلفاء: ص ٣٠٩.

ذلك، وفزع فزعاً شديداً(١).

وقال ابن الطقطقى فى الفخرى فى الآداب السلطانية(٢): كان المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف بالله و... واللعب، وسماع الأغانى، لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعه واحده، وكان ندماءؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التنعم واللذات، لا يراعون له صلاحاً.

وفى بعض الأمثال: (الخائن لا يسمع صياحاً)، وكتب له الرقاع من العوام وفيها أنواع التحذير وألقىت وفيها الأشعار فى دار الخلافه فمن ذلك (مجثث):

قل للخليفه مهلاً

فانهض بعزم وإلاً

وفى ذلك يقول بعض شعراء الدوله المستعصميه من قصيده أولها:

يا سائلى ولمحض الحق يرتاد٣.

ص: ١٨٦

١- البدايه والنهايه: ج ١٣، ص ٢٠٠.

٢- الفخرى فى الآداب السلطانية: ص ٣٣.

قتل، وهتك، وأحداث يشيب بها رأس الوليد، وتعذيب وإصفاد(١)

كل ذلك، وهو عاكف على سماع الأغاني، واستماع المثلث والمثاني، وملكه قد أصبح واهى المباني، ومما اشتهر عنه أنه كتب إلى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعه من ذوى الطرب، وفي تلك الحال وصل رسول السلطان هلاكو إليه، يطلب منه منجنيقات وآلات الحصار، فقال بدر الدين: انظروا إلى المطلوبين وابكوا على الإسلام وأهله، وبلغنى أن الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي كان فى أواخر الدوله المستعصميه ينشد دائماً (خفيف):

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم

(انتهى كلام الفخرى).

وكان من حبه للمال أن الملك الناصر داود المعظم أودع عنده فى سنه سبع وأربعين وديعه قيمتها مائه ألف دينار، فجحدها الخليفه، فاستقبح هذا من مثله، وهو مستقبح ممن دونه بكثير، بل ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك(٢).ن.

ص: ١٨٧

-
- ١- قبله: إن جئت يثرب أو شارفت ساحتها فقل لمن أنزلت فى حقه صاد الكفر أضرم فى الإسلام جذوته وليس يرجى لنار الكفر أحماد يراجع تاريخ ابن الفوطى البغدادى الموسوم بالحوادث الجامعه: ص ٣٢١.
 - ٢- يراجع تاريخ ابن كثير: ج ١٣ ص ٢٠٥ و ٢١٤، والآيه ٧٥ من سوره آل عمران.

وكان من بخله أن فارق كثير من الجند بغداد لانقطاع أرزاقهم، ولحقوا ببلاد الشام في سنة خمسين وستمائه (١).

وكان من قله تدبيره وضعفه تركه ما أشار عليه به الوزير من المهادنة وإرسال التحف والهدايا إلى هلاكه وخواصه وقواده، بعدما قبل أولاً، فترك الحزم واقتصر على إنفاذ شيء يسير، (٢) وأخذ برأى أعداء الوزير وحساده، فإنهم خطأوه وشجعوا الخليفة على الحرب وترك المهادنة (٣).

وقد كان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند جداً، ومع ذلك كان يصانع التتار ويهادنهم ويرضّهم (٤)، ولعلّه لو قبل هذه النصيحة، وسلك على منهاج أبيه لدفع عن المسلمين هذه المصيبة العظمى. ٩.

ص: ١٨٨

١- تاريخ ابن الفوطى: ص ٢٦١.

٢- قال فى (تاريخ مختصر الدول: ص ٢٦٩): ولما فتح هلاكو تلك القلاع أرسل رسولا آخر إلى الخليفة، وعاتبه على إهماله تسيير النجده، فشاوروا الوزير فيما يجب أن يفعلوه، فقال: لا وجه غير إرضاء هذا الملك الجبار ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصه، وعندما أخذوا فى تجهيز ما يسيرونه من الجواهر والمرصعات والثياب، والذهب والفضه، والمماليك والجوارى، والخيل والبغال والجمال، قال الدويدار الصغير وأصحابه: إنّ الوزير إنّما يدبر شأن نفسه مع التاتار وهو يروم تسليمنا إليهم فلا نمكّنه من ذلك، فبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيره، واقتصر على شيء نزر لا قدر له، فغضب هولاءكو... إلخ.

٣- يراجع تاريخ ابن كثير ج ١٣ ص ٢٠٠، وروضه الصفا ج ٥ ص ٢٤٠ و ٢٤١، والحوادث الجامعه ص ٣١٩، جامع التواريخ ج ٢ ص ٧٠٢، وذيل تاريخ جهانگشا الجوينى ج ٣ ص ٢٨٠ و ٢٨١.

٤- تاريخ الخلفاء: ص ٣٠٩.

ويظهر مما أنشأه الشيخ الأديب الشاعر سعدى الشيرازى فى مرثيه المستعصم أنّ الملك أبا بكر بن سعد الزنكى أيضاً أشار إلى المستعصم بالمصانعه والمهادنه فلم يقبل نصيحته، وقد دفع هذا الملك التتار بالمصانعه والتدبير عن بلاد فارس.

وذكروا(1) من تكبر الخليفه أنّه كان فى طريق بلاطه حجر كالحجر الأسود عليه غطاء أطلس أسود، وكان الملوك والسلاطين وكبراء الناس وغيرهم يزورون ذلك الغطاء ويستلمون الحجر، وذكروا أنّ العالم المتورّع مجد الدين إسماعيل الفالى الذى أرسله أتاكبك مظفر الدين سعد رسولاً إلى الخليفه امتنع عن تقبيل الحجر المذكور ونعم ما فعل، فإنّه يجب على كل مسلم موحد مؤمن بالله ورسوله أن يمتنع عن ذلك، فلما ألزموه وضع المصحف الشريف على الحجر وقبّل المصحف.

ومن أفضع الوقائع الحادته فى خلافه المستعصم تخريب محلّه الكرخ فى بغداد، وقتل جماعه كثيره من الشيعة من بنى هاشم وغيرهم، ونهب أموالهم وأسر البنات، وحملهنّ عاريات على الخيول فى السوق بأمر أبى العباس أحمد بن المستعصم(2).ا.

ص: ١٨٩

١- روضه الصفا: ج ٥ ص ٢٣٥ و ٢٣٦، تاريخ وصاف الحضرة: ص ٢٧.

٢- يراجع فى ذلك تاريخ روضه الصفا ج ٥ ص ٢٣٦، ومجالس المؤمنين ص ٤٣٧، والفخرى ص ٢٤٤ وتاريخ ابن كثير ج ١٣ ص ١٩٦، وتاريخ ابن الفوطى ص ٣١٤، وقد استيحت دماء الشيعة ووضع السيف فيهم فى بغداد غير مره، فراجع تاريخ ابن الأثير وغيره حتى تعلم ما فعلت جهالات السفهاء وعصبياتهم الباطله. فمن ذلك ما ذكره ابن الأثير فى حوادث سنه ثلاث وأربعين وأربعمائه، فقرأ فى تاريخه تفصيل هذه الحادته وما ظهر من الجهال من سوء الأدب إلى المشهد الكاظمى عليه السلام والحرب والحرق والهدم والقتل، وما جرى من الأمر الفظيع مما لم يجر فى الدنيا مثله، مما قد تركنا ذكر تفاصيله حذراً من جرح عواطف الشيعة، ونكتفى بذكر أبيات من قصيده أنشأها المؤيد فى الدين أبو نصر هبه الله بن موسى بن أبى عمران فى هذه الحادته: ألا ما لهذا السماء لا تموروما للجبال ترى لا تسيرفموسى يشق له قبرهولما أتى حشره والنشور ويسعر بالنار منه حريمحرام على زائريه السعيروقتل شيعه آل الرسولعتواً وتهتك منهم ستورفوا حسرتا لنفوس تسيلويا غمتا لرؤوس تطير وقد جرى على الشيعة مثل هذه الحادته الفظيعة فى سنه خمس وأربعين وأربعمائه وفى غيرها.

وعلى كل حال احتمال كون اتهام الوزير العلقمي بالمواضعه مع هلاكو من مختلقات المتعصين (1) وأعداء الشيعة قريب جداً لا يدفعه شيء، وإسناده.

ص: ١٩٠

١- والذي ظهر لي بعد الفحص الكثير في التواريخ سيما التواريخ المؤلفه في القرن السابع الهجرى الذى وقعت فيه هذه الفاجعه ككتاب: مختصر تاريخ الدول، والحوادث الجامعه، وجامع التواريخ، ورساله كتبها الخواجه نصير الدين فى شرح هذه الحادثه التى ينبغى أن تُعدّ من أوثق المصادر بل أوثقها فى هذه الواقعه أن نسبه المؤامره إلى الوزير مع هلاكو إنما صدرت من حساده وأعدائه، كالديدار الصغير وأتباعه ممن يريدون الإستبداد بالأمر، فألقوا فى الألسنه والأفواه مؤامره الوزير واتهموه بالخيانه لا لأنه شيعى والديدار سنى، بل لأنّ الوزير كان واقفاً قبال نواياهم ويمنعهم من الإستيلاء على الأمور والإستبداد، ولذلك لم ير الديدار والشرابى بعد وفاه المستنصر تقليد الخفاجى الأمر، وهو الذى كان فيه شهامه وشجاعه زائده، وكان يقول: لئن وليت لأعبرن بالعسكر نهر جيحون، وآخذ البلاد من أيدى التتار وأستأصلهم، فأثروا المستعصم لئنه وانقياده ليكون لهم الأمر (تاريخ الخلفاء: ص ٣٠٦ و ٣٠٨) ولم يقنع الديدار بذلك حتى عمل على خلع المستعصم، والمبايعه لولده (تاريخ ابن الفوطى: ص ٢٤٩). ويظهر من التواريخ أن الخليفه الضعيف المستضعف كان عاجزاً عن دفع أمثال الديدار وقطع أيديهم عن الأعمال، وكان الديدار لا- يعتنى بمقام الوزير ولم يكن للوزير مع الديدار وأتباعه كثير تمكّن فى تمشيه الأمور، وإنفاذ تدبيراته الحكيمه، والمترجّح فى النظر أنّه لم يرد أحد من هؤلاء الأمراء لا- ابن العلقمى ولا الديدار ولا غيرهم تغلب التتار على بغداد، ولكنهم تركوا الحزم ولم يدعوا قبال هذه الحادثه العظمى اختلافاتهم، فمَنع الديدار الصغير الخليفه عن العمل برأى الوزير واتهمه تاره بالخيانه وأخرى بالحمق والسفاهه، وقال: لحيته طويله، لأنّه يرى أنّ تدبير الوزير لدفع شر التتار لو نجح لصار سبباً لزياده تقربه إلى الخليفه. وخلاصه الكلام: أن المتتبع فى كتب التواريخ يعرف أن ما أشار الوزير على الخليفه كان عين المصلحه، وأدى به النصيحه، ولو عمل بها لما وقعت هذه المذبحه العامه، وربّما لا يجد فى مثل تاريخ (مختصر تاريخ الدول) لابن العربى (ت: ١٢٨٦ م) ورساله الخواجه التى كتبها فى شرح هذه الواقعه وتاريخ ابن الفوطى (ت: ٧٢٣ هـ) وجامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الوزير (من أعلام القرن السابع وأوائل القرن الثامن) من المصادر والكتب التى أُلّفَت فى القرن الذى وقعت فيه هذه الحادثه ذكراً ولا أثراً من مؤامره، فلا حقيقه تحت هذه النسبه إلا إذا أخذنا بقول بعض الكتاب (الكذب إذا شاعت أصبحت حقيقه). إذن فلا ينبغى لمسلم أن يتهم غيره بمجرد المزاعم والنقول التى لا سند لها ولا يعتمد عليها. هذا ما ظهر لي بعد التتبع والتأمل التام. وأشهد الله تعالى أنّى لا- أقول ما أقول فى ذلك لأنّ ابن العلقمى كان شيعياً، فليس قصدى إلّانشدان الواقع والحقيقه، وتطهير النفوس عن البغضاء والشحناء ولا قوه إلّابالله.

الإشتراك فى هذه الجرائم الفظيعة إلى أحد من المسلمين من غير دليل قطعى لا يجوز عند العقل والشرع.

ص: ١٩١

ولأجل زياده التوضيح نقل كلام (ابن الطقطقى) فى الفخرى (ص ٢٤٦) قال: كان (يعنى العلقمى) رجلاً فاضلاً كاملاً لبيباً كريماً وقوراً محباً للرئاسه، كثير التجميل، رئيساً متمسكاً بقوانين الرئاسه، خبيراً بأدوات السياسه، لبيب الأعطاف بآلات الوزاره، وكان يحبُّ أهل الأدب، ويقرب أهل العلم، اقتنى كتباً كثيره نفيسه (إلى أن قال:): وكان مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعيه، متنزهاً مترفعاً. قيل: إن بدر الدين صاحب الموصل أهدى إليه هديه تشتمل على كتب وثياب ولطائف قيمتها عشره آلاف دينار، فلما وصلت إلى الوزير حملها إلى خدمه الخليفه وقال: إن صاحب الموصل قد أهدى لى هذا، واستحييت منه أن أردّه إليه، وقد حملته وأسأل قبوله فقبل، ثم إنّه أهدى إلى بدر الدين عوض هديته شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار، والتمس منه أن لا يهدى إليه شيئاً بعد ذلك.

وكان خواص الخليفه جميعاً يكرهونه ويحسدونه، وكان الخليفه يعتقد فيه ويحبه، وكثروا عليه عنده، فكفّ يده عن أكثر الأمور، ونسبه الناس إلى أنّه خامر وليس ذلك بصحيح.

قال(١): وفى آخر أيامه قويت الأراجيف بوصول عسكر المغول صحبه السلطان هلاكو فلم يحرك ذلك منه (يعنى المستعصم) عزمًا ولا- نسبه منه همّه، ولا أحدث عنده همًا، وكان كلما سمع عن السلطان من الإحتياط والإستعداد شىء ظهر من الخليفه نقيضه من التفريط والإهمال (إلى أن قال:): وكان وزيره ٤.

ص: ١٩٢

مؤيد الدين ابن العلقمي يعرف حقيقه الحال في ذلك، ويكاتبه بالتحذير والتنبيه، ويشير عليه بالتيقظ والإحتياط والإستعداد، وهو لا يزداد إلا غفولاً، وكان خواصه يوهمونه أنه ليس في هذا كبير خطر (إلخ).

وليس عندي بعيد أن نسبه الخيانه إلى الوزير العلقمي صدرت أولاً من بعض المتعصين كما أسلفنا الإيعاز إليه، ثم نقلها بعض الشيعة ممن جرح عواطفهم ما صدر من العباسيين وعمّالهم على الشيعة من سلب الحريه والإضطهاد، والقتل والتعذيب، مما تقشعرو من ذكره الأبدان، فكأنه أراد بنقل ذلك شفاء ما في صدره من هذه الأعمال الفجيعة، والسياسات الظالمه، ومن نقلها من السنيين لم يسندها إلى مصدر معتبر موثوق به، ولم أعر في كتب التراجم والمعاجم الشيعة ذكراً لهذه النسبه، فضلاً عن الإفتخار به، ولو كان فيهم من يفتخر بذلك (العياذ بالله) لذكروا في كتبهم المؤلفه في عصر الخواجه والعلقمي.

وهذه كتب العلماءه الحلّي في الإمامه وخلاف الأمه ليس فيها ذكر عن ذلك، مع أنه كان من تلامذه الخواجه في المعقول، نعم في الأعصار الأخيره ذكر ذلك القاضي نور الله الشهيد المتوفى سنة ١٠٢١ في مجالس المؤمنين، وتبعه مؤلف روضات الجنات المتوفى س ١٣١٣ من غير استناد إلى أصل موثوق به، وسواء أكان تدخل العلقمي في هذه الحادته معلوماً أم مشكوكاً. فأصول الشيعة تأبى عن الرضا بهذه الكارثه، وما جرى فيها من القتل العام، وذبح المسلمين والمسلمات، فالشيعة لا يجوز قتل مسلم واحد سنياً كان أو شيعياً إلا بالحق، فكيف يرضى بهذه المذبحة العامه وقتل الشيوخ والأطفال، وتغلب الكفار على

المسلمين، وليس في فقهاء الشيعة من أفتى بجواز قتل واحد من أهل السنه لأنه سنّي، فضلاً عن قتل عامه أهل بغداد مع ما فيهم من العلماء والأشراف من السنيين والشييعين.

وأما الخواجه نصير الدين المحقق الطوسي فشأنه أجل وأنبل من التدخّل في هذه الفاجعه، وقد كان هلاكه قبل استخلاصه الخواجه من يد الإسماعيليه أرسل إلى الخليفه وطلب منه أن يعينه بالجنود والعساكر، وكان غرضه من ذلك توطئه الوسيه للخروج عليه، وفتح بغداد كغيره من البلاد، ولم يكن لمنع الخواجه في فسح عزمته قليل تأثير، فهو وإن كان مكرماً عنده ظاهراً، وكان هلاكو يفتخر بوجوده في البلاط السلطاني، وأراد أن ينتفع بعلمه وحكمته، لكن لم يكن الخواجه ممن لا يزم السلطان وصحبه بالإختيار، بل كان مكرهاً مجبوراً في ذلك، لم يكن له بدّ من صحبه السلطان، وما كان حاله عند هلاكه أحسن من حاله عند الإسماعيليه.

ومما يبعد نسبه وجود مواضعه بين هذا الفيلسوف وابن العلقمي أنّ ابن العلقمي كتب إلى الأمير ناصر الدين المحتشم أنّ نصير الدين الطوسي قد ابتدأ بمكاتبه الخليفه، وأنشأ قصيده في مدحه، وأراد الخروج من عندك، وهذا لا يوافق الرأي فلا تغفل عن هذا، فلما قرأ المحتشم كتابه حبس المحقق(١).

وعلى كل حال، فمثل هذا الحكيم الفيلسوف الذي قلّمنا وجود الزمان بمثله في العلم والأخلاق، والفضائل النفسانيه، والكمالات الإنسانيه، ويضرب به المثل في التواضع والحلم، والرحمه البشريه، لا يقدم على أمر لا يقدم عليه إلّا.

ص: ١٩٤

١- تاريخ وصاف الحضرة ص ٢٩ و ٣٠، مجالس المؤمنين ص ٣٤٠.

من ألقى جلباب الإنسانيه عن نفسه، ورفع الله الرحمة عن قلبه، وأين هذا من رجل كان معلّم الأخلاق، ولا يزال يكون تصانيفه في الحكمة العمليه من مصادر التربيّه، وتعليم إصلاح الباطن وتهذيب النفس (١).

نعم ليس لمثل الخواجه ذنب غير حب أهل البيت، فصار بهذا الذنب غرضاً لسهام الجهّال، كما أنّ الشارح المعتزلي السني الذي توفّي قبل استيلاء المغول على بغداد (٢) ليس له ذنب غير شرح نهج البلاغه، وما أبان فيه من الحقائق التاريخيه، وفضائل أهل البيت، ومثالب مبغضيه، فلم يحرمه الخطيب من افتراءاته، ونسب إليه الإشتراك في هذه الفاجعه، ولم يسند ذلك إلى أي كتاب من كتب التراجم والتاريخ، ولم يأت في تحامله على هذا الشرح الذي يُعدّ من نفائس كتب المسلمين في الأدب والتاريخ واللغه، والكلام وغيرها، إلّا بالفحش والشتم، والخروج عن أدب الكتابه.

هذا مختصر الكلام حول هذه الحادّثه وأسبابها، ولا ريب أنّها من أعظم عبر التاريخ، ويجب على المسلمين الإعتبار بها وإن يعرفوا ضرر التنازع والتدابير، والإنهماك في المعاصي، والإشتغال بالملاهي والمملدات.

وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣). ٠.

ص: ١٩٥

١- قال ابن كثير في تاريخه (ج ١٣ ص ٢٦٧) وعندي أن هذا لا يصدر من عاقل ولا فاضل، وقد ذكره بعض البغاده فأثنى عليه، وقال: كان عاقلاً فاضلاً، كريم الأخلاق.

٢- فإن سقوط بغداد كانت في سنة ٦٥٦ هـ وابن أبي الحديد توفّي سنة ٦٥٥ هـ (تاريخ ابن كثير: ج ١٣ ص ١٩٩ و ٢٠٠).

٣- التوبه: الآيه ٧٠.

لم يدع الخطيب شيئاً من الإفتراء والبهتان إلا أسنده إلى الشيعة، وترك عنان القلم في ذلك حتى قال في ص ٢٧:

إنهم لا يرضون من المسلمين إلا بأن يتبرؤا من كل من ليس شيعياً، حتى آل البيت من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله.

الشيعة أعظم الناس احتراماً وأشد حفظاً للرسول في عترته وذريته، ليس عندهم أعز من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وبناته وذريته، ويتوسلون إلى الله تعالى بحبهم، ويتقربون إلى رسوله بولايتهم، ولم ينفك شيعي عن ذلك قط، ولا تجد لهذا الإفتراء أثراً عند الشيعة، لا في كتبهم ومقالاتهم، ولا في محافلهم وأنديتهم، فذهب أيها المفترى إلى مجالس الشيعة حتى تعلم مبلغ تحسرتهم وصراخهم، وصياحهم عند ذكر مصيبي الرسول بفقد ولده العزيز إبراهيم، وعند ذكر ما جرى على زينب بنت رسول الله من هبار، وحاشا ثم حاشا أن تكون في نفوس الشيعة إلا محبة أولاد الرسول وشيعتهم ومحبيهم.

وهل التشيع غير الولاء الخالص لأهل البيت، وكم من الفرق بينهم وبين من هو عندك معدود من أهل السنه ممن سب علياً وسائر أهل البيت عليهم السلام وترك التمسك بهم وتقرّب بذلك إلى الأمراء طمعاً في جوائزهم وصلاتهم.

نعم الشيعة يفضّلون فاطمه الزهراء سيده نساء العالمين على إخوتها وأخواتها وغيرهنّ من النساء، لفضائلها ومناقبها التي عرفها الخاص والعام، ولاختصاصها بأبيها.

قالت عائشه: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمه برسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت إذا دخلت عليه رَحِبَ بها وقام إليها، وأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه (١).

وفى روايه أُخرى عنها: ما رأيت أحداً أشبه سمياً ولا دلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وآله قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته في مجلسها (٢).

وقال صلى الله عليه وآله: فاطمه بضعه مني فمن أغضبها أغضبني (٣).

وقال صلى الله عليه وآله: هي بضعه مني، وهي قلبي، وهي روحى التي بين جنبيّ، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله (٤). ١.

ص: ١٩٨

١- مستدرک الصحيحين: ج ٣ ص ١٥٤.

٢- سنن الترمذی: ج ٢ ص ٣١٩، وأبى داود: ص ٣٤٥، والمستدرک للحاکم: ج ٤ ص ٢٧٢.

٣- صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق: ج ٢ ص ١٨٥، وفى كتاب النکاح: ج ٣ ص ١٦٤ (هى بضعه منى، يرينى ما رابها ويؤذينى ما آذاها).

٤- نور الأبصار: ص ٤١.

أخذ الخطيب عن أسلافه المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام ما اخترعوه من الكذب الفاحش، والإفتراء البين على الشيعة، ومن أفحش هذه الإفتراءات البراءة من زيد بن علي بن الحسين وغيره من أكابر أهل البيت عليهم السلام، وهذا بهتان يكذبه كتب الشيعة ورواياتهم، فإنّ من أظهر شعائر التشيع الحب الخالص والولاء لأهل البيت والعلويين، لا سيما الفاطميين منهم.

فهذه كتب التاريخ تنبئ عن ذلك، وتشهد على مواقفهم ومشاهدتهم في سبيل الدفاع عن أهل البيت، وتخبرك عن قتل منهم دون العلويين.

وهذه الشيعة ضيقوا عليهم أعداء أهل البيت والنواصب، وابتلوهم بأنواع الإضطهاد والمصائب والفتن، من القتل وقطع الأيدي والأرجل، والسجن والجلد، والقذف بالكفر والخروج عن الدين، والآراء المفتعلة، وليست لهم جريمة إلحاح على فاطمة وابنيهما، والتمذهب بمذاهبهم.

وهذه الشيعة تخصمهم أنت ونظراؤك لأنهم يكرمون أبناء علي وفاطمة،

ويعرفون لهم ما حباهم الله من الكرامه والفضيله، ثم تنسبون إليهم أنهم لا يرضون من المسلمين إلا أن يتبرؤا من آل الرسول مثل زيد الشهيد.

وهذه كتب الإماميه فى التراجم والنسب، مشحونه بالثناء البليغ لزيد الشهيد، ووصفه بكل جميل وجلاله قدره وكرامه مقامه عند الشيعة، أشهر من أن يذكر، وأمره فى الورع والعلم، والبسالة وشده البأس وإباء النفس، والحرص على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعوه إلى ما فيه الصلاح وخير الأُمه غنى عن البيان، حاز الشرف النبوى، والمجد العلوى، والسؤدد الفاطمى، والروح الحسينى، خرج الشيعة عنه الأحاديث وأثنوا عليه، ومدحه شعراؤهم وأبنوه، وللإماميه فى ترجمته كتب مفردة تنبئ عن منزلته عندهم، وخزجوا أيضاً فى شأنه وفضله روايات كثيره عن النبى والوصى، والإمام الباقر والصادق والرضا عليهم السلام.

هذا حال الشيعة وسيرتهم فى احترام العلويين، وأهل هذا البيت المبارك، فيا أهل الإنصاف! هذه كتب التراجم والتاريخ اقرؤوا فيها كيف هدر دم زيد خلفاء الأمويين وأتباعهم الذين يفتخر الخطيب بهم، ويعتبر حكوماتهم شرعيه، وينقم على الشيعة بأنهم لا يعتبرونها شرعيه.

إسألوا الخطيب عن أسماء قتله زيد، وعمن أمر بقتله ومن قطع رأسه الشريف، والخليفه الذى أمر بإحراقه، وبعث رأسه إلى المدينه، فنصب عند قبر الرسول صلى الله عليه وآله يوماً وليله وأسألوه عن الخليفه الذى أمر أبا خالد القسرى بقطع لسان كميث ويده بقصيده رثى بها زيدا، وابنه يحيى، هل كان هؤلاء من الشيعة أو من أسلاف الخطيب؟

أيها الخطيب أو ليس محمد بن إبراهيم المخزومي عامل خليفتمكم بالمدينه يعقد الحفلات بها سبعة أيام، ويخرج إليها، ويحضر الخطباء فيلغنون هناك علياً وزيداً وشيعته من قومك الماضين؟ أو ليس الحكم الأعور القائل:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخله... إلخ. من شعراء رهطك الأولين؟⁽¹⁾

اقرأ كتب التاريخ، وانظر هل تقدر على إحصاء أسماء من قتل من الشرفاء الأجلّاء، ثم انظر هل تجد في قاتليهم غير بنى العباس وبنى أميه وعمّالهم؟ وأسأل عن مذاهبهم، هل كانوا من الشيعة أم من غيرهم؟

يسألوا الخطيب عن أبي البختری وهب بن وهب الذي شق أمان الرشيد ليحيى بن عبدالله بن الحسن بالسكين، وجعل يشقه ويده ترتعد حتى صيره سيوراً، فأجازه الرشيد بألف ألف وستمائيه ألف، إنّه كان من قضاة الشيعة أو من أصحاب مذهبه، وأرباب نحلته؟

هذا كتاب مقاتل الطالبين، اقرأ فيه شيئاً من مصائب أهل البيت ومحنتهم، وما أصابهم من الخلفاء وحكوماتهم الشرعيه من الظلم والقتل، وقطع الأيدي والأرجل والحبس في أعماق السجون، وتعذيبهم بمنع الماء والطعام، وارجع إلى نفسك وانظر هل تقر القول بشرعيه حكومه هؤلاء الجبابره؟ وهل ترى من أيّد تلك الحكومات وأفتى بوجوب طاعتها، واشترك في مظالمها وجرائمها عليم.

ص: ٢٠١

١- ومن طريف أخبار زيد ما ذكره عبد الرحمن بن عيسى بن حمّاد الهمداني في كتاب (الألفاظ الكتابيه) المطبوع للمره الثامنه في بيروت، سنه ١٩١١ م في ص ١٤٣ قال: ولما أصاب زيد بن علي السهم، وأحسّ بالموت قال لرجل سأله عنهما: أين السائل عن أبي بكر وعمر، هما أقاماني هذا المقام.

الإسلام والمسلمين لحطام الدنيا لم يرتكب ذنباً، ولم يقترب إثماً؟.

ص: ٢٠٢

من الحقائق المسلمة التاريخيه، والأُمُور التي لا تقبل الريب والإنكار كون مدفن أمير المؤمنين علي عليه السلام فى المكان المشهور الذى يتشرف الناس بزيارته، وقد أخفى أهل بيته وأولاده قبره الشريف عن أعدائه من بنى أميه وغيرهم، فلم يعرف هؤلاء موضع مضجعه، وأهل بيته وأولاده كانوا عارفين بموضع قبر أبيهم عليه السلام. وقد أخبروا بذلك شيعتهم وخواصهم، وكانوا يزورونه فى هذا المكان الطيب، فزاره على بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالزياره المأثوره عنه، المعروفه بأمين الله، وزاره أيضاً أبو عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام وغيرهم من الأئمه ومشايخ أهل البيت، والنصوص فى تعيين محل القبر وأنه بالغرى فى هذا المكان الذى يزار فيه عن الإمام الحسن والحسين وزين العابدين وابنيه محمد الباقر وزيد الشهيد، وأبى عبدالله الصادق، وموسى بن جعفر، وعلى بن موسى الرضا، ومحمد بن على الجواد، وغيرهم من الأئمه وأكابر أهل البيت متواتره، ومن يكون أعرف بموضع قبر الميت من أبنائه، وأقاربه، وعشيرته وخواصه.

وأخرج أبو الفرج فى مقاتل الطالبين ص ٤٢ بسنده عن الحسن بن على الخلال، قال: قلت للحسن بن على: أين دفنتم أمير المؤمنين؟ قال: خرجنا به ليلاً من منزله، حتى مررنا به على مسجد الأشعث حتى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغرى.

وأخرج ابن أعمم الكوفى أيضاً فى تاريخه (على ما فى ترجمته) عن الحسن بن على عليهما السلام إنه قال: دفناه بالغرى.

وأخرج أيضاً (١) بسنده عن أبى قره قال: خرجت مع زيد بن على ليلاً إلى الجبان، وهو مرخى اليدين لا شىء معه، فقال لى: يا أبا قره أجائع أنت؟ قلت:

نعم، فناولنى كمثراه ملاء الكف، ما أدرى أريحها أطيب أم طعمها؟ ثم قال لى: يا أبا قره، أتدرى أين نحن؟ نحن فى روضه من رياض الجنة، نحن عند قبر أمير المؤمنين على.

وأخرج الحافظ الصغانى فى (الشمس المنيره) أن من المشهور أن زيد بن على عليه السلام الذى ينتسب إليه أهل هذا المذهب الزيدى قال لأصحابه، وهم يسلكون معه طريق الغرى: أتدرون أين نحن؟ نحن فى رياض الجنة، فى طريق قبر أمير المؤمنين.

وأخرج العلّامة المحدّث الثقه ابن قولويه المتوفى سنة ٣٦٧ أو ٣٦٨ فى كامل الزياره، والسيد ابن طاووس فى فرحه الغرى النصوص المأثوره المتواتره فى ذلك عن النبى صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين، والحسن والحسين والسجاد، وسائر أ.

ص: ٢٠٤

١- تاريخ ابن أعمم الكوفى: ص ١٢٨.

الأئمه عليهم السلام.

نقول هذا، وفيه الكفايه وفوق الكفايه، غير متعرّضين لما ظهر من كرامات كثيره، وآيات بيّنه عند الضريح المقدس، مما لا تسعه الأوراق، وتعجز عن إحصائه الأقلام، ذكر طائفه منها العلماء والمحدّثون في كتبهم بأسناد معتبره، وصرّح بذلك ابن بطوطه في رحلته (١) وذكر بعض ما يتعلّق بليله المحيا ليله السابع والعشرين من رجب.

وقد أفرد الباحثون والمحقّقون في تعيين قبره، وأنّه مدفون بالنجف، وفي تاريخ هذا المشهد الشريف مؤلفات قيمه، منها كتاب فرحه الغرى للسيد النقيب العلّامه غياث الدين عبد الكريم بن طاووس، المتوفى سنه ٦٩٣ هـ، وهو كتاب حسن نافع جيد جداً.

وكتاب موضع قبر أمير المؤمنين لأبى الحسن محمد بن على بن الفضل بن تمام الكوفى الدهقان أحد أعلام القرن الرابع الهجرى.

وأيضاً كتاب موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام لأبى جعفر محمد بن بكران عمران الرازى من القرن المذكور.

وكتاب الدلائل البرهانيه فى تصحيح الحضرة العلويه للعلّامه الحلّى، وكتاب نزّه الغرى للشيخ محمد الكوفى.

وكتاب نزّه أهل الحرمين فى تعمير المشهدين (الغروى والحائرى) للسيد العلّامه السيد حسن الصدر.٠

ص: ٢٠٥

١- رحله ابن بطوطه: ج ١ ص ١١٠.

وماضى النجف وحاضرها للشيخ جعفر النجفي آل محبوبه.

واليتمه الغرويه للسيد حسون المتوفى سنه ١٣٣٣ هـ.

ولؤلؤ الصدق للسيد عبدالله ثقه الإسلام الإصبهاني.

وحدّ الغرى وغيره، وصرّح بكون القبر فى الغرى جمع من أكابر المؤرخين كاليقوبى المتوفى سنه ٢٩٢ هـ فقال على سبيل الجزم فى تاريخه:

ودفن بالكوفه فى موضع يقال له الغرى.

وقال أبو الفداء فى المختصر: (١) والأصح وهو الذى ارتضاه ابن الأثير وغيره أنّ قبره هو المشهور بالنجف وهو الذى يزار اليوم.

وقال ابن الطقطقى فى الفخرى: (٢) وأما مدفن أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه دفن ليلاً بالغرى ثم عفى قبره إلى أن ظهر حيث مشهده الآن صلوات الله وسلامه عليه.

وفى معجم البلدان (٣) وهو (يعنى النجف) بظهر الكوفه كالمسناه تمنع سيل الماء أن يعلو الكوفه ومقابرها، والنجف وقشور الصليان، وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه، وفيه أيضاً (٤) والغريان طربالان، وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفه، قرب قبر على بن أبى طالب رضى الله عنه. ٦.

ص: ٢٠٦

١- المختصر لأبى الفداء: ج ٢، ص ٩٣.

٢- الفخرى فى الآداب السلطانيه: ص ٧٤.

٣- معجم البلدان: ج ٥ ص ٢٧١ (ط بيروت).

٤- المصدر السابق: ج ٤ ص ١٩٦.

وفى مراصد الإطلاع(١): والنجف أيضاً بظهر الكوفه كالمسناه تمنع سيل الماء أن يعلو الكوفه ومقابرها، وبالقرب من هذا الموضوع قبر أمير المؤمنين على بن أبي طالب المشهور.

وأخرج الكنجى الشافعى(٢) بسنده عن الحاكم أبى عبدالله الحافظ بإسناد رفعه قال: لما حضرت وفاه على عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام: إذا أنا مت فاحملانى على سرير ثم أخرجانى ليلاً ثم آتيا بى الغريين، فإنكما ستريان صخره بيضاء تلمع نوراً فاحتفرا فإنكما ستجدان فيها ساجه فادفنانى فيها فدفناه وانصرفنا.

وقال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه:(٣) وقبره بالغرى (إلى أن قال) وأولاده أعرف بقبره، وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وهذا القبر الذى زار بنوه لما قدموا العراق، منهم جعفر بن محمد عليهما السلام وغيره من أكابرهم وأعيانهم.

وقال أيضاً فى شرح النهج:(٤) وهذا القبر الذى بالغرى هو الذى كان بنو على يزورونه قديماً وحديثاً، ويقولون: هذا قبر أبينا لا يشك أحد فى ذلك من الشيعة ولا من غيرهم، أعنى بنى على من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالة المتقدمين منهم والمتأخرين ما زاروا، ولا وقفوا إلا على هذا القبر بعينه).

ص: ٢٠٧

١- مراصد الإطلاع: ص ٣٩٤ (ط مصر سنه ١٣١٠).

٢- كفايه الطالب: ص ٣٢٣.

٣- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١ ص ٥ (ط مصر مطبعه دار الكتب العربيه الكبرى).

٤- المصدر السابق: ج ٢ ص ٤٥ (ط مصر مطبعه دار الكتب العربيه الكبرى).

وقد روى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي في تاريخه المعروف بالمنتظم وفاه أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون الرسى المقرئ بأبي نجوده قراءته قال: توفي أبو الغنائم هذا في سنة عشر وخمسمائه، وكان محدثاً من أهل الكوفة، ثقه حافظاً، وكان من قوام الليل، ومن أهل السنه، وكان يقول: ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنه وأصحاب الحديث غيري، وكان يقول:

مات بالكوفة ثلاثمائة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفاً إلا قبر أمير المؤمنين، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن، جاء جعفر بن محمد، وأبوه محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام فزاراه... إلخ.

وقد زاره أيضاً جمع من الخلفاء كالمنصور، والرشيد، والمقتفي، والناصر، والمستنصر، والمستعصم (١).

وفي كتاب (السيدة زينب) الذي وضعته لجنة نشر العلوم والمعارف الإسلاميه بالقاهرة: وخفي قبره إلى أن ظهر حيث مشهده الآن (وفيه): قد ثبت أن زين العابدين علي بن الحسين، وجعفر الصادق، وابنه موسى زاروه في المكان المذكور، ولم يزل قبره مستوراً لا يعرفه إلا خواص أولاده، ومن يثقون به بوصيه كانت، لما علم من دوله بنى أميه في عداوتهم له، فلم يزل مختفياً حتى كان زمن هارون الرشيد (ثم ذكر حكاية خروج هارون إلى ظهر الكوفة للصيد، وما رأى من كرامه الإمام عليه السلام، وظهور القبر له بدلاله بعض شيوخ الكوفة، وأمره ببناء قبه عليه) (٢). ب.

ص: ٢٠٨

١- فرحه الغرى: ص ١٠٠-١٠٤، الحوادث الجامعه لابن الفوطى: ص ١٨٨ و ٢٥٧.

٢- السيده زينب: ص ٥ و ٦ و ٧، وقال ابن حوقل في (صوره الأرض: ص ٢١٥) وقد شهر أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان هذا المكان، وجعل عليه حصاراً منيعاً، وابتنى على القبر قبه عظيمه مرتفعه الأركان من كل جانب لها أبواب، وسترها بفاخر الستور، وفرشها بثمان الحصر السامان، وقد دفن في هذا المكان المذكور جله أولاده وسادات آل أبي طالب من خارج هذه القبه، وجعلت الناحيه مما دون الحصار الكبير تراباً لآل أبي طالب.

هذا وإيضاح موضع دفن جثمان الإمام عليه السلام وأنه في النجف في المحل الذي يزار الآن غنى عن البيان، قام عليه اتفاق أهل بيته والأئمة من ولده وشيعته، لم يختلف في ذلك منهم اثنان، ولكن الخطيب أنكر هذا الواقع المسلّم حسداً وبغضاً، لأن في رحاب هذا المشهد تحيي مآثر العتره الطاهره، وتأسست منذ ألف سنه أعظم جامعه إسلاميه لا تزال ترسل أشعتها إلى أرجاء العالم الإسلامي.

يحسد الخطيب أهل البيت على ما آتاهم الله من فضله، ومنحهم من المحبه في قلوب المؤمنين، وعلى أيامهم ومشاهدهم ومواقفهم التي ترسخ في النفوس حب الشرف والفضيله.

هذه المشاهد تقول: إن أعداء الحق وأتباع الباطل، وإن جهدوا جهدهم وسعوا سعيهم، وقتلوا أصحاب الحق وهدموا بيوتهم، وفرّقوا جموعهم، وعدّبوهم في قعر السجون، وسبّوهم على المنابر، لا- يقدرّون على إطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

هذه المشاهد تصيح في وجوه الظلمه وتنادى البشريه وتقول: كونوا أحراراً وأنصاراً لدين الله وأعوّناً لعباد الله، وادفعوا عن كيان الإسلام، وشرف الإنسان يبقى لكم الذكر الخالد وتقول:

قف دون رأيك في الحياهان الحياه عقيدته وجاهد

هذه القبور شعائر الحريه، وشعائر إخلاص أبناء البشر، وأهل الآباء والحميه، وتدعو الناس إلى إعانه المظلوم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدفاع عن حقوق الإنسانه الكبرى.

هذه القبور تقول: إن أنصار الحق هم الغالبون، وإن حزب الله هم المفلحون، وإن المستقبل لهم، وإن الدهر لا- ينسأهم، والله يورثهم الأرض ويجعلهم الأئمه ويجعلهم الوارثين.

لقد حارب هذه القبور وأراد هدمها، ومنع الناس عن زيارتها جبابره الأرض وأعداء الحريه، والخطيب ومن كان فيه نزعه أمويه يتبع أثر هؤلاء فيثقل عليه ما يرى من ميل النفوس إلى زياره هذه المشاهد، فكأنهم يحبون أن يكون هذه الضرائح التي تهوى إليها الأفتنده، وتحن إليها القلوب لأعداء أهل البيت، وجبابره التاريخ الذين حاربوا الفضائل الإنسانيه، وسعوا في إطفاء نور الحق وكان من اللد الأشياء عندهم قتل الأبرياء، وتعذيب الصلحاء، فيقول في جمله من كلماته التي يظهر منها التعصّب والعناد، وبغض أهل البيت عليهم السلام، بعد تكرار افتراءاته السابقه على الشيعة من القول بوقوع التحريف في القرآن في ص ٢٧ و ٢٨: وقد زعموا ذلك (يعنى القول بالتحريف)(١) في جميع عصورهم وطبقاتهم على ما نقله عنهم، وسجّله لهم نابغتهم العزيز عليهم، الحبيب إلى قلوبهم الحاج ميرزا حسين بن محمد تقى النورى الطبرسى في كتابه (فصل الخطاب في إثباته).

ص: ٢٠٩

١- قد أشبعنا الكلام في صيانه القرآن من التحريف، وذكرنا جمله من أقوال أكابر الشيعة وأحاديثهم في جميع طبقاتهم، وعصورهم في بطلان القول بالتحريف، فراجع تمام كلامنا في هذا الباب.

تحريف كتاب رب الأرباب) الذي اقترف جنايه كتابه كل سطر منه في جانب قبر الصحابي الجليل أمير الكوفة المغيرة بن شعبه (رض) الذي تزعم الشيعة أنه قبر علي بن أبي طالب (١).

انظر إلى هذه الكلمات بعين الإنصاف، واقض العجب عما يريد الرجل من التفريق بين المؤمنين، وانظر كيف يكرر افتراءاته، وكيف يأتي بكل ما يهيج السنه على الشيعة وبالعكس، فيتعرض لما لا يعد من الخلافات المذهبيه، ولا مناسب.

ص: ٢١١

١- لم يسبق الخطيب في نقل هذه الفريه أحد إلا الخطيب البغدادي، فإنه حكى عن أبي نعيم عن أبي بكر الطلحي: أن أبا جعفر الحضرمي كان ينكر ذلك، من غير أن يسنده إلى مأخذ أو أصل، أو ينقله عن مجهول، أو يذكر له مصدراً، ولم يعتمد على هذه الحكايه الواهيه أحد من المؤرخين، لا قبل الخطيب ولا بعده، وعده العلامة السبسط ابن الجوزي من أغلاط أبي نعيم، وقال: إن المغيرة بن شعبه لم يعرف له قبر، وقيل: إنه مات بالشام (تذكره الخواص: ص ١٨٧، الطبعة الثانيه). وقال ابن أبي الحديد في المجلد الثاني من شرح النهج: ص ٤٥، ٤٦: سألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه أن قوماً يقولون: إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة جانب الغرى هو قبر المغيرة بن شعبه، فقال: غلطوا في ذلك قبر المغيرة، وقبر زياد بالثويه من أرض الكوفة، ونحن نعرفها وننقل ذلك عن آباءنا وأجدادنا (إلى أن قال): وسألت قطب الدين نقيب الطالبين أبا عبدالله الحسين بن الأقساسي (رحمه الله تعالى) عن ذلك، فقال: صدق من أخبرك، نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثويه، وهي إلى اليوم معروفه، وقبر المغيرة فيها إلا أنها لا تعرف، قد ابتلعها السبخ وزبد الأرض وفورانها، واختلط بعضها ببعض، ثم قال: إن شئت أن تتحقق أن قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين، والمح ما قاله في ترجمه المغيرة في الكتاب المذكور، فوجدت الأمر كما قاله النقيب.

له بتحقيق الوحده الإسلاميه.

انظر كيف يثنى على المغيره بن شعبه، ويأبى ذلك فى حق من هو مجمع الأوصاف المحموده الإنسانيه، فيأتى بعد هذا الثناء على المغيره بذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام مجرداً عن جميع أوصافه وألقابه.

وانظر كيف لا يستحيى من العلماء، ومن قلمه وقرطاسه، فيقول جازماً من دون أن يذكر خلافاً فى ذلك: إنّ الذى تزعم الشيعة أنّه قبر على بن أبى طالب هو قبر المغيره كأنه من أولاد المغيره، أو كان حاضراً حين واروه فى التراب.

فاسألوه من أين عرفت موضع قبر المغيره؟ ومن أين ثبت ذلك عندك؟ ومن أى مصدر صحيح أخذته؟ وهذا العلامه الشهير السبط ابن الجوزى يقول:

لم يعرف له قبر، وقيل: إنه مات بالشام، وهذا ابن حبان يقول على ما حكى عنه فى معجم البلدان فى (الثويه): إنّ المغيره بن شعبه دفن بالكوفه بموضع يقال له الثويه، وهناك دفن أبو موسى الأشعري فى سنه خمسين، وقال فى (مراصد الإطلاع) قيل بالثويه دفن المغيره وأبو موسى الأشعري وزياد.

أم كيف ينكر معرفه ولد أمير المؤمنين الذين دفنوا أباهم، وزاروه فى هذا الموضع الذى عرفوا الناس به، وكيف ينكر معرفه شيعته بقبره، فمن كان أبصر وأعلم منهم بذلك، وما قيمه إنكار شخص بعيد عن الميت بعد إخبار أولاده وخواصه بقبره، ومن يعتد بكلام مثل هذا المجازف الذى لا مأخذ له، وأبطله الأخبار المتواتره المذكوره، وتصريحات أعلام المؤرخين، وظهور الكرامات الكثيره عنه عليه السلام عند القبر الشريف.

ص: ٢١٢

لم يقنع كاتب (الخطوط العريضة) في إظهار الإنحراف عن أهل البيت، أصحاب الكساء، وبنى فاطمه عليهم السلام، والميل إلى أعدائهم ومبغضيتهم بما افتري على الشيعة حتى مدح في ص ٣١ سيره يزيد بن معاوية، وكفى به عبقرية أن يكون من أمجاده يزيد المخمور الذي أخلج تاريخ الإنسانيه بما يرتكبه من أنواع الجرائم والمنكرات (١).

ص: ٢١٣

١- راجع كتب التواريخ: كتاريخ الطبرى ج ٧، وابن الأثير ج ٣، ومروج الذهب ج ٣، والبدايه والنهايه ج ٨، وتاريخ اليعقوبى ج ٢، وسير النبلاء ج ٣ (فى عبدالله بن حنظله) وسمو المعنى فى سمو الذات، أو أشعه من حياه الحسين ص ٦٦-٦٨، وأبو الشهداء، وحياه الحيوان ج ٢ ص ٢٢٤، والبدء والتاريخ، وتذكره الخواص، وغيرها.

أعلن الخطيب عقيدته في ص ٣٢، وخالف جميع الأئمة فرفع أبا بكر وعمر وعثمان، وحتى عمرو بن العاص، حتى جعل منزلتهم أعلى من مرتبه جميع الأنبياء، وجبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة، وجميع خلق الله، فانظر كيف يعلن بذلك ويصرح بتفضيل الشيخين وعثمان، وحتى مثل عمرو بن العاص على الأنبياء والمرسلين، كسيدنا إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وعلى جميع خلق الله، وهو الذى يمقت الشيعة لقولهم بتفضيل الإمام على سائر الصحابه، ويفترى عليهم بأنهم (ونعوذ بالله من ذلك) يرفعون مرتبه أئمتهم عن مرتبه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وإنما ذكر عمرو بن العاص فيمن فضله على جميع خلق الله تلويحاً بتفضيل معاوية بن أبى سفيان والمغيره بن شعبه، ومن يحدو حدوهما فى بغض أمير المؤمنين على بن أبى طالب وسفك الدماء، وقتل الأبرياء على الأنبياء عليهم السلام أيضاً.

قال فى صفحه ٣٣: إن استحاله التقريب بين طوائف المسلمين، وبين فرق الشيعة هى بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين فى الأصول، قال: ومما لا ريب فيه أنّ الشيعة الإماميه هى التى لا ترضى بالتقريب... إلخ.

الشيعة الإماميه كما تشهد به كتبهم القديمه والحديثه المطبوعه وغيرها لا تخالف سائر المسلمين فى أصول الإسلام: التوحيد والنبوه والمعاد، يؤمنون بالله الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ويؤمنون بأنبياء الله ورسله، ومعجزاتهم وكتبهم لا يفرقون بين أحد منهم، ويؤمنون بما أنزل على سيدنا محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وأنه لا نبي بعده، وبشريعته التى ختمت الشرائع، وأن القرآن المجيد هذا الكتاب الكريم الذى يقرؤه أهل السنه والشيعة هو الكتاب المنزل عليه، ويؤمنون بسؤال القبر، وقيام الساعة، وإحياء الأموات للحساب، وبالجنة والنار، والصراط والميزان وبملائكة الله، لا سبيل

للكف في هذه العقائد عند شيعى، وأيضاً يؤمنون بوجوب الصلوات المفروضه وغيرها من الواجبات، كما يؤمنون بحرمه الخمر والميسر، والميته ولحم الخنزير، والكذب والغيبه، والربا والزنا، واللواط ونكاح المحارم، وغيرها من المحرّمات المعلومه الثابته بالكتاب والسنه المعدوده من ضروريات الدين الحنيف، فمن شك في ذلك ليس من الشيعه بشىء بل لا يحكمون عليه بالإسلام، ويحكمون جميع فقهاءهم عليه بالكفر والإرتداد، وهكذا يؤمنون بسائر أحكام الله تعالى في المعاملات، والقضاء، والنكاح، والطلاق، والظهار والإيلاء، والحدود والديات.

ولا يضر في الحكم بالإسلام عندهم اختلاف أرباب المذاهب في الفروع الفقهيه فيحكمون بإسلام المعتنقين بالمذاهب الأربعة المعروفه، بل ومن لم يعتنق خصوص مذهب من هذه المذاهب، لأنّ باب الإجتهد عندهم مفتوح، فليس على المسلم إلّا أن يأخذ بالكتاب والسنه، وليس لحصر المذاهب في الأربعة المشهوره أصل صحيح، بل يجب على من أدى اجتهاده إلى خلاف هذه المذاهب اتباع اجتهاده، ومع هذا كيف لا ترضى الشيعه بالتقريب.

وأما افتراؤه في ص ٣٣ و ٣٤ عليهم بأنهم يرفعون الأئمه عن مرتبه البشر إلى مرتبه آلهه اليونانيين فبهتان محض، يعرف كذب هذا الإفتراء كل من كان له قليل معرفه بكتب الشيعه وعقائدهم، فهم أبعد الفريقين من هذه المقالات، لا يقولون بمثل ذلك في رسول الله صلى الله عليه و آله فضلاً عن الأئمه، ويعتقدون فيهم أنّهم عباد الله تعالى، مخلوقون مربوبون، محتاجون إليه، وأنّ من غلى فيهم فاعتقد تأليههم، أو اشتراكهم مع الله تعالى في أمر الخلق والرزق، والإمامته، والإحياء

وغيرها كافر مرتد خارج عن الإسلام يحكمون بنجاسته.

وأظن أنّ الخطيب أيضاً كان عالماً بتنزّه الشيعة عن هذه المقالات والعقائد الباطلة، ولكن لما لم يجد شيئاً يمنع عن التقريب والتجاوب بين الطرفين جاء بهذا البهتان العظيم، ونسب الشرك والكفر بالقول بتأليه أئمة آل البيت إلى طائفه كبيره من المسلمين المؤمنين الموحّدين، الذين يشهدون في مآذنتهم وإداعاتهم بكلمه التوحيد، ويتبرؤون عمن يعتقد تأليه الأئمة وغيرهم، أو يرفعهم عن مرتبه البشر.

فليس ما بينهم شيء يمنع عن التقريب والتجاوب، وليس معنى التقريب أن يترك الشيعة مذهبه ويصير سنياً أو بالعكس (1)، بل معناه أن يُترك كل على اجتهاده فيعيشوا في مجال أوسع من هذا المجال، وأن يتركوا العصبية الباردة، ويعترف كل واحد منهم للآخر بالحقوق الإسلاميه، لا يتهم السني الشيعة بالشرك والكفر، والاستهانه بالفرائض وفعل المحرّمات، ولا يتهم الشيعة السني بالنصب وعداوه آل البيت، فلا يسيرون إلّاعلى ضوء الحقائق فيأولون بعض ما يصدر عنهم بحسب اجتهادهم في الكتاب والسنة بما يتأولون بعض ما صدر من السلف، فإنّ حاجه المسلمين بهذه التأولات فيما بين أنفسهم في عصرنا أكثر وأشد من حاجتهم إلى تأويل أعمال السلف، فإنّ حسابهم على الله، والزمان حال بيننا وبينهم.م.

ص: ٢١٧

١- وهو صريح بيان دار التقريب أيضاً. وصرّح به مؤسسها العلّامه القمي في مناسبات شتى (راجع النقط على الحروف) من أبحاث رساله الإسلام.

إن الشيعة لا يعتمدون على الإفتراء والأكاذيب حين يناقشون غيرهم، بل يعتمدون على الكتب المعتره الموثوق بها عندهم، ولا يقابلون الشتيمة بمثلاً كشتائم الخطيب وغيره ممن لا نريد سرد أسمائهم، وسيحكم الله بينهم وبين هؤلاء يوم يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

فالشيعة أرضى الفريقين بالتقريب، وقد خطت في سبيله خطواتها الواسعه، ولكن من يريد بقاء الملة الإسلامية في ظلمه المناقشات والمنافرات لتبقى عليهم سلطه الإستعمار لا يحب التقريب وتحقق الأخوة الإسلامية بين الطائفتين، لا يحب أن يعيش أهل القبلة كلهم في عالم واحد معتصمين بحبل الله، فيفتري على الشيعة أموراً لم تخطر على قلب شيعي، وينسب إليهم من العقائد ما هم أبعد منه من المشرق إلى المغرب كالقول بتأليه الأئمة ونبوتهم، وتاره يكفرهم بآراء لا توجب الكفر بل ولا الفسق إذا كانوا مجتهدين، وذلك مثل التبرء من أعداء أهل البيت كمعاوية وعمرو بن العاص، والحجاج ويزيد، وغيرهم ممن ثبتت عداوته لأهل البيت وبغضه لعلى عليه السلام، وقاتلوا علياً وحسناً وحسيناً، فإن ترك التبري لا يعد من أصول الدين، ولا بمرغوب فيه شرعاً، بل دلت الروايات الصحيحه على وجوبه.

وأما ما قال في ص ٣٤ من مخالفه أصول الشيعة لجميع اصول المسلمين فنسأل الخطيب عن معنى الأصل والأصول، وما قصد من أصول الشيعة وأصول المسلمين.

فإن كان مراده من أصول الشيعة ما امتازوا به عن أهل السنه وغيرهم من فرق المسلمين من التمدب بمذهب أهل البيت أعدل الكتاب وسفن النجاه، فلا

تجد فرقه من الفرق إلولها جهه امتياز عن غيرها، وليس معنى ذلك أنها تخالف أصول الإسلام.

وإن كان مراده أن أصول الشيعة تخالف أصول الإسلام والأسس التي عليها يقوم الإيمان، وأن الشيعة لم تأخذ بأصول الإسلام الثابتة بالكتاب الكريم والسنة، فهذا بهتان على الشيعة، فإنهم من أشد الناس أخذاً بأصول الإسلام وبالكتاب والسنة، ولا ذنب لهم سوى أنهم لم يؤمنوا بشرعيه حكومه أمثال معاوية ويزيد والوليد من الحكام الجابره والطواغيت، واهتدوا بهدى أهل البيت عليهم السلام فهل ترى الرجوع إليهم فى العلوم الشرعيه والتمسك بهم وبالكتاب المأمور به فى حديث الثقلين موجباً لجواز تكفير الشيعة أو تفسيقهم؟

وهل يكون الإيمان بصحة خلافه الشيخين وعثمان من أصول الإسلام؟

وهل يجوز تكفير مسلم إن أدى اجتهاده إلى عدم صحتها؟

فإن جاز ذلك فلم لا تحكمون بكفر النواصب والخوارج، وأصحاب الجمل وصفين، وبنى أمية وأتباعهم من الذين أنكروا خلافه على عليه السلام الشرعيه بإجماع الفريقين وفعلا ما فعلوا.

ألا ترى أنه لم يكفر أحد من الصحابه المسلمين الذين خرجوا على عثمان حتى قتل، وكان فى من نقم عليه أم المؤمنين عائشه، ولا ينكر ذلك عليها.

وإذا كانت فاطمه عليها السلام بنت رسول الله وسيدة نساء العالمين لم ترض بحكومه أبى بكر ولم تقرها، ولم تعتبرها شرعيه، وماتت واجده عليه كيف يجوز تفسيق من أتبع مذهبها مجتهداً فى ذلك، ولو كان الإيمان بشرعيه هذه

الحكومات من أصول الإسلام كيف خفى على سيده نساء أهل الجنة، وعلى بعلها باب علم النبي، وعلى غيرهما من بنى هاشم، كالعباس والصحابه الذين امتنعوا عن البيعه (١).

فيعلم من ذلك كله أنّ الإعتقاد بشرعيه هذه الحكومات ليس من أصول الإسلام فى شىء، ولا يجوز تفسيق من أدى اجتهاده إلى عدم شرعيتها، ولا يجوز لأهل السنه تكفير من لا يرى حكومه مضت عليها الدهور باد أهلها شرعيه، ولا ينبغى للمسلمين الإشتغال بهذه المباحث التى قضت عليها الأزمته، وليس حساب أهلها علينا، إن حسابهم إلأعلى الله، وتلك أمه قد خلت ولا مساس للقول بسوء صنيع هذه الأفراد، والقول بحسن حالهم بالإسلام، فإنّه أوسع من هذه المجادلات، فإذا لا ينبغى مناقشه الشيعى بما يرى من جواز التبرء من أعداء آل محمد ومبغضيههم، وليس هذا مانعاً من التقريب والتجاوب، فكل فى تلك المسائل على مذهبه، لا- يضر ذلك بالتقريب بعد اتفاق الفريقين على اتباع الكتاب والسنه، فإنّ الخلافات ترجع إلى الإختلاف فى فهم مدلول الكتاب أو السنه، واعتبار بعض الأحاديث وعدمه، فأحدى الطائفتين إن أدى اجتهادها ٥.

ص: ٢٢٠

١- يراجع صحيح البخارى ج ٣ ص ٣٥، ومسلم ج ٥ ص ١٥٤، وأسد الغابه ج ٣ ص ٢٢٢ و ٢٢٣، وتاريخ أبى الفداء ج ٢ ص ٦٣ و ٦٤، والإمامه والسياسه ج ١ ص ١٠ ١٤، ومروج الذهب ج ٣ ص ٢٤، وشرح ابن أبى الحديد ج ٣ ص ٤٠٧، والإستيعاب فى باب من اسمه منهم عبد الله، والعقد الفريد ص ٢٥٠ و ٢٨٥ ج ٢، والطبرى ج ٣ ص ١٩٨ و ١٩٩ و ٢١٠ و ج ٤ ص ٥٢، وتاريخ الخلفاء ص ٤٥، والصواعق ص ١٢ و ١٣، والرياض النضره ج ١ ص ١٦٧، وأعلام النساء ج ٣ ص ١٢٠٦ و ١٢٠٧، وتاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥.

فى مسأله إلى خلاف ما اختارته الأخرى فإنما اختارته تمسكاً بالكتاب أو السنه، كما أن الطائفه الأخرى أيضاً اختارت كذلك، وإن كان فى أهل السنه من يعمل بالقياس فالشيعة لا يعملون به، ولا يحتجون إلبالكتاب والسنه، فلا يليق أن يكون مجرد ذلك سبباً للجفوه والتباعد، ولا- يوجب اختبار رأى فى هذه المسائل، لا سيما إذا كان عن اجتهاد، وكان عارياً عن العصيه والعناد، موجباً للخروج عن الإسلام أو جواز التفسيق، أو استحراق اللوم والتوبيخ.

ص: ٢٢١

زعم الخطيب فى ص ٣٤ أن الشيوعيه التى تفاقمت فى العراق وبحزب توده فى إيران أكثر مما كان لها من أثر فى سائر العالم الإسلامى هى وليده التشيع، والشيوعيون فى ذينك القطرين من صميم أبناء الشيعة (إلخ).

الشيوعيه لم تؤثر فى ذينك القطرين لا- سيما فى إيران أكثر مما أثرت فى سائر العالم الإسلامى، وقد بذلت فى سبيل تحقّق أمنياتها فى إيران منذ ظهرت إلى الآن أموالاً كثيره، وفعلت السياسيه الهدّامه، وعاونها فى ذلك عوامل استراتيجيه، وكون إيران محادده لأم الحكومات الشيوعيه، وأعظمها سلطه وقدره، ورغبها فى بسط نفوذها الغاشم فى إيران ما فيها من آبار الزيت وغيرها، وكونها طريقاً للإستيلاء على الهند والپاكستان، ولقد احتل الجيش الروسى فى الحرب العالميه الثانيه إقليم خراسان، ومازندران، وآذربايجان وجيلان، فأُست فى آذربايجان تحت اضطهاد الجنود الأجنيه وإشرافها حكومه

شيوعيه ومع ذلك لم تنجح مساعيها في إيران ولم تنل ما أرادت من السلطه على إيران الشيعي، فقاومت آذربايجان الإتجاهات الأجنبيه، واستقامت بالقوه الروحيه الإسلاميه، وتحملت الكوارث والمحن الشديده، حتى فشلت دعايات الشيوعيين، فلم تؤثر في الآذربايجانيين ولا في غيرهم، لكونه من صميم أبناء الشيعه، وأغنياء من الأساليب الإقتصاديّه التي تعرض عليهم الشيوعيه، ولأنهم مؤمنون بأنّ التعاليم الإسلاميه تضمّنت جميع ما يحتاجه الإنسان من النظم الإقتصاديّه والإجتماعيه.

ولو كان التشيع سبب تأثير إيران والعراق بالشيوعيه فما سببه في تأثر البلاد السنيه منها، ففي بعض الممالك السنيه نرى الحزب الشيوعى من أقوى الأحزاب تأثيراً في الثورات والحوادث السياسيه، وبعضها كألبانيا اعتنقت الشيوعيه، وهذه كتب علمائهم ومثقفهم، حتى الإسلاميه منها بين أيدينا قد تأثر بعضها بآراء الشيوعيين، ويرى القارئ ميل مصنفها إلى النظام الشيوعى، وتفسير تعاليم الإسلام على نحو يوافق ذلك النظام، وأضف إلى ذلك جرائد الأحزاب الشيوعيه ومجلاتّها، ودعاياتها بمختلف الأساليب في تلك البلاد.

وأما في إيران فقد فشلت تلك الدعايات، وقضى عليها الإسلام والتشيع قضاءً حاسماً، واستنكرها الخواص والعوام استنكاراً شديداً.

ونسأل الله أن يحفظ بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من شر الأعداء، وأن يمنّ عليها بالخير والبركه والأمان والسلام.

والحق أنّ الشيوعيه مهما ظهرت وأنى ظهرت فى بلاد المسلمين ليست إلّا وليده جنائيات المستعمرين، فإنّ الإستعمار يمنع اجتماع المسلمين حول أحكام القرآن، ويسعى سعيه لتفريق كلمتهم ليحفظ سلطته على الممالك الإسلاميه، ولينهب ما فى أيديهم من الثروه ويقضى على مجدهم وكيانهم.

إنّ الإستعمار يرى الإسلام صخره تقاوم مقاصده وأغراضه، فيسعى سعيه لتحطيمها، ولئلا تكون الحكومات رمزاً لعلائق المسلمين، ولا تتحقّق مقاصد الإستعمار فى بلادنا إلّا إذا عمّ الجهل والفقير، وشملت أبناءنا الرجعيه والتقهقر إلى الجاهليه، فالإستعمار يريد اضمحلال المعارف الإسلاميه التى هى أرقى المعارف البشريه ليسلب من المسلمين حرياتهم التى منحهم الإسلام، ولا يريد إلّا أن يصبحوا أرقاءه وعبيده.

الإستعمار هو الذى يرغب الفتيان والفتيات وأرباب المناصب والرؤساء والمترفين بترك الآداب الإسلاميه، ورفض الشعائر الدينيه، ويشوّقهم إلى

الإشتغال بالملاهي والمعازف، وشرب الخمر والقمار، والفحشاء واختلاط النساء بالرجال، ويستأجر الأقالام لتشويق المجتمع إلى الفساد والمنكرات.

وإنَّ خوف الإستعمار من اتحاد المسلمين وتيقظهم، واجتماعهم حول كلمه التوحيد أشد من خوفه من استيلاء الشيوعيه، لأنَّ العالم الإسلامي لو استيقظ من رقدته يدافع عن الإنسانيه وحقوقها المغتصبه، ويعرض عليها أرقى الأساليب والنظم الإجتماعيه، وأنفعها في حياتها الإجتماعيه والروحيه، والإقتصاديّه والمدنيه، وينقذ الناس من مظالم المستعمرين، واستبداد الشيوعيين، ويقضى على استثمار الناس بعضهم بعضاً.

ولا تدخل الشيوعيه في إقليم إلّا بعد دخول الإستعمار فيه، فالإستعمار يمهد السبيل للشيوعيه لأنّه يأتي بالفقر والمشاكل الإقتصاديّه ويذهب بالحرية، ويمنع عن التقدم وعن قيام الأمم بما فيه صلاح نفسها وعلاج دائها.

الإستعمار هو السبب للضعف وذهاب قوه الأمم، ويقضى على الدين والآداب، والشعائر الإسلاميّه.

فالإستعمار ينتهي إلى الشيوعيه، فإذا بلغ مظالمه غايتها أخلى السبيل للشيوعيين للقضاء على ما بقى من الحريات والفضائل، ولم تفتتن الجماعات بما يعرض عليها الشيوعيه من أساليبها الخادعه إلّا بما جنت عليها أيدي المستعمرين الجبارين.

الإستعمار يفرّق بين المسلمين، ويؤسس في كل إقليم حكومه مستعمره لتحفظ مصالحه، ويسعى سعيه كي لا تستولى عليه الشيوعيه ولا تذهب بسلطانه، ولا يدرى أن الشيوعيه وليدته، وأن التخلّص من نكباتها خصوصاً في

الممالك الإسلامية لا يتحقق إلّا بهدم جميع البنايات الإستعماريه وإيكال أمور المسلمين إلى أنفسهم.

الإسلام ديننا، وعزنا ومجدنا وتاريخنا، وتعاليمه وأحكامه آدابنا وشريعتنا، وسياسته سياستنا، وحكومته حكومتنا، وبلاده في شرق الأرض وغربها وطننا، لا يصلح أمورنا إلّا بالإسلام، ولم يفسد ما فسد منها إلّا البعد عن الإسلام، والمستعمر يريد هدم هذه المباني فيجعل لأهل كل قطر تاريخاً ووطناً، ويشجّع العصبية القومية (1)، ويكثرون أسباب الإمتياز بين الأقاليم الإسلامية، ن.

ص: ٢٢٧

١- لا اعتبار في المجتمع الإسلامي بالقومية، وإذا كان مفهوم القومية شعور جماعه من الناس أنّهم طائفه واحده فشعور المسلمين أنّهم كلهم أبناء الإسلام وأمه القرآن، وأنهم كلهم مشتركون في المصالح والمنافع، وأنّه يجب على كل مسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأقوى وأوسع وأشمل من ذلك، والتعبير عن الرابطة الإسلامية بالقومية ونحوها يقصر عن أفهام تلك الرابطة والأخوة الدينيه التي هي نعمه الله على المسلمين، وإذا كانت القومية اتحاد جماعه في اللغة والعنصر والأرض والتاريخ والمصالح فلا- اعتبار بها، ولا يجوز لمسلم أن يتميز عن سائر المسلمين بهذه الأمور، بل التمسك بها يوجب التفرّق المنهى عنه، فالتفاهم والتجاوب يجب أن يكون بالإسلام وعقيدته التوحيد، وأما غير ذلك إن هي إلّا أسماء سمّيتوها أنتم وآباؤكم سورة النجم: الآيه ٢٣، فلا- يقيم الإسلام لوحده اللغة أو لوحده العنصر والأرض وأمثال هذه وزناً، سيما إذا صارت سبباً للتفرّق وتميز طائفه من المسلمين عن سائر المسلمين. هذا مضافاً إلى أنّ العصبية للقومية بالمعنى المذكور خصوصاً إذا كان قبال قومية أخرى من المسلمين مذمومه شرعاً، ولا- ريب أنّ الإسلام جاء ليؤخّد الناس عقيدته ومجتمعاً، فليس إذن هنا غير الإسلام، وليس نعرات القوميين والوطنيين والعنصريين في داخل بلاد الإسلام إلّا شبائك للإستعمار، ولا شيء خارج الإسلام، وكل حركة يجب أن تنتهي إلى الإسلام، ولا يصغى المسلم إلى هتاف المستعمرين.

ويحيون آثار الأقدمين، ويربطون كل شعب بالعصور البائدة الحياه القبليه، لأن ذلك يقطع أسباب الإرتباط بين المسلمين، فيجب على أى شعب من المسلمين الإهتمام بإحياء أيام الإسلام وشعائره، دون ما ليس منه شىء من أيامهم الماضيه، وشعائهم التى أبطلها الإسلام، وأن يعظّموا رجالاتهم لأنهم رجالات الإسلام، وأن يعتزّوا بتاريخ شعبهم لأنّه صفحه من صفحات تاريخ الإسلام المشرقه لا لأنّه تاريخ شعب خاص أو مملكه أو أمه خاصه، لأن هذا من أضر مكائد الإستعمار على الوحدّه الإسلاميه.

اللهم ادفع عَنّا شر الأعداء، واجمعنا فى ظل رايه الإسلام، واجعلنا معتصمين بحبلك، وانصرنا على القوم الكافرين.

زعم الخطيب في ص ٣٤: أن علي محمد الشيرازي الذي ادعى قبل مائه سنه أنه باب المهدي المنتظر ثم ادعى أنه هو المهدي نفى إلى آذربايجان لأنها مباءه السنين من أهل المذهب الحنفي، ولم تقم الحكومه بنفيه إلى بلد شيعي لأن من طبيعه مذهب الشيعي قبول أهله لهذه الأوهام.

هذا من آثار جهله العجيب بأحوال البلدان، ولا- تثريب عليه لأنه لا- يحترز من القول بغير علم، فيقول ما يوافق هواه، بل ينكر الحقائق الظاهره، فإن إقليم آذربايجان من الأقاليم العريقه بالتشيع والولاء الكامل الخالص لأهل البيت عليهم السلام، ومعاهد الشيعه العلميه ومدارسهم وجوامعهم فيها كثيره، وسكان هذا الإقليم مهتمون غايه الإهتمام بالإلتزام بالشعائر الإسلاميه. وقد أبلوا في سبيل الله والتشيع بلاءاً حسناً، ظهر فيه ثباتهم وصدق عزائمهم وحسن إسلامهم، وقوه إيمانهم، ونفى على محمد إلى آذربايجان كان لأسباب سياسيه أُشير إلى بعضها في كتاب (بي بهائي باب وبها) وكتاب (يادداشتهاي كينياز دالكوركي الروسي) وقد

منع أهل آذربايجان من الإفتتان بدعاوى على محمد تشييعهم والتزامهم بأصول الإسلام، وولاء أهل البيت عليهم السلام، فصلب على محمد هناك (فى تبريز) بعد أن تاب ورجع عن دعاواه، وأظهر الإسلام وكتب توبته بخطه، لكن لم تقبل منه لعدم قبول توبه المرتد عن الفطره فى الظاهر.

حركة البايه والبهاثيه

وليعلم أن حركة البايه والبهاثيه فى جميع مراحلها كانت تحت حمايه السياسه الإستعماريه(1)، فهى التى ربّتها وقامت بنفقاتها، فاستعملتها أولاً الحكومه الروسيه لأهداف سياسيه معينه، فشجعت عمّالها هذه الحركة للقضاء على الحكومه الإيرانيه، أو التدخّل فى الشؤون الحكوميه وتفريق كلمه المسلمين، وكانت حكومه إيران فى تلك الأزمنه لأسباب معلومه مضطره إلى المسامحه فى الأمور مع حكومه روسيا، ولكن مع ذلك لم تنجح سياسه حكومه روسيا، ولم تتحقّق أمنياتها لأنّ إيران الشيعيه قامت فى وجه هذه السياسات وأخمدت نار فتنها).

ص: ٢٣٠

١- المذاهب والأديان التى أحدثتها السياسه، أو ربّتها فى القرن الأخير فى الشرق كثيره ليست منحصره بالبهاثيه، ولا فرق بينها وبين الجمعيات والأحزاب السياسيه التى تأسست بنفقه بعض الحكومات فى أهدافها إلّافى الاسم؛ ومن هذه الفرق القاديانيه التى تسمى بالأحمديه، والآقاخانيه، فكل هذه الدعوات أوجدها الإستعمار واليهوديه العالميه والبهاثيه، كما صرح به الباحثين فى أفكارها لا تتعدّى كونها فكره ماسونيه، ولا سيما فى النظام المحفلى (راجع حضاره الإسلام، العدد ٩ و ١٠ من السنه العاشره).

ثم دخلت هذه الفرقة في مرحله جديده، حيث استخدمتها حكومه إنكلترا للعمل في إداراتها الجاسوسيه إلى أن اتخذت لها حيفا وعكا مركزاً للدعايه، لأنهم أدركوا أنّ الظروف والأحوال في إيران لا تساعد على قبول مثل هذه الدعايات السخيفه، فخدم الحزب البهائي حكومه إنكلترا خدمات خانوا بها الشرق والإسلام والمسلمين، لا سيما في الحرب العالميه الأولى، فالتمس عباس أفندي رئيس البهائيه من القائد الإنكليزي اللورد النبي الذي دخل بيت المقدس في الحرب العظمى الأولى وقال: اليوم فقد انتهت الحروب الصليبيه أن يحصل له لقب (سر) فحصل له، فكانت البهائيه في أحضان جواسيس إنكلترا إلى أن شاركهم في ذلك حكومه أمريكا لتستخدمها أيضاً في مقاصدها السياسيه في الشرق الأوسط وغيره، فأصبحت البهائيه حركه صهيونيه أمريكيه.

قال الكاتب الكبير الدكتور شلبي في كتابه (مقارنه الأديان: ج ١ ص ٣٠٩) فيما كتبه حول الجمعيات السريه الخطره التي كانت ولا- تزال من أهم المؤسسات التي اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم، والوصول إلى هدفهم، فعّد منها البايه والبهائيه: (ومن الواضح أن حياه البهائيه في عكا بين جماعات اليهود أثرت فيها تأثيراً واسعاً، وقطعت ما كان باقياً بينها وبين الإسلام من صلات طفيفه إن وجدت فأصبحت البهائيه وجهاً آخر لليهوديه وللصهيونيه).

وقال في ص ٣١٠ بعد ذكر موت البهاء: وخلفه ابنه (عباس أفندي) الذي كان في خدمه الحلفاء خلال الحرب العالميه الأولى فأنعمت عليه بريطانيا برتبه فارس مع لقب سير، وتوفى سنه ١٩٣١ م فخلفه ابن بنته شوقي رباني الذي مات بعد ذلك دون أن ينجب ولداً، وفي ظل الفكر الجديد للبهائيه دفعها اليهود إلى

أقطار الأرض ورعوها بالمال، ومنحوها الرعايه التامه فأصبحت البهائيه (حركه صهيونيه أمريكيه) كما يسميها الكتّاب والمحدّثون، وأسفرت البهائيه عن وجهها الصهيوني إذ بعد وفاه ميرزا شوقي رباني اجتمع المجلس الأعلى للطائفه البهائيه في إسرائيل وانتخب صهيونياً أمريكياً اسمه (ميسون) ليكون رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفه البهائيه في العالم (انتهى كلام الدكتور شلبي).

وليس لتدخل البهائيه في بعض الأمور سبباً غير السياسه، وليس لأكثرهم لولا الكلّ سيّما زعمائهم ورؤسائهم إيمان بالبهائيه، فلم يعتنقوها للتدين بها بل اعتنقوها ليتقربوا بها إلى أعداء الإسلام ويكسبوا الدراهم والدنانير.

هذا، وأخيراً نلفت أنظار الباحثين في تاريخ البايه والبهائيه وآراءهم، ولعب السياسات بهم إلى كتاب (تاريخ الباب أو مفتاح باب الأبواب) المطبوع في مصر مطبعه المنارس ١٣٢١ هـ، تأليف الدكتور محمد مهدي زعيم الدوله، وصاحب جريده (حكّمه) نزيل القاهره، وكتاب (مهازل البهائيه على مسرح السياسه والدين)، تأليف أنور ودود المطبوع في حيفا مطبعه الكشاف، وكتاب (ساخته های بهائيت در صحنه دين وسياست) له أيضاً وكتاب (بی بهائی باب وبهاء) تأليف محمد علي الخادمي الشيرازي، وكتاب (يادداشتهاي كينياز) تأليف كينياز دالكوركي الروسي الوزير المفوض للحكومه الروسيه في طهران، وكتاب (محاكمه وبررسی در تاريخ باب وبها) تأليف الدكتور ح م ت وكتاب (نصائح الهدى) تأليف العلّامه البلاغي، وكتاب (بزبگیر شرح دزد بگير)، وكتاب (يارقلي) وغيرها.

كما نلفت الأنظار أيضاً إلى التواريخ المؤلّفه في عصر حدوث فتنه الباب

مثل (روضه الصفا) و (ناسخ التواريخ) وغيرهما، وإلى كتاب (كشف الحيل) في ثلاثة أجزاء للفاضل البخّاثه (الآيتي) الملقّب عند البهائيّين ب (آواره)، وهذا الرجل كان داعيتهم العظيم ونحريهم الكبير، ومنتهى أملهم، وكانوا يعتزون به كمال الإعتراز فاستبصر وتاب عن ضلالاته، واعتنق الإسلام وأظهر بطلاً مقالات هذه الطائفة، وأظهر حيلهم ومخازيهم وشنائع أعمال رؤسائهم، وصنف في ذلك كتباً كثيرة ككشف الحيل، ومجله نمكدان، وغيرهما(1) .هـ.

ص: ٢٣٣

١- ومما ينبغي أن نلفت إليه أنظار الباحثين أن للآيتي كتاب تاريخ موسوم بالكواكب الدرّيه في تاريخ البايه والبهائيه، وهو كتاب أُلّف لقلب الحقائق التاريخيه، وإخفاء فضائح هذه الفرقة، وقد شهد مؤلفه (الآيتي) بعدما استبصر بعدم اعتبار هذا التاريخ، وأنهم قد دسّوا فيه أربع مرات، وأسقطوا عنه ما كان ثابتاً من الوقائع التاريخيه، وزادوا عليه المئات من الأكاذيب، فراجع كتابه (كشف الحيل ج ١ ص ٦٠ ٦٣ و ج ٢ ص ١٩١ و ١٩٢ الطبعة الرابعه سنه ١٣٠٧ الشمسيه). وقرض الكواكب الدرّيه (للميرزا حسن نيكو) وهو أيضاً شهد في كتابه (فلسفه نيكوج ج ١ ص ١٢٥ الطبعة الأولى سنه ١٣٠٦ الشمسيه) بأنّ أكثر ما في كتاب الكواكب الدرّيه مجعول موضوع لا أصل له، فاحفظ ذلك حتى لا تعتمد على هذا التاريخ المزور الموضوع كما اعتمد سعد محمد حسن من علماء الأزهر، ومؤلف كتاب (المهديه في الإسلام) فوقع في اشتباهات كثيره، وزلّت عجيبيه، واعتمد سعد محمد حسن في كتابه هذا أيضاً على كتب المسيحيين واليهود، فنقل عقائد الشيعه بواسطه دوايت دونلدوس، وجولدزيهر وقان قلو تن ونيكلسون، وديقتسكي، ومرجليوث من الذين خدموا الإستعمار، والتبشير بكتبهم، ولم يفهموا عقائد الفرق أو لم يكتبوا ما فهموا وكتبوا ما سمعوا من المجاهيل وما لم يسمعوا، واعتمد أيضاً على كتاب (الوشيعه) المشحون بالأباطيل والنسب المفتعله على الشيعه، ولم يراجع في ذلك ما كتبه علماء الشيعه في نقض (الوشيعه) مثل (نقض الوشيعه) لسيد الأعيان الإمام السيد محسن الأمين وأجوبه مسائل موسى جار الله للعلّامه الإمام السيد شرف الدين. فهذه مصادر سعد محمد حسن في كتابه (المهديه في الإسلام) وما كتب عن الشيعه، وكان الواجب عليه مراجعه كتب أهل السنه المعتمره في المهديه ومراجعته كتب الشيعه، أو علمائهم في سوريا ولبنان، وإيران والعراق وسائر الأقطار، أو مراجعه أقطاب التقريب من علماء الأزهر حتى يرشدوه الى عقائد الشيعه، ولا حول ولا قوه إلّا بالله.

وقد ردّ عليهم أيضاً (الميرزا حسن نيكو) في كتاب أسماه: (فلسفه نيكو) في ثلاثه أجزاء، وكان هو أيضاً معدوداً من دعاه البهائيه، ولكنّه أنكر اعتناقه هذا المسلك السخيف، واعتذر أنّه إنّما دخل فيهم للفحص عن حقيقه مسلكهم وبواطن أمورهم وأسرارهم.

هذا آخر ما وفّقنا الله تعالى في نقد (الخطوط العريضة) مع ضيق المجال وكثره الإشتغال، والله الهادي إلى سواء الصراط، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وآله الهداه وأصحابه الأبرار، والتابعين لهم بإحسان.

لطف الله الصافي الكلپايگانی

شوّال المکرّم ۱۳۸۲ هـ

ص: ۲۳۴

قال الله تعالى: وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١).

من أعظم الواجبات الملقاه على عواتق العلماء، والكُتّاب، وقاده الأمم، لا سيّما في هذا العصر أن يخلصوا تيّاتهم، ويُنزّها أقدامهم عن كل ما يورث الوهن والفسل، ويؤدى إلى الضعف فى صفوف المسلمين، ويبعدوا نفوسهم عن سوء الظن، وأن يتّقوا الله فيما يقولون. لا يكتمون الحقائق، ولا ينشرون الأباطيل، ولا يعتمدون فيما يكتبون على الزور والبهتان، والإفتراءات الظالمه التى تُؤدى بالناس إلى الضلال، وإثاره العصبيات البغيضه الممزّقه لجسم الأمم، والمفرّقه للجماعه، والدافعه للجّهال على تنميه التباغض والصّدام، وفعل ما لا يُجوّزه العقل والشرع كما يجب عليهم أن ينتهجوا أسلوب الأنبياء عليهم السلام فى

ص: ٢٣٧

المناقشه والجدال والدَّعوه إلى الحق على ضوء ما أَدَبَنَا اللهُ به فى كتابه العزيز حيث: قال عزَّ اسمه: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (١).

وقال سبحانه: أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (٢).

وقال تبارك وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٣).

وقال تعالى شأنه: إِذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٤).

وقال تعالى حكاية عن نبيه شعيب لما قال له قومه: إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ، وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٥).

وقد أمر نبيّه الأَظم صلى الله عليه وآله أن يقول للمشركين: إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦).

فلم يصرح بضلاله المشركين فى مقام التخاطب معهم مع أنّ المشركين فى ضلال مبين من دون أدنى شك أو ريب. ٤.

ص: ٢٣٨

١- العنكبوت: الآية ٤٦.

٢- النحل: الآية ١٢٥.

٣- الاحزاب: الآية ٧٠.

٤- فصلت: الآية ٣٤.

٥- الاعراف: الآية ٦٦-٦٧.

٦- سبأ: الآية ٢٤.

فأقرب الطرق الموصلة إلى الحقيقة، الأخذ بهذا المنهج الإلهي، وهو الجدل بالتي هي أحسن، وأكمل المناهج هو هذا المنهج الذي أمر الله به أنبياءه ورسله ليسيروا عليه في أداء رسالاته.

فأحرى بنا أن لا نتبع سواه أثناء الدعوه إلى الدين الحنيف ومحاولتنا اجتذاب الآخرين إلى رساله رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وفيما نتناقش حوله من المسائل الخلافية بين المسلمين لأنه المنهج الوحيد البعيد عن الغلط في القول، والمنزه عن أساليب الشتم والفحش والإفراء، والمتحلّي باللين والطف، والمستند على العلم والمعرفة، والداعى إلى حمل أقوال المسلمين وأفعالهم على المحامل الصحيحة مهما أمكن، والاجتناب عن المزاعم والظنون الباطله، ومتابعه الهوى، والعصبيه الممقوته.

قال الله تعالى: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (١).

وقال سبحانه: فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنَتْلُهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَقَلْبٌ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ (٢).

وإذا كان القرآن الكريم يخبر عن قوم شعيب، وهم كفار أثناء ردهم عليه بقوله: وَإِنَّا لَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣). مما يشير إلى أنهم تحلوا بشيء من الأدب ٦.

ص: ٢٣٩

١- الإسراء: الآية ٣٦.

٢- آل عمران: الآية ١٥٩.

٣- الأعراف: الآية ٦٦.

حيث لم يقطعوا بكذبه حسب ما توحى به عبارتهم.

فكيف يجوز للمؤمن الذى يأخذ بأدب الله أن يحكم على أخ له فى الله، أو على طائفه كبيره من إخوانه المسلمين بالكفر أو الفسق يتهمهم بما لا يقولون به، وما عذره عند الله تعالى إن كفر مسلماً بما لا يوجب الكفر، أو استعمل فى رده عليه أسلوب الشتم والفحش إلى جانب الإفتراء والبهتان اللذين يؤديان إلى إثارة الضغائن، ويحولان دون ظهور الحق وانكشاف الواقع.

فالباحث النزيه إذن لا- يجوز لنفسه إن لم يكن فى قلبه مرض أن ينحرف عن النهج الإلهى فى حوارهِ ومناقشاته مع الآخرين، ويتبع عوضاً عن ذلك أسلوب الشتم، والددس، والضغينه، والتهريج بالباطل حين يؤدى به الأمر إلى أن يحكم على طائفه لعلها الكبرى بين طوائف المسلمين، ولعلمائها وأدائها على امتداد التاريخ عشرات الألوف من المؤلفات فى مختلف الموضوعات، والعلوم الإسلاميه عقيدته ونظاماً، أن يحكم على مثل هذه الطائفه من خلال أخبار آحاد شاذه أهملها العلماء والمحققون، وأساطين علم الحديث، لعدم الإعتماد عليها والأخذ بها، بل وإيمانهم بكذبها، فيتهم هذه الطائفه نتيجة أخذه بشواذ الأخبار هذه بما هى بريئه منه، ويرميها بالآراء والأقوال الشاذه.

وإننا لنستعيد بالله إذا كان بين المنتحلين للعلم والكتابه من لا يحمل سلاحاً للدفاع عن آرائه إلّا الشتم والإفتراء والمغالطه، والقول بغير علم، بل على خلاف العلم، وكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى: **إِنَّمَا يَفْتَرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**

بآياتِ اللهِ وأولئك هم الكاذِبُونَ (١).

كما نستعيد به من كُتِّبَ يؤثرون خصائصهم الطائفية على مقومات الشخصية الإسلامية فيؤيدون الأولى بما يذهب بالثانية، ويفترون على غيرهم بما لو ثبت (وهو ليس بثابت قطعاً) لأصبح عاراً على الإسلام.

فهؤلاء إذن خطر على الإسلام كمبدأ وعقيدته، وخطر على جماعه المسلمين كأمة يجب أن تصان وحدتها، والعمل على جمع كلماتها، وخصوصاً في هذه الظروف العصيبة التي تواجه الإسلام والمسلمين من جانب أعدائهم.

إننى لأتساءل في نفسى، كما يتساءل كل مخلص في نفسه، عما يقصد أمثال هؤلاء من كتاباتهم الباطلة المملوءة حقداً وبهتاناً على شيعه أهل بيت النبوه، ومذهبهم غير تشويه جوهر الإسلام بتشويه منظر التشيع.

ناهيك عما في ذلك من بث روح العداة والخلاف، والفرقة بين المسلمين، وخصوصاً فيما بين الشيعة والسنة في ظرف يعمل المخلصون فيه بكل جهد وإخلاص لبث روح التفاهم والتعارف بينهما.

كم كان حريزاً بهؤلاء عوضاً عن بث هذه السموم أن يجردوا أعلامهم إن كانوا حقيقه ذوى علم وإيمان وعمل للكتابه حول الإسلام وبيان جوهره الإنسانى، وحقائقه الساميه، ومفاهيمه الراقية ليجتذبوا إليه هذه الأجيال التائهة، وخصوصاً في عصرنا المادى هذا، وأن يكتبوا الحقائق التي تُقَرَّب بين السنة والشيعة، وتؤلَّف بين مختلف المذاهب الإسلاميه.٥.

ص: ٢٤١

١- النحل: الآية ١٠٥.

وبذلك يكونون قد أدّوا ما أوجبه الله عليهم من الدعوه إليه بالحكمه والموعظه الحسنه.

الحوادث المنذره

الحوادث التي تقع كل يوم في داخل بلاد المسلمين من الشيعة والسنة، وفي خارج عالمنا الإسلامي تنذر الجامدين، والغافلين، والمعرضين عن الإعتصام بحبل الله، وتحتم علينا جميعاً أن ننتبه من رقدتنا، ونستيقظ من نومتنا، ونتمسك بكتاب ربنا وسننه نبينا، ونحسن الظن بأنفسنا كمسلمين إلههم واحد، ونيهم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحده، وحجهم واحد، وشعائر دينهم لا تكاد تختلف في شيء.

نعم، الأجدر بنا ما دمنا كذلك أن نلتفت إلى هذا الجيل المسلم خصوصاً بعد أن شاهدنا، ونشاهد طغيان الإلحاد، وامتداد الكفر، وسموم الدعايات (المضلله) التي تنفثها الإرساليات المسيحيه، والشيوعيه العالميه في نفوس أبنائنا وأفكارهم لتسلخهم عن الإسلام، وتُصيرهم أدوات في يدها للقضاء عليه، وسلاحاً ضد جماعه المسلمين.

ثم إنّ أفواجاً كثيره في مجتمعنا الإسلامي من الأجيال الصاعده باتت لا ترخّب بدعاه العصبية المذهبيه، وتقاوم كل من يحاول منعها عن التفكير الحر، ولا يستسيغون استعراض كل ما يؤدي إلى الإختلاف بين مذاهب المسلمين، ولا ينصلتون وراء دعوات البهتان والإفتراء، بل يعترفون بالحق أنّي كان، وفي أيّ مذهب انحصر.

وما ذلك منهم إلا التأكيد الإتصال، والإتحاد، والتجاوب، والتحابب بين المسلمين.

فلا يمكن لأحد في هذا العصر وإن جهد جهده. وكتب ما كتب من الكذب والإفتراء، أن يجعل طائفته بعيدة عن معرفه آراء غيرها، فالشيعى والسنى يلتقيان كل يوم وكل آن، ويتجاوبان(1)، ويعرض كل واحد منهما مذهبه عليه.

ص: ٢٤٣

١- لا يخفى عليك أيها القارئ العزيز أنّ كتاب الشيعة لم يحاولوا قط إبعاد أبناء الشيعة عن معرفه آراء المذاهب الأخرى لا سيما أهل السنه، فهم منذ بدايه بحوثهم العلميه الإسلاميه وتعليمها وشروعهم فى التصنيف والتأليف كانوا مهتمين بمعرفه جوهر آراء غيرهم، وحقيقه مذاهبهم فى الأصول والفروع. فلم يعرضوا قط عن كتاب علم وبحث لأن مؤلفه سننى، ولم يمنعوا طائفهم عن مطالعه مؤلفات غيرهم من طوائف المسلمين، وعلمائها وكتبهم فى الأصول، والفقه، وفى المسائل الخلافيه بين المسلمين تشهد بذلك كما تشهد بأمانتهم وعلمهم الواسع بالمذاهب، فنراهم يذكرون فى كتبهم فى الأصول والفقه، والتفسير وغيرها أدله أهل كل مذهب، ثم يناقشونها بكل إنصاف وتبخر وعلى ضوء الكتاب والسنه. وفى هذا العصر لا تجد فى مدينه قم المشرفه، وجامعتها الإسلاميه الكبرى وفى سائر البلاد والمدن الشيعيه مكتبه عامه أو خاصه إلا وهى مشحونه بمؤلفات أهل السنه فى مختلف العلوم، وهى فى متناول الجميع، يراجعها تلامذه الجامعه بكل حريه من غير أن يكون لهم غرض إلا الأخذ بالرأى الصحيح الأوفق بالكتاب والسنه. فلا يشتبه على أحد منهم شىء من آراء المسلمين ومذاهبهم لقله المصادر فضلاً من أن يتعمد ذلك ويأتى بالزور والبهتان كما يشتبه على الكاتب السننى لقله مصادره، ولاعتماده على أفائكك الأولين وما نسجته أيدى السياسات الجائره فى ذلك. فترى مثل الأستاذ عبدالكريم الخطيب مع ما كتب حول المعارف الإسلاميه يعتمد فى كتابه (الله ذاتاً وموضوعاً) فيما ينقل عن الشيعة، وهم أرقى الطوائف الإسلاميه، وأعمقهم تفكيراً فى المعارف الإلهيه على الملل والنحل للشهرستانى الكتاب المملوء بالخرافات والإشتباهات. فيسند إلى الشيعة القول بالحلول والتناسخ، والتجسيم والتجسيد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولا يذكر عن آرائهم وعقائدهم الإسلاميه التى بنوها على الأدله العقلية والنقلية شيئاً، فكأنه لم يكن عنده من كتب الشيعة فى الكلام والفلسفه كتاب أو لم يُرد أن يراجع هذه الكتب، لأنّ ما فيها يكذب ما فى مثل (الملل والنحل) ويثبت جلاله شأن الشيعة، ورفع منزلتهم فى العلوم الإلهيه والمعارف الحقيقه الإسلاميه.

الآخر، ويتفاهمان ثم يخرجان بنتيجة مقنعه، وهى أن الأسس التى تدعو كل واحد منها إلى التقارب والتلاحم مع الآخر أكثر وأهم من غيرها الذى يدعوهما المغرضون بسببه إلى الإبتعاد، والتضارب، ويعرفان أن بعض الكُتّاب ممن نشير إليهم لم يريدوا بكتاباتهم إلا الإحتفاظ بافتراق الأمم، ولم يأتوا إلّا بما أتى به من سبقهم فى أعصار لم تكن فيها الظروف مهيأة لتحقيق الإتصال، كما هو حالهم اليوم فى اللقاءات الحسنه والإتصالات الوُدّيه ذات الروح الإسلاميه الفاضله.

نظراً لكل ذلك فإننى أقول، وأكرر بأنّ جيلنا المعاصر، بما أصبح فيه من وعى، لا يستسيغ أيّه صححه تدعو المسلمين إلى الفرقة والإختلاف، ولا يجيب نداء إلّا من كان يدعو إلى الوحده الإسلاميه، وإلى ما فيه عز الإسلام والمسلمين، وتوحيد كلمتهم وإعلاء أمرهم.

ومع ذلك كلّه فإنّ بعض الكُتّاب يغفلون أو يتغافلون عما عليه جيلنا لا سيما الشبان، وتلامذه الجامعات، وأساتذتها من المستوى الثقافى، ويظنون أن هؤلاء يقرؤون كل كتاب، ويسمعون كل نداء، وأنهم لا يدركون ما يريد أمثال

هؤلاء المرتزقه من الإفساد بين المسلمين أعاذ الله الإسلام من شرورهم، ووقى المسلمين فتنه أقلامهم وكتاباتهم.

فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (١) .٩.

ص: ٢٤٥

١- البقره: الآيه ٧٩.

إنَّ من أعظم الأخطار على وحده المسلمين، وتعاونهم ضد عدوهم المشترك إقدام بعض المستهزئين الأغبياء، الذين لا يقدرّون عواقب ما يفعلون، على ما يؤدي إلى انشغال أبناء الأمة الإسلاميه الواحده بصراعات كلاميه لا تبتنى على أساس سليم، قد يؤدي في حاله عدم وضع حد لعشهم، إلى تعميق جذور التباغض والتمزّق، والإنهيار المخيف الذي تعاني منه امتنا اليوم شر معاناه.

ومن ثمَّ فإنهم يكونون قد ساهموا مساهمه مخلصه! في تحقيق أغراض الإستعمار والصّهيونيه، من تكريس التفرقه والنزاع الداخلى، ليحولوا بين المسلمين وبين الواحده، لعلمهم بأنّها الكفيله لو تحققت بإزاله نفوذهما عن البلاد الإسلاميه وسيطرتها عليها.

ففى كل فتره من الزمن يطلع على الأمة واحد من أمثال هؤلاء الجهلاء يدافع عن عصبيتهم المذهبيه الممقوته ضد مذهب أو آخر من مذاهب المسلمين

بأكاذيب ملفقه، وأراجيف مزيفه قد بان الحقد الأعمى من خلال أسطرها، والجهل بحقيقه الإسلام، وبحقيقه المذهب الذى يفترى على قدسيته من مطاوى مواضعها يحبر بها أوراقاً قد أطلق عليها اسم رساله أو كتاب، وهى فى مضمونها أبعد ما تكون عن مدلول هذين اللفظين، بل أول ما تدلّ عليه فراغ واضعها من العلم والفضل والأدب؛ لأنهم سدّوا على أنفسهم أبواب التعمّق والتحقيق خصوصاً فيما يتعلّق بالمذاهب الإسلاميه من مصادرها الأساسيه، لذلك تراهم ويا للعار يخطون فى أبحاثهم خبط عشواء فيرمون غيرهم بالكفر حيناً، وبالفسق أحياناً استناداً إلى كلام أخذوه عن هذا، أو رأى نسبوه إلى ذاك، أو قول سمعوه من ذلك من الناس، كأنما عند هؤلاء علم الأولين والآخرين أو أنهم معصومون عن الخطأ والكذب والإفتراء.

وهناك من الأقوال ما يتركون بعضاً منه، وينقلون بعضاً لغرض فى نفوسهم مما يجعل الإنسان الذى يدفع به سوء الطالع لقراءه تضليلاتهم يساءل نفسه: إذا كان الحق هو غرض هؤلاء، والحقيقه غايتهم فلم يفعلون ذلك، ولم لا- يحقّقون فى صحه ما يسمعون، وما يقولون؟

ولم لا يرجعون إلى مصادر المذهب الذى يكتبون عنه حين ينتهى بحثهم إلى ما يريده الباحثون المنصفون، ولكن هؤلاء ليست لهم من غايه إلّاتشديد العدا، وإضعاف الصداقه.

لذا تراهم يأتون بالغث لا السمين، أو يلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أساتذته الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة المحترمين.

إلى علماء باكستان لا سيما مدينة لاهور.

إلى قاده الفكر ودعاه التقريب بين المذاهب الإسلامية، والذين على جهادهم المخلص يتوقف مستقبل الإسلام الأزهر.

إلى كل من يؤمن بالله تعالى، وبمحكمته العادله.

وبعد، فإنه قد نشرت في السنوات الأخيرة رساله أسماها مؤلفها (الخطوط العريضة في الأسس التي قام عليها مذهب الشيعة الإماميه) وملاها بالأقويل العجيبه التي يعرف كذبها كل من له أدنى بصيره بالمذاهب الإسلاميه، وتحت هذا الستار سعى في هدم الأسس التي قام عليها دين الإسلام الحنيف حتى جعل كتاب الله تعالى القرآن المجيد هدفاً لسهامه، وبالغ في الدعوه إلى التخاصم، والتنازع، والتفرقة المنهى عنها، وتهيج العصبيات الطائفية.

ثم إني لما قرأتها أدركت خطرها على الإسلام، وعلى كتاب الله الكريم ووجدتها أميّه دعاه التبشير والإلحاد، وكل من يُكُنُّ عداءً للقرآن والإسلام وحرماته من المستشرقين، وغيرهم يتخذونها سنداً لأضاليلهم وضلالتهم.

ص: ٢٤٨

ومن جانب آخر تؤدي إلى تفرقه الأمة، وبث روح التنافر والتشاجر، وإيقاد نار الشحنة والبغضاء.

فأيت أن من الواجب على كل كاتب إسلامي دفع ما في هذه الرسالة من الشبهات سيما حول الكتاب الكريم الذي اتفقت كلمه المسلمين من الشيعة والسنة، بل وغيرهم على أنه هو هذا الكتاب الموجود بين الدفتين المطبوع المنتشر في أقطار الأرض، وأنه لا ريب فيه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه تنزيل من حكيم حميد.

فكتبت كتاب (مع الخطيب في خطوطه العريضة)، وأثبت فيه صيانه الكتاب المجيد من التحريف، وأوضحت ما في هذه الرسالة من الضلالات والجهالات.

فأثر بحمد الله تعالى ومثته في قلوب المسلمين، والأوساط الثقافية أثراً إيجابياً، ووقع عند العلماء والمصلحين، ورجالات الإسلام وأساتذه الجامعات، والباحثين المنصفين موقع القبول والشكر والتقدير، ولذلك طبع مرات عديدة.

والله تعالى يعلم أنه ما دعاني إلى كتابه هذا الكتاب إلا لخدمته للإسلام وللقرآن المجيد، والدفاع عن كرامته والسعي لجمع الكلمه، ولم الشعث، والتحابب، والتوادد بين الأمة.

وما كنت أظن بعد ذلك أن كاتباً يزعم أنه يكتب للإسلام ولمصلحه أمته يتخذ قبال هذا الكتاب وما دافعنا به عن قداسه القرآن الكريم، وصيانته من التحريف، والدعوه إلى الوحده الإسلاميه موقفاً سلبياً يكرر ما في (الخطوط العريضة). ويقفو أثر مؤلفها ليعطي المبشرين، وأعداء الإسلام، ودعاه التفرقه،

والتمزيق بالزور والبهتان سلاحاً انتزعناه منهم في (مع الخطيب في خطوطه العريضة).

حتى جاءنا بعض الإخوان بعد رجوعه من عمره وتشرفه بزياره الحرمين الشريفين بكتاب (الشيعة والسنه) وذكر بأن نائب جامعه المدينه المنوره الإسلاميه قد أهدها إليه مع كتاب (العواصم من القواصم) الذي كان قد شرحه محب الدين الخطيب شرحاً أظهر فيه نصبه وعدواته للعترة النبويه، وولاءه لأعدائها، وأنكر فيه الحقائق التاريخيه المعلومه ظلماً وعدواناً. فقرأته، وعجبت من سعي كاتبه في تفريق كلمه المسلمين، ولعمر الحق! ما كان يخطر ببالى أنّ أحداً من المسلمين يجعل مهمته الإحتفاظ باختلاف الكلمه، والتباعد، وتشديد المجادلات الطائفيه، ويعارض دعوه المصلحين من الزعماء والرؤساء والعلماء فى التقريب إلى الوحده الإسلاميه، ويخطئهم جميعاً، ويتبع غير سبيل المؤمنين، ويرد هذه النداءات والصيحات التى ارتفعت من العلماء والرجال البارزين الغيارى على الإسلام من الشيعة والسنه فى شرق الأرض وغربها، ويتهم الجميع بالجهل والكذب، والنفاق والخداع.

وأعجب من ذلك وأعظم مصيبه على المسلمين أن يكون القائم بنشرها جامعه المدينه المنوره الإسلاميه التى ينبغى أن تكترس كل جهودها للدفاع عن وجودنا الإسلامى شيعه وسنه، وإرشاد المسلمين إلى ترك الجفوه والبغضاء، وأن تساهم بما عندها من طاقاتٍ مع العلماء المصلحين من الفريقين لتحقيق التقريب والأخوة الإسلاميه.

ويسوءنا زياده على ذلك إنّ الحكومه السعوديه التى تنفق على هذه

الجامعه هي التي تعتنى بالدعوة إلى الوحدة الإسلامية اعتناءً كبيراً، فجلاله الملك الراحل فيصل آل سعود كان من أولئك الرجال الذين ينادون الأمة بالوحدة الإسلامية، وهو الذي أدرك بشاقب نظره أنّ الشيعة لو لم تكن في عقائدها الإسلامية، والإلتزام بأحكام الشريعة، والدفاع عن كرامه القرآن الكريم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاده من حاد الله ورسوله، والمحافظة على مصالح المسلمين أقوى من سائر الطوائف فهي ليست أقل من غيرها في ذلك كله.

فهم الذين يضحون بأنفسهم في الدفاع عن أحكام القرآن، ويجعلون نصب أعينهم الله ورسوله فيما يقولون وما يفعلون، دليلهم كتاب الله وسنه رسوله الكريم.

وجلاله الملك الحالي الملك خالد أيضاً يعرف ذلك، ويقفو أثر أخيه لا- يرتضى هذه النعرات الطائفية، ولا يحب التباعد والتباغض، ووثوقه واعتماده في المشاكل الإسلامية على أبناء الشيعة ليس بأقل من وثوقه واعتماده على أبناء السنة، بل ربّما يكون بعض أبناء الشيعة أوثق عنده من بعض أبناء السنة المتأثرين بالدعايات الإلحادية.

والحكومه العربية السعوديه هي التي تشجّع الحركات الإسلامية في البلاد العربية والإسلاميه وغيرها، وتنفق عليها، وتؤيّدتها وتدرّك أنّ الإسلام في برامج وأحكامه، ومناهجه مهّدّد من جانب الإستعمار والإلحاد في البلاد الشيعيه والسنيّه.

وإذا اشتغل المسلمون بالمنازعات الطائفية، وإذا كانت حصيله بعض

الجامعات وانتاجات كتابهم وناشريهم لا سيما فى المملكة السعوديه مطلع شمس هدايه الإسلام ومهبط وحى القرآن، مثل كتاب (السنه والشيعة)، وكتاب (حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاويه) وكتاب (العواصم من القواصم) بشرح الخطيب، وغيرها من الكتب كل ما فيها بعيد عن روح الإسلام، بل هى مجلبه لغضب الله سبحانه لما فيها من طعن بأهل بيت رسوله الأعظم ونصب العداة لهم، والولاء لأعدائهم، وتحقيق أمل الأعداء فى قطع جذور الإسلام من البلاد سواء أكانت شيعيه أم سنيه، والتفشيل لسعى الزعماء والمصلحين.

ولا ريب أن ما يكتبه هؤلاء المتمذهبون بولاء بنى أميه، وبنى مروان والمصوّبون لمظالمهم، والمعلنون العداة لسيدته نساء العالمين، وبعلمها أخى رسول الله صلى الله عليه وآله، ووصيه، وابنيها سيدى شباب أهل الجنة، وسائر أهل البيت عليهم السلام لا يتوافق مع ما عليه أكثر أهل السنه فهذه كتبهم، ومؤلفاتهم فى الحديث والتاريخ، والتراجم مملوءه بفضائل أهل البيت لا سيما أمير المؤمنين، والسيد الزهراء، والسبطين كما هى مشحونه بمثالب أعدائهم، وقد دونوا حتى المعاصرين منهم (شكر الله مساعيهم) كتباً مستقلة فى فضائل أهل البيت، وفى الخرافات ومثالب أعدائهم مثل معاويه وغيره، وأثبتوا فيها مطاعنهم وبدعهم.

فمن كان فى قلبه حب لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولعلى عليه السلام الذى لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق، لا يمكن أن يشجع مثل هؤلاء الكُتّاب وينشر ما هو ضد مصلحه الإسلام والمسلمين.

فإلى رئاسه جامعه المدينه المنوره الإسلاميه الموقّره، وأساتذتها المحترمين نوجه نداءتنا المتكرره، طالبين منهم أن يكونوا عند مسؤولياتهم

الإسلاميه مراعين مصلحه الإسلام العليا، وأن لا يظنوا بأن أمثال هذه النشرات تفيد المسلمين.

والذى نرجوه منهم هو أن يكونوا من كتابها وناشرها على حذر، وأن يقرؤوا عليهم قول الله تعالى:

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (١).

ثم إنكم أيها الإخوة الكرام لفي أقدس بلاد الله في الحرمين الشريفين، فإن القلوب من شرق الأرض وغربها تهفو إلى دياركم، وتشتاق إلى بلادكم، وأنتم يا علماء الحرمين، ويا مجاوريهما محترمون عند الجميع لشرف مكانكم.

فيا ساكني أطراف طيبه كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

خذوا أهبّتكم، وجدّدوا النظر في مناهجكم، وكتبكم ومقالاتكم ودروسكم وبحوثكم فقد أعطاكم الله في كل سنه فرصه سعيده اختص الله سبحانه بها أمتنا، وأقدركم بها على أن تصلحوا بين المسلمين، وتعرضوا عليهم أساليب إسلاميه قيمه في مناهج حياتهم التي أثرت فيها الأساليب الكافره، وأن تشجّعوا الحركات الإسلاميه، وتؤيدوا العلماء المصلحين، وتدعوا أبناء الأُمه جميعاً من الشيعه والسنة إلى تطبيق أحكام القرآن.

فعلى الخطيب الذى يخطب فى المسجدين لهذه الجموع الغفيره القادمه لأداء فريضه الحج المقدسه من كل فج عميق أن يزودهم من تعاليم الإسلام بما ٩.

ص: ٢٥٣

١- البقره: الآيه ٧٩.

يؤدى بهم إلى اتباع سبيل الإستقامه، والتضحيه فى سبيل إعلاء كلمه الإسلام، والجهاد ضد الإلحاد الذى أحاط بالعالم الإسلامى من كل جانب، ويحثهم على مقاومه التيارات الخبيثه، ويطلعهم على الأسباب التى أدت إلى إبعاد الشيعة والسنة عن المناهج الإسلاميه، وجعلت مجتمعاتهم أشبه بالمجتمعات الغربيه، وأنّ برامج تعاليمهم وسياساتهم، وحكوماتهم بعيده عن روح الإسلام ومبادئه السمحاء التى لا خلاف فيها بين الأمة شيعه وسنه.

لا أن يقول عن طوائف المسلمين ما يورث الشنآن والبغضاء، وما لا يستقبله جيلنا الحاضر إلّابالنفور، ولا يزيد الأمة إلّاجهلاً، وفى كليهما خدمه لأعداء الإسلام: الإستعمار والصهيونيه.

فلا يتشوّق المسلم المعاصر إلى مسأله أهم من مسأله الوحده الإسلاميه، والتقريب بين الشيعة والسنة لأنّه لا يرى مانعاً من تحقيقها فى عقائد الشيعة، ولا فى عقائد السنة، ولو لم يوجد فى بعض المنتحلين للعلم والكتابه مثل كاتب (الخطوط العريضه) و (حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاويه)(1). و (الشيعة والسنة) وناشر (العواصم من القواصم) وشارحه لأصبح المسلمون فى وئام ووداد.

ص: ٢٥٤

١- يأتى ما نشرته (رساله الجامعه، جامعه الرياض) حول هذا الكتاب، وأنّه هراء فى هراء.

المسلمون جميعاً من الشيعة والسنة يعتقدون بأنّ الله عز وجل وحده لا شريك له إله الجميع، وخالق كل شيء، وأنّه الرزاق ذو القوه المتين، والغفار والوهاب، ومجيب الدعاء، وقاضى الحاجات، وإليه يرجع الأمر كلّ، له الأسماء الحُسنى لا إله إلّا هو الحي القيوم.

إنّ الإسلام دين الجميع والقرآن هذا الموجود بين الدفتين الذى يتلى فى إذاعات المسلمين، ويقرؤه الشيعة والسنة آناء الليل وأطراف النهار فى صلواتهم، وفى شهر رمضان يتقرّبون إلى الله بقراءته، وتعلّمه وتعليمه هو كتابنا، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الخلق وأفضلهم أجمعين هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم نبينا، وأنّ حلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة لا- نبي بعده، وأنّ كل ما جاء به من الله حق نؤمن به، وأنّ الكعبة قبلتنا، وأنّ الصلوات الخمس، والزكاه الواجبه، وحج بيت الله الحرام، والجهاد فى سبيل الله، وولايه أولياء الله، ومحاده من حاد الله ورسوله فرائضنا، وأنّ الله

يبعث من في القبور لتجزى كل نفس بما كسبت.

فالمسلمون كلهم في هذه العقائد وأمثالها، وفي عباداتهم ومعاملاتهم شرع سواء، يعتقد الجميع أنّ الإسلام عقيدته ونظام، وحكم وسياسه، ولا- اعتداد بسائر المناهج السياسيّه، والإجتماعيه والماليه والتربويه، إذا كانت خارجه عن نطاق الإسلام، ونظاماته الجامعه(١).

لا يشك أحد في اتفاق الشيعة وأهل السنه على جميع ذلك، ولا ينكره إلّا من كان في قلبه مرض، أو يسعى من حيث يشعر أو من حيث لا- يشعر إلى إثارة الفتنة بين المسلمين ككاتب (الخطوط العريضة) و (الشيعة والسنه) و (حقائق...) و (مجلة البعث الهنديه) ممن يحسدون المسلمين على ما آتاهم الله من الوحده، وجعل أمتهم أمه واحده، فقال سبحانه وتعالى: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ(٢).

يعتمدون في آرائهم وأحكامهم على كتب ابن تيميه وأمثاله، أشد وأكثر مما يعتمدون على الكتاب والسنه، يردون الأحاديث الصحيحه، ويسعون لأن يسدوا على المسلمين طريق التفكير والتعقل، ويشجعون على الجمود الفكري والوقوف، وعدم الإنطلاق إلى الأمام، حتى أنّ بعضهم ممن يعد عند طائفته من أكابر علماء المسلمين كفر في مقال نشرته جريده البلاد كما نشرته جريده الدعوه٢.

ص: ٢٥٦

١- ولا- اعتداد بما أفتى به بعض علماء أهل السنه ممن تأثر بآراء الغربيين والمستعمرين على خلاف جمهور علمائهم من القول بالعلمانيه، وفصل الدين عن الدوله، والحكومه عن الإسلام فراجع كتاب (موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين).

٢- الأنبياء: الآيه ٩٢.

الإسلاميه كل من قال من المسلمين بأن الشمس ثابتة والأرض جاريه، فقال بكل جرأه وصراحه: إن كل من قال هذا القول فقد قال كفراً وضلالاً⁽¹⁾، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ومن عجب أحوالهم إنهم يكتبون حول المذهب، ويسعون في تفريق كلمه المسلمين، ويغضبون على من يجيب عنهم، ويظهر زورهم وبهتانهم ومخاريقهم، وسوء نياتهم، وكيدهم للإسلام والمسلمين.

والجدير بنا بعدما ذقنا مراره المجادلات والاختلافات، في الأجواء المشحونه بالعصبيات، والسائره في ركاب الأطماع والإتجاهات السياسيه، وجربنا ما أدى إليه تضارب الطوائف، من المعتزله والأشاعره والوهابيه، والسنه والشيعه، وأصحاب المذاهب الأربعة، من الضعف والفسل القضاء على هذه الحاله المنكره بالإعتصام بحبل الله، وحسن الظن بالمسلمين، والتزام طريق الإنصاف والعقل، وعدم التسرع إلى تكفير أهل القبله وتفسيقهم بمجرد المزاعم، والإستناد إلى بعض الأخبار المتروكه أو المتشابهه التي يوجد الكثير منها في كتب الفريقين.

ونحمل ما نعرف من غيرنا مما هو خلاف مذهبنا مهما أمكن على المحامل الصحيحه وأنه ناتج عنده من الإجتهد بعد اتفاق الكل على الأصول الإسلاميه التي دلت صحاح الأحاديث على أنها هي الميزان والملاك في الحكم على).

ص: ٢٥٧

١- وقد أحدث هذا التكفير ضججه كبيره في الأوساط العلميه، ورد هذا المقال ردّاً شافياً الأستاذ محمد محمود الصواف في رسالته القيمه (المسلمون وعلم الفلك).

فتعالوا نجلس إخواناً متحابين على صعيد إسلامي واحد، لننظر كيف يجب أن نقف قبال الأعداء، ونصون شباننا عن الإنضياع وراء الأفكار الإلحادية التي تأتي من الشرق أو الغرب، ونوحيّد مساعينا لتطبيق أحكام الإسلام، ونعمل على طرد هذه البرامج التربوية المادية، التي كادت أن تذهب أو أنها ذهبت بالغيره الدينيه، وأثرت على الفتيان والفتيات حتى صاروا يفخرون بالدعاره والخلاعه، والرقص والغناء، والقمار وشرب الخمر والسفور، واختلاط النساء بالرجال الأجانب، وتقليد الكفار في جميع أطوار حياتهم حتى المجالس والملابس، بعد ما كانوا يفخرون بالآداب الحسنه من الحياء والغيره، والشجاعه والفتوه، والعفه والطهاره والشرف، وغير ذلك من أخلاق الأنبياء سيما نبينا الذي وصفه الله تعالى بقوله: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (١).

وبعد ما كانوا لا يخضعون إلا للسلطان الدين وسلطان أحكام الله.

تعالوا لنذهب إلى المدارس وإلى الكليات والجامعات، والبارلمانات ودواوين القضاء، ومراكز الجند، ولننظر إلى ما تحويه أفلام السينما ومناهج التلفزيون في بلادنا، وإلى ما ينشر كل يوم في الجرائد والمجلات، وإلى...

وإلى...

حتى نرى كيف خرجت كلها عن مناهج الإسلام، وبشكل يؤدي إلى القضاء على شخصيتنا الإسلامية. ٤.

ص: ٢٥٨

تعالوا لنرى بين من يتسمون بالمسلمين، من يبدأ بإسم سَمَو الأمير أو الرئيس أو السلطان، بدلاً عن بسم الله الرحمن الرحيم.

تعالوا لنرى ما أُصيبت به أمتنا من تجزئه البلاد، وتفرقتها بين حكومات متعدده، ودويلات صغيره ضعيفه خاضعه للإستعمار، يوجه بعضها ضد البعض لتعميق جذور التفرقه فيما بينها، والإبقاء على عدم التلاقى بين الأشقاء من شعوبها.

ثم إن هذه الحكومات التى تحتفظ بتفرقه الأمم، لتحتفظ بوجوداتها لا يمكن أن تسمح لها بوحده حكوميه سياسيه، بل إنها أخذت بتطبيق مبدأ العلمانيه المستلزم لفصل الدين عن الدوله، والإسلام عن مسلكيه الحكومه، وإبعاده عن الحياه الإجتماعيه حتى أن التواريخ الإسلاميه فى بلاد المسلمين بدلت بالتواريخ والتقاويم الغربيه.

ص: ٢٥٩

كان الدفاع عما أُلصق محب الدين الخطيب بكرامه القرآن وإثبات صيانتة عن التحريف، وإبطال دعوى الزيادة والنقصان منه أهم ما دعانا إلى تأليف كتابنا (مع الخطيب في خطوطه العريضة) فرددنا على الخطيب بالأدلة القاطعة، وأوضحنا أن ما في كتب الحديث والتفسير سواء عند الشيعة أو أهل السنة مما يوهم التحريف كله أخبار آحاد، أعرض عنها محققو الفريقين إما لضعف إسنادهما، أو لضعف دلالتها، فحققنا ذلك تحقيقاً كاملاً، وأبطلنا ما كتب حول ذلك من أهل السنة ككتاب (الفرقان) كما أوضحنا أيضاً استنكار علماء الشيعة لكتاب (فصل الخطاب) وذكرنا أن مخرجي هذه الأخبار الضعيفه أيضاً لم يعتمدوا عليها حتى في مورد واحد (1)، وأن اعتماد الشيعة والسنة على الأخبار المتواتره

ص: ٢٦٠

١- قد تركنا التعرض تفصيلاً لأحاديث أهل السنة، وما أُلصقوه بكرامه القرآن المجيد لأننا ننزه جميع طوائف المسلمين من القول بالتحريف والإعتماد على هذه الأحاديث، ولا يحملنا العناد والعصبيه (إن شاء الله تعالى) على أن نقول في طائفه من المسلمين ما يحط من كرامه الكتاب الكريم كما فعل محب الدين الخطيب وإلهي ظهير، وناشري كتابيهما من الفضله المتعصبين المنتمين للوهابيه. وإن رأيت في محدثي أهل السنة ورجالهم من اعتمد بما قيل إنه حذف من القرآن كالسيوطي، فإنه آتى بسورتى الخلع والحقد في تفسيره الدر المنثور، وفسرهما كسورتين من القرآن فلا اعتداد به ولا اعتناء.

القطعيه الصريحه على أنّ القرآن الكريم، الكتاب الذي أنزله الله على الرسول الأعظم نبينا محمد صلى الله عليه وآله، هو هذا الكتاب الموجود بين الدفتين الذي يعرفه المسلمون من الشيعة والسنة، ويعرفه غيرهم أيضاً لا شك في ذلك ولا ريب.

كما قد بينت حال كتاب (دبستان مذاهب) المجهول مؤلفه المطبوع بالهند بأنه إن صح صدوره عن بعض طوائف المسلمين (وهو بعيد) فهي غير الشيعة قطعاً لأدله كثيره، وشواهد تحكم بذلك من نفس هذا الكتاب، وبيّنت أنّ ما أُلصق بكرامه القرآن الكريم من الآيات والسور المختلفه ليست من الوحي بشيء، وأنّ هذا هو الحق الواضح الذي عليه الشيعة والسنة.

يعرف ذلك كل من جال في البلاد الشيعيه والسنيه، ويعرفه حتى أساتذته جامعه المدينه المنوره الإسلاميه وإن أعجب بعضهم برسالة (الخطوط العريضة) و (الشيعة والسنة) لإصرار كاتبيهما على إسناد القول بالتحريف إلى الشيعة.

وبالجملة: فليس في الإسلام والمسلمين كتاب غير هذا القرآن، الذي هو بين الدفتين لا يقدمون عليه كتاباً ولا يقدسون، ولا يحترمون مثله أي كتاب، وهم يتلونّه آناء الليل وأطراف النهار.

وإننى أعلن ذلك، وأطلب من كل من يشك فيه، ويريد أن يتأكد من كذب القائمين بنشر هذه المخاريق، سواء كان هذا الشاك من السنه أو الشيعة أو من المستشرقين، الذين يريدون أن يكتبوا عن القرآن حقاً وصدقاً، لا كذباً ووفقاً لأهوائهم الإستعماريه.

أنا أطلب من الجميع أن يجولوا فى بلاد الشيعة فى إيران والعراق وسوريا، ولبنان واليمن، والبحرين والكويت، وسائر إمارات الخليج، والهند وباكستان، والقطيف والأحساء وأفغانستان، وسائر البلاد الإسلاميه، ويسألوا ويفحصوا عن الشيعة وعن شأن القرآن المجيد الموجود بين الدفتين عندهم وعند جميع المسلمين، وعقيدتهم فيه وعن كيفية معاملتهم له، حتى يعرفوا عقيدة الشيعة فى القرآن الكريم، وتقديسهم وتعظيمهم له، وحتى يتخلصوا مما أوقعهم فيه البغاه من الشك والتهمه، حتى يعرفوا به قيمه غير ذلك مما فى كتاب (الخطوط العريضة) و (الشيعة والسنه)، وغيرها من الطعن على الشيعة.

ولو أتى (إحسان إلهى ظهير) المتخرج من جامعه المدينه المنوره، بأضعاف ما أتى به من الأحاديث الضعاف والمتشابهات، مع تعميده كتم الأحاديث الصحيحه المتواتره فى جوامع حديث الشيعة، وكتبهم المعتبره المصرحه بأنّ الكتاب الذى نزل على نبينا محمد صلى الله عليه و آله هو هذا الكتاب الموجود المطبوع المنتشر فى أقطار الأرض، يكذّبه هذا الفحص والتجوال.

ولو بالغ فى نسبه التحريف إلى الشيعة، فإنّ كتبهم وتصريحاتهم المؤكده تكذبه وتدفعه، كما أنّ احتجاجهم بالقرآن فى مختلف العلوم، والمسائل الإسلاميه فى الأصول والفروع، واستدلّالهم بكل آيه آيه وكلمه كلمه منه،

واعتبارهم القرآن أول الحجج وأقوى الأدله يظهر بطلان كل ما افتراه.

فيا علماء باكستان، ويا أساتذته جامعه المدينة المنوره ما الذى يريد إحصان إلهى ظهير، وموزع كتابه الشيخ محسن العباد، نائب رئيس الجامعه من تسجيل القول بتحريف القرآن على طائفه من المسلمين يزيد عدد نفوس أبنائها عن مائه مليون نسمة، وفيهم من أعلام الفكر، والعلماء العباقره أقطاب تفتخر بهم العلوم الإسلاميه؟

وما فائده الإصرار على ذلك إلّا جعل الكتاب الكريم فى معرض الشك والإرتياب؟

ولماذا ينكران على الشيعة خواصهم، وعوامهم وسوقتهم، قولهم الأكيد بصيانته عن التحريف؟

ولماذا يتركان الأحاديث الصحيحه المتواتره المرويه بطرق الشيعة عن أئمه أهل البيت المصرحه بأن القرآن مصون بحفظ الله تعالى عن التحريف؟

ولماذا يقدحان فى إجماع الشيعة وضروره مذهبهم، واتفاق كلمات أكابرهم، ورجالهم على صيانته القرآن الكريم من التحريف، ويجعلان إجماع المسلمين، واتفاق طوائفهم فى ذلك معرضاً للشك والريب إن لم يريدوا كيداً بالقرآن المجيد؟

أبهذا تزود جامعه المدينة المنوره خريجيهها حتى لا يعقلون ما يقولون، ويردون بلجاجهم الطائفى على من أثبت فى غايه التحقيق والتدقيق صيانته الكتاب عن التحريف؟

فيا علماء المسلمين اقرأوا (مع الخطيب) وما كتبتُ وحَقَّقْتُ فيه حول صيانه الكتاب عن التحريف، وانظروا هل كان اللائق بشأن جامعه المدينة المنوره أن توزع كتاب (مع الخطيب في خطوطه العريضه) أو كُتِبَ (الشيعة والسنة)، و (العواصم من القواصم) مع شرحه الخبيث؟

فقد دفعْتُ بعون الله تعالى وحمده كل شبهه، ورددتُ على جميع الأحاديث الموهمه لذلك من طرق السنه والشيعة، وبيّنتُ علل إسنادهَا، وضعف إسنادهَا، ومتونها، وأثبتتُ عدم ارتباط كثير منها بمبحث التحريف.

فَمَنْ خَدِمَ القرآنَ إذن يا أساتذته الجامعه، ويا علماء باكستان؟ ومن هو الذى أدى حقه؟ ومن الخائن له؟ أهو الذى يصصر على نسبه القول بتحريفه إلى إحدى الفرقتين الكبيرتين من المسلمين زوراً وبهتاناً، وجهلاً وعدواناً، ومن ينفق على طبعه، ويوزع كتابه فى أرجاء العالم الإسلامى، ويجعله فى متناول أيدي المستشرقين المأجورين الذين يغتمون صدور هذه الزلايل من جهله المسلمين؟

هل هذا هو الخائن؟ أو من يدفع عن الكتاب الكريم هذه المقوله النكراء هو الخائن يا ترى؟

أنا والله لا أدري ما أقول لهؤلاء فأمرهم عجيب، يهتكون أعظم الحرمات، ويجعلون كتاب الله هدفاً لسهام الأعداء لكى يدخلوا بزعمهم شيئاً وعبياً على شيعة أهل البيت، ويبلبلوا على الناس أمرهم، وعقائدهم: **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا**

الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١).

فيا أساتذه جامعہ المدینہ المنورہ، فقد ضل سعيكم إن كان حصيله مناهجكم في التعليم والإرشاد من لا ينزل عن مركب الباطل واللجاج، وإن جيء له بألف دليل حتى أنه كرر ما أجبنا عنه في (مع الخطيب) من نسبة القول بألوهية الأئمة، والتعصيب للمجوسية، والإشراك في كارثة بغداد وغيرها إلى الشيعة، ولم يلتفت إلى الأجوبة المنطقية، والتاريخية المذكورة فيه عن جميع هذه الإفتراءات.

كما كرر الكلام أيضاً حول طعن الشيعة، ككثير من أهل السنه على بعض الصحابه، ولم يلتفت إلى ما في (مع الخطيب) من التحقيق حول هذه المسائل، وحكم من نفى الإيمان عن بعض الصحابه، وسب بعضهم عند أهل السنه، وإن ذلك على مذهب أهل السنه، وسيره سلفهم لا يخرج المسلم عن الإسلام والإيمان، فلا يجوز بهذا الحكم على أحد بالتكفير والتفسيق كما لا يمنع من التقريب.

فما أتى به هذا المغرض المضلل المتطاول على العلماء حتى الشيخ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر، الأسبق الراحل في كتابه ليس إلتكراً بما أتى به أسلافه وقد أجبْتُ عنه في (مع الخطيب). ولكن لم يلتفت هو إليه لأنه أراد المخادعة، والتباس الحق بالباطل. ولو لم يكن من أهل العناد واللجاجه لنظر إلى (مع الخطيب) وإلى ما فيه من الأدله الحليه والنقضيه، والبراهين الجليه المأخوذه٦.

ص: ٢٦٥

١- البقره: الآيه ١٦.

من صريح الكتاب أو السنه بعين الإنصاف، ولم يكرر دعاوى البهتان، ولم يسلك سبيل العداة والنفاق.

ولو وافقنا ووافق مصلحى الأمة، ولاستجاب لصيحاتهم، ونداءاتهم فى الدعوه إلى التقريب والإتحاد فالله تعالى هو الحكم بيننا وبينه ثم الباحثون المنصفون(1).

فجددوا يا أساتذه الجامعه النظر فى مناهجكم التعليميه حتى يكون المتخرجون من مدرستكم مزودين بلباس التقوى والعلم، والصدق والإخلاص، وشعارات الإسلام متجنين النعرات الطائفية الممزقه، متمسكين بالوحده الإسلاميه.

فناشدتكم بالله تعالى أن تنظروا فيما كتب تلميذكم هذا حول القرآن الشريف، وما رمى به الشيعة، هل خدم بهذا دينه، وأُمَّته، وبالتالي طائفته أم خدم به أعداء القرآن والإسلام؟.

ص: ٢٦٦

١- ومن حياته وهو الذى رمانا كثيراً فى كتابه بعدم الحياء والخداع، إنه يقول فى كتابه (والحق إنه لا يوجد فى كتب أهل السنه المعتمد عليها عندهم روايه صحيحه تدل على أن القرآن الذى تركه رسول الله صلى الله عليه و آله عند وفاته نقص منه أو زيد فيه). ولم يلتفت إلى ما أخرج فى (مع الخطيب) عن أكابرهم وكتبهم المعتمده مما يدل على الزياده والنقيصه، فراجع مع الخطيب (ص ٥٩ و ٦٠ و ٧١ و ٧٢) كما لم يلتفت إلى أنه ليس فى كتب الشيعة أيضاً روايه صحيحه تدل على ذلك. فاقض العجب عن هذا الحى المغالط الذى لا يتعرض لما لا يقدر على جوابه لئلا يتبين عجزه عند القراء.

وناشدتكم بالله أن تطالعوا (مع الخطيب) و (أمان الأمة من الضلال) وما عرضتُ فيهما على جميع الأمة، من المنهج الذى ينبغي أن يكون الجميع عليه، وما بيته فيهما مما يذهب بالتنافر والتشاجر، فانظروا فيهما، وفيما يكتب فى مجله (البعث)، وفيما كتب مؤلف (الشيعة والسنة) وشارح العواصم، وكاتب (حقائق عن...) بعين الإنصاف وقارنوا بينهما وبينها، حتى تعلموا أى الفريقين أشد نفاقاً، وأيهما على هدى أو فى ضلال ميين.

أنا أقول: واللّه تعالى يعلم أنى صادق فيما أقول عن عقيدته الشيعة فى القرآن وفى النبى صلى الله عليه وآله، وفى الأئمة عليهم السلام وفى معنى الرجعه، والبداء أن كل عقائدهم مأخوذه من الكتاب والسنة، وإنهم يعتقدون بكل ما يجب الاعتقاد به، وما هو شرط للحكم بالإسلام، والنجاه عند أهل السنة، ودلت عليه صحاح أحاديثهم.

فلا موجب إذن لهذه الجفوه والبغضاء، والتنافر بين المسلمين، وتفسير عقائدهم بما هم بريئون منه، ولا يقولون به.

فكم سأل علماء أهل السنة الأكابر المصلحون وغيرهم، علماء الشيعة عن عقائدهم فى كل ذلك وقولهم بالرجعه والبداء، وحتى التقيه؟ فما رأوا بعد الجواب شيئاً فى عقائد الشيعة يخالف روح الإسلام، وما دلّ عليه الكتاب والسنة، وما وجدوا فى آرائهم فى الفروع والأصول ما يجوز به تفسيق أحد من المسلمين، ولا يمكن على الأقل حمله على الإجهاد(1)، ولا ما يمنع أن يكونا.

ص: ٢٦٧

١- راجع فى ذلك كتاب المراجعات، وأجوبه مسائل موسى جار الله، ونقض الوشيعة، وغيرها.

الجميع صفاً واحداً، وجسداً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ومعتصمين بحبل الله تعالى.

ومع ذلك هؤلاء يأتون كل يوم بكتاب زور، غايته التمزيق والتفريق وجرح العواطف، وإحياء الضغائن، فيوماً يكتبون (الخطوط العريضة)، ويوماً ينشرون (العواصم من القواصم) مع شرح خبيث، ويوماً يكتبون (حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية) حشر الله تعالى كاتبه وناشره معه، ويوماً يأتون بكتيب (الشيعة والسنة) ويقولون عن الشيعة الذين فيهم أئمة أهل البيت عليهم السلام والصحابه الكبار، والتابعين والمحدثين، ورجال الدين والعلم والتحقيق في جميع العلوم الإسلاميه ممن لا تنكر مقاماتهم الرفيعه في العلم، ولا يستهان بشأنهم وبخدماتهم لهذا الدين، وغيرتهم على الإسلام وشعائره، يقولون بتحريف كتاب الإسلام (القرآن المجيد)، وإنه قد زيد فيه، ونقص منه كالسوره المختلفه الموسومه بالولايه(1).

فإن قيل لهم: إذا أثبتتم (ولا يثبت أبداً) أن هذا رأى الشيعة فكيف تدفعون.

ص: ٢٦٨

١- هذه السوره المكذوبه على الله تعالى التي اخترعها أعداء القرآن والإسلام ثم أسندها النصاب إلى الشيعة هي التي ذكرها الخطيب، وذكر أن النورى أوردتها فى الصفحه ١٨٠ من كتابه، ورددنا عليه فى (مع الخطيب) أنه لم يوردها لا فى هذه الصفحه، ولا فى غيرها (وإن أشار إلى اسمها، كما أشار إلى اسم سورتي الحفد والخلع اللتين ذكرهما أهل السنه). ومع ذلك أخذنا بذلك كاتب (الشيعة والسنة) وأتى بما هو سيرته، وسيره أسلافه النصاب من الفحش، وإسناد الكذب إلى أهل الصدق، ومع أنه رأى كذب الخطيب ترخم عليه ومضى، ولم يقل منه شيئاً كما لم يدفع عما أتى به بعض أهل السنه، من سورتي الحفد والخلع كأنه يقول بذلك أيضاً.

شبهه التحريف عن كرامه القرآن المجيد، فلا يقبل أعداء الإسلام أن هذه الجماهير الغفيرة من عصر الصحابه إلى هذا الزمان قد اختاروا هذا الرأي من غير أن يكون له أصل وأساس، ولا يسمع منكم في رد ذلك ما تأتون به من الإفتراء والشتيم، كقولكم إن الشيعة ربييه اليهود أو إنهم يكفرون الصحابه؛ لأنّ الباحثين من الأعداء في كتب التاريخ والتراجم والرجال أيضاً يعرفون أنّ هذه الإفتراءات كلها جاءت من سياسه الحُكَّام، في عهود كان الميل إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله من أكبر الجرائم السياسيه.

ولهم أن يقولوا: إذا كانت الشيعة وهي ليست إلماربييه النبي الأعظم صلى الله عليه و آله ربييه اليهود، فالسنه ربييه المنافقين والمشركين الذين دخلوا في الإسلام كرهاً، وربيه معاويه ويزيد، ومروان وعبدالملك والوليد ابنه، ومسلم بن عقبه، وبسر بن أرطاه، والمغيره بن شعبه، وزيايد بن سميه، والحجاج، ووليد بن عقبه، والحصين بن نمير، وشيب بن مسلمه، وعمران بن الحطان، وحرير بن عثمان، وشبابه بن سوار، وشبث بن ربعي، وغيرهم من الجابره ومن في حاشيتهم من الأمراء وعلماء السوء.

فلماذا لا تتركون العدا والعصيه حتى في هذا، ولا تقطعون جذور هذه الشبهه، ولم لا تبرؤون الشيعة عن هذا القول كما هم يبرؤونكم، وتعرضون عما عند الشيعة، من أدلّه كثيره قاطعه علميه وتاريخيه، على صيانه القرآن عن التحريف، وعن ما هو المشاهد منهم في بلادهم، ومجالسهم وعباداتهم.

فهم أشد الأمه تمسكاً بالقرآن المجيد، وينكرون هذا الرأي السخيف أشد الإنكار، ويردّون أيضاً ما ورد في أحاديث أهل السنه القائله بأنّه نقص من القرآن

مما أشير إليه في (مع الخطيب) إشاره إجماليه.

نعم إذا أوضحت كل ذلك لهذه الفضله والمتفضله، وهم لا يدركون قيمته من الناحيه العلميه والدينيه، ولا يحبون وضوحه وتقريره، يقولون: لا يقبل ذلك منهم لأنهم يجوزون التقيه، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

فما عذرکم عند الله تعالى؟ فإن كنتم معادين، ومعاندين لأهل البيت وشيعتهم - كما يظهر من كتبكم ومقالاتكم - فلا تجعلوا القرآن معرضاً للشك بعدائكم لأهله، وافترائكم على حملته.

فحسبكم أن ضيعتم وصيه الرسول الرؤوف الرحيم ولم تحفظوه، ولم تحفظوا وصيته في أهل بيته، وذريته وشيعتهم، وتركتهم هداهم والتمسك بهم، واقتديتم بأعدائهم الذين نكلوا بهم، وعملوا للقضاء على فضائلهم، ودافعتم عن سيره هؤلاء الأعداء وعميهم، فاعملوا ما شئتم إن الله تعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(١).

ولا- تظن يا أخى أنى أظن بجميع إخواننا من أهل السنه سوءاً، فإن أكثرهم من أهل الغيره على الإسلام والقرآن وحرمت الله، ويقدرّون الدفاع عن صيانه القرآن من التحريف سواء كان فى الملاء الشيعى أو السنى، ولا يرتضى أحد من عوامهم فضلاً عن علمائهم ومصالحهم أن يمس أمثال الخطيب وإحسان ظهير ومن يوزع كتابهما كرامه القرآن المجيد بمقالاتهم وكتبهم، فأمثالهما وإن عدواً.

ص: ٢٧٠

١- فصلت: الآيه ٤٠.

أنفسهم من أهل السنه إلّا أنّ فيهم نزعات ليست من الإسلام، تحملهم على نشر هذه المقالات لتكون الشريعة سفيانيه، والملة يزيديه مروانيه.

أنشدكم بالله يا أساتذة جامعہ المدینہ المنورہ، ویا علماء لاہور! أما عرفتم عن جيرانكم من شيعه المدینہ المنورہ، ومن شيعه لاہور وپاکستان عقیدہ الشيعه فی صیانه القرآن المجید وسلامته من التحریف؟

أما رأیتم تعظیمهم وتقديسهم له، وإنّهم لا یقدّسون کتاباً مثله، ولا یكون تعظیمهم له أقل من أهل السنه إن لم یکن أكثر؟ فلم لا ترشدون هؤلاء الجهّال الذین أعمت بصیرتهم العصبیه الطائفیه؟ ولم لا تؤاخذون من یرغبهم ویشوقهم، وینفق علیهم لیکتبوا عن الإسلام والمسلمین، وینشروا علیهم أمثال هذه المقالات الشائنه الشائکه. ولعمر الحق إنّ مقالاتهم هذه فی عدائهم للشيعه زینت لهم کل کذب وافتراء، فهم مصداق لما قیل: (حفظت شیئاً وغابت عنک أشياء).

فقد حفظوا عداہم القديم الذی ورثوه عن أعداء آل بیت رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیہ و آلہ، وشيعتهم الذین لا ذنب لهم غیر ولائهم لعتره النبی صلی اللّٰه علیہ و آلہ والتمسک بهم وبسیرتهم، تمسکاً بحديث الثقلین المتواتر وغیره من الأحادیث المتواتره. فتاره یحکمون علیهم بما زینته لهم عصبیتهم مستندین فی ذلك إلى الأحادیث الضعاف أو المتشابهه، التي توجد فی کتب أهل السنه، سواء فی أصول الدین أم فروعه، وفي التراجم والتاریخ أضعاف أضعافها.

وأخری یفترون علیهم بأنّهم یقولون فی رسول اللّٰه بأنّ علیاً وأولاده أفضل

منه، وأنهم فوق البشر بل آلهه(١).

وتارةً يقولون: إنّ شيعه أهل بيت النبي عليهم السلام، وأبناء بنته سيده نساء العالمين هم ربيبه اليهود، وأتباع عبدالله بن سبأ الموهوم(٢)، متغافلين عما فى كتب أهل السنه حتى الصحاح منها من أحاديث يابها العقل، ولا توافق روح القرآن.

ونسوا ما ملأوا كتبهم من الفضائل والكرامات، والعلم بالغيب لغير الأنبياء من رؤساء الصوفيه، وأئمه مذاهبهم مما لا يؤيده الكتاب ولا السنه، ولم يثبت بنقلٍ معتبر.

ونسوا ما رروا فى بعض الصحابه من أنّ علمه سبق علم النبي صلى الله عليه وآله، بل استبق فى علمه إرادته الله عزوجل فيما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله، فهو عرف ما لم يعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله قبل نزول الوحي.

ونسوا اعتماد عمر بن الخطاب وعثمان ومعاويه، وعلمائهم ومحدثيهم على كعب الأخبار اليهودى الذى كان من أوثق الناس عند عمر ومعاويه، وكانا يرجعان إليه، ويأخذان بقوله كحجه شرعيه فى تفسير الكتاب والسنه، كما نسوا اعتماد معاويه، وابنه يزيد على غير المسلمين ومشاورتهما لهم.

وتارةً يذكرون احتراق قلوب الكفار والمجوس واليهود، وحنقهم على.

ص: ٢٧٢

١- قد أجبتُ عن ذلك كله، ودفعتُ هذه الإفتراءات فى (مع الخطيب) فى فصل (منزله النبي والإمام عند الشيعة) وفى فصل (غلط الخطيب فى فهم كلام العلامة الآشتياني).

٢- يراجع فى ذلك أصل الشيعة وأصولها للإمام كاشف الغطاء، و (عبدالله بن سبأ) للعلامة المحقق المجاهد السيد مرتضى العسكري.

الإسلام والمسلمين، ثم يهاجمون شيعة أهل البيت (١)، ويأتون بأسطورة عبدالله ابن سبأ، وينسبون إليه إضرار نار الثورة على عثمان التي لم تقم عليه إلا بأسباب كلها ترجع إلى سيره عثمان، وما ارتكب من الأحداث والأعمال مما لا يرتضيه المسلمون، وكان خارجاً عن روح العدل الإسلامي، وما ابتنت عليه سياسته الحكم والإدارة في الإسلام وإلى استبداده بالأمر، وعدم اعتناؤه بنصيحة الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكان في طليعه من أضرم عليه نار الثورة، وحرك الناس وهيجهم عليه جماعه من الصحابة كطلحه والزبير وأم المؤمنين عائشه (٢).

نعم يذكرون حق اليهود والمجوس على الإسلام، ثم يحملون على شيعة أهل البيت، يجعلونهم هدفاً للإفتراء والبهتان، وينسون احتراق قلوب المنافقين الذين قتل آبائهم وأقاربهم المشركون، في غزوه بدر وغيرها، ودخلوا في الإسلام كرهاً، ولم يذهب بالإسلام حقدهم وحنقهم على نبي الإسلام وعلى بطله المجاهد الإمام علي. مثل أبي سفیان، ومعاوية، والحكم وابنه مروان، وعبدالله ابن سعد بن أبي سرح، والوليد بن عقبه، وغيرهم ممن اندرجوا في حاشية عثمان وكانوا معتمدين عنده، فهو لا يدخل في أمر ولا يخرج عن أمر إلا بمشوره هؤلاء.

إي والله حفظ هؤلاء، شيئاً وغابت عنهم أشياء!ه.

ص: ٢٧٣

١- يراجع في ذلك (مع الخطيب): ص ٨٩-١٠٠.

٢- يراجع في ذلك جميع مصادر التواريخ المعتمده.

الإستعمار والإلحاد يريدان القضاء على الفكر الشيعى فى المناطق الشيعيه، وعلى الفكر السنى فى المناطق السنيه؛ لأنهما أرادا القضاء على الفكر الإسلامى والشعائر الإسلاميه، وتاريخ الإسلام ومناهجه، والتزام المسلمين شيعه وسنه بأحكام القرآن، وحلاله وحرامه.

وهؤلاء عوضاً عن أن يؤيّدوا مواقف الشيعة قبال أعداء الإسلام، ويزوّدوهم ويلتحقوا فى صفوفهم، ويقدرّوا جهادهم ونضالهم يأتون بأسطوره عبداللّه بن سبأ الموهوم، والبهتانات التى يكذبها التاريخ، يساعدون بكل ذلك الإستعمار، ويضربون المسلمين بعضهم ببعض، ويفتحون باب الجدل والنزاع.

فياليتهم كانوا قد قصرّوا عداؤهم وحقدهم على الشيعة فقط، وتركوا إعلان ما فى سرائرهم من العدا لأهل البيت، والولاء لظالمهم أمثال معاويه ويزيد.

فواللّه إنكم إن لم تكونوا مرتزقه تعملون لأعداء الإسلام! ولا تريدون غير خدمتهم، وكنتم تقصدون بكتبكم الممزّقه للأمه خدمه طائفتكم، وإرشاد أبنائها فأنتم من أجهل الناس بواقع الأمور، وما يجرى فى العالم الإسلامى المعاصر.

حفظتم ما ورثتم من أسلافكم من حب معاويه، وعمرو بن العاص، والوليد بن عقبه، وبسر بن أرطاه، وأمير مؤمنيكم يزيد بن معاويه، والوليد وغيرهم من مبغضى أهل البيت، وناصبى العدا لعلى عليه السلام والحرب عليه، وذلك من أظهر الأدلّه على نفاقهم ومروقهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا على، لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق).

حتى قلت: إن الرجل لا يكون من أهل السنه إلا أن يكون فيه شىء من بغض على عليه السلام، وضيّعتم موده أهل بيت نبيكم التى فرضها الله عليكم فى القرآن،

وحدث الرسول صلى الله عليه وآله عليها، وأكدها في الروايات المتواترة، وأمر الأمة بالتمسك بهم، وجعل التمسك بهم أمناً من الضلال والاختلاف.

حفظتم بولائكم لآل أبي سفيان، وآل مروان، وقتلتم بشرعية حكوماتهم وحكومات ملوك بني العباس كالمنصور، وهارون، والمتوكل، وحكومات غيرهم من الجبابرة الذين لا فرق بينهم، وبين جبابرة سائر الأمم إلا أنهم سمو أنفسهم: أمراء المؤمنين، وأنتم وعلماء السوء قبلكم لم تأمروهم بالمعروف ولم تنهوهم عن المنكر، بل صوّبتم أفعالهم وأعمالهم التي سوّدت صحائف تاريخ الإسلام، وقتلتم بوجوب إطاعتهم، وحرمة الخروج عليهم، ونسيتم أنّ الإسلام وشريعته لا يرتضيان مثل هذه الحكومات.

لأنّ الإسلام جاء لإحياء العدل، وإماته الجور والإستضعاف، وإزالة الإستبداد، وقد أمر الناس بأن يخرجوا من ذل حكمه المستعبدين إلى عز حكمه الله، جاء الإسلام معلناً حرية الناس، وأبطل الملوكية والكسرويه والقيصريه، والحكام الذين تدعونهم أمراء المؤمنين كان أكثرهم شراً من الأكاسره والقياسره في الجور والإستبداد، والإسراف والاشتغال بالملاهي والمناهي والمعازف.

فأنتم شوّهتم تعاليم الإسلام الراشده في الحكومه، وولايه الأمور إذ صوّبتم استمراريه حكومات لا ينسى التاريخ جرائمها وجنباياتها، ومظالمها على العباد، ووددت أن تكتب سيرتها وتاريخها سيما تاريخ مثل يزيد بن معاويه وهارون بالذهب.

فواقعه مثل واقعه الحره وواقعه الطف، وقتل سيد شباب أهل الجنه،

وضرب الكعبه بالمنجنيق، وما وقع فى عصر بنى أميه وبنى العباس من هتك الحرمات، والغدر والخيانه، والحروب الداميه، وتعطيل الأحكام، الجدير عندكم بأن يكتب بماء الذهب.

فهنيئاً لكم يا كُتّاب (الخطوط العريضة) و (الشيعة والسنة) و (حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاويه) وناشرى (العواصم من القواصم) وجزاكم الله تعالى حين يجازى معاويه، وعمرو بن العاص، ويزيد ومسلم بن عقبه، والحصين بن نمير، والمتوكل وغيرهم من مبغضى الإمام على عليه السلام، وحشركم الله معهم، وفرّق بينكم وبين أهل بيت الرساله والنبوه بحبّكم لأعدائهم، والمرء مع من أحبّ.

نعم أنتم لا تفهمون كل ذلك، ولا اعتداد بكم بعدما أدرك ذلك كثيرون من علماء أهل السنه، ودافعوا عن الإسلام ومناهجه وتعاليمه، ووقفوا فى وجه هذه الحكومات حتى لا يزعم جاهل أن الإسلام أتى بها، وأن مناهجها كانت إسلاميه، وإنّ أنظمتها كانت مما يقرّه الإسلام، وأوضحوا - وإن كان الأمر فى نفسه - فى كمال الوضوح أنّ هذه الحكومات لم تكن سائره على جاده الحق، ولا على مناهج الإسلام فى السياسه والحكومه، والتعليم والتربيه.

ولعمر الحق! إنّ هذا واجب على كل من يدافع عن الإسلام، ومناهجه العادله الراشده.

وأيضاً لما رأيتم أيها النصاب، ومصوّبى أعمال معاويه ويزيد، ومسلم بن عقبه والحجاج، وغيرهم من الجبابره، أنّه لا يمكن الدفاع على ضوء العلم والمنطق عن هؤلاء وأمثالهم، وعمما صدر عن أسلافكم من الجرائم، والجنايات، وسفك الدماء بغير حق، تشبّثتم تاره بحديث رويتموه عن النبى صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا

١- إن لم يكن هذا الحديث وأمثاله مما دسسته السياسات الحاكمه على الحديث، والتفسير والفقه والدين في الأحاديث الشريفه ما مغزاه؟ أترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذى قال الله فى حقه: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى أراد من هذا الكلام - إن صح صدوره منه - ما يريد إحسان إلهى ظهير وغيره، من تبرئه الظلمه المستعبدين لعباد الله الذين خالفت أعمالهم وحكوماتهم روح الدين الإسلامى، ودعوته ورسالته؟. أترى أنه أراد بذلك نجاه الأبرار والفجار جميعاً، ونجاه القاتل والمقتول، والقاهر والمقهور، كسعد بن عباد وقاتله، وكمالك بن نويره وخالد بن الوليد، وعثمان وقتلته ومن شجع الناس على الثور عليه، وطلحه وقاتله مروان، والزبير وقاتله عمرو بن جرموز، والإمام على عليه السلام وقاتله أشقى الآخرين ابن ملجم، والإمام ومن كان معه، وقتل بين يديه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وشهداء مرج عذراء، ومعاويه وأصحابه، وزياد والمغيره بن شعبه، وسمره بن جندب وبسر بن أرطاه، والإمام الحسين السبط سيد أهل الإباء وسيد شباب أهل الجنه، ويزيد وعامله ابن زياد، ومسلم بن عقبه وشمر وسانان بن أنس، والحجاج، وجميع من رأى النبو صلى الله عليه وآله أو رأى من رآه من الصلحاء السعداء، ومن الفجار الأشقياء الذين يعدُّهم إحسان إلهى ظهير من المسلمين، ولا يقبل نفاق واحد منهم ولا ارتداده، فكلهم أهل النجاه، واختصهم الله تعالى بذلك دون سائر الناس. مع أنه إذا كان الأمر كذلك فغير من ذكرناه فى هذه الأسماء من الظلمه الخونه أولى بأن لا تمسه النار لأنّ مظالم غيرهم لا تقايس بمظالم الذين يشملهم الحديث بزعمه، وإذن لبطل الثواب والعقاب، والتكليف والأمر والنهى، ويلزم تعطيل الشريعه بالنسبه إليهم. فهل هذا مراد النبو الأعظم صلى الله عليه وآله من هذا الكلام؟ وهذا مغزاه. حاشا رسول الله، وهو الذى لا ينطق إلا بالحق أن يريد مثل ذلك، وحاشا الشريعه الإسلاميه أن يكون هذا منهاجها القويم، إننا لم نسمع بمثل هذا فى أمه من الأمم، وشريعه من الشرائع. فهل توافق من يقول: إن الأمة بحاجه ملحه إلى تنقيح كتب الأحاديث، حتى المسانيد والصحاح الست، بل والتفاسير والتواريخ والتراجم، وتخليصها من الإسرائيليات، ومما يباه العقل وما لا يمكن أن يكون الناطق به النبو الحكيم الذى علّمه الله ما لم يكن يعلم، وكان فضله عليه عظيماً. فيجب أن يغسل عنها ما دسسته السياسه فيها، بل يترك منها كل ما يشم منه رائحه السياسه، والنزعات التى ليست من الإسلام، وسواء توافق أم لم يتوافق، فقد بدأت هذه الحركه العلميه، حيث نرى أن بعض المجلات العلميه العرييه من أهل السنه تشرع فى البحث حول أحاديث الصحيحين، وحتى بعض المثقفين المتضلعين فى علم التراجم شرع فى تنقيح تراجم الصحابه على ضوء علمى دقيق. فراجع فى ذلك (شيخ المضيره) و (أضواء على السنه المحمديه) وأبو هريره وأحاديث عائشه أم المؤمنين و (خمسون ومائه صحابى مختلق).

وأخرى أتيتم بقول منكر مخالف لصريح الكتاب والسنة، وما فى أصح كتبكم فى الحديث فقلتم: (إن الصحابه كلهم عدول) ما قصدتم بذلك إلتعديل فسقتهم وظلمتهم، والمنافقين الذين أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن ارتدادهم فى أحاديث الحوض.

فجمعتم بين المتناقضين الفسق والعدالة، وبنيتم بزعمكم سداً وحصناً بينهم وبين الباحثين فى التاريخ، وعمّا جرى على الإسلام والمسلمين فى عصر الصحابه والتابعين، ونسيتم أنّ فسق جماعه منهم ثابت بالتاريخ والأثر الصحيح، وأنّ القرآن المجيد ناطق بنفاق جمع من الصحابه فى غير واحده من الآيات، وأنّ أحاديث الحوض الصحيحه صريحه فى ارتداد جماعه من الصحابه.

نظراً لكل ذلك، فإنّ ما قلتموه لا- يقنع الباحثين، ولا- يمنعهم عن البحث والتنقيب، ولا يخفى على العلماء المحققين ما أردتم إخفاه سيما ما جرى على

أهل البيت من ظالمهم.

فلا يمكن للجيل المسلم المثقف، والباحثين المنصفين أن يستعرضوا تاريخ الإسلام دون أن يقرأوا مثل حديث يوم الدار أو يقرأوه ولا يفهموا معناه من التنصيص على خلافه الإمام على عليه السلام.

كما أنه لا يمكن أن يقرأوا تاريخ عصر الصحابه، ولا يعرفون منه شيئاً، ولا يدركون مغزى الأحداث التي وقعت قبيل ارتحال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من واقعه غدیر حُجَم التاريخيه، ومنع بعض الصحابه النبي صلى الله عليه وآله عن الوصيه، وكتابه ما لا تفضل الأمه بعده أبداً، فقال في رسول الله ما قال... وما وقع في السقيفه مما أدى إلى الإستبداد بالأمر دون أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم، ثم منعهم السيده الزهراء عن حقها في فدك حتى ماتت وهي غاضبه، تمسكاً بحديث نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله، مع أنهم قالوا حين أراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يكتب وصيه لا تفضل الأمه بعدها أبداً: حسبنا كتاب الله، ومنعوا الأمه عن كتابه الحديث وحفظه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

مع أنهم لم يردوا على الخليفه الأول حين أراد الوصيه في مرض موته ولم يقولوا: إنه يهجر، وحسبنا كتاب الله، بل كتبوا وصيته للخليفه الثاني قبل أن ينص هو على ذلك، وكان مغمى عليه.

كما لا يمكن أن يمنع الباحثون عما حدث في عصر عثمان حتى كتب بعض الصحابه إلى بعض، ودعوا الغائبين عن المدينه أن اتركوا محاربه الكفار وتعالوا إلى المدينه للنهي عن المنكر، ودفع ما وقع من الأحداث.

وقد أسفرت تلك الحوادث عن الثوره التاريخيه على السلطه التي صارت

أُعبوه بيده بنى أميه الذين داسوا على أحكام الإسلام في الحكومه والولاية والمال، واستهزؤوا بأحكام الله تعالى مما دفع المسلمين إلى النهوض للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستخلاص الحكم من أيدي أمثال مروان، والوليد بن عقبه بن أبي معيط، ومعاويه بن أبي سفيان.

فطلبوا أولاً من الخليفة الرجوع إلى الكتاب والسنة، وإبعاد هؤلاء سيما مروان عن التدخّل في أمور المسلمين فلم يقبل منهم، وبقي جاداً على أفعاله بل اشتدّ البلاء وأصرّ الخليفة على سيرته التي لا يرتضيها الصحابه إلّا من كان منهم في حواشي بنى أميه أو من زمريتهم.

وكان ممن نقم على الخليفة، وحرّض عليه غايه التحريض أمّ المؤمنين عائشه، وطلحه والزبير، وغيرهم من الصحابه حتى انتهت هذه الحركه بقتل عثمان بعدما كان أمير المؤمنين على عليه السلام من أشد المدافعين عنه، وأخلص نصحاءه، وبعدهما استقر الأمر وسكنت الإضطرابات، وسكنت أصوات الثائرين بعد تماميه البيعه والولاية لعلي عليه السلام، ولم ينل بعض الثائرين والناقمين على عثمان كأُمّ المؤمنين عائشه، وطلحه والزبير، ما أرادوا من تهيج الناس على عثمان الذي انتهى بقتله أخذوا. ويا للسخرية يطالبون بدمه، والإقتصاص من قتلته، فنكث طلحه والزبير بيعتهما وخرّجا بأُمّ المؤمنين عائشه إلى البصره، وفتحوا على المسلمين أبواب الحروب الداخليه، وتتابعت الأحداث والفتن، وتغلّب على بلاد الإسلام وأمور المسلمين ولاه وحكّام لم يقلّ استبدادهم واستضعافهم المسلمين عن الأكاسره والقياصره، وصار ما صار، وآل الأمر إلى ما آل من قضاء على الإسلام، وتمزيق للمسلمين، وديارهم، وتسليط أعدائهم

عليهم.

ومع هذا كله لا يمكن مطالبه المسلم الباحث بأن يصوّب أعمال هؤلاء مع أنّ التاريخ حفظ من هذه الأحداث وآثارها المخزيه ما حفظ، كيف يمكن في هذا العصر عصر الكتابه والطباعه، والقضاء على الأُمِّيّه منع جيلنا المسلم عن مطالعه التاريخ، وعن البحث في هذه الأحاديث، والسؤال عما كان ورائها، وعن من كان المسبّب لها، والمحقّق لِمَسيها وفضائنها.

فلو فرض محو اسم الشيعة وكتبهم ومعارفهم عن صفحه الوجود فلا يقتنع الباحثون المعاصرون بقراءه التاريخ من غير تدبير ومعرفه، ولا يمكن منعهم عن ذلك، كما لا يمكن إقناعهم بحمل كل ذلك على الإجتهد وصدوره عن نيات صادقه خالصه.

إذ لا يمكن أن تكون نتيجه النيات الخالصه هذه الفتن الكبيره والحروب الداميه، ولا سبيل لكم أيها المغرضون إلّا ترك تضليل الناس وإلّا دعوتهم إلى الكتاب وسيره الرسول وسنته، وأن لا تزيدوا على ما قرره الرسول صلى الله عليه وآله شيئاً من وجوب القول بعداله الصحابه، وشرعيه الحكومات التي غلبت على الأمور، وحتى كأتباع سيره الشيخين الذي ابتدعه ابن عوف، وردّه الإمام على عليه السلام، وخسر ثمن قبوله الذي ما كان أعلى منه عند أهل الجاه والرئاسه وطلّاب الحكومه وهو إماره المسلمين، وقبله الخليفه الثالث ثم لم يعمل في حكومته لا بسيره النبي صلى الله عليه وآله ولا بسيره الشيخين.

فعلیکم أن تجدّدوا النظر في رأيکم في هذه الحكومات، ومن استبد على ولايه أمور المسلمين إلى هذا العصر، فلا تعرّضوا هذه المسائل وغيرها إلّا على

ص: ٢٨١

الكتاب والسنة، وسيره الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أو اجعلوا ذلك رأياً واجتهاداً منكم، ولا تطالبوا الباحثين المنصفين أن يوافقوكم فيه على رغم ما تؤدي إليه بحوثهم ويعرفونه من الروح الإسلامى، وعدله ومناهجه فى الحكم.

ولا تجعلوا ذلك مانعاً عن التقريب والتجاوب وتحقيق الوحده الإسلاميه، ولا تفرّقوا كلمه المسلمين، فالباحثون والجيل المثقف ورأيهم واجتهادهم، وأنتم يا مقلده علماء السوء الذين باعوا دينهم بدنيا أمراء الجور ورأيكم.

نعم احتفظتم بعدائكم لشيعة أهل البيت، ولما وقعتم فى العجز أمام قوه أدلّه الشيعة من الكتاب، وصحاح الأحاديث الدالّه على أن النجاه منحصره فى التمسك بعتره النبى صلى الله عليه وآله وأهل بيته، والأخذ عنهم والرجوع إليهم، وأنهم سفن النجاه، وأنّ الحق يدور معهم، وأنهم والكتاب لن يفترقا حتى يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله الحوض، وأنّ حربهم حرب رسول الله، وسلمهم سلم رسول الله، وأنّ من سلك طريقاً غير طريقهم زجّ إلى النار، افتريتم عليهم بأنهم يقولون (العياذ بالله) إنّ الأئمه أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أنهم آله، أو أنهم آلهه، أو أنهم يقولون بعد تسليمهم فى الصلوات «خان الأمين(1)» يريدون أمين وحى الله تعالى والملك المقربه.

ص: ٢٨٢

١- من الكلمات الحكيمه (إذا لم تستح فاصنع ما شئت أو فقل ما شئت) فبالله أسألك يا أخى أن تقرأ كتب الشيعة فى الأدعيه والأذكار، وما يدعون به الله فى تعقيبات صلواتهم، وأن تذهب إلى أى بلد وقرية من البلاد الشيعيه، وفى مساجدهم وصفوف صلواتهم فاسمع واسأل وافحص حتى تعرف أن ليس فى الشيعة من العوام فضلاً عن خواصهم أحد يعرف هذه الفريه، واقض العجب العجاب من قله حياء هؤلاء المفتريين. وانظر بعينك واسمع بأذنك أن الشيعة بعد صلواتهم يرفعون أيديهم للتكبير إلى حيال آذانهم ثلاث مرات ويقولون فى كل مره (الله أكبر) وهؤلاء يقولون إنهم يقولون: خان الأمين، فليقولوا ما شاؤوا وليفتروا ما أرادوا، فلا تحسبنّ الله غافلاً عما يفترون، ولا يقول الشيعة فى الملائكه الذين منهم جبرئيل عليه السلام إلّما قال الله تعالى فيهم: عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون سوره الأنبياء: الآيه ٢٦ و ٢٧. ثم ما هذه المصاحف الخاصه التى جعلوها لأنفسهم؟ وعند من، وفى أى مكتبه يوجد واحد منها، وعند من رأيت نسخه منها؟ أهكذا تعرفون دين الحق؟ أدين الحق أمركم بالكذب والإفتراء والبهتان؟ أدين الحق يأتى بالكتب المزوره، وما يوجب تفريق كلمه المسلمين والجفوه والبغضاء. قال الله تعالى: وإذا فعلوا فاحشه قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون سوره الأعراف: الآيه ٢٨. ثم إنه وقع بيدي بعدما كتبت هذا الكتاب كتاب أسماء مؤلفه عبدالرحمن بن حماد آل عمر (دين الحق) وجدت فيه أغلاطاً كثيره، فعجبت من جهل هذه الطائفه وإصرارهم على الكذب، والقول بغير علم وتركهم التثبت والتحقيق وركونهم على ما يفضحهم ويوضح جهلهم ووهن ما بنوا عليه فى إثبات مذهبهم ورد غيرهم، وإذا كان هذا حال علماءهم وكتّابهم فما ظنك بعوامهم!!! ونذكر لك نموذجاً مما فى هذا الكتاب من الهديان ما قال فى ص ٨٨: (ومن الفِرَق الخارجه عن الإسلام وإن كانت تدّعيه، وتصلّى وتصوم وتحج، فرقه كبيره العدد من فرق الشيعة تدّعى أنّ جبرئيل عليه السلام خان فى الرساله حيث صدها إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان مرسلًا إلى على رضى الله عنه. ويقول هؤلاء: إنّ القرآن الذى بأيدي المسلمين الآن فيه زياده ونقص، وجعلوا لهم مصاحف خاصه، وصنعوا فيها سوراً من عند أنفسهم... إلخ). فى أهل الإنصاف والدين! ويا حمله الكتاب والسنة! ويا من يريد أن يعرف أتباع ابن تيميه، انظروا فى هذه المخاريق، واعرفوهم فهذا

أساس كتبهم ومقالاتهم الطائفية. وأسألوهم عن هذه الفرقة الكبيرة التي تقول بهذه المقالة الكافرة وتنسب إلى أمين وحي الله تعالى بالخيانة. ففي أى بلد هم ساكنون، فأتوا يا أتباع ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب بواحد منهم إن كنتم صادقين، وإلا فاعلموا أنكم فى ضلال مبین. فما عذرکم عند الله تعالى، لعنه الله على من يقول بهذه المقالة.

(جبرئيل عليه السلام) أو أنّ لهم قرآناً غير هذا القرآن، أو أنّهم يكفرون جميع الصحابه من افتراءات لا خلاف بين الشيعة فى كفر من قال بواحد منها، أو أنكروا عليهم ما يثبتون من الفضائل والمناقب والكرامات والعلوم لأهل البيت عليهم السلام مما ثبت بالأثر الصحيح وشهد بكثير منها، وأخرجها جماعه من أعلام أهل السنه ممن يطول بنا الكلام بسرد أسمائهم حتى أنّ جمعاً منهم صنفوا فى ذلك كتباً مفردة.

أو أخذتموهم بعقائدهم الصحيحه التى تعتقدونها أتم إن كنتم من أهل السنه (ولستم منهم) كالتقيه التى نزل بها القرآن الكريم. أو أخذتموهم بأراء وأقوال لم تحصلوها، وما دريتم قولهم فيها أو دريتم وتجاهلهم كالرجعه (١) والبداء (٢)، وقلتم فيها ما تريدون، وتركتم النظر حول هذى.

ص: ٢٨٤

١- لا- يخفى عليك أن الرجعه ليست على إطلاقها عند من يقول بها من الشيعة، وإلا كانت بعثاً، ومن الآيات التى استدلووا بها على الاولى قوله تعالى: (و يوم نحشر من كل امه فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) سورة النمل: الآية ٨٣، كما اسدلو ايضاً بآيات صريحه على وقوعها فى الامم الماضيه.

٢- راجع فى الرجعه (مع الخطيب)، فيها وفى البداء كتاب (أجوبه مسائل موسى جار الله) وكتاب (نقض الوشيعة) وللشيعة فى هاتين المسألتين كتباً مفردة. ومن عجيب ما قرأت حول أسئله الرجعه ما أخرجه ابن حجر فى تهذيب التهذيب: ج ٥، ص ٣٢٣ قال (١٨٧ و ١٨٨) عن أبى حريز البصرى قاضى سجستان: وهو من الشيوخ الأربعة، والبخارى فى التعليقات (قال ابن حجر) وقال الآجرى عن أبى داود، حدّثنا الحسن بن على، حدّثنا أبو سلمه، حدّثنا هشام السجستانى قال: قال لى أبو حريز: تؤمن بالرجعه؟ قلت: لا، قال: هى فى اثنتين وسبعين آيه من كتاب الله تعالى.

المسائل، ولم تكلفوا أنفسكم النظر في أدلتهم من الكتاب والسنة، فأولتموها بمزاعمكم ليكون لكم عذر عند العوام والجهال حتى لا يسألوكم عن حقيقته ما يقوم عليه مذهب شيعة أهل البيت.

فإنَّ السؤال إذا وصل إلى هنا لا يمكنكم أن تدفعوا الناس عن الميل إلى مذهب أهل البيت وإلى التشيع؛ لأنَّ مذهبهم اقتصر على الأخذ عن أهل البيت والتمسك بهم دون غيرهم، كما قال أبان بن تغلب: إنَّ الشيعة هم الذين إذا اختلف الناس عن النبي صلى الله عليه وآله يأخذون بقول الإمام على عليه السلام، ويتركون غيره من الأقوال(١).هـ.

ص: ٢٨٥

١- أخرج في الأملالي الخميسيه (ج ١ ص ١٥٣، ط مصر) بسنده عن أبي مسعود قال: إنَّ لهذه الأمة فرقه وجماعه فجامعوها إذا اجتمعت، فإذا افترت فارقوا أهل بيت نبيكم، فإن سالموا فسالموا، وإن حاربوا فحاربوا، فإنَّهم مع الحق والحق معهم، لا يفارقهم ولا يفارقونه.

والبحث والتنقيب إذا كان للوصول إلى الحقيقه ينتهى إلى مذهب الشيعة كما ترى ذلك فى كتب جماعه من رجالات العلم من المتقدمين، والمعاصرين من أهل السنه فى مسائل كثيره، فبعضهم صرح بما ينتهى إليه البحث فى ضوء علمى، وبعضهم إن لم يصرح فلقد أورد البحث وأتمه على نحو يلتفت من يقرأه إلى نتيجته بحثه.

ولا يقبل المسلم المثقف، والجيل المعاصر ما ذكره بعض السلف من أعذار مختلفه للأحداث التى وقعت بعد ارتحال الرسول الأعظم إلى الرفيق الأعلى، فترى مثل سيد قطب لا ينكر سوء سيره عثمان وضعف سياسته، وما خسر المجتمع الإسلامى به فى كتابه (العدالة الاجتماعيه) ويعظم نهضة الإمام الحسين عليه السلام وقيامه لحفظ الإسلام غايه التعظيم، يذكر عمله مع عمل إبراهيم الخليل النبى العظيم عليه السلام فى تفسيره.

ولعلك لا ترى من الكُتَّاب المثقفين من يدفع عن سيره معاويه، وعمرو بن العاص، ويزيد بن معاويه، ويحمل أفاعيلهم المنكره وأفاعيل أمثالهم على الإجتهد، فأمر هؤلاء صار أوضح من أن يخفى على الباحث المنصف، وكلما قلت العصبية زاد الأمر وضوحاً إلى أن يقطع الله دابر المنافقين.

ومع ذلك كله نحن لم نطلب فى (مع الخطيب) وفى سائر كتبنا حول الدعوه إلى الوحده الإسلاميه من هؤلاء الذين جعلوا شعارهم الدعوه إلى التفرقه

والإختلاف إلّا الإعتصام بالوحده الإسلاميه، وأن لا يغالوا فى ولاء المنافقين الذين أظهر آثار النفاق فيهم بغضهم الإمام على عليه السلام، وعداءهم لأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، وأمرنا الرسول الأعظم بالتمسك بهم، وأن يأخذوا بالروابط الأصلية الإسلاميه التى تربط بين جميع الفرق والمذاهب.

فلا يحكموا بكفر من صرّحت صحاح الأحاديث، وسيره الرسول وسيره أصحابه على إسلامه؛ لأنّه يتمسك بأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله ويأتّم بهم، ويقتدى بهداهم وسيرتهم، ويتبرء من أعدائهم، ولا يقول بأنّ الصحابه - حتى من ثبت فسقه بل ارتداده بالأثر الصحيح - كلهم عدول، بل يحكم على كل منهم بما يحكم عليه التاريخ، ويؤدى إليه اجتهاده.

فإذا أنتم لا تكفرون قتله عثمان ومن شرك فى دمه، وأثار الفتنة عليه كأثمّ المؤمنين عائشه وطلحه والزبير، وعمار وغيرهم، ولا تفسقونهم كما لا تفسقون عايشه وطلحه والزبير، ومن كان معهم فى وقعه الجمل، وتحملون كل ما صدر عنهم على خطأهم فى الإجتهاد، وتقولون للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد، وتقولون بوجوب إطاعه أمير مؤمنكم مروان، وهو الذى قتل طلحه يوم الجمل، وكان طريد رسول الله صلى الله عليه وآله ولعينه، وقد أسلم عام الفتح إسلام الطلقاء، وهو الذى كان من وراء الأحداث التى أثارت المسلمين على عثمان.

فَلِمَ تكفرون وتفسقون إذن من أدى اجتهاده إلى فسق بعضهم أو نفاقهم؟ ومن أين جئتم بأنّ الإيمان بشرعيه حكومه جباره هذه الأمم، ووجوب إطاعتهم وإطاعه ولاتهم داخل فى الإيمان؟

ولِمَ لا يجوز الحكم بفسق من شهد التاريخ، والأثر الصحيح، والأحاديث

وهل أنّ هذه الآراء جاءت إلامن قبل السياسات التي سلبت حريه التفكير الدينى عن المسلمين بعد عصر الرساله؟

وإلما فهذه فاطمه الزهراء بنت رسول الله وحببته سيده نساء العالمين، وسيده نساء أهل الجنه المطهره عن الرجس بحكم آيه التطهير، ماتت وكانت عقيدتها ورأيها عدم شرعيه حكمه أبى بكر، وماتت غاضبه على الشيخين فمن كانت عقيدته عقيدتها لا يؤاخذ بها، ونفس هذه العقيدته كانت عند غيرها ممن امتنع عن البيعه لأبى بكر.

ومن جانب آخر فهذه أم المؤمنين عائشه حاربت علياً الذى قال النبى صلى الله عليه وآله فى حقه: «على مع الحق والحق مع على، يدور معه حيثما دار»، وقال:

«من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فحدثت من جراء ذلك فى الإسلام فتنه كانت هى كالأساس لجميع الفتن التي حدثت بعدها إلى يومنا هذا.

ومع ذلك فأنتم تفضلونها على سائر أمهات المؤمنين (1). 5.

ص: 288

1- حتى على زينب بنت جحش التي أطاعت أمر النبى صلى الله عليه وآله فى حجه الوداع، حيث قال صلى الله عليه وآله فى هذه الحجه مخاطباً نساءه: (هذه الحجه ثم ظهور الحصر) وبالغت فى الإطاعه حتى بلغ الأمر بها إلى حد أنها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تخرج من بيتها حتى للحج، وكم كان بينها وبين عائشه فى معارضه الأخيره لرسول الله صلى الله عليه وآله وردّها عليه وعدم إطاعتها له من فرق. ولإثبات ذلك نذكر مثلاً مما وقع فى حجه الوداع وهو ما فى السيره الحلبيه (ط مطبعه مصطفى محمد ج 3 ص 292 و 293) من أنه فى حجه الوداع (كان جمل عائشه (رضى الله عنها) سريع المشى مع خفه حمل عائشه، وكان جمل صفيه بطيء المشى مع ثقل حملها، فصار يتأخر الركب بسبب ذلك، فأمر صلى الله عليه وسلم أن يجعل حمل صفيه على جمل عائشه وأن يجعل حمل عائشه على جمل صفيه، فجاء صلى الله عليه وسلم لعائشه (رضى الله عنها) يستعطف خاطرها، فقال لها: يا أم عبدالله، حملك خفيف وجملك سريع المشى وحمل صفيه ثقيل وجملها بطيء، فأبطأ ذلك بالركب، فنقلنا حملك على جملها وحملها على جملك ليسير الركب، فقالت له: إنك تزعم أنك رسول الله (فقال) صلى الله عليه وسلم: أفى شك أنى رسول الله أنت يا أم عبدالله؟ قالت: فما بالك لا تعدل؟ قالت: فكان أبو بكر (رضى الله عنه) فيه حدّه فلطمنى على وجهى، فلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أما سمعت ما قالت؟ فقال: دعها فإن المرأه الغيراء لا تعرف أعلى الوادى من أسفله (ثم ذكر قصه عجيبه من أبى بكر لا- حاجه لذكرها هنا). أفيقاس من يردّ على النبى صلى الله عليه وآله بهذه الكلمه بغيرها من أمهات المؤمنين اللاتي لم يحفظ عنهنّ التاريخ دون ذلك. أتعرف فى النساء الصحبايات من المهاجرات والأنصار من خاطب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بمثل هذا الخطاب؟ ألا تقرّ أن أم المؤمنين عائشه لم تحز ما حازت من الإجلال إلآلآنّ السياسه شاءت واقتضت أن يكون لها هذا الشأن، وأنّ كثره حديثها ومن يحدث عنها والإعتناء بها لم تكن إلآلذلك؟ نعم لا شك فى أنها طاهره مما قذفت به، ومن أنكر ذلك فهو كافر بالله وبكتابه، كما أن سائر أمهات المؤمنين أيضاً

كلهن طاهرات مما قذفت هي به، وإن كان القرآن نزل بطهارتها خاصة، أما خطأها فيما صدر عنها من الخروج على الإمام عليه السلام فذنب تاريخي لا ينكر، وما صدر عنها إلا لأنها كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله كانت (لا تعرف أعلى الوادي من أسفله). ألا تعجب ممن يذكر اسمها حتى قبل اسم سيده نساء العالمين الزهراء، وسيده النساء خديجه؟ وعندى أن تفضيل كل واحد من الأمه، وغيرهم على سائر الناس لا يصح إلا بدليل صريح قاطع كما دل على أفضليه سيده نساء العالمين الزهراء والسيدة خديجه أم المؤمنين، والسيدة مريم بنت عمران، والسيدة آسيه، وأما غيرهن فلا دليل على فضلهن على جميع النساء، ولم يدل دليل على أنه لا- يوجد في نساء الأمه من غير أمهات المؤمنين أفضل من غير هذه الأربع لو لم نقل بدلاله الكتاب والسنة عليه بدليل قوله تعالى: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً سورة التحريم: الآية ٥.

فَلِمَ تَوَاحِدُونَ مَنْ يُوَدَى بِهِ اجْتِهَادَهُ إِلَى الْحَكْمِ عَلَى عَائِشَةَ بِأَنَّهَا خَالَفَتْ رَسُولَ اللَّهِ بِخُرُوجِهَا عَلَى الْإِمَامِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَأَلَهَا عَنْ هَذِهِ الدَّمَاءِ الَّتِي أُرِيقَتْ فِي وَقْعِهِ الْجَمَلِ، وَمَا بَعْدَهَا مِنْ صَفَّيْنِ وَالنَّهْرَوَانِ؟

والحاصل: نحن نطالبكم أن لا تُدخلوا في الدين ما ليس منه، فقد عرف الله تعالى في كتابه والنبى صلى الله عليه وآله في سنته الإسلام وحدوده، وما به يخرج المرء عن دينه، ولا يوجد فيها شيء مما اعتبرتموه أنتم عناداً وعصبيه خروجاً عن الدين.

فعدم الإيمان بشرعيه بعض الحكومات، وبصححه إيمان أبي سفيان وابنه معاوية، والوليد بن عقبه، وبسر بن أرطاه، وغير ذلك مما تنقمون بسببه على شيعة أهل البيت عليهم السلام ليس خروجاً عن الإسلام، وقد أفردنا رساله خاصه كتبناها حول حديث افتراق الأمة وما هو الميزان في النجاه، وأن شيعة أهل البيت أخذت بكل ماله دخل في الإسلام، وسبب للنجاه عند أهل السنه والجماعه.

ومن جهه أخرى: فهذه الأمور التي تأخذونها على شيعة أهل البيت

ومتبعي سبيلهم ومذهبهم، وتجعلونها مانعاً من التقريب واعتصام الأمة بالوحده الإسلاميه، لم يبق لها في هذه العصور أثر عملي في اتجاهاتكم السياسيه والاجتماعيه، وإنما هي آراء وتفكيرات أنتجتها السياسات الغاشمه، وأنتم تتبعون سلفكم فيها، فلا معاويه ولا- يزيد، ولا- الوليد ولا- المنصور، ولا- هارون ولا الحجاج ولا مسلم بن عقبه، ولا بسر بن أرطاه ولا زياد بن أبيه وسمره بن جندب والمغيره بن شعبه أمراء مؤمنكم، وولاه أموركم حتى تلتحقوا بصفوفهم، وتحاربوا معهم الإمام علياً، والإمام الحسين، وشيعتهم من الصحابه مثل سلمان، والمقداد وأبي ذر، وعمار وحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وألوف من الصحابه ممن كانوا في حزب علي، ومعه في واقعه الجمل، وصفين والنهران، وتقتلوهم.

والتفكير الشيعي أيضاً عقيده وفكر لا يخرج في حقيقته عما يعتبر في الإسلام مما دلت عليه صحاح أحاديثكم.

نعم.... إنه فكره وعقيدته تجيء طبعاً من مراجعه الأحاديث الصحيحه المتواتره، ومن مطالعه تاريخ الإسلام، والبحث والتنقيب في سيره الرسول وأهل بيته وأصحابه، وفي سيره من تولّى الأمر بعده، وما أثر في مسير التاريخ وظهور الحكومات في العالم الإسلامى، وسيره الحُكّام المخالفه لتعاليم الإسلام الرشيديه في الحكم والإداره، وحساب هؤلاء على الله تعالى.

وأنتم على عقيدتكم ورأيكم فيما تقولون فيهم من أنهم كانوا فيما فعلوه وأحدثوه متبعي هوى الإسلام، لم يريدوا بما فعلوا رئاسه وسلطاناً ولا جاهاً دنيوياً، وما مخالفتهم لأمر الرسول صلى الله عليه وآله واستباحتهم الدماء المحقونه وتحليلهم

الحرام وتحريمهم الحلال إلّالرأى رأوه واجتهاد أدى بهم إلى ذلك.

أنتم وشأنكم قولوا ما شئتم، واحكموا أو تحكموا بالتاريخ كما يحلو لكم، فنعم المجتهدون مجتهدوكم: معاويه، وعمرو بن العاص، وبسر بن أرطاه، ووليد بن يزيد، وسمره بن جندب، وحصين بن نمير، ومروان وغيرهم.

فنعمت الحصيله حصيله اجتهادهم: الإستبداد بأمر المسلمين، وقتلى الجمل وصفين ومرج عذراء، وأماره يزيد، وقتل الإمام الحسن السبط الأكبر وأخيه الإمام الحسين ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله، وقتل غيرهم من أهل بيت الرسول وأصحابه، وقتل مالك بن نويرة، ونكاح زوجته قهراً قبل انقضاء عدّه الوفاه، ونفى أبي ذر الذى قال رسول الله فى حقه ما قال (1)، وغير ذلك من المنكرات.ر.

ص: ٢٩٢

١- أخرج أحمد فى مسنده (ج ٥ ص ١٩٧) عن عبدالرحمن بن غنم أنه زار أبا الدرداء بجمص، فمكث عنده ليلالى، وأمر بحماره فأوقف، فقال أبو الدرداء: ما أرانى إلّامتبعك، فأمر بحماره فأسرج، وسارا جميعاً على حماريهما، فلقيا رجلاً شهد الجمعة بالأمس عند معاويه بالجاييه، فعرفهما الرجل ولم يعرفاه، فأخبرهما خبر الناس، ثم إن الرجل قال: وخبر آخر كرهت أن أخبركما أراكما تكرهانه، فقال أبو الدرداء: فلعل أبا ذر نفى، قال: نعم والله، فاسترجع أبو الدرداء وصاحبه قريباً من عشر مرات.. ثم قال أبو الدرداء: ارتقبهم واصطبر كما قيل لأصحاب الناقه: اللهم إن كذبوا أبا ذر فأئنى لا أكذبه، اللهم وإن اتهموه فأئنى لا أتهمه، اللهم وإن استغشوه فأئنى لا أستغشه، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأتونه حين لا يأتون أحداً، ويسر إليه حين لا يسر إلى أحد. أما والذى نفس أبى الدرداء بيده! لو أن أبا ذر قطع يمينى ما أبغضته بعد الذى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجه أصدق من أبى ذر.

فأنتم ورأيكم في هذه الأمور، ولكن لماذا تطلبون ممن أدى اجتهاده إلى خلاف اجتهادكم في أصحاب هذه الأحداث ترك اجتهاده، ولا تحترمون اجتهاده فيهم كأنه ارتكب كبيره من الكبائر.

وإذا كان من الجائز أن تحمل أعمال هؤلاء، وحروبهم، وقتلهم النفوس، وبغضهم للإمام على عليه السلام الذى كان بغضه من أظهر آثار النفاق، بل يعد في عهد الرسول صلى الله عليه وآله من علائم خبث الولاده، على الاجتهاد، وإذا أنتم تعذرون معاويه، وقتلتم بأنه مجتهد مخطئ لا- ذنب له مع أفاعيله المنكره الموبقه الجسيمه، وقد سنّ سب أخ الرسول، ومن هو بمنزله نفسه على المنابر، وتحملون جميع ما صدر عنه، وعن أتباعه من بنى أميه، وغيرهم على الاجتهاد لا تفسقون واحداً منهم.

لماذا لا- تحترمون اجتهاد من أدى اجتهاده إلى ما كان تراه فاطمه سيده نساء العالمين والإمام على، وأبوذر والمقداد وعمار، ووجوه الصحابه الذين رأوا وجوب الجهاد ضد معاويه وقتله وقتل أصحابه حلالاً، وكانوا يتقربون إلى الله بذلك وبالبراءه منه؟

فإذا كانت السيده فاطمه المطهره عليها السلام وبنو هاشم وغيرهم ممن امتنع عن بيعه أبى بكر مجتهدين، فالذى يرى رأيهم فى ذلك عذره أولى بالقبول.

مضافاً إلى أن الرأى بشرعيتها لا- يدخل أحداً فى الإسلام كما أن القول بعدم شرعيتها لا- يخرج أحداً عنه، فتلك المسائل والعقيده بشرعيه الحكومات التى تولت الأمور بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ليست من أصول الدين، ولا- يخرج أحد بإنكارها عن الإسلام، كما لم يخرج المسلمون الأولون بذلك عنه.

فمن لم يعرف أصحاب هذه الحكومات، ولم يسمع باسمهم لا يسئل عن ذلك فى القيامه أصلاً ولا يجوز لكم أن تعرضوا على الناس عند عرض الإسلام وأصوله وأهدافه شرعيه حكومه هؤلاء أو أتباع سيرتهم أو الإيمان بعدالتهم إلّا إذا كنتم تريدون أن تزيدوا ذلك على ما جاء به النبي صلى الله عليه و آله.

فمسأله (الصحابه كلهم عدول) ليست من أصول الدين وفروعه بشىء، ولا مدخلية لمثل هذه مما نسجته يد السياسه الأثيمه، ومبغضى أهل البيت عليهم السلام فى إسلام المسلم أصلاً، ولا يجوز تكفير المسلم أو تفسيقه إذا رأى غير ذلك مع التزامه بأحكام الإسلام من الصلاه، والصيام، والحج والزكاه، وغيرها، وتركه ما حرّمه الله تعالى فى كتابه وسُنّه رسوله.

وكل باحث فى تاريخ الإسلام إذا كان منصفاً يعرف أنّ الأصل فى إدخال هذه الأمور فى الدين، ما كان إلّاسياسه الحُكّام الذين قلبوا الإسلام ظهراً لبطن، حتى قال أبو الدرداء: «والله لا- أعرف فيهم من أمر محمد صلى الله عليه و آله شيئاً إلّا أنّهم يصلّون جميعاً»(١).

وقال أنس: «ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي صلى الله عليه و آله، قيل: الصلاه قال: أليس ضيّعتم ما ضيّعتم فيها؟»(٢).

ولكنّهم منعوا بكلمتهم (الصحابه كلهم عدول) الأمه عن البحث والتنقيب حول ما شجر بين الأولين لما رأوا أنّ ذلك يؤدى إلى معرفتهم ما لا يحبون،ا.

ص: ٢٩٤

١- يراجع مسند أحمد: ج ٦ ص ٤٤٣.

٢- يراجع صحيح البخارى، كتاب مواقيت الصلاه، باب تضييع الصلاه عن وقتها.

ويحتم عليهم النزول عن عروشهم الإستبداديه، وينتهى إلى الحكم بعدم شرعيه حكوماتهم، وجعلوا هذا كبعض الأمور التعبدية، الذى لا يجوز لأحد أن يسأل عنه لعدم اهتداء العقل إلى حقيقته، فلا يجوز لأحد أن يتكلم فى صحابى، ولو كان بسراً، والمغيره بن شعبه، وسمره بن جندب، والوليد بن عقبه، بل ولا فى من رأى صحابياً، ولو كان هو الحجاج أو مسلم بن عقبه. وأما إذا كان ممن اعتلوا عرش الحكم واستبدوا بمقدرات الأمة، فلا يجوز القدح فى أعماله أصلاً؛ لأنّ على الأمة إطاعه الولاه؛ ولأنّهم (العياذ بالله) صنائع الإسلام، ومطبّقوا مناهجه السياسيه، فلا يجوز لأحد أن يقف أمام مواقفهم السياسيه حراً، وينظر إليها بعين الفهم والعقل، والمحاكمه الواعيه.

لأنّ هذا يسفر طبعاً عما لا يناسب ما اتخذه عقيدته فى بعض الصحابه، كأنّ الإسلام مع ما فى كتابه من الآيات الكثيره فى منافق الصحابه، ومع ما أخبر النبى صلى الله عليه وآله فى أخبار الحوض عن ارتداد ملاً منهم قد سنّ للصحابه قواعد غير ما سنّه لسائر أبناء الأمة.

وما أدرى إلى متى ستستمر أمثال هذه المجادلات؟ ومتى ينتهون من الوقوف فى وجه تبصر الأمة وتيقظها؟ وإلى متى يسدّون أسماعهم عن نداءات الوحده الموجهه من مصلحي الأمة، وزعماء المسلمين من الشيعة والسنة؟ ومتى يمتنعون عن خيانه الإسلام والمسلمين بمقالاتهم وكتاباتهم الممزقه لشمل الأمة؟

نحن لا نحب معارضه ما كتب كاتب (الشيعة والسنة) وغيره عن الشيعة، وما أخذوه عليهم من الكذب والبهتان، ولو شئنا لكتبنا نحن صدقاً وواقعاً

أضعاف ما قاله هؤلاء عن الشيعة، فإن ما فى كتبهم المعتمده المشهوره من فضائح أعمال كثيره من هؤلاء حتى قضاتهم مثل: يحيى بن أكثم، وابن أبى داود، وما قاله علماءؤهم فى الجرح والتعديل فى أمثال: ابن حزم، وابن تيميه، وأبى حنيفه وغيرهم، من المطاعن ما يتعسر استيعابه، فمن أراد معرفه ما قيل فى هؤلاء فليراجع كتب أهل السنه فى التاريخ والتراجم.

نعم إننا لن نملاً كتابنا بذكر مساوئ هؤلاء، فحسابهم وما فعلوا، وما أفتوا به، ودم من قتل بفتاويهم فى الفتن التى وقعت بين الأمم: كفتنه اختلافهم فى خلق القرآن، واختلاف أتباع المذاهب، والصدمات الدمويه التى وقعت نتيجة هذا الاختلاف على الله تعالى، وهو الذى يجازيهم عليه، ولسنا بحاجة لأن نخوض فى هذه الأمور بعدما كان معنا من الآيات الكريمه، والأحاديث المتواتره ما يدل على صحه مذهب الشيعة، وبعدها قام بكشف فضائح جماعه من هؤلاء علماء أفذاذ من أهل السنه، فكفوناً هذه المهمه.

فإن أردنا أن نستشهد بخيانات الأمراء والوزراء، والحكام وعلماء السوء، ومحبي الجاه والرئاسه، وراجعنا التاريخ للكشف عنهم لما وسعنا الوقت، لأنهم أكثر من أن يستقصى ذكرهم، وشرح خياناتهم فى كتاب وكتاب وكتاب، وإن جاء إحسان ظهير بواحد من المتسمين بالشيعة، ورماه بالخيايه نقابله بالمئات بل بالألوف من المتسمين بالسنه.

فإن كنت تقول: يا إحسان ظهير! إن باكستان الشرقيه ذهبت بزعمك فى أيدي الهندوس ضحيه، بخيانه يحيى خان الشيعى، فماذا أنت قائل عن فلسطين، ذهبت ضحيه بأيدي اليهود بخيانه من؟ ولماذا لا تقول بأن مجيب الرحمن

وحزبه الذين تولّوا الهندوس، وذهبت باكستان الشرقيه بسعيهم ضحيه فى أيدي الهندوس كانوا من الشيعة أو السنه؟ وأثرهم فى انفصال الباكستانيين كان أكثر أم يحيى خان؟ (١)

وبماذا تُجيب لو سُئلت عن الحكومه العثمانيه وبلادها الواسعه؟ وعن الذين تمزّقت بخيانتهم وذهبت ضحيه فى أيدي الكفار؟ فطاغيه تركيا الذى ألغى.

ص: ٢٩٧

١- كل من له أدنى خبره بما يجرى فى البلاد الإسلاميه يعرف أن باكستان الشرقيه لم تنفصل عن الغربيه بغته، وأن أسبابه نشأت من قبل بسنوات كثيره، بل يرجع بعضها إلى زمان تأسيس حكومه باكستان، والحكومات التى تولّت الأمور فيها لم تعمل لرفعها كما لم تعمل لإصلاح ما شجر بين زعماء الباكستانيين، ولرفع الفساد الذى ظهر فى الأمور السياسيه والإقتصاديه، والإجتماعيه والتعليم والتربيه، وكما لم تأخذ الحكومه بنصائح المصلحين من مسلمى باكستان الشرقيه والغربيه ولم تأخذ أيضاً بمبادئ الإسلام ثم ترأس يحيى خان فى الحاله التى تؤدى لا محاله إلى ما أدت، ومما أثار فى ذلك الانفصال، بعد مساعده الظروف والأحوال الإجتماعيه والإقتصاديه التى لم تعمل الحكومات فى إصلاحها بنيه صادق، قوه بعض السياسات المستعمره وضعف بعضها ومع ذلك كله لم تقع فى أيدي الهندوس، وقتل مجيب الرحمن. والآن نرى أن اختلاف باكستان الشرقيه (بنكلادش) وحكومه الهند رفع إلى جامعه الدول وقامت بنكلادش حكومه الهند، والله يعلم ما يحدث فى المستقبل. ولا يظن أحد أنا نريد تبرئه يحيى خان، فما ذلك عندنا بشيء حكم عليه بالخيانة أو لم يحكم، فيحى خان حاكم من الحكّام الذين لم نعرف لهم عملاً فى مصلحه الإسلام، ونحن لا نكرمهم، ولا نرحب بهم، كما لا نوالى الظالمين والخائنين سواء كانوا من الشيعة أو السنه. بل نريد أن نبين ضعف مقال كاتب (الشيعة والسنه) ونظرائه، ومغالطاتهم وما يستندون إليه فيما يكتبون فى المذهب حتى يعرف الباحث المنصف بماذا يحكم هؤلاء على شيعة أهل البيت، ويفترون عليهم، ويضلون الناس عن سبيل الله تعالى.

الخلافة وأعلن اللادينية والإلحاد، ورفض شعائر الإسلام كان من الشيعة أو السنه؟

وبماذا تُجيب إذا سألوك عن هذه التفرقة الموجوده فى البلاد الإسلاميه التى هى الأساس لاستيلاء الكفار على بلادنا، وشؤوننا جاءت من خيانه من؟

ثم إن هؤلاء الحكام الذين لا مقصد لهم إلا الاحتفاظ بحكوماتهم وإماراتهم، والذين اتخذوا اليهود والنصارى والشيوعيين أولياء، وارتدوا عن الإسلام يحاربونه بكل سلاح بعد أن أهملوه إهمالاً تاماً، وأخذوا مكانه بالمبادئ العلمانيه أهم من الشيعة أو السنه؟

فهل ترى سبباً لبقاء العدو فى بلادنا وأراضينا، وأفكارنا غير خيانه الرؤساء؟

وهذه لبنان قد ابتليت بالحروب الداخليه، وأنهار كل شىء فيها معنوياً وإنسانياً، واقتصادياً وعمراً، وأصبحت حواضرها خربه، والمسلمون يقتلون فيها بعضهم بعضاً، وقد أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بخيانه من؟

نعم الشيعة تقول: لا دين لمن دان الله بولايه إمام ليس من الله كما تقول:

أثافى الإسلام ثلاثه: الصلاه، والزكاه، والولايه، ولا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق، ولا تعتقد أن للجباره نصيباً من الحكم والولايه والتصرف فى الأمور، لأن الشيعى معتقد بنظام الإسلام السياسى، ولا يرى لغير الله ولا لأحكامه حكماً وحكومه، فمن لم يدن بحكومه شرعيه من الله لا اعتداد بعباداته وأعماله؛ لأن المجتمع إذا لم يقم على حكومه رشيده صالحه تطبق مناهج الإسلام فى السياسه والقضاء، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإذا لم يكن الحاكم من الذين قال

اللّٰه فيهم: الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاه وآتوا الزكاه وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولّٰه عاقبه الأمور(١) لا عبره بالاعتناء بالتكاليف الفرديه.

لأنّ ذلك لا يكفي في صلاح المجتمع، واستقامه مناهجه التربويه والماليه، والسياسيه والإجتماعيه، وحفظ النظام والأمن، كما أنّه على خلاف الغايه التي أرادها اللّٰه من بعث الرسل والأنبياء.

فإنّ اللّٰه سبحانه يقول: ولقد بعثنا في كل أمه رسولاً أن اعبدوا اللّٰه واجتنبوا الطاغوت(٢) من هذه الآيه الكريمه نستفيد بأنّ أمر المجتمع الذي لم يكن حاكمه من اللّٰه، ولم تكن حكومته شرعيه آيل لا محاله إلى عباده غير اللّٰه، وإطاعه الطواغيت، وقد أمر اللّٰه الناس بأن يخلصوا إطاعتهم لله في قوله تعالى: وما أمرنا إلاّ ليعبدوا اللّٰه مخلصين له الدين(٣).

ومن هذا يظهر سر التأكيد على معرفه الإمام في الحديث المعروف: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه) وسر تأكيد النبي صلى الله عليه وآله على إرجاع الأمة إلى الأئمة من أهل بيته في الأحاديث المتواتره كحديث الثقلين.

والشيعة قد أخذوا بهذا المبدأ، فلا يرون لغير اللّٰه وغير أحكامه حرمه، وليس لمن استمدّ حكمه وحكومته من غير اللّٰه سلطان ولا حكمه، قال تعالى:

إن الحكم إلاّ لله أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إياه ذلك الدين القيم(٤)، وقال سبحانه: إنّ هذه .

ص: ٢٩٩

١- الحج: الآيه ٤١.

٢- النحل: الآيه ٣٦.

٣- البينه: الآيه ٥.

٤- يوسف: الآيه ٤٠.

أمتكم أمه واحده وأنا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (١).

هذا هو الأساس الذى يجب أن يرتكز عليه نظام الحكم فى الإسلام، وهذا هو النظام الإسلامى الذى يجب أن ترتكز عليه أية حكومة تدعى الإسلام.

فهل تجد لهذه الحقائق فى البلاد الإسلاميه رسماً أو اسماً؟ ففى كل قطر ومنطقه حاكم ونظام يدعون إلى أسلوب فى الحكم ليس من الإسلام فى شىء.

فهل يجوز للمسلم فى نظركم إطاعه الحاكم مهما كان، وأياً كان نظامه؟ وهل يجوز للمسلمين التسليم بالأمر الواقع حتى ولو كان فى هذا الواقع إبقاء على تمزق بلاد المسلمين إلى دويلات صغيره ضعيفه؟ والأمة المسلمه إلى شعوب لكل منها فى محيطه الخاص عاداته وتقاليده وطرق تفكيره، لا يكاد يتحسس آلام إخوانه فى سائر الأقطار؟

فإذا كانت الأرض فى نظر الإسلام كلها لله، والأمة الإسلاميه أمه واحده كما صرّح بذلك القرآن، فيجب أن يكون حاكمها واحداً، وحكومتها واحده، فما هو موقف حكامنا من ذلك؟ وما هو موقفهم من رأى الإسلام هذا؟ وما داموا مسلمين، فلماذا لا يحققون كلمه الإسلام فيهم؟ ولماذا يصدّون الناس عن سبيل الله؟ ولماذا هذه الإمتيازات التى ليست من الإسلام وهم يؤثرون أنفسهم بها على سائر المسلمين؟!

وإذا كانت بلاد المسلمين كلها دار الإسلام وبها يتحقّق الوطن الإسلامى الكبير، فلماذا إذن هذه الحدود والحوجز، والجنسيات المختلفه؟ ولماذا لا ٢.

ص: ٣٠٠

١- الأنبياء: الآيه ٩٢.

توزع الأموال العامه على جميع المسلمين؟ ولماذا كان العكس من ذلك هو الحاصل فعلاً؟ فترى بعض أقطارهم يعانى من التخم، بينما أقطاراً أخرى تعاني من الجوع؟ فلماذا هذه الإختصاصات، والإستيثارات؟

فما دمنا لم نجتمع تحت كلمه الله الواحده وحزب الله الواحد ونظام واحد وجنسيه واحد، فما دمنا لم نرفض هذه المناهج والبرامج والنظم الكافره التى جاء بها الإلحاد والعلمانيه والإستعمار الفكرى والمادى فى بلادنا، وهذه الجنسيات التى مزقنا الإستعمار بها، حتى جعل فى كل قطر وإقليم حاكماً لحفظ مصالحه الإستعماريه، وحال بين المسلمين وبين تشكيل دوله واحد، نعم... ما دمنا كذلك فهل يمكن أن يكون واجباً هناك أهم من توحيد المساعى لتشكيل دوله إسلاميه واحد ودخول الجميع فى ولايه الله، وأن لا يدينون بولايه إمام ليس من الله؟

فماذا عملتم وماذا تعملون لتحقيق هذه الأهداف الإسلاميه الأصيله؟ كأنكم يا أساتذته الجامعه لستم من أبناء هذا العالم المعاصر، ولم تطلعوا على ما كتبه أبناء السنه المصلحون حول هذه المسائل، وكأنكم تعيشون فى عالم غير عالم المسلمين؟

أفما تلاحظون ما يجرى على المسلمين وبلادهم وعليكم من الإستعمار وأذنايه؟ وكأنكم لم تسمعوا بالنظم والمناهج السياسيه والإقتصاديه غير الإسلاميه، بل الإلحاديه التى تعرض على المسلمين من الشيعه والسنه صباحاً ومساءً فى المدارس والجراند والمجلات والكتب، ودور السينما ومحطات التلفزيون، ولم تلاحظوا أيضاً أنّ شخصيه الإنسان المسلم فى جميع البلاد

أخذت تتغير وتحوّل إلى شخصيات أخرى غير إسلاميه.

وكأنكم لم تفكروا فيما يحتاج إليه المسلم المعاصر، وما يجب أن يزوّد به من المعارف الإسلاميه الأصليه، والدراسات العميقه حول وجود (الله) تعالى الذى قام الإلحاد على إنكاره بأشنع الوجوه، ويعتبر الاعتقاد به من الرجعيه، ومانعاً من التقدّم فى مجالات الحياه الإجتماعيه والصناعيه وغيرهما، وحول نبوّات الأنبياء عليهم السلام سيما نبوءه سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله، وحول معجزاتهم حتى أنّ الناشئه الجديده وكبار مثقفيكم ينكرون المعجزات الماديه، أو إنهم يكتمون إيمانهم بتلك المعجزات وحول القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ألم تلتفتوا إلى ما يعمل ضد قدسيته؟ أو ما قرأتم الكتاب الخبيث الذى وضعه أخيراً المأجورون؟ وطبع فى بعض البلاد العربيه بنفقه المستعمرين والملحدين، وقد أنكر فيه واضعه كون القرآن وحياً، واستدلّ على صحه مدعاه حتى بآيات من القرآن المجيد، وبروايات كلها وارده فى كتبكم (1) تتعامون عن كل ذلك، ثم تتسارعون على شيعى أثبت صيانته القرآن عن التحريف، واستنكر نسبه القول بالتحريف إلى الشيعه، وأتى بأقوى الأدلّه المثبتة لذلك، أو عداء كم للشيعه، ومعاندتكم للحق ادى بكم إلى هذه الدرجه من التعامى؟ قال تعالى فى كتابه العزيز:.

ص: ٣٠٢

١- قد قام بعض الكُتّاب العلماء من أبناء الشيعه على الرّدّ عليه فى أجزاء كثيره نشرها فى طهران عاصمه إيران جزاه الله تعالى عن الإسلام والقرآن والمسلمين خير الجزاء.

أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع آمن لا يهدى إلّا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون (١).

ويبدو أنّكم غافلون عما يجرى فى بلاد المسلمين من العمل على إقصاء الشريعة الإسلاميه من مسرح الحياه، وتطبيق أنظمه أُخرى فى الحكومه والمال، والقضاء والتعليم والتربيه التى ليست من الإسلام بشيء، ولعلكم غافلون أو تتغافلون أيضاً عما انتهى إليه وضع شبان المسلمين من التأثر بالآداب الغربيه الإستعماريه أو الشريقيه الملحده، ثم تتوجّهون بكل حماس للرد على دعوه مخلصه تستنهض المسلمين ليقوموا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص لدفع هذه الكوارث التى أصابتنا جميعاً.

وكأنكم لم تقرأوا الكتب والصحف التى تدعو الفتيان والفتيات إلى الخلاء والدعاره، وتحثهم على رفض جميع الشعائر والآداب الإسلاميه.

كل هذه المخاطر التى تهدد الإسلام بالصميم، وتزلزل أسس الدين وما أتى به سيد المرسلين محمد صلى الله عليه و آله غير مهمه فى نظركم، ولا تستنهض همّتكم، والمهم الوحيد عندكم أمر يزيد وأبيه، ومروان وهارون، والدفاع عن سيرهم ومخازيهم.

فما هو موقفكم من هذه التيارات، وماذا عملتم؟ والله تعالى يقول: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون(٢) غير نشر (الخطوط العريضة) و٥.

ص: ٣٠٣

١- يونس: الآية ٣٥.

٢- التوبه: الآية ١٠٥.

(حقائق عن أمير المؤمنين يزيد) و (الشيعة والسنة) و (العواصم من القواصم) مع شرحه الخبيث؟ وبماذا تزودون الشباب الباحث عن دينه وعقيدته الإسلامية؟ وماذا عملت جامعه المدينة المنوره في هذا السبيل؟

فهذا شاب مسلم يأتي جامعتكم بواسطه أحد تلامذتها المثقفين من الذين لم يتأثروا أبداً بدعاياتكم الطائفية يطلب منكم بكل رجاء وأمل أن تزودوه بالكتب الإسلامية، وما يتمكن أن يتخذها سلاحاً فكرياً في بلاده لتوحيد كلمه المسلمين، ودفع الدعايات الإلحاديه والإرساليات التبشيرييه وغيرها من المذاهب الكافره، فإذا بكم تعطونه كتاب (العواصم من القواصم) وشرحه، وكتاب (الشيعة والسنة) المملؤان بالكذب والإفتراء والغلط والخلط، ولسان حالكم يقول لهذا الشاب ولأمثاله: دع الدعايات الكافره تعمل عملها المدمّر في أفكار أبناء الأمة، وتذهب بعقيدتك في التوحيد والنبوه، والقرآن والمعاد، والآداب الإسلامية.

افسح لها المجال في ذلك وعاد شيعة أهل البيت ومحبي أصحاب الكساء، وقل فيهم كل ما تريد، واجعل ذلك شغلاً لطائفتك خاصه، ولأهل السنه عامه، شاغلاً لهم عمّا يتعرض له الإسلام ممن يحاربه بلسانه ويده وقلمه، وقوته وماله، فلا ضير إن خسرنا في سبيل ذلك الإسلام وكتابه، بعدما نكون قد احتفظنا بشريعهُ أمويه يزيديه، ومله مروانيه وليديه، ودافعنا عن شرعيه حكومات أمثال معاويه ويزيد، ومروان وعبد الملك بن مروان، وغيرهم ممن نعرفهم من أصحاب المثل العليا في الحكومات الإسلامية.

هذا حاصل ما تؤدي إليه هذه الكتيبات، وهذه الإفتراءات وصيحات الزور

والبهتان، التي تقشع منها الجلود، يكررونها واحداً بعد واحد كل يوم لا يصغون إلى أجوبتها، ولا يقرأون ما كتب في دفعها، ولا يلتفتون إلى نتائجها المخزية، حتى أن مؤلف (الشيعة والسنه) لم يأت بشيء إلّا تكرر ما قاله أسلافه، ولم يلتفت إلى الأجوبه الشافيه التي كانت بين يديه في (مع الخطيب في خطوطه العريضه).

لأنه يرى أنه إن تعرّض لما ذكر فيه من الأ-جوبه لا- يبقى له مجال للتكرار، ولا يمكنه الرد عليها أو مناقشتها، سيما في المسائل العلميه التي ليس الخوض فيها إلّا من شأن العلماء والباحثين المحقّقين، ولو كان منصفاً وأتى في كتابه في كل مبحث رد به علينا بفكرتنا التي هي موضوع رده وتكراره، وذكرها بألفاظه لما أمكنه التعميه والمغالطه، ولظهرت للقراء أكاذيبه ومغالطاته، كما تظهر لهم أكذوبات الخطيب.

ومما تركنا التعرّض له أو اقتصر على الإشاره إليه في (مع الخطيب) حول التقيه وتأويل الآيات، وصيانته الكتاب من التحريف، وحول كتاب (فصل الخطاب) وكتاب (الفرقان)(1) وكتاب (دبستان مذاهب)، والأحاديث المخرّجه في كتبهم وجوامعهم التي تدلّ على وقوع النقص والزياده في الكتاب المجيد، وحول رأى الشيعة في الحكومات، والأحاديث الكثيره التي استشهدت بها، وحول افتراءهم على الشيعة بأنّهم لهم بالتعصّب للمجوسيه، وحول الفتوحات الإسلاميه وأبطالها، وسبب دخول أسلاف أهل إيران في الإسلام وخدماته.

ص: ٣٠٥

١- جمع في هذا الكتاب مؤلفه السنه، وحشاه بروايات من طرق أهل السنه مما يدل على وقوع الزيادة والنقص (العياذ باللّه) في الكتاب المجيد.

الإيرانيين للإسلام والمسلمين، وحول إيمان الشيعة بظهور المهدي عليه السلام وعقيدتهم بالرجعه ومعناها، وحول نهج البلاغه وبيعه الرضوان، وحكم من نفى الإيمان عن بعض الصحابه، أو سب بعضهم عند أهل السنه، ومنزله النبي والإمام عند الشيعة، وحول غلط الخطيب في فهم كلام العلماء الأشتياني وتبرئه ابن العلقمي، والشيعة عن تسيب كارثة في فاجعه بغداد، وأسباب سقوط بغداد، وحول التقريب بين المذاهب، وحول الشيوعيه وأسباب تفاقمها في البلاد الإسلاميه وغيرها، وغير ذلك.

فمن يراجع ما في (مع الخطيب) حول هذه المباحث يظهر له أنّ مؤلف (الشيعة والسنه) ومن يتبع سبيله لا يسلكون إلا سبيل العناد، ولا يستهدفون إلا إلباس الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون، ويخافون أنه لو انسدّ بمثل كتاب (مع الخطيب) و (أجوبه مسائل موسى جار الله) و (نقض الوشيعة) و (الفصول المهمه)، و (أصل الشيعة وأصولها) و (المراجعات) و (موسوعه أعيان الشيعة) و (الغدير والدعوه الإسلاميه) وغيرها باب هذه المغالطات والإفتراءات التي يلفقونها على الشيعة أن يعرف الناس حق أهل البيت وما خصّهم الله به، ويطلعوا على فضائلهم ومناقبهم، ووصيه النبي صلى الله عليه وآله فيهم وما نزل في شأنهم، ولم يلتفتوا إلى أنّ هذا أمر لا يمكن ستره عن الناس أو تضليلهم عنه، ونحن في عصر أصبحت فيه الكتب والمقالات التي تتعرض لمختلف الموضوعات في متناول الجميع، فمن لم يطلع اليوم على الحقيقه فسيطلع عليه، ويعرفها غداً.

وياليت هؤلاء يدركون بأنّ مزاج العصر - مضافاً إلى الوعي الإسلامى الحديث - لا يقبلان إثارة الرواسب القديمه التي سببت العداً بين المسلمين،

والتي قامت على سياسه حكومات ذهبت فى طيات الدهور.

والذى يبدو أنّ هؤلاء إنّما يخافون من الفكر الإسلامى القويم الذى ترتكز عليه عقيدته الشيعة المأخوذه عن مصدر الوحى، ومن أهل بيت النبوه وموضع الرساله؛ لأنّهم خطر على مذاهب بنى أميه وسيره يزيد ومعاويه، وعلى الحُكّام الجبابره ومبادئهم، وهم فى نفس الوقت لا يخافون دعاه الإلحاد وعملاء الإستعمار، مع أنّهم خطر على الإسلام والقرآن، وسيره محمد وإبراهيم، ورسالات جميع الأنبياء (صلى الله عليهم أجمعين)، والمبادئ الإنسانيه القويمه.

يخافون من تمسّك الأمه بأهل البيت وعتره نبيهم واتخاذهم أئمه، ويخشون من أن تمتثل الأمه أمر الرسول صلى الله عليه وآله بالتمسّك بهم وأخذ معالم الإسلام ومعارفه عنهم دون غيرهم، ولا- يخافون من النواصب والذين يدعون إلى ولاء بنى أميه، ويزيد بن معاويه، ومبادئهم الرجعيه وسيرتهم الجاهليه.

يخافون من أن تكون الشريعه محمدية وعلويه، وفساطميه وحسينيه وحسينيه، وباقرية وجعفرية، ولا يخافون من أن تكون أمويه عثمانيه، ويزيديه ومروانيه.

فأى المذاهب أصح من مذهب أهل البيت الذى نص على صحته النبى صلى الله عليه وآله فى الأحاديث المتواتره، فنعم ما قيل فيهم:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً

ووال أناساً قولهم وحديثهم روى جَدْنَا عن جبرئيل عن البارى (١)

وَنعم ما قال الفرزدق فى قصيدته المشهوره:

من معشر حَبِيهم دين وبغضهم

فما عذرکم عند الله تعالى إذ تزوّدون الناس بكتب المعروفين بالإنحراف عن عتره أهل البيت الطاهره، ومنكرى فضائلهم: كابن تيميه، وابن العربى، وتهملون الكتب التى كتبها علماء أهل السنه فى فضائل أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله، وتحدّثوا فيها عن فضائلهم ومناقبهم. حل

ص: ٣٠٨

١- ونعم ما قال الشافعى على ما نسب إليه فى ذخيره المآل، ورشفه الصادى: ولما رأيت الناس قد ذهبت بهممذاهبهم فى أبحر الغى والجهلر كبت على اسم الله فى سفن النجاوهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسلوأمسكت جبل الله وهو ولاؤهمكما قد أمرنا بالتمسّيك بالجبلا إذا افترت فى الدين سبعون فرقهونيفاً على ما جاء فى واضح النقلولم يك ناج منهم غير فرقهفقل لى بها يا ذا الرجاحه والعقلأفى الفرقة الهلا-ك آل محمدأم الفرقة اللاتى نجت منهم، قل ليفان قلت فى الناجين فالقول واحدوإن قلت فى الهلا-ك حفت عن العدلإذا كان مولى القوم منهم فإتتيرضيت بهم لا- زال فى ظلهم ظليرضيت علياً لى إماماً ونسلهو أنت من الباقيين فى أوسع الحل

ما هكذا تورّد يا سعد الإبل! فإذا كنتم تريدون خدمة الإسلام فالله تعالى يعلم أن هذه الكتب، وهذه الطريقة المشحونه بالعصبيه الطائفيه لا تجلب إلّا الضرر على الإسلام والقرآن، ولا تؤدى إلّا إلى الضعف، ومضاعفه المشاكل بين المسلمين.

وإن كانت لكم غيره على القرآن فزودوا الشباب والخواص والعوام بمثل كتاب (مع الخطيب) المدافع عن قداسه القرآن وحرّمته، لا أن تأتوا بضده وتنسبوا بزعمكم إلى طائفه من المسلمين، حيث يزيد عددها على المائه مليون نسّمه، القول بالتحريف وهم يستنكرون هذا القول أشدّ الاستنكار.

فما الذى تريدونه إن لم يكن هدفكم الفرقه والإختلاف وجرح العواطف؟ ما الذى تريدون من نشركم أمثال كتاب (حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاويه) ومن (العواصم من القواصم)؟ وإلّا فأىّ مسلم يرضى بعد واقعه الطف والحرّه أن يقول ليزيد (أمير المؤمنين)؟

قال نوفل بن أبى الفرات: كنت عند عمر بن عبدالعزيز فذكر رجل يزيد، فقال: أمير المؤمنين يزيد، فقال: تقول: أمير المؤمنين، وأمر به فضرب عشرين سوطاً.

وأخرج مسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنه الله والملائكه والناس أجمعين.

يزيد هو الذى أباح المدينة ثلاثه أيام لأهل الشام، حتى ارتكبوا فيها الجرائم الكبيره من قتل الصحابه، وافتضاض العذارى، ونهب الأموال، وغير ذلك مما سوّد به وجه الإنسانيه.

وإن كنتم يا ناشري كتاب (حقائق...) لا تعرفون يزيد، أو أنكم تحبون ما ارتكبه من الجرائم، ولذا تحاولون تحسين سيرته، فولده معاويه عرفه وأباه وعرفهما للناس (١) كما تشهد عليه وقعه الطف والحزّه وغزوه الكعبه، وحبر الأُمّه عبدالله بن عباس، وجمع من الصحابه والتابعين.

قال ابن حنظله الغسيل: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجاره من السماء إنّه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر، ويدع الصلاه.

فاهنأوا إذن يا أيها المؤمنون! بأمركم يزيد، حشركم الله معه ومع أبيه معاويه، ومع جده أبي سفيان، وجدته هند، وزياذ وعبيد الله بن زياذ ومروان والوليد (فقل في نفسك إن كنت موقناً بصحه طريقتك، وطريقه محب الدين الخطيب: اللهم آمين). يامن ترخمت في كتابك على الخطيب ودافعت عنه.

وحشرنا الله مع الحسين، وجدّه، وأبيه، وأمه، وأخته وجدته أمّ المؤمنين، وشيعه أهل البيت، ومحبيهم، ومبغضى أعدائهم (نقول: اللهم آمين، اللهم آمين، ويرحم الله عبداً قال: آمينا).

ولا- تظنن يا أخى أن يكون بين الكُتاب المتقّفين، وعلماء أهل السنه من غير طائفه محب الدين الخطيب، وإحسان إلهى ظهير، وهزاع بن عبد الشمري وناشري كتبهم، وغيرهم من أتباع ابن تيميه، وابن العربى، من يدنّس قلمه بمثل ٢.

ص: ٣١٠

١- يراجع فى ذلك حياه الحيوان ج ١ ص ٦١، و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٢٧، و الصواعق المحرقه ص ٢٢٢.

هذه الكتابات، أو يوجد غير هؤلاء من يجب افتراق الأمة، ويغض التجاوب والتفاهم، ولا تقاس جامعات القاهرة والإسكندرية، والرياض (1) وغيرها، وأساتذتها وتلامذتها وعلماء مصر ولبنان، والهند والمغرب والكويت، وكذلك الكثير من علماء لاهور موطن إحسان إلهي ظهير، وعلماء الحرمين الشريفين.

ص: ٣١١

١- فجامعه الرياض عمّرها الله تعالى بالإيمان والعلم والسادات هي التي نشرت في رسالتها (رساله الجامعه) ع ١٣٩٥/١٢/٢٧ مقاله الأستاذ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ بعنوان، وكيف أفلت من إداره المطبوعات. وقال فيها: ومنذ مده وجيزه صدر كتاب، لا- أعرف كيف سمحت إداره المطبوعات بوزاره الإعلام بنشره، وهو كتاب حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاويه تأليف (هزاع بن عبد الشمري). فهذا الكتاب في الواقع أجمل ما فيه ورقه الصقيل وطباعته الأنيقه، أما غير ذلك فهراء في هراء، ويكفي القارئ أن يقرأ مقدّمته ليرى العجب في ركاكه الأسلوب، وانعدام الفكره، وعدم التركيز، ثم هو يستدل بنصوص تاريخيه يعتقد أنها دليل لقوله وهي في الواقع دليل على بطلان ما ذهب إليه. ولعل ذلك عائد إلى عدم فهمه لتلك النصوص مطلقاً... إلى أن قال: نحن هنا لسنا في معرض نقد الكتاب فهو أقل من أن ينقد سواء في اسلوبه أو في أفكاره ومعانيه. ولكننا نعجب من أن يعطى كتاب في مثل هذه العُجالة الإذن له بالطباعه، وهم بذلك يعطونه ميزه الانتشار بين الناس في داخل المملكه، وربّما في خارجها. فهل ترضى أن يكون ذلك الكتاب صورته لتناج بلادنا الفكرى. وهل يمكن القول بأنّ قله الإنتاج المنشور ترجع إلى عدم وجود كتب كثيره من هذا النوع؟ ماذا يقول مراقبونا الأفاضل في إداره المطبوعات؟ أقول: ولا ريب إنّ أمثال هذا الكاتب الخبير ممن لا يرضى أن يكون نتاج بلده الفكرى مثل هذا الكتاب في المملكه السعوديه، وفي علمائها وتلامذه وأساتذه جامعاتها حتى جامعه المدينه المنوره الإسلاميه ليس بقليل، وفقّ الله تعالى الجميع لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

فإنّ شأنهم أجلّ وأنبّل من أن يقاسوا بالمستغرقين من كتب النواصب ومبغضى أهل البيت، وإنّ في مكتبتى عشرات من كتب علماء مصر ولبنان المعاصرين حول وجود الله تعالى والنبوه، وكثير من المسائل الإسلاميه، وفي التفسير والحديث والتاريخ، وحتى حول المذاهب وحياه الصحابه، بأفلام نزيهه بريئه من العناد والعصبيه الطائفية، وغير ذلك مما يفيد الشيعة والسنة، ويزيد في الوعي الإسلامى، ويؤكد الصلات الوثيقه بين الأمم، ويسلح الشبان بسلاح الإيمان بالله والثقه به، والإيمان برسوله وبكتابه، وأصول الدين وفروعه. زاد الله في وعيهم وتوفيقهم.

فكم من فارق بين من يكتب للأمه كتاب (قصه الإيمان) و (روح الدين الإسلامى) و (مع الأنبياء فى القرآن) و (روح الصلاه فى الإسلام) و (الإنسان بين الماديه والإسلام) و (العداله الإجتماعيه فى الإسلام) و (حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام) و (محمد صلى الله عليه وآله المثل الكامل) و (نظام الأسره وحل مشكلاتها) و (النصائح الكافيه لمن يتولّى معاويه) و (معاويه بن أبى سفيان فى الميزان) و (أبو الشهداء) و (شيمو المعنى فى شيمو الذات) و (شيخ المضيره) و (أضواء على السنّه المحمديه) و (التعريف بالإسلام) و (الإمام الحسين) و (الإمام الصادق) و (الإسلام دين ودنيا) و (الإسلام دين وفكر) و (العلم يدعو للإيمان) و (فى موكب الدعوه) و (هذا ديننا) و (الحجاب) و (عقيدته المسلم) و (خلق المسلم) و (شبهات حول الإسلام)، و (حكمه القرآن فى بناء المجتمع) و (الإسلام والإستبداد السياسى) و (الإسلام والأوضاع الإقتصاديه) و (القرآن والعلم الحديث) و (مع الله

فى السماء) و (المسلمون والعلم والحديث) و (طريقى إلى الله) و (الحياه الأخرى) و (الإسلام والعلم الحديث) و (السماء وأهل السماء) و (القرآن والمجتمع الحديث) و (اللهم والعلم والحديث) و (بين الدين والعلم) و (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) و (فتح الملك العلى بصحه حديث باب مدينه العلم على) وغيرها...

هذه من المؤلفات القيمه التى وضعها علماء أهل السنه، وكتابها من الذين أثرت أقلامهم فى الشباب، وأخذوا بأيديهم من الكبوه والسقوط فى أحضان الإلحاد.

فهل يقاس هؤلاء الكُتّاب بغيرهم ممن لا يعتنى بمصلحه الإسلام وشؤون المسلمين، والظروف والأحوال الخطيره التى أحاطت بهم، ولا يجتنب عن الإفتراء، وسوء الظن بالمؤمنين.

ولا- أقول: إن جميع الكتب المذكوره خاليه من الخطأ والإشتباه، ومن النزعات الطائفية فى بعض الموارد، فإنّ هذا وأمثاله قد يصدر عن الكاتب ولا تؤاخذ أحداً من أرباب المذاهب على خوضه فى موارد الإختلاف والبحث والمناقشه، إذا كان ذلك على ضوء العلم والإنصاف بعيداً عن العناد والشنآن، والإفراط فى الذم والشتم.

فليكتبوا عن الشيعة، ولينظروا فى أدلتهم بكل إمعان وتدبر، فهذا هو الذى تطلبه الشيعة من كل باحث، لأن ذلك لا يزيد الحق إلّواضحاً كما أنّه يرسخ التجاوب والتفاهم بين الطائفتين، ويؤكد الأخوه الإيمانيه بينهما.

فكم يوجد من أهل السنه من يراجع كتب الشيعة فى التفسير والفقّه،

والكلام والأدب، ويقدر نبوغهم وجهودهم في العلوم الإسلامية (١) ويعظم اتصاف علمائهم بالصدق والورع والأمانة، ويتعمق في آرائهم ومقالاتهم، وربما يأخذ بها كما يأخذ بآراء علماء طائفته، بل إنه بعد التحقيق يرجح في بعض المسائل مذهب الشيعة (٢).

وقد أعجب بكتاب (مع الخطيب) (كما أشرنا إليه) المنصفون من علماء أهل السنه وأساتذته بعض الجامعات، وقدروا ما فيه من التحقيقات العلمية حول صيانه الكتاب من التحريف، والرد العلمي على الخطيب وإيضاح غلظه في فهم كلام العلامة الآشتياني وغيره، كما قدروا ما فيه من دعوته الأمة إلى الوئام والاتحاد.

فإن كنت أردت يا أخى الإطلاع على جوهر ما اختلف فيه الشيعة والسنه، فلا تغتر بما يصدر عن هذه الأقلام المفترية، وعليك بالإمعان في كتب الحديث والتفسير والتاريخ، والمناقب والفضائل، مثل الخصائص للنسائي، وشواهد التنزيل للحافظ الحاكم الحسكاني، وأنساب الأشراف للبلاذري، وترجمهح.

ص: ٣١٤

١- منهم الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر الأسبق، والشيخ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق أيضاً، فهما قد قدرا جهود الإمام الشيعي المفسر مؤلف التفسير القيم (مجمع البيان) وتفسير (جمع الجوامع) وكتاب (إعلام الوري) وكتبا على مجمع البيان تقریظاً ومقدمه، وأديا حق التقدير والتعظيم والثناء عليه.

٢- كالشيخ الأ-كبر شلتوت الذي أفتى بجواز التعيد بمذهب الشيعة الإماميه في فتواه التاريخيه التي استقبلها مصلحو الأمة، وعلمائها المخلصون، ولا غرو أن نال من مقامه الرفيع مؤلف (الشيعة والسنه) وبالغ في الخروج عن حد الأدب، فكل إناء بالذي فيه ينضح.

الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر، وتاريخ صفين لنصر بن مزاحم، والسقيفه، والولايه، والغدير، والعبقات، والمراجعات، والنص والإجتهاد، والفصول المهمه في تأليف الأئمه، وأعيان الشيعة، وأجوبه مسائل موسى جار الله، ونقض الوشيعه، وإلى المجمع العلمى العربى، وأصل الشيعة وأصولها، وشرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ورساله محمد معين السندى فى أحاديث الأئمه الإثنى عشر المخرّجه فى صحيح البخارى ومسلم ومسند أحمد، وغيرهما، بطرق صحيحه متواتره لا تنطبق إلّاعلى الأئمه الإثنى عشر عليهم السلام، وفتح الملك العلى بصره حديث باب مدينه العلم على، وفضائل الخمسه، وإحقاق الحق، والدعوه إلى الإسلام، ودلائل الصدق، وجواهر العقدين، ونظم درر السمطين، وكفايه الطالب، وأمان الأئمه من الضلاله والإختلاف، وحديث افتراق المسلمين على ثلاث وسبعين فرقه، وغيرها.

وعليك أيضاً بتتبع كتب الفريقين فى الحديث والتاريخ، والتفسير، والفقه، واللغه، فإنّ فى جميعها مواضع كثيره تشرح لك حقيقه مذهب الشيعة وأنهم اتّخذوا أتباع العتره الطاهره، واقتدوا بهم واهتدوا بهداهم.

لأنّ النبى صلى الله عليه وآله أوصى إليهم، وأوجب على الأئمه التمسك بهم، وجعل التمسك بهم أمناً من الضلال فى أحاديث الثقلين المتواتره وفى حديث الغدير المتواتر، وأحاديث الأمان، وأحاديث السفينه، وأحاديث الأئمه الإثنى عشر، وحديث يوم الدار، وغيرها من الأخبار الكثيره المتواتره المخرّجه كلها فى أصح كتب الحديث عن أهل السنه.

وسترى بعد اطلاعاتك أنّه ليس للشيعة من ذنب إلّاتمسكهم بولايه أهل

البيت، حيث اعتبر ذلك من أعظم الجرائم السياسيّه في عصر بني أميه وبني العباس، حيث عذب هؤلاء شيعة أهل البيت - وخصوصاً العلماء والمفكرين منهم، حتى ولو كانوا من صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله - بمختلف أنواع العذاب، وسجنوهم في أظلم السجون وأشققها، وقتلوهم شر قتله، ومنعوهم عن روايه الأحاديث من طرق أهل البيت، ونقل علومهم ومذاهبهم في الأصول وفي الفقه.

ولكن الشيعة سيقفون مع خصومهم وظالمهم، ومن افتري عليهم وعلى مذهبهم، سيقفون وإياهم في محكمه الله العادله، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فيا أساتذته جامعه المدينة المنوره! عليكم أن تفكروا في وحده المسلمين وتطبيق مبادئ الإسلام وشرائعه وأحكامه، والتخلص عن ضيق العصبية الطائفية، وأن لا تكتبوا ولا تنشروا ما تستعين به الأعداء على المسلمين، ولا تغتروا بهذه الأقلام الأثيمه التي تحول دون ارتفاع الجهل، وقلع جذور الضلال والاختلاف.

وإن أبيتم ذلك وقررتم مواصلة السير على الطريق التي أنتم عليه لأنكم لا تريدون توحيد كلمه المسلمين من الشيعة والسنه على أساس كلمه التوحيد والقرآن والسنه، فكونوا فيما بين أنفسكم معتصمين بحبل الله، فالوحده الإسلاميه صارت ضحيه لخيانته القاده، والحكام بتشجيع منكم. يا حمله الفكر الوهابي، إذ أن دعوتكم هي التي تسببت في تمزيق بلاد المسلمين بشكل عام، والعرب بشكل خاص.

إذ أنّها بدافع حب السيطرة، والإنتشار من قبل داعيتها الأول (محمد بن

عبدالوهاب) ساعدت الإستعمار فى القضاء على نفوذ الخلفه العثمانيه فى الحجاز، وأحداث الإنفصال عن حكومتها تحت ستار مذهب جديد أعنى:

الدعوه الوهابيه، ومما زاد فى الطين بَلَهَ والمسلمين بُعداً عنكم تصدّى رؤساء مذهبكم الأوائل بإصدار فتاوى التكفير لأتباع المذاهب الإسلاميه الأخرى والعياذ بالله.

وهذا مما لا يمكن إنكاره، لأنَّ اشتهاره يكاد أن يجعله فى درجه البديهيّات(1).

ثم إنّه بعد تحقّق انفصال الحجاز ونجد تحت ستار هذه الدعوه، أخذ الإستعمار ينفث سمومه فى سائر الأقطار الإسلاميه، بتشجيع ذوى النفوذ فيها على الثوره ضد العثمانيين، وهكذا حتى تحقّق له ما أراد من تمزيق الأمه بين دويلات ضعيفه خاضعه لنفوذ خادمه لأغراضه قهراً أو اختياراً.

ثم إنّ الإستعمار لم يكتفِ بهذا بل تجاوزوه بالتعاون مع الصهيونيه العالميه على ترسيخ أُسس التمزّق بين المسلمين على صعيد عرقى، فعمل على إثارة العصبية العربيه تحت ستار القوميه ضد إخوانهم الترك والفرس، وغيرهما، وكذا إثارة العصبية الطورانيه فى نفوس الأتراك ضد إخوانهم المسلمين... من القوميات الأخرى، وعملاً أيضاً على إثارة القوميه الفارسيه فى مقابل إخوانهم الآخرين من الشيعه والسنة.

وياليتهم اكتفوا بذلك، بل تجاوزوه إلى ما هو أخطر، إذ استخدموا الأعلامه.

ص: ٣١٧

١- كما أفتى أكبر علمائهم المعاصرين بكفر كل من قال: الشمس ثابتة والأرض متحرّكه.

المأجوره وأوحوا إلى أصحابها بالكتابه لإثاره الحساسيات المذهبيه، والطائفية كى يرسخوا جذور العدا، وما أنتم إلا بعض ضحايا الغافلين أو المتغافلين، وما كتاباتكم المتعصية به ضد مذاهب المسلمين بشكل عام، والشيعة منهم بشكل خاص إلا تنفيذاً لهذه المخططات الصهيونية الحاقد، والاستعماريه الجهنميه.

فنحن لو تفحصنا مبررات الثوره لدى الخارجين على الخلافة العثمانيه لوجدنا أن أكثرهم كان يتعلل بشعار القوميه العربيه، والتخلص من السيطره التركيّه على أمه العرب، وهكذا حتى سقطت الخلافة العثمانيه بعد أن تمزق جسم الأمة الإسلاميه إلى دويلات، وهذا بينما كان الشيعة، وحكومته إيران الشيعيه فى ذلك الوقت تؤيد الخلافة العثمانيه، وتدافع عنها لعلمها بأن الإستعمار إنما يريد القضاء على الإسلام لا على فساد الخلافة العثمانيه.

وكان الساعد الأيمن للإستعمار الكافر على ذهاب الدوله العثمانيه هو أحد أبناء السنه، وريب اليهود لا سيما يهود الدونمه مصطفى كمال الذى لاقى كل التشجيع والتأييد - وبكل أسف - من جانب علمائكم، وزعمائكم آنذاك، فصوبوا ما أتى به من المناهج ضد الإسلام كالعلمانيه وغيرها(1).

وقد قامت إنكلترا بكل ما عندها من وسائل الغدر والمكر، بالتعاون مع عملائها فى الداخل ممن لهم نفوذ ونزعه ودعايه خاصه أمثال من حملوا لواء الوهابيه، للقضاء على ما كان ينادى به العرب والمسلمين من الوحده تحت ظل.

ص: ٣١٨

١- يراجع فى ذلك (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين) لمصطفى صبرى شيخ الإسلام للدوله العثمانيه سابقاً.

حكومه إسلاميه، وإحياء الخلافه فى الجزيره العربيه، رافضين تمزيق الأمه بتطبيق شعار اللا مركزيه الذى كان الإستعمار وعملاؤه يركزون عليه، وينكّلون بمعانديه ومحاربيه من المسلمين، الذين يدركون بأنّ من المبادئ الإسلاميه الرئيسيه إقامه الحكومه الشرعيه على أساس الإمامه الكبرى(١).

ولكن إنكلترا بالتعاون مع عملائها، خصوصاً دعاه الطائفيه الوهابيه الذين غذتهم وأيدتهم، قد نجحت فى القضاء على فكره الخلافه والإمامه فى الجزيره العربيه التى من لوازمها إقامه الوحده العربيه والإسلاميه بتماميه الانقلاب الوهابى الانفصالى، وإقامه الحكومه المسّماه بالسعوديه(٢)؟

ص: ٣١٩

١- لا خلاف فى ذلك بين السنه والشيعه وإنّما الخلاف وقع بينهم فى الصغرى، وشرائط الإمام، وأنّ النبى صلى الله عليه وآله أوصى إلى على، وإلى أولاده الأئمه عليهم السلام، وعينهم ونصبهم بأمر الله تعالى أم ارتحل إلى الرفيق الأعلى، وأهمل هذا الأمر. والتفصيل يطلب من الكتب الكلاميه مثل (تجريد الاعتقاد) وشروحه من الشيعه والسنه، و (الشافى) و (إحقاق الحق)، و (دلائل الصدق) و (عبقات الأنوار) و (الغدیر) وغيرها.

٢- فى هذه التسميه أيضاً رمز انفصالى يعرفه الخبراء بالسياسه، فالرسول الأعظم ومؤسس الحكومه الإسلاميه وزعيمها الأول لم يسمّ تلك الحكومه باسمه الشريف أو باسم العرب، مع أنّ الإنسانيه بجميع مبادئها الفاضله ومفاخرها تفخر باسمه الرفيع، وهذه الأسمى تؤكد انفصال مسمّياتها من البلاد عن غيرها، وترمز إلى الإحتفاظ بحكومات ما قامت إلّاعلى الغلبه، والإستيثار واستعباد الناس، وتمنع بعنوانها واسمها عن اتّحاد مع غيرها. فالحكومه الهاشميه مع بقائها بهذه الشخصيه لا يمكن أن تتحد مع السعوديه، وهى مع جمهوريه كذا، وحكومه اشتراكيه كذا، فما الإسلام وما حكومه الإسلام إذن أيها المسلمون، ويا أبناء السنه؟

وفى هذه الأجواء المحمومه التى فجّرها مصطفى كمال ضد الإسلام والمسلمين، وبينما كان يحمل لواء العصبيه الطورانيه فى تركيا، وتيرها فى عروق الأتراك ضد العرب، ويقضى بالموت البطىء على نفوذ الخلفه العثمانيه فى نفس هذا الوقت، حمل الوهابيون فى نجد والحجاز لواء العصبيه المذهبيه ضد المسلمين باستحلالهم دماءهم، وتوجيه بأسهم وسطوتهم، وأفواه بنادقهم كلّها إلى قتالهم خاصه، وغزوهم كلّما سنحت لهم فرصه، وقتلهم بأنواع الغدر والبغى(1).

وقد كشفت الأحداث وأثبتت الوقائع أنّهم كانوا يقومون بكل هذه الفظائع بتأييد من بريطانيا العظمى آنذاك، عدوه المسلمين الأولى وأداه الصهيونيه النافذه، وقد كانت هذه تمهيداً فى نفس الوقت لطعن المسلمين فى فلسطين بإقامه دوله إسرائيل بعد تمزيق العالم الإسلامى إلى دويلات ضعيفه متنافره لا تقوى على مواجهه الدوله اليهوديه الجديده.

فمن يكون السبب بعد هذا لذهاب عزّ المسلمين وإضعافهم، والقضاء على كيانهم؟ ومن يكون العامل على تشويه سمعه الإسلام، والساعى فى إطفاء نوره؟

أهم الشيعة الذين قاوموا - كما يشهد لهم التاريخ عند المنصفين، وكما تشهد بذلك مؤلفاتهم التى لا تحصى - كلّما أدى أو يؤدى بالمسلمين إلى الضغف.

ص: ٣٢٠

١- راجع: تاريخ نجد لمحمود شكرى الألوسى، وخلاصه الكلام فى أمراء البلد الحرام، للشيخ أحمد بن زينى دحلان، وراجع كذلك: كشف الإرتياب فى أتباع محمد بن عبدالوهاب.

والوهن والتشتت، ودافعوا عن الإسلام بكل ما لديهم من وسائل، وتعرضوا لدفع كافة الشبهات التي تعرّض لإثارتها أعداء الإسلام لزلزله أبناء المسلمين عن عقيدتهم، وتحملوا في سبيل ذلك كل أنواع الأذى والإضطهاد والتشريد والقتل، أم هم غيرهم؟ وخصوصاً محبّو الرئاسة والسيطره منهم، والمتهالكون على الحكم، وفي مقدّماتهم زعماء المذهب الوهابي كما يشهد بذلك التاريخ.

ففي جميع أنحاء العالم الإسلامي لم تجدوا خائناً بزعمكم غير يحيى خان المنسوب إلى التشيع، فمن أين تجيء الوقائع الداميه، والفضائح التي تقع في بلاد الإسلام كل يوم، وتؤيد الإستعمار، وتقوى التشتت والتمزق؟ ومن العميل فيها؟ ومن العامل على مجابهة الدوله العربيه بعضها مع بعض، كالحكومه المغربيه مع الجزائريه، والليبيه مع المصريه والسودانيه، والسوريه مع العراقيه و... و... غير أبناء أهل السنه؟

وإذا ثبت تدخّل ابن العلقمي في كارثة بغداد التي لم تقلّ فيها خساره أبناء الشيعة عن السنه، والشواهد التاريخيه التي ذكرت بعضها في (مع الخطيب) تدلّ على عدم تدخّله.

فهل جميع المتدخّلين في سائر الكوارث، والمحن والحروب، والفتن التي ابتليت بها الأممه في شرق الأرض وغربها من عصر الصحابه إلى زماننا كانوا من أبناء الشيعة أو من أبناء السنه؟

أنسيتم صنائعكم في الحرمين الشريفين؟ وما ارتكبتم بجهالاتكم من هتك للقبور؟ وهدم للمشاهد المشرفه؟ والأبنيه التاريخيه التي كانت من أقوى الشواهد على صحه تاريخ الإسلام، ومواقف رسوله ومناقب أبطاله؟ فجعلتم

تاريخاً كان له في كل بقعه من بقاع نزل فيها الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله، وأبوه وجده، وأمه وأقاربه شاهداً على صحه ما يحكيه ويثبت من أمجادنا، خالياً عن تلك الشواهد العينية، وجعلتموه معرضاً للضياع والنسيان.

فالتاريخ الخالي من الشواهد الأثريه لا يعتمد عليه عند المؤرخين المعاصرين.

فهل تعرف شاهداً أقوى على وجود إبراهيم الخليل، وإسماعيل وهاجر من الكعبه المعظمه، ومن حجر إسماعيل، ومقام إبراهيم؟

ولو كانت هذه الآثار والبنائيات التاريخيه التي تجدد الناس بها في كل يوم ذكرى رسول الله وأهل بيته، ومنازل الوحي، ومواقفه العظيمه، ومواقف أبطال صحابته، لو كانت بيد غير المسلمين لما باعوها ولما تخلّوا عنها، ولو دفع لهم ثروات الدنيا بأجمعها، ولعلّه ما كان عملٌ مما قام به زعماء المذهب الوهابي بجمودهم الفكرى والعصبيه المذهبيه أقر لعين الإستعمار من هدم هذه البقاع، وجعلهم تاريخ الإسلام سيما في المستقبل في معرض الشك والإرتياب.

فهذا عمل لا يمكن للإستعمار أن يقوم به بيده الآثمه؛ لأنه يتهم بالوحشيه والرجعيه، ولكن تحت ستار المذهب وبيد غيره من أبناء المسلمين وصل إلى مناه، ولا حول ولا قوه إلّا بالله.

فحياء الأمم والملل، ومواقفهم الجليله في التاريخ إنّما تعرف بما خلفوا من آثار تدلّ عليها، فهل يعرف شاهد على المدينه الإسلاميه وحضارتها وعصرها الذهبي في الأندلس غير الآثار الأندلسيه الباقية عن المسلمين.

أنسيتم ما فعل أمراؤكم الأقدمين الذين تقدسونهم من التجاوز على حرمت الله في الحرمين الشريفين، ومنهم مسلم بن عقبة عامل أمير مؤمنكم يزيد، والحصين بن نمير، والحجاج عامل أمير مؤمنكم الآخر عبد الملك الذي روج الخلاعه والدعاره في مدينه الرسول صلى الله عليه وآله؟ وتفترون على الشيعة، ويقول إحسان إلهي ظهيركم: (وها هي الكعبة جريحه بجريمه طائفه منكم).

فما هي الجريمه، ومن هذه الطائفه؟ خذل الله ولعن الله الكاذب والمفتري، ومن لا يخاف من الله، ويأتي بأقبح الكذب والإفراء، ولا يستحي من الله تعالى، ولعن الله من لا يحترم الكعبة، ويرى جواز هتك لونه من المسجد الحرام وسائر الأبنية المشرفه في الحرمين وغيرهما.

ولعن الله من لا يعتقد في الكعبة أنها أول بيت وضع للناس فيه آيات بينات مقام إبراهيم من دخله كان آمناً.

وها هي ألوف من كتب فقه الشيعة وكتب أدعيتهم، منتشرة في جميع الأقطار الإسلاميه، فيها أحكام الكعبة المعظمه وأحكام الحرم، وآداب الورود في الحرم، والأدعية التي يدعى الله تعالى بها في الحرم وفي مكة المكرمة وفي المسجد الحرام وفي الكعبة المعظمه، وما يجب في الحرم على المحرم وغيره مما يرجع إلى حفظ احترام الحرم والمسجد والكعبة.

فقولوا ما شئتم والله يحاسبكم بما تقولون وتفترون، وهو يعلم أن الشيعة أبعد الطوائف عن هذه الإفراءات، بُعد المشرق من المغرب.

فقولوا واكتبوا، وافتروا على شيعة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله كما تريدون، فهم بريئون من كل افتراءاتكم مقتدين في ذلك أثر أئمتهم عليهم السلام.

فهذا الإمام السبط الأكبر الحسن المجتبي عليه السلام حج راجلاً خمساً وعشرين حجه، وإمامهم الثالث أبو الشهداء وسيد أهل الإباء الحسين عليه السلام حج أيضاً ماشياً عشرين حجه أو أكثر، وهو الذي ترك مكة المكرمه بعدما علم أن بني أميه يريدون قتله فيها غيلة حذراً من هتك حرمتها، ولما قال ابن الزبير: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس، قال: والله لئن أُقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ من أن أُقتل فيها، ولئن أُقتل خارجاً منها بشبرين أحب إليّ من أن أُقتل خارجاً منها بشبر، وإيم الله لو كنت في جحر هامه من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم، والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت (١).

ولا يخفى عليك أننا لا نؤخذ أهل السنه بالأفاعيل المنكره التي صدرت من جهّالهم، وطلبه الجاه والرئاسه وعمّال السياسه، ولا نريد الإستشهاد بهذه الأمور على بطلان طائفه وأحقّيه أخرى، فإنّ هذه ليس معياراً لتمييز الحق من الباطل، أو لمعرفة الصحيح من السقيم في المسائل الخلافية، ولا يتمسك بهذه الأمور إلّا من يريد المغالطه، وقد ضعفت حجته، وليس عنده من الأدلّه العقليه أو النقليه ما يثبت به مذهبه، وعند الشيعه بحمد الله تعالى في جميع المسائل أقوى الأدلّه، وأصرح النصوص وأصحها.

بل أريد إلفات القارئ إلى أنّا لو فرضنا صحه ما استشهاد به إحسان إلهي ظهير والخطيب مما أسندها إلى بعض الشيعه فحجج الشيعة في ذلك أقوى؛ لأنّه يأتي بها من أوثق المصادر التاريخيه عند أهل السنه، فقم أنت يا إحسان إلهي ٨.

ص: ٣٢٤

ظهير واقرأ التاريخ بتجرد وفهم، أو تجوّل في البلاد الإسلاميه حتى تعرف الخائنين من غير الشيعة من الذين باعوا أمجادنا الإسلاميه من الكافرين، واتخذوهم أولياء.

وحينئذٍ يمكنك أن تعرف أنّ الخائن ليس منحصراً بمن ترميه بالخيانة في واقعه انفصال الباكستانيين من بين جميع القاده والأُمراء، والوزراء الذين كانوا يشاركونه في الحكم.

فهذه الوقائع من المصائب التي ابتلى بها المسلمون (الشيعة والسنة)، على حدّ سواء، أعاذ الله الجميع منها.

ولو قد أخذنا بمبدأ التحاب والتوادد الإسلامى، ولم يتهم بعضنا بعضاً بما هو برىء عنه، ولم نجعل ما أدى إليه اجتهاد طائفه في المسائل الخلافيه دليلاً على الكفر أو الفسق لأصبح المسلمون يعيشون في الوئام والإتفاق.

ص: ٣٢٥

لا يخفى أنّ كتب الحديث بما فيها من الصحيح والسقيم، والقوى والضعيف والغريب، والمرفوع والمرسل والمتروك وغيرها، لا يحتج بكل ما فيها، ولا يجعل كل حديث منها حجة على ما اعتقده المسلمون من الشيعة أو السنة (١)، يعرف ذلك الحذاق في هذا الفن، ويصح أن يقال: إنّ كل عقيدته إسلاميه جاءت من الكتاب والحديث ولا يصح أن يقال: كل حديث جاء بالعقيدة، وبناء على

ص: ٣٢٦

١- نعم يعتبر أهل السنه ما فى الصحاح السنه ولا سيما الصحيحين حجه، فلا يجوزون القدح فى صحه ما أخرجه البخارى أو مسلم، أما الشيعة فيجوزون المناقشه حتى فى جوامعهم الأربعة. فاعتبارهم أنّ الحديث صحيحاً ليس باعتبار أنه فى (الكافى) و (من لا يحضره الفقيه) أو (الإستبصار) أو (التهذيب). بل لهم فى قبول الحديث والحكم باعتباره، وجواز العمل به قواعد وشرائط تكشف عن كمال دقتهم فى الحديث متناً وسنداً، فلا تؤخذ عقائدهم بل ولا آراؤهم من كتب الحديث، بل يضاف إلى ذلك كتبهم فى الكلام والفقه التى يبحثون فيها عن الأصول والفروع، وعن الأحاديث التى نحتج بها على ضوء علمى.

ذلك فلا يقبل من الحديث إلّما توفّرت فيه شرائط الصحة والقبول، ولا يكون متروكاً ولا معرضاً عنه.

اللهم إلّأن يعلم جهه الترك والإعراض وأنها ليست شرعية، كما يجب أن لا يكون الحديث مخالفاً لصريح القرآن، وإلّا يضرب على الجدار، وهذا من أعظم ما أخذت به سيده نساء العالمين عليها السلام على القوم فى مسأله تركه النبى صلى الله عليه وآله، فإنّ بعضهم حدّث عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ولم يلتفتوا إلى أنّ هذا مخالف لكتاب الله تعالى.

كما يجب أن لا يكون الحديث مخالفاً لضروره عقليه، وإلّا يجب تأويله وحمله على المحامل الصحيحه، وجعل الضروره قرينه على المجاز، والأحاديث الدالّه على التحريف سواء أكان من طرق الشيعة أو السنه كذلك.

فإذا فرض أن يكون بينها الظاهر فى ذلك فهو مخالف لضروره العقل كما أنّه مخالف للقرآن المجيد، ولذا تركها العلماء، ولا تجد أحداً من الشيعة حتى من يتبع الشواذ من يعمل بها، كما لا أظن أن يكون بين أهل السنه من يفتى بذلك ويعتمد عليها إلّالقليل ممن لا نحب التصريح بذكر أسمائهم.

وسواء أساء المنحرفين عن أهل البيت ومحّبى أعدائهم ممن لا يعتد بأرائهم عند أهل السنه أو لا يسوؤهم، وسواء أرادوا أم لم يريدوا فالمسلمون كلهم من الشيعة والسنه تفكيرهم فى المسائل الإسلاميه ومناهجهم فى حل المشاكل وخططهم وسيرتهم فى مواجهه التيارات المخزّبه الإلحاديه غير تفكير هؤلاء، فقاداتهم وزعمائهم وعلماؤهم والمصلحون يجتمعون فى مجلس واحد ويتذاكرون فى مستقبل الأمم مجتنبين سوء الظن فيما بينهم، وربّما يعتمد السنى

على الشيعى فى هذه المسائل، والغيره على حفظ نواويسنا الإسلاميه، والإحتفاظ بأمجادنا أكثر من اعتماداه على بعض أهل السنه، فقد عرف الكثيرون من علماء السنه حقيقه التشيع والشيعه، وأدركوا مبلغ إخلاصهم لدين الله وكتابه، كما يعرفون أن كل ما يقول هؤلاء عن الشيعه من الكذب والنفاق والخداع زور وبهتان.

فهم أفصح الناس للإسلام والمسلمين وكتاب الله وسننه رسوله، فليتجول كل من يريد أن يعرف عقيدته الشيعه فى كتاب الله، ولا يريد الفساد والفتنه فى بلاد الشيعه، وليراجع مؤلفاتهم حتى يعرف عقيدتهم فيه، وأنهم ما اختاروا رأياً، ولا اعتقدوا عقيدته فى الأصول والفروع إلا استندوا فيها إلى الكتاب والسنه.

وإذن فلن تحصلوا من وراء سعيكم فى إيقاد نار التباغض والمجادله بغير الحق إلا الخسران، وإلا تكريس الضعف فى صفوف المسلمين، وخيانه الزعماء والمصلحين.

مع أنه لا يكاد يجول فى خاطرى ولا فى خاطر أحد من الواعين أو يدور فى مخيلته، ونحن فى هذا العصر عصر النور، ومع توفير كتب الحوار المنطقى بين الفريقين، وخصوصاً تلك التى تتضمن المناظرات القيمه، حول جميع المسائل الخلافيه بين أقطاب المذهبين ككتاب (المراجعات) وغيره.

نعم ما كنا نتصور بعد هذا كله أن يأتى كاتب يتلبس ثوب العلم فيكرر نقل الأكاذيب التى اخترعتها سياسه الجور والظلم، ووضعها تجار الدين ممن باعوا أنفسهم للشيطان إرضاءً لهؤلاء الساسه ضد شيعه أهل البيت عليهم السلام.

فكل ما أتى به من الزور والبهتان وافتراه على الشيعه ليس إلا بعض ما

كتب موسى جار الله، وقد رد عليه رداً شافياً كافياً لم يجعل لالتباس الحقيقه بالباطل مجالاً السيد شرف الدين في (أجوبه مسائل موسى جار الله) وسيد الأعيان السيد محسن الأمين مؤلف (أعيان الشيعة) و (نقض الوشيعة).

فيا أهل الإنصاف اقرأوا هذه الكتب (أجوبه مسائل موسى جار الله) و (نقض الوشيعة) و (إلى المجمع العلمى العربى) و (المراجعات) و (النص والإجتهد) و (الفصول المهمه) و (أبو هريره) و (عبدالله بن سبأ) و (أصل الشيعة وأصولها) و (أمان الأمة من الضلاله والإختلاف) و (مع الخطيب فى خطوطه العريضه).

فانظروا هل بقى بعدما تضىمتته هذه الكتب من حقائق، سؤال عن الشيعة؟

وهل يرد اعتراض عليهم؟

وهل بقى مجال لتكرار ما نسجته أيدي أهل العناد واللجاج؟

وهل يقول بعد هذه الكتب أحد بعدم إمكان حصول التفاهم والتجاوب، والتقريب بين الفريقين؟ إلا المعاند اللجوج ومن يكتب لمنفعه أعداء الإسلام.

اقرأوا هذه الكتب حتى تعرفوا أنه ليس هنا ما يمنع من تحقيق وحده الأمة، وتوحيد الكلمه، والتقريب والتجاوب، إلا افتراءات المفترين، وجهالات المتعصبين الجامدين.

وأخيراً نطلب من جامعه المدينة المنوره، وأساتذتها المصلحين تشكيل مؤتمر من أقطاب فكره التقريب، والسكرتير العام لدار التقريب، وغيرهم من العلماء المصلحين من الشيعة والسنة ومن هذا الخادم الضعيف للمسلمين، وليكن مقره فى المدينة المنوره حتى ينظر الجميع فيما يعرض من جانب المصلحين فى التقريب بين الفريقين، والتجاوب والتفاهم، وحتى يتضح لهم أن لا شىء بين الفريقين يوجب هذه الجفوه والتباعد، والتنافر والبغضاء.

وان امتياز الشيعة عن السنة فى بعض جوانب العقيدة إنما هو عقيدته لهم أدى اجتهادهم فى الكتاب والسنة إليها، ولا تختلف عقائد الشيعة مع السنة فى أركان الإسلام الإعتقاديه والعملية التى يكون الإعتقاد بها من شرائط الإسلام، والتى اتفقت عليها كلمات أكابر أهل السنة، ودلت عليها صحاح أحاديثهم.

وحتى يظهر للجميع أن قد آن أن نترك هذه المناقشات ونشر هذه الكتيبات، ونختم على الكلام حول الخلافات والإفتراءات المذهبيه، فقد كفانا

السلف مؤونه ذلك بما يغنى الباحثين، فلا تجتنى ثمره من المقالات الشائكه سيما على أساس العصبية والزور والبهتان إلا الضعف والتخالف والتخاصم، أعاذنا الله تعالى منها، ونسأله أن يجمع شملنا، ويلم شعثنا، ويشعب صدعنا، ويرتق فتقنا، وينصرنا على القوم الكافرين.

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (١).

رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٢).

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٣).

لطف الله الصافي

٢٦ ذى الحجه الحرام ١٣٩٦ هـ

إيران - قم المشرفه .٠

ص: ٣٣١

١- آل عمران: الآية ٨.

٢- آل عمران: الآية ١٩٤.

٣- الحشر: الآية ١٠.

أمان الأمة

إشاره

ص: ٣٣٣

لا ريب في اتفاق المسلمين وإجماعهم على وجوب الأخذ والتمسك والعمل بالكتاب والسنة، كما لا ريب في حصر مدارك الأحكام ومصادر الفقه الإسلامى فيهما عند الشيعة الإماميه وغيرهم ممن لا يجوز العمل بالقياس (١)، فما خالف الكتاب والسنة أو لم يؤخذ منهما ولم يكن مستنداً إليهما مزخرف وباطل يضرب على الجدار.

ولا ريب أيضاً في أن الشيعة يتبعون أهل البيت عليهم السلام، ويهتدون بهداهم ويقتفون آثارهم، ويحتجون بالسنة المرويه عنهم، ويقدمون أقوالهم وأحاديثهم في كل من اختلف فيه الفقهاء وتعارضت فيه الأحاديث على أقوال غيرهم

ص: ٣٣٥

١- أخرج ابن حجر في تهذيب التهذيب: ج ٤ ص ٢٧٤ عن عوف بن مالك رفعه قال: تفرق هذه الأمة بضعاً وسبعين فرقه شرّها فرقه قوم يقيسون الرأى، يستحلّون به الحرام ويحرمون به الحلال. وأخرج نحوه عن عوف عن النبى صلى الله عليه وآله فى مجمع الزوائد: ج ١ ص ١٧٩.

فحقيقه مذهب الشيعة وجوهره: إنهم يأخذون في كل مسأله وقع الخلاف فيها بين الأئمه بقول الإمام أمير المؤمنين وأولاده الأئمه المعصومين عليهم السلام، لا يقدمون عليهم أحداً من الأئمه.

وهم يستندون في عملهم هذا إلى أدله كثيره، نذكر بعضها في هذه الرساله إن شاء الله تعالى.

كلام أبان بن تغلب في تعريف الشيعة:

أخرج الشيخ الجليل الثقة أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (ت ٤٥٠) بسنده عن أبان بن تغلب (٢) قال: تدرى من الشيعة؟ الشيعة الذين إذا).

ص: ٣٣٦

١- أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب: ج ٣ ص ٤٠ من المطبوع بهامش الإصابه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به. وأخرج ابن سعد في الطبقات: ج ٢ ص ٣٣٨ عنه: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا- نعدوها. وأخرجه البلاذري في أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٠٠ بسنده عن عكرمه، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ج ٢٥ ص ٣٨.

٢- أبان بن تغلب الربيعي الكوفي، راجع ترجمته في الجرح والتعديل وتهذيب التهذيب، وثقه أحمد ويحيى وأبو حاتم والنسائي. قال ابن عدى: له نسخ عامتها مستقيمه إذا روى عنه ثقة، وهو من أهل الصدق في الروايات، مات - كما في جامع الرواه عن الفهرست للشيخ الطوسي - سنة ١٤١ هـ، فما في تهذيب التهذيب أنه مات سنة ٢٤١ هـ وهم: وأبان أول من صنف في القراءه ودون علمها (تأسيس الشيعة: ص ٣١٩).

اختلف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذوا بقول علي عليه السلام، وإذا اختلف الناس عن علي عليه السلام أخذوا بقول جعفر بن محمد عليه السلام(١).

وقد روى أحاديث أهل البيت عليهم السلام وأقوالهم في الفقه من لدن عصرهم إلى عصرنا هذا، جماعات كثيرة من الصحابة والتابعين والعلماء والمصنفين والثقات والأثبات الممدوحين بالعدالة والوثاقة ممن يتجاوز عددهم حدّ التواتر في جميع الطبقات، ناهيك عن ذلك كتب الأحاديث والتراجم.

وقد اتفق المسلمون في الصدر الأول وفي عصر التابعين على صحة الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام، واستغنت الإمامية من بين المسلمين بسبب ٢.

ص: ٣٣٧

١- رجال النجاشي: ص ٩ (ترجمه أبان)، وصدر الخبر هكذا: قال عبد الرحمن بن الحجاج: كنا في مجلس أبان بن تغلب فجاءه شاب فقال: يا أبا سعيد، أخبرني كم شهد مع علي بن أبي طالب من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: فقال له أبان: كأنك تريد أن تعرف فضل علي بمن تبعه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: فقال الرجل: هو ذاك. فقال: والله ما عرفنا فضلهم إلاّ بالتابعهم إياه... الخبر. ومثل هذا المقال قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام في ترجمه عمّار: ج ٢ ص ٥٣٩: «ثم أي حاجه لناصرى أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمه وأبى الهيثم وعمّار وغيرهم، لو أنصف الناس هذا الرجل (يعنى علياً عليه السلام) ورأوه بالعين الصحيحه لعلموا أنه لو كان وحده وحاربه الناس كلهم أجمعون، لكان على الحق وكانوا على الباطل». وأخرج الديلمي عن عمّار وعن أيوب إنه صلى الله عليه وآله قال: «إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس، إنه لن يدلك على ردى، ولن يخرجك من الهدى». كتر العمّال: ح ٣٢٩٧٢.

الرجوع إليهم والأخذ برواياتهم وعلومهم، عن الاعتماد على القياس والاستحسان باعتبار أنّ الأحاديث المروية بطرقهم الصحيحه عن أئمتهم عن آبائهم عن النبي صلى الله عليه وآله قد أحاطت بأحكام جميع الوقائع، حيث إنهم لم يدعوا واقعه إلّا وقد بينوا حكمها؛ وذلك ما نراه ونلمسه فيما رواه عنهم جماهير من الثقات فى كل طبقه، وأقوالهم محفوظه فى كتب الحديث المؤلفه من عصورهم المتعاقبه حتى وقتنا هذا. وإلى ذلك يرجع الفضل كله فى سعه دائره فقه الشيعه واستغنائهم عن استعمال القياس وغيره من الطرق المخترعه فى استنباط الأحكام الشرعيه، فلا- تجد فيهم من يقول برأيه ولا- من يعمل بالقياس، وما ذلك إلّا لأنهم أخذوا العلم من منهله الصافى وطلبوه من معينه الفياض، وولجوا فيه من الأبواب التى فتحها الله تعالى لهم، ومن هنا قيل فيهم:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهباً

وفيهم أيضاً يقول الشاعر كما فى رشفه الصادى ص ١٢٢:

إن كنت تمدح قوماً

إسنادهم عن أبيهم عن جبرئيل عن الله

وإنما احتاج إخواننا أهل السنه إلى أعمال الأقيسه والاستحسانات فى الأحكام الشرعيه لتركهم التمسك بالعتره الطاهره وأقوالهم وأحاديثهم، ولقله

ص: ٣٣٨

الأحاديث الحاكيه عن السنه من طرقهم، كما تشهد بذلك جوامعهم سيّما الصحاح الست.

قال ابن رشد القرطبي في مقدّمه كتابه (بدايه المجتهد) وقال أهل الظاهر:

القياس في الشرع باطل، وما سكت عنه الشارع فلا حكم له، ودليل العقل يشهد بثبوته، وذلك أنّ الوقائع بين الأشخاص الأناسي غير متناهيه، والنصوص والأفعال والاقرار متناهيه، ومحال أن يقابل مالا يتناهي بما يتناهي. وسيأتي الكلام عن ذلك إن شاء الله تعالى.

ومن قرأ كتب الشيعة الإماميه في العقائد من التوحيد والنبوه والمعاد وفي التفسير والفقه وغيرها، يعرف أن عندهم علم كثير من العلوم الإسلاميه مما لا يوجد عند غيرهم، وأنّ السياسات التي استولت على شؤون المسلمين ومنعت الناس عن التمسك بأهل البيت (1) حملتهم على ترك روايات رجال الشيعة، فوّتت على غير الشيعة علوماً كثيره وحرمتهم عن تلك الأحاديث الصحيحه والاهتداء بهدى العتره الطاهره، قال أمر الدين الحنيف والسنه النبويه إلى ما آل،).

ص: ٣٣٩

١- فالسياسه تسمح لأبي البختری الكذاب الخبيث أن يحدث كذباً عن الإمام جعفر بن محمد ولا تسمح لمثل حفص بن غياث أن يحدث عنه. قال عمر بن حفص: قلت لأبي: هذا أبو البختری يحدث عن جعفر بالأعاجيب ولا ينهي؟ فقال: يا بني، أما من يكذب على جعفر فلا يبالون به، وأما من يصدّق على جعفر فلا يعجبهم. وأبو البختری هو قاضيهم الذي يصوّب جنائياتهم، وشق أمان الرشيد ليحيى بن عبد الله بن الحسن، فوهب له هارون بذلك ألف ألف وستمائه ألف. فالسياسه تأتي بمثل هذا الخبيث ليحدث بالأعاجيب كذبا عن جعفر بن محمد عليه السلام وتمنع من اخذ عنه العلم ان يحدث بما أخذ عنه (راجع الجرح والتعديل: ج ٤ ص ٢٥، ومقاتل الطالبين: ص ٤٧٩-٤٨٠).

حتى قال أنس: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قيل: الصلاة. قال: أليس ضيِّعتم ضيِّعتم ما ضيِّعتم فيها؟(١).

وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا. أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيِّعت(٢).

وفى حديث آخر عن ثابت عنه قال: «ما من شيء كنت أعرفه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا لقد أصبحت له منكراً إلا أنني أرى شهادتكم ثابتة قال: فقيل له: يا أبا حمزه! فالصلاة؟ قال: قد قيل فيها ما رأيتم»(٣).

وقالت أم الدرداء: دخل عليّ أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمه محمد صلى الله عليه وآله شيء إلا أنهم يصلون جميعاً(٤).

وأخرج أحمد بسنده عن أم الدرداء قالت: دخل عليّ أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: من أغضبك؟ قال: والله لا أعرف فيهم من أمر محمد صلى الله عليه وآله شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً(٥).

ص: ٣٤٠

١- صحيح البخارى: ج ١ ص ٦٥، باب تضييع الصلاة عن وقتها. الإبانة: ج ٤ ص ٥٧٤ ح ٧١٩ وفيه: «ما أعرف شيئاً مما كُنّا عليه».

٢- صحيح البخارى: ج ١ ص ٦٥، باب تضييع الصلاة عن وقتها. الإبانة: ج ٤ ص ٥٧٤، ح ٧١٩ وفيه: «ما أعرف شيئاً مما كُنّا عليه».

٣- الإبانة لعبيد الله بن محمد بن بطة العكبرى (ط دار الرياض): ج ٤ ص ٥٧٣، ح ٧١٨.

٤- صحيح البخارى: ج ٧ ص ٧٧، باب فضل صلاة الفجر جماعه.

٥- مسند أحمد: ج ٦ ص ٤٤٣، الإبانة: ج ٤ ص ٥٧٤، ح ٧٢٠.

وعن ابن عباس: إنّه كان يتمثل بهذا البيت:

فما الناس بالناس الذين عهدتم ولا الدار بالدار التي كنت تعرف(١)

وعن زيد بن ضمير الرحبي قال: سألت عبد الله بن بسر صاحب النبي صلى الله عليه وآله: كيف حالنا من حال من كان قبلكم؟ قال: سبحان الله! لو نشروا من القبور، ما عرفوكم إلّا أن يجدوكم قياماً تصلّون(٢).

وعن سالم: قال أبو الدرداء: «لو أنّ رجلاً كان يعلم الإسلام وأهمه(٣) ثمّ تفقّده اليوم ما عرف منه شيئاً»(٤).

ولا يخفى أنّ الواجب على العلماء الأخذ بأخبار الثقات الممدوحين بالأمانة والوثاقه ممن يحصل الإطمئنان بصدقهم. ومن جملة الثقات الذين هم كذلك ثقات الشيعة، فلا ينبغي للفقهاء ولكل من يروم تعلّم الفقه الإسلامي ومعرفة نظمه ومناهجه في شؤون الحياة، الإعراض عن أحاديثهم وترك الروايات الموثوق بصدورها المخرّجه في جوامعهم لمجرد أنّ في سندها شيعي أو موال لأهل البيت، أو راو لشيء من فضائلهم(٥)، كما أنّه لا يجوز الاتكال على أخبار).

ص: ٣٤١

١- الإبانة: ج ٤، ص ٥٧٤، ح ٧٢١.

٢- الإبانة: ج ٤، ص ٥٧٢-٥٧٣، ح ٧١٧.

٣- في ذيل المطبوعه كذا في الظاهر، ولعلها: وأهله.

٤- الإبانة: ج ٢ ص ٥٧٦ ح ٧٢٤.

٥- انظر كتب الرجال حتى تعرف أفاعيل السياسات الظالمة والأقلام المأجوره، وإنّهم كيف تركوا رجالاً لتشيّعهم أو نسبتهم إلى الغلو في التشيع، أو لتقديمهم علياً عليه السلام على عثمان أو جميع الصحابه أو لعقيده كذا وكذا. فتركوا ما عند هؤلاء المحدّثين من الأحاديث والكتب والنسخ المأخوذه عن أهل البيت عليهم السلام، بل تركوا أحاديثهم عن غيرهم لذلك، في حين أنّهم يأخذون بأحاديث النواصب وأهل البدع والأهواء، فلم تبق هذه السياسات وعملاؤهم شيئاً يعرفه أنس مما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. هذا وقد بنوا الجرح والتعديل على أمور تخالف سيره أهل العرف، ولا ريب أنّ هذا التغيير والتبديل لم يقع فيما كان عليه أهل البيت و شيعتهم فيه، بل وقع فيما كان عليه الجمهور والسواد الأعظم وفي دين الدوله والحكوميه وبعد ذلك كيف يتبع سيره والسلف كانوا على ذلك ويترك ما كان عليه أهل البيت أعدال الكتاب في البناء على الأخذ بأخبار الآحاد. راجع في جميع ذلك على الاختصار الكتاب القيم (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل).

الكذابين والوضّاعين، فلا يجوز للباحث في الفقه والأحكام الشرعيه الإعراض عن هذا العلم الجَمّ الموجود عن شيعة أهل البيت.

وسنحاول في هذا المختصر إيراد بعض ما يدلّ على وجوب أتباع الأئمة الاثني عشر من أهل بيت النبوّ والعترة الطاهرة برواياتهم، والأحاديث المخرّجه عنهم في أصول الشيعة وجوامعهم المعتره. فعمدنا إلى إخراج بعض الأحاديث الوارده عن طرق إخواننا أهل السنه الدالّه من وجهه نظرهم على حجيه أقوالهم ومذاهبهم وإجماعاتهم في الفقه وكلّ مسائل الشرعيّه.

ونبحث في هذا الكتاب على ضوء الأدلّه الصحيحه والأحاديث المعتره عن مسأله ترتبط بواقع حياتنا الإسلاميه في هذا العصر وفي جميع العصور، يجب أن ندرسها ونبحث عنها ونتفهمها ونعين موقفنا منها، لا-الإعراض عنها، وليس فيها إن نظرنا بعين البصيره والإنصاف أقلّ ما يوجب التباعد، بعدما كان اختلاف الفقهاء غير عزيز، وبعدها كان الكتاب والسنه مصدر الجميع في

ص: ٣٤٢

الاستنباط والاجتهاد، بل النظر فى هذه المسأله يأتى بالتفاهم والتجاوب، والتقريب بين المذاهب الفقهيّه، والأخذ بما هو أوفق بالكتاب والسنة وتمركز الآراء والمذاهب فى مذهب من أتباعه بالاتفاق موجب للنجاه وأمان من الضلال، ويوجب تحكيم أساس الفقه من غير تعرّض لمسأله الخلافه والزعامه العامه، وما وقع فيها بين الفريقين من النقاش، وما استدل به أعلام الطائفتين من أجل إثباتها لهم أو عدم إثباتها.

وإنما اقتصرنا هنا على ذلك لأنّ علماء الفريقين قد أشبعوا الكلام حول مسأله الخلافه والحكومه، وأطالوا البحث فيها فى كتبهم ومقالاتهم من لدن ارتحال الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله إلى زماننا هذا بما يظهر به الحق للباحثين فى هذه المسأله. ولأنّ إثبات حجيه أقوال أئمه العتره ووجوب اتباعهم والأخذ برواياتهم وإجماعاتهم لا- تدور مدار إثبات الإمامه العامه والولاية والزعامه الكليه لهم فى جميع الأمور الدينيه والدنيويه بعد النبو صلى الله عليه و آله. بل يجب على من لا- يعرف لهم هذه الخصائص واختصاصهم بها، الأخذ بأقوالهم واتباعهم والاحتجاج بأحاديثهم والركون إلى آرائهم، حتى يسير الفقه مسيره، ويصان عن القول بغير علم، ويكون التعويل فيه على أصح الأدله، لايفرق فى ذلك بين الشيعه ومن لا- يعتقد من أهل السنه أحقيّتهم بمنصب الخلافه الكبرى، وتخصيصها من قبل الله سبحانه وتعالى بهم.

فالولاية الشرعيه التى كانت ثابتة للنبي صلى الله عليه و آله وبعده لخلفائه وولاه الأمر من أهل بيته وعترته، وان كانت لا تنفكّ عن وجوب الاتّباع والتأسى والتمسك بهم وحجيه أقوالهم وأفعالهم، إلّا أنّ الثانى لم يقصر على زمان حياتهم وتمكّنهم من

التصرّف فى الأمور فحسب، بل يجب التمسك بهم وبأقوالهم وأفعالهم مطلقاً.

فالمسأله من ناحيتها الأولى فى عصرنا اعتقاديّه، وللكلام فيها مجال غير هذا، وليس لها فى زماننا كثير مساس بالعمل، فليس فى مقدور أحد فى هذا الزمام أن يعمل لتكون تلك الولاية فى الخارج لشخص دون آخر ممن مضى عصره، فليس فى وسع أحد تغيير ما وقع.

الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام امام وولى، لا شكّ فى ولايته وإمامته، ولا يقبل إيمان عبد إلّا بولايته، ولا ريب فى أنه كان على الحق، كما لا شك أنّ معاويه كان على الباطل وباغياً عليه، إلّا أنّ الإمام استشهد بجنايه ابن ملجم على الاسلام والمسلمين، وتغلّب معاويه على الأمر، وآل أمر المسلمين - سيّما فى سياسه الحكم والإداره - إلى ما آل إليه.

والحسين عليه السلام أبو الشهداء وسيّد الأحرار، لا شكّ فى إمامته وأنه سيّد شباب أهل الجنه، وثار لطلب الإصلاح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كما لا ريب فى سوء أعمال يزيد ومظالمه وجرائمه وموبقاته. إلّا أنه لا يمكننا أن نغير التاريخ وأحداثه الواقعه بعد أربعة عشر قرن، فلا يمكن لمحجّى أهل البيت عليهم السلام ومن يعتقد عدم شرعيه حكومات غيرهم ممن استبدّوا بالأمر أن يمنعوا عن عرش الخلافه هؤلاء الحُكّام الذين حالت بيننا وبينهم الأزمنه والقرون، ويجلسوا أئمه أهل البيت فى المسند الذى وضعه الله تعالى لهم وأجلسهم عليه واختصهم به.

إذن فلا عمل لهذا، ولا اختلاف عملياً فى ذلك بين الشيعه والسنة، ولا وجه لعتاب من يعتقد عدم شرعيه هذه الحكومات إذا كانت عقيدته نابعه من طول

البحث والاجتهاد في الكتاب والسنة، ولا ينبغي أن يكون سبباً للتباعد والتنافر والشحناء والبغضاء، والرمى بما هو بريء منه من الكفر والشرك والضلال مع الشهاده بالتوحيد والرساله.

وأما من ناحيته الأخرى التي نبحت عنها في هذا الكتاب - \على ضوء الأدله الصحيحه والأحاديث المعتمده، فهي مسأله ترتبط بواقع حياتنا الإسلاميه في هذا العصر وفي جميع العصور، يجب أن ندرسها ونبحث عنها ونتفهمها ونعين موقفنا منها، لا الإعراض عنها. وليس فيها - \إن نظرنا بعين البصيره والإنصاف - \أقل ما يوجب التباعد، بعدما كان اختلاف الفقهاء غير عزيز، وبعدها كان الكتاب والسنة مصدر الجميع في الاستنباط والاجتهاد، بل النظر في هذه المسأله يأتي بالتفاهم والتجاوب، والتقريب بين المذاهب الفقهيّه، والأخذ بما هو أوفق بالكتاب والسنة، ويوجب تحكيم أساس الفقه كما ستعرف إن شاء الله تعالى.

وقد أقر هذا المبدأ وأخذ به جمع من أعيان أهل السنه: ومنهم الفخر الرازي، فنراه يقدم الاقتداء بأمر المؤمنين علي عليه السلام على غيره من الصحابه، فهو يقول في تفسيره في مسأله الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاه:

وأما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسميه فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه بقوله عليه السلام: «اللهم أدر الحق مع علي حيث دار»(1).9.

ص: ٣٤٥

١- تفسير الفخر (مفاتيح الغيب): ص ١٥٩.

وقال: إطباق الكل على أنّ علياً كان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (١).

وقال في مقام الاستدلال: الجهر بذكر الله على كونه مفتخراً بذلك الذكر غير مبال بإنكار من ينكره، ولا شك أنّ هذا مستحسن في العقل فيكون في الشرع كذلك.

وكان علي بن أبي طالب يقول: «يا من ذكره شرف للذاكرين»، ومثل هذا كيف يليق بالعاقل أن يسعى في إخفائه، ولهذا السبب نقل أنّ علياً رضى الله عنه كان مذهبه الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم في جميع الصلوات. وأقول: إنّ هذه الحجة قوية في نفسى راسخه في عقلى، لا تزول البتة بسبب كلمات المخالفين (٢).

وقال أيضاً: إنّ الدلائل العقلية موافقه لنا، وعمل علي بن أبي طالب عليه السلام معنا، ومن اتخذ علياً إماماً لدينه فقد استمسك بالعره الوثقى في دينه ونفسه (٣).

ومع ذلك قال: قالت الشيعة: السنّه هي الجهر بالتسميه، سواء كانت في الصلاه الجهرية أو السريه، وجمهور الفقهاء يخالفونهم فيه (٤)، لماذا؟ لأنهم شيعة أهل البيت، والتمسكون بهم بالتمسك الأمور به في حديث الثقلين.

والقارئ العزيز إذا تأمل فيما نذكره في هذا الكتاب، وتتبع مصادر الشيعة وكتب حديثهم وفقههم، إن لم يصدق شيئاً فيصدق على الأقل أنّ إجماع فقهاء الشيعة في كل مسألة من المسائل الفقهيّه - كهذه المسألة التي ذكرها الفخر - ١١.

ص: ٣٤٦

١- المصدر السابق: ص ١٦٠.

٢- تفسير الفخر: ص ١٥٨-١٥٩.

٣- المصدر السابق: ص ١٦١.

٤- المصدر السابق ص ١٦١.

كاشف عن إجماع عتره النبي صلى الله عليه وآله وعن رأيهم ومذهبهم فيها.

إذن فماذا عذر الجمهور عند الله تعالى في مخالفه الشيعة في مثل هذه المسألة، وترك الاقتداء بعلي بن أبي طالب عليه السلام، وترك التمسك بالعترة.

وخلاصه القول: إن ما يدور حوله البحث في هذه الرسالة أمران:

(الأول) وجوب الأخذ بأحاديث أهل البيت، وما رواه عنهم أعلام الشيعة بطرقهم المعتبرة المعتمدة في جوامعهم.

(الثاني) حججه أقوالهم ومذاهبهم وآرائهم، بل وأفعالهم، ووجوب اتباعهم الرجوع إليهم والسؤال منهم والتمسك بهم وتقديم قولهم على غيرهم (1) هـ.

ص: ٣٤٧

١- لا يخفى الفرق بين الأمرين، ففي الأولى: نبحت عن وجوب الأخذ بروايات أهل البيت المخرجه في جوامع الشيعة، على ما يراه العقل ميزاناً لحججه أخبار الثقات، وأنه لا يعذر من ترك هذه الأحاديث الكثيره والعلم الجرم وأعرض عنها، واتكل على روايات المجروحين الذين تأتي الإشارة إلى ترجمه بعضهم. وفي الأمر الثاني: نبحت عن حججه أقوالهم ومذاهبهم وأفعالهم ووجوب الاقتداء والتمسك بهم بحسب الشريعة، والأحاديث التي اتفق الفريقان على صحتها بل تواترها، فمن تمسك بغيرهم واستند إلى سواهم خالف أمر النبي صلى الله عليه وآله الصريح في وجوب التمسك بهم، وأنهم عدل القرآن، والعالمون بأحكام الشرع وأوامره ونواهيه، وتفسير الكتاب، وعموم القرآن والسنة وخصوصهما ومطلقهما ومقيدهما ومحكمهما ومتشابههما، وهم العارفون بجميع ما يحتاج إليه الناس من الأحكام والحلال والحرام والفرائض والقضاء والحدود والديات وغيرها مما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وأوحى به إليه.

سبب إعراض الجمهور عن أحاديث أهل البيت عليهم السلام:

وإننا نلرغب قبل الدخول فى الموضوع إلفات النظر إلى شىء هو من الأهميه بمكان حسبما نراه، وهو أنّ السبب الوحيد والباعث الحقيقى لعدول من عدل عن الأخذ بأحاديث أهل البيت، وما رواه المحدّثون من الشيعة - كما يظهر لكل باحث لم يكن إلّا السياسة وغبه الأمراء والملوك المستبدّين الذى سوّدت مظالمهم صفحات التاريخ، وعملوا على تحريف حقائق هذا الدين، وأحكام شريعته الحنيفه السمحاء، أو تأويلها لتوافق أهوائهم الفاسده وسياساتهم الغاشمه. فعدلوا بالناس نتيجته لذلك عن الصراط المستقيم، وحالوا بينهم وبين الاعتصام بحبل الله المتين والتمسك بالثقلين، حيث أشعروهم بأنّ الرجوع إلى أهل بيت النبوه وأخذ العلم والاستفتاء منهم من أكبر الجرائم السياسيه التى يستحقّ مرتكبها القتل والسجن على أقلّ تقدير.

وقد لاقى الكثير ممن روى عن أهل البيت أو فى فضائلهم من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله والتابعين ورجالات الدين وأئمه الحديث وغيرهم أنواعاً من القتل والسجن والتعذيب على أيدي هؤلاء الحُكّام والظلمه، وما قصدهم من ذلك إلّا إطفاء نور العلم النبوى الخالد معانده للحق وأهله.

ومن له إلمام بتاريخ العصر الأموى والعباسى يعلم موقف الحُكّام من كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويستنكر سيرتهم السيئه (1)، وسيما من آلهم.

ص: ٣٤٨

١- أخرج ابن حجر فى تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٣٥٧ قال الهيثم ابن عمران العنسى: دخل زياد بن جاريه مسجد دمشق وقد تأخرت صلاه الجمعة إلى العصر، فقال: والله ما بعث الله نبياً بعد محمد صلى الله عليه وآله يأمركم بهذه الصلاه. قال: فأخذ فأدخل الخضراء فقطع رأسه. وذكر ابن الأثير فى أسد الغابه: ج ١ ص ٣٠٨ أن عبد الله بن العلاء بعدما روى الزهرى حديث ولايه على فى غدير خم قال له: لا تحدّث بهذا فى الشام وأنت تسمع ملء أذنيك سب على. فقال الزهرى: والله أنّ عندى من فضائل على ما لو تحدّثت بها لقتلت. وفى كتاب نور القبس: ص ٥٧ فى ترجمه الخليل: قال يونس: قلت للخليل: ما بال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كأنهم بنو أمّ واحده وعلى بن أبى طالب كأنه ابن عله (غله - ن ل)؟ فقال: من أين لك هذا السؤال؟ قلت: أريد أن تجيبنى. فقال: علىّ أن تكتم على ما دمت حياً. قلت: أجل. فقال: تقدّمهم إسلاماً، وبذهم شرفاً، وفاقهم علماً، ورجحهم حلماً، وكثّرهم زهداً، وأنجدهم شجاعه فحسدوه، والناس إلى أمثالهم وأشكالهم أميل منهم إلى من فاقهم وكثّروهم ورجحهم.

البيت عليهم السلام وشيعتهم ومن روى علومهم وحديثهم. ويكفيك الرجوع إلى كتاب (النصائح الكافية) وغيره مما أُلّف في هذا الموضوع.

ونحن نرى أنّ الإضراب عن الخوض في هذه المسألة أصلح والتفرّغ للبحث عن المقصود أولى، لأننا لو تعرّضنا لها لاستغرق ذلك بحثاً طويلاً.

إلّا أنّ الباحث فيما نحن بصدده لا يسعه دراسته الموضوع دراسة وافيه من دون تعمّق في موقف السياسه ضد أئمه أهل البيت وأشيعاهم، كما لا- ينبغى الإغماض وعدم التعرّض -\ولو بالإيجاز -\الكشف دور السياسه الغاشمه في وضع الأحاديث المكذوبه على رسول الله صلى الله عليه و آله لمصلحه الحاكمين، ومن استولى على مركز الخلافه بالسيف والقهر.

فهذا معاويه بن أبى سفيان يأمر بسبّ أمير المؤمنين، باب مدينه العلم

ص: ٣٤٩

ويطل الإسلام وابن عم الرسول وأخيه، ومن أنزله من نفسه بمنزله هارون من موسى، وعمل على قتل ريحانه الرسول وسبطه الأكبر، وكتب بعد عام الجماعة:

«أن برئت الذمه ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته» واستعمل على أهل الكوفة زياد بن أبيه وضم إليها البصره، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، فقتلهم تحت كل حجر ومدبر وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل وبسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق(١).

نذكر مثلاً- لذلك: أنه بعث في طلب صيفي بن فسيل الشيباني، فلما أتى قال له: يا عدو الله، ما تقول في أبي تراب؟ قال: ما أعرف أبا تراب، فقال: ما أعرفك به، أتعرف علي بن أبي طالب؟ قال: نعم. قال: فذاك أبو تراب. فقال: كلاً ذاك أبو الحسن والحسين. فقال له صاحب الشرطه: يقول الأمير هو أبو تراب وتقول لا؟ قال: فان كذب الأمير اكذب أنا وأشهد على باطل كما شهد؟ فقال له زياد: وهذا أيضاً، علي بالعصا فأتى به. فقال: ما تقول في علي؟ قال: أحسن قول. قال:

اضربوه حتى لصق بالأرض. ثم قال: اقلعوا عنه، ما قولك في علي؟ قال: والله لو شرحنتي بالمواسي ما قلت فيه إلّما سمعت مني. قال: لتلعنه أو لأضربن عنقك.

قال: لا أفعل، فأوثقوه حديداً وحبسوه(٢).

واشتد الأمر حتى أنّ المقرئ قال: كان بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه(٣). ٩.

ص: ٣٥٠

١- النصائح الكافية: ص ٧٢.

٢- الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٤٧٧ و ٤٧٨.

٣- تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣١٩.

ومن عمّاله على المدينة مروان بن الحكم، وكان لا يدع سب على عليه السلام على المنبر كل جمعه تنفيذاً لأوامر معاوية.

وكتب إلى عمّاله نسخه واحده «أنظروا من قامت عليه البيّنه أنّه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه».

وشفع ذلك بنسخه أخرى: «من اتهمتموه بموالاه هؤلاء القوم فنكلوه به واهدوا داره».

فلم يكن البلاء وأكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة، حتى أنّ الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق بدينه فيدخل بيته فيلقى إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدث حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظه ليكتمنّ عليه.

ونقل أبو عثمان الجاحظ: إنّ معاوية كان يقول في آخر خطبته: اللهم إنّ أبا تراب (إلى آخر ما قال مما لم نذكره حياءً من الله ورسوله).

وروى فيه أيضاً: أنّ قوماً من بنى أميه قالوا لمعاوية: إنّك قد بلغت ما أملت، فلو كفت عن هذا الرجل. فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً (1).

ص: ٣٥١

١- راجع في ذلك النصائح الكافية: ص ٧٢-٧٥. وذكر في العتب الجميل: ص ٧٤ و ٧٥ أنّ عمر بن عبد العزيز لما ترك تلك البدعة المنكرة، وهى التطاول على مقام أمير المؤمنين على عليه السلام فى خطبه الجمعة ارتج المسجد بصياح من فيه بعمر بن عبد العزيز «تركت السنه تركت السنه». وزعم أهل حران لما نهوا عن استمرارهم على تلك السنه الملعونه أن الجمعة لا تصح بدونها. قال: ويوجد الآن كثير من علماء السوء يعتقدون فى أمور أنّها من السنه وهى من النصب. وذكر المستشرق مارجليوث فى كتابه (دراسات عن المؤرخين العرب) ص ١٠٠ عن المدائنى: أنّه لم يسمع بالشام فى عهد الأمويين أحداً يسمى علياً ولا حسناً ولا حسيناً، وإنّما معاوية ويزيد والوليد من أسماء خلفاء بنى أميه، فمر مسافر فى ذلك الوقت بدار فاستسقى صاحبها، فسمعه ينادى ابناً له باسم الحسن ليسقيه، فسأل المسافر: كيف سمى ابنه بذلك الاسم؟ فكان جوابه: إنّ أهل الشام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله ولا يزال أحداً يلعن ولده ويشتمه وإنّما سميت أولادى بأسماء أعداء الله، فإذا لعنت إنّما ألعن أعداء الله. وفى كتاب غايه الأمانى فى أخبار القطر اليمانى: ص ١١٧ قال: لما أمر عمر بن عبد العزيز برفع اللعن عن أمير المؤمنين على عليه السلام فى جميع الآفاق، ووصل الأمر بذلك إلى صنعاء وأن يجعل مكانها إن الله يأمر بالعدل والاحسان... الآيه، وخطب الخطيب بها فى جامع صنعاء، فقام إليه ابن محفوظ - لعنه الله - وقال: قطعت السنه. قال: بل هى البدعه. فقال: والله لأنهضنّ إلى الشام، فإن وجدت الخليفه قد عزم على قطعها لأضرمّ الشام عليه ناراً. وخرج ابن محفوظ من صنعاء فلحقه أهلها إلى طرف القاع المعروف بالمنجل غربى صنعاء، فرجموه بالحجاره حتى غمروه وبغلته، فهو يرجم إلى الآن كما يرجم قبر أبى رعال قائد فيل أبرهه الحبشى.

وأفرط في ذلك حتى أظهر ما في صدره، وعرض على كريم ابن عفيف الخثعمي البراءة من دين علي الذي يدين الله به، وأمر زياد أن يقتل عبد الرحمن بن الحسان العنزي شر قتله لشهادته في علي عليه السلام أنه كان من الذاكرين الله كثيراً، ومن الأمرين بالحق، القائمين بالقسط، والعافين عن الناس، ولمقاله في عثمان، فدفنه زياد حياً(١).

وأمر بافتعال الأحاديث في شأن عثمان واكرام من يروى في فضله، حتى أكثروا في فضائله لما كان يبعث إليهم من الصلوات والقطائع، فليس يجد امرؤ من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيله إلا كتب اسمه وقربه ٤.

ص: ٣٥٢

١- الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٤٨٦.

وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً، فكتب إلى عمّاله: أنّ الحديث في عثمان قد جهر وفشا في كل مصر وكل وجه وناحيه، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الروايه في فضائل الصحابه والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خيراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّماواتوني بمناقض له في الصحابه، فإنّ هذا أحب إلّى وأقر لعيني وأدحض لحجه أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أحاديث كثيره في مناقب الصحابه مختلقه لا- حقيقه لها، وجد الناس في روايه ما يجرى هذا المجرى، حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمى الكتاب فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلبه القراء المراؤن والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا في مجالسهم، ويصييوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنّها حق، ولو علموا أنّها باطل لما رووها ولا تديّنوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى قتل الحسن بن على عليه السلام بالسم ظلماً، فازداد البلاء والفتنه، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلّأوهو خائف على دمه أو طريد على الأرض، ثم

تفاهم الامر بعد استشهاد الحسين عليه السلام(١).

وان شئت الإحاطه بدوافع معاويه من منعه الملح عن ذكر فضائل أمير المؤمنين على وسائر أهل البيت عليهم السلام فراجع ما ذكره المسعودى فى حوادث سنة اثنتى عشره ومائتين من حديث مطرف بن مغيره(٢) ، حتى تعلم أنهم لم يريدوا من سب على إلأسب رسول الله وإطفاء نوره صلى الله عليه و آله.

وهذا عبد الملك بن مروان قد شدّد الضغط على محبى أهل البيت، وولّى عليهم الحجاج الذى أخذ يقرب إليه كل من كان أشد بغضاً لأهل البيت وأكثر موالاه لأعدائهم، حتى جاء واحد منهم يوماً إليه -\ يقال جد الأصمعى -\ وقف للحجاج فقال: إنّ أهلى عقونى فسّمونى علياً وإنّى فقير بائس، وأنا إلى صله الأمير محتاج. فتضحك الحجاج وقال: للطف ما توسّلت به قد وليتكم موضع كذا(٣).

والحجاج هو الذى كتب إلى محمد بن القاسم أن يعرض عطيه العوفى بن سعد على سب على عليه السلام، فإن لم يفعل فاضربه أربعمائه سوط واحلق لحيته، فأبى عطيه أن يسب، فأمضى محمد بن القاسم حكم الحجاج فيه(٤).

وقد عرقب الحجاج أو بشير بن مروان أبو يحيى الأعرج المعرقب من ٧.

ص: ٣٥٤

١- النصائح الكافية: ص ٧٢-٧٣.

٢- مروج الذهب: ج ٣ ص ٣٦١-٣٦٢.

٣- راجع فى جميع ما ذكرناه هنا شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ٣ ص ١٤-١٧، والنصائح الكافية: ص ٦٧-٧٤.

٤- تهذيب التهذيب ٢٢٦/٧.

شيوخ الأربعة ومسلم لما عرض عليه سب الإمام عليه السلام فأبى فقطع عرقوبه. قال ابن المديني: قلت لسفيان: في أى شيء عرقب؟ قال: في التشيع (١).

وهكذا استمر الأمر إلى أيام عمر بن عبد العزيز، وأشرار الولاة يتناولون على مقام أمير المؤمنين عليه السلام حتى من كان منهم في المدينة المنوره، وبجوار القبر الشريف وعلى منبر الرسول صلى الله عليه وآله (٢).

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه: أن أكثر الأحاديث الموضوعه في فضائل الصحابه افتعلت في أيام بنى أميه تقرباً إليهم. وذكر السيوطى أنه كان في أيام بنى أميه أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها الإمام على بن أبى طالب عليه السلام بما سنه لهم معاويه (٣).

فانظر أيها القارئ بعين الإنصاف إلى هذه المخازى، وإن شئت فراجع ٩.

ص: ٣٥٥

١- تهذيب التهذيب ١٥٨/١٠-١٥٧، العتب الجميل ص ٣٥.

٢- ومما يؤكد ذلك ما ذكره السمهودى المدنى فى كتابه (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) ج ٤ ص ٣٥٦ قال: وقال يحيى: حدثنا هارون بن عبد الملك بن الماجشون: أن خالد بن الوليد بن الحارث بن الحكم بن العاص وهو ابن مطيره قام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة فقال: لقد استعمل رسول الله على بن أبى طالب (رضى الله تعالى عنه) وهو يعلم أنه خائن، ولكن شفعت له ابنته فاطمه (رضى الله عنها). وداود بن قيس فى الروضه فقال: اس، أى يسكته. قال: فمزق الناس قميصاً كان عليه شقائق حتى وتروه وأجلسوه حذراً عليه منه، وقال: رأيت كفاً خرجت من القبر قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: كذبت يا عدو الله، كذبت يا كافر، مراراً. وأخرجه فى ينابيع الموده عن أبى الحسن يحيى فى كتابه: أخبار المدينة: ص ٢٧٥.

٣- النصائح الكافيه: ص ٧٩.

الكثير منها في كتب القوم، حتى تعرف ما اقترفته أفاعيل السياسة المجرمه من أجل إماله الناس عن أهل بيت الوحي والنبوه.

قال سيدنا الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام في جواب الحرث بن الجارود التميمي، لما رآه في جماعه من أهل بيته في المدينة وهم جلوس في حلقة، فقال الحرث: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمه ومعدن الرساله ومختلف الملائكه، كيف أصبحتم رحمكم الله؟ فرجع الإمام رأسه إليه فقال: أما تدري كيف نمسى ونصبح، أصبحنا في قومنا بمنزله بنى إسرائيل في آل فرعون، يذبحون الأبناء ويستحيون النساء، وأصبح خير الأمه يشتم على المنابر، وأصبح من يبغضنا يعطى الأموال على بغضنا، وأصبح من يحبنا منقوصاً حقه أو قال: حظه، أصبحت قريش تفتخر على العرب بأن محمداً قرشي، وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأن محمداً كان عربياً، فهم يطلبون بحقنا ولا يعرفون لنا حقاً، اجلس يا أبا عمران فهذا صباحنا من مسائنا(١).

وأخرج نحوه ابن سعد بسنده عن المنهال بن عمرو(٢).

دور بنى العباس في الظلم والاستبداد:

جاء بعد بنى أميه بنو العباس، فلم تكن وطأتهم على أهل البيت وعتره الرسول صلى الله عليه وآله وشيعتهم ومحبيهم بأخف من أسلافهم، إن لم نقل بأنهم كانوا أشد منهم.

ص: ٣٥٦

١- تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب: ص ١٣٥-١٣٦.

٢- الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٢١٩-٢٢٠ ترجمه الإمام على بن الحسين عليه السلام.

أولئك ظلماً وعنفاً واضطهاداً لهم.

إذ أنهم بالإضافة إلى المسلك المنحرف الذي سلكوه من وضع الأحاديث، وبالإضافة إلى أنهم كبنى أمية أحيوا ما أماته الإسلام من السنن الملوكية، أخذوا يباشرونهم بأنفسهم أو بالإيعاز إلى عمّالهم المنحرفين، قتل كل من يعترض سبيل مسلكهم الظالم أو يخشون اعتراضه، حتى أزهقوا الكثير من النفوس الطاهرة، وسفكوا الجَمّ من الدماء الزكية من أكابر أهل البيت وشيعتهم ومحبيهم.

لم يهمل التاريخ مظالم مثل المنصور والهادى وهارون وغيرهم من ملوك بنى العباس(١).

ولم يهمل ما فعله المتوكل بابن السكّيت إمام العربيّ المعروف، فإنّه كان قد ندبه تعليم أولاده، حتى جاء يوم جمعهم فى مجلس واحد، فنظر المتوكل إلى ولديه المعتز والمؤيد وخاطب ابن السكّيت قائلاً له: من أحب إليك هما يعنى ولديه المذكورين أو الحسن والحسين؟ فقال: قنبر يريد به مولى على عليه السلام خير منهما، فأمر حينئذ الأتراك فداسوا بطنه حتى مات. وقيل: أمر باستلال لسانه فاستلوه حتى مات(٢).

وذكر ابن حجر فى ترجمه على بن نصر الجهضمى من شيوخ الستة: قال أبو على بن الصواف عن عبد الله بن أحمد لما حدّث نصر بن على بهذا الحديث(٨).

ص: ٣٥٧

١- راجع مقاتل الطالبين لأبى الفرج الإصفهاني.

٢- تاريخ الخلفاء: ص ٢٣١، الكامل فى التاريخ: ج ٧ ص ٩١، وفيات الأعيان: ج ٥ ص ٤٢٣ و ٤٣٨.

يعنى حديث على بن أبى طالب (أنّ رسول الله أخذ بيد حسن وحسين فقال: من أحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان فى درجتى يوم القيامة) أمر المتوكّل بضربه ألف سوط، فكلمه فيه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له: هذا من أهل السنه، فلم يزل به حتى تركه (١).

ذلك هو الأثر لتدخّل السياسه المنحرفه فى الأمور، فهل ترى أنشدك الله لهذه الأعمال وجهاً إلّا المحافظه على الاستمرار فى القبض على أزمه الأمور ومقاليد الحكم، وإلّا القضاء على الفكر الحر، وإلّا التنكّر للحق والقضاء عليه، وإلّا بغض على بن أبى طالب وسائر أهل البيت الذى هو من أظهر آثار النفاق، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يحبّ علياً منافق، ولا يبغضه مؤمن (٢). وقال جابر: ما كنا.

ص: ٣٥٨

١- تهذيب التهذيب: ج ١٠ ص ٤٣٠، ولفظ الحديث كما أخرجه الترمذى (مناقب ٢٠) ومسند أحمد: ج ١ ص ٧٧ (من أحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معى فى درجتى يوم القيامة). ثم إنّ مما شدد به المتوكّل على أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله أن استعمل على المدينة ومكه عمر بن فرج الرخجى، فمنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه أن أحداً أبر أحداً منهم بشيء وان قل إلا أنهكه عقوبه وأثقله غرماً، حتى كان القميص يكون بين جماعه من العلويات يصلين فيه واحده بعد واحده ثم يرقعنه، ويجلسن على مغازلهنّ عوارى حواسر (مقاتل الطالبين: ص ٥٩٩).

٢- راجع فى ذلك صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أنّ حب الأنصار وعلى من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق. والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، ومسند أحمد، وتذكره الحفاظ، وكنز العمال، ومجمع الزوائد، والمستدرک، وتاريخ بغداد، وحليه الأولياء، والدر المنثور، والرياض النضره، وذخائر العقبى وغيرها.

نعرف مناقبنا إلابغضهم على بن أبي طالب(١).

وهل هنا من المصاديق أجلى من أن يؤمر بضرب المتحدّث عن فضل على والزهراء والحسين عليهم السلام الذين هم أصحاب الكساء وأهل المباهله ألف سوط لذلك؟

فما ظنّك إذن بمن يتلمذ ويأخذ العلم والحديث عن سائر أئمة أهل البيت كالباقر والصادق والكاظم عليهم السلام، وكيف تكون نظره هؤلاء إليه، وإلى أى مدى يكون حقدهم عليه؟!

ثم إنّ الحكّام العبّاسيين لم يكونوا أقل حماساً فى هذا الميدان من الأمويين، فقد أخذوا يقربون الكثير من المحدّثين الذين عرفوا عنهم عزوفهم عن الحديث بما روى فى فضائل أهل البيت أو الأخذ عنهم وعن شيعتهم فى الفقه والتفسير والعقائد، وشدّدوا النكير على من حدّث شيئاً فى فضائلهم ومناقبهم عليهم السلام منزّلين به أشد العقوبات، وأوجدوا محدّثين مأجورين يضعون الأحاديث فى فضائل بنى العباس وما يؤيد سيرتهم وسياستهم، ويسردونها على العوام.

ذكر الذهبى فى ترجمه ابن السقاء الحافظ عبد الله بن محمد الواسطى:

اتفق أنّه أملى حديث الطير فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا به وأقاموه وغسلوا.

ص: ٣٥٩

١- تذكره الحفّاظ: ج ٢ ص ٢٧٢-٢٧٣، وأخرج نحوه الترمذى (مناقب ٢٠) وروى مثل ذلك عن أبى ذر ابن مسعود وأبى سعيد، فراجع الرياض النضرة، والترمذى، والمستدرک، وتاريخ بغداد، والدر المنثور وغيرها.

وأغرب من ذلك ما فعله أهل دمشق بالنسائي صاحب السنن وخصائص أمير المؤمنين على عليه السلام(٢).

وبالغ بغضهم في رد فقه أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وجعلهم النبي صلى الله عليه وآله عدل القرآن وكسفينه نوح وباب حطه حتى قال ابن خلدون في مقدمته: وهو ممن كان يخدم الملوك والأمراء ويتزلف إليهم ويؤيد آرائهم السياسيه، هذا الرجل الذي وقعت منه في مقدمته هذه أخطاء فاحشه قد تبه على بعضها الأستاذ شاکر، وما ذلك إلا لأنه نظر في المسائل الإسلاميه من زاويه وجهه نظر السياسه للدول الأمويه الأندلسيه التي يقول عنها العقاد: إنها أنشأت للشرق الإسلامى تاريخاً لم يكتبه مؤرخوه ولا يكتبونه على هذا النحو لو أنهم كتبوه(٣) ضمن الفصل الذى عقده فى علم الفقه: وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به(٤). فسبحان الله! إذا كان أهل البيت مبتدعين، فلم جعلهم رسولن.

ص: ٣٦٠

١- تذكره الحفاظ: ج ٢ ص ٩٦٦. قال الذهبى: ج ٣ ص ١٠٤٤: وأما حديث الطير فله طرق كثيره جداً قد أفردتها بمصنف.

٢- تذكره الحفاظ: ج ٢ ص ٧٠٠.

٣- معاويه بن أبى سفيان فى الميزان: ص ٢٠١.

٤- مقدمه ابن خلدون: ص ٣٧٤. ومع ذلك لا ينكر ما لأئمه أهل البيت عليهم السلام من العلم بالغيوب التي أطلعهم الله عليها، إذ يقول: فهم (يعنى أئمه أهل البيت) أهل الكرامات، وقد صح عنه (يعنى الإمام جعفر الصادق عليه السلام) أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم، فتصح كما يقول، وقد حذر يحيى ابن عمه عن مصرعه وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف، وإذا كانت الكرامه تقع لغيرهم فما ظنك بهم علماً ودينياً وآثاراً من النبوه وعنايه من الله، بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبه. وقال: تقرر فى الشريعه أنّ البشر محجوبون عن الغيب إلّا من أطلعه الله عليه من عنده فى نوم أو ولايه. وقال: وقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك، مستندهم فيه والله أعلم الكشف بما كانوا عليه من الولايه. وقال: فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبه. المقدمه: ص ٢٨٠ ٢٧٧ الفصل الرابع والخمسون.

الله صلى الله عليه و آله أعدالاً للكتاب، جعل التمسك بهم أماناً من الضلال؟ وما معنى هذا الحث الملح والترغيب الواردين فى الكتاب والسنة على محبتهم وولايتهم؟

وقد سمعت بأن جماعه من المحدثين الذين انضافوا وراء هذه الأباطيل قد أعرضوا وضعفوا روايات جَمّ غفير من الثقات لمجرد كونهم شيعه أو مغالين بزعمهم فى محبه أهل البيت، مع كونهم فى نفس الوقت يحتجون بروايات النواصب والخوارج والمنافقين المعروفين بالانحراف عن أهل البيت، والمشهورين بالظلم والخيانة والمآثم والمعاصى.

والعجب أن مثل البخارى الذى يروى عن ألف ومائتين من الخوارج (١)، ويحتج بأكثر من مائه مجهول (٢)، وبأعداء أهل البيت مثل: المغيرة ومروان وعمرو بن العاص وغيرهم من المنافقين الذين ظهر فيهم أبرز أمارات الإنفاق).

ص: ٣٦١

١- نص عليه السلام السيد أبو محمد الحسن الصدر فى نهايه الدرايه، وتصدى لذلك من أهل السنه ابن حجر صاحب المصالت وعبد الحق الدهلوى شارح المشكاه وغيرهما (أجوبه مسائل جار الله: ص ٧٢).

٢- نص على ذلك ابن يسع فى معرفه أصول الحديث (أجوبه مسائل جار الله: ص ٧٢).

وهو بغضهم لعلى عليه السلام وصحّ فيهم أحاديث الحوض المتواتره وغيرها(١). هذا البخارى لا يروى شيئاً من حديث ريحانتي الرسول وسبطيه سيدى شباب أهل الجنه، ويحتج بحديث سمره بن جندب(٢)، ص ١٣٨ من الجزء الثانى من صحيحه قبل باب ما جاء فى صفه الجنه بأربعه أحاديث، وكذا فى غير ذلك من الموارد التى لا تخفى على المتتبع.

ويحتج أيضاً بحديث عكرمه وعمران بن حطان(٣). دون حديث واحد من).

ص: ٣٦٢

١- يراجع صحيح البخارى: كتاب الفتن، ج ١ و ٢ و ٣، والرقاق باب كيف الحشر، والتفسير (سوره الأنبياء)، ومسلم: كتاب الطهاره، باب استحباب إطاله الغره والتجليل، وكتاب الصلاه، باب حجه من قال البسملة آيه. وكتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا، وكتاب الجنه، باب فناء الدنيا، والنسائي: كتاب الافتتاح باب قراءه بسم الله الرحمن الرحيم، وكتاب الجنائز، باب ذكر أول من يكسى، والموطأ: باب الشهداء فى سبيل الله من كتاب الجهاد، وابن ماجه: أبواب المناسك باب الخطبه يوم النحر، ومسند أحمد: ٣٩، ٥٠، ٢٣٥، ٣٨٤، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٥٣، ٤٥٥، ٢٨، ٣، ١٠٢، ٢٨١، ٣٩٦، ٤، ٤٨، ٥، ٥٠، ٣٨٨، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤١٢ وغيرها.

٢- اخرج الطبرى بالإسناد إلى ابن سليم قال: سألت أنس بن سيرين: أهل كان سمره قتل أحداً؟ قال: وهل يحصى من قتلهم سمره بن جندب، استخلفه زياد على البصره فأتى الكوفه فجاء وقد قتل ثمانيه آلاف من الناس، فقال له: هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت (تاريخ الطبرى: ج ٦ ص ١٢٢). وأخرج ابن الأثير: قال أبو السوار العدوى: قتل سمره من قومي غداه واحده سبعين وأربعين كلهم قد جمع القرآن (الكامل: ج ٣ ص ٤٦٢-٤٦٢).

٣- إن شئت أن تعرف أحوال جماعه من رجال البخارى وشيوخه، راجع الجزء الرابع من المجلد الأول من شرح نهج البلاغه لعلمامه المعترله ابن أبى الحديد. وقال الأستاذ محمود أبو ريه فى أضواء على السنه المحمديه: ص ٢٧٥ (ط ١٣٨٣) قال البدر المعينى: فى الصحيح جماعه جرحهم بعض المتقدمين، وفى (العلم الشامخ) فى رجال الصحيحين من صرح كثير من الأئمه بجرحهم... إلخ. قال ابن الصلاح: احتج البخارى بجماعه سبق من غيره الجرح له، كعكرمه مولى ابن عباس وإسماعيل بن أويس (وإلى آخر ما نقل عن ابن صلاح فى البخارى ومسلم، وما نقل عن الشيخ أحمد شاكر والشيخ محمد زاهد الكوثرى، فراجع كتاب الأضواء).

مثل الإمام جعفر بن محمد الصادق والإمامين الكاظم والرضا عليهم السلام.

والآن يحق لنا أن نتساءل: لماذا كان موقف بنى أمية وبنى العباس من أهل البيت هذا الموقف المخزى؟

وهل يمكن أن يكون الجواب غير أن أهل البيت ليس لهم من ذنب سوى أنهم وشيعتهم لم يدخلوا في حزب هؤلاء الجبابرة الذين قلبوا الإسلام، ولم يقبلوا أن يكونوا أعواناً لمثل يزيد ومروان وعبد الملك والوليد المتجاهر بالكفر، ومنصور وهارون والمتوكل وغيرهم، ولم يكونوا ليسكتوا على مظالمهم وجرائمهم فضلاً عن أن يشاركوهم فيها؟

وهل يمكن أن يكون لذلك من سبب غير أن هؤلاء الحكّام المجرمين لما رأوا أنهم لو أقروا أحاديث أهل البيت وأخذوا بمذاهبهم في الفقه لزال سلطانهم(1) ولم يبق لهم من نفوذ ولا سيطره على عباد الله تعالى، ولانكشف كافها.

ص: ٣٦٣

١- أخرج البلاذري في أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٨٤ قال مروان لعلى بن الحسين: ما كان أحد أكف عن صاحبنا من صاحبكم. قال: فلم تشتمونه على المنابر؟ قال: لا يستقيم لنا هذا إلا بهذا.

الأعيبيهم وانحرافاتهم عن الجاده المستقيمه ولما استطاعوا أن يلغوا بدماء المسلمين وينهبوا أموالهم ويهتكوا أعراضهم، ولما تمكنوا من استلاب بيت مال المسلمين وإنفاقه على أنفسهم وخاصتهم لبناء القصور وشراء الإماء والقينات والخوض فى اللهو واللعب وأنواع المعاصى وفنونه الخلماعه والدعاره والترف، وامتلاء ارجاء بيوتهم بأصوات المعازف، والتنعم بمطارف الحرير وألوان الأطعمه، ولقد حكى الكثير من مجالسهم المحرّمه التى كانوا يعقدونها لمعاقره أنواع الخمر.

كل ذلك والبلايد التى نكبت بحكمهم تعجّ بالجياع الذين كانوا بأمسّ الحاجه إلى ما يسدّ جوعهم ويدفع عنهم غائله الفاقه ويحفظهم عن الحر والبرد، فراجع كتب التاريخ حتى ترى الأعاجيب مما كان يحدث فى بلاط الملوك والخلفاء والأمراء.

هذا مختصر الكلام فى سبب إعراض الجمهور عن أحاديث أئمه العتره الطاهره، ومن هنا نشرع بعون الله تعالى فى المقصود. والله ولى التوفيق.

أجمع العقلاء كفافه على الأخذ والعمل بأخبار الثقات، واعتبارها حجه في مقام التعامل والخصومه. ولولا ذلك لما قامت لهم سوق ولاختل نظام أمورهم.

والشريعة الإسلامية قد قرّرت هذه الطريقة العقلانيه وأقرّتها، ولم تردع الناس عنها. وتبعاً لذلك استقر بناء المسلمين منذ عصر النبي صلى الله عليه وآله إلى زماننا هذا على رغم من رام إماله الناس عن التحدّث بأحاديث الرسول(1).

ص: ٣٦٥

١- ما حكى عن نهى الخليفين الأول والثاني عن روايه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّ أبا بكر حرق بالنار خمسمائه حديث جمعها من أحاديث الرسول، وأنّ عمر كان يتوقّف في خبر الواحد، واشتد في ذلك حتى قال لأبي موسى: لتأينني على ذلك بينه أو لأفعلن بك. وإنّه أمر بالتقليل في الروايه عن النبي، بل أنشد الناس، كما أخرج ابن سعد في الطبقات: ج ٥ ص ١٨٨ أن يأتوه بالأحاديث، فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها. وإنّ معاويه كان يقول: عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر، فإنّه كان قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله. لم يكن منهم هذا المنع الأكيد؛ لأنّهم لم يعرفوا حجبه أخبار الثقات من الشرع، والمسلمون كانوا يعملون بها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد سمعوا النبي بالخيف يقول: نَصْرَ الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. وقد منع أبو بكر السيّد الزهراء عليها السلام عن ميراث أبيها بروايه رواها عنه وماتت واجده عليه. بل السبب في ذلك وفي منعهم الرسول الأعظم عن كتابه وصيته، وقول من قال: (حسبنا كتاب الله وغلب عليه الوجد) أيضاً يرجع إلى سياسه الحكم، حتى لا- يتميّك بالأحاديث الكثيره الوارده في شأن علي عليه السلام من يرى أنّه الإمام والخليفه المنصوص غيره. أو يعتقد أقل من ذلك أحقيته من غيره. ولا ريب أنّ معاويه لم يقر ما كان في عهد الخليفه الثاني إلّا لذلك. صنّف الحافظ الشهير ابن عقده (ت ٣٣٢) كتاب أسماء «الرجال الذين رووا عن الإمام الصادق عليه السلام»، وقد أوصل عددهم إلى أربعة آلاف رجل، وأخرج فيه عن كل رجل حديثاً مما رواه. وله أيضاً كتاب من روى عن أمير المؤمنين ومسنده، وكتاب من روى عن الحسن والحسين، وكتاب من روى عن علي بن الحسين وأخباره، وكتاب من روى عن أبي جعفر محمد بن علي وأخباره، وكتاب من روى عن زيد بن علي ومسنده، وكتاب من روى عن فاطمه من أولادها، وكتاب الجهر بسم الله الرحمن الرحيم، وكتاب طرق حديث المنزله، وكتاب الولايه ومن روى يوم غدیر خم، وكتاب التاريخ، وهذا في ذكر من روى الحديث من الناس كلهم الشيعة وأهل السنه. والحافظ ابن عقده هو الذي ذكر في جامع الرواه أنّ الشيخ الطوسي قال: سمعت جماعة يحكون أنّه قال: أحفظ مائه وعشرين ألف حديث بأسانيدھا وأذاكر بثلاثمائه ألف حديث. قال الشيخ: أخبرني بجميع كتبه أحمد بن عبدون عن محمد بن أحمد بن الجنيد (راجع الفهرست للشيخ الطوسي، ورجال العلماء، والروضات، وغيرها من كتب التراجم والرجال).

والاحتجاج بخبر الثقات، حتى أنهم اعتبروا تحمل الحديث وحفظه ونقله من أعظم المناصب الدينية وأفضل القربات إلى الله سبحانه، ولذا أكرموا المحدثين

ص: ٣٦٦

غايه الا-كرام وأنزلوهم أحسن المنازل، وأسندوا إليهم الوظائف ومنحوهم الصلوات، حتى صارت مجالس املاء الحديث على كثرتها من أعظم المجالس اعتبارا وقدرًا ومنزله وشرفًا، وقد تنقل الكثير من الشيوخ الحديث ورجالات العلم فى الآفاق، وشدوا الرحال إلى كثير من البلاد لاستماع الحديث ونقله وتدوينه.

وكان فى طليعه شد الرحال إليهم لذلك من مختلف الآفاق هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، حتى زاد مجموع من نقل عنه على أربعة آلاف رجل كلهم يقول: حدثنى جعفر بن محمد (١).

ومما تقدم يعلم مدى المكانه العاليه والشأن الكبير اللذين كانا للحديث عند المسلمين، ولقد كان له على تنقله أحداث التاريخ التأثير الخطير فى نفوسهم وتوجيه أمورهم وأحوالهم وفى مسلكهم مع حكوماتهم، مما يعتبر العامل فى كثير من الأزمنه فى دعم الحكم وتأسيسه، وكذا التدخل فى الشؤون الاجتماعيه والاقتصاديه والعمرانيه وغيرها.

وقد اشتهر بحفظ الحديث جماعه كالبخارى ومسلم وابن ماجه والترمذى والنسائى وأبى داود ومالك وأحمد والبيهقى والطبرانى وابن عساكر والطيالسى والدارمى والحاكم وابن أبى شيبه والسيوطى وغيرهم من أهل السنه وأعلامهم.

وكمؤلفى الأصول الأربعمائه من أعلام القرن الثانى والثالث الهجرى، والكلينى صاحب الجامع المعروف بالكافى، والصدوق مؤلف من لا يحضره الفقيه، والشيخ الطوسى مؤلف كتابى التهذيب والاستبصار، والبحرانى صاحب كتاب العوالم، والمجلسى مؤلف كتاب بحار الأنوار، والفيض الكاشانى صاحب

كتاب الوافي، والحر العاملي مؤلف وسائل الشيعة، وغيرهم من الإماميه.

كما قد صنف علماء الفريقين كتباً كثيرة وأسفاراً ضخمة، سواء في معرفه الرجال والطبقات والتمييز بين المشتركات أم في معرفه الحديث وأقسامه وأنحاء تحمله، ما لو أردنا التكلم حولها لطال بنا المقام، إلّا أننا طلباً للاختصار نقتصر على ذكر شيء من مصنفات الشيعة في ذلك:

فمن مؤلفاتهم في الرجال (1): رجال الفضل بن شاذان (ت قبل ٢٦٠)، وطبقات الرجال لأحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ أو ٢٨٠)، ورجال الكشي من أعلام القرن الثالث الهجري الموسوم بمعرفه الناقلين عن الأئمة الصادقين، الذي اختصره الشيخ الطوسي وسماه «اختيار الرجال»، ورجال أبي علي المحاربي من أعلام القرن الثالث الهجري وقبلة، ورجال محمد بن أحمد بن داود بن علي (ت ٣٧٨) في الممدوحين والمذمومين، ورجال العقيقي من أعلام القرن الرابع الهجري، ورجال ابن عياش (ت ٤٠١)، ورجال ابن عبدون (ت ٤٢٣)، ورجال النجاشي (ت ٤٥٠)، ورجال الشيخ الطوسي والفهرست له (ت ٤٦٠)، ومعالم العلماء لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨)، ورجال ابن داود من أعلام القرن السابع الهجري، ورجال ابن طاووس (ت ٦٧٣)، وكتب الرجال للعلامة الحلّي (ت ٧٢٦): الخلاصه وإيضاح الاشتباه وكشف المقال، ورجال الأمير مصطفى التفريشي (ت ١٠١٥)، ومجمع الرجال للمولى عنايه الله الأصبهاني.

ص: ٣٦٨

١- قال في تأسيس الحاشيه الشيعة لعلوم السلام: ص ٢٣٣: أول من أسس علم الرجال وصنف فيه فهو أبو محمد عبد الله بن جبلة بن حيان بن البحر الكناني، ونقل عن فهرست أسماء المصنفين من الشيعة للنجاشي أنه مات سنه تسع عشره ومائتين.

ومعاصر التفريشى، وكتب الرجال للمحقق الأسترآبادى (ت ١٠٢٨) الثلاثة الكبير والوسيط والصغير، وكتاىى رجال السيّد على خان المدنى (ت ١١٢٠) المعروفين بسلافه العصر والدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة، ورجال العلامة المجلسى (ت ١١١١)، ورجال الشيخ سليمان البحرانى الماحوزى (ت ١١٢١)، والرجال الموسوم برياض العلماء لميرزا عبد الله أفندى الأصبهانى (ت حدود ١١٣٠)، ورجال الشيخ أبى على الحائرى (ت ١١٥٩)، وأعيان الشيعة للسيّد محسن الأيمن العاملى، وغيرها مما يطول الكلام بسرد أسمائها.

ومن الكتب المصنّفه لتمييز المشتركات: كتاب تمييز المشتركات للمولى محمد أمين الكاظمى من أعلام القرن الحادى عشر الهجرى، وكتاب جامع الرواه للأردبيلى (ت ١١٠١) وغيرهما.

ونذكر من الكتب المؤلّفه فى الطبقات: كتاب سيّدنا وأستاذنا زعيم الشيعة الإمام السيّد حسين الطباطبائى البروجردى (ت ١٣٨٠) أعلى الله فى القدس درجته ودرجه جميع العلماء العالمين.

وجوب العمل بالأحاديث المخرّجه في أصول الشيعة و جوامعهم المعتبره

عرفت أنّ العمل والاحتجاج بأخبار الثقات مما اتفق العقل والنقل على صحته، فالواجب الأخذ بخبر الثقة الممدوح بالأمانه والوثاقه، سواء كان من الشيعة أو من أهل السنه. كما أنّه لا ينبغي الأخذ والاتكال على أخبار الكذّابين والوضّاعين والمجهولين والمنافقين من أيّ فرقه كانوا.

فالإعراض عن الروايات المخرّجه في جوامع الشيعة المنقوله إليهم عن أئمتهم بسندهم المتصل إلى جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ينافى ما استقر عليه بناء العقلاء ودلّت عليه الأدلّه السمعيه.

فإنّ الأمانه والإخلاص يحتمان على كل باحث في الفقه استنباط الأحكام من الروايات المعتبره المخرّجه في كتب الفريقين، وأن لا يقتصر في ذلك على أحاديث طائفه دون أخرى، فلا يجوز له ترك هذا العلم الكثير في أبواب المعارف الإسلاميه من الفقه والعقائد والأخلاق والآداب والتفسير والاحتجاج.

ومن جهه أخرى، فإنّه يظهر لكل مطلع على كتبهم الرجاليه سعه تحقيقاتهم في التعرّف على أحوال الرجال، وأنهم أشدّ من غيرهم بكثير في الاعتماد على الممدوحين بالوثاقه والعداله، كما يظهر لكل باحث في كتبهم الفقيهيه شده تورّعهم في الفتيا واحتياطهم في استنباط الأحكام وملاحظه خصوصيات الأحاديث من السند والمتن وموافقها الكُتّاب، واجتنابهم الشديد عن القول بغير علم، واستنادهم في الجرح والتعديل ومعرفه رجال الحديث إلى أقوال أكابر علمائهم الذين لم يقدح فيهم قادح، واتفقت الكلمه على جلاله قدرهم وصدقهم وورعهم.

وأما الرجاليون من إخواننا أهل السنه وإن كان فضلهم أيضاً لا ينكر في المسائل الرجاليه لأنّ لهم في هذا العلم دراسات لا يستغنى الباحث في الرجال والحديث عنها، غير أنّ بعض علمائهم في الجرح والتعديل مطعون عندهم بشيء من الهوى والحسد والعداوه والتدليس وغيرها، حتى أنّ ابن معين يتّهم أحمد بن حنبل بالكذب(١).

وذكر الشيخ الصالح المقبل في كتابه (العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشائخ) أنّ أحمد لما تكلم في مسأله خلق القرآن وابتلى بسببها جعلها عدل التوحيد أو زاد، حتى أنّه بلغه أنّ محمد بن هارون قال لإسماعيل بن عليه:

يا بن الفاعله! قلت القرآن مخلوق أو نحو هذه العبارة. قال أحمد: لعلّ الله يغفر له يعني محمد بن هارون، وكان إسماعيل بن عليه أحق أن يرجو له أحمد... إلخ(٢).٠

ص: ٣٧١

١- تهذيب التهذيب ٧/٣٤٧.

٢- أضواء على السنه المحمديه ص ٢٩٠.

وقال المقبلي: نجد أحدهم ينتقل من مذهب إلى آخر بسبب شيخ أو دوله أو غير ذلك من الأسباب الدنيويه والعصبيه الطبيعیه، كما رووا أنّ ابن الحكم أراد مجلس الشافعي بعد موته، فقيل له: قال الشافعي الربيع أحق بمجلسي، فغضب وتمذهب لمالك وصنّف كتاباً سمّاه (الرد على محمد بن إدريس فيما خالف فيه الكتاب والسنة)(١).

وتكلّموا في علي بن المديني لما أجاب في الفتنة، والذابون عنه لم يجدوا من الذبّ إلّا أنّه قال: من قال: إنّ القرآن مخلوق فقد كفر، ومن قال: إنّ الله لا يرى فقد كفر، فإن صحّ عنه ذلك فقد كفر مثل عائشه ومن وافقها من الصحابه والتابعين على نفي الرؤيه(٢).

وقال يحيى بن معين: كان عمرو بن عبيد دهرياً، قيل: وما الدهري؟ قال:

يقول لا شيء، وما كان عمرو هكذا. وقال يحيى بن معين في عتبه بن سعيد بن عاص ثقه، وهو جليس الحجاج.

وروى البخاري لمروان بن الحكم الذي رمى طلحه وهو في جيشه والمتسبب لخروجه على علي عليه السلام وفعل كل طامه.

وقال ابن حجر العسقلاني في ترجمه مروان: إذا ثبتت صحبته لم يؤثر الطعن فيه، كأنّ الصحبه نبوه أو أنّ الصحابي معصوم(٣). ٢.

ص: ٣٧٢

١- أضواء على السنه المحمدية: ص ٢٨٩.

٢- أضواء على السنه المحمدية: ص ٢٩٢. راجع فيما طعنوا فيه وان أحمد كذبه، تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣٥٤-٣٥٧.

٣- أضواء على السنه المحمدية: ص ٢٩٢.

وقال ابن معين: إن مالكا لم يكن صاحب حديث بل كان صاحب رأى.

وقال الليث بن سعد: أحصيت على مالك سبعين مسأله وكلها مخالفه لسنة الرسول صلى الله عليه وآله (١).

وقال أحمد أمين: إن بعض الرجال الذى روى لهم البخارى غير ثقاة، وضعف الحفاظ من رجال البخارى نحو الثمانين (٢).

وكان الحفاظ أبو زرعه الرازى يذم وضع كتاب صحيح مسلم فى كلام طويل (٣).

ويطول بنا الكلام لو سردناه فى سائر الصحاح وما قالوا فيها، وقد حكموا على مثل ابن حبان بالزندقة، وطعنوا فى ابن حزم بأنه ينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء ما لم يقولوا. وكان مع كل ما طعنوا فيه متشيعاً لأمرأى بنى أمية ماضيهم وباقيهم، ويعتقد صحه إمامتهم (٤).

ونحو ذلك قال المقبلى فى ابن حزم، فوصفه بأنه كان يتكلف الغمز فى أهله.

ص: ٣٧٣

١- أضواء على السنة المحمديه: ص ٢٤٦. كان مالك من علماء الدوله والحكومه، فروى الشافعى أن المنصور بعث إلى مالك لما قدم المدينه وقال له: إن الناس قد اختلفوا فى العراق فصنع للناس كتاباً يجمعهم عليه (الأضواء: ص ٢٤٦). ولا ريب أن المنصور لم يرد بذلك إلا القضاء على المذاهب والأحاديث التى ترد سياسته وسيرته، فما ظنك بكتاب صنف فى تلك الظروف والأحوال؟.

٢- أضواء على السنة المحمديه: ص ٢٥٠.

٣- أضواء على السنة المحمديه: ص ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٢.

٤- راجع: ترجمه ابن حزم وابن حبان فى تذكره الحفاظ.

البيت عليهم السلام، ويعمى عن مناقبهم ويحايى بنى أميه سيما المروانيه(١)، وحكى عن طبقات الشافعيه: والذي أدركنا عليه المشايخ النهى عن النظر فى كلامه وعدم اعتبار قوله.

وقالوا فى أبى حنيفه: كان لا يعمل بالحديث حتى وضع أبو بكر ابن أبى شييبه فى كتابه (المصنف) باباً للردّ عليه ترجمه (باب الرد على أبى حنيفه)، وقال ابن عدى: إنّه لم يرو إلا ثلاثمائة حديث، بل قال ابن خلدون فى مقدّمته: يقال إنّه إنّما بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثاً أو نحوها إلى خمسين(٢).

وحكموا على جمع من المحدثين بأنّ لهم تعنّت فى جرح الأحاديث بجرح روايتها، منهم ابن الجوزى، وعمر بن بدر الموصلى، والرضى الصغانى، والجوزقانى، وابن تيميه الحرّانى مؤلّف منهاج السنّه، وأبو حاتم، والنسائى، وابن معين، وابن حبان وغيرهم(٣).

وكثيرا ما جرحوا من تعصّب أو عداوه أو منافره، ومثّلوا لذلك جرح مالك محمد بن إسحاق، وقدح النسائى فى أحمد بن صالح المصرى، وقدح الثورى فى أبى حنيفه، وقدح ابن معين فى الشافعى، وأحمد فى الحارث المحاسبى، وابند.

ص: ٣٧٤

١- أضواء على السنه المحمديه: ص ٢٩١.

٢- الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل: ص ٥٨ (المتن والتعليق).

٣- الرفع والتكميل: ص ١٧٦-٢٠٠ وقال: فكم من حديث قوى حكموا عليه بالضعف (إلى أن قال:): فالواجب على العالم ألاّ يبادر إلى قبول أقوالهم بدون تنقيح أحكامهم، ومن قلّدهم من دون الانتقاد ضلّ وأوقع العوام فى الإفساد.

منده فى أبى نعيم الأصبهانى (١).

واحتجوا على جرح الرواه أو تعديلهم بما ليس بحجه، فمن الحجه لهم فى ذلك ما ساقه الخطيب فى الكفايه ص ٩٩ بسنده عن يعقوب النسوى أنه قال فى (تاريخه): سمعت إنساناً يقول لأحمد بن يونس: عبد الله العمرى ضعيف؟ قال:

إنما يضعفه رافضى مبغض لآبائه، ولو رأيت لحيته وخضابه وهيئته لعرفت أنه ثقه. قال الخطيب: فاحتج أحمد بن يونس على أن عبد الله العمرى ثقه بما ليس بحجه؛ لأن حسن الهيئه مما يشترك فيه العدل والمجروح (٢).

وقد رد ابن تيميه الحرانى فى كتابه منهاج السنه كثيراً من الأحاديث الجياد، حتى قال ابن حجر فى حقه: وكم من مبالغه لتوهين كلام الرافضى (يعنى العلامه الحلّى) أدته إلى تنقيص على رضى الله عنه (٣).

واتهموا فقهاء أهل الرأى، فقال أبو العباس القرطبى صاحب كتاب المفهم شرح صحيح مسلم: استجاز بعض فقهاء أهل الرأى نسبه الحكم الذى دلّ عليه القياس الجلىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسبه قوليه، فيقولون فى ذلك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، ولهذا ترى كتبهم مشحونه .

ص: ٣٧٥

١- الرفع والتكميل: ص ٢٥٩-٢٦٨، لسان الميزان: ج ١ ص ١٦ و ٧٠ و ٧١ الرقم ٦٥، وراجع فى ذلك ما قاله البيهقى فى الطحاوى وما قيل فى البيهقى فى ذلك لسان الميزان: ج ١ ص ٢٧٧-٢٧٨.

٢- الرفع والتكميل: ص ٢٠٠.

٣- لسان الميزان: ج ٦ ص ٣١٩-٣٢٠.

بأحاديث تشهد متونها بأنها موضوعة... إلخ (١).

وأخرج ابن أبي حاتم في ترجمه إسحاق بن نجیح الملطى عن ابن أحمد قال: سمعت أبى يقول: إسحاق بن نجیح الملطى من أكذب الناس، يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله برأى أبى حنيفه (٢).

وقد جهل ابن حزم جماعه من المشهورين، كالترمذى والبغوى وابن ماجه وغيرهم (٣).

وتراهم تركوا روايه من فيه بزعمهم الرفض الكامل والغلو فيه والحط على أبى بكر وعمر والدعاء إلى ذلك، بل من كان فيه شيئاً من التشيع، حتى عدّ السيوطى من قرائن الوضع كون الراوى رافضياً والحديث فى فضائل أهل البيت (٤).

مع أنّ العبره فى الروايه بصدق الراوى وتحزّزه عن الكذب ووثاقته وحصول الإطمئنان بنقله، والمتشبع فى كتب التواريخ والرجال يعرف أنّ الموصوف بهذه الصفات فى الشيعة وأتباع أهل البيت وخريجي مدرستهم لو لم يكن بأكثر منهم فى سائر الفرق ليس بأقل من غيرهم.

وليت شعرى كيف جؤزوا ترك رواياتهم لمكان ما ذكروا لهم من العقيدة ١.

ص: ٣٧٦

١- الباعث الحثيث: ص ٨٥.

٢- الجرح والتعديل: ج ١ ص ٢٣٥.

٣- الرفع والتكميل: ص ١٨٣-١٨٥.

٤- الباعث الحثيث: ص ٨٣ و ص ١٠١.

التي أدى اجتهادهم إليها، فعدّوا ذلك جرحاً لرجال الشيعة والمتمسّكين بأهل البيت، في حين أنّهم يأخذون بروايات من يبغض على بن أبي طالب والزهراء والسبطين عليهم السلام ومن حاربهم وسبّهم، فإذا كان الحطّ على أبي بكر وعمر جرحاً في الراوى كيف لا يكون بغض على ومحاربتة وسبّه جرحاً فيه؟

ليس من جانب العقل أو السمع ما يدلّ على صحه هذا الأساس غير أنّهم رأوا عدم إمكان الجمع بين الأخذ بفقّه أهل البيت ورواياتهم وفقه غيرهم، ورأوا أنّ القول بترك أقوال مبغضى أهل البيت ممن تعرف أحوال بعضهم فيما يأتى والأخذ بروايات الشيعة يضطرهم إلى اعتناق مذهب أهل البيت، وترك المذاهب الحكوميه التي أيدتها السياسات طوال القرون. اتهموا الشيعة بما هم بريئون منه، فحكموا على كل من كان فيه الرفض الكامل والتشيع لأهل البيت بأنّ الكذب شعارهم والنفاق دثارهم. والله يعلم أنّ أيّ الفريقين أولى بالكذب والنفاق.

فمبغضو أهل البيت وسابّوهم ومن حاربهم وقتلهم بزعمهم هم الصادقون المخلصون البريئون من الكذب والنفاق وهم أهل السنه، وأنّ حكم رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم بالنفاق والمروق من الدين وغير ذلك، فإنّنا لله وإنّا إليه راجعون.

ولا يخفى عليك أنّ اتّهامهم هذا يرد بما شرطوا أيضاً في قبول الجرح بأنّه إذا كان لعداوه أو لمذهب لا يعتدّ به (١).

ثم إنّهم قد احتجّوا بروايات كثير من المجهولين والنصاب والخوارج ومن ٩.

ص: ٣٧٧

١- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: ص ٢٥٩ وص ٢٦٩.

طعن فيه بالكذب ونحوه، حتى حُكى عن الذهبي وابن حجر في كتابيهما (الميزان) و (تهذيب التهذيب) أنّ البخاري احتجّ بجماعه في صحيحه مع أنّه ضعّفهم بنفسه(1).

وحُكى عن الميزان في ترجمه إسرائيل بن يونس: أنّ يحيى بن سعيد القطّان قال: لو لم أرو إلّاعمن أرضى ما رويت إلّاعن خمسه.

وقد جمعت بعض ما قاله علماء الجرح والتعديل في بعض الرجال من شيوخ السنه أو بعضهم، وطعنوا فيه مثل قولهم: (كذاب، أو متهم بالكذب، أو متروك، أو هالك، أو لا يكتب حديثه، أو ضعيف جداً، أو مجمع على ضعفه، أو ذاهب الحديث، أو متهم في الإسلام، أو لص يسرق الحديث، أو أكذب الناس، أو يضع الحديث) أو غير ذلك، نشير هنا إلى أسمائهم، ومن طلب التفصيل فعليه بمراجعته تراجمهم في تهذيب التهذيب وغيره من كتب الرجال. فمنهم:).

ص: ٣٧٨

١- استوفى الكلام في هذه الجهات الشيخ العلامة محمد الحسن المظفر في كتابه: دلائل الصدق: ص ٤٧١ ح ١، وسبقه في بعض تلك الجهات الشيخ أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري (أحد أعلام القرن الرابع الهجري) في كتابه المسترشد، وذكر أيضاً العلامة الكبير السيّد مير حامد حسين (ت ١٣٠٦) في كتابه استقصاء الأفعال المجلد الأول والثاني، من المنهج الثاني من أكابر أهل السنه ورواتهم ومفسريهم وعلمائهم وأرباب الصحاح السنّ جماعه من المطعونين عندهم بالكذب والوهم والضعف والعقائد الباطله والأعمال السيئه، ويأيراد الحديث ناقصاً مبتراً والروايه عن الكذّابين. وممن أدّى حق الكلام في هذه الجهات، وأوضح حال الصحاح السنّ والمسانيد والاختلافات في نسخها وما قيل في جرح رواتها وأسرد الكلام حول عداله الصحابه وناقش في كل ذلك بالطريقه الفنيه العلميه هو الأستاذ محمود أبو ريه في كتابه (أضواء على السنه المحمديه).

١ أزهر الحرازي الحمصي (١).

٢ إسحاق بن عبد الله بن أبي فروه.

٣ أحمد بن عيسى بن حصان المصري.

٤ إسرائيل بن يونس.

٥ إسماعيل بن سميع الكوفي البيهسي الخارجي.

٦ إسماعيل بن عبد الله الأصبحي (٢).

٧ إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني (٣).

ص: ٣٧٩

١- من رجال أبي داود، والترمذي، والنسائي، والبخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه، كان يسب علياً عليه السلام وقال: كنت في الخيل الذين سبوا أنس بن مالك، فأتينا به الحجاج. وأزهر هذا وأسد ابن وداعه وجماعه كانوا يجلسون ويسبون علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان ثور (ثور بن يزيد الكلاعي) لا يسبه، فإذا لم يسب جرّوا برجله، ومع ذلك أخذوا منه الحديث واعتمدوا عليه في أمر دينهم بل وثقه البجلي. فإذا كان مثل هذا من مبغضى أمير المؤمنين وأعوان الحجاج على مظالمه ثقه، فمن الذى ليس بثقه؟ والعجب ممن يحتج بحديثه ويترك حديث أبي حمزه الثمالي لتشيّعه، ولأين في صحيفته حديث سوء في عثمان، أو يترك حديث ثعلبه بن يزيد الحماني الكوفي عن علي عليه السلام لتشيّعه (تهذيب التهذيب: ج ١ ص ٢٠٣ و ص ٢٠٤، و ج ٢ ص ٧ و ٨ و ٢٦ و ٣٤).

٢- هو من شيوخ البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأبي داود، مطعون بالسرقة والارتشاء وبقوله: ربّما كنت أضع الحديث... إلخ.

٣- من رجال أبي داود والنسائي وابن ماجه والترمذي، قال ابن حبان: كان حرورى المذهب، وكان صلباً في السنه إلّا أنّه من صلابته ربّما يتعدّى طوره. أقول: أظنه أراد بكونه صلباً في السنه، إنّ كان شديد الميل كما قال ابن عدى إلى مذهب أهل دمشق في الميل على علي عليه السلام. وقال الدارقطني: فيه انحراف عن علي عليه السلام، ثم ذكر اجتماع أصحاب الحديث على بابته وتداول جاريته على مقام أمير المؤمنين. فاعرف أصحاب الحديث المتصلّيين في السنه عندهم، وأعجب من ذلك كون هذا الناصب من أئمتهم في الجرح والتعديل، وإكرام أحمد بن حنبل له إكراماً شديداً.

٨ بسر بن أرطأه(١).

٩ بشر بن رافع الحارثي.

١٠ بقيه بن الوليد.

١١ جعفر بن الزبير الدمشقي.

١٢ حريز بن عثمان الرحبي الحمصي الناصبي(٢).

١٣ حجاج بن يوسف بن حجاج الثقفي.

١٤ حصام بن مسك الأزدي.٢.

ص: ٣٨٠

-
- ١- هو من شيوخ أبي داود والترمذي والنسائي، وأمره في الأعمال السيئه وقتل الشيوخ وذبح الأطفال ونهب أموال المسلمين وسبى نسائهم أشهر من أن يذكر. فراجع ترجمته في الاستيعاب، وتهذيب التهذيب، ومروج الذهب، وأنساب الأشراف، والكامل لابن الأثير. واقض العجب عمن يأخذ منه الحديث ويحتج بروايته ويترك أحاديث العتره الطاهره.
- ٢- بغضه لعلى وأهل البيت عليهم السلام مشهور مقطوع به، وهو الذى قال: هذا الذى يرويه الناس... وهو الذى لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مره. وهذا المنافق من رجال السته غير مسلم. راجع ترجمته فى العتب الجميل: ص ١٠٨-١١٢.

١٥ حصين بن نمير الواسطي (١).

١٦ خالد بن سلمه المخزومي (٢).

١٧ خالد بن عرفطه (٣).

١٨ خالد بن عبد الله بن يزيد القسري (٤).

١٩ خالد بن عمرو الأموي السعدي.

٢٠ خيثم بن عراك.

٢١ داود بن الزبرقان الرقاشي.

٢٢ زهير بن محمد التميمي المروزي.

٢٣ زهير بن معاوية. ٤.

ص: ٣٨١

١- مطعون بأنه يحمل على علي عليه السلام، وهو من شيوخ البخاري والترمذي والنسائي.

٢- مطعون بكونه من المرجئه وبغض علي عليه السلام، وذكر ابن عائشه أنه كان ينشد بني مروان الأشعار التي هجى بها المصطفى صلى الله عليه وآله، وهو مع ذلك من شيوخ الستة غير البخاري ومن شيوخه في الأدب المفرد. قال في العتب الجميل: ص ١١٣: هنيئاً لهم بهذا الإمام الثقة القدوه يوم يُدعى الناس بإمامهم، وإني أقطع بأن من كان ينشد ما هجى به أبو بكر وعمر مثلاً للرافضه لا يختلف إثنان منهم في فسقه ولعنه ورد مروياته، فيا للعار! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣- هو الخارج على الحسين عليه السلام، ومن رجال النسائي وأبي داود.

٤- كان رجل سوء يقع في علي عليه السلام، وكان والياً لبني أميه، له أخبار شهيره وأقوال فظيحه، ذكرها ابن جرير والمبرد وأبو الفرج وغيرهم، لا يصدر عن من كان في قلبه شيء من الشعور الإنساني، وهو من رجال أبي داود والبخاري في جزء القراءه خلف الإمام. راجع ترجمه خالد القسري في العتب الجميل: ص ١١٣-١١٤.

٢٤ أبو خيثمه الكوفى الجعفى (١).

٢٥ زياد بن جبير حبه الجعفى (٢).

٢٦ زياد بن علاقہ الثعلبى (٣).

٢٧ سفيان بن سعيد الثورى.

٢٨ سليمان بن داود أبو داود الطيالسى (صاحب المسند).

٢٩ سهيل بن أبى صالح.

٣٠ شبابه بن سوار المدائنى (٤).

٣١ شبت بن ربيعى التميمى اليربوعى (٥).

ص: ٣٨٢

١- من رجال الستة، كان ممن يحرس خشبه زيد بن على لما صلب.

٢- من رجال الستة، روى ابن أبى شيبه من طريق عبد الرحمن بن أبى نعيم قال: كان زياد بن جبير يقع فى الحسن والحسين عليهما السلام، فقلت له: يا أبا محمد، إن أبا سعيد حدثنى عن النبى صلى الله عليه وآله قال: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنه.

٣- كان سىء المذهب منحرفاً عن أهل البيت، وهو من شيوخ الستة.

٤- قال أحمد: تركته للإرجاء، وقال أبو بكر محمد بن أحمد بن أبى الثلج: حدثنى أبو على السختى المدائنى، حدثنى رجل معروف من أهل المدائن، قال: رأيت فى المنام رجلاً نظيف الثوب حسن الهيئه فقال لى: من أنت؟ قلت: من أهل المدائن الذى فيه شبابه. قال: فإننى أدعو الله فأمن على دعائى: (اللهم إن كان شبابه يبغض أهل بيت نبيك فاضربه الساعه بفالج). قال: فانتبهت وجئت إلى المدائن وقت الظهر وإذا الناس فى هرج، فقلت: ما للناس؟ فقالوا: فلج شبابه فى السحر ومات فى الساعه. وهذا الناصبى المنافق من رجال الستة.

٥- قال شبت: أنا أول من حر الحروريه، وقال العجلي: كان أول من أعان على عثمان وأعان على قتل الحسين. وقال الدارقطنى: يقال إنّه كان مؤذّن سجاح وكان من الخوارج، وهو من شيوخ أبى داود والنسائى.

٣٢ صالح بن حسان النضرى.

٣٣ طارق بن عمرو المكى، مولى عثمان (١).

٣٤ عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب.

٣٥ عبد الله بن ذكوان.

٣٦ عبد الله بن زيد العدوى.

٣٧ عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم.

٣٨ عبد الله بن شفيق العقيلي (٢).

٣٩ عبد الله بن طاووس بن كيسان اليماني (٣).

٤٠ عبد الرحمن بن آدم البصرى (٤).

٤١، ٤٢ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم وأبوه.د.

ص: ٣٨٣

-
- ١- كان طارق من ولده الجور، قال عمر بن عبد العزيز لما ذكره والحجاج وقره بن شريك، وكانوا إذ ذاك ولده الأمصار: امتلأت الأرض جوراً. وذكر الواقدي: إنه قتل بخيبر ستمائه، وهو من شيوخ مسلم وأبى داود.
 - ٢- كان يحمل على على عليه السلام ويغضه، ومع ذلك يقول ابن خيثمه عن ابن معين: ثقه من خيار المسلمين، وهو من شيوخ مسلم والأربعة والبخارى فى الأدب المفرد.
 - ٣- كان كثير الحمل على أهل البيت، وكان على خاتم سليمان بن عبد الملك، وهو من شيوخ الستة.
 - ٤- كان من عمّال عبيد الله بن زياد، ولم يكن له أب يعرف، وهو من رجال مسلم وأبى داود.

٤٣ عبد العزيز بن المختار الدباغ البصرى.

٤٤ عبد الكريم بن أبى المخارق.

٤٥ عبد الملك بن عمير اللخمى.

٤٦ عبد الملك بن مروان.

٤٧ عبد الوهاب بن عطاء الخفاف.

٤٨ عثمان بن حيان الدمشقى.

٤٩ عثمان بن عاصم بن حصين.

٥٠ عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبى وقاص.

٥١ عثمان بن عبد الرحمن الحرّانى.

٥٢ عكرمه البربرى، المطعون بطعون كثيره.

٥٣ على بن طبيان (ظبيان).

٥٤ على بن عاصم.

٥٥ عمر بن على بن عطاء المقدمى البصرى.

٥٦ عمر بن سعد بن أبى وقاص (١).ى.

ص: ٣٨٤

١- قال العجلى هو تابعى ثقه، وقال ابن خيثمه عن ابن معين: كيف يكون من قتل الحسين ثقه؟ قال عمرو بن على: سمعت يحيى بن سعيد يقول: حدثنا إسماعيل حدثنا العيزار عن عمر بن سعد فقال له موسى - رجل من بنى ضبيه -: يا أبا سعيد، هذا قاتل حسين؟ فسكت، فقال له: عن قاتل الحسين تحدّثنا فسكت. وروى ابن خراش عن عمرو بن على نحو ذلك، وقال: فقال له رجل: إنّنا نخاف الله تروى عن عمر بن سعد، فبكى وقال: لا- أعود. وقال الحميدى: حدثنا سفيان عن سالم قال: قال عمر بن سعد للحسين: إنّ قوماً من السفهاء يزعمون أنّى أقتلك، فقال الحسين: ليسوا سفهاء، ثم قال: والله إنّك لا تأكل من بر العراق بعدى إلّ قليلاً. وعمر بن سعد هذا من شيوخ النسائى.

٥٧ عمرو بن سعيد العاص الأموي (١).

٥٨ عمرو بن عبد الله بن الأسوار اليماني.

٥٩ عمران بن حطان الخارجي (٢).

٦٠ عمير بن هاني (٣).هـ.

ص: ٣٨٥

١- هو الذي قال على المنبر بعد قتل الحسين عليه السلام مخاطباً لرسول الله صلى الله عليه وآله: ثار بثارات، ورعف على منبر رسول الله حتى سال رعافه. وعن أبي هريره قال: سمعت رسول الله يقول: ليرعفن على منبري جبار من جبابره بنى أميه فيسيل رعافه (مجمع الزوائد: ج ٥ ص ٢٤٠)، وولى المدينة لمعاويه ويزيد، وضرب أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله خمسمائه سوط ليقول: أنا مولاكم، وهو الذي هدم حين سمع قتل الحسين عليه السلام دار على عليه السلام ودار عقيل ودار زوجه الحسين، كما حكى عن ابن فندق البيهقي (ت ٥٦٥ هـ) فى لباب الأنساب، وقتله عبد الملك غدرًا، وهو من رجال مسلم والترمذى وابن ماجه وأبى داود فى المراسيل.

٢- هو الخارجي الذي مدح ابن ملجم بأبياته المشهوره، وهو من شيوخ البخارى وأبى داود والنسائى، وإن شئت أن تعرف قليلا من مخازيه فراجع العتب الجميل ص ١٢٤-١٢١.

٣- كان والياً من قبل الحجاج على الكوفه، وهو القائل على المنبر حين بويع ليزيد بن عبد الملك: سارعوا إلى هذه البيعه، إنما هما هجرتان هجره إلى رسول الله وهجره إلى يزيد، وهو من شيوخ الستة.

٦١ عنبسه بن خالد الأموى (١).

٦٢ عنبسه بن سعيد الأموى (٢).

٦٣ فائد بن عبد الرحمن.

٦٤ فليح بن سليمان المدنى (٣).

٦٥ قتاده بن دعامة.

٦٦ قيس بن أبى حازم، واسمه حصين بن عوف، ويقال: عوف بن الحارث (٤).

٦٧ كثير بن عبد الله المزنى المدنى.

٦٨ لمازه بن زبار البصرى (٥).

٦٩ مجاهد بن جبر المكى. هـ.

ص: ٣٨٦

١- قال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل: ج ٣ ص ٤٠٢: سألت أبى عنبسه بن خالد فقال: كان على خراج مصر، وكان يعلق النساء بالشدى، وهو من شيوخ البخارى وأبى داود. قال فى العتب الجميل: ص ١٠٠: حرى بمن يعمل هذه الوحشية التى ذكرها أبو حاتم أن يكون...

٢- كان جليس الحجّاج، وقال الزبير: كان انقطاعه إلى الحجّاج. وهو من شيوخ البخارى ومسلم وأبى داود.

٣- قال الطبرى: ولّاه المنصور على الصدقات لأنه أشار عليه بحبس بنى الحسن. وهو من رجال الستة.

٤- كان يحمل على على عليه السلام، وهو من شيوخ الستة.

٥- كان من أعداء على عليه السلام ويشتمه ويسبه، وهو من شيوخ أبى داود والترمذى وابن ماجه.

٧٠ محمد بن أشعث بن قيس الكندي (١).

٧١ محمد بن بشار.

٧٢ محمد بن جابر السحيمي.

٧٣ محمد بن حميد الرازي.

٧٤ محمد بن خازم الضرير الكوفي.

٧٥ محمد بن زياد الألهاني (٢).

٧٦ محمد بن سعيد المصلوب.

٧٧ محمد بن عبد الله بن علاثة.

٧٨ محمد بن كثير الصنعاني.

٧٩ محمد بن مسلم بن تدرس، أبو الزبير المكي.

٨٠ محمد بن الفضيل بن عطيه العبسي.

٨١ مروان بن الحكم (٣). جل

ص: ٣٨٧

-
- ١- الذي حضر قتل الحسين عليه السلام وأعان عليه، وهو من شيوخ أبي داود والنسائي.
 - ٢- اشتهر عنه النصب كحريز بن عثمان، وهو من شيوخ الأربعة والبخاري في الأدب المفرد.
 - ٣- سوء حاله معروف، ومثاله مشهوره، قتل طلحه، وله القدح المعلى في إثارة الفتنة في أيام عثمان. قال العلامة المصلح الحضرمي في العتب الجميل: ص ١٠١ بعدما ذكر قليلاً من أعمال مروان، وأن النبي صلى الله عليه وآله قال فيه، (هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون) فتعديل مثل مروان تفريط واضح. ومما يحير منه العاقل المتدين روايه البخاري عن مروان وأشباهه وترفعه عن الروايه عن وارث علوم النبي جعفر الصادق، والله قول القائل: وحيث تركنا أعالي الرؤوسنزلنا إلى أسفل الأرجل

٨٢ معاويه بن خديج (١).

٨٣ معاويه بن أبي سفيان (٢).

٨٤ نجيح السندی.

٨٥ نعيم بن أبي هند الكوفی.

٨٦ المغيره بن شعبه (٣).

٨٧ مهلب بن أبي صفرة (٤).

٨٨ نعيم بن أبي هند الكوفی.

٨٩ هشام بن حسان.

٩٠ هشام بن عمار، خطيب دمشق.

٩١ هشيم بن بشيرى.

ص: ٣٨٨

١- هو قاتل محمد بن أبي بكر، والقائل له: قتلت ثمانين من قومي في دم عثمان، والله تعالى يقول: «النفس بالنفس»، وهو من شيوخ البخارى فى الأدب المفرد وابن ماجه والنسائى وأبى داود.

٢- يراجع كتب التاريخ: كالكامل، وتاريخ صفيين، وكتاب معاويه بن أبي سفيان فى الميزان للعقاد، والنصائح الكافيه لابن عقيل، وهو من شيوخ الستة.

٣- يعرفه كل من سبر تاريخ الإسلام، وهو مع ما اقترف من المآثم من شيوخ الستة.

٤- الوالى من قبل الحجاج على خراسان، وهو من رجال أبى داود والترمذى والنسائى.

٩٢ الوليد بن مسلم الدمشقي.

٩٣ الوليد بن عقبه بن أبي معيط(١).

٩٤ يحيى بن أكتثم القاضي.

٩٥ يحيى بن العلاء البجلي.

٩٦ يزيد الرقاشي.

٩٧ يزيد بن أبي كبشه السكسكي، خليفه الحجاج على الخراج ووالي العراقين.

٩٨ يزيد بن معاويه بن أبي سفيان(٢).

٩٩ يزيد الرشك(٣).

١٠٠ أبو بكر بن أبي موسى الأشعري(٤).

وغيرهم ممن يقف عليهم الباحث في الرجال، وهؤلاء ونظراؤهم كلهمه.

ص: ٣٨٩

-
- ١- الذي نزل فيه قوله تعالى: ان جاءكم فاسق بنبأ سورہ الحجرات: الآية ٦، وخبر صلواته بهم وهو سكران، وقوله: (أزيدكم) بعد أن صلي الصبح أربعاً، مشهور من حديث الثقات، وله أخبار فيها نكاره وشناعه، وهو من شيوخ أبي داود.
 - ٢- هو من شيوخ أبي داود في المراسيل، فإننا لله وإننا إليه راجعون.
 - ٣- كان من اتباع الحجاج، وهو الذي نقل عنه ابن الجوزي في كشف النقاب، قالوا: دخلت عقرب في لحيته فمكثت فيها ثلاثه أيام ولم يعلم بها، وهو من شيوخ الستة.
 - ٤- كان يذهب مذهب أهل الشام، جاءه أبو غاديه الجهني قاتل عمّار، فأجلسه إلى جنبه وقال مرحباً بأخي، وهو من شيوخ الستة.

مطعونون كما ذكرنا، إما بالكذب، أو بوضع الحديث، أو بالضعف، أو ليس بشيء، أو كذاب، أو لا تجوز الروايه عنه، أو ليس بثقه، أو بالتدليس، أو يروى الموضوعات، أو متروك، أو مجمع على ضعفه، أو بالسرقه، أو شرب الخمر، أو عامه حديثه كذب، وغيرها من الطعون التي ذكروا، وفي غيرهم في كتب الرجال مثل تهذيب التهذيب.

وما ذكرنا من أسماء شيوخ الحديث ليس إلّا غيظ من فيض، إلّا أنّه يظهر لك مما تقدم أنّه لا عذر لمن يتمسك بأحاديث المنافقين والنصاب والمرجئه والمعروفين بالفسق والكذب والظلم الفاحش والدعاره والخلاعه والضعفاء والمدلسين في ترك أحاديث جوامع الشيعة، وروايات أهل البيت الطاهرين.

كما يظهر لك أن ترك حديث العتره الطاهره ليس إلّا عله سياسيه من أظهر مصاديقها التقرب إلى الولاه والأمراء (1)، أو الخوف منهم ومن أعوانهم، وللعصبيات المذهبيه والضغائن الجاهليه، ثم الجهل بما عند الشيعة من الثروه العلميه والأحاديث المعتمده.

ص: ٣٩٠

١- قال أحمد شاكر في الباعث الحثيث: ص ٨٦ في الأسباب التي دعت الكذابين والوضّاعين إلى وضع الحديث: ويشبههم بعض علماء السوء الذين اشتروا الدنيا بالآخرة، وتقربوا إلى الملوك والأمراء والخلفاء بالفتاوى الكاذبه، والأقوال المخترعه التي نسبوها إلى الشريعة البريئه، واجترأوا على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله إرضاءً للأهواء الشخصيه ونصراً للأغراض السياسيه، فاستحبوا العمى على الهدى. ثم ذكر ما صدر عن غياث بن إبراهيم النخعي ومقاتل بن سليمان البلخي.

وليس غرضنا قدح السلف والظعن فيهم: «تلك أمه قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت»^(١)، بل الغرض من ذلك التقريب بين المذاهب وأن يكون سير الفقه الإسلامي سيراً لائقاً به، وأرقى وأرفع من العصبية الطائفية، وأن لا يترك الفقيه وكل باحث في العلوم الإسلامية ما عند غير طائفته من العلوم والأحاديث المعتبرة، ولا يعتبر كله ضاللاً وباطلاً، سيما إذا لم يكن اعتباره أقل مما عند طائفته، بل كان ما عند غير طائفته أقوى وأصح سنداً وامتناً، فلا يجوز الاقتصار على أحاديث طائفته وترك أحاديث غيرها، فكيف يترك الطالب الفاحص عن الحق هذه العلوم الجمة التي حصلت عند الشيعة^(٢) وعند جهابذتها ورجالها من لدن عصر الرسالة وعصر الإمام على إلى زماننا هذا، بفضل تمسكهم بأئمة أهل البيت.

وكيف يضرب على هذه الجوامع والكتب الكثيره التي لا-ريب في أنها من أغلى ذخائر التراث الإسلامي؟ ومن أين يحكم المنصف (العياذ بالله) على كل ما في هذه الجوامع بالبطلان؟ ومن أين يقول من يحتج بالحديث بعدم جواز الاحتجاج بهذه الأحاديث مع ما يرى من إتقان فقه الشيعة وكونه أوفق بالكتاب والعقل.

وهذا حجر أساسى للتقريب بين المذاهب وأهلها، فإنهم إذا جعلوا على أنفسهم أن لا يتجاوزوا عن الكتاب والسنة وأن لا يقولوا إلا بما دلّت عليه).

ص: ٣٩١

١- إشاره إلى سورة البقره: الآية ١٤١.

٢- فقد حصل عند واحد من حفاظهم وهو الحافظ أبو العباس ابن عقده ثلاثمائة ألف حديث من أهل البيت عليهم السلام (لسان الميزان: ج ١ ص ٢٦٢).

الأحاديث المعتره، سواء كان من طرق الشيعة أو السنه، ونظروا فى الأحاديث والأقوال نظره من لا- يريد إلّالواقع والحقيقه، يحصل بينهم الوثام والوافق أزيد مما هم عليه الآن(١).

وفائده أخرى تحصل عند مراجعه الأحاديث المرويّه فى جوامع الشيعة والأطلاع على العلوم الاسلاميه المدوّنه فيها: أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمر بالرجوع إلى أهل بيته والتمسّيك بهم ولم يجعلهم عدلاً للقرآن إلّالأنّهم معادن العلم وينابيع الحكم، وأعلم من غيرهم بالأحكام الشرعيه.

ونعم ما قاله أبو الحسن بن سعيد كما نقل عن كتابه كنوز المطالب:

يا أهل بيت المصطفى عجا لمن ٢.

ص: ٣٩٢

١- قد تفتّن لبعض ما ذكرنا العلّامه الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر سابقاً وأكبر علماء أهل السنه المعاصرين، وأعظم مفكرّيهم، حيث أطلق فتواه التاريخيه بجواز التعيّد بمذهب الشيعة الإماميه، وأفتى خضوعاً لقوه أدلّه الشيعة بمذهبهم فى مثل مسأله التطلّيقات الثلاثه بلفظ واحد، فإنّها تقع فى المذاهب الستيه ثلاثاً، وفى مذهب الشيعة تقع واحده رجعيه.

وجوب تقديم روايات أهل البيت عليهم السلام على روايات غيرهم

اتفق علماء الفريقين على تقديم من كان اختصاصه بالمرور عنه أكثر، فيقدم ما يرويه أهل بيت رجل أو تلميذه أو خادمه أو قريبه على ما يرويه غيره، ولذلك يقدمون ما يرويه أبو يوسف والشيباني عن أبي حنيفة، وما يرويه المزني والربيع عن الشافعي على ما يرويه غيرهم عنهما.

وقد اتفقوا أيضاً على تقديم الأعدل من المخبرين على من ليس له تلك المنزلة من العدالة، وهذه طريقه العقلاء في أمورهم الدينيه والدينيه.

ومن ذلك نعلم وجوب تقديم أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام على روايات غيرهم لوجهين:

أحدهما: أن الأمة أجمعت على عدالتهم ووثافتهم وفضلهم وتقواهم وجلاله قدرهم ووجوب حُبهم وموالاتهم، ولم يتحقق منهم إجماع على عداله

غيرهم من الصحابه (١) والتابعين.

ثانيهما: أنه لا ريب في اختصاص أهل البيت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنهم أدري بما في البيت، فهم أهل بيت الوحي والنبوه ومحط الرساله ومختلف الملائكه. وقد أجمعت الأمة على اختصاص الإمام على عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله في معرفه الأحكام الشرعيه والعقائد الإسلاميه وتفسير القرآن والسنة ومعرفه المحكم والمتشابه والمطلق والمقيّد العام والخاص والتأويل والتنزيل وغيرها.

وقد قال صلى الله عليه وآله في حقه: «أنا مدينة العلم وعلى بابها، ومن أراد المدينة فليأت الباب» (٢). هـ.

ص: ٣٩٤

١- راجع ما كتبه الأستاذ محمود أبو ريه حول عداله الصحابه في كتابه (أضواء على السنه المحمديه: ص ٢٨٥-٣٠٦).
٢- أخرجه الحاكم في المستدرک: ج ٣ ص ١٢٦ و ١٢٧، والخطيب في تاريخ: ج ٤ ص ٣٤٨، وج ٧ ص ١٧٢، وج ١١ ص ٤٨ و ٤٩ بطرق مختلفه، وابن حجر في تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣٧٧، وابن الأثير في أسد الغابه: ج ٤ ص ٢٢، والمتقى في كنز العمال: ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٦ و ٤٠١، وابن عبد البر في الاستيعاب، والسيوطي في الجامع الصغير عن ابن عدى، والطبراني والعقيلي عن ابن عباس، والحاكم وابن عدى أيضاً عن جابر. وذكر في الغدير من مصادره ١٤٣ مصدراً، كما ذكر كلمات الأعلام المصرّحه بصحه الحديث. وأما العلّامه اللكهنوي فقد صنف حول هذا الحديث كتاباً ضخماً في جزئين بلغت صفحاته ١٣٤٥ مشحوناً بالتحقيقات العلميه وجعله المجلد الخامس من المنهج الثاني من موسوعته الكبيره المسّماه بعقبات الأنوار، وأفرد فيه العالم المغربي الشريف أحمد بن محمد الحسنی كتاباً أسماه (فتح الملك العلي بصحه حديث باب مدينة العلم على)، وهو أيضاً مع اختصاره كتاب جامع لفوائد كثيره في علم الجرح والتعديل وغيره ينبغي للباحثين مراجعته والاهتمام به.

وقال: «أنا دار الحكمة وعلى بابها»(١).

وقال: «على مع القرآن والقرآن مع على، لن يفترقا حتى يردا على الحوض»(٢).

وقال: «على مع الحق والحق مع على يدور حيثما دار»(٣).

وقال: «أعلم امتي من بعدى على بن أبي طالب عليه السلام» (عن سلمان)(٤).

وقال: «على باب علمي، ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدى، حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفه»(٥).

وقال على عليه السلام: «علمني رسول الله ألف باب، كل باب يفتح ألف باب» أخرجه أبو نعيم والإسماعيلي في معجمه(٦).٦.

ص: ٣٩٥

١- سنن الترمذی مناقب ٢٠، ذخائر العقبی: ص ٧٧.

٢- الجامع الصغير: ج ٢ ص ٦، تاريخ الخلفاء: ص ١١٦، المستدرک: ج ٣ ص ١٢٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٤، الصواعق المحرقة، فيض القدير، كنز العمال: ح ٣٢٩١٢ و ٣٦٤٦٢ وغيرها.

٣- شرح نهج البلاغه: ج ٢ ص ٤٢٢، وبهذا المعنى أخبار كثيره في الترمذی والمستدرک وتاريخ بغداد ومجمع الزوائد وكنز العمال وغيرها.

٤- كنز العمال: ح ٣٢٩٧٧.

٥- كنز العمال: ج ١٢ ص ٢١٢ و ج ٦ ص ١٥٦، القول الجلی: ح ٣٨ وغيرهما، ونحوه ما روى في المستدرک ج ٣، وكنوز الحقائق: ص ١٨٨، وحليه الأولياء: ج ١ ص ٦٣.

٦- فتح الملک العلی ص ١٩، كنز العمال ٦/٣٩٢، ونحوه ما رواه الفخر في تفسير (ان الله اصطفى) نظم دررا السمطين ١١٣، فرائد السمطين ص ٨٦.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُدْنِيكَ وَلَا أُقْصِيكَ، وَأَنْ أَعْلَمَّكَ وَأَنْ تَعَى لَكَ أَنْ تَعَى». قال: فنزلت هذه الآية تعيها اذن واعيه. أخرجه أبو نعيم في الحليه عن علي (١).

وقال: «إِنِّي أُرِدْتُ أَنْ أُدْنِيكَ وَلَا أُقْصِيكَ، وَأَنْ أَعْلَمَّكَ وَأَنْ تَعَى وَحَقَّ لَكَ أَنْ تَعَى» قال: فنزلت هذه الآية وتعيها اذن واعيه. أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير عن ابن أبي مره الأسلمي، وابن المغازلي عن ابن بريده عن أبيه، وأخرجه الطبري (٢).

ومن هذا الوجه أخرجه ابن جرير، وأخرجه أيضاً من وجه آخر عن بريده، ومن وجه آخر عن مكحول مرسلًا لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا اذْنَكَ يَا عَلِيَّ». وهكذا أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه، وأخرجه الثعلبي من وجهٍ آخر عن حسن (٣). ٥.

ص: ٣٩٦

-
- ١- فتح الملك العلي ص ١٩، حليه الأولياء ١/٦٧، كنز العمال ٦/٤٠٨ ح ٦١٦٠.
 - ٢- فتح الملك العلي ص ١٩، تفسير الطبري ٢٩/٣٥، الدر المنثور في تفسير الآيه، أسباب النزول ص ٣٢٩-الانهم رووا وحق علي الله المناقب لابن المغازلي ص ٣١٩ ح ٣٦٤، لباب النقول ٢٢٥.
 - ٣- فتح الملك العلي: ص ١٩، تفسير الطبري: ج ٢٩ ص ٣٥، وراجع أيضاً الكشاف، والدر المنثور، ومجمع الزوائد: ج ١ ص ١٣١، كنز العمال: ج ٦ ص ٣٩٨ ح ٤٠٨، مناقب ابن المغازلي: ص ٢٦٥ ح ٣١٢، روح المعاني: ٢٩/٤٣، قال: وفي الخبر: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَعَلِّي كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا اذْنَكَ يَا عَلِيَّ. قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَجْهَهُ: فَمَا سَمِعْتُ شَيْئاً فَنَسِيْتَهُ، وَمَا كَانَ لِي أَنْ أُنْسَى. وَإِنْ شِئْتُ الْمَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ فَرَأَيْتُ شَوَاهِدَ التَّنْزِيلِ: ص ٢٨١-٢٨٥.

وعن ابن عباس قال: كنا نتحدّث أنّ النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله عهد إلى عليّ سبعين عهداً لم يعهد لها إلى غيره. ورواه الطبراني في معجمه بسنده عن السندي بن عبدويه (١)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا الطبراني به (٢).

وقال عبد الله بن عباس: والله لقد أعطى عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وإيم الله لقد شار ككم في العشر العاشر (٣).

وروى طاووس عنه أنّه قال: كان عليّ وليّ الله، قد ملئ علماً وحكماً (٤).

وقال ابن عباس أيضاً: إذا حدثنا ثقة عن عليّ بفتيا لا نعدوها.

وفي أسد الغابه: إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ لم نعدل عنه إلى غيره.

وفي الإصابه: إذا جاءنا الثبت عن عليّ لم نعدل به (٥).

وقالت عائشه: إنّهُ أعلم الناس بالسنة، وكانت كثيراً ما ترجع إليه في المسائل (٦).

ص: ٣٩٧

-
- ١- تهذيب التهذيب: ج ١ ص ١٩٧.
 - ٢- فتح الملك العلي: ص ٢٠ ١٩.
 - ٣- الاستيعاب وأسد الغابه في ترجمته، فتح الملك العلي: ص ٣٦، ذخائر العقبى: ص ٧٨.
 - ٤- فتح الملك العلي: ص ١٩ و ٢٠.
 - ٥- الإصابه وأسد الغابه والاستيعاب في ترجمته، والخصائص الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٨، تاريخ الخلفاء: ص ١١٥، الشرف المؤبد: ص ٦٥، تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣٣٧، فتح الملك العلي: ص ٣٦.
 - ٦- الشرف المؤبد: ص ٦٤ ٦٥، فتح الملك العلي: ص ٣٦، وراجع صحيح مسلم، كتاب الطهارة، وسنن النسائي: ج ١ ص ٣٢، وابن ماجه: ص ٤٢، ومسنند أحمد: ج ١ ص ٩٦، ١٠٠، ١١٢، ١١٧، وغيرها.

وعن أبي الطفيل قال: شهدت علياً يخطب، وهو يقول: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل، ولو شئت أوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحه الكتاب» (١).

وقال ابن عباس: علم رسول الله من علم الله، وعلم علي من علم رسول الله، وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله في علم علي إلا كقطره في سبعة أبحر (٢).

ولقد كان معاوية يكتب فيما ينزل به فيسأل علي بن أبي طالب، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت علي بن أبي طالب (٣).

كما قد شهد بكثره علمه وأنه أعلم الناس جماعه من الصحابه، ذكر أسماء.

ص: ٣٩٨

١- الشرف المؤبد: ص ٦٤ و ٦٥، كفايه الطالب للشقيطي: ص ٤٧، المناقب للخوارزمي: ص ٥٦، ذخائر العقبى: ص ٨٣، الإتيقان: ج ٢ ص ١٨ و ١٨٦، تهذيب التهذيب: ج ٢ ص ٣٣٨، الاستيعاب والإصابة في ترجمته عليه السلام، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٨، أخبار مكة للأزرقي: ج ١ ص ٥٠ مع اختلاف في ألفاظ بعضها مع بعض واختصار متون بعضها، وصدر الخبر في أخبار مكة: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى القيامة إلا حدثتكم به!». وفي كتاب شواهد التنزيل عقده فصلاً في توحيده بمعرفة القرآن ومعانيه وتفزده بالعلم بنزوله وما فيه: ص ٢٩-٣٨.

٢- الشرف المؤبد: ص ٦٤.

٣- الشرف المؤبد: ص ٦٥. وفي ذخائر العقبى: ص ٧٩ «إن جمعا منهم معاوية وعائشه لما سئلوا أحالوا في السؤال عليه».

وقال على عليه السلام: «والله ما نزلت آيه إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربى وهب لى قلبا عقولاً ولساناً طلقاً» (١).

وقيل لعلى عليه السلام: مالك أكثر أصحاب رسول الله حديثاً؟ (٢) فقال: «إنى كنته.

ص: ٣٩٩

١- الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٨، الشرف المؤبد: ص ٦٥، تاريخ الخلفاء: ص ١٢٤.
٢- ومع ذلك لم يخرجوا من أحاديثه إلا القليل، وأخرجوا عن مثل أبى هريره مع تأخر إسلامه وأنه لم يصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا سنه واحده وتسعه أشهر أحاديث كثيره جداً، حتى ذكر ابن حزم: أن مسند بقى بن مخلد قد احتوى من حديث أبى هريره (٥٣٧٤) روى البخارى منها ٤٤٦ حديث، وعلى عليه السلام أول من أسلم وتربى فى حجر النبى وعاش تحت كنفه قبل البعثه واشتد ساعده فى حضنه وظل معه إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يفارقه لا فى حضر ولا فى سفر، وهو ابن عمه وزوج ابنته فاطمه سيده نساء العالمين وشهد المشاهد كلها سوى تبوك، فقد استخلفه النبى فيها على المدينة فقال: يا رسول الله، أتخلفنى فى النساء والصبيان؟ فقال رسول الله: أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى. رواه الشيخان وابن سعد. ولو كان على قد حفظ كل يوم عن النبى وهو الفطن اللبيب الذكى الحافظ ربيب النبى (حديثاً واحداً) وقد مضى معه رشيداً أكثر من ثلث قرن لبلغ ما كان يجب أن يروى أكثر من اثنى عشر ألف حديث. هذا إذا روى حديثاً واحداً فى كل يوم، فما بالك لو كان قد روى كل ما سمعه وكان له الحق فى روايته ولا يستطيع أحد أن يمارى فيه ولا تنس مع ذلك أنه كان يقرأ ويكتب. وهذا الإمام الذى لا يكاد يضارعه أحد من الصحابه جميعاً فى العلم، قد أسندوا له كما روى السيوطى (٥٨٩)، وقال ابن حزم: لم يصح منه إلا خمسون حديثاً، ولم يرو البخارى ومسلم منها إلا نحو عشرين حديثاً (راجع شيخ المضيره: ص ٤٨، ١٠٨، ١١٣)، وراجع أيضاً أبو هريره حتى تعرف أفاعيله السياسيه وإنهم لم يعرضوا عن أحاديث أهل البيت وجوامع الشيعه المملوءه بعلومهم إلا لأنها لا توافق أهواءهم وبدعهم، ولا تصوب سيرهم فى الحكم والسياسه.

سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني»(١). وروى عنه: «كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتدئت»(٢).

وقال سعيد بن المسيب: كان عمر يتعوذ بالله من معضله ليس فيها أبو حسن(٣). وقال: لم يكن أحد من الصحابة يقول (سلوني) إلا على(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمه الزهراء عليها السلام: «أما ترضين أن أزوجك (زوّجتك - خ ل) أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلاً» رواه أحمد والطبراني برجال وثقوا(٥).

وفى حديث أخرجه الحافظ أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني: «لقد زوجتك وأنت لأول أصحابي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلاً»(٦).

وعن سلمان قال: قلت: يا رسول الله، إن لكل نبي وصياً فمن وصيكم؟ فسكت عني، فلما كان بعد رأني فقال: «يا سلمان، فأسرعت إليه، قلت: ليبيك. ٩.

ص: ٤٠٠

١- الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٨، تاريخ الخلفاء: ص ١١٥، كنز العمال: ج ٦ ص ٣٩٦.

٢- الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٤٦، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ص ٣٠.

٣- تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣٣٧، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٩، أسد الغابه: ج ٣ ص ٢٢ و ٢٣، تاريخ الخلفاء: ص ١١٥، ذخائر العقبى: ص ٨٢.

٤- ذخائر العقبى: ص ٨٣، أسد الغابه: ج ٤ ص ٢٢، تاريخ الخلفاء: ص ١١٥.

٥- مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٠١ و ١١٤، ذخائر العقبى: ص ٧٨، ونحوه في شرح نهج البلاغه: ج ٢ ص ٢٣٦.

٦- المصنف: ج ٥ ص ٤٩.

قال: تعلم من وصى موسى؟ قال (١): نعم يوشع بن نون. قال: لِمَ؟ قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذٍ. قال: فإن وصى وموضع سرى وخير من أترك بعدى وينجز عدتى ويقضى دينى على بن أبى طالب (٢).

وأخرج ابن سعد عن جبله بن المصّفح عن أبيه قال: قال لى على عليه السلام: «يا أبا بنى عامر! سلنى عمّا قال الله ورسوله، فنحن أهل البيت أعلم بما قال الله ورسوله» (٣).

وأخرج الرازى عن على عليه السلام أنّ النبى صلى الله عليه وآله قال له: «ليهنك العلم أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً ونهلتة نهلاً» (٤).

وعن ابن عباس رضى الله عنه، وقد سئل عن على عليه السلام فقال: رحمه الله على أبى الحسن، كان والله علم الهدى وكهف التقى وطود النهى ومحل الحجى وغيث الندى ومنتهى العلم للورى، ونورا أسفر فى الدجى، وداعياً إلى المحججه العظمى، مستمسكاً بالعروه الوثقى، أتقى من تقمّص وارتدى، وأكرم من شهد النجوى بعد محمد المصطفى، وصاحب القبلتين، وأبو السبطين، وزوجه خير النساء، فما يفوقه أحد، لم تر عيناي مثله ولم أسمع بمثله، فعلى من بغضه لعنه الله ٨.

ص: ٤٠١

١- الظاهر أنّ (قال) سهو من بعض النساخ والصحيح (قلت).

٢- مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١١٣-١١٤، تهذيب التهذيب مختصراً: ج ٣ ص ١٠٦، الرياض النضرة: ج ٢ ص ٢٣٤.

٣- الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٤٠.

٤- ذخائر العقبى: ص ٧٨.

ولعنه العباد إلى يوم التناد. أخرجه أبو الفتح القواس (١).

والأحاديث في هذه المعاني كثيره جداً لا شبهه في تواترها.

وقال على عليه السلام في خطبته المعروفه بالقاصعه: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابه القريبه والمنزله الخصيصه، وضعتني في حجره وأنا ولد يضمنني في صدره ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يعضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبه في قول ولا خطله في فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنه بحراء، فأراه ولا يرى غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجه وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرساله وأشم ريح النبوه، ولقد سمعت رثه الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرثه؟ فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك على خير» (٢).

وقال: «كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعاً، ورسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ صامت ما اذن له في الإنذار والتبليغ» (٣). ٥.

ص: ٤٠٢

١- ذخائر العقبى: ص ٧٨.

٢- نهج البلاغه، صبحي الصالح: خ ١٩٠.

٣- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٥.

وقال: «لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى علي سبع سنين، وذلك أنّه لم يصل معي رجل غيره». أخرج ابن الأثير بسنده عن أبي أيوب الأنصاري، وأخرجه المحب الطبري إلّا أنّه لم يذكر (سبع سنين)، وقال: لأنّا كنّا نصلى ليس معنا أحد يصلى غيرنا^(٢).

والأخبار في هذا المعنى وأنّه أول من صلّى وأسلم كثيره.

وأخرج ابن الأثير عن أبي الطفيل قال: قال بعض أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله: «لقد كان لعلّي من السوابق ما لو أن سابقه منها بين الخلائق لو سعتهم خيراً». ثم قال: وله في هذا أخبار كثيرة تقتصر على هذا منها، ولو ذكر ما سأله الصحابه مثل عمر وغيره لأطلنا^(٣).

وأخرج المحب الطبري عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه»، أخرجه أبو الخير الحاكمي.٣.

ص: ٤٠٣

١- شرح نهج البلاغه: ج ١ ص ٥، وأخرج مثله ابن حجر في تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣٣٦ إلّا أنّه قال: «خمس سنين».

٢- أسد الغابه: ج ٤ ص ١٨، الرياض النضرة: ج ٢ ص ٢١٧، ذخائر العقبى: ص ٦٤.

٣- أسد الغابه: ج ٤ ص ٢٣.

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حمله وإلى نوح في حكمه وإلى يوسف في جماله فلينظر إلى علي بن أبي طالب» أخرجه الملا في سيرته (١).

وأخرج ابن أبي الحديد عن أحمد والبيهقي: «من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه وإلى آدم في علمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في فطنته وإلى عيسى في زهده فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام» (٢).

وأخرج ابن المغازلي بسنده عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى علم آدم وفقه نوح فلينظر إلى علي بن أبي طالب» (٣).

وأخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن أبي الطفيل وجعفر ابن حبان إن الإمام الحسن السبط عليه السلام قال في خطبته: «أنا من أهل البيت الذين كان جبرئيل ينزل فينا ويصعد من عندنا» (٤).

هذا وسيأتي في بعض الفصول الآتية ما يدل على ذلك إن شاء الله تعالى (٥).

ومما ذكرنا يظهر ما اختص به علي عليه السلام دون غيره، وناهيك عن علمه.

ص: ٤٠٤

١- ذخائر العقبى: ص ٩٣-٩٤، ينابيع الموده: ص ٢١٤.

٢- شرح نهج البلاغه: ج ٢ ص ٢٤٩، ونحوه ما أخرجه في ص ٢٣٦.

٣- المناقب: ص ٢١٢.

٤- نظم درر السمطين: ص ١٤٨.

٥- لمزيد الاطلاع يراجع شرح نهج البلاغه والغدير وكتب التواريخ والتراجم وجوامع الحديث.

الواسع المستفاد من علم النبي صلى الله عليه وآله كتاب (نهج البلاغه) وما روى عنه في الأحكام الشرعية وقضاياها.

ثم إنّه لا-ريب في اختصاص الحسن والحسين عليهما السلام برسول الله صلى الله عليه وآله وبأمر المؤمنين، وهما ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. كما أنّه لا شك في اختصاص أبنائهم بهم اختصاصاً يقصر غيرهم عن بلوغه.

إذن فلا-شك في وجوب تقديم ما رواه أعلام أهل بيت النبوه، مثل الإمامين محمد الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام بإسنادهم المتصل إلى جدّهم الرسول، وتعيّن الأخذ به دون حديث غيرهم كائناً من كان، فضلاً عن كون الراوى من الخوارج والنصّاب والمنافقين ومن عمّال أميه وقتله الأخيار، أو من دعاه المرجئه وأهل الزندقه والمتقربين إلى الولاه وحكّام الجور بوضع الأحاديث.

وظهر لك أيضاً وجه إعراضهم عن أحاديث العتره الطاهره وقله تخريجها في مثل الصحيحين، وعدم احتجاجهم بأقوالهم، مع أنّ الأخبار المتواتره من طرق الفريقين في فضلهم ووجوب موالاتهم واتباعهم يؤكّد وجوب التمسّك بهم غاية التأكيد، ويأمر بالأخذ بأقوالهم وأحاديثهم، كما يدلّ على وجوب الرجوع إليهم غاية الإيجاب والإلزام.

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصا

استدلّ القائلون بحجيه القياس وجواز العمل به فى الأحكام كما نص عليه ابن رشد فى مقدمه كتابه «بدايه المجتهد» بأنّ النصوص وكذا الأفعال والإقرارات الشرعيه متناهيه، بينما الوقائع والقضايا غير متناهيه، ولا يمكن شمول المتناهي لغير المتناهي (١).

ص: ٤٠٧

١- قال الغزالي فى المستصفى: ج ٢ ص ٥٧: الحكم فى الأشخاص التى ليست متناهيه إنما يتم بمقدّمتين كليه كقولنا: «كل مطعوم ربوى» وجزئيه كقولنا: «هذا النبات مطعوم» أو «الزعران مطعوم» وكقولنا: «كل مسكر حرام، وهذا الشراب بعينه مسكر» إلخ. ولكن يسأل منه: إذن فما وجه رجوعكم إلى القياس؟ فإن قلت: إنّ وجه ذلك عدم إحاطه النصوص بجميع الوقائع لقلتها، ولأنّ الشارع سكت وأهمل كثيراً من الوقائع الكليه. يقال: هذا ينافى كمال الدين وتمام النعمه، والقول به قول بالنقص فى الشريعه. وإن قلت: إنّ الوجه فيه إعواز النصوص وضياعتها، فلم يبق منها ما يعتمد عليه إلّا القليل حتى قيل: إنّ أبا حنيفه بلغت روايته إلى ١٧ حديثاً أو نحوها ولم يعتمد على ما جاء عن أبى هريره وأنس بن مالك وسمره بن جندب (الأضواء: ص ٣٣٠-٣٣١)، بل قيل: كان أبو حنيفه لا يعمل بالحديث حتى وضع ابن أبى شيبه فى كتاب المصنف باباً للرد عليه ترجمه (باب الرد على أبى حنيفه) (الرفع والتكميل: ص ٥٨)، فلاجأوا إلى العمل بالقياس والرأى. قلنا: نعم الخبير لا يعتمد على أكثر هذه الأحاديث المخرجه عن النواصب والمنافقين والمجروحين وعلى الجوامع والمصنفات التى صنّفت فى عصور كانت السياسه مشرفه على نقل الأحاديث وتصنيف الكتب. كانوا يضعون الأحاديث لدعم السياسات وتأييد المذاهب التى تمذهب الحُكّام بها حفظاً لحكوماتهم، ويتهمون من يأخذ الحديث عن غير من تسمح له الحكومه بالتحديث. إلّا أنّ هذا لا يصحّح العمل بالقياس، سيما بعدما كان أئمه أهل البيت بين ظهرائهم، وعندهم كل ما تحتاج إليه الأمه فى أمر دينها، وقد أمر النبى صلى الله عليه وآله الأمه بالتمسك بهم. وبعدهما قرع أسماعهم من أنّ حافظاً من حفاظ الشيعة كابن عقده قال: (أنا أُجيب بثلاثمائة ألف حديث من أهل البيت) وإنّ الحافظ عبد الرحمن النيسابورى الخزاعى الذى كان من أعلم الناس بالحديث وأبصرهم به، ويقال: كان فى مجلسه أكثر من ثلاثه آلاف محبره، يقول قوله المشهور منه فى الصحيحين، ويقول: لو كان لى سلطاناً يشد على يدي لاخسقت خمسين ألف حديث يعمل بها ليس لها أصل ولا صحه، وكان يقول: احفظ مائه ألف حديث (لسان الميزان: ج ٣ ص ٤٠٥). وإن قلت: إنّ القياس أيضاً من أحكام الشرع تعبدنا به. نقول: هذا ممنوع، وما استدلوا به مزيف، وسكوت الشارع عن بيان الحكم الكلى وإيكاله إلى القياس والرأى مع اختلاف المجتهدين فيه ينافى كمال الدين الذى لا يتحقق إلّا بأن يكون لله تعالى فى كل واقعه حكماً واحداً معينا بينه على لسان النبى صلى الله عليه وآله. مضافاً إلى أن الشارع منع من القياس، ومضافاً إلى اجماع أهل البيت على بطلان التعويل عليه. وتمام الكلام يطلب من كتب الأصول ككتاب العده للشيخ الطوسى وغيره. وعلى كل حال، ظهر أن التمسك بالقياس مع إمكان الرجوع إلى أهل البيت والروايات الحاكيه عن السنه من طرقهم الوافيه بأحكام جميع الوقائع لا يجوز.

فالعَمَلُ بالقياس عند من يقول بجوازه إنّما هو بالنسبة إلى الوقائع التي لم يرد فيها حكم من الشارع وسكت عنها، أما الوقائع والقضايا التي ورد حكمها من قبل الشارع فلا يجوز العمل به فيها.

ونحن تركنا التعرّض في هذا المختصر للرد على الأدلّة التي أقاموها على حجيه القياس وتفنيدها، إذ أنّ ما كتب حول هذا الموضوع في كتب الأصول من قبل كثير من محقّقي الشيعة وغير واحد من محقّقي أهل السنه يكاد أن لا يحصى، فمن شاء أن يتبيّن له الحق فليراجع.

ولكن الذي نريد أن نقول: هو مجمل رأى الشيعة الإماميه في الموضوع، ويتلخّص في عدم جواز العمل بالقياس والاخلاله (1) في أحكام الله تعالى، وعدم جواز القول بخلو الكتاب والسنه عن أحكام أكثر الوقائع، وعدم وفائهما بها.

وذلك لوجود أئمة أهل البيت وعتره النبي صلى الله عليه وآله إلى القرن الثالث بين ظهراني الأمّة محيطين علماً بأحكام جميع الوقائع، فلا توجد واقعه إلّا وحكمها عندهم، وقد أجمعوا على حرمة العمل بالقياس، وإجماعهم حجه.

أضف إلى ذلك رواياتهم الكثيره في حرمة عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله).

ص: ٤٠٩

١- الاخلاله: مسلك من مسالك العله التي ذكرها الأصوليون في مباحث أصول الفقه، لا يقول به الحنفيه ويقول به الشافعيه. قال الشوكاني في إرشاد الفحول: المسلك السادس المناسبه، ويعبّر عنها بالاخلاله وبالمصلحه وبالاستدلال وبرعايه المقاصد، ويسمى استخراجها تخريج المناط، وهي عمده كتاب القياس ومحل غموضه ووضوحه (الرفع والتكميل: ص ٤١).

ونصوصهم من أن دين الله لا يصاب بالعقول، وأن السنه إذا قيست مُحَقَّقَ الدين (١).

وأضف أيضاً إلى ذلك أن موضوع جواز العمل بالقياس على القول به إنما يتحقق في واقعه سكت الشارع عن حكمها، وبعد ارجاعه الأمة إلى أهل بيته والزمه بالتمسك بهم والأخذ بأقوالهم، يجب الرجوع إليهم لا العمل بالقياس، لأنهم عيبه علم النبي صلى الله عليه وآله وهداه الأمة من بعده وأمانهم من الضلال، فكيف يجوز العمل بالقياس مع وجود أئمة من أهل البيت مثل جعفر بن محمد الصادق بين الأمة وهم يقولون ببطان العمل بالقياس وعلمهم بأحكام جميع الوقائع.

نعم لو لم يكن في أحاديثهم والعلوم المذخوره عندهم عن النبي صلى الله عليه وآله حكم واقعه، تصل النوبه إلى البحث عن حجية القياس والرأى والاخلاله في استكشاف حكم تلك الوقائع وعدمها، فلا يجوز الاجتهاد والقياس مع النص.

ومع ذلك كيف يرضى المسلم المؤمن بما آتاه الرسول وبما نهى عنه أن يدين بالقياس ويأخذ بالاستحسان ويعمل على وفق الفتاوى التي يأبأها العقل ولا- تقرّها الشريعة المقدسه السمحاء، وترك أحاديث أئمة أهل البيت المخرّجه في جوامع الشيعة، ويضرب على كل هذه الأحاديث والعلوم بالرد، ويستند في أحكام دينه على روايات النواصب والخوارج والمنافقين والمجاهيل ممن أشرنا).

ص: ٤١٠

١- كما قد دلت من طرق أهل السنه روايات كثيره على عدم جواز العمل بالقياس، وإنّ ما سكت الله عنه فهو عفو ولا يبحث عنه (راجع مجمع الزوائد: ج ١ ص ١٧١، ١٧٢، ١٧٩).

إلى بعضهم.

ونختم الكلام فى هذا الموضوع بما قال أمير المؤمنين على عليه السلام، قال:

«ترد على أحدهم القضية فى حكم من الأحكام فىحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فىحكم فيها بخلافه، ثم يجتمع القضاء بذلك عند الإمام الذى استقضاهم فىصوّب آراءهم جميعاً، وإلهمم واحد ونبههم واحد وكتابههم واحد. فأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه؟ أم نهاهم عنه فعصوه؟ أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركاءه فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصّر الرسول صلى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول: ما فرطنا فى الكتاب من شىء وقال: فيه تبيان كل شىء وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً، وأنّه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، وأنّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تبنى عجائبه ولا تكشف الظلمات إلّاه»(١).

هذا مختصر الكلام فى الأمر الأول، وهو وجوب الأخذ بأحاديث أئمة أهل البيت وما روى عنهم بالطرق المتصلة إليهم عليهم السلام، ويأتى الكلام فى الأمر الثانى، وهو حججه أقوال أئمة العتره وأفعالهم وسيرتهم ووجوب اتباعهم والرجوع إليهم(٢).هـ.

ص: ٤١١

١- نهج البلاغه: خ ١٨ شرح صبحى الصالح.

٢- راجع الفرق بين الأمرين فى المقدمه.

ومما يؤيد صحه هذه الأحاديث أنّ الفقه الشيعي المستند إليها أوفق بالكتاب والسنة والعقل والشريعة الحنيفيه السمحه، كما لا يخفى على كل باحث في الفقه والكتب المؤلفه في خلافت الفقهاء، كالخلاف للشيخ الطوسي، وتذكره الفقهاء للعلامة الحلبي وغيرهما.

ولنعم ما قال ابن الوردي عمر بن المظفر بن عمر التيمي مؤلف (تاريخ ابن الوردي) وناظم البهجه:

يا أهل بيت النبي من بذلت ٥.

ص: ٤١٢

النصوص الصحيحة في وجوب التمسك بأهل البيت عليهم السلام

قد دلت النصوص الصريحة الكثيره المتواتره التي خرّجها أكابر علماء الجمهور وأعاضم أئمتهم المحدثين وحفاظهم، على وجوب التمسك بأهل البيت وأخذ العلم عنهم وحجيه أقوالهم وأنّ أتباعهم هو طريق النجاه، وهم الآخذون بالكتاب والسنة، نذكر بعون الله تعالى طائفه منها في هذا المختصر:

الأول: نصوص الثقلين

نصوص الثقلين (١) متواتره قطعيه، أجمعت الأمة على صحتها، وقد أخرجها أكابر أهل السنه ومحدثيهم في صحاحهم وجوامعهم ومسانيدهم

ص: ٤١٣

١- قال ابن الأثير في النهاية: ج ١ ص ٢١٦: سمّاها ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، ويقال لكل خطير: نفيس ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما.

بأسانيد صحيحة، وقد بقيت على تواترها في جميع الأعصار إلى العصر الحاضر، وقلما يخلو عن روايتها مسند أو جامع أو كتاب في الفضائل، منذ أن بدأ تدوين الأحاديث في الكتب، بل قد رويت في كتاب واحد بطرق متعددة.

وتواترها وقوه اشتهارها بين أهل السنه فضلاً عن الشيعة يغنى عن ذكر مصادرهما ومخرجيهما، فراجع كتاب (عبقات الأنوار) وما كتب فيه حول هذه الأحاديث(١). وراجع كتب الحديث عند العامه وتفاسيرهم وتوارينهم وكتبهم في اللغة، حتى تعرف شأن هذه النصوص من الاشتهار والتواتر.

قال ابن حجر: ولهذا الحديث طرق كثيره عن بضع وعشرين صحابياً لا حاجة لنا ببسطها(٢).

ونصوص الحديث على كثرتها وإن كانت ترجع إلى معنى واحد وهو وجوب التمسك بالكتاب والعترة إلا أن لفظها قد يختلف عند مخرجيها بحسب اختلاف أسانيدنا الصحيحة، وإنها صدرت في غير مورد ومكان.

النص الأول: فعند الطبراني وغيره بسنده صحيح أنه صلى الله عليه وآله قال في خطبه خطبها بغدير خم تحت شجرات: «إني أظن أن يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت).

ص: ٤١٤

١- راجع حول سند الحديث وألفاظه ودلالته المجلد الأول والثاني من الجزء الثاني عشر من العبقات، وقد طبعا في الطبعة الجديدة في ستة أجزاء (٢١٨٨) صفحة، وهو سفر قيم نافع مشحون بالتحقيقات في الحديث والتراجم وغيرهما. وراجع الباب الرابع من كتاب ينابيع الموده: ص ٢٧-٤١، وكنز العمال ج ١ ح ٩٤٣ إلى ٩٥٣ و ٩٥٧ و ٩٥٨.

٢- الصواعق المحرقة: ص ٢٢٦ (طبع مكتبة القاهرة).

وجهدت ونصحت، فجزاك الله خيراً. فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد. ثم قال: أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه - \يعنى علياً - اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. ثم قال: أيها الناس إننى فرطكم وإنكم واردون على الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قد حان من فضه، وإننى سائلكم حين تردون عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تبدلوا، وعترتى أهل بيتى، فإنه قد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض» (١).

النص الثانى: وعند الترمذى وغيره بإسنادهم عن جابر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فى حجته يوم عرفه وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعتة يقول:

«أيها الناس إننى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتى أهل بيتى». (قال الترمذى) وفى الباب عن أبى ذر وأبى سعيد وزيد بن أرقم وحذيفه بن أسيد (٢).

النص الثالث: وأخرج بطريق آخر عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ٢.

ص: ٤١٥

١- الصواعق المحرقة: ص ٤١، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٦٤ مع اختلاف يسير فى بعض الألفاظ، وفيه (لن يفترقا) وغيرهما.

٢- سنن الترمذى: ج ٢ ص ٣٠٨، مناقب أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله، طبع سنة ١٢٩٢.

صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم ما إن تمسّ بكم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروني كيف تخلفوني فيهما» (١). وأخرجه ابن الأثير إلّا أنه قال: (لن تضلّوا أحدهما أعظم)...

الحديث (٢).

النص الرابع: وعند أحمد في مسنده: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبروني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروني بم تخلفوني فيهما» (٣).

أقول: ولأحمد في مسنده لهذا الحديث طرق كثيرة جداً مضامينها متقاربة (٤)، وأخرجه ابن سعد عن أبي سعيد إلّا أنه قال: «فانظروني كيفه».

ص: ٤١٦

١- سنن الترمذى: ج ٢ ص ٣٠٨، جامع الأحاديث الكبير، الحديث ٦٥٢٧.

٢- أسد الغابه: ج ٢ ص ٤١٢.

٣- مسند أحمد: ج ٣ ص ١٧، مسند أبي يعلى: ص ١٠٢١ ح ٤٨، الصواعق المحرقة: ص ١٤٧ عن المسند.

٤- وممّا يؤيد ما ذكرناه فى المقدمه، من تأثير السياسات فى ترك الأحاديث المأثوره فى أهل البيت، إصرار الأمراء والحكام على ترك الصحابه ما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ونهى الخليفين عن روايه الحديث ما أخرجه أحمد فى مسنده (ج ٤ ص ٣٦٧) بعد تخريجه حديث الثقلين عن يزيد بن حيان (قال) قال يزيد بن حيان: حدثنا زيد بن أرقم فى مجلسه ذلك، قال: بعث إلّى عبيدالله بن زياد فأتيته، فقال: ما أحاديث تحدّثها وترويها عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا نجدها فى كتاب الله تحدّث أنّ له حوضاً فى الجنّه؟ قال: قد حدّثناه رسول الله صلى الله عليه وآله ووعدناه قال: كذبت ولكنك شيخ قد خرفت قال: إني قد سمعته اذناى ووعاه قلبى من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من جهنم وما كذبت على رسول الله صلى الله عليه وآله.

٥- | وعند مسلم في صحيحه من بعض طرقه عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله فينا خطيبا بماء يدعى خمًا بين مكة والمدينه، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تراك فيكم ثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». وأخرج الحديث بطرق أخرى أيضا(٢)، وأخرجه البيهقي باسناده عن يزيد بن حيان(٣).

النص السادس: وفي روايه صححها ابن حجر: «إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي». زاد الطبراني:

«إني سألت ذلك لهما فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»(٤). وأخرجه الحاكم عن زيد وصححه علي شرط ٨.

ص: ٤١٧

١- الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٩٤.

٢- صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٢-١٢٣، مصابيح السنه: ج ٢ ص ٢٧٨.

٣- السنن الكبرى: ج ٢ ص ١٤٨.

٤- الصواعق المحرقة: ص ١٤٨.

الشيخين، وفيه بعد قوله: «وأهل بيتي عترتي» ثم قال: «أتعلمون إنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم» ثلاث مرات قالوا: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلى مولاه»^(١).

النص السابع: وفي روايه أُخرى أنه صلى الله عليه وآله قال في مرض موته: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذره إليكم، إلا إنني مخلف فيكم كتاب ربّي عز وجل وعترتي أهل بيتي. ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض، فأسألهما ما خلفت فيهما»^(٢).

النص الثامن: وفي روايه صححها أيضاً ابن حجر: «إنني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلّوا كتاب الله وعترتي»^(٣).

النص التاسع: وعند الطبراني في الكبير وأحمد أيضاً في مسنده بسندٍ صحيح: «إنني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٤).

وأورده السيوطي أيضاً بسند صحيح بلفظٍ آخر عن أحمد وعبد بن ٤.

ص: ٤١٨

-
- ١- المستدرک: ج ٣ ص ١٠٩.
 - ٢- الصواعق المحرقة: ص ١٢٤.
 - ٣- الصواعق المحرقة: ص ١٤٣.
 - ٤- الجامع الصغير: ج ١ ص ١٠٤، إحياء الميت: ح ٥٦ عن زيد بن ثابت جامع الأحاديث الكبير، ح ٤٥٢٦.

حميد(١) ومسلم، وأخرجه ابن عقده في الموالاه بسنده عن زيد بن ثابت(٢)، وأخرجه الهيثمي مختصراً عن زيد بن ثابت وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات(٣).

النص العاشر: وأخرج الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن زيد قال:

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجه الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمنا فقال: «كأنى قد دعيت فأجبت، إنى قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتى، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض. ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد على فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»(٤).

النص الحادى عشر: ومثله فى كتر العمال نقلاً عن ابن جرير فى تهذيب الآثار بسنده عن أبى الطفيل، وفى آخره فقلت لزيد: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال:... ما كان فى الدوحات أحد إلا قد رآه بعينه وسمعه بأذنيه (ثم قال فى الكتر) أيضاً عن ابن جرير عن عطيه العوفى عن أبى سعيد الخدرى مثل ذلك(٥).٠

ص: ٤١٩

١- الجامع الصغير: ج ١ ص ٦٤.

٢- ينابيع الموده: ص ٣٦.

٣- مجمع الزوائد: ج ١ ص ١٧٠.

٤- المستدرک: ج ٣ ص ١٠٩.

٥- كتر العمال: ج ٦ ص ٣٩٠.

النص الثاني عشر: وأخرج النسائي بسنده عن زيد بن أرقم قال: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَنَزَلَ غَدِيرَ خَمٍّ أَمَرَ بِدُوحَاتٍ فُقِمْنَ، ثُمَّ قَالَ: «كَأَنِّي دُعِيتُ فَأُجِبتُ، وَإِنِّي تَارَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلُ بَيْتِي، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ». ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْوَالِيَةِ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ». فَقُلْتُ لَزَيْدٍ: سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: وَإِنَّهُ مَا كَانَ فِي الدُّوحَاتِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَاهُ بَعِينَهُ وَسَمِعَهُ بِأُذُنِيهِ(١).

النص الثالث عشر: وأخرج الحافظ ابن عقده (في المولاه) عن عامر بن أبي ليلي بن ضميره وحذيفه بن أسيد قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا أَوْلَاكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، أَلَا وَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ. وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَرَفَعَهَا حَتَّى عَرَفَهُ الْقَوْمُ أَجْمَعُونَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْوَالِيَةِ وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ، ثُمَّ قَالَ: وَإِنِّي سَأَلْتُكُمْ حِينَ تَرُدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ عَنِ الثَّقَلَيْنِ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا، قَالُوا: وَمَا الثَّقَلَانُ؟ قَالَ: الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ كِتَابُ اللَّهِ سَبَبَ طَرَفَهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفَهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَالْأَصْغَرُ عِترتي، وَقَدْ نُبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ أَنَّ لِي يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَلْقِيَانِي، سَأَلْتُ رَبِّي لَهُمْ ذَلِكَ فَأَعْطَانِي، فَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَهْلِكُوا وَلَا تَعْلَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ». وَأَيْضاً أَخْرَجَهُ ابْنُ عِقْدَةَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانَ عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ عَنْ عَامِرٍ وَحَذِيفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ نَحْوَهُ(٢).٧.

ص: ٤٢٠

١- خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ص ٢١.

٢- ينابيع الموده: ص ٣٧.

النص الرابع عشر: أخرج الدولابي في (الذريه الطاهره) روى الحافظ الجعابي عن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن أبيه عن جده عن علي، ولفظه:

«إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا، كتاب الله جبل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

النص الخامس عشر: وأخرج ابن عقده من طريق سعد بن ظريف عن الأصبع ابن نباته عن علي، وعن ابن أبي رافع مولى رسول الله ما لفظه: «أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين الثقيل الأكبر والثقل الأصغر، فأما الأكبر هو جبل الله فييد الله طرفه، والطرف الآخر بأيديكم، وهو كتاب الله إن تمسكتم به لن تضلّوا ولن تذلّوا أبداً، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير أخبرني إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وسألت ذلك لهما فأعطاني، والله سائلكم كيف خلفتموني في كتاب الله وأهل بيتي»^(٢).

النص السادس عشر: أخرج ابن عقده من طريق محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده، وعن أبي هريره ما لفظه: «إني خلفت فيكم الثقلين إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣).

النص السابع عشر: أخرج أبو نعيم عن أبي الطفيل: إن علياً قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أنشد الله من شهد يوم غدیر خم إلقاءً، ولا يقوم رجل»^٨.

ص: ٤٢١

١- المصدر السابق: ص ٣٧.

٢- المصدر السابق: ص ٣٧-٣٨.

٣- ينابيع الموده ص ٣٨.

يقول: بُنيت أو بلغني إلّارجل سمعت أذناه ووعاه قلبه، فقام سبعة عشر رجلاً منهم خزيمه بن ثابت وسهل بن سعد وعدى بن حاتم وعقبه بن عامر وأبو أيوب الأنصاري وأبو سعيد الخدري وأبو شريح الخزاعي وأبو قدامه الأنصاري وأبو يعلى الأنصاري وأبو الهيثم بن التيهان ورجال من قريش، فقال علي: هاتوا ما سمعتم. فقالوا: نشهد أنا أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجه الوداع نزلنا بغدير خم، ثم نادى بالصلاة فصلينا معه، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ما أنتم قائلون؟ قالوا: قد بلغت. قال: اللهم اشهد - ثلاث مرات - ثم قال: إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون. ثم قال: أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن تمسكتم بهما لن تضلوا، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، ولن يفترقا حتى يردها عليّ الحوض، نبيّاني بذلك اللطيف الخبير. ثم قال: إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، أستم تعلمون أنّي أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى ذلك ثلاثاً. ثم أخذ بيدك يا أمير المؤمنين فرفعها، وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فقال علي:

صدقتم وأنا على ذلك من الشاهدين»(١).م.

ص: ٤٢٢

١- ينابيع الموده: ص ٣٦، وأخرج في أسد الغابه حديث مناشده علي عليه السلام مختصراً في عدّه مواضع: ج ١ ص ٣٦٨ و ٣٦٩ و ج ٣ ص ٣٠٧ و ٣١٢ و ج ٥ ص ٢٧٦ و ٣٧٥، وأخرجه أحمد في مسنده: ج ٤ ص ٣٠٧ وفيه: «فقام ثلاثون من الناس» وأخرجه أيضاً مختصراً في ج ٥ ص ٣٠٧، وأخرجه النسائي في الخصائص: ص ٢٢ و ٢٦، وابن حجر في الإصابه، وابن المغازلي في المناقب: ص ٢١، ٢٦، ٢٧، وأبو نعيم في أخبار أصبهان: ج ١ ص ١٠٧ مختصراً وغيرهم.

النص الثامن عشر: أخرج المتقى الهندي خطبه رسول الله صلى الله عليه وآله في غدیر خُمّ منها: «أيها الناس ألا هل تسمعون! فإني فرطكم على الحوض وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه أبعد ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضه، فانظروا كيف تخلّفوني في الثقلين.

قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به ولا تضلّوا، والآخر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبيّ أنى أتتهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا- تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم، من كنت أولى به من نفسه فعلى وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». قال: رواه الطبراني في الكبير عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم (١).

النص التاسع عشر: وأخرج الشريف الحضرمي: «إني فرطكم على الحوض فأسألکم عن ثقلی خلّفتموني فيهما. فقام رجل من المهاجرين فقال:

وما الثقلان؟ قال: الأكبر منهما كتاب الله سبب طرفه بيد الله وسبب طرفه بأيديكم فتمسّكوا به، فالأصغر عترتي، فمن استقبل قبلي وأجاب دعوتي فليستوص بهم خيراً (أو كما قال): فلا- تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم، وإني قد سألت اللطيف الخبير فأعطاني أن يردوا عليّ الحوض كتين - أو قال:

كهايتين وأشار بالمسبحتين - ناصرهما لي ناصر وخاذلهما لي خاذل ووليهما لي ولي وعدوّهما لي عدو» (٢). ٧.

ص: ٤٢٣

١- كنز العمال: ج ١ ص ٤٨.

٢- رشفه الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي: ص ٧١، نظم درر السمطين: ص ٢٣٣-٢٣٤، ينابيع الموده: ص ٣٧.

النص العشرون: أخرج عبد بن حميد في مسنده عن زيد بن ثابت قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم ما إن تمسّـيـكم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إنهما لن يفترقا حتى يرده عليّ الحوض» (١).

النص الحادي والعشرون: وأخرج ابن أبي شيبة والخطيب في المتفق والمفتق عن جابر بلفظ: «إني تارك فيكم ما لن تضلّوا بعدي إن اعتصمتم به، كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (٢).

النص الثاني والعشرون: أخرج الحسن بن محمد الصغاني الحافظ (ت ٦٥٠) في «الشمس المنيرة»: (٣) «افتترقت أمه أخي موسى إحدى وسبعين فرقه، وافتترقت أمه أخي عيسى على اثنتين وسبعين فرقه، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقه كلهم هالكة إلّا فرقه واحده. فلما سمع ذلك منه ضاق المسلمون ذرعاً وضجوا بالبكاء وأقبلوا عليه وقالوا: يا رسول الله، كيف لنا بعدك بطريق النجاه؟ وكيف لنا بمعرفه الفرقة الناجية حتى نعتمدث.

ص: ٤٢٤

١- إحياء الميت بفضائل أهل البيت: ح ٧.

٢- عبقات الأنوار: ج ٢ م ١٢ ص ٤٢.

٣- توجد من هذا الكتاب نسخه مخطوطه في «مكتبه آستان قدس» رقمها (١٧٠٤) عنها أخذنا الحديث، وفي أحاديث افتراق الأمه بعض الشواهد لما في هذا الحديث، وهو كون الفرقة الناجية المتمسّـيـكين بالكتاب والعترة ذكرناه في رساله أفردناها في تعيين الفرقة الناجية، ولا يجوز ترك هذا الحديث لغرابه متنه، فإنّ أحاديث الثقلين وطوائف كثيره من غيرها من الأحاديث كلها ترشد إلى معنا، كما ستعرف بعض ذلك في فصل دلاله الأحاديث.

عليها؟ فقال صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم ما إن تمسّيكتم به لن تضلّوا من بعدى أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

النص الثالث والعشرون: وأخرج الدارمي بسنده عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيبه، وإني تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فتمسّكوا بكتاب الله وخذوا به». فحثّ عليه ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي - ثلاث مرات». وأخرجه المتقى أيضاً عن زيد بن أرقم (١).

النص الرابع والعشرون: وأخرج الحافظ الطحاوي: أنّ النبي صلى الله عليه وآله حضر الشجرة نجم مخرج آخذاً يد عليّ فقال: «يا أيها الناس! أستم تشهدون أنّ الله ربكم؟ قالوا: بلى، قال: أستم تشهدون أنّ الله أولى بكم من أنفسكم وأنّ الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى، قال: إن كنت مولا فهذا عليّ مولا، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم لن تضلّوا بعدى: كتاب الله بأيديكم، وأهل بيتي» (٢).

النص الخامس والعشرون: وفي المعجم الأوسط: «إني تارك فيكم ٧.

ص: ٤٢٥

١- سنن الدارمي: ج ٢ ص ٤٣١ كتاب فضائل القرآن، منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ١ ص ٩٦.

٢- مشكل الآثار: ج ٢ ص ٣٠٧.

الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»(١).

النص السادس والعشرون: وأيضاً فيه: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي - أهل بيتي - ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»(٢).

هذه بعض ألفاظ نصوص الثقلين، وقد ظهر منها أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كرّر عليهم ذلك في موارد متعددة، في غدیر خم والجحفة كما رواه الحاكم(٣)، وابن الأثير(٤)، والنسائي في الخصائص، والذهبي في التلخيص وغيرهم، وفي حجه الوداع بعرفه كما سمعته عن الترمذی، وفي مرض موته كما أخرجه ابن حجر، وبعد انصرافه من الطائف لما قام خطيباً، وفي غيرها من المواطن.

ويستفاد من ذلك شدّه اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بإبلاغ ذلك وإرجاع الأمة إليهما، فكرر ذلك بحسب المواطن والمواقف، حتى لا يبقى لأحد عذر في ترك الرجوع إليهما والتمسك بهما.

قال ابن حجر: ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً، ومر له طرق مبسوطه في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال بحجه الوداع بعرفه، وفي أخرى أنّه قال بالمدينة في مرض ٧.

ص: ٤٢٦

١- المعجم الأوسط: ح ٣٤٦٣، مسند أبي يعلى: ح ٥٤ ص ١٠٢٧.

٢- المعجم الأوسط: ح ٣٥٦٦.

٣- المستدرک: ج ٣ ص ٥٣٣ ح ١٠٩.

٤- أسد الغابه: ج ٣ ص ٩٢، الرقم ١٤٧.

موته وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنه قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مر. ولا تنافي، إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة(١).

دلالة أحاديث الثقلين:

يستفاد من هذه النصوص أمور:

(الأمر الأول) وجوب التمسك بالكتاب والعترة، والمراد به إنما هو وجوب السير على وفق أوامرهم ونواهيهم وإرشاداتهم، لكونهم أعدل القرآن، وعدم افتراق أحدهما عن الآخر.

(الأمر الثاني) انحصار سبيل النجاه والعصمة عن الضلاله بالتمسك بهم وبالكتاب دون غيرهم كائناً من كان، لأنه جعلهم عدل الكتاب وغير مفترقين عنه، ولأنه لو كان التمسك بغيرهم مؤمناً من الضلال لوجب أن يتبه عليه، خصوصاً في مثل تلك المواطن.

ويدل على ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وآله «فلا- تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» وأنه خاطب الجميع في هذه النصوص، فما من الأمة أحد إلا وهو مأمور بالتمسك بهم. ٨.

ص: ٢٢٧

١- الصواعق المحرقة: ص ١٤٨.

(الأمر الثالث) تعليق الأمن من الضلاله بالتمسك بالكتاب وأهل البيت جميعاً، فالتمسك بأحدهما إن لم يقترن بالتمسك بالآخر لا يوجب الأمن من الضلاله، فإنه صلى الله عليه وآله لم يقل: «ما إن تمسكتم بأيهما أو بأحدهما». وعليه: فمفهوم الحديث يدل على وعيد عظيم، وهو أن من لم يتمسك بهما أو تمسك بأحدهما فقط يقع في الضلال، وذكر ذلك الفاضل الشهير أحمد أفندي المعروف بالمنجم باشي (ت ١١١٣ أو ١١١٦) في طي ما أفاده من النكات الجليله، وهو من أعلام السنه ومحققهم (١). بل التمسك الحقيقي بأحدهما من غير التمسك بالآخر لا يتحقق، فلا يمكن التمسك بأحدهما دون الآخر.

(الأمر الرابع) عصمه العتره عن الخطأ والاشتباه، وذلك لوجوه:

١ - عدم افتراقهم عن الكتاب، فتجوز افتراقهم عن الكتاب، وهو منافٍ لقوله صلى الله عليه وآله: «لن يفترقا».

٢ - لو لم يكونوا معصومين لجاز أن يكون المتمسك بهم ضالاً، ويدفع هذا أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك بهم.

٣ - لو لم يكونوا معصومين لما أمكن أن يكونوا منقذين من الضلاله مطلقاً، ولم يكن التمسك بهم أمناً من الضلال كذلك، وهو ينافي قوله صلى الله عليه وآله: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا».

٤ - أنهم لو لم يكونوا معصومين من الخطأ لم يكن التقدم عليهم والتخلف عنهم سبباً للتهلكه على سبيل الإطلاق، وقد قال صلى الله عليه وآله: «فلا ٩».

ص: ٤٢٨

١- يراجع كشف الأستار: ص ١٠٨-١٠٩.

تقدّموا فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا».

٥- أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمر باتباعهم والتمسك بهم على سبيل الإطلاق، ولا يجوز اتباع أحد على الإطلاق إلا إذا كان معصوماً.

(الأمر الخامس) كون العترة أعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله إذ لا معنى لإختصاصهم بالاقتران بالكتاب وعدم افتراقهم عنه إلا إذا كان عندهم من العلوم اللدنيه ما ليس عند غيرهم، وكانوا أعلم بالكتاب والسنة من غيرهم، وكان لهم من الله عنايات اختصّهم بها، وإلا فحالهم وحال غيرهم سواء، ولا يصح اقترانهم بالكتاب في كون التمسك بهم منقاداً من الضلاله، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله: «فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(١).

(الأمر السادس) بقاء العترة الهاديه إلى يوم القيامة، وعدم خلوّ الزمان من عالم من أهل البيت تكون أقواله حجه كالكتاب المجيد، ويدل على ذلك أمور:

أولاً: قوله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين»^(٢) وقوله: «إني مخلف فيكم»^(٣) وقوله: «إني تارك فيكم خليفتين»^(٤) وقوله: «إني قد تركت فيكم»^(٥) وقوله: «إني قد خلفت فيكم الثقلين»^(٦) فإنها تدل على أنه صلى الله عليه وآله ترك في أمته من يكون مرجعاً في أمورهم وخليفته عليهم، وهو القرآنق.

ص: ٤٢٩

-
- ١- ومن هذا الباب ما في (سيره يحيى بن الحسين) ص ٢٦-٢٧: أهل بيتي أئمة الهدى، فقدّموهم ولا تقدّموا عليهم، وأمّروهم ولا تأمروا عليهم، وتعلّموا منهم ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم.
 - ٢- راجع: نفحات الأزهار: ج ١ و ٢، وشرح إحقاق الحق.
 - ٣- راجع: نفحات الأزهار: ج ١ و ٢، وشرح إحقاق الحق.
 - ٤- راجع: نفحات الأزهار: ج ١ و ٢، وشرح إحقاق الحق.
 - ٥- راجع: نفحات الأزهار: ج ١ و ٢، وشرح إحقاق الحق.
 - ٦- راجع: نفحات الأزهار: ج ١ و ٢، وشرح إحقاق الحق.

والعتره. ومن المعلوم أنّ احتياج الأمه اليهما ليس مختصاً بزمان دون زمان، فلو لم يبق ما ترك في الأمه مدى الدهر لا يصدق عليه أنه ترك فيهم من يكون كذلك، وعليه فلا يصح صدور هذه التعابير والتصريحات منه. والفرق واضح بين أن يكون تاركاً ومخلفاً في الجميع ما إن تمسكوا به لن يضلوا أو في البعض، وهذه العبارات كلها صريحه في الأول دون الثاني.

ثانياً: قوله صلى الله عليه وآله: «ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا» وقوله: «إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا» فإنّ نفي الضلال على سبيل التأييد إن تمسكوا بالثقلين لا يصح إلا إذا كان ما يتمسك به باقياً متأبداً.

ثالثاً: قوله صلى الله عليه وآله: «لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض» فإنه لو لم يكن في زمن من الأزمنه من هو عدل الكتاب وقرينه لزم افتراق كل منهما عن الآخر، وهذا يناهى ما هو صريح الحديث من كونهما عدلين وعدم افتراقهما أبداً.

رابعاً: قوله صلى الله عليه وآله: «لن ينقضيا حتى يردا علىّ الحوض» فإنه يدلّ على دوامهما وعدم انقضائهما أبداً.

قال ابن حجر: وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشاره إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السالف: «في كل

خلف من أمتى عدول من أهل بيتي...» إلى آخره(١).

ومما يدل على وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت في جميع الأزمان وعدم خلوّ الزمان من إمام معصوم إلى يوم القيامة - كما هو مذهب الإمامية - مضافاً إلى أخبار السفينة والأمان وغيرهما من الأخبار الكثيرة التي يأتي الإيعاز إلى بعضهما إن شاء الله تعالى، الحديث المشهور الذي أخرجه الحميدى في الجمع بين الصحيحين على ما حكى عنه: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» ونحوه ما عن الحاكم عن ابن عمر، وفيه من الحث الشديد على وجوب معرفه الإمام والتهديد والوعيد لمن قصر في أداء حقه ومعرفته وعدم خلوّ الزمان إلى يوم القيامة من وجود إمام معصوم ما لا يخفى.

وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يوم ندعو كل أناسٍ بإمامهم» قال: يُدعى كل قوم بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسُنّة نبيهم(٢).

وأخرجه الثعلبي مسنداً عنه صلى الله عليه وآله(٣).

هذا ومن شاء استقصاء ما يستفاد من الحديث من شؤون أهل البيت عليهم السلام ٩.

ص: ٤٣١

١- الصواعق المحرقة: ص ١٤٩، وقد نص عليه أيضاً السمهودى والدوله آبادى والعجيلى وكمال الدين الجهرمى وغيرهم ممن سرد أسماءهم وتصريحاتهم فى الطبقات فراجع.

٢- الدر المنثور: ج ٤ ص ١٩٤، روح المعانى: ج ١٥ ص ١١٢.

٣- خصائص الوحي المبين لابن بطريق: ص ١٢٩.

ومقاماتهم فعليه بكتاب عبقات الأنوار: ج ١٢ م ١٢، فإنه ذكر أمور كثيره واستشهد لها بالأحاديث وتصريحات أعلام أهل السنه فى غاية التحقيق (١).

والله هو الهادى إلى الصراط المستقيم.ن.

ص: ٤٣٢

١- والعلامة الشهير محمد بن على بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٣) بحث قيم حول أحاديث الأئمة الاثنى عشر ورواتها ودلالاتها، وكذلك أحاديث الثقلين والسفينه والأمان فى كتابه القيم (متشابهات القرآن ومختلفه): ج ٢ ص ٥٥-٥٨ فى نهايه الدقه والإتقان.

من هو الذى يجب التمسك به من العتره؟

لا- ريب فى أنّ المراد بالعترة التى أمر النبى صلى الله عليه وآله الأئمه بالتمسك بها ليس كل واحد منها، بل المراد منها -
بمناسبه عدم افتراقهم عن الكتاب وكونهم معصومين ووجوب متابعتهم وأنّ التمسك بهم أمن من الضلال - أئمتهم
وعلمائهم والمستجمعون للفضائل والكمالات العلميه والعملية، وقد صرح بذلك غير واحد من أهل السنه.

قال ابن حجر: (تنبيه) سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وعترة، وهى بالمشناه الفوقانية: الأهل والنسل والرهب
الأدنون، ثقلين لأن الثقل كل خطير مصون، وهذان كذلك، إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنيه والأسرار والحكم العليه والأحكام
الشرعية، ولذا حث صلى الله عليه وآله الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم، وقال: «الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة أهل
البيت». وقيل: سُميا ثقلين لثقل وجوب رعايه حقوقهما.

ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنّما هم العارفون بكتاب الله وسنه رسوله،

إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق: «ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم». وتميزوا بذلك عن بقية العلماء، لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة، وقد مرّ بعضها (١).

وقال السهمودي: والحاصل: أنه لما كان كل من القرآن العظيم والعترة الطاهرة معدناً للعلوم اللدنية والحكم والأسرار النفيسة الشرعية وكنوز دقائقها واستخراج حقائقها، أطلق رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما الثقلين، ويرشد لذلك حثه صلى الله عليه وآله في بعض الطرق السابقة على الاقتداء والتمسك والتعلم من أهل بيته، وقوله في حديث أحمد: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمه أهل البيت، (٢) ما سيأتى من كونهم إماماً للأمة (٣).

وقال السيد أبو بكر العلوي الشافعي: قال العلماء: والذين وقع الحث على التمسك بهم من أهل البيت النبوي والعترة الطاهرة، هم العلماء بكتاب الله عز وجل منهم، إذ لا يحث صلى الله عليه وآله على التمسك إلاّ بهم، وهم الذين لا يقع بينهم وبين الكتاب افتراق حتى يردوا الحوض، ولهذا قال: «لا تقدّموهما».

ص: ٤٣٤

١- الصواعق المحرقة: ص ١٤٩.

٢- أخرج أحمد في المناقب (كما في كفاية الطالب لمناقب علي بن أبي طالب للشنقيطي: ص ٥٦ وينايع الموده ٢/٩٨ وغيرهما) عن جميل بن عبد الله بن يزيد المدني قال: ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله قضاء قضى به علي، فأعجب النبي صلى الله عليه وآله عليه وآله فقال: الحمد لله الذي جعل الحكمه فينا أهل البيت.

٣- رشفه الصادي ص ٧٢-٧١ ط مصر ١٣٠٣.

فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا» واختصوا بمزيد الحث على غيرهم من العلماء كما تضمنته الأحاديث السابقة، وذلك مستلزم لوجود من يكون أهلاً للتمسك به منهم في كل زمان وجدوا فيه إلى قيام الساعة، حتى يتوجه الحث إلى التمسك به، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً للأمم كما سيأتي، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض (١).

وقال الحكيم الترمذي: وهذا (يعني أهل بيتي) عام أريد به الخاص، وهم العلماء العاملون منهم (٢).

وقال التفتازاني في شرح المقاصد: ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام قد قرنهم بكتاب الله في كون التمسك بهما منقذ عن الضلال، ولا معنى للتمسك بالكتاب إلا لأخذ بما فيه من العلم والهداية، فكذا في العتره (٣).

وقال ابن أبي الحديد علماًه المعتزله: وقد بين رسول الله عترته من هي لما قال: «إني تارك فيكم الثقلين» فقال: «عترتي أهل بيتي»، وبين فيما مقام آخر من أهل بيته حيث طرح عليهم الكساء وقال حين نزلت: إنما يريد الله ليذهب:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس» (٤).

وقال ابن حجر: ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم على بن أبي طالب كرم الله وجهه، لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثم قال: *

ص: ٤٣٥

١- رشفه الصادي: ص ٧٢-٧٣.

٢- عبقات الأنوار: ج ٢ م ١٢/٢٩٣.

٣- عبقات الأنوار: ج ٢ م ١٢/٦.

٤- شرح نهج البلاغه: ج ٢ ص ١٣٠.

أبو بكر: على عتره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١)، أى الذين حث على التمسك بهم، فخصه لما قلنا، وكذلك خصه صلى الله عليه وآله بما مر يوم غدير.

وقد (٢) خص علياً بالأمر بالتمسك به فى روايات أخرى متواتره أخرجها العام والخاص فى كتبهم، فمنها: ما أخرجه الحافظ أبو نعيم بسنده عن الإمام السبط الحسن عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ادعوا لى سيد العرب - يعنى على بن أبى طالب - فقالت عائشه: ألسنت سيد العرب؟ فأقل: أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب. فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار! ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: هذا على فأحبوه بحبى، وأكرموه بكرامتى، فإن جبرئيل أمرنى بالذى قلت لكم من الله عز وجل» ورواه أبو بشر عن سعيد بن جبير عن عائشه نحوه فى السؤدد مختصراً (٣).

كما قد نص عليه فى نفس هذه النصوص، وأخرجه غير واحد من أكابر أهل السنه كابن حجر المكي، والدارقطنى، والسمهودى وغيرهم (٤).

وقد خص علياً والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام بالأمر بالتمسك بهم، ٤.

ص: ٤٣٦

١- لسان الميزان: ج ٧ ص ٤٤.

٢- الصواعق المحرقة: ص ١٤٩.

٣- حليه الأولياء: ج ١ ص ٦٣، شرح نهج البلاغه: ج ٢ ص ٤٥٠، نزاهة المجالس: ص ٤٥٧-٤٥٨.

٤- راجع عبقات الأنوار الجزء الأول من المجلد ١٢ والثانى ص ٩٠-٨٩ من المجلد ١٢ والصواعق المحرقة: ص ١٢٤.

وأنهم وكتاب الله لا- يفترقان حتى يردا على الحوض في حديثٍ أخرجه الثعلبي في العرائس عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك (1)، وفي غيره من الأحاديث.

وخص الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام بالأمر بالتمسك بهم في حديثٍ أخرجه الحافظ أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس في أربعينه، وفي أحاديث كثيرة أخرى.

وقد ظهر مما ذكرناه في دلاله أحاديث الثقلين وجه تعين وجوب التمسك بالأئمة الاثنى عشر من بين العتره الطاهره واختصاصهم بذلك المنصب، فإن غيرهم من العتره لم يدع العصمه والعلم بأحكام جميع الوقائع.

ويدلّ عليه أيضاً إجماع المسلمين على أنّ من عداهم ليس معصوماً وعالمياً بجميع الأحكام الشرعيه، كما يدلّ عليه الأخبار الكثيره التي خرّجها مسلم وأحمد والبخاري والترمذي وأبو داود والحاكم والمتقى وابن الديبع والخطيب والسيوطي وغيرهم في عدد الأئمة والخلفاء عن جابر بن سمره، وابن مسعود، وأنس وغيرهم (2).ث.

ص: ٤٣٧

-
- ١- نزهه المجالس: ص ٤٦٨، كشف الأستار: ص ١١٣.
 - ٢- راجع في ذلك كتابنا «منتخب الأثر» وكتابنا الآخر «جلاء البصر» وكتابنا باللغه الفارسيه «نويد أمن وأمان» وإن شئت الرجوع إلى الصحاح والمسائيد والجوامع فراجع مسند أحمد (ط مصر سنه ١٣١٣) و ج ٥ صحائف ٨٦-١٠٨ و ج ١ ص ٣٩٨، صحيح البخاري: ص ١٧٥ (ط مصر ١٣٥٥)، صحيح مسلم (ط مصر سنه ٣٤٨) ج ٢ ق ١ ص ١٩١، سنن الترمذي: ج ٢ ص ٤٥ (ط دهلي ١٣٤٢)، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٠٧ (ط مصر المطبعه التنازيه)، المستدرک على الصحيحين ج ٣ ص ٦١٧-٦١٨، معرفه الصحابه (ط حيدر آباد ١٣٣٤)، مسند أبي داود الطيالسي: ح ٧٦٧ و ١٢٧٨، تاريخ بغداد: ج ٢ ص ١٢٦ رقم ٥١٦ و ج ٦ ص ٢٦٣ رقم ٣٢٦٩ و ج ٤ ص ٣٥٣ رقم ٧٦٧٣، تيسير الوصول ج ٢ ص ٣٤ (ط مصر ١٣٤٦)، تاريخ الخلفاء، ينابيع الموده، مصابيح السنه، منتخب كنز العمال، مجمع الزوائد، وغيرها من جوامع الحديث.

ومن المعلوم أن هذا العدد لا ينطبق إلّا على الأئمة الاثنى عشر، وقد صرح بأسمائهم رسول الله صلى الله عليه وآله في روايات كثيرة متواتره أخرجها الإماميه بطرقهم المعتبره في صحاحهم وجوامعهم، كما قد أخرج طائفه منها جمع من شيوخ السنّه وأعلامهم، وأفرد جماعه من أصحاب الحديث من الفريقين في فضائلهم ومناقبهم وكراماتهم وما ورد فيهم من النصوص وتنصيب كل واحد منهم على الإمام الذي يلي الأمر بعده، وفي العلوم الصادره عنهم كتباً نافعه قيمه (١).

قال الفاضل القندوزي: قال بعض المحققين: إنّ الأحاديث الدالّه على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله اثنا عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم أنّ مراد رسول الله صلى الله عليه وآله من حديثه هذا الأئمة الاثنى عشر من أهل بيته وعترته إذ لا يمكن أن يحل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأمويين لزيادتهم على الاثنى عشر ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم لأنّ النبي قال: «كلّهم من بني هاشم» في روايه عبد الملك عن جابر.

وإخفاء صوته في هذا القول يرجح هذا الروايه، لأنهم لا يحسنون خلفه بني هاشم. ولا يمكن أن يحمل على الملوك العبّاسيين لزيادتهم على العدد ٩.

ص: ٤٣٨

١- يراجع في ذلك عبقات الأنوار: ج ١ م ٢٥٣-١٢/٢٥٩.

المذكور ولقله رعايتهم الآيه قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا الموده في القريبو حديث الكساء. فلا بد أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثنى عشر من أهل بيته وعترته صلى الله عليه وآله، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله. وكان علومهم من آبائهم متصلاً بجدهم صلى الله عليه وآله وبالوراثه اللدنيه، كذا عرّفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتدقيق. ويؤيد هذا المعنى - أي أن مراد النبي صلى الله عليه وآله الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته - ويشهده ويرجّحه حديث الثقلين والأحاديث المتكثرة المذكوره في هذا الكتاب... إلخ (١).

وقال محمد معين السندى في كتابه «دراسات اللبيب» في طى كلماته في حديث الثقلين: ولما كان هذا بطريق دلالة النص انتظرنا نصاً فيهم يدلنا على إمامتهم في العلم، فوجدنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحمد لله الذى جعل الحكمة فينا أهل البيت»، فعلمنا أنهم الحكماء العارفون والعلماء الوارثون الذين وقع الحث على التمسك بهم في دين الله تعالى وأخذ العلوم عنهم، وأيدنا في ذلك ما أخرج الثعلبى في تفسير قوله: واعتصموا بحبل الله جميعاً (٢) عن جعفر الصادق عليه السلام قال: «نحن حبل الله الذى قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» انتهى.

وكيف لا وهم أحد الثقلين، فكما أن القرآن حبل الله الممدود من السماء فكذلك أهل هذا البيت المقدّس (صلوات الله تعالى وتسليماته عليهم أجمعين)، ٣.

ص: ٤٣٩

١- ينابيع الموده: ص ٤٤٦.

٢- آل عمران: ١٠٣.

وقد قال قائلهم عليه السلام مُخْبِرًا عن نفسه القدسي وسائر رهطه المطهّرين:

وفينا كتاب الله أنزل صادقاً وفينا الهدى والوحي والخير يذكر

ثم ساق الكلام إلى أن قال: فعلمنا من كلام الأئمة (عليهم رضوان الله تعالى) معنى التمسك بهم بما لا ريبه فيه، إلّا لمن ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردّدون.

وقال أيضاً: فإذا انضمّ إلى ذلك ما ورد من الأخبار في الأئمة الاثني عشر ممّا بسطنا أكثرها في المقامات الأربعة من كتابنا المسمى «مواهب سيّد البشر في حديث الأئمة الاثني عشر» بالترتيب بسطناها، وما اجتمع عليه السلف والخلف من غزاره علوم هذا العدد المبارك وخرقهم العوائد وما اختصّوا به من المزايا الباهرة من بين سائر الرجال الأبطال من هذه الفئة الفائقة على معاصريها في كل عصر، يتيقن بأنهم الأولى بصدق أحاديث التمسك عليهم من غيرهم.

وقال أيضاً في طيّ تحقيقاته: فلا- وجه لأن يمتري من له أدنى إنصاف في أن من صدق عليهم هذه الأحاديث والآية من غير شائبه، وهم الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام وسيدة نساء العالمين بضعه رسول الله صلى الله عليه وآله أمّ الأئمة الزهراء الطاهرة، على أبيها وعليها الصلاة والسلام، لا شائبه في كونهم معصومين كالمهدي منهم عليهم السلام... إلخ (1).

وقال الشبراوي الشافعي: قد أشرق نور هذه السلسلة الهاشمية والبيضة الطاهرة النبوية والعصابه العلوية، وهم اثنا عشر إماماً مناقبهم عليه وصفاتهم ٦.

ص: ٤٤٠

سنيه ونفوسهم شريفه أبيه وأرومتهم كريمه محمديه، وهم محمد الحجه ابن الحسن الخالص ابن على الهادى ابن محمد الجواد ابن على الرضا ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق، ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الإمام الحسين أخى الإمام الحسن ولدى الليث الغالب على بن أبى طالب (رضى الله تعالى عنهم أجمعين)(١).

وقال الشبراوى أيضاً: ويكفيه (يعنى الإمام الحسن العسكرى عليه السلام) بأنّ الإمام المهدي المنتظر من أولاده، فلله درّ هذا البيت الشريف والنسب الخضم المُنيف، وناهيك به من فخار وحسبك فيه من علوّ مقدار، فهم جميعاً فى كرم الأرومه وطيب الجرثومه، كأسنان المشط متعادلون ولسهام المجد مقتبسون، فياله من بيت على الرتبه سامى المحله، فلقد طاول السماك عللاً ونبلاً وسما على الفرقدين منزلهً ومحللاً، واستغرق صفات الكمال فلا يستثنى فيه بغير ولا بالاً، وانتظم فى المجد هؤلاء الأئمه انتظام اللآلى، وتناسقوا فى الشرف فاستوى الأوّل والتالى، وكم اجتهد قوم فى خفض منارهم والله يرفعه، وركبوا الصعب والذلول فى تشتيت شملهم والله يجمعه، وكم ضيعوا من حقوقهم مالا- يهمله الله ولا- يضيّعه. أحياناً الله على حبهم وأماتنا عليه(٢).٨.

ص: ٤٤١

١- الإتحاف بحب الأشراف: ص ٦٩.

٢- الإتحاف بحب الأشراف: ص ٦٨.

الثانى من النصوص الصريحه المرشده إلى التمسك بأهل البيت وحجيه مذاهبهم وأقوالهم ووجوب التأسي بأعمالهم، أحاديث السفينه التى أخرجها من أعلام السنّه ما يربو على المائه: كأحمد والطبرانى وأبى نعيم والبزار وابن عبد البر والسيوطى والسمعانى وابن الأثير والفخر ومحمد بن طلحه الشافعى والمتمقى والملاء وسبط ابن الجوزى والمحب الطبرى والخطيب وابن كثير وابن المغازلى والسهمودى وابن الصبّاغ وأبى بكر الحضرمى والصبان والشبلنجى والقندوزى وابن حجر وغيرهم، عن أبى ذر وابن عباس وابن الزبير وأنس وأبى سعيد الخدرى وسلمه بن الأكوع، وإليك بعض ألفاظ الحديث:

النص الأوّل: اخرج الحاكم بسنده عن حنش الكنانى قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ باب الكعبه: أيّها الناس من عرفنى فأنا من عرفتم ومن أنكرنى فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «مثل أهل بيتى مثل سفينه نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وأخرجه ابن المغازلي إلّا أنّه قال: «إنّما مثل» وقال «من ركب فيها»، وفي حديث آخر زاد: «ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنّما قاتل مع الدجال» وأخرجه الطبراني عن أبي ذر إلّا أنّه قال: «سفينه نوح في قوم نوح» قال: «هلك» بدل «غرق» وزاد: «ومثل باب حطه بنى إسرائيل»، وأخرجه أبوطالب يحيى بن الحسين المتولد سنة ٣٤٠ هـ بأمل بسنده عن حنش إلّا أنّه قال: «من عرفنى فقد عرفنى» وقال: «مثل أهل بيتى فيكم»، وأخرج نحوه الهيثمي وابن حجر والسيوطي (١).

النص الثاني: أخرج البزار وغيره عن ابن عباس: «مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق» (٢).

النص الثالث: أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّما مثل أهل بيتى كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإنّما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطه».

ص: ٤٤٤

١- المستدرک: ج ٢ ص ٣٤٣ و ج ٣ ص ١٥٠، إحياء الميت: ح ٢٦، الصواعق المحرقة: ص ١٨٤، الجامع الصغير: ج ١ ص ٩٧، الجامع الكبير: ح ١٩٧٣٣، كنز العمال: ج ١٢، ح ٣٤١٥١ و ٣٤١٦٩ و ٣٤١٧٠، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ج ٥ ص ٩٢، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٦٨، نظم درر السمطين: ص ٢٣٥، المناقب لابن المغازلي: ص ١٣٣ و ص ١٣٤، تيسير المطالب: ص ١٣٦.

٢- إحياء الميت: ح ٢٥، الصواعق المحرقة: ١٨٤، الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٥٥، كفايه الطالب: ص ٢٣٣، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٦٨، المناقب لابن المغازلي: ص ١٣٤، حليه الأولياء: ج ٤ ص ٣٠٦، ذخائر العقبى: ص ٢٠.

فى بنى إسرائيل من دخله غفر له»(١).

النص الرابع: أخرج البزار عن عبد الله بن الزبير أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تركها غرق»(٢).

النص الخامس: وأخرج الثعلبي: «مثل عترتي كسفينة نوح، من ركب فيها نجا»(٣)، وأخرجه القندوزي عنه إلّا أنّه قال: «من ركبها نجا»(٤).

النص السادس: وأخرج الخطيب بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»(٥).

النص السابع: أخرج الحموي في فرائد السمطين بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي، أنا مدينة العلم وأنت بابها، ولن يؤتى المدينة إلّا من قبل الباب، وكذب من زعم أنّه يحبني ويبغضك، لأنك مني وأنا منك، لحمك من لحمي ودمك من دمي وروحك من روحي وسريرتك من سريرتي وعلايتك ا.

ص: ٤٤٥

-
- ١- إحياء الميت: ح ٢٧، رشفه الصادى: ص ٨٠، الأربعين النهانيه: ص ٢١٦، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٦٨.
 - ٢- إحياء الميت: ح ٢٤، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٦٨ إلّا أنّه قال «أهل بيتي» وقال «وسلم»، الجامع الصغير: ج ٩ ص ١٥٥، الصواعق المحرقة: ص ١٨٤.
 - ٣- كنوز الحقائق ج ٢ ص ٨٩.
 - ٤- ينابيع الموده: ص ١٨١.
 - ٥- تاريخ بغداد: ج ١٢ ص ٩١.

من علانيتي، سعد من أطاعك وشقي من عصاك وريح من تولّماك وخسر من عاداك، فاز من لزمك وهلك من فارقك، مثلك ومثل الأئمة من ولدك من بعدى مثل سفينه نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثلكم كمثّل النجوم كلّما غاب نجم طلع نجم إلى يوم القيامة»(١).

النص الثامن: أخرج الشبلنجي والصبان قالا: وروى جماعه من أصحاب السنن عن عده من الصحابه أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينه نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك. وفي روايه: غرق، وفي أخرى: زُجّ في النار»(٢).

النص التاسع: قال ابن حجر: وجاء من طرقٍ عديده يقوَى بعضها بعضاً:

«إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينه نوح من ركبها نجا»، وفي روايه مسلم:

«ومن تخلف عنها غرق» وفي روايه «هلك»(٣). وقال: وفي روايه: «إنّ مثل أهل بيتي» وفي روايه: «ألا- إنّ مثل أهل بيتي» وفي روايه «ألا إنّ مثل أهل بيتي فيكم» وفي روايه: «من ركبها سلم ومن تركها غرق»(٤).

النص العاشر: وقال ابن حجر أيضاً: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب ٤.

ص: ٤٤٦

١- ينابيع الموده: ص ٢٧، عبقات الأنوار: ج ٢ م ١٢/١١٣٩، وكأنّه اقتبس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله و آله فقال: ألا إنّ مثل آل محمد كمثّل نجوم السماء، كلّما خوى نجم طلع نجم (نهج البلاغه: خ ١٠٠).

٢- نور الأبصار: ص ١٠٣، إسعاف الراغبين: ص ١١٤.

٣- الصواعق المحرقة: ص ١٥٠.

٤- الصواعق المحرقة: ص ٢٣٤.

حطه فى بنى إسرائيل، من دخل غفر له، وفى روايه: غفر له الذنوب»(١).

النص الحادى عشر: وأخرج ابن السرى عن على عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل أهل بيتى كمثل سفينه نوح، من ركبها نجا ومن تعلق بها فاز، ومن تخلف عنها زج فى النار»(٢).

النص الثانى عشر: أخرج الديلمى أبو منصور شهردار بن شيرويه فى كتاب «مسند الفردوس» عن أبى سعيد الخدرى قال: صلى بنا رسول الله صلاه الأولى، ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: «يا معاشر أصحابى، إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينه نوح وباب حطه بنى إسرائيل، فتمسكوا بأهل بيتى بعدى الأئمه الراشدين من ذريتى، فإنكم لن تضلوا أبداً». فقيل: يا رسول الله، كم الأئمه بعدك؟ قال: «اثنا عشر من أهل بيتى. أو قال: من عترتى»(٣).

النص الثالث عشر: وأخرج ابن أبى شيبه عن على عليه السلام قال: «إنما مثلنا فى هذه الأئمه كسفينه نوح وكباب حطه»(٤).

النص الرابع عشر: وأخرج القطان فى أماليه وابن مردويه عن عباد بن عبد الله الأسدى فى حديث أن على بن أبى طالب عليه السلام قال: «والله إن مثلنا فى هذه الأئمه كمثل سفينه نوح فى قوم نوح، وإن مثلنا فى هذه الأئمه كمثل باب ٨.

ص: ٤٤٧

١- المصدر السابق: ص ١٥٠.

٢- ذخائر العقبى: ص ٢٠.

٣- عبقات الأنوار: ج ٢ م ١٢/٩٨٠.

٤- الدر المنثور: فى تفسير قوله تعالى فى سورة البقره: وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية سورة البقره: الآية ٥٨.

النص الخامس عشر: وأخرج الطبرانى عن جعفر بن المعتمر قال: رأيت أباذر الغفارى أخذ بعضادتى الكعبه وهو يقول: من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أبوذر الغفارى، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله (يقول): «مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينه نوح فى قوم نوح من ركبها نجا، من تخلف عنها هلك، و كمثل باب حطّه بنى إسرائيل»(٢).

وقال ابن حجر: وجه تشبّههم بالسفينه فيما مرّ أنّ من أحبّهم وعظّمهم شكراً لنعمه مشرفهم صلى الله عليه وآله، وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمه المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعم وهلك فى مفاوز الطغان، ومرّ فى خبر: أنّ من حفظ حرمه الإسلام وحرمة صلى الله عليه وآله وحرمة رحمه حفظ الله تعالى دينه ودنياه، ومن لا لم يحفظ دنياه ولا آخرته، وورد: «يرد الحوض أهل بيتى، ومن أحبّهم من أمتى كهاتين السبابتين»، ويشهد له خبر «المرء مع من أحبّ»، وباب حطّه أنّ الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذى هو باب أريحاء أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفره، وجعل لهذه الأمه موده أهل البيت عليهم السلام سبباً لها كما سيأتى قريباً(٣).

وقال السيد أبو بكر بن شهاب الدين العلوى الحسينى الشافعى الحضرى:

ووجه تمثيله صلى الله عليه وآله لهم بسفينه نوح، أنّ النجاه من هول الطوفان ١.

ص: ٤٤٨

١- كنز العمال: ج ٦ ص ٢٥٠.

٢- المعجم الأوسط: ح ٣٥٠٢.

٣- الصواعق المحرقة: ص ١٥١.

ثابته لمن ركب تلك السفينه، وأن من تمسك بأهل بيته صلى الله عليه وآله وأخذ بهديهم كما حث عليه في الأحاديث السابقه نجا من ظلمات المخالفات واعتصم بأقوى سبب إلى رب البريات، ومن تخلف عن ذلك وأخذ غير مأخذهم ولم يعرف حقهم غرق في بحار الطغيان واستوجب الحلول في النيران، إذ من المعلوم مما سبق. ويأتى أن بغضهم منذر بحلولها موجب لدخولها.

وأما وجه تمثيله صلى الله عليه وآله لهم بباب حطه - وهو باب أريحاء وقيل: باب بيت المقدس - فذلك أن المولى سبحانه وتعالى جعل لبنى إسرائيل دخولهم الباب مستغفرين متواضعين سبباً للغفران، كما تقدم عن ثابت البناني في قوله عز وجل: وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى (١) قال:

إلى ولاية أهل البيت، فجعل الاهتداء إلى ولايتهم مع الايمان والعمل الصالح سبباً للمغفرة (٢).

وفي فرائد السمطين: أن الواحدى بعد نقل ما رواه الحاكم بسنده عن حنش بن المعتمر قال: سمعت أبا ذر وهو أخذ بباب الكعبه وهو يقول: أيها الناس! فأنا من قد عرفتم ومن لم يعرفنى فأنا أبو ذر، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينه نوح من دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك».

قال: أنظر كيف دعا الخلق إلى التسبب إلى ولائهم والسير تحت لوائهم بضرب مثلهم بسفينه نوح، جعل ما فى الآخره من مخاوف الأخطار وأهوال .

ص: ٤٤٩

١- طه: الآيه ٨٢.

٢- رشفه الصادى: ص ٨٠.

النار، كالبحر الذى لَجَّ براكبه فيورده مشارع المنيه ويفيض عليه سجال البليه، وجعل أهل بيته عليه وعليهم السلام سبب الخلاص من مخاوفه والنجاه من متالفه، وكما لا يعبر بحر الهياج عند تلاطم الأمواج إلَّا بالسفينه كذلك لا يؤمن لفح الجحيم ولا يفوز بدار النعيم إلَّا من تولَّى أهل بيت الرسول (صلوات الله عليه وعليهم)، ونحل لهم ودّه ونصيحته وأكد في موالاتهم عقيدته، فإنّ الذين تخلفوا عن تلك السفينه آلوا شر مآل وخرجوا من الدنيا إلى أنكال وجحيم ذات أغلال، وكما ضرب مثلهم لسفينه نوح، قرنهم بكتاب الله فجعلهم ثانى الكتاب وشفع التنزيل (١).

أقول: من تدبّر حق التدبّر فى أحاديث السفينه، وما يأتى من أحاديث الطائفه، وأحاديث من مات ولم يعرف إمام زمانه، وأحاديث الخلفاء والأئمه الاثني عشر، وأحاديث الثقلين، وحديث فى كلّ خلف، وحديث من سرّه.

وغيرها من الأحاديث الكثيره التى أخرجنا بعضها فى هذا الكتاب، يحصل له العلم بعدم خلوّ الزمان من إمام معصوم من أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله، يجب التمسّك به فى الأمور الدينيه ومعرفته ومتابعته والتأسّى به وأخذ العلم عنه، فهو خليفه الرسول فى بيان الأحكام وتبليغ مسائل الحلال والحرام وتفسير القرآن، كما أنّ الكتاب العزيز أيضاً خليفته، وهما لا يفترقان عن الآخر.

وعلى هذا الأساس المتين المستفاد من هذه الأخبار المتواتره القطعيه ٦.

ص: ٤٥٠

١- كشف الأستار ص ١٠٥، عبقات الأنوار ج ٢ م ١٢/٩٧٦.

وغيرها، بنى مذهب الإماميه القائلين بوجود الإمام المعصوم فى كل عصر وزمان من أهل البيت، وانحصار الإمامه فى الاثنى عشر إلى قيام الساعه. ويرشد إلى ذلك - \أى عدم خلق الأرض من الإمام - \ ما رواه الخاص والعام عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام قال: «اللهم بلى لا- تخلو الأرض من قائم لله بحجه أما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبنياته، وكم ذا، وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبنياته». أخرجه الشريف الرضى والذهبي مع اختلاف يسير وسبط ابن الجوزى فى تذكره الخواص والموفق بن حمد الخوارزمى فى المناقب وعلى المتقى فى كنز العمال وأبو نعيم الأصبهاني فى حليه الأولياء(١).

وقد ظهر مما ذكر أن أحاديث السفينه صريحاً حصرت طريق النجاه بالتمسك بهم، فلا ينجو إلا من تمسك بهم، كما أنه لم ينج من قوم نوح إلا من ركب السفينه، فمن لم يركبها وتخلّف عنها غرق.٦.

ص: ٤٥١

١- نهج البلاغه، باب الحكم ح ١٤٧، تذكره الحقاظ: ج ١ ص ١١-١٢، عبقات الأنوار: ج ٢ م ٢٤١-٢٤٦/١٢.

الثالث من الأحاديث الدالّة على نجاه المتمسكين بأهل البيت، وانحصار نجاه غيرهم من الأُمّة كائناً من كان بالتمسك بهم، وأنهم أمان للأُمّة من الاختلاف والهلاك والاندثار (أحاديث الأمان). وإليك بعض ألفاظها:

النص الأول: أخرج الحاكم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيله من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»^(١)، وأخرجه ابن حجر والسيوطي^(٢).

النص الثاني: وأخرج ابن حجر أيضاً: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض،

ص: ٤٥٣

١- المستدرک للحاکم: ج ٣ ص ١٤٩.

٢- الصواعق المحرقة: ص ١٥٠ و ٢٣٤، إحياء الميت: ح ٣٥.

فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون»(١).

النص الثالث: وأخرج أبو يعلى فى مسنده عن سلمه بن الأ-كوع بسند حسن: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي»(٢)، وأخرجه الحكيم الترمذى فى نوادره(٣)، وأخرجه ابن حجر، وأخرج عن أحمد: «فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»(٤)، وأخرجه الهيثمى عن الطبرانى عن سلمه إلمأأنه قال: «النجوم جعلت أماناً لأهل السماء وإنّ أهل بيتي أمان لأمتي»(٥)، وأخرجه ابن أبى شيبه والمسدد فى مسنديهما(٦).

النص الرابع: أخرج أحمد فى المناقب عن على عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»(١).

ص: ٤٥٤

-
- ١- الصواعق المحرقة: ص ١٥٠.
 - ٢- الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٨٩، ذخائر العقبى: ص ١٧، كنز العمال، ج ١٢، ح ٣٤١٥٥ و ٣٤١٨٨ و ٣٤١٨٩ عن ابن عباس.
 - ٣- كنوز الحقائق: ص ١٣٣.
 - ٤- الصواعق المحرقة: ص ١٥٠.
 - ٥- مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٧٤.
 - ٦- إحياء الميت: ح ٢١.

أقول: (١) روى أحاديث الأمان بطرق كثيرة وألفاظ متقاربه، جمع كثير من أعلام أهل السنه عن أمير المؤمنين على وأنس وأبي سعيد الخدرى وجابر وأبي موسى وابن عباس وسلمه بن الأكوع، لا حجه هنا إلى إخراج ألفاظها وسرد أسماء مخرجيها أزيد من ذلك (٢).

قال ابن حجر: الآيه السابعه (يعنى من الآيات الوارده فى أهل البيت عليهم السلام) قوله تعالى: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (٣)، أشار صلى الله عليه وآله إلى أنّ وجود ذلك المعنى فى أهل بيته، وإنهم أمان لأهل الأرض، كما كان هو صلى الله عليه وآله أماناً لهم، وفى ذلك أحاديث كثيره (٤).

وقال بعضهم: يحتمل أنّ المراد بأهل البيت الذين هم أمان علماؤهم، لأنهم الذين يهتدى بهم كالنجوم، والذين إذا فقدوا جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون، وذلك عند نزول المهدي لما يأتى فى أحاديثه... إلخ (٥).

وقال أحمد: إنّ الله خلق الأرض من أجل النبي صلى الله عليه وآله،.

ص: ٤٥٥

١- رشفه الصادى: ص ٧٨، الصواعق المحرقة: ص ٢٣٣-٢٣٤، ذخائر العقبى عن أحمد فى المناقب: ص ١٧ إلّا أنّه قال «ذهبت النجوم».

٢- يراجع لاستقصاء ذلك والأطلاع على كلمات العلماء حول هذه الأحاديث وما يستفاد منها كتب الحديث والمناقب وعبقات الأنوار: ج ٢ م ١١٢٣-١١٣٥/١٢.

٣- الأنفال: الآيه ٣٣.

٤- الصواعق المحرقة: ص ١٥٠.

٥- الصواعق المحرقة: ص ١٥٠.

فجعل دوامها بدوام أهل بيته وعترته (١).

وقال الشريف السهمودي بعد إيراد هذه الأحاديث: يحتمل أنّ المراد بأهل البيت الذين هم أمان للأمة علماءهم الذين يهتدى بهم كما يهتدى بنجوم السماء، وهم الذين إذا خلت الأرض منهم جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون وذهب أهل الأرض، وذلك عند موت المهدي الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وآله (٢).

أقول: إنّ دلالة هذه الأحاديث على حجيه مذاهب أهل البيت عليهم السلام وكونهم أماناً من الاختلاف لعصمتهم، ووجود من يكون أهلاً للتمسك به منهم في كل زمان إلى قيام الساعة، وإنّ المراد من أهل البيت الذين هم أمان لأهل الأرض أئمتهم، في غايه الوضوح؛ فإنّهم لم يختصوا بهذا التشريف من دون الناس إلّا لكونهم معدناً للعلوم النبويه والأحكام الشرعيه والفضائل المحموده، فلا بد أن لا يخلو الزمان ممن يكون منهم موصوفاً بهذا الصفات وأهلاً لأن يكون مشرفاً بهذا التشريف، وأماناً لهذه الأمة المرحومه ولجميع أهل الأرض من الزوال والفناء والاختلاف.

وأصرح من الجميع في أنّ المراد من أهل البيت أئمتهم وعلمائهم، ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس وصححه، فإنّ اتّصاف أهل البيت بكونهم أماناً للأمة من الاختلاف على سبيل الإطلاق في الأمور الدينيه وغيرها، كما قال ٨.

ص: ٤٥٦

١- ينابيع الموده: ص ١٩-٢٠.

٢- رشفه الصادى: ص ٧٨.

صلى الله عليه وآله: «وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف» ليس إلبعلمائهم وأئمتهم عليهم السلام الذين نص عليهم النبي صلى الله عليه وآله في غير هذه الأحاديث.

وهم الذين وصفهم سيدهم وأفضلهم الإمام على بن أبي طالب عليه السلام فيما قال في أوصافهم: «لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه (١) ، إليهم يفىء الغالى وبهم يلحق التالى (٢) ، وهم أزمه الحق وأعلام الدين وألسنه الصدق (٣)».

هم الراقون فى أوج الكمال ٣.

ص: ٤٥٧

١- نهج البلاغه: خ ٢٣٤.

٢- نهج البلاغه: خ ٢.

٣- نهج البلاغه: خ ٨٣.

من تدبر في أحاديث الثقلين والسفينه والأمان يظهر له أنّ سبيل النجاه للجميع منحصر في التمسك بأهل البيت عليهم السلام، وإليك طوائف أخرى من الأحاديث الدالة على ذلك:

(فالأول) من هذه النصوص المرشده إلى صحه الاحتجاج بفتاواهم والإقتداء بهم، ما أخرج الحافظ أبو نعيم بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سره أن يحيى حياتى ويموت مماتى ويسكن جنه عدن التى غرسها ربى، فليوال علياً من بعدى وليوال وليه، وليقتد بالأئمه من بعدى، فإنهم عترتى خلقوا من طينتى، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمتى، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم الله شفاعتى»^(١).

وأورده المتقى عن الطبرانى فى الكبير، والرافعى فى مسنده مع اختلاف

ص: ٤٥٩

فى بعض ألفاظه (١) ، وكذلك أخرجه الحموينى (٢) ، وأخرجه السيوطى فى جمع الجوامع (٣) وابن أبى الحديد (٤). وأخرج نحوه أحمد فى مسنده وفى مناقب على عليه السلام (٥) ، وأخرجه الكنجى الشافعى مسنداً عن ابن عباس (٦) ، وابن شهر آشوب عن أبى نعيم بطرق متعددة عن زيد بن أرقم وابن عباس (٧) ، وأخرجه أيضاً أبو نعيم فى (منقبه المطهرين) ، والرافعى فى (التدوين) والدهلوى فى (تحقيق الإشاره) وغيرهم (٨).

(الثانى) أخرج المتقى عن زياد بن مطرف قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أحب أن يحيى حياتى ويموت ميتتى ويدخل الجنة التى وعدنى ربى قصباً من قضبانها غرسها بيده وهى جنة الخلد، فليتولّ علياً وذريته من بعده، فإنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم باب ضلاله». أخرجه عن مطير والباوردى وابن شاهين وابن منده بأسانيدهم عن زياد بن مطرف (٩) ، وأخرج نحوه أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى (ذيل ٢).

ص: ٤٦٠

- ١- كتر العمال: ج ١٢، ح ٣٤١٩٧، منتخب كتر العمال المطبوع بهامش مسند أحمد: ج ٥ ص ٩٤.
- ٢- فرائد السمطين: ص ٤١.
- ٣- كشف الأستار: ص ١١٣.
- ٤- شرح نهج البلاغه: ج ٢ ص ٤٥٠.
- ٥- شرح نهج البلاغه: ج ٢ ص ٤٤٩.
- ٦- كفايه الطالب: ص ٩٤.
- ٧- المناقب: ص ٢٠٧.
- ٨- عبقات الأنوار: ج ٢ م ١١٥٢-١١٥٥/١٢.
- ٩- كتر العمال ج ١١، ح ٣٢٩٦٠، منتخب كتر العمال: ج ٥ ص ٣٢.

المذيل) بسنده عن (١) زياد، وساق السند هكذا: حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: حدثنا أحمد بن أشكاب، قال: حدثنا يحيى بن يعلى المحاربي، عن عمار بن زريق الضبي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن زياد بن مطرف.

وأورده ابن حجر العسقلاني في ترجمه زياد بن مطرف قال: وأخرجوا من طريق ابن إسحاق عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أحب أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة فليتول علياً وذريته من بعده». قال ابن منده: لا يصح، قلت: في إسناده يحيى بن يعلى المحاربي وهو واهٍ (٢).

أقول: يحيى بن يعلى المحاربي من شيوخ البخاري، روى عنه وروى الباقون سوى الترمذي له بواسطة أبي كريب، ومحمد بن أبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير وغيرهم، وذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة ٢١٦ هـ (٣).

وقال ابن أبي حاتم: روى عنه أبي وأبو زرعه ومحمد بن مسلم والناس، أنبأنا عبد الرحمن قال: سألت أبي عنه فقال: هو ثقته (٤).

فالحكم بعدم صحه الحديث من غير عله فيه ليس إلّالما اعتادوا من ردّ الأحاديث الواردة في فضل أهل بيت النبوة، فمالوا بالناس عن طريقهم السوى والصراط المستقيم. ٧.

ص: ٤٦١

١- عبقات الأنوار: ج ٢ ص ١١٥٦/١٢.

٢- الإصابه: ج ١ ص ٥٥٩.

٣- تهذيب التهذيب: ج ١١ ص ٣٠٣.

٤- الجرح والتعديل: ج ٩ ص ١٩٧.

وأخرج الطبراني وأبونعيم في فضائل الصحابه: «من أحب أن يحيى حياتى ويموت موتى ويسكن جنّهُ الخلد التى وعدنى ربّى، فإنّ ربى غرس قضبانها بيده، فليتولّى علىّ بن أبى طالب، فإنّه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم ضلاله» (١).

(الثالث) أخرج الخوارزمى بسنده عن سيّدنا أبى عبد الله الحسين السبط عليه السلام قال: سمعت جدّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أحب أن يحيى حياتى ويموت ميتتى (مما تى - خ ل) ويدخل الجنة التى وعدنى ربّى فليتولّى علىّ بن أبى طالب وذريته وأهل بيته الطاهرين أئمه الهدى ومصاييح الدجى من بعدهم، فإنّهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلاله».

وأخرج عن الباقر محمد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده الحسين عليهم السلام نحوه (٢)، وأخرجه ابن شهر آشوب عن أبى المؤيد المكى (٣).

(الرابع) أخرج ابن سعد عنه صلى الله عليه وآله: «أنا وأهل بيتى شجره فى الجنة وأغصانها فى الدنيا، فمن شاء اتّخذ إلى ربّه سبيلاً» (٤)، وأورده المحب الطبرى لأبى سعيد فى شرف النبوه إلّا أنّه قال: «فمن تمسّك بنا اتّخذ...» الحديث (٥). ٦.

ص: ٤٦٢

- ١- كنز العمال ج ١١، ح ٣٢٩٥٩.
- ٢- المناقب للخوارزمى: ص ٤٤-٤٥.
- ٣- المناقب لابن شهر آشوب: ص ٢٠٦.
- ٤- الصواعق المحرقة ص ١٤٨.
- ٥- ذخائر: العقبى ص ١٦.

وأورده القندوزى عن شرف النبوه عن عبد العزيز(١) ، وأخرجه الحضرمى عن أبى سعيد(٢).

(الخامس) أخرج الملاء عن عمر: أنّ النبى صلى الله عليه وآله قال: «فى كل خلوف من أمتى عدول من أهل بيتى، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل، فانظروا بمن توفدون»(٣). وأخرجه ابن حجر إلاً أنه قال: «فى كل خلف» وقال: «تحريف الضالّين» وقال: «وانظروا من توفدون»(٤)، وأخرجه الحضرمى(٥) ، والقندوزى(٦).

وأخرج على بن محمد بن عبد الله العبّاسى العلوى بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وآله قال: «فى أهل بيتى عدول، ينفون عن الدين تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، ألا وإنّ أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى، فانظروا من تقدّمون فى دينكم وصلاتكم»(٧).

(السادس) أخرج الصبان عن أبى ذر: اجعلوا أهل بيتى منكم مكان الرأس ٣.

ص: ٤٦٣

- ١- ينابيع الموده: ص ١٩١.
- ٢- رشفه الصادى: ٨٩.
- ٣- ذخائر العقبى: ص ١٧.
- ٤- الصواعق المحرقة: ص ١٤٨.
- ٥- رشفه الصادى «ص ٧٢.
- ٦- ينابيع الموده: ص ١٩١، ٢٧٣، ٢٩٧.
- ٧- سيره يحيى بن الحسين: ص ٣٣.

من الجسد ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدى الرأس إلّا بالعينين (١). وأخرجه الشريف الحضرمي (٢)، والنبهاني (٣)، وحكى إخراجهم عن جماعه من أصحاب السنن بالإسناد إلى أبي ذر مرفوعاً. وأخرج أبو القاسم علي بن محمد الخزّاز القمي في كتابه القيم «كفايه الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر» مسنداً عن واثله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنزلوا أهل بيتي بمنزله الرأس من الجسد وبمنزله العينين من الرأس، والرأس لا يهتدى إلّا بالعينين، اقتدوا بهم من بعدى لن تضلّوا». فسألنا عن الأئمة، فقال: «الأئمة بعدى من عترتي» أو قال:

«أهل بيتي عدد نقباء بني إسرائيل» (٤).

وأخرج الحافظ أبو نعيم بسنده عن عليم بن سلمان قال: أنزلوا آل محمد بمنزله الرأس من الجسد وبمنزله العين من الرأس، فإنّ الجسد لا يهتدى إلّا بالرأس، وأنّ الرأس لا يهتدى إلّا بالعينين (٥)، وأخرجه ابن حجر عن الطبراني عن سلمان إلّا أنّه قال: «وبمنزله العينين» (٦).

(السابع) أخرج المسعودي في جواهر العقدين عن ربيبه السعدى حديثاً طويلاً عن حذيفه في فضل الحسين عليه السلام إلى أن قال: «أيّها الناس، إنّه لم يعد أحد ٢.

ص: ٤٦٤

١- إسعاف الراغبين: ص ١١٤.

٢- رشفه الصادى: ص ٩١.

٣- الشرف المؤبد: ص ٣١.

٤- راجع المصدر السابق.

٥- ذكر اخبار أصبهان: ج ١ ص ٤٤.

٦- مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٧٢.

من ذريه الأنبياء الماضين ما أعطى الحسين بن علي خلا يوسف بن يعقوب بن إبراهيم. أيها الناس، إنَّ الفضل والشرف والمنزله والولاية لرسول الله وذريته، فلا تذهبن بكم الأباطيل»(١). وأخرجه الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف الزرندى الحنفى عن صاحب كتاب «السنه»(٢)، وأخرج ذيل الحديث الحضرمى(٣)، والقندوزى(٤)، وابن حجر(٥).

(الثامن) أخرج الحموينى بسنده عن أصبغ بن نباته عن علي عليه السلام فى قوله تعالى: إنَّ الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون(٦) قال: «الصراط ولايتنا أهل البيت».

وأخرج الثعلبى فى تفسير الفاتحه من تفسيره الكبير عن أبى بريدته أو أبى يزيد - كما أخرج ابن البطريق عن الثعلبى - : إنَّ الصراط المستقيم هو صراط محمد وآله.

وعن تفسير وكيع بن جراح عن سفيان الثورى عن السدى عن أسباط ومجاهد عن ابن عباس فى قوله: اهدنا الصراط المستقيم قال: قولوا: أرشدنا إلى حب آل محمد وأهل بيته. وأخرج القندوزى عن المناقب عن زيد بن موسى ٤.

ص: ٤٦٥

١- ينابيع الموده: ص ٢٧٩.

٢- نظم درر السمطين: ص ٢٠٧-٢٠٨.

٣- رشفه الصادى: ص ٩١.

٤- ينابيع الموده: ص ٢٢، ١٦٩.

٥- الصواعق المحرقة: ص ١٧٤.

٦- المؤمنون: الآية ٧٤.

الكاظم عن أبيه عن آبائه عليهم السلام نحو حديث الأصبغ (١).

وأخرج الشريف الحضرمي أنّ عبد الرحمن بن زيد قال في قوله تعالى:

اهدنا الصراط المستقيم هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته (٢)، وأخرج الحاكم الحسكاني الحنفي في «شواهد التنزيل» عشرين حديثاً في ذلك (٣).

(التاسع) أخرج ابن حجر في الآيه الخامسة من الآيات التي ذكر أنّها وردت فيهم، وهي قوله تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعاً عن الثعلبي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «نحن حبل الله الذي قال الله فيه:

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» (٤).

وقد فسّر الشافعي حبل الله بولاء أهل البيت في الأبيات التي ذكرها له أحمد بن عبد القادر العجيلي في كتابه «ذخير المآل» والشريف الحضرمي في كتابه «رشفه الصادي»، وهي هذه:

ص: ٤٦٦

١- ينابيع الموده: ص ١١٤، خصائص الوحي المبين.

٢- رشفه الصادي: ص ٢٥.

٣- شواهد التنزيل: ج ١ ص ٥٧-٦٦.

٤- الصواعق المحرقة: ص ١٤٩، ينابيع الموده: ص ١١٩، رشفه الصادي: ص ٢٥، نور الأبصار: ص ١٠١، إسعاف الراغبين: ص ١١٢، عبقات الأنوار: ج ٢ م ١٢ ص ٢٧٩ عن الثعلبي في تفسيره وص ٢٩٣ عن القادري الشبخاني في «الصراط السوي»، شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٣١ وفيه في هذا الباب أحاديث أخرى غير هذا.

ولما رأيت الناس قد ذهبتم بهم.

ص: ٤٦٧

رضيت علياً لى إماماً ونسله وأنت من الباقيين فى أوسع الحل(١).

(العاشر) أخرج الخوارزمى موفق بن أحمد عن أبى صالح عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: الصادقون فى هذه الآيه يعنى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين(٢) محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته. أخرج أبو نعيم والحموينى بلفظه، وأخرجه أبو نعيم عن الصادق جعفر بن محمد، وأخرجه أيضاً وصاحب المناقب عن الباقر والرضا عليهما السلام قالوا: «الصادقون هم الأئمه من أهل البيت»(٣).

وقال سبط ابن الجوزى: قال علماء السير: معناه: كونوا مع على وأهل بيته.

قال ابن عباس: على سيد الصادقين(٤). وعن جماعه كأبى نعيم وابن مردويه وابن عساكر عن جابر وابن عباس وأبى جعفر، قالوا: مع على بن أبى طالب(٥).

وأخرج ابن حجر أنّ الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام كان إذا تلا- قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين يقول دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللقوق بدرجه الصادقين والدرجات العليه، وعلى وصف المحن وما انتحلته المبتدعه المفارقون لأئمه الدين والشجره النبويه، ثم ١.

ص: ٤٦٨

١- عبقات الأنوار: ج ٢ م ٥٠-١٢/٥١.

٢- التوبه: الآيه ١١٩.

٣- ينابيع الموده: ص ١١٩، خصائص الوحى المبين: ص ١٣٦.

٤- تذكره الخواص: ١٠.

٥- الدر المنثور: ج ٣ ص ٢٩٠، كفايه الطالب: ص ١١١.

يقول: «وذهب آخرون إلى التفسير في أمرنا، واحتجوا بمتشابه القرآن وتأولوا بآرائهم واتَّهموا مآثور الخبير» إلى أن قال: «فإلى من يفرع خلف هذه الأمة، وقد درست أعلام هذه الملة ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف، يكفّر بعضهم بعضاً والله يقول: ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جائهم البينات (١)»، فمن الموثوق به على إبلاغ الحجج وتأويل الحكم إلّا أهل (أعدال - خ ل) الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصايح الدجى، الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة، هل تعرفهم أو تجدونهم إلّا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وبزأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب (٢).

وأخرجه الحافظ عبد العزيز بن الأخضر عن أبي الطفيل عامر بن واثله، وهو آخر الصحابة موتاً (٣)، وأخرجه الحضرمي (٤)، والسمهودي في جواهر العقدين (٥)، ثم قال:

هم العروه الوثقى وهم معدن التقيو خير حبال العالمين وثيقها
وفى الباب روايات أخرى أخرجها الحاكم الحسكاني (٦). ٢.

ص: ٤٦٩

- ١- آل عمران: الآية ١٠٥.
- ٢- الصواعق المحرقة: ص ١٤٩-١٥٠.
- ٣- ينابيع المودة: ص ٢٧٣-٢٧٤.
- ٤- رشفه الصادى: ص ٧٧.
- ٥- عبقات الأنوار: ج ٢ م ١٢ ص ٢٧٨-٢٧٩.
- ٦- شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٥٩-٢٦٢.

(الحادى عشر) أخرج ابن حجر فى الآيه الرابعه من الآيات التى ذكر أنّها وردت فىهم، وهى قوله تعالى: وقفوهم إنهم مسؤولون(١) عن الواحدى: أى عن ولايه على وأهل البيت، لأنّ الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يعرف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرساله أجرأ إلّالموده فى القربى، والمعنى أنّهم يسألون هل والوهم حق الموالاه كما أوصاهم النبى أو أضاعوها وأهملوها، فتكون عليهم المطالبه والتبعه؟ انتهى.

وأشار بقوله: «كما أوصاهم النبى» إلى الأحاديث الواردة فى ذلك، وهى كثيره(٢). ورواه الحضرمى عن الواحدى أيضاً(٣)، وفى الباب روايات أخرى أخرجها الحسكاني(٤).

أقول: حق موالاتهم هو تصديق أقوالهم وأتباع آثارهم واتخاذهم الأئمه فى الدين، وأولى بالأنفس والأموال والاحتجاج بأحاديثهم.

(الثانى عشر) أخرج ابن حجر أيضاً فى الآيه الثامنه، وهى قوله تعالى:

وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى(٥) عن ثابت البنانى أنّه قال: اهتدى إلى ولايه أهل البيت عليهم السلام وجاء ذلك عن أبى جعفر الباقر أيضاً(٦). ١.

ص: ٤٧٠

١- الصافات: الآيه ٢٤.

٢- الصواعق المحرقة: ص ١٤٧.

٣- رشفه الصادى: ص ٢٤.

٤- شواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٠٦-١٠٨.

٥- طه: الآيه ٨٢.

٦- الصواعق المحرقة: ص ١٥١.

وأخرجه الحضرمي وقال: جعل الاهتداء إلى ولايتهم مع الإيمان والعمل الصالح سبباً لوجود المغفرة(١).

وأخرج ابن البطريق عن الحافظ أبي نعيم بسنده عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه عن علي عليه السلام أنه في هذه الآية: إني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى قال: «إلى ولايتنا»(٢)، وفي الباب روايات أخرى أخرجه الحاكم الحسكاني(٣).

(الثالث عشر) أخرج القاضي: قال صلى الله عليه وآله: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب»(٤).

وأخرجه الحموي مسنداً عن المقداد والسمهودي في جواهر العقدين(٥)، وأخرجه في كتاب السبعين في فضائل أمير المؤمنين في الحديث التاسع والستين، وقال: أورده أبو إسحاق في كتابه، وأخرج تمام هذا الكتاب الشريف (كتاب السبعين) في ينابيع المودة: ص ٢٣٠-٢٤١.

أقول: لا ريب في أن معنى معرفتهم ليس معرفتهم بأسمائهم وأشخاصهم، بل المراد معرفتهم بأنهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله والعالمون بأحكام الله، وبأنهم ٢.

ص: ٤٧١

١- رشفه الصادق: ص ٢٧.

٢- خصائص الوحي المبين: ص ٣٢-٣٣.

٣- شواهد التنزيل: ج ١ ص ٣٧٥-٣٧٧.

٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

٥- ينابيع المودة: ص ٢٢.

مراجع الناس في أمورهم الدينيه والديويه. ومن جهه أخرى: فإنه لا يصح هذا الحث الأکید على معرفتهم وحبهم وولايتهم إلا إذا كانت مذاهبهم صحيحه واتباعهم سبيل للنجاه والإعراض عنهم سبب للهلاك.

(الرابع عشر) أخرج الطبرانی في الأوسط عن الإمام الحسن بن علی علیهما السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقی الله عز وجل وهو یودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذى نفسى بيده! لا ینفع عبداً عمل عمله إلا بمعرفه حقنا» (١). وأخرج ابن حجر (٢) والشريف الحضرمی (٣)، والسید علی الهمدانی فی الموده الثانيه من (موده القربى) عن جابر والصبان (٤) والنبهانی (٥) وغيرهم.

(الخامس عشر) أخرج الطبرانی عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تزول قدما عبد حتى یسأل عن أربع: عن عمره فیم أفناه، وعن جسده فیم أبلاه، وعن ماله فیم أنفقه ومن أين اكتسبه، وعن محبتنا أهل البيت» (٤). ٥.

ص: ٤٧٢

١- المعجم الأوسط ج ٣، ح ٣٢٥١، إحياء الميت: ح ١٨، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٧٢.

٢- الصواعق المحرقة: ص ١٧١.

٣- رشفه الصادى: ص ٤٤.

٤- إسعاف الراغبين: ص ١١٥.

٥- الشرف المؤبد: ص ٩٦.

٦- المعجم الأوسط: ج ١٠، ح ٩٤٠٢، إحياء الميت: ص ١١٥.

وأخرجه أبو المؤيد الخوارزمي عن أبي هريره (١)، والحموي عن علي عليه السلام (٢) نحوه. وأخرجه ابن حجر عن الطبراني في الكبير والأوسط (٣) والمتقى (٤) أخرجا عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة» قالوا: «فيما» بدل «فيم» و «عن جينا أهل البيت»، وأخرجه ابن المغزلي بلفظ كنز العمال والطبراني (٥).

(السادس عشر) أخرج الثعلبي في تفسيره عن محمد بن أسلم الطوسي عن يعلى بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا- ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا- ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح في قبره بابان من الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا- ومن مات على حب آل محمد جعل الله تعالى زوار قبره ملائكة الرحمه، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على .»

ص: ٤٧٣

١- ينابيع الموده: ص ١٠٦.

٢- ينابيع الموده: ص ١١٢.

٣- مجمع الزوائد: ج ١٠ ص ٣٤٦.

٤- كنز العمال: ج ٧ ص ٢١٢.

٥- المناقب: ص ١٢٠.

السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه «آيس من رحمه الله»، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة»(١).

وأخرجه الزمخشري في الكشاف في تفسيره آية المودة، والحمويني في فرائد السمطين(٢)، والشبلنجي(٣)، والشريف الحضرمي(٤)، والصفوري مختصراً وقال: حكاه القرطبي في سورة(٥) الشورى، وصاحب فصل الخطاب وروح البيان(٦).

(السابع عشر) أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي برزة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعه: عن جسده فيما بلاه، وعمره فيما أفناه، وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبا أهل البيت. قيل: يا رسول الله، فما علامه حبكم؟ فضرب بيده على منكب علي»(٧).

وأخرج أبو طالب يحيى بن الحسين بسنده عن علي عليه السلام قال: قال رسول ٦.

ص: ٤٧٤

١- ينابيع الموده ص: ٢٧، ٣٦٩.

٢- ينابيع الموده: ص ٢٦٣.

٣- نور الابصار: ص ١٠٤.

٤- رشفه الصادى: ص ٤٥.

٥- نزهه المجالس: ص ٤٦٩.

٦- ينابيع الموده: ص ٢٧.

٧- المعجم الأوسط: ج ٣، ح ٢٢١٢، مجمع الزوائد: ج ١٠ ص ٣٤٦.

اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله: «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأله اللّٰه عز وجل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت». فقال أبو برزّه: ما علامه حبكم يا رسول اللّٰه؟ قال: «حب هذا - أو وضع يده على رأس علي عليه السلام»^(١).

(الثامن عشر) أخرج السيوطي والحضرمي عن الديلمي عن علي عليه السلام قال:

قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله: «أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإنّ حمله القرآن في ظل اللّٰه يوم لا ظل إلّا ظله مع أنبيائه وأصفياؤه»^(٢). وأخرجه المتقى إلّا أنّه قال: «وقراءة القرآن»^(٣) وأخرجه ابن حجر إلّا أنّه قال «وقراءة القرآن والحديث» ولم يذكر ما بعده^(٤).

أقول: الأخبار في هذه المعاني كثيرة متواتره، وفيها من ضروب التأكيد والترغيب في محبه أمير المؤمنين علي والزهراء والحسين وأولادهم عليهم السلام وذم مبغضهم، ما يجعل حبهم بأعظم الواجبات والفرائض، وبغضهم والإعراض عنهم بأشدّ المحرّمات، بل يجعله من أكبر الكبائر، ونعم ما قاله الشافعي: ث.

ص: ٤٧٥

١- تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب: ص ٧٣.

٢- إحياء الميت: ح ٤٦، رشفه الصادي: ص ٤٦.

٣- كنز العمال: ج ٨ ص ٢٧٨.

٤- الصواعق المحرقة: ص ١٧٠، والظاهر زياده الواو في «والحديث» من النسخ، وعليه فالحديث رمز لتمام الحديث.

يا أهل بيت رسول الله حَبِّكم

وللفرزاق في قصيدته المعروفة:

من معشر حَبِّهم دين وبغضهم

وأخرج السيوطي والنبهاني عن ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ومن يقترف حسنة [\(١\)](#) قال: الموده لآل محمد صلى الله عليه وآله [\(٢\)](#).

وفي هذه الآية وآيه: قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا الموده في القربى [\(٣\)](#) روايات كثيرة [\(٤\)](#).

وأخرج النبھاني عن ابن مسعود: حب آل محمد يوماً خيراً من عباده سنه [\(٥\)](#). ٥.

ص: ٤٧٦

١- الشورى: الآية ٢٣.

٢- إحياء الميت: ح ٣، الشرف المؤبد لآل محمد: ص ٩٥.

٣- الشورى: الآية ٢٣.

٤- راجع كتب التفسير وشواهد التنزيل: ج ٢ ص ١٣٠-١٥٠.

٥- الشرف المؤبد: ص ٩٥.

وأخرج أيضاً عن الديلمي عن علي عليه السلام: «أثبتكم على الصراط أشدكم حياً لأهل بيتي». وأخرجه المناوى أيضاً عن الديلمي (١).

ومن المعلوم البديهي أنّ الحث على محبتهم بهذا التأكيد واهتمام النبي صلى الله عليه وآله في بيان فضائلهم ومناقبهم وتنزيلهم منزله نفسه في حبهم وبغضهم وسلمهم وحبهم واختصاصهم بفضائل كثيرة دون غيرهم، أقل ما يدلّ عليه هو صحه الإقتداء بهم في الأحكام الشرعية، وحجيه أقوالهم وأفعالهم وحرمة الإعراض عن أحاديثهم وعلومهم.

(التاسع عشر) أخرج السيوطي في تفسير قوله تعالى: ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب (٢) عن علي عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال: «ذاك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيته صادقاً غير كاذب». قال: أخرجه ابن مردويه، وأخرجه المتقى (٣).

وأخرج الحافظ أبو نعيم بسنده عن أنس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في هذه الآية: «أتدرى من هم يا بن أمّ سليم؟ قلت: ومن هم؟ قال:

نحن وشيعتنا» (٤).

وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير في تفسير قوله تعالى: فاسئلوا أهل

ص: ٤٧٧

١- الشرف المؤيد: ص ٩٧، كنوز الحقائق: ص ٩.

٢- الرعد: الآية ٢٨.

٣- الدر المنثور في تفسير الآية من سورة الرعد، كنز العمال: ج ١ ص ٢٥١.

٤- خصائص الوحي المبين: ص ١١٤.

الذكر إن كنتم لا- تعلمون (١) عن جابر قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «نحن أهل الذكر». وأخرجه الطبري في تفسيره (٢).

وأخرج الحسكاني في ذلك روايات غيرها (٣).

وأخرج الشارح المعتزلي عن شيخه أبي عثمان عن أبي عبيده عن جعفر بن محمد عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا أن الأبرار عترتي وأطائب أرومتي، أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً، ألا- وأنا أهل بيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم بأيدينا، معنا رايه الحق، من تبعها محق ومن تخلف عنها غرق، ألا وبنا يدرك تره كل مؤمن وبنا تخلع ربقه الذل عن أعناقكم وبنا فتح لا بكم» (٤).

وأخرجه الحافظ عمرو بن بحر في كتابه عن أبي عبيده (٥).

(العشرون) أخرج الكنجي بسنده عن أبي أمامه الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى، وخلقني وعلياً من شجره واحده، فأنا أصلها وعلى فرعها وفاطمه لقاحها والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجى، ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبداً...» (٣).

ص: ٤٧٨

١- النحل: الآية ٤٣.

٢- ينابيع الموده: ص ١١٩، تفسير الطبري: ج ٧ ص ٥.

٣- شواهد التنزيل: ج ١ ص ٣٣٤-٣٣٧.

٤- شرح نهج البلاغه: ج ١ ص ٩٢.

٥- ينابيع الموده: ٢٣.

عبد الله بين الصفا والمروه ألف عام ثم لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخريه فى النار، ثم تلا: قل لا- أسئلكم عليه أجراً إلا الموده فى القربى (١)» (٢). وأخرجه ابن حجر عن فضائل ابن جبر (٣)، وأخرج نحوه ابن المغازلى عن جابر (٤).

وأخرج الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد مرفوعاً إلى أبى امامه الباهلى نحوه (٥)، والحموينى بسنده عن جابر بن عبد الله أيضاً نحوه (٦).

وأخرجه الهمداني فى (موده القربى) فى الموده الثامن، وزاد: «وأشيعنا أوراقها»، وأخرجه الطبرى وابن عساكر بعده طرق عن أبى امامه (٧).

ونحو هذا الحديث فى المضمون والدلاله على نجاه المتمسكين بهم عليهم السلام ما أخرجه أحمد فى المناقب، والسمهودى فى جواهر العقدين، والطبرانى فى معجمه الكبير، وابن عساكر فى تاريخه، والنيسابورى فى تفسيره، والمتقى والصبان عن الطبرانى عن أبى رافع وابن حجر وغيرهم (٨). ١.

ص: ٤٧٩

-
- ١- الشورى: الآيه ٢٣.
 - ٢- كفايه الطالب: ص ١٧٨.
 - ٣- لسان الميزان: ج ٤ ص ٤٣٤.
 - ٤- المناقب: ص ٩٠، ٢٩٧.
 - ٥- مجمع البيان فى تفسير القرآن: ج ٩ ص ٢٨-٢٩، شواهد التنزيل: ج ١ ص ١٤١-١٤٢.
 - ٦- فرائد السمطين: ص ٣٩-٣٨.
 - ٧- الغدير: ج ٢ ص ٢٧٧.
 - ٨- راجع رشفه الصادى: ص ٨٢، ينابيع الموده: ص ٢٦٩، الصواعق المحرقة: ص ١٥٩، كفايه الطالب: ص ١٨٥، تاريخ ابن عساكر: ج ٤ ص ٣١٨، لسان الميزان: ج ٦ ص ٢٦٣، كنز العمال: ج ٦ ص ٢١٢، اسعاف الراغبين: ص ١٣١.

(الحادى والعشرون) أخرج الديلمى فى مسنده عن على عليه السلام: «يا على، إنّ الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك وشيعتك ولمحبى شيعتك، فأبشر فإنك الأنزع البطين» (١). وأخرج ابن حجر نحوه (٢).

وأخرج الخوارزمى أنه صلى الله عليه وآله قال: «يا على، إنّ الله قد غفر لك ولأهلك وشيعتك ومحبى شيعتك، فإنك الأنزع البطين، منزوع من الشرك بطين من العلم».

وروى الإمام سيدنا على بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام مثل ما رواه الديلمى، وقال فى آخره: «منزوع من الشرك، مبطون من العلم» (٣).

(الثانى والعشرون) أخرج الحافظ الزرندى عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية (٤) قال لعلى: «هو أنت وشيعتك، تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك راضين مرضيين، ويأتى عدوك غضابا مقمحين. فقال: يا رسول ومن عدوى؟ قال: من تبرأ منك ولعنك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله عليا رحمه الله» (٥). ٩.

ص: ٤٨٠

١- رشفه الصادى: ص ٨١.

٢- الصواعق المحرقة: ١٥٩.

٣- المناقب: ص ٢٣٥، مسند الإمام على الرضا عليه السلام المطبوع مع مسند زيد الشهيد: ص ٤٥٦.

٤- البيه: الآية ٧.

٥- نظم درر السمطين: ص ٩٢-٩٣، الصواعق المحرقة: ص ١٥٩.

وأخرج الحاكم عن ابن عباس أيضاً قال: نزلت في علي وأهل بيته (١).

قال السيوطي في الدر المنثور في تفسيرها: أخرج ابن عدى عن ابن عباس قال: لما نزلت: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: «أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين»، وأخرجه الشبلنجي إلى قوله: «مقّمحين» (٣).

(الثالث والعشرون) أخرج الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب علي عليه السلام قال: سمعت علياً يقول: «حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مسنده إلى صدرى، فقال: يا علي، أما تسمع قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ، وموعدى وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب تدعون غرّاً محجّلين» (٤).

وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألم تسمع قول الله: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا (٥) الآية، هم أنت وشيعتك، وموعدى وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون ٢.

ص: ٤٨١

-
- ١- شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٣٦٦، مجمع البيان: ج ١٠ ص ١٢٤.
 - ٢- البقره: الآية ٢٧٧.
 - ٣- نور الأبصار: ص ١٠٢.
 - ٤- شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٣٥٦، المناقب للخوارزمي: ص ١٧٩ نحوه، الفصول المهمه لشرف الدين العاملي: ص ٣٩، روح المعاني.
 - ٥- البقره: الآية ٦٢.

وفى الباب روايات كثيرة أخرجها الحاكم الحسكاني الحنفى (٢).

(الرابع والعشرون) أخرج الهيثمى عن عبد الله بن أبى نجى أنّ علياً عليه السلام أتى يوم البصره بذهب وفضه، فقال: «ايضّى واصفّرى وغزّى غيرى، غزّى أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك. فشق قوله على الناس، فذكر ذلك له، فأذن فى الناس فدخلوا عليه قال: إنّ خليلى صلى الله عليه وآله قال: يا على، إنّك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليك عدوك غضبان مقمحين، ثم جمع يده إلى عنقه يريهم الأقماح». رواه الطبرانى فى الأوسط (٣).

(الخامس والعشرون) أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبى صلى الله عليه وآله فأقبل على عليه السلام فقال النبى: «والذى نفسى بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت: إنّ الذين آمنوا الآيه» (٤)، وأورده القندوزى فى حديثٍ طويل ذكر فيه بعض فضائل على عليه السلام عن المناقب عن أبى الزبير المكى عن جابر (٥).

(السادس والعشرون) أخرج الكنجى بإسناده عن أبى سعيد الخدرى قال:

نظر النبى صلى الله عليه وآله إلى على عليه السلام فقال: «وشيعته هم الفائزون يوم القيامة». وقال: وقد ٢.

ص: ٤٨٢

١- الدر المنثور فى تفسير الآيه، روح المعانى أيضاً فى تفسير الآيه.

٢- شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٣٥٦-٣٦٦.

٣- مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٣١.

٤- الدر المنثور فى تفسير الآيه.

٥- ينابيع الموده: ص ٦٢.

سمعتَه من جَمِّ غفِير بطرق مختلفه، وأخرج المناوى: «شيعة على هم الفائزون» وأخرج أيضاً: «على وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»^(١). وأخرج البلاذري عن أم سلمه نحوه، كما أخرج عنها ابن عساكر أيضاً قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إنّ علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»^(٢).

(السابع والعشرون) أخرج الديلمي في الجزء الأول من كتاب الفردوس في باب الألف عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا شجره، وفاطمه حملها، وعلى لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، والمحبون لأهل البيت ورقها من الجنة حقاً حقاً»^(٣). ومر نحو ذلك عن أبي أمامه، وفي الباب نحوه عن عبد الرحمن بن عوف وأبي سعيد الخدري وجابر^(٤).

وأنشد بعضهم شعراً في هذه الأحاديث:

يا حَبْذا دوحه في الخلد نابتة ٣.

ص: ٤٨٣

-
- ١- كفايه الطالب: ص ١٧٥، كنوز الحقائق: ج ١ ص ١٥٠ و ج ٢ ص ١٧.
 - ٢- أنساب الأشراف: ج ٢ ص ١٨٢، وفي ذيل الصفحة عن تاريخ دمشق: ج ٣٨ ص ٤١ ح ٨٥١.
 - ٣- خصائص الوحي المبين: ص ١٤١.
 - ٤- شواهد التنزيل: ج ١ ص ٢٨٨-٢٩١ و ٣١٢-٣١٣.

(الثامن والعشرون) أخرج الزمخشري عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال له:

«إذا كن يوم القيامة أخذت بحجزه الله، وأخذت أنت بحجزتي، وأخذ ولدك بحجزتك، وأخذت شيعه ولدك بحجزتهم، فترى أين يؤمر بنا»(١).

وأخرج في ربيع الأبرار: «إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزه، وأخذت أنت بحجزتي، وأخذوا ولدك بحجزتك، وأخذوا شيعه ولدك بحجزهم، فنودى أين من يؤنس بنا»(٢).

وفى مسند الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام المطبوع مع مسند الإمام زيد في الباب الرابع ص ٤٥٥، أخرج بالإسناد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي، إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزه الله، وأخذت أنت بحجزتي، وأخذ ولدك بحجزتك، وأخذ شيعه ولدك بحجزتهم، فترى أين يؤمر بنا». قال أبو القاسم الطائي: سألت أبا العباس بن ثعلب عن الحجزه قال: هي السبب، وسألت ابن نبطويه النحوي عن ذلك فقال: هي السبب.

(التاسع والعشرون) أخرج الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف الزرندی الحنفي عن إبراهيم بن شيبه الأنصاري قال جلست إلى الأصبغ بن نباته فقال: ألا أقرأ عليك ما أملاه علي بن أبي طالب، فأخرج لي صحيفه فيها مكتوب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به محمد رسول الله صلى الله عليهم.

ص: ٤٨٤

١- أساس البلاغه: ص ١٥٥.

٢- توجد نسخه مخطوطه منه في خزانه كتب مشهد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام رقم ٥٣، أخذنا منه الحديث في باب الخير والصلاح، وذكر أخبار الصلحاء وأحوالهم وما جاء فيهم وعنهم.

وآله أهل بيته وأمته، أوصى أهل بيته بتقوى الله ولزوم طاعته، وأوصى أمته بلزوم أهل بيته، وأن أهل بيته يأخذون بحجزه نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، وأن شيعته آخذون بحجزهم يوم القيامة، وإنهم لن يدخلوكم فى باب ضلاله، ولن يخرجوكم من باب هدى»(١)، وأخرجه الشريف الحضرى الشافعى(٢).

أقول: الأحاديث الواردة فى نجاه من تمسك بهم وفى فضل شيعتهم عليهم السلام كثيره جداً تجاوزت حد التواتر(٣)، وصنف فيها جمع من أعلام الشيعة والسنة كتباً مفردة.

(تنبيه) شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، وقد غلب هذا الاسم فى عصر النبى صلى الله عليه وآله والصحابه إلى العصر الحاضر على أتباع على عليه السلام والذين اختصوا به وبأولاده، واتخذوهم أولياء واتخذوهم أئمة فى الدين، وفى تبليغ الأحكام عن الرسول صلى الله عليه وآله، وفى تفسير القرآن والسنة، وفى سائر الأمور، وقد نص على ذلك علماء اللغة:ث.

ص: ٤٨٥

١- نظم درر السمطين: ص ٢٤٣.

٢- رشفه الصادى: ص ٧٢.

٣- يراجع الفصول المهمه: ص ٤٠، ينبيع الموده: ص ٦٣، ٩١، ٩٨، ١٣٠، ٢٥٧، الصواعق المحرقة: ص ٢٣٠، كفايه الطالب ص ٩٨، ١٣٥، كنوز الحقائق: ج ٢ ص ١٩٣، نزهه المجالس: ص ٤٦٩، أسد الغابه: ج ١ ص ٢٠٦، المناقب لابن المغازلى، أخرج فيه من أحاديث مناقبهم (٤٦٧)، شواهد التنزيل الكتاب القيم الذى لا غنى للباحث عنه، للحافظ الحنفى المعروف بالحاكم الحسكانى، قد جمع فيه مما يدل على ذلك أكثر من (١١٦٠) حديث.

قال الجوهري في الصحاح: شيعه الرجل أتباعه وأنصاره. وقال الفيومي في المصباح: الشيعة: الأتباع والأنصار. وقال الراغب: من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه. قال الفيروزآبادي في القاموس: وشيعه الرجل - بالكسر - أشياعه وأنصاره، والفرقه على حده، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولّى علياً وأهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصاً.

وقال ابن منظور في لسان العرب: الشيعة: اتباع الرجل وأنصاره، جمعها شيع وأشياع (إلى أن قال): قد غلب هذا الاسم على من يتولّى علياً وأهل بيته (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم، وأصل ذلك من المشايعة، وهي المتابعه والمطاوعه. وقال الأزهري: والشيعة قوم يهوون هوى عتره النبي صلى الله عليه وآله ويوالونهم.

وذكر نحوه ابن الأثير في النهاية.

وقال الشيخ أبو محمد الحسن النوبختي في الفرق والمقالات المطبوع في إستانبول: الشيعة هم فرقه علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وآله، وما بعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته (١).

وقال أبو حاتم السجستاني في الجزء الثالث من كتاب «الزينة»: أنّ لفظ الشيعة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لقب أربعة من الصحابه: سلمان وأبي ذر.

ص: ٤٨٦

وقال على بن محمد الجرجاني في كتاب «التعريفات» في باب الشين:

الشيعة هم الذين شايعوا علياً (رضى الله عنه) وقالوا: أنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، واعتقدوا أن الإمامه لا تخرج عنه وعن أولاده.

ومما ذكرنا يظهر الأحاديث المذكوره على أن الشيعة اسم أطلقه النبي صلى الله عليه وآله على جماعه خاصه من أُمته، وهم أتباع على عليه السلام وأشياعه ومن اتخذه ولياً واقتفى أثره وأثر ولده، ويتأسى ويقتدى به وبأولاده الأئمه في عقائده وأعماله. ولا- معنى لهذا إلماكونهم أئمه في الدين وأولياء الناس بتعيين رسول الله صلى الله عليه وآله، وكون الأخذ بأقوالهم والعمل بفتاواهم في الفروع والأصول سبباً للنجاه في الدارين.

وليس المراد منها كل من يحب علياً ولا يبغضه، فإنّ مجرد ذلك لا يصحح إطلاق الشيعة عليه ولا يختصه بأهل البيت، فلا يقال لمن يحب أحداً أنه من شيعته إلما إذا اقتدى به وتولّاه وتابعه وشايعه والتزم بمتابعته ومشايعته، كما لا ينتمى من أخذ العلم عن جميع العلماء إلى واحد منهم إلما إذا كان له اختصاص به.

ولا- ريب في أنه ليس في فرق المسلمين وطوائفهم فرقه تنتمى إلى أهل البيت غير الشيعة، ولا شبهه في إضافه علومهم وفقههم إلى أئمه أهل البيت عليهم السلام، كما لا- شبهه في صحه إضافه فقه الحنابله إلى أحمد بن حنبل والحنفيه إلى أبي حنيفه والشافعيه إلى الشافعي والمالكيه إلى مالك. فكما لا يجوز لأحد إنكاره.

ص: ٤٨٧

صححه حكاية فقه المذاهب الأربعة بين أهل السنه عن مالك وأحمد والشافعي وأبي حنيفة، لاستفاضه الفتيا عنهم، لا يجوز أيضاً لأحد إنكار صحه فقده المذهب الجعفرى وما عند الإماميه من الحديث والعلم، وصحه انتمائه إلى جعفر بن محمد وآبائه وأولاده الأئمه عليهم السلام، سيما مع استفاضه كونهم من أجله أهل العلم والفتيا فى جميع الأحكام وتواتر ذلك بين المسلمين، ومعروفه فتاواهم ومذاهبهم بين الشيعة دون غيرهم من الفرق.

(الثلاثون) أخرج شيخ الإسلام إبراهيم بن محمد الحموينى الشافعى فى حديثٍ بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر فيه بعض فضائل على عليه السلام (إلى أن قال): «والحسن والحسين إماما أمتى بعد أبيهما وسيدا شباب أهل الجنة، وأمهما سيده نساء العالمين، وأبوهما سيد الوصيين، ومن ولد الحسين تسعه تاسعهم القائم من ولدى، طاعتهم طاعتى ومعصيتهم معصيتى، إلى الله أشكو المنكرين لفضلهم والمضيعين لحرمتهم بعدى، وكفى بالله ولياً وناصراً لعترتى وأئمة ومنتقماً من الجاحدين حقهم، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون(١)»(٢).

(الحادى والثلاثون) أخرج القندوزى عن المناقب بالإسناد عن أبى الزبير المكى عن جابر بن عبد الله الأنصارى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً ذكر فيه أيضاً بعض فضائل على عليه السلام (إلى أن قال): «وزوجته الصديقه الكبرى ابنتى، وابناه سيदा شباب أهل الجنة ابنائى، وهو وهما والأئمة من ٣.

ص: ٤٨٨

١- الشعراء: الآية ٢٢٧.

٢- فرائد السمطين: ص ٤٢-٤٣.

بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين، وهم أبواب العلم في أمتي، من تبعهم نجا من النار ومن اقتدى بهم هدى إلى صراط مستقيم، لم يهب الله محبتهم لعبد إلا أدخله الجنة»(١).

(الثاني والثلاثون) أخرج الزمخشري بإسناده قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«فاطمه بهجة قلبي، وابناها ثمره فؤادي، وبعلمها نور بصري، والأئمة من ولدها امناء ربّي، وحبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى»(٢).

(الثالث والثلاثون) أخرج الحموي والخوارزمي مسنداً والهمداني في (موده القربى) عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله، فإذا الحسين بن علي علي فخذه، وهو يقبل خدي ويلثم فاه ويقول:

«أنت سيد ابن سيد أخو سيد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجة ابن حجة أخو حجة، وأنت أبو حجج تسعه تاسعهم قائمهم المهدي»(٣).

(الرابع والثلاثون) أخرج الهمداني في (موده القربى) في الموده العاشره عن أصغ بن نباته عن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا وعلى والحسن والحسين وتسعه من ولد الحسين مطهرون معصومون»، ٤.

ص: ٤٨٩

١- ينابيع الموده: ص ٦٢-٦٣.

٢- كشف الحق ونهج الصدق: المبحث الرابع من المسألة الخامسة، ينابيع الموده: ص ٨٢، وأخرجه الحموي بسنده إلا أنه قال: «وحبله الممدود».

٣- ينابيع الموده: ص ١٦٨ و ٤٤٥، كشف الأستار: ص ٦١، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج ١ ص ٩٤.

وأخرجه الحمويني (١).

(الخامس والثلاثون) أخرج الحمويني في فرائد السمطين بسنده عن عبايه بن ربيعي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا سيد النبيين، وعلى سيد الوصيين، وإن أوصيائي بعدى اثنا عشر، أولهم علي وآخرهم المهدي» (٢). وأخرجه في (موده القربى) في الموده العاشره.

(السادس والثلاثون) أخرج الحمويني في فرائد السمطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدى الاثنا عشر، أولهم أخي وآخرهم ولدي. قيل: يا رسول الله، ومن أخوك؟ قال: علي ابن أبي طالب. قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً! لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي، ينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب» (٣)، وأخرجه في روضه الأجباب في ذكر الإمام الثاني عشر (٤).

(السابع والثلاثون) أخرج القندوزي عن المناقب عن أبي الطفيل عامر بن واثله - وهو آخر من مات من الصحابه - عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ٨.

ص: ٤٩٠

- ١- ينابيع الموده: ص ٢٥٨ و ٤٤٥.
- ٢- ينابيع الموده: ص ٢٥٨ و ٤٤٥، كشف الأستار: ص ٧٤.
- ٣- عبقات الأنوار: ج ٢ م ١٢/٢٣٧، ينابيع الموده: ص ٤٤٧.
- ٤- عبقات الأنوار: ج ٢ م ٢٣٧-١٢/٢٣٨.

«أنت وصيبي، حربك حربي وسلمك سلمى، وأنت الإمام أبو الأئمة الأحد عشر الذين هم المطهرون المعصومون، منهم المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فويل لمبغضيه. يا علي، لو أن رجلاً أحبك وأولادك في الله لحشره الله معك ومع أولادك، وأنتم معي في الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنة والنار، تدخل محبيك الجنة ومبغضيك النار»^(١).

(الثامن والثلاثون) أخرج القندوزي عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحب أن يركب سفينه النجاه ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين، فليوال علياً وليعاد عدوه، وليأتم بالأئمة الهداه من ولده، فإنهم خلفائي وأوصيائي وحجج الله على خلقه من بعدى وسادات أمتي وقواد الأتقياء إلى الجنة، حزبهم حزبي وحزبي حزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشيطان»^(٢)، وأخرجه الهمداني في (موده القربى) في الموده العاشره^(٣).

وأخرج أبو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري الخركوشي في (شرف المصطفى) عن علي عليه السلام أنه قال: «فيكم من يخلف من نبيكم صلى الله عليه وآله، ما ان تمسكتم به لن تضلوا، وهم الدعاه، وهم النجاه، وهم أركان الأرض، وهم النجوم، بهم يستضاء من شجره طاب فرعها وزيتونه طاب (بورك - ظ) أصلها، نبتت في الحرم وسقيت من كرم، من خير مستقر إلى خير مستودع، ٨.

ص: ٤٩١

١- ينابيع الموده: ص ٨٥.

٢- ينابيع الموده: ص ٤٤٥.

٣- المصدر السابق: ص ٢٥٨.

من مبارك إلى مبارك، صفت من الأقدار والأدناس ومن قبيح ما نبت به شرار الناس، لها فروع طوال لا تنال، وحسرت عن صفاتها الألسن، وقصرت عن بلوغها الأعناق، فهم الدعاه وبهم النجاه، وبالناس إليهم حاجه، فاخلفوا رسول الله صلى الله عليه وآله بأحس الخلافه، فقد أخبركم أنهم والقرآن الثقلان وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فالزموهم تهتدوا وترشدوا ولا تفرقوا عنهم ولا تتركوهم ففرقوا وتمرقوا»(١).

(التاسع والثلاثون) أخرج الديلمي في حديث عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «فمن سره أن يلقي الله وهو عنه راض فليتول علياً وعترته، فإنهم أوليائي ونجبائي وأحبائي وخلفائي»(٢).

(الأربعون) أخرج الحافظ أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس (ت ٤١٢) في أربعينه بإسناده حديثاً طويلاً، وهو الحديث الرابع من أربعينه، ذكر فيه أسماء الأئمة الاثني عشر من الإمام علي ابن أبي طالب إلى المهدي محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وذكر فضيله موالاه كل واحد منهم واتخاذهم أولياء(٣).٩.

ص: ٤٩٢

١- عبقات الأنوار: ج ٢ م ٢٦٥-٢٦٦ ص ١٢.

٢- عبقات الأنوار: ج ٢ ص ٢٣٩ ح ١٢.

٣- يراجع كتاب الأربعين للحافظ أبي الفتح، ومقدمتنا على كتاب مقتضب الأثر ص يب يج وكتابنا منتخب الأثر: ج ١ ب ٨ ح ٣٠ ص ١٢٠، عبقات الأنوار: ج ٢ م ٢٥٣-٢٥٤ ص ١٢، كشف الأستار: ص ٢٧-٢٩.

ومن الروايات الواردة فيهم الداله على وجوب التمسك بهم والمصرحه بعددهم وأسمائهم، ما أخرجه القندوزى عن وائله وصاحب فرائد السمطين عن عمر بن سلمه (١)، وشارح غايه الأحكام عن أبى عبد الله الحسين عليه السلام (٢)، وصاحب روضه الأحباب والمناقب (٣) عن جابر، والخوارزمى بسنده عن أبى سلمى راعى إبل رسول الله صلى الله عليه وآله وبسنده عن على عليه السلام (٤)، والحموينى فى حديث مناشده أمير المؤمنين على عليه السلام (٥) وغيرها.

أقول: الأحاديث فى إرجاع الأمة إلى أهل البيت وفى التصريح بأسماء الأئمة الاثنى عشر كثيره متواتره، لا يمكن فى مثل هذا الكتاب استقصاؤها، وإنما ذكرنا منها - مضافاً إلى أحاديث الثقلين والسفينه والأمان - هذه الأحاديث الأربعين تبركاً، ولما نقله الحافظ أبو الفتح محمد بن أبى الفوارس فى أول أربعينه عن الشافعى بعد ذكر حديث «من حفظ عنى من أمتى أربعين حديثاً كنت له شفيعاً» أن المراد من هذه الأربعين مناقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

ونقل بإسناده عن أحمد بن حنبل أنه قال: خطر ببالى من أين صح عند الشافعى، فرأيت النبى صلى الله عليه وآله فى النوم. ٢.

ص: ٤٩٣

١- ينابيع الموده: ص ٤٤٢-٤٤٣، عبقات الأنوار: ج ٢ م ١٢ ص ٢٤٠.

٢- كشف الأستار: ص ٧٤.

٣- عبقات الأنوار: ج ٢ م ٢٣٨ ص ١٢.

٤- مقتل الحسن عليه السلام: ج ١ ص ٩٤-٩٥، ينابيع الموده: ٤٨٥-٤٨٧.

٥- عبقات الأنوار: ج ٢ م ٢٦٥ ص ١٢.

وهو يقول: شككت في قول محمد بن إدريس عن قولي: من حفظ من أمتي أربعين حديثاً في فضائل أهل بيتي كنت له شافعاً يوم القيامة، أما علمت أنّ فضائل أهل بيتي لا تحصى؟.

من أراد الاطلاع على طائفه من هذه الأحاديث فعليه بكتابنا منتخب الأثر، فقد أخرجنا فيه ما يزيد على ٢٧٠ من الأحاديث المروية في الأئمة الاثنى عشر من طرق الفريقين، وما كتبناه مقدمه على كتاب مقتضب الأثر للعلامه المحدّث ابن العيَّاش الجوهري (ت ٤٠١).

وليراجع أيضا الكتاب القيم ينابيع الموده، وموده القربى، والمناقب للخوارزمي، وفرائد السمطين للحمويني، ونظم درر السمطين للزرندي، وجواهر العقدين للسمهودي، والفصول المهمه لابن الصبَّاح، وكفايه الطالب للكنجي الشافعي، وتذكرة الخواص، والصواعق المحرقة، ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ص ٧٣، وحسن التوسل بهامش الاتحاف ص ٧٤، ورشفه الصادي ص ٢٨ تفسيراً لآيه النور، والمناقب لابن المغازلي، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني، وغير ذلك من جوامع الحديث والصحاح والمسانيد والتفاسير والتواريخ مما جاء أسماؤها في كتاب عبققات الأنوار. فإنك إن سبرت هذه الكتب وكتبا عبققات الأنوار تجد في هذه المعاني روايات كثيرة.

وقد أفرد العلامة محمد معين السندي مؤلف «دراسات اللبيب في الأسوه بالحسنه الحبيب» كتاباً أسماه «مواهب سيد البشر في حديث الأئمة الاثنى

كما قد ذكر فضائلهم جمع من الأعلام وأرباب التراجم، وقد أفردوا في ذلك كتباً عديدة.

وأما الإمامية فأفردوا في ذلك كتباً كثيرة لا يستغنى الباحث عنها، فممن صنف منهم في ذلك: الشيخ الجليل الثقة الثبت أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزار الرازي من أعلام القرن الرابع الهجري، فصنف كتابه القيم «كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر»، وأخرج فيه في ذلك بأسانيده وطرقه المعتمده عن جماعه من الصحابه كأمر المؤمنين علي والحسن والحسين عليهم السلام وابن عباس وابن مسعود وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وعمار وجابر بن سمره وأبي ذر وسلمان وجابر بن عبد الله وزيد بن ثابت وأم سلمه وغيرهم.

ومما يؤيد هذه الأحاديث روايات أخرى أخرجها في غير هذه الأبواب جمهره من علماء الفريقين. وقد صنف في كراماتهم ومناقبهم وما سمع منهم من العلم والحديث من عصر الصادقين بل من النصف الثاني من القرن الأول كتباً لا).

ص: ٤٩٥

١- قد صرح هذه العلامة المحقق بحجيه مذهب أهل البيت وبطلان كل إجماع على خلافهم، فقال في كتابه "دراسات اللبيب" في مسأله الجمع بين الصلاتين: وممن لم يحمل جواز الجمع في الحضر على أدنى حاجه واتخذ مذهباً من غير عذر رأساً، الإمام الحق الصدق الصديق الصادق (رضى الله عنه)، ومذهب واحد منهم مذهب باقيهم كما قال أبوه محمد باقر حقائق الوجود كله، على ما نقله ابن الهمام في "فتح القدير" لما سئل في مسأله هل يوافق فيه علي بن أبي طالب (رضى الله تعالى عنه)؟ يصدر أهل بيته إلّا عن رأيه، ولو فرضنا وجود إجماع على خلاف هذا الحديث، فلا إجماع بمخالفه أهل البيت... إلخ (عبارات الأنوار: ج ٢ م ٣٠٦ ص ١٢).

يسع هذا المختصر سرد أسمائها، فمن أراد الإطلاع عليها فعليه بمطالعه أجزاء كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة».

وأقل ما يستفاد من هذه الأحاديث هو حججه أقوال أهل البيت ومذاهبهم في الفقه والعلوم الشرعية ووجوب الرجوع إليهم وإلى أحاديثهم ونجاه من تمسك بهم. وقد عرفت مما أسلفنا أنّ ما بيد الشيعة في الفقه والأحكام الشرعية وما في جوامعهم مأخوذ من أهل البيت عليهم السلام لا ريب في ذلك، فلا يعرف مذاهبهم ولا يؤخذ علومهم إلّا من كتب الشيعة، وهذا أمر واضح يعرفه كل منصف متتبع خبير.

ونختم الكلام بإيراد بعض الكلمات الصادره عن إمام البلغاء وسيد الفصحاء نفس الرسول وسيف الله المسلول، قائد البرره وقاتل الكفرة، ولي كل مؤمن ومؤمنة، أمير المؤمنين أبي الحسن والحسين علي بن أبي طالب عليه السلام في شأن أهل البيت ووجوب الاقتداء بهم:

١ - |فمن ذلك قوله عليه السلام في خطبته في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام بجامع الكوفه: «فنحن أنوار السماوات والأرض وسفن النجاه، وفينا مكنون العلم وإلينا مصير الأمور، وبمهديتنا تقطع الحجج، فهو خاتم الأئمة ومنقذ الأئمة ومنتهى النور»(١).

٢ - |وقال عليه السلام: «موضع سرّه ولجأ أمره وعييه علمه وموئل حكمه».

ص: ٤٩٦

١- تذكره الخواص: ص ١٣٨.

وكهوف كتبه وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائضه - إلى أن قال - : لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفىء الغالى وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصيه والوراثه، الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونقل إلى منتقله»(١).

٣ - | وقال عليه السلام: «تالله لقد علمت تبليغ الرسالات وإتمام العادات وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الأمر، ألا وإن شرائع الدين واحده وسبله قاصده، من أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضل وندم»(٢).

٤ - | وقال عليه السلام: «أنظروا أهل بيت نبيكم، فالزموا سمتهم واتبعوا أمرهم، فلم يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم فى ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»(٣).

٥ - | وقال عليه السلام: «وأنى تؤفكون، والأعلام قائمه والآيات واضحه والمنار منصوبه، فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون، وبينكم عتره نبيكم، وهم أزمه الحق وأعلام الدين وألسنه الصدق، وأنزلوهم بأحسن منازل القرآن(٤)، ن.

ص: ٤٩٧

١- نهج البلاغه: خ ٢.

٢- نهج البلاغه: خ ١١٨.

٣- نهج البلاغه: خ ٩٣.

٤- فى شرح الشيخ محمد عبده: أى أحلوا عتره النبى من قلوبكم محلماً من التعظيم والاحترام، وإنّ القلب هو أحسن منازل القرآن.

وردوهم ورود الهيم العطاش (١)، أيها الناس خذوها من خاتم النبيين صلى الله عليه وآله:

«أنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلى منّا وليس ببال، فلا- تقولوا بما لا- تعرفون، فإنّ أكثر الحق فيما تنكرون، واعذروا من لا حجه لكم عليه، وأنا هو ألم اعمل فيكم بالثقل الأكبر (٢) وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم رايه الإيمان، ووقفتم على حدود الحلال والحرام، وألبستم العافيه من عدلى، وفرشتكم المعروف من قولى وفعلى، واديتكم كرائم الأخلاق من نفسى» (٣).

٦- أوقال فى وصف النبى صلى الله عليه وآله: «أرسله بأمره صادعاً وبذكره ناطقاً، فأدى أميناً ومضى رشيداً، وخلف فينا رايه الحق، من تقدّمها مرق ومن تخلف عنها زهق ومن لزمها لحق (٤)، دليلها مكيث الكلام بطى القيام سريع إذا قام - إلى أن قال :- ألا إنّ مثل آل محمد صلى الله عليه وآله.

ص: ٤٩٨

-
- ١- فى الشرح المذكور: هلموا إلى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم - إلى الإبل العطشى - إلى الماء.
 - ٢- فى الشرح المذكور أيضاً: الثقل بمعنى النفيس من كل شىء وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله قال: «تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى» أى النفيسين، وأمير المؤمنين قد عمل بالثقل الأكبر وهو القرآن وترك الثقل الأصغر وهو ولداه - ويقال عترته - أقدوه للناس.
 - ٣- نهج البلاغه: خ ٨٣.
 - ٤- قال ابن أبى الحديد فى شرحه: رايه الحق الثقلان المخلفان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهما الكتاب والعتره، وقال: «دليلها مكيث الكلام» يعنى نفسى عليه السلام، لأنه المشار إليه بالعتره وأعلم الناس بالكتاب.

كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم» (١).

٧ - وقال عليه السلام: «نحن شجرة النبوه ومحط الرساله ومختلف الملائكه ومعادن العلم وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبينا ينتظر الرحمه، وعدونا ومبغضينا ينتظر السطوه» (٢).

٨ - وقال عليه السلام: «فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسى بيده! لا تسألوني عن شىء فيما بينكم وبين الساعه، ولا عن فئه تهدى مائه وتضل مائه، إلّا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت منهم موتاً» (٣).

٩ - وقال عليه السلام، وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعمّا فى أيدي الناس من اختلاف الخبر: إنّ فى أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعماماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً (إلى أن قال فى آخر هذه الخطبه): «وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من كان يسأله ويستفهمه، حتى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابي والطارى، فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا، وكان لا يمر بى من ذلك شىء إلّا سألت عنهر.

ص: ٤٩٩

١- نهج البلاغه: خ ٩٦.

٢- نهج البلاغه: خ ١٠٩.

٣- نهج البلاغه: خ ٩٣ و ١٨٩، وفى الرياض النضرة: ج ٢ ص ٢٦٢ عن أبى الطفيل قال: شهدت علياً يقول: سلونى، والله لا تسألونى عن شىء إلّا أخبرتكم، وسلونى عن كتاب الله، فوالله ما آيه إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، فى سهل أم جبل. أخرجهُ أبو عمر.

١٠ - |وقال: «أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرّمهم وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى»(٢).

١١ - |وقال عليه السلام: «وإنّما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه»(٣).

١٢ - |وقال عليه السلام: «نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّي سارقاً (ومنها) فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يسبقوا»(٤).

١٣ - |وقال عليه السلام: «هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم يخالفون الحق ولا- يختلفون فيه. هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين وعايه ورعايه لاعقل سماع وروايه، فإنّ رواه العلم كثير ورعايه قليل»(٤).

ص: ٥٠٠

١- نهج البلاغه: خ ٢١٠.

٢- نهج البلاغه: خ ١٤٤.

٣- نهج البلاغه: خ ١٥٢.

٤- نهج البلاغه: خ ١٥٤.

١٤ - أخرج ابن سعد عن جيله بنت المصّفح عن أبيها قال: قال لى على عليه السلام: «يا أخوا بنى عامر سلنى عما قال الله ورسوله، فإننا نحن أهل البيت أعلم بما قال الله ورسوله»، قال: والحديث طويل (١).

هذا آخر ما كتبناه حول وجوب الأخذ بأحاديث جوامع الشيعة وحجيه أقوال أئمتهم عليهم السلام، ووجوب التمسك بهم قبل عشر سنين، فجددت النظر فيه ولخصته وأعدته للطبع طلباً لمرضاة الله تعالى ومرضاة رسوله صلى الله عليه وآله.

والرجاء ممن يطلع عليه إن رأى فيه هفوه أن يتجاوز عني ويدعو لى ليغفر لى ربي هفوتى وذنوبى ويستتر عيوبى ويحشرنى ووالدى وجميع أساتذتى ومشايخى وأهلى وأولادى فى زمرة المتمسكين بولايه أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

إن تجد عيباً فسد الخلاجل من لا عيب فيه وعلا

وكان إتمام ذلك فى السادس عشر من ربيع الثانى من سنة ١٣٨٩ هـ، ثم أجلت النظر فيه واستنسخته وراجعت مصادره وماأخذه ثالثاً، وزدت عليه فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن من شهر سنة ١٣٩٤ هـ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لطف الله الصافى الكلپايگانى ٤.

ص: ٥٠١

١- الطبقات الكبرى: ج ٦ ص ٢٤.

سرشناسه: صافی گلپایگانی، لطف الله، ۱۲۹۸ -

Safi Gulpaygan, Lutfullah

عنوان و نام پدیدآور: لمحات فی الكتاب و الحدیث و المذهب / لطف الله الصافی الگلپایگانی مدظله الشریف.

مشخصات نشر: قم: مکتب تنظیم و نشر آثار آیت الله صافی گلپایگانی دام ظلّه، ۱۴۳۹ ق. = ۱۳۹۷.

مشخصات ظاهری: ۳ ج.

شابک: ۱۰۰۰۰۰۰ ریال: دوره ۹-۰۹-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ ؛ ج ۱. ۸-۰۶-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ ؛ ج ۲. ۵-۰۷-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ ؛

ج ۳. ۲-۰۸-۷۸۵۴-۶۰۰-۹۷۸ :

وضعیت فهرست نویسی: فیفا

یادداشت: عربی.

یادداشت: چاپ دوم.

یادداشت: ج ۲ و ۳ (چاپ دوم: ۱۴۳۹ ق. = ۱۳۹۷) (فیفا).

یادداشت: چاپ قبلی: موسسه البعثه، قسم الدراسات الاسلامیه، ۱۳۶۶.

یادداشت: کتابنامه.

موضوع: احادیث شیعه -- قرن ۱۴

موضوع: Hadith (Shiites) -- Texts -- ۲۰th century

موضوع: شیعه -- دفاعیه ها

موضوع: Shi'ah -- Apologetic works

موضوع: شیعه -- ردیه ها

موضوع: Shi'ah -- Controversial literature

شناسه افزوده: دفتر تنظیم و نشر آثار حضرت آیت الله العظمی حاج شیخ لطف الله صافی گلپایگانی

رده بندی کنگره: BP۱۳۶/۹/ص ۱۸/۱۳۹۷

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۲۱۲

شماره کتابشناسی ملی: ۵۳۰۸۲۹۲

اطلاعات رکورد کتابشناسی: فیپا

ص: ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

الأحكام الشرعية ثابتة لا تتغير

إشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل دين الإسلام خاتم الشرائع والأديان، وضمن صيانه أحكامه عن النسخ والتغيير فى جمع الأدوار والأزمان، والصلاه والسلام على خير من أرسله لهدايه نوع الإنسان، سيدنا أبى القاسم محمد المنزل عليه القرآن، وعلى آله الطيبين الطاهرين أئمة الرحمن.

قال الله تعالى: [وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ لَفَاسِقُونَ] (١).

قال الله تعالى: [أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] (٢).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ

ص: ٧

١- المائدة: الآية ٤٩.

٢- المائدة: الآية ٥٠.

على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتابُ الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وإنّ ما حرّم رسول الله كما حرّم الله»(١).

وذكر عند ابن عباس الضب، فقال رجل من جلسائه: أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يحلّه ولم يحرمه، فقال: «بئس ما تقولون، إنّما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله محلاً ومحرّماً»(٢).

الإسلام دين إلهي عالمي لجميع العصور

من الأمور التي لا ريب فيها والتي اتفق عليها المسلمون، ودلت عليها البراهين المحكمه العقلية والسمعية أنّ الإسلام دين عالمي نوع الإنسان كافة، ولجميع الأعصار والأزمان، وأنّه أقوم الأديان وأوضحها، وأوسط الطرق وأشملها، وأنّه صالح لإداره المجتمع الإنساني دائماً، فكلّما يمضى عليه الزمان لا تسبقه الحضارات والمدنيات، ولا يتأخّر عن العلم والتكنيك، فهو يقود البشريه ويهديها إلى الرشد والكمال، فلا يوجد باب إلى خير الإنسان وفلاحه وسعادته، إلّا وقد فتحه عليه، ولا يوجد باب يؤدي إلى الشقاء والبوار والتبار، إلّا وقد أغلقه عليه.

قد تكفّل وشمل بسعه تعاليمه وأحكامه وشرائعه جميع ما يحتاج إليه البشر من النظم الماديه والمعنويه، والروحيه والجسميه، الفرديه والإجتماعيه، وغيرها

ص: ٨

١- سنن الترمذى: ح ٢٦٦٤، كتاب العلم، باب ١٠.

٢- الحديث المسند: ج ١ ص ٢٩٤ و ٣٤٥.

مما هو مبين بالكتاب والسنة، فقد أنزله الله تعالى ليكون دين الجميع ودين العالم كله، ودين الأزمنة والأعصار كلها، ورفع به جميع ما يمنع الإنسان عن الرقى والتقدم السليم الحكيم، وحرّر به الإنسان عن رقيته السيئه المخزيه، وأخرجه من ذلّ عباده الطواغيت المستكبرين وحكومه الجّارين، وأدخله في عز حكومه الله تعالى خالق الكون ورب العالمين، وهتف به وناداه أنّه لا فضل لعربى على عربى، وأنّ كل الناس عالمهم وجاهلهم، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم أمام الحق سواء، وأنّ أكرمهم عند الله أتقاهم، وأنّ الدار الآخرة للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبه للمتقين، وأنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

وهذا قَبَسٌ قَلِيلٌ من الإسلام الذى ختم الله به الأديان، دين الله الخاتم، دين الفطره ودين الحياه، دين العلم والعدل والإنصاف وكرائم الأخلاق، دين كنه نظام: نظام العقيدته الصحيحه الخالصة من الخرافات، نظام الآداب الحسنه، نظام العباده لله تعالى، نظام الحكومه والسياسه، نظام المال والإقتصاد، نظام الزواج والعائله والأحوال الشخصيه، نظام التعليم والتربيه الرشيد، نظام القضاء وفصل الخصومات، نظام الحقوق والمعاملات، نظام الصلح والحرب، ونظام كل الأمور، فهو عقيدته وشريعته، وسياسته وحكومه.

نظام لا ينسخ ولا يزول ولا يتغير أبداً؛ لأنّ الله تعالى ختم به وبالمرسل به، سيدنا وسيد الخلق أجمعين، وسيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، النبوات والرسالات، فلا شريعته بعده ولا كتاب ولا نبؤه، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو فى الآخرة من الخاسرين.

ولاريب أن معنى خاتمية الدين بقاء أحكامه الخمسة من الكراهه والندب والإباحه والوجوب والإستحباب، وأحكامه سواء كانت أحكام موضوعات بعناوينها الأوليه مثل حرمة أكل الميته، أو بعناوينها الثانويه مثل جواز أكل الميته في حال الإضطراب، وسواء كانت من الأحكام الظاهريه أو الواقعيه، على ما بيّن تعريفها في علم أصول الفقه، وهكذا أحكامه الوضعيه كالزوجيه والملكيه والولايه والحكوميه وغيرها، سواء قلنا بأن الوضعيه منها متأصله بالتشريع والجعل الإلهي، أو منتزعه من الحكم التكليفي الشرعي.

فهذه الأحكام بجملتها وبكل واحد منها مصونه عن التغيير والتبديل، فلاتناله يد الإنسان كائناً من كان بتغيير ولا تبديل، لا لأنها أحكام خالده حَكَمَ اللهُ تعالى بخلودها وبقائها ما بقي من الإنسان كائن حي فحسب، بل لأنه مضافاً إلى ذلك ليس لغير الله تعالى - على أساس الإيمان بالتوحيد وبصفات الله الكماليه التي هو سبحانه متفرد بها - صلاحيه التشريع والحكم، والولايه على غيره، بل وعلى نفسه.

فالنظام المؤمن بالله تعالى لا يعدل عن أحكام الله تعالى، ولا يرى لشعبه ولالقيادته حق التشريع، ولا يتخذ حاكماً وولياً من دون الله، بل يقُدِّسُ اللهُ وينزّهه عن أن يكون له شريك في الحاكبيه والمشرعيه، وذلك بخلاف مبادئ الأنظمه المشركه الملحدّه، التي من مبادئها أنّ الحكومه ووضع القوانين والأنظمه حق للشعب والأكثرية دون الله تعالى، ولا فرق بينها وبين حكومات الطواغيت الماضيه والأنظمه المملكيه المطلقه في الشرك ونفى حاكميه الله تعالى، إلّا أنّ هؤلاء المؤمنين بالديمقراطيه يرون الحاكبيه والإستبداد بالأمر، وتشريع البرامج

والنظم السياسي والقضائي وغيرها حقاً للشعب والناس، والحكومات الديكتاتورية الطاغوتية تراها للديكتاتور الطاغوت، فهذه حكومه طاغوتيه جماعيه خارجه عن حكومه الله تعالى، وهذه حكومه طاغوتيه استبداديه فرديه، وكل منهما ليست من الحكومات الشرعيه المؤمنه بالله تعالى وحكومته وأحكامه وشرائعه.

ولا يخفى عليك أنّ صيانه الأحكام الإلهيه عن تصرّف أفراد البشر بالنسخ والتغيير والتبديل خصيصه عامه لجميع الشرائع والأديان السماويه، فلا- ولايه لأحد على تغيير حكم من أحكام الله، نعم عدم جواز نسخ الأحكام من جانب الله تعالى كما فى الشرائع السابقه خصيصه اختص بها دين الإسلام؛ لأنه خاتم الأديان والشرائع، وأفضلها وأقومها، فلانبوه ولانبي بعده كما جاء فى الخبر المتواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله إنه قال لعلى عليه السلام: «أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لانبى بَعْدِي» وفى لفظ: «إلا أنه لا نبوة بَعْدِي» (١).

والخاتميّه سرّها وباطنّها وعلتها أكملية الدين، فالدين الخاتم، يجب أن يكون أكمل الأديان، كما أنّ الأكمل لابد وأن يكون الخاتم؛ لأنه نهايه الغرض والحكمه من إرسال الرسل وإنزال الكتب، فلا- رساله بعده. فالرساله المحمديه هى تمام الرسالات وكمالها، وجاء بها نبينا الأعظم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وما أحسن ما قيل بالفارسيه: ٨.

ص: ١١

١- الحديث متواتر رواه الفريقان؛ للمزيد راجع: شرح إحقاق الحق: ج ٥ و ١٦، ونفحات الأزهار: ج ١٧ و ١٨.

نام أحمد نام جمله أنبیا است چونکه صد آمد نودهم پیش ما است

نعم جاء برسالته صلى الله عليه و آله عندما بلغ المجتمع الإنساني بلوغه الصالح لتحمل هذه الرساله والعمل بها، ومهما تتقدّم العلوم والمعارف، وتتقارب البلدان وتسير إلى الأمام والوحده الإجتماعيه والسياسيه، يتكامل هذا البلوغ والصلاحيه.

وجدير بالذكر: أنّ هذا الأساس والعقيده عند المسلمين، بأنّ الأحكام مصونه عن التغيير والتبديل، كان من أدلّ الأدلّه لرد المتجاوزين والمتعدّين حدود الله وأحكامه، ونفى إبطال المبطلين طوال أربعه عشر قرناً.

ولو لم نحتفظ بهذا الأصل الأصيل، ولم ننكر على من يتخلف عنه أو يقول باختصاصه بالنصوص القرآنيه، أو باختصاصه بغير الأمور الدنيويه والماليه، لرأينا الدين غير الدين والمله غير الملّه، ولتلاعب أهل الأهواء والآراء في كل عصر بلعب جديد يوافق بزعمهم مزاج العصر.

ومن هذه التلاعبات مقالٌ نُشر في مجله «العربى» الكويتيه العدد ٣٧٩ ص ٣٣ ذوالعقده ١٤١٠ هـ يونيو ١٩٩٠ م. تحت عنوان «الفتاوى والأحكام الإسلاميه بين الثبات والتغير» بقلم الدكتور عبدالمنعم النمر، نلفت أنظار الباحثين الأعزاء إلى الأمور التاليه فيه:

الأمر الأوّل: الخلط بين الحكم الشرعى والفتوى.

الأمر الثانى: التفصيل بين الأحكام فى الثبات والتغير.

الأمر الثالث: أحكام المعاملات.

الأمر الرابع: هل أنّ أحكام المعاملات إلهيه أو اجتهادات من الرسول صلى الله عليه و آله.

ص: ١٢

الأمر الخامس: النبي والاجتهاد.

الأمر السادس: الأحكام كليتها وجزئيتها.

الأمر السابع: فتاوى السابقين لا حصانه لها.

الأمر الثامن: الآراء والأحكام البشريه.

الباب التاسع: باب الاجتهاد مفتوح للجميع إلى يوم القيامة.

الباب العاشر: الأحكام الحكوميه.

الباب الحادى عشر: بعض الأمثله فى الفتاوى والأحكام الإلهيه.

ص: ١٣

الأمر الأول: الخلط بين الحكم الشرعي والفتوى

قال: «ليس لكل الأحكام والفتاوى الإسلامية حصانه من تغييرها حسب الزمان والمكان، والظروف التي تمر ببيئته المسلم ومجتمعه».

فتراه خلط بين الحكم والفتوى ولم يفرق بينهما، مع أنّ الأحكام الشرعية لا تتغير وهي ثابتة باقيه، وفعاليتها متقوّمه بوجود موضوعاتها في الخارج، كما أنّها باقيه ببقائها، سواء في ذلك أحكام الشريعة الإسلامية وأحكام الشرائع السابقه، غير أنّ الثانيه قد نالتها يد النسخ دون الأولى، فلاتناله يد النسخ أبداً لخاتمية دين الإسلام، فلايأتي بعده حكم جديد من السماء، وحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

نعم لو أراد بالحكم الأحكام السلطانيه الموقته المنشأه في موارد الضروره وتزاحم الأحكام والتي يدور بقاؤها مدار الضروره التي أوجبتها، لصح ذلك؛

ص: ١٥

لأنها بطبيعتها تقتضى التغير، ولكن الظاهر من كلامه إرادته غير ذلك أو الأعم من ذلك، أو القول بكون الأحكام كلها إلا ما كان منصوباً عليه في القرآن من الأحكام السلطانية، فلا يكون ما صدر عن الرسول صلى الله عليه و آله من الأحكام الشرعية.

وإن أراد من الحكم الأحكام القضائية فهي وإن كانت تقبل التغيير والنقض أيضاً كما هو مذكور في كتاب القضاء كما لو تبين للقاضي خطؤه، إلا أنّ كلامه لا يشمل ذلك، والظاهر من كلامه نفي كليه حصانه جميع الأحكام الشرعية عن التغيير، والقول بتغييرها في الجملة على نحو الموجه الجزئي، ولكن العقل والنقل والضرورة وخاتمه الدين تدلّ على عدم جواز وقوع أى تغيير في الأحكام الشرعية، فلا يجمع بينها وبين الفتاوى بنفي الحصانه عنها، والحكم بجواز تغييرها في الجملة.

وأما الفتوى التي هي نتيجة اجتهاد المجتهد ونظره في الأدلّه من العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والأصول اللفظية، والأصول العملية وغيرها، واستنباط حكم الشرع منها فهي قابلة للتغيير، وليس من لوازمها الثبات، لعدم حصانه المجتهد من الإشتباه والخطأ في اجتهاده، فربّما يفتى المجتهد مثلاً بإطلاق أو عموم، أو بالبراءة من التكليف لعدم عثوره على مقيد للإطلاق أو مخصّص للعموم، أو دليل على التكليف مع الفحص المتعارف، ثم يطلع على الدليل المقيد للإطلاق، أو المخصّص للعموم، أو الدال على التكليف مما يستظهر به خطؤه وبطلان فتواه، فيرجع لامحاله عن فتواه الأولى ويتغير رأيه لا من جهة أنّ الحكم الذي أفتى به تغيير، بل لظهور أنّ الحكم الشرعي لم يكن على ما أفتى به.

فالرأى الإجتهادى حيث أنه يحصل من الظنّ المعتر الحجه بحكم العقل والشرع، يجب اتباعه عملياً ما دام لم يكشف خلافه، أما لو انكشف خلافه فيؤخذ بالظنّ المعتر الذى قام على خلافه، وليس هذا من تغيير حكم الله فى شىء، فحكم الله تعالى واحد إلا أن اجتهاد المجتهد ورأيه يتغير إذا ظهر له خطؤه وعدم إصابته حكم الله تعالى.

وبعبارة أخرى: إن الطريق الذى يقوم عند المجتهد للوصول إلى الواقع قد يؤدى إليه وقد لا يؤدى إليه على مذهب المخطئ القائلين: بأن حكم الله الواقعى للجميع من الجاهل به والعالم سواء، فللمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد.

أما على قول المصوّبه القائلين: بتعدد أحكام الله تعالى بتعدّد ظنون المجتهدين وآرائهم تبعاً لما يقوم عندهم من الطرق، فلا بد من القول بتحمّل الواقعه الواحده حكمين متخالفين بسبب تخالف ظنون المجتهدين أو تغيير ظن المجتهد الواحد، وهذا أيضاً غير تغير حكم الله تعالى، بل هو نظير انتفاء موضوع حكم وتحقق موضوع حكم آخر.

نعم أصل مسأله التصويب محل إشكال لاستلزامه الدور المحال، واستلزامه دخاله ظن المجتهد أو علمه بالحكم، فى وجود الحكم.

وهنا كلام فى التفصيل بين الأدله الظنيه القائمه لتعريف أصل التكليف وبيانه، وبين الأدله الظنيه المبينه لشرائط التكليف وأجزائه، مثل شرائط الصلاه وأجزائها نفيّاً وإثباتاً، ذكرناه فى الأصول ولانطيل بيانه هنا؛ لأنّ النتيجة على كل صورهِ أنّ حكم الله تعالى لا يتغير وإن تغيرت فتوى المجتهد فيه.

الأمر الثاني: التفصيل بين الأحكام في الثبات والتغير

فَصَّلَ الكَاتِبُ بَيْنَ الأحْكَامِ العِبَادِيَةِ المَنْصُوصِ عَلَيْهَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَنِ، وَبَيْنَ الأحْكَامِ الدُّنْيَوِيَةِ المْتَعَلِّقَةِ بِالمَعَامَلَاتِ وَالتَّصَرُّفَاتِ الحَيَاتِيَةِ المَنْصُوصِ عَلَيْهَا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَنِ، مِثْلَ حَلِّ البَيْعِ وَتَحْرِيمِ الرِّبَا وَكَيْفِيَةِ تَقْسِيمِ المَوَارِيثِ وَحُكْمِ قَتْلِ العَمْدِ وَالخَطَأِ وَشِبْهِ العَمْدِ، وَالتَّلَاقِ وَالتَّوْجُوحِ، وَقَاعِدِهِ: [فَللذِّكْرِ مِثْلَ حِطِّ الأُنثِيَيْنِ] (١) فَهَذِهِ أَحْكَامٌ وَقَوَاعِدٌ دَلَّتْ عَلَيْهَا النُّصُوصُ، وَلا مِجَالَ لِأَحَدٍ أَنْ يَغْيِرَهَا وَيَدَّعَى أَنَّهَا كَانَتْ أَحْكَامًا لظُرُوفٍ خَاصَّةٍ، بَلْ هِيَ تَسْرَى فِي كُلِّ الظُّرُوفِ.

عَلَى أَنَّهُ رَبَّمَا يَظْهَرُ مِنَ الكَاتِبِ فِي آخِرِ بَحْثِهِ حَوْلَ مَسْأَلَةِ حَقِّ الإِنْتِخَابِ لِلْمَرْأَةِ، أَنَّهُ يَقُولُ بِجَوَازِ تَغْيِيرِ الأحْكَامِ المَنْصُوصِ عَلَيْهَا أَيْضًا كَمَا سِيَأْتِي.

ص: ١٩

قال: «ومع ذلك فهذه الأحكام الثابتة تفصيلات لم يكن بها نص قاطع المعنى، بل يكون معناه محتملاً لأكثر من وجه، وهذه يجرى فيها الرأى الذى يقوم به العالم المتخصّص على ضوء ما يفهمه من الكتاب والسنة لا على ضوء ظروف الحياه وتحقيق المصلحه» إلى آخر كلامه.

والظاهر أنّ مراده: أنّ ما ورد فيه نص قطعى لا يحتمل إلامعنى واحداً فليس فيه مجال للإجتهد، وما يحتمل أكثر من معنى يجرى فيه الإجتهد، ولكن هذا لا يختص بما ذكره من تفاصيل الأحكام، بل إذا ورد نفس الحكم فى نص يحتمل أكثر من معنى فهو قابل للإجتهد وتغيّر الرأى أيضاً كما ذكرناه.

مثلاً: القول بكفايه مسح بعض الرأس أو بوجوب مسحه كله، ليس من باب تغيّر الحكم، وكيف يكون الرأىان المتقابلان فى زمان واحد من تغيّر الحكم؟ بل على القول بالتصويب يكون كل منهما بالنسبه إلى من اختاره حكم الله تعالى؛ لأنّ الحكم على هذا القول متعدّد، أو يتعدّد بعدد آراء المجتهدين أو المجتهد الواحد.

والإشكال على هذا الرأى بأنّه إذا كان الأمر كذلك فعن أىّ حكم يفحص المجتهد ويطلب عليه الدليل؟ مع أنه معلق على علمه أو ظنّه ولا- تحقّق له قبل رأيه، هذا الإشكال وارد على القائل بالتصويب ولا جواب عنده عليه، إلّا أنّ ما يهّمنا هنا أنّه على كلا القولين بالتخطئه والتصويب، فإنّ اختلاف آراء المجتهدين وتغيّر فتاواهم بأسبابها المعروفه ليس من باب تغيّر الحكم بل يؤيد ثبات الأحكام وصيانتها عن التغيّر.

كما ينبغى الإشارة إلى ما ورد فى كلامه من تفسير الإجتهد، فقد ذكر أنّ مثل

فهم الباء فى قوله تعالى: [وَأَمْسَيْحُوا بِرُؤُوسِكُمْ] (١) وهل أنّها للتبعض أو هى زائده لئس اجتهاداً بالمعنى الصحيح، بل هو اختيار لمعنى من المعنيين.

ولكن ذلك محل نظر ونقاش، فكأنّه توهم أنّ للناظر فى الأدلّه المحتمل لمعانٍ متعدده الخيار فى اختيار واحد منها، مع أنّ عليه أيضاً أن ينظر فى اللغه والشواهد التى أُقيمت على كل واحد من المعانى والقرائن الدالّه على إرادته بعضها المعين، فيرجح باجتهاده واحداً من المعانى ويفتى به، وإلّا فيتوقف عن الفتوى.٦.

ص: ٢١

١- المائده: الآيه ٦.

قال: «أما المعاملات وترتيبها وأحكامها فهي حق للعباد، ومن أجل مصالحهم في دنياهم، فمن حقهم أن يحدّدوا أين تكون مصالحهم إذا لم يأت من الشرع الحكيم نص قرآني يحددها، كما جاء مثلاً في المواريث لما يعلمه سبحانه من تدخّل العواطف فيها فحسم الرأي، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وآله إلى هذا في حديثه المشهور بعدما حدث في تلقيح النخل: «إذا أمرتكم بأمرٍ من أمور دينكم فخذوا منه ما استطعتم، وما كان من أمر دنياكم فإليكم، أنتم أعلم بشؤون دنياكم»^(١). وكان هذا الحديث هو الأصل في إمكان تغيير بعض الأحكام الخاصة بالمعاملات حسب تغيير عللها وظروفها والمصلحة للناس فيها، على أن يكون التغيير على أساس القواعد العامة الشرعية مثل: لا ضرر ولا ضرار، ودرء المفسد

ص: ٢٣

١- أنظر: مجمع الزوائد: ج ١ ص ١٧٩، الأحكام لابن حزم: ج ٦ ص ٧٧٦.

أقول: أولاً: إذن لا كلام في أنه إذا لم يأت من الشارع الحكيم نص قرآني «ولانبوى وإن لم يذكره واقتصر على القرآني منه» في مورد ولم تشمله النصوص العامة بعمومها أو إطلاقها، فمباح بحكم الشرع أيضاً للمكلفين فعله وتركه، وهذا - أي حكم الشرع بالإباحة فيما لا نص فيه - حكم ثابت لا يقبل التغيير، فليس لأحد تحريم تركه أو إيجاب فعله.

وثانياً: لا يوافق هذا الخبر وما هو بمضمونه لقوله تعالى: [مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] (١)، وقوله تعالى: [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] (٢)، وقوله عز من قائل: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ] (٣). لأن مفاد الخبر على ما بنيتم عليه أن الأمة أعلم من الرسول صلى الله عليه وآله بشؤون دنياهم، ولذا يجوز لهم مخالفه أوامره المربوطة بأُمور الدنيا من المعاملات وغيرها مما لم يرد فيه النص القرآني، وعليه: فلا يجب اتباع شيء من أوامر النبي ونواهيه المربوطة بالسياسات والمعاملات وغيرها من الأنظمة المقررة الثابتة بلسانه أو بسيرته في الأحوال الشخصية والاجتماعية والمالية وغيرها، فيكون النبي صلى الله عليه وآله كسائر الناس في أقواله وأفعاله وسيرته، فلا وجوب لاتباعه ولا حسن للتأسي به! وهذا أمر لا أظن أحداً من المسلمين فضلاً عن علمائهم وفقهائهم الراسخين في العلوم الإسلامية يلتزم به. ١.

١- الحشر: الآية ٧.

٢- النجم: الآية ٣-٤.

٣- الأحزاب: الآية ٢١.

وما نفهمه نحن من الخبر - بعد الغض عن اضطراب متنه ومخالفته لما ثبت بالكتاب والسنة - أنّ المراد منه أنه ليس من شأن الرسول صلى الله عليه وآله بمقتضى رسالته ولا زعامته وقيادته السياسيه وإدارته أمور الناس أن يتدخّل، في شؤونهم الفرديه التي يعمل كل أحد فيها ما يريد ويختار وتختلف فيه الأنظار، فهذا يرى هذه المهنة وافيها لمعاشه والآخر يرى غيرها كذلك، وهذا يرى سقى الزرع في المواعيد المعينه وذاك يراه في غيرها، وهذا يرى تلقيح النخل مفيداً والآخر يرى أن يبقياها على حالها، هذا يرى أن يبيع مثلاً سكناه للإتجار بثمره، والآخر يرى غير ذلك، وهذا الطيب يرى علاج المرض الخاص بكيفيه خاصه وغيره يرى غيرها. فالدين والشرع وحتى القوانين التي تنشأ من قبيل البرلمانات والمراكز التي لها صلاحيه وضع القانون أو الدستور في الأنظمه العلمانيه لا تتدخّل في أمثال هذه الأمور، بل كل واحد من الناس حر مختار فيها.

وفي تلقيح النخل أيضاً الأمر هكذا، فكل قوم وكل شخص يعمل على طبق ما يرى فيه صلاح نفسه ولا يتدخّل فيه الشرع ولا القانون الوضعي، نعم ربّما تقتضى الضروره كحفظ النظام وإداره المجتمع وأمن الأموال والنفوس المحترمه أن يحجز الحاكم الناس عن بعض حرياتهم في زمان أو مكان ما، ولكن مع أنّ وجوب إطاعه الحاكم من الأحكام الشرعيه؛ فإنّ حكمه هذا ليس حكماً شرعياً مثل: أحكام العبادات والمعاملات والسياسات والحقوق والأحوال الشخصيه وغيرها، ولا بحث لنا فيه.

وثالثاً: إن كان المراد من الخبر الذي استشهد به أنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يأمرهم في أمور دنياهم بأمر وحكم، فالإستدلال به لإثبات جواز التغيير في أحكام

المعاملات والأمر الديني ضرباً من التهافت والتناقض. وإن كان المراد منه أنهم أعلم بشؤون دنياهم من النبي صلى الله عليه وآله ويحق لهم أن ينظروا في أمور دنياهم ونظام أمورهم الدنيوية، فشان النبي صلى الله عليه وآله الذي أدبه الله تعالى وأحسن تأديبه أجل وأنبيل وأعلى من التدخل فيما لا حق فيه، بل هو حق للعباد وهم أبصر منه به، فهو يجتنب لا محاله عن هذا اللغو، وقد قال الله تعالى في حقه: [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ] (١) وهو صاحب الخلق العظيم وأسمى مراتب الأدب ومكارم الأخلاق.

هذا مضافاً إلى أنّ الخبر إن كان يدل على أنّ أمر دنيا الناس مفوض إليهم، فلا اعتبار بأوامره ونواهيه فيه، وعليه: فتخرج أكثر الأحكام الشرعية الراجعة إلى أمور الناس ومعايشهم وسياسه المدن والإداره الثابته بسنه الرسول صلى الله عليه وآله وأوامره ونواهيه من دائره الدين، ونبقى نحن وأحكام العبادات وقليل من غيرها من الأحكام المنصوصه في القرآن!

هذا إذا لم يأت من المتنوّرين العصريين من يقول فيها أيضاً شبه ما قال عبدالمنعم النمر في الأوامر النبويه والأحكام الثابته بالسنه، وعليه: يلزم على الفقهاء حذف أكثر أبواب الفقه الإسلامى التى هى من أعظم براهين صدق هذه النبوه الخاتمه وكمالها.

ورابعاً: إذا كانوا هم أعلم بأمر دنياهم من رسول ربّ العالمين صلى الله عليه وآله فهم أعلم من الفقهاء بالطريق الأولى، فما معنى موقف الفقهاء فى الإجتهد فى هذه الأمور والنظر فى السنه بعدما كان الناس أولى وأحقّ بدنياهم وأعلم حسب الفرض من ٣.

ص: ٢٦

١- النجم: الآيه ٣.

بل إذا كان موقف الناس هكذا قبال أوامر النبي صلى الله عليه و آله ونواهيته حتى في حياته وكان يجوز لهم ترك العمل بأوامره، وكان الأصل والمعتبر ما يرونهم بأنفسهم في أمورهم حسبما تقتضيه المصالح والظروف، فما قيمة اجتهاد الفقهاء في أمور الناس الدنيوية؟

وخامساً: أنّ مغزى هذا الرأي أنه لا اعتناء بسيره النبي صلى الله عليه و آله وسنته في الأنظمة الدنيوية، بل الناس هم وما رأوا فيها من مصالحهم ومنافعهم، وإذن فليس فيها تشريع ولا يوجد حكم شرعى، فما معنى تغيير الحكم؟

وسادساً: إذا اشترطتم أن يكون التغيير على أساس القواعد العامة الشرعية فليس معنى «أنتم أعلم بشؤون دنياكم» إلّا الكثرة على ما فرّضه، وقد ذكر أنّ مراده من هذه القواعد العامة، مثل لا ضرر ولا ضرار، ودرء المفاسد مقدّم على جلب المصالح، فإن أراد من القاعده الثابته - كما لا بد أن يكون - أنّ درء المفاسد التي نهى عنها الشرع مقدّم على جلب المصالح التي أمر بها، فذلك، وإن لم يكن قاعده كلييه عامه؛ لأنّ مفسده ارتكاب بعض المحرّمات ربّما لا تكون أهم من مفسده ترك بعض الواجبات ومصالحه فعلها، بل تكون هذه أهم من الأولى، ولكن القائل بها لا يريد بها إلّا القاعده الشرعيه التي هي كالشارح والمفسّر لأدلّه سائر الأحكام ومعها لا تغيير أيضاً في الحكم؛ لأنّ المعيار في المصلحه هو المصالح التي أمر الشارع بحفظها والمفاسد التي نص الشارع على وجوب درئها.

وسابعاً: إن أُريد من تغيير الأحكام تغييرها بظروفها وعللها والمصلحه للناس حسب ما أمره الشارع، مثل أكل الميتة الذي يباح عند الإضطرار، أو ارتكاب أى

محدور آخر أخف إذا دار الأمر بين المحذورين، والأهم والمهم، أو ترك واجب لدفع الضرر، أو نحو ذلك، فهذا ليس من تغيير الحكم - كما أشرنا إليه - بشيء، بل هو انتفاء حكم خاص بانتفاء موضوعه، ووجود حكم آخر بوجود موضوعه، فأكل الميتة لغير المضطر حرام شرعاً وللمضطر حلال شرعاً، وكل منهما حكم شرعي لموضوعه المختص به ثابت لا يقبل التغيير.

والوضوء واجب إذا لم يكن فيه ضرر على صحة جسم المتوضئ، وهو حرام وبدعه إذا كان فيه خطر على صحته.

أما في دوران الأمر بين الأهم والمهم، أو المهمين المتساويين عند الشرع، فحيث أن المكلف لا يتمكن من امتثال الوجوبين لا بد له عقلاً في الصورة الأولى من حفظ الأهم، وفي الصورة الثانية هو بالخيار في الإتيان بأيهما شاء.

ففي كل هذه الصور لا تغيير في الحكم الشرعي.

ولا يخفى عليك أن ذلك يجري في الأحكام الجزئية لا الأحكام الكلية، فلا تجد حكماً كلياً مزاحماً بكليته لحكم كلي آخر.

وكذا قاعده أن درء المفسد مقدّم على جلب المصالح ليس معناها - كما مر الإشارة إليه - تغيير الحكم الشرعي، بل المراد أن الحكمين الشرعيين اللذين أحدهما شرع لدفع مفسده، والآخر لجلب مصلحه، كأن يكون أحدهما حكماً تحريمياً توجب مخالفته الوقوع في المفسده، والآخر وجوبياً توجب مخالفته تفويت المصلحه، ولا يمكن للمكلف الجمع بين امتثال كلا الحكمين، فيأتي بالذي يدرء المفسده أو يترك ما فيه المفسده دون الذي يجلب المصلحه، وعليك إن أردت المزيد بملاحظه باب تراحم الأحكام في الكتب الأصولية.

الأمر الرابع: هل أن أحكام المعاملات إلهية، أو اجتهادات من الرسول صلى الله عليه وآله؟

صرح في مقاله بأن أحكام المعاملات التي عتبر عنها بالأمر الجزئية لم تكن على أساس الوحي، بل كانت باجتهاد منه صلى الله عليه وآله وإليك نص ما قال: «جاء الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة فوجدهم يتبايعون في الثمار قبل نضجها وبُيُودٍ صلاحها دون تضرر ونزاع فأباحها لهم في ظل الإسلام، ثم بدأ المتعاملون بها يتنازعون وتكثر شكاوهم لثمره أصابها مرض... وجاءوا للرسول صلى الله عليه وآله يتحاكمون إليه، فغير رأيه الأول بناء على هذا، وقال لهم: «أما وقد تنازعتم فلا تبيعوا الثمر قبل ظهور صلاحه ونضجه» ومنع بذلك بيع الثمر قبل ظهور صلاحه، حتى لا يتعلل المشتري بما طرأ عليه من تلف ليرجع في الصفقة أو ينقص له البائع من ثمنها الذي تبايعا عليه... ومعنى ذلك بوضوح: أن أحكام الرسول صلى الله عليه وآله في مثل هذه الأمور الجزئية لم تكن على أساس وحي من الله نزل عليه خاص بهذه الجزئية، بل كانت باجتهاد منه وتقدير للمصلحة على ضوء الظروف التي أمامه» إلى آخره.

أقول: أولاً: لماذا لا يكون مثل هذا من النسخ؟ وأنّ الحكم الأول قد نسخ بالثاني، ونسخ الحكم لا مانع من وقوعه إذا وقع في عصر الرسالة، وإلا فهل يقول أحد بجواز العمل بالحكم الأول إذا اقتضى اجتهاد المجتهد ذلك، ولا يراه من الاجتهاد في مقابل النص؟

وثانياً: لقائل أن يقول: ما كان عليه أهل المدينة من التبائع في الثمار قبل نضجها وبُيُدُّ صلاحها لم يكن من الأحكام الشرعية الموحى بها إلى النبي صلى الله عليه وآله، بل كان المجتمع في هذه القوانين والعادات التي كان ملتزماً بها قبل بزوغ شمس النبوه الخاتمه باقياً على حاله، والأحكام إنّما نزلت على الرسول صلى الله عليه وآله تدريجاً وفي المناسبات، فالحكم الشرعي الإلهي الذي لا يتغير هو عدم جواز بيع الثمار قبل بدو صلاحها على التفاصيل المذكوره في الفقه، لا أنّ الرسول صلى الله عليه وآله عدل عن رأيه الأول وظهر له خطؤه، وأنّ الحكم الثاني كان من رأيه أيضاً وهو قابل للتغيير.

فالصحيح أنّ الحكم الثاني ثابت أبداً لا يتغير، صارت الظروف ما صارت وتغيرت الأحوال ما تغيرت، والنص النبوي كالنص القرآني لا فرق في ذلك بين المعاملات والعبادات فكلها مصونه عن التغيير.

نعم الأحكام السلطانية التي تصدر تحقيقاً لتنفيذ الأحكام الشرعية، وحفظ النظام، وإقامه العدل، وإيصال حق كل ذي حق إليه، والدفاع عن حوزة الإسلام، ربّما تحدّد حريات الأفراد في أموالهم وأنفسهم في مقدار من الزمان، وما دامت الضروره الموجهه للتحديد المذكور باقيه، فللحاكم مثلاً أن يحكم على مالك الغلات بعرض غلته للبيع عند احتياج الناس إليها دفعاً للحرص عن العامه، وحفظاً

والفرق بين حكم الحاكم وحكم الشارع أنّ الأول غيرى موقت، شرّع جوازه من الشارع حفظاً لنظام الدين ومصالح المسلمين، والثانى حكم ثابت نفسى، نسبته إلى الأحكام الحكوميه كنسبه الأصل إلى الفرع والهدف إلى الوسيله، والأول لا يستند بنفسه إلى الله تعالى بل إلى الحاكم نبياً كان أم غيره، نعم جواز حكمه وجواز حكومته ووجوب إطاعته من الأحكام الشرعيه الثابته التى لا تقبل التغيير.

ولكن مع ذلك فإنّ للأحكام الحكوميه الصادره عن النبى صلى الله عليه وآله قداسه ليست لغيرها، فلا يجوز تغييرها؛ لأنّ النبى صلى الله عليه وآله لا يحكم إلّا بوحى من الله تعالى على ما نص به القرآن الكريم: [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى] (١)، وأكد لزوم التأسى به فى قوله تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ] (٢) فالنبى صلى الله عليه وآله فى صيانته الله وحفظه عن الخطأ فى أحكامه وجميع أفعاله وأقواله، سواء كان فى الشرعيات أو الإخبار بالملاحم وحالات الأمم الآتية والماضييه، وأحوال الملائكه، وكيفيات عالم الغيب مثل الجنه والنار، أو بيان المعارف والأخلاقيات، أو الأحكام الحكوميه.

لكنّ القوم حيث رأوا أنّ بعض الصحابه قد تجرّأ على التصرّف فى الأحكام الإلهيه والرد على النبى الأعظم صلى الله عليه وآله فأنكر عليه صلح الحديبيه، ولم يقبل منه ١.

ص: ٣١

١- النجم: الآيه ٣-٤.

٢- الأحزاب: الآيه ٢١.

تشريع متعه الحج وحرّمها، وحرّم متعه النساء بعد ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، ومنع رسول الله صلى الله عليه وآله من كتابه وصيته، وقال كلمته الخبيثة التي لا- ننقلها تأدّباً وحذراً من التعدي على ساحه صاحب الخلق العظيم، الرسول الرؤوف الرحيم، صلوات الله عليه وعلى آله، وغير ذلك مما فعل أو قال هو أو غيره - لما رأوا ذلك - استهانوا بمخالفه النصوص الشرعيه، والسنة النبويه، ونسبوا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى الإشتباه والخطأ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إنّ الأمثله التي ذكرها لإثبات مرامه كلها قابله للمناقشه لا يثبت بها مدّعا.

فالمنع عن التقاط ضاله الإبل، وإجازه التقاطها أيضاً، ليس من قبيل تغيير الحكم، بل يمكن الجمع بينهما بأنّ مورد المنع عن الإلتقاط غير مورد الجواز، فإذا لم يخش على الإبل التلف لامتناعها على السباع واستمرارها بالرعى، لا تتعرض لها ولا تلتقط؛ لأنّ العاده جرت بطلب مالكها لها حيث فقدتها، أما إذا كانت فاقده الأمرين فيجوز التقاطها، وفي الصورتين راعى الشارع الأقدس مصلحه المال والمالك، والحكمان حكمان ثابتان لا يقبلان التغيير إلى يوم القيامة.

وروى عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قضى في رجل ترك دابته من جهد، قال: «إن تركها في كلاً- وماء وأمن فهي له يأخذها حيث أصابها، وإن تركها في خوف وعلى غير ماء ولا كلاً فهي لمن أصابها».

وفي خبر مسمع عنه عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول في الدابه إذا سرحها

أهلها أو عجزوا عن علفها أو نفقتها فهي للذي أحياها. قال وقضى أمير المؤمنين عليه السلام في رجل ترك دابته في مَضْيَعَه فقال: إن كان تركها في كلاً وماء وأمن فهي له، يأخذها متى شاء، وإن تركها في غير كلاً وماء فهي للذي أحياها».

وأما امتناع الرسول صلى الله عليه وآله عن التسعير فلا يستفاد منه الإطلاق، وأنه كان ممتنعاً عنه ولو عُرض مثل الحنطه وأشباهها، مما تتقوّم به الحياه والمعاش بسعر لا يستطيع أكثر الناس شراءه، ويقعون بذلك في الحرج والمشقه الشديده والمجاعه.

هذا مضافاً إلى أنّ أكثر الموارد التي استشهد بها هذا الكاتب وغيره على اجتهاد الرسول صلى الله عليه وآله وكون حكمه حكماً موسمياً ورأياً رآه دون أن يكون مستمداً من الوحي، هي موارد دار الأمر فيها بين ارتكاب أحد المحذورين الشرعيين والمتراحمين، فرجح صلى الله عليه وآله ارتكاب المحذور الأخف، في ضوء إرشادات الشارع وتعاليمه.

والحاصل: أنّ هذه الأمور لا تعد من التغيير به، وهكذا عمل القاضى شريح، مضافاً إلى أنه ليس بحجه، فقد بقى قاضياً إلى عصر غلبه بنى أميه، العصر الذى سلب فيه الناس حرياتهم الإسلاميه، ولم يكن لأحد حق النصيحه لعمال الحكومه وقضاتها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا بتعريض ماله ونفسه وخاصته للنهب، وأنواع التعذيب والقتل، مضافاً إلى ذلك؛ فإنه يمكن حمل عمل شريح على هذه المحامل إن كان هو ممن يفهم هذه الأمور، فمثلاً قوله صلى الله عليه وآله:

«البينة على المدعى واليمين على من أنكر»^(١)، وقاعده حجيه البينه، لاريب أنها قاعده شرعيه وطريق لإثبات الدعاوى وفصل الخصومات، إلّا أنّها كذلك إذا كانت بحسب النوع تفيد الظن ويعتمد عليها العرف، أما إذا تغيّر حال الناس وآل الأمر إلى ما آل من ظهور بنى أميه وأعوانهم وأتباعهم على الأمور، ورأى القاضى المسكين أن أعوان القاضى والشهود الذين يشهدون على دماء الناس وأموالهم يتقربون إلى أرباب السياسه والحكومه بالشهاده على المخالفين والثائرين عليهم، ويشهدون كذباً وزوراً على محبى أهل بيت النبوه وشيعه الحق، فلا بد له أن يعتذر بعدم اعتماده على البينه، وأنه باجتهاده استنبط من دليل اعتبار البينه أن مناط حجيتها حصول الإطمئنان بها للنوع غالباً واعتماد العرف عليها؛ فإذا انتفت تلك الخصوصيه تنتفى حجيتها لا محاله، ولاريب أنه لم يمكن له فى مثل ذلك العصر ردّ الشاهد ضد أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم بسبب فسقه العملى والقولى.

على كل، لاريب فى أن اختلاف آراء القضاة أو القاضى الواحد فى القضايا المتشابهه، كاختلاف أهل الفتيا فى فتاويهم، أو المفتى الواحد فى فتواه فى موضوع واحد لاربط له بتغيير الحكم الشرعى، بل الواقع أنه هو يجتهد ولا يرى مثلاً لدليل حجيه البينه أو الحلف أو غيرهما إطلاقاً يشمل بعض القضايا، وإلّا فلا يجوز لأى قاضٍ كائناً من كان مع الإعراف بشمول إطلاق النص وعمومه).

ص: ٣٤

١- أنظر: الكافى: ج ٧ ص ٤١٥، وسائل الشيعه: ج ٢٧ (طبع بيروت).

الإمتناع عن القضاء، أو القضاء على خلاف النص.

الأمر الخامس: النبي والإجتihad

تقدّم أنّ الكاتب قال: إنّ أحكام الرسول صلى الله عليه وآله في مثل هذه الأمور الجزئية....

إلى آخره، وهذا التصريح منه بأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان فيما يأمر به وينهى عنه يعمل بالإجتihad، وعليه: يجوز وقوعه في الخطأ كسائر المجتهدين، والمسألة خلافية.

والذي نذهب إليه ونؤمن به تنزيه النبي صلى الله عليه وآله عن الخطأ في الشرعيات فيما هو فيه أسوه للأُمة وغيرها، وهذا واضح للمتدبّر بأدنى تدبّر وتأمل؛ لأنّه إذا كانت سيره الرسول وسنته القولية والفعليه من مصادر اجتهاد المجتهدين وتفسير الكتاب وبيان مراداته، وإذا كان هو العالم الأول بخصوصه وعمومه، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومفاهيم ألفاظه، ومعانيها الحقيقيه والمجازيه، وكان هو العالم - بتعليم الله ووحيه - بموضوعات أحكام الله تعالى الكليه وتفصيلها، ففي ماذا يجتهد وهو العارف بكل ذلك؟

ص: ٣٥

ولو لم يكن عالماً بجميع تفاصيل الأحكام بتعليم الله ووحيه يبقى الدين ناقصاً فاقداً للمصادر الكافية لاستنباط جميع الأحكام منها.

اللهم إلهنا أن يقال: إنه يجتهد عند اشتباه الموضوع بغيره مع أنه مبين للمفهوم عنده، ولكن هذا غير الإجتهد المصطلح الذي يقوم به الفقهاء والمجتهدون، وهو خارج عما نحن فيه، فالناس كلهم يجتهدون في تشخيص موضوع الحكم عند اشتباهه بغيره، مثل اشتباه مائع بأنه دم أو ماء، مع أن مفهوم الدم الذي هو موضوع الحرمة مبين لا ستره عليه، فتارة يقعون في الخطأ وأخرى يصيبون الواقع، ولكنّه ليس من اجتهاد الفقيه المصطلح بشيء.

مضافاً إلى أن شأن النبي صلى الله عليه وآله أنبل وأجل من ذلك، فهو مصون عن ذلك الخطأ وغيره من الأخطاء، بل ربّما يحطّ مثل هذا الخطأ مع كونه في الموضوع وتطبيقه الخارجى من كرامته صلى الله عليه وآله، وشخصيته الرسولية صلى الله عليه وآله أكثر من خطئه في تبليغ أصل بعض الأحكام، فهو مصون عنه، وهو المؤيد من عند الله تعالى المحفوظ من الخطأ والزلل.

وبالجملة: المجتهد هو الذى يفحص عن أدلّة الأحكام فى الكتاب والسنة ويفتى بما ظفر به من الأدلّة بعد النظر فى عامها وخاصها و.... وتارة لا يظفر بالدليل الخاص مع وجوده فيفتى بعموم العام، أو يظفر بسببٍ آخر. أما النبي صلى الله عليه وآله فهو العالم بالأحكام سواء كانت جزئية أم كلية، فإطلاق المجتهد على النبي دون شأنه الجليل، وكذا أهل بيته الذين هم عدل القرآن، فهم معصومون عن الخطأ لأنهم والقرآن لن يفترقا؛ ولأنّ التمسك بهم أمان من الضلال، وهم سفينة النجاه، كما وردت بذلك صحاح الفريقين.

نعم لا بأس بأن يقال: إنَّ النبي صلى الله عليه و آله بعدما نزلت عليه الأحكام الكليه كان يبين جزئياتها وتفاصيل ما أوحى الله إليه، إلَّا أنَّه في هذا أيضاً مصون عن الخطأ والإشتباه، وإن قلنا: إنَّ إخباره عن هذه الجزئيات بالخصوص ليس مما نزل به جبرئيل على قلبه الطاهر الأقدس، بل هو بيان لجزئياته أو مصاديقه ولكنَّه في كل ذلك تحت رعايه الله الخاصه، لا يخطئ ولا يقول إلَّا بوحى من الله تعالى: [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] (١).

هذا ولا يخفى عليك أنَّ الدليل على أنه لا يخطئ في موضوعات الأحكام التي تشبهه على غيره هو عين الدليل على عصمته وعدم خطئه في أصل الأحكام.٤.

ص: ٣٧

١- النجم: الآيه ٣-٤.

الأمر السادس: الأحكام كليتها وجزئيتها

الأحكام الكلية هي الأحكام المحمولة على الموضوعات الكلية، مثل الصلاة والصوم والحج والبيع والنكاح والرهن. وهكذا تفاصيلها وشروطها وأجزاؤها من السجود والركوع والقراءة وخيار الغبن وخيار العيب. وكذا موضوعات الأحكام التحريمية مثل الخمر والربا والميسر والغش وإيذاء المؤمن والزنا وغيرها... فالحكم يكتسب كليته من موضوعه.

وأما الأحكام الجزئية فهي ما يتعلق بالجزئيات الخارجيه للموضوع الكلي، فالحكم الجزئي جزئي من جزئيات الحكم الكلي، وهذا مثل حرمه شرب هذا الخمر، أو حرمه غصب ملك زيد، أو حرمه الزنا بامرأه معلومه، أو حرمه نكاح هذه المرأه، أو وجوب أداء زكاه هذا المال المعين، أو وجوب صلاه ظهر هذا اليوم، أو وجوب الوضوء لهذه الصلاه، أو خيار الغبن فى هذه المعامله.

ص: ٣٩

ولكن اشتبه الأمر على هذا الكاتب فعَدَّ نهى النبي صلى الله عليه وآله عن بيع الثمر قبل ظهور صلاحه ونضجه - الذى استقرت عليه فتاوى الفقهاء وبنوا على بطلانه - عدّه من الأحكام الجزئية ولم يتفطن إلى أنّ الجزئى والكلى متلازمان، لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإذا كان هذا الحكم أى بطلان بيع الثمره قبل بدوّ صلاحها جزئياً، فما هو إذن الحكم الكلى الذى هذا من جزئياته؟!

وليت شعرى كيف يخفى على الذى يكتب فى الفقه وفى مثل هذا الموضوع الذى شغل فكر أكثر أهل الثقافه العصريه المغتربين بالأساليب الشرقيه والغربيه، أنّ الحكم ببطلان هذا البيع والنهى عنه هو من الأحكام والنواهى الكليه التى لاتحصى جزئياتها، مثل بيع هذه الثمره أو بيع تلك أو بيع هاتيك. (1)ر.

ص: ٤٠

١- راجع آراء الفقهاء وأقوالهم فى المسأله وأحاديث هذا الباب فى كتاب (الخلاف) للشيخ الطوسى، مسأله ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ من كتاب البيوع. وكتاب (المؤتلف من المختلف بين أئمه السلف) مسأله ١٣٥ من كتاب البيوع. والموسوعه الفقيهيه الكبيره (جواهر الكلام) كتاب التجاره، الفصل الثامن فى بيع الثمار.

نعم لا- حصانه لرأى أحد من السابقين من الصحابه والتابعين فضلاً عن غيرهم، إلارأى من نص النبي صلى الله عليه وآله على عصمته وحصانه رأيه، وأنه مع الحق والحق معه يدور حيثما دار، وأنه مع القرآن والقرآن معه. وكذا رأى الأئمه من العتره النبويه عليهم السلام الذين لا يخلو الزمان من واحد منهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله نص على عصمتهم، فقال فى الحديث المتواتر المشهور: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كَتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».

ولم يدع أحدٌ تلك الحصانه والعصمه لأحدٍ من الأمة إلا للأئمه الإثنى عشر عليهم السلام المنصوص عليهم فى أحاديث الخلفاء والأئمه الإثنى عشر عليهم السلام المتواتره.

ويدل أيضاً على حصانه أقوالهم وآرائهم وأحاديثهم عليهم السلام أحاديث متواتره

أخرى ليس هنا مجال الإشارة إليها، ذكرنا طائفة منها في كتابنا «أمان الأمة من الضلال والإختلاف».

وأما غيرهم من الصحابه والتابعين والفقهاء والمجتهدين فلم يدع أحد لهم ذلك، بل ثبت خلاف العصمه لأكبرهم، ومع ذلك ترى كاتب مقاله يستشهد بأقوالهم، ويستشهد بعمل شريح وبكلامه، وبرأى سعيد بن المسيب، وآراء غيرهما من المجتهدين والصحابه وأعمالهم، ثم يقول: فتاوى السابقين لا حصانه لها.

ص: ٤٢

الأحكام السلطانيه وإن كانت بشريه غير إلهيه، وكانت لا محاله متأخره عن الأحكام الإلهيه؛ لأنها لتحقيق إجراء الأحكام الإلهيه وتنفيذها، لكن أصل جواز الحكم للحاكم وولايته على إصدار هذه الأحكام وإلزام الآخرين فى الموارد التى قررها الشارع حكم شرعى، كما أن وجوب طاعه الحاكم فى أحكامه حكم شرعى أيضاً كما ذكرنا.

وإذا لم يكن الحاكم فى هذه الأحكام من المعصومين وأولى الأمر الذين قرن الله إطاعتهم بطاعه الرسول صلى الله عليه وآله - ولو كان من عمالهم والمنصوبين من قبلهم بالنصب الخاص أو العام - فإنه يجوز وقوعه فى الخطأ والإشتباه، ولكن تجب إطاعته حفظاً للنظام إلبا إذا علم خطؤه، وحينئذٍ فلا يجب على العالم بذلك إطاعته، بل ينبغى فى بعض الموارد تنبيهه على خطئه. ومن لا يعلم ذلك - وإن احتمله - فيجب عليه إطاعه الحاكم، على تفصيلاتٍ ليس هنا مقام ذكرها.

وهذا نظير تطبيق غير الحاكم الأحكام الشرعية على موضوعاتها الخاصة الخارجيه، فتاره يصيب فيها، وتاره يخطئ، وهذا يصيب والآخر يخطئ.. وهذا مبني قوله صلى الله عليه وآله في خير أحمد والترمذي وابن ماجه ومسلم: «وَإِذَا حَاصِرَتْ حِصْنَآ فَأَرَادَوْكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلُهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتَصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا» (١) فَإِنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ إِنْزَالَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ لَا يَبْدُ وَأَنْ يَكُونَ بِمَا هُوَ حُكْمُ اللَّهِ بِرَأْيِهِ، وَحَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ لَا يَكُونَ فِي رَأْيِهِ مَصِيبًا حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى يُمْكِنُ أَنْ يَنْزِلَهُمْ عَلَى غَيْرِ مَا شَرَطَ لَهُمْ، وَهُوَ حُكْمُ اللَّهِ الْوَاقِعِيُّ. وَأَمَّا لَوْ شَرَطَ عَلَيْهِمْ إِنْزَالَهُمْ عَلَى حُكْمِهِ فَإِنَّهُ وَإِنْ أَنْزَلَهُمْ عَلَى مَا هُوَ حُكْمُ اللَّهِ بِرَأْيِهِ لَكِنْ إِنْ لَمْ يَصِبْ حُكْمُ اللَّهِ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنِ الشَّرْطِ، مُضَافًا إِلَى أَنَّهُ بِذَلِكَ يَسُدُّ بَابَ مَنَاقَشَتِهِمْ إِيَّاهُ بِأَنَّكَ مَا أَنْزَلْتَنَا عَلَى حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذِهِ الرَّوَايَةُ صَرِيحَةٌ بِصَحْحِ الْقَوْلِ بِالتَّخَطُّئِ وَبَطْلَانِ التَّصْوِيبِ. *

ص: ٤٤

١- أنظر: مسند أحمد: ج ٥ ص ٣٥٨؛ سنن الترمذي: ج ٣ ص ٨٦؛ سنن ابن ماجه: ج ٢ ص ٩٥٤؛ كتاب مسلم: ج ٥ ص ١٤٠.

من الأخطاء الكبيره القول بسد باب الإجتهد وحصر المذاهب الفقهيه فى الأربعة المعروفه، وإلزام العامى بتقليد أحد أرباب هذه المذاهب، وإلزام المجتهد أن يكون مجتهداً فى الفقه المنسوب إلى واحد منهم، فيسلبونه بذلك حريه التفكير والإجتهد الحر، والنظر فى الأدله من الكتاب والسنة، والإفتاء بما يؤدى إليه نظره وإن خالف جميع المذاهب، كما يسلبون بذلك العامى حريته فى التقليد، فلايجوزون له تقليد مجتهد إذا خالف رأيه فى المسأله رأى فقهاء هذه المذاهب، وإن كان موافقاً لرأى كثير من الصحابه والتابعين، والفقهاء الذين كانوا قبل هذه المذاهب الأربعة!

لقد جعلوا هذه الأمة بذلك شيعاً مختلفين متفرقين، وأحدثوا بهذه البدعه فتن الطوائف الشافعيه والحنابله والأحناف والمالكيه، التى تسببت فى حدوث حروب داميه بينهم، لا يتسع المجال لذكر بعضها.

وليت شعري ما مرادهم بأن فلاناً مجتهد حنفى أو شافعى، أو أو....؟ فإن كان مرادهم أنه مجتهد فى فقه فلان وأنه يعرف آراءه وفتاواه من النظر فى كلماته فلا يخلو إما أن يقدر هو بنفسه على استنباط الأحكام الشرعيه من الكتاب والسنة فهو مجتهد والحجه له، ولمن يأخذ بفتواه اجتهاده الشخصى لا اجتهاد الشافعى مثلاً، فهو مجتهد مثل الشافعى، مستقل بآرائه وفتاواه، وإن خالف فيها سائر الفقهاء.

وإن كان لا يتمكّن من الاجتهاد فهو عامى يجب عليه تقليد المجتهد الجامع لشرائط التقليد والإفتاء كائناً من كان، أو عليه الإحتياط فى الفروع.

لقد خسرت الأمة الإسلاميه بسبب قول إخواننا السنيين بسدّ باب الاجتهاد آراء علميه دقيقه، وفتاوى هامه مفيده، كان بإمكانهم أن يستنبطوها من الكتاب والسنة بحريه تفكيرهم، لولا هذه المقوله التى جعلوها ديناً يداان به، بينما نرى مذهب الإماميه شيعه أهل البيت عليهم السلام ما زال ببركه فتح باب الاجتهاد والبحث الحر فى الكتاب والسنة ينمو فقهم ويزداد قوه وعمقاً وسعه، وما زال يظهر منهم فى كل عصر فقهاء كبار ينتقدون آراء الفقهاء الماضين، ويصلون بالتعمق فى الكتاب والسنة إلى ما لم يصل إليه المتقدمون.

والذى يسهل الخطب أنه بفضل جهود جمع من أكابر فقهاء إخواننا السنه، وإدراكهم عمق الخساره التى تسبب فيها سدّ باب الاجتهاد، قد تزلزل هذا البناء الذى بُنى لأغراض سياسيه، وسيأتى زمان إن شاء الله تعالى لا ترى بفضل جهود المصلحين المخلصين هذا التفرق المذهبى، ولا يبقى من العلماء المجتهدين من ينسب نفسه إلى الشافعى أو مالك أو أبى حنيفه أو أحمد، بل يتبع اجتهاده

واستنباطه هو؛ لأنه لم تدل آية ولا رواية على أنهم أولى من غيرهم ممن يأتي بعدهم، وأن اجتهادهم أقوى من اجتهاد مجتهدى عصرنا، فهم واجتهادهم ونحن واجتهادنا، والباحث يعرف قصة هذا الحصر في الاجتهاد الذي لم يكن في عصر الرسول صلى الله عليه وآله ولا في عصر الصحابة، إلّا أنّ أرباب السياسة خافوا أن يؤدي فتح باب الاجتهاد إلى ظهور شخصيات علمية مرموقة، فلا يكون لهم بدّ من الخضوع لفقهم وآرائهم وزعامتهم الدينية، الأمر الذي يتعارض مع سلطتهم الإستبدادية، وأنظمتهم الكسروية والقيصرية، لأنّ العلماء إذا ملكوا القلوب يقومون بواجبهم، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر والظلم والإستبداد والإستعباد.

وهؤلاء علماء الإمامية بفضل نعمه فتح باب الاجتهاد، وما ترتب عليه من وجود مرجعية دينية نافذة القول في قلوب الناس، ترى منهم رجالاً في كل عصر يحرسون الاسلام ويبلغون رسالته، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقفون في وجه ظلم الحُكّام والأُمراء، وربما ثاروا على المستكبرين الجبارين، وبذلك يؤكّدون على أنّ الدين هو العقيدة والسياسة والنظام والقضاء والعبادة والأخلاق، وأنّه يجب أن يكون رجالا من رجالا السياسة والإدارة والحكومة، لا تنفصل الأولى عن الثانية، بل السياسة من الدين داخله فيه دخول الجزء في الكل، فالحكومة الشرعية الرشيدة هي الحكومة التي يتولّاها الفقيه مباشرة أو يكون تحت رعايته وإرشاده وأمره ونهيه.

هذا وقد عرفت أنّ فقهاء الشيعة مع قولهم بفتح باب الاجتهاد اتفقوا خلفاً عن سلف على ثبات أحكام الله تعالى، ولا يجوزون تغيير أى حكم من أحكام الله تعالى لأحد حتى لأئمتهم الذين يقولون بعصمتهم، ومع أنّ فقهاء الإمامية لا يقولون بالرأى والقياس بل يفتون بالكتاب والسنة في المسائل المستحدثة

كغيرها، ويرون أن ما أدى إليه اجتهادهم حكم الله تعالى الذي لا يتغير أبداً، إلّا أن ينكشف خطؤهم في إصابته.

ص: ٤٨

تقدّمت الإشاره إلى أنّ الأحكام الحكوميه التي هي من أجل ضمان تطبيق الأحكام الإلهيه تختلف بحسب الأزمنه والأمكنه حتى لو كانت من حاكم واحد، فيوماً يرى إرسال الجيش إلى شرق الدوله مثلاً، وفي زمان يرى تسييرها إلى غربها، وفي زمان آخر يطلب من الناس أن لايسافروا إلى بلاد الكفر مثلاً، وفي وقت يطلب منهم السفر إليها تحصيلاً لغرض خاص.

فهذه الأحكام طبيعتها عدم الثبات، بخلاف أحكام المعاملات ونظائرها، فإنّ قوانينها وأحكامها ثابتة لا تقبل التغيير.

والذى اخترناه فى الفقه، بدلاله تقصّى بعض الأحاديث المرويه عن طريق العتره الطاهره، أنّ الأحكام إذا كانت نبويه صادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان النص الدال عليها مطلقاً لا يخصها بزمان خاص أو ظرف خاص، فلا يجوز رفع

اليد عنها بالإجتهاد، وحملها على أنها أحكام حكوميه، فمثلاً: نَصُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى أَنْ «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ» (١) وإن قلنا: إنَّ الاستفادة منه ليس الحكم بسبب الإحياء للملكيه، وجواز التملك بالإحياء، بل هو إذن منه في الإحياء والإنتفاع من الأرض، لكن مع ذلك لا يجوز لأحد ممن يلي الأمر بعده رفع هذا الأمر وهذا الإذن ومنع الناس عن إحياء الأرض الموات، أو جعله مشروطاً بشرط.

ولذلك نقم المسلمون فيما نقموا على عثمان أنه آوى الحَكَم بن العاص وردّه إلى المدينه، وأعطاه مائه ألف بعدما كان منفيّاً في حياه النبي صلى الله عليه وآله وفي زمان أبي بكر وعمر، وقد سألهما إدخاله المدينه فامتنعا عن الإذن له وقال أبو بكر: هيهات هيهات أن أُغَيَّرَ شيئاً فعله رسول الله والله لا رددته أبداً. وقال عمر: ويحك يا عثمان! تتكلم في لعين رسول الله وطريدته وَعَدُوَّ الله وعدوَّ رسوله! ٣.

ص: ٥٠

١- الكافي: ج ٥ ص ٢٨٠؛ وسائل الشيعة: ج ٢٥ ص ٤١٣.

الأمر الحادى عشر: بعض الأمثله فى الفتاوى والأحكام الإلهيه

فى الأمثله التى مثل بها الكاتب خلط أيضاً بين الأحكام الإلهيه وفتاوى الفقهاء التى ليست مصونه من التغيير وليس ذلك بسبب أن الحكم الذى أفتى به المفتى يتغير فتتغير الفتوى بتغيره؛ فإن المفتى إذا أفتى بحسب ما أدى نظره إليه يرى مؤدى نظره حكماً شرعياً لا يقبل التغيير، وعندما يرجع عنه لا يرجع بسبب تغير الحكم الشرعى الذى استنبطه بل لأنه ليس مصوناً من عدم إصابه حكم الله تعالى، فربما مخطئ فى فتواه ثم يظهر له خطؤه فيرجع عن فتواه، ورجوع المجتهدين عن رأيه إلى رأى جديد ليس بعزیز.

فلا يقاس الحكم الشرعى الثابت المصون عن التغيير بفتوى المجتهد الذى ليس مصوناً من الإشباه والخطأ.

وبعض الأمثله التى ذكرها الكاتب ليس من تغيير الفتوى أيضاً بشىء بل هى

أشبه بالإجتهد في مقابل النص ورد النص بالتأويل:

قال في مسأله كون المرأه ناخبه أو نائبه «فقد صدرت مثلاً فتوى في النصف الأول من هذا القرن بعدم السماح للمرأه أن تكون ناخبه أو نائبه، وتجاوز الزمن هذه الفتوى كما تجاوزتها الفتوى البصيره من العلماء الآن إذ لم يقرّوا الدليل الذي استند عليه المانعون، ونظروا إليه من وجهه نظر أخرى، فوق أن المرأه تعلّمت وقطعت أشواطاً في العلم كالرجل، وكذلك في الوظائف، وبرز الكثير في عملهنّ وتخصّصهنّ فلم يعد من المستساغ باسم الدين منعهنّ من إبداء الرأى في الإنتخابات أو المجالس التشريعيه أو الأعمال الإداريه بينما نعطيه الرجل الأمى، على أن لكل بلد وضعاً يراعيه المفتون في فتاواهم قد لا يوجد في بلد آخر» إلى آخره.

ونحن لانريد الكلام والبحث في المسأله هنا لإبداء رأينا الفقهي، ولكن حيث ندرّك خطر المسار الخارج على الأحكام الشرعيه الذي يسيره مثل هذا الكاتب، لانخفي أسفنا الشديد على هذه المواجهه الهدامه مع نصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأئمه والأئمّه! فكأنّه يرى أنّ لكل أحد أن ينظر إلى النصوص والأدلّه بأى وجهه شاء، ولو انتهت وجهته إلى ترك النصوص، فلا معيار ولا ميزان للنظر في النصوص والإستنباط منها!

وكأنّه ظن أنّ الشارع الحكيم العالم بالمغيبات الذي أرسل رسوله الخاتم بالدين الذي ختم به الأديان، وشرائع الأحكام التي ختم بها الشرائع، لم يكن عالماً بأنّ المرأه سوف تقطع أشواطاً في العلم.

وكأنّه زعم أن ما جاء في الكتاب والسنة من الأحكام المختصه بالنساء أو

الرجال مختص بعصر الرسول صلى الله عليه وآله وعصور لم تتقدم فيها المرأة التقدم الذى وصفه! فقله تعالى: [الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ] (١)، وقول نبيه صلى الله عليه وآله: «لَنْ يَفْلَحَ أُمَّرُ قَوْمٍ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ» وغيرهما من النصوص ساقطه - والعياذ بالله - عن الإعتماد والإستناد إليها!

أو لم يكن فى عصر الرساله من النساء من كانت أبصر وأحذق فى الأمور من كثير من الرجال؟ ألم تتولّى فى إيران السلطنه والملك امرأه من بنى ساسان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله فيها: «لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ» (٢).

هذا مضافاً إلى أنّ الرجال كانوا إلّا القليل منهم كالنساء فى الأميه، فلو كانت علّه بعض الفروق الشرعيه بين المرأة والرجل أميه النساء كان اللازم جعل ذلك اللأُميين وغيرهم رجالاً ونساءً.

فاتضح بذلك أنّ حكمه الفرق فى بعض الأحكام بين الرجال والنساء ليست ما زعمه الكاتب من أمّيه النساء فى عصر الرساله وتأخرهن عن الرجال فى بعض الكفاءات.

وقد ظهر مما ذكرناه أنّه لا يجوز للمؤمن بالدين الحنيف وخاتمته وبقاء أحكامه إلى آخر الدهر مواجهه النصوص، وردّها بهذه المحامل الفاسده التى لو فتح بابها لا يبقى نص ولا حكم فى مأمن منها، بل تكون كل الأحكام والقوانين الماليه والسياسيه والإجتماعيه والشخصيه معرضاً للتغيير والتبديل المستمر. ٥.

ص: ٥٣

١- النساء: الآيه ٣٤.

٢- تحف العقول: ٣٥.

فيمكن أن يقال مثلاً: إنَّ الطلاق إنَّما جعل بيد الرجل دون المرأة حينما كانت المرأة تعيش عيشه الأُمِّيَّة، ولا تعرف شيئاً عن حقوقها الإنسانيَّة إلَّما أن تكون خادمة للزوج والبيت حاضنةً للطفل، وأما في عصر تتنافس النساء مع الرجال في العلوم والفنون، وظهور المرأة أكثر حذقة من الرجال في تدبير المجتمع والدولة، فكيف نسمح أن يكون أمر الطلاق بيد الرجل يطلِّق امرأته في أيِّ زمان شاء، ولا يكون للمرأة ذلك؟!!

وهكذا يقال: «لاغفر الله لقائله» في العَدَّة وغيرها حتى تكون النتيجة، أن يأتي هؤلاء الذين يعدُّون أنفسهم من أهل التنوُّر والثقافة بشرع جديد، وفقه حديث هو أبعد عن فقه ديننا الحنيف، وشرعه القويم، الذي جاء به رسولنا النبي الكريم صلى الله عليه وآله، من المشرق عن المغرب؛ لأنَّه فقه يحلُّ الربا المحرَّم ويسمِّيهِ استثماراً وفائده، ويحلُّ سائر المحرَّمات ويسمِّيها بأسماء أُخر، أو يبقيها على أسمائها!

أعاذنا الله وجميع المسلمين وأحكام دينه المبين من هذا الفقه الخارج عن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، الفقه الغربي الأمريكي الذي يؤيِّده وينشره ويدعو إليه فقهاء الأنظمة العميلة.

ولاحول ولاقوِّه إلَّا بالله العلي العظيم، وصلى الله

على سيِّدنا محمد وآله الطاهرين

لطف الله الصافي

٢٥ ذى الحجة ١٤١٠ هـ - لندن

ص: ٥٤

مسأله التعصیب

اشاره

ص: ۵۵

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على رسوله وحبيبه وصفيه خير خلقه سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطاهرين.

وبعد، فقد طالعت كلمه فضيله شيخ الأزهر الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - ألهمنا الله تعالى وإياه الخير والصواب - التي نشرتها جريده الأهرام المصريه الصادره بتاريخ ٢٧-١-٨٩ حول مطالبه الأستاذ أحمد بهاء الدين المالكي مراجعه الفقه الشيعي في باب المواريث، وهو منع العصبه من إرث باقى التركه وردّ ما بقى على أصحاب الفروض كالبنات والبنات، طالباً إعادة النظر في المسأله وملاحظه أدلّه القائلين بعدم إرث العصبه وردّ ما بقى إلى أصحاب الفروض وأدلّه القائلين بإرث العصبه، والأخذ برأى الذى أدلّته من الكتاب والسنه أقوى من الآخر، وأنّه لاينبغى الإعراض عن رأى انفراد به تلامذه مدرسه أهل البيت عليهم السلام لأنّه رأى شيعي، فالحرىّ بالمجتهد أن يكون حُرّاً فى اجتهاده لاينظر إلى الأدلّه ليصل إلى مذهب فقهي معين، بل ينظر فيها ليصل إلى ما تنتهى الأدلّه إليه، ولايختار رأياً إلّا بعد ملاحظه أدلّه آراء الفقهاء والغور فيها، ومقارنه بعضها مع بعض، سواء انتهى اجتهاده إلى ما يوافق الفقه الشيعي أو السني.

والبحث كله يجرى فى أن أى المذهبىن فى الموضوع معتمد على نصوص الكتاب والسنة وأيهما خرج عنهما.

قال الشىخ جاد الحق: والواضح من نصوص القرآن الكرىم فى آيات الموارىث، ومن نصوص السنة الشرىفة التى وثقها جمهور المحدثىن إن ما انفرد به فقه المذهب الشىعى الإمامى فى هذا الموضوع وجره خروج على نصوص القرآن والسنة الصحىحه فضلاً عن عمل الصحابه. إنتهى.

ومن الواضح: أن هذا كلام معارض بمثله من الشىعه وهو: أن ما انفرد به فقه المذهب السنى فى القول بالتعصىب واستحقاق العصبه ما بقى من السهام المقدره وجره خروج على نصوص القرآن العزىز والسنة الشرىفة، ومستلزم فى الموضوع للآراء الفاسده التى لا يقبلها العقل والعرف، وىنزه الدين الحنىف منها.

عید سعید عید سعید

ص: ٥٨

ما يستدل لإثباته في الفقه السني أو الشيعي

الذي يستدل لإثباته في الفقه السني أمران:

أحدهما: أن رد ما بقي من السهام إلى أرباب الفروض خروج على النصوص.

وثانيهما: أن التعصيب والقول باستحقاق العصبه ما بقي من السهام مأخوذ من النصوص كتاباً و سنه.

والذي يستدل لإثباته في الفقه الشيعي أمران أيضاً:

الأول: أن القول بالتعصيب خروج على النصوص.

والثاني: أن القول برد ما بقي إلى أقرباء الميت من ذوى الفروض مأخوذ من الكتاب والسنه.

ونحن نتكلم في كل واحد من هذه الأمور الأربعة من غير تعصب لمذهب دون آخر إن شاء الله تعالى.

هل ردّ ما بقى من السهام إلى أرباب الفروض خروج على النصوص؟

والجواب: أما النصوص القرآنية، فاعلم أنّ المقطوع به من دلالة آيات الفرائض عليه أنّ لأربابها الفرائض المقدرة، فإذا لم ينقص المال عن السهام المفروضة يرثونها بالفرض أما إنهم إذا بقى من السهام شيء يرثونه أم لا يرثونه؟ فلا دلالة لهذه الآيات عليه، فكما لا دلالة لهذه الآيات على أنّ ما بقى للعصبه والأولى من الذكور دون الأُنثى، لا دلالة لها على حرمان أرباب الفرائض عما بقى إذا زاد المال عن السهام، والحكم على الفقه الشيعى بخروجه على النصوص القرآنية موقوف على استظهار حصر نصيب البنت أو البنات وسائر أرباب الفروض فى السهام المقدّره، وحرمانهم عمّا بقى من آيات المواريث بالإستظهار العرفى المعتبر المفقود فى الموضوع، لأنّ هذا الإستظهار مبنى على الأخذ بمفهوم اللقب المعلوم عدم اعتباره، قال الغزالي فى درجات دليل الخطاب: الأولى - وهى أبعدها - : وقد أقر بطلانها كل محصل من القائلين بالمفهوم وهو مفهوم اللقب كتخصيص الأشياء الستة فى الربا(1).

وعلى هذا لا نص من القرآن على حصر نصيب أرباب الفروض فيها، وحرمانهم عمّا بقى حتى يكون القول برده إليهم خروجاً عليه.

وأما النصّ فى السنّة الشريفة:

فالذى يستدلّ به على خروج القول برّد ما بقى إلى أرباب الفروض خروجاً.

ص: ٦٠

١- المستصفى: ج ٢، ص ٤٦.

عليه هو عين ما يستدلّ به في الفقه السنّي على استحقاق العصبه ما بقى من المال وهو خبران:

الخبر الأول: ما رووه عن طاووس مرسلًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن ابن عباس مسندًا بألفاظ مختلفه.

ويناقش فيه أولًا: بضعفه؛ لإرساله في بعض طرقه كما في الترمذى، واختلاف الطرق في لفظ الحديث، ففي بعضها: (ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقى فهو لأولى رجل ذكر) وفي بعضها: (أقسموا المال بين أهل الفرائض على كتاب الله فما تركت الفرائض فلأولى رجل ذكر).

ويدلّ ذلك على عدم ضبط الخبر سندًا ومنتأً، وعلى وقوع الإشتباه إما في الطريق المرسل بوقوع النقص فيه أو الزيادة في الطرق المسنده، ولا ترجيح لأحدهما على الآخر، ولا يريح الطريق المسند على المرسل، لتقدّم أصاله عدم الزيادة على أصاله عدم النقيصه، لعدم تقدّم الأصل الأولى على الثانى مطلقًا، سيما إذا كان الطريق الذى يجرى فيه أصاله عدم النقيصه أضبط وأحفظ، وتام الكلام فى ذلك يطلب من كتب أصول الفقه.

وثانيًا: بضعفه؛ لأنّ راويه عبدالله بن طاووس مجروح بأنّه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك الأموى المروانى، قاتل أبى هاشم عبد الله بن محمد بن على (ابن الحنفية) بالسّم ظلماً وخداعاً، وكان ابن طاووس كما هو شأن كل من يوالى بنى اميه كثير الحمل على أهل البيت عليهم السلام (١). ٨.

ص: ٦١

١- العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل: ص ١٠٣-١٠٤، الكامل لابن الأثير: ج ٥، ص ٤٤، تهذيب التهذيب: ج ٥ ص ٢٦٨.

وثالثاً: روى عن ابن عباس وطاووس والد عبد الله تكذيبه، وتبرؤهما من هذا الخبر، روى ذلك أبو طالب الأنباري قال: حدثنا محمد بن أحمد البربري، قال: حدثنا بشر بن هارون، قال: حدثنا الحميدي، قال: حدثني سفيان، عن أبي إسحاق، عن قاريه بن مضرب قال: جلست عند ابن عباس وهو بمكة فقلت: يا ابن عباس، حديث يرويه أهل العراق عنك وطاووس مولاك يرويه: أن ما أبقّت الفرائض فلاأولى عصبه ذكر؟ قال: أمن أهل العراق أنت؟ قلت: نعم، قال: أبلغ من وراءك أنني أقول: إن قول الله عزوجل: [آبأؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله] (١) وقوله: [وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله] (٢) وهل هذه إلفريضة، وهل أبقّتا شيئاً؟ ما قلت هذا، ولا طاووس يرويه عليّ، قال: قاريه بن مضرب: فلقيت طاووس فقال: لا والله ما رويت هذا علي ابن عباس قط، وإنّما الشيطان ألقاه علي ألسنتهم، قال سفيان:

أراه من ابنه عبد الله بن طاووس، فإنّه كان علي خاتم سليمان بن عبد الملك، وكان يحمل علي هؤلاء القوم حملاً شديداً، يعني: بني هاشم (٣).

ورابعاً: بضعفه؛ من جهه دلالتة، وأنّه لا يثبت به ضابطه عامه أو نظام جامع كلّي، فمن أين ذهبتم إلى إرادته العموم من لفظي (المال) و (الفرائض) فلعلّه صلى الله عليه و آله أمر بذلك في مورد خاص، وواقعه خاصه، وأراد بالمال ما كان معهوداً بين ٧.

ص: ٦٢

١- النساء: الآية ١١.

٢- الأنفال: الآية ٧٥؛ الأحزاب: الآية ٦.

٣- تهذيب التهذيب: ج ٥ ص ٢٦٨، تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٢٦٢، الخلاف للطوسي: ج ٢، ص ٦٧.

المتكلم والمخاطب: أى مال ميت خاص، وبالفرائض أيضاً: فرائض أهلها فى مورد خاص، خفى علينا وطراً عليه الإجمال لتقطع الخير، وحذف السبب الذى اقتضى صدور هذا الكلام، وكم لذلك من نظير من الأحاديث، ويؤيد ذلك وأنّ الخبر ليس على ظاهره، إجماعهم على ترك الأخذ بظاهره فى موارد كثيره(١).

هذا، ومن تأمل فى ما ذكر من العلل يعرف أنّ ترك مثل هذا الخبر بها ليس من الخروج على السنه بشىء، وإلّا فليعدّ كل من ترك خبراً لعلّه من العلل خارجاً على السنه، وسواء قبل القائل بالتعصيب سقوط هذا الخبر عن الإعتبار، أم لم يقبل فهو معارض بالأخبار الصحيحه المخرّجه فى الصحيحين وغيرها، وبالنصوص القرآنيه كما سنبيّنه إن شاء الله تعالى.

الخبر الثانى: خبر جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما.

ففى الترمذى: فى باب ما جاء فى ميراث البنات: حدثنا عبد بن حميد، حدثنى زكريا بن عدى، أخبرنا عبيد الله بن عمرو، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال: جاءت امرأه سعد بن الربيع بابنتيهما من سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإنّ عمّهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولاتنكحان إلّاولهما مال، قال: «يقضى الله فى ذلك، فنزلت آيه الميراث، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عمّهما فقال: أعط ابنتى سعد الثلثين وأعط أمّهما الثمن، وما بقى فهو لك»(٢). ٠.

ص: ٦٣

١- يراجع فى ذلك: تهذيب الأحكام: ج ٩ ص ٢٦٣، ٢٦٤، وكتب فقه المذاهب السنيه.

٢- سنن الترمذى: ج ٣ ص ٢٨٠.

وأخرجه أحمد في مسنده، وأخرج نحوه ابن ماجه في باب فرائض الصلب قال: حدثنا محمد بن عمرو العدني، حدثنا سفيان بن عيينه، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر.

وأخرجه أبو داود بسنده عن عبد الله في باب ما جاء في الصلب وساق نحوه.

والإحتجاج به ضعيف لأمر:

الأول: لأنه معارض بغيره من الأخبار الواردة في سبب نزول الآيه أيضاً عن جابر.

قال السيوطي: أخرج عبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه من طرق، عن جابر بن عبد الله قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر في بني سلمه ماشيين، فوجدني النبي صلى الله عليه وآله لأعقل شيئاً، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش عليّ فأفقت فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله، فنزلت: [يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين] (١).

وأخرج عبد بن حميد والحاكم عن جابر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعودني وأنا مريض، فقلت: كيف أقسم مالي بين ولدي؟ فلم يرد عليّ شيئاً ونزلت:

[يوصيكم الله في أولادكم] (٢).

الثاني: لضعف سنده؛ لأنّ راويه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو وإن وصفه ٥.

ص: ٦٤

١- النساء: الآيه ١١.

٢- الدر المنثور: ج ٢، ص ١٢٤-١٢٥.

ابن حبان بأنه من سادات المسلمين وفقهاء أهل البيت وقراءهم، إلما أنهم لا يحتجون بروايته، وضعّفوه وقالوا بوجوب مجانبه أخباره، ورموه برداءه الحفظ (١) والراوى عنه فى مسند الترمذى والمسند عبيد الله بن عمرو، وهو مرمىّ بأنه كان أخطأ (٢)، والراوى عنه وهو زكريا بن عدى، قال أبو نعيم فيه: ماله وللحديث هو بالتوراه أعلم، وكان أبوه يهودياً فأسلم (٣).

ومحمد بن أبى عمرو الواقع فى سند ابن ماجه هو محمد بن يحيى بن أبى عمرو العدنى المكى، قال أبو حاتم: كان به غفله، ورأيت عنده حديثاً موضوعاً حدث به عن ابن عيينه (٤).

الثالث: لأنه أخرج أبو داود الحديث بلفظٍ آخر قال: حدثنا مسدد، حدثنا بشر بن المفضل (٥) حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل بن جابر، عن عبد الله قال:

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله حتى جئنا امرأه من الأنصار فى الأسواق فجاءت المرأه باثنتين، فقالت: يا رسول الله، هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما كله، فلم يدع لهما مالاً إلا أخذته، فما ترى يا رسول الله؟ فوالله لا تنكحان أبداً إلا لولهما مال، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: ه.

ص: ٦٥

-
- ١- المجروحين من المحدثين: ج ٢ ص ٤١، الجرح والتعديل: ج ٢ ص ١٥٤، تهذيب التهذيب: ج ٦ ص ١٣-١٥.
 - ٢- تذكره الحفاظ: ج ١ ص ٢٤١.
 - ٣- تهذيب التهذيب: ج ٣ ص ٣٣١، تذكره الحفاظ: ج ١ ص ٣٩٦.
 - ٤- الجرح والتعديل: ج ٤ القسم الأول ص ١٢٤ و ١٢٥ الرقم ٥٦٠.
 - ٥- بشر بن المفضل كان عثمانياً، أى منحرفاً عن على عليه السلام، فوصفوه بأنه صاحب السنه.

«يقضى الله في ذلك»، قال ونزلت سورة النساء: [يوصيكم الله في أولادكم]... (١) الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ادعو لى المرأه وصاحبها، فقال لعمهما: أعطهما الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقى فلك»، فقال أبو داود:

أخطأ فيه، هما بنتا سعد بن الربيع، وثابت بن قيس قتل يوم اليمامة (٢).

وهذا الخبر كما ترى مخالف لفظاً ومدلولاً لما رواه الترمذى والمسند وابن ماجه وأبو داود فى طريقه الآخر، ولا ريب أنه لا يحتج به؛ لأن ثابت بن قيس - كما ذكره ابن داود وغيره - كان حياً إلى واقعه اليمامة، وقتل فى هذه الواقعة، إلا أنه حيث إن الأقرب أن الذى وقع فى هذا الغلط والإشتباه هو عبد الله الذى وصفوه برداءه الحفظ يكون هذا الخبر أيضاً شاهداً على ذلك، وسقوط روايته عن الإعتبار.

وبعد ذلك كله هذا الخبر لا يصلح للاحتجاج به؛ لأنه أيضاً معارض بغيره مثل خبر سعد بن أبى وقاص الذى سنذكره إن شاء الله تعالى.

ما هو الدليل من الكتاب والسنة على القول بالتعصيب؟

قد علم مما ذكرناه أنه ليس هنا نص من القرآن الكريم يدل على حرمان أرباب الفرائض عما بقى منها، وحصر نصيبهم فى السهام المقدّره، فضلاً من أن يدل على استحقاق العصبه له. ٤.

ص: ٦٦

١- النساء: الآية ١١.

٢- سنن أبى داود: ج ٢ ص ٤.

وأما السنّة الشريفه فما تعلقوا به كما عرفت هو خبر ابن طاووس وجابر بن عبد الله، وقد تبين لك حال خبريهما وأنهما لا يصلحان للإحتجاج بهما.

ما يترتب على القول بالتعصيب من الآراء الفاسده:

بعدما عرفت من عدم وجود نص قرآني على صحه القول بالتعصيب، وضعف ما تعلقوا به من السنه سنداً ودلاله، فاعلم أنه يضعف هذا القول بما يترتب عليه من الأقوال الباطله:

منها: أنهم الزموا أن يكون الولد الذكر للصلب أضعف سبباً من ابن ابن ابن عم، بأن قيل لهم: إذا قدرنا أن رجلاً مات وخلف ثمانية وعشرين بنتاً وابناً، كيف يقسم المال؟ فمن قول الكل: إن للابن سهمين من ثلاثين سهماً ولكل واحده من البنات جزء من الثلاثين، وهذا بلا خلاف، فقيل لهم: فلو كان بدل الابن، ابن ابن ابن العم؟ فقالوا: لابن ابن العم عشره أسهم من ثلاثين سهماً وعشرين سهماً بين الثمانية والعشرين بنتاً، وهذا على ما ترى تفضيل للبعيد على الولد الصلب، وفي ذلك خروج عن العرف والشريعه (1). ب.

ص: ٦٧

١- من جهه زياده نصيب ابن ابن العم إذا كان مع البنات على نصيب الولد الصلب، ومن جهه زياده نصيب ابن ابن العم إذا كان مع البنات على نصيب الابن إذا كان معهن، والمثال الآخر لذلك إذا كان له خمس بنات وابن فللابن سهمان من سبعة أسهم، ولكل من البنات سهم واحد، وإذا كان له خمس بنات وابن عم فلكل من البنات سهمان من خمسة عشر، ولابن العم خمسة أسهم، وفي كل ذلك تفضيل للبعيد على القريب.

وترك لقوله تعالى: [وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله] (١).

ثم قيل لهم: فما تقولون إن ترك هذا الميت هؤلاء البنات ومعهم بنت ابن، فقالوا: للبنات ثلثان وما بقي فللعصبه، وليس لبنت الابن شيء: لأن البنات قد استكملن الثلثين، فإذا استكملن فلا شيء لهن، قيل لهم: فإن المسألة على حالها إلا أنه كان مع بنت الابن ابن ابن، قالوا: للبنات ثلثان وما بقي فبين ابن الابن وابنه الابن، للذكر مثل حظ الأنثيين، قلنا لهم: فقد نقضتم أصلكم وخالفتم حديثكم، فلم لاتجعلون ما بقي للعصبه في هذه المسألة كما جعلتموه في التي قبلها؟ ولم لم تأخذوا في هذه المسألة بالخبر الذي روئتموه فتعطوا ابن الابن، ولاتعطون ابنه الابن شيئاً، في أي كتاب أو سنه وجدتم أن بنات الابن إذا لم يكن معهن أخوهن لا يرثن شيئاً، فإذا حضر أخوهن ورثن بسبب أخيهن الميراث؟ (٢) القول بالتعصيب خروج على النصوص القرآنيه:

إعلم أنه يستدل على بطلان القول بالتعصيب بخروجه على النصوص القرآنيه المبيئه لأنظمة المواريث وقواعدها المحكمه.

منها: قوله تعالى: [للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً] (٣). ٧.

ص: ٦٨

١- الأنفال: الآيه ٧٥؛ الأحزاب: الآيه ٦.

٢- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٢٦٥-٢٦٦.

٣- النساء: الآيه ٧.

قد أبطل الله تعالى بهذه الآيه النظام الجاهلي المبني على توريث الرجال دون النساء مثل توريث الابن دون البنت، وتوريث الأخ دون الأخت، وتوريث العم دون العمه، وابن العم دون بنته، فقرر بها مشاركة النساء مع الرجال في الإرث إذا كنَّ معهم في القراه في مرتبه واحده، كالأبن والبنت والأخ والأخت، وابن الابن وبنته والعم والعمه وغيرهم، فلا يوجد في الشرع مورد تكون المرأه مع المرء في درجه واحده إلا وهي ترث من الميت بحكم هذه الآيه الكريمه.

والآيه صريحه ونص على إبطال النظام الجاهلي المذكور، وإعطاء النظام الإلهي المبني على توريث أهل طبقه واحده، كما أنها صريحه في توريث الرجال مع النساء، فكما أنّ القول بحرمان الرجال الذين هم في طبقه واحده نقض لهذه الضابطه المحكمه الشريفه، كذلك القول بحرمان النساء أيضاً والحال هذا نقض لهذه الضابطه القرآنيه.

ومثل هذا النظام الذي تجلى فيه اعتناء الإسلام بشأن المرأه، ورفع مستواها في الحقوق الماليه كسائر حقوقها، يقتضى أن يكون عاماً لا يقبل التخصيص والإستثناء إلا إذا كان وجهه ظاهراً بنظر العرف لا يعد عنده نقض القاعده المقرره، كما هو كذلك (أى نقض للقاعده) على القول بالتعصيب.

فالفرق واضح بين إخراج الوارث الكافر أو القاتل من تحت العمومات بالتخصيص، وإخراج العمه إذا كانت مع العم عن إرث ابن الأَخ بالتعصيب، وكذا إخراج بنت العم إذا كانت مع ابن العم، والحكم بحرمانها عما بقى من الفرائض، واختصاص ما بقى بابن العم، فإنّ في الأول تخصيص عمومات الإرث بالوارث الكافر والقاتل، تخصيص عرفي يحمل به العام على الخاص تحكيمياً للأظهر

على الظاهر، بإخراج الولد القاتل عن عموم قوله تعالى: [للرجال نصيب] الآية، لا يعد نقضاً لأصل القاعده التي بينتها هذه الآية، بخلاف تخصيص هذه القاعده بالنساء فيما بقى من الفرائض؛ فإنه عند العرف يعد نقضاً لهذه القاعده التي قررت مشاركة النساء مع الرجال فى الميراث بلا موجب ظاهر، فلا يراه العرف إلا كنفى تلك القاعده ورفع اليد عن حكمها وفائدتها قاعده تقتضى شمولها لجميع الموارد.

وهذا أمر يظهر بالتأمل وملاحظه مناسبه الحكم والموضوع، ففي الأول ليس التخصيص والإخراج منافياً لمناسبتهما، بخلاف الثانى فإن الحكم باختصاص المرء بالمال منافٍ لمناسبه الحكم والموضوع فى النظام المذكور الآبى عن الإستثناء.

إن قلت: لا اعتبار بفهم العرف وجه حكم الشرع، فسواء فهمه أم لم يفهمه وجب علينا القول بالإتباع والتسليم، قال الله تعالى: [وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيره من أمرهم] (١) وهذا أى عدم دخل فهم وجه حكم الشرع فى وجوب الإمتثال والتسليم القلبى والعملى ثابت بالعقل والشرع، ولعلك لم تجد عارفاً بحكمه جميع الأحكام بالتفصيل لا من العلماء ولا من غيرهم إلا من علمه الله تعالى ذلك.

قلنا: نعم يجب علينا التسليم والإطاعه وإن لم نفهم وجه حكمه الحكم، بل كمال العبوديه لله تعالى لا يتحقق إلا بالتسليم المحض قبال أوامر المولى، ٦.

ص: ٧٠

فلايسأل العبد في مشهد العبوديه عن وجه أمر المولى، لا-يلتفت إلى نفسه ولا-يرى إلّامولاه، لايقصد بعمله إلّاوجه الله تعالى وإطاعه أمره، قال الله تعالى: [وما أمروا إلّاليعبدوا الله مخلصين له الدين](١)، وقال سبحانه وتعالى:

[ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن](٢).

إلّما أنّ ذلك لايدفع ما ذكرناه، ولايبطل به ما يستظهر العرف بمناسبه الحكم والموضوع من الألفاظ، فيرى في مورد العموم المستفاد من اللفظ آبياً عن التخصيص، فيردّ دليل المخصّص أو يحمله على ما لاينافى العموم، وفي مورد آخر لا-يرى بأساً بتخصيص العموم، فبعد ورود المخصّص يحمل العام على الخاص حملاً للظاهر على الأظهر كما مر، وهذا أمر واضح عند العارف بالمحاورات العرفيه.

ولمزيد التوضيح وظهور إباء الآيه عن التخصيص بالنسبه إلى المرأه، وعدم جواز تخصيص عمومه بالخبرين المذكورين، حتى ولو سلما عن المناقشه فيهما دلالة أو سندا نقول: إنّ الأحكام الشرعيه على قسمين:

قسم منها الأحكام العباديه المتعلّقه بما بين العبد وبين الله تعالى، والوظائف التي يتقرّب بها كل فرد إلى الله تعالى، ويستكمل بها الكمالات الإنسانيه، ويحضر بها مشاهد القرب، ويتشبه بها بالملائكه الروحانيه، ويرتفع بها إلى الحضور في عالم القدس والأنس.٥.

ص: ٧١

١- البيّنه: الآيه ٥.

٢- النساء: الآيه ٢٥.

وهذه الأحكام وإن كانت أساس السعادات الدنيوية والأخروية، والجسميه والروحيه، وروح جميع الأنظمه الشرعيه إلّا أنّ الغرض الأول والأسنى من تشريعها إيصال العباد إلى المقامات المعنويه، والتوجّه إلى خالقهم ومنعمهم الحقيقي، وجلوسهم على بساط الشكر وحصول حال التعبد والتسليم والإنقياد للحق في نفوسهم وغير ذلك.

فهذه أحكام تعبديه صرفه لا يطلع على ما فيها من الحكم بالتفصيل إلّا الأوحى من الناس ممن أكرمه الله تعالى بالإطلاع على ذلك، ولا يتحقّق الغرض الأصلي منها إلّا بامتثالها بقصد الإطاعه والتعبد الخالص، فلو أطلع العبد على بعض ما فيه من الفائده والحكمه غير ما يتحقّق بالعباده والإتيان به تعدياً، فأتى به لتحصيل هذه الفائده والحكمه لم يكن ممثلاً لها، ولا يستحق بها ما يستحق عباد الله المخلصون.

والقسم الثاني: الأحكام المشروعه لنظم أمور الدنيا، وسياسه المدن، وإداره المجتمع، وروابط الأفراد بعضها مع بعض في الأموال وغيرها، ففي مثل هذه الأحكام بملاحظه الأحكام وموضوعاتها والمناسبه بينهما، يفهم العرف في الجملة غرض الشارع، وما يحقّقه وما يرتبط به، ويكون لهذا الفهم دخل في استظهار مراده من كلامه من العموم والخصوص وغيرهما، وتكون هذه المناسبات التي يفهمها العرف من القرائن الحاليه أو المقاليه الدالّه على ما أراده المتكلم من كلامه.

فإذا قرّر الشارع الذي أخذ بيد المرأه المسكينه، وأنقذها من دركات السقوط والشقاء، أنّ للنساء نصيباً مما ترك الوالدان والأقربون كما قرر ذلك للرجال،

بمناسبات كثيره من عنايه بحفظ حقوق النساء وكرامتهنّ الإنسانيه والمنع عن إستضعافهن، يفهم أنّ عموم هذا الحكم الحافظ لشؤون المرأة وتثبيت حقوقها في المجتمع لا يقبل التخصيص بحرمان المرأة عن حقها واستقلال المرء يارث جميع ما بقي لكونه من الكثر على ما قرأ.

فكما لا يقبل التخصيص قوله تعالى: [اعدلوا هو أقرب للتقوى](١). وقوله تعالى: [ما على المحسنين من سبيل](٢) وقوله تعالى: [وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به](٣) وغيرها من القواعد الشرعيه القرآنيه، لا تقبل هذه القاعده المحكمه، الحاكمه يارث المرء من الميث إذا كانت مع المرء في طبقه واحده، أيضاً التخصيص.

وهذه أمور لا بدّ للفقيه ملاحظتها عند النظر في أدله الأحكام.

فإن قلت: فكيف اختلف نصيب المرء والمرأة من الميراث وصار للذكر مثل حظ الأنثيين.

قلنا: إنّ اختلاف الذكر والأنثى في تقدير الميراث لا ينافي القاعده المذكوره، فإنها تقزّر إرث المرأة مع الرجل من تركه الميث إذا كانت معه في درجه واحده، وأما تقدير السهام فأمر آخر يثبت بدليله، لا ينافي المحافظه على حقوق المرأة ورفع الإستضعاف عنها، سيما إذا كان ذلك بملاحظات اقتصاديه مثل أن المرء ٦.

ص: ٧٣

١- المائده: الآيه ٨.

٢- التوبه: الآيه ٩١.

٣- النحل: الآيه ١٢٦.

يعطى ولا يعطى، والحاصل أنّ تقدير المواريث بالإختلاف أمر لا يخالف القاعده المشار إليها بخلاف حرمانها عن الميراث.

هذا، وقد ظهر مما ذكر بطوله أنّ هذا النص القرآنى الدال على إرث المرأه من تركه الميت إذا كانت مع الرجل فى درجه واحده لا يقبل التخصيص، سواء كان المال الذى يرثاه تمام تركه الميت، أو بعضها مما بقى من سهام أرباب الفرائض، وهذا - أى إباء هذا النص من قبول هذا التخصيص - من أقوى الشواهد على ضعف خبر ابن طاووس وخبر جابر.

آيه أخرى:

ومن النصوص القرآنيه التى يكون القول بالتعصيب خروجاً عليها هو قوله تعالى: [وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله] (١).

فقد دلّت على قاعده مهمه مبنيه على أهم ما بنيت عليه أحكام المواريث الشرعيه، وهى أنّ الإرث على ترتيب الطبقات، الأقرب فالأقرب، والأقرب ذكراً كان أو أنثى يمنع الأبعد، ومن كان منهما فى الطبقة المتقدمه يمنع من كان فى الطبقة المتأخره، ولأقرب أنّ البنت أقرب من ابن ابن أخ ومن ابن العم ومن العم؛ لأنها تتقرب إلى الميت بنفسها وهؤلاء يتقربون إليه بغيرهم، فالحكم بتقديم كل واحد من هؤلاء عليها تقديم للأبعد على الأقرب، ومن يتقرب بالميت بغيره على من يتقرب بنفسه، ولأقرب أن هذا خروج على هذا النص القرآنى الذى قرر ٦

ص: ٧٤

أنَّ الأقرب من أولى الأرحام أولى من الأبعد.

ومن جانب آخر يخالف القول بالتعصيب الآيتين الكريمتين؛ لأنَّ مدلولهما أنَّ الأقربيه إلى الميت هي تمام المناط لإرث الوارث لتركته، ففي أى شخص وجد هذا المناط فإنَّه يرث الميت، لاترجيح لأقرب على أقرب إذا كان الأقرب أكثر من واحد، سواء كان الجميع ذكوراً أم إناثاً، أو بعضهم من الذكور وبعضهم من الإناث، وسواء كان ما يرثونه جميع تركه الميت، أو بعضها مما بقى من الفرائض، فالقول بأنَّ ما بقى من الفروض لأولى رجل ذكر، دون من كان فى درجته من الإناث خروج على ما تنص عليه الآيتان، من أنَّ تمام المناط فى إرث المال الأقربيه إلى الميت والحال.

فإن قلت: إنَّ المستفاد من الآيتين أنَّ أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض، إلَّا أنَّه لم يعين هذا البعض الأولى، فذلك يستفاد من غير الآيتين من الكتاب والسنة.

قلنا: إن ما قلتم خلاف الظاهر؛ فإنَّ مدلولها ليس أنَّ بعضهم أولى ببعض تشريعاً وقانوناً وإن كان أبعد من الميت من غيره، بل فى الآيتين مضافاً إلى تشريع أولويه بعضهم ببعض إشاره إلى جهه واقعيه، ورابطه تكوينيه تكون بين الوارث والمورث وهى: المناط فى أولويه الوارث، فمن كان بهذه الرابطه أقرب إلى الميت فالعُرف والإرتكاز يراه أولى به، والشرع قرر هذا الإرتكاز العرفى، فجاء تشريعه موافقاً للتكوين، فكأنَّه بقوله: (وأولوا الأرحام...) بيّن ما يراه العُرف، ويأمر به حسب اقتضاء طبع الموضوع.

وكيف كان، فلا ريب فى أنَّ الأقرب يمنع الأبعد بحكم الآيتين، وأن توريث الأبعد بالعصبه فى الموارد الكثيره نقض لهذه القاعده المرتكزه فى الأذهان التى

حكم بها الشارع، وأبطل بها غيرها من أحكام الجاهليه، كما أنه لا ريب في أن خصوص الذكر الأقرب إلى الميت دون الأنثى التي هي في درجته، كما يفعله القائل بالتعصيب، خروج على هذا النص القرآنى.

آيه أُخرى:

ومما خرّجوه على النصوص القرآنيه قولهم بأنّ الأخ يرث النصف مع البنت، فإنّه مضافاً إلى خروجه على قوله تعالى: (وأولوا الأرحام...) خروج على النص القرآنى الآخِر، وهو قوله تعالى: [إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد] (١) وذلك لأنّ إرث الأخ من الأخت مشروط بحكم الآيه بانتفاء الولد، ولا ريب في أنّ البنت ولد، بدليل قوله تعالى: [يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين] فلا يكون الأخ وارثاً مع الولد مطلقاً بنتاً كان الولد أو ابناً؛ لأنّ المشروط ينتفى بانتفاء شرطه، فتورث الأخ النصف مع البنت خروج على الكتاب العزيز.

ومن جهه أُخرى خالفوا الكتاب في توريث أخت الميت لأبيه وأمه النصف مع بنت الميت فإنّ ذلك أيضاً خروج على قوله تعالى: [إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت]، لصدق الولد على البنت.

وقد أخرج الحاكم في المستدرک أنه سئل ابن عباس عن رجل توفى وترك بنته وأخته لأبيه وأمه فقال: ليس لأخته شيء، والبنت تأخذ النصف فرضاً ٧٦

ص: ٧٦

والباقى تأخذه ردّاً... الحديث.

القول بالتعصيب خروج على نصوص السنه الشريفه:

منها ما أخرجه البخارى فى مواضع من صحيحه، وكذا مسلم وغيرهما، ومن جمله طرقة ما رواه البخارى فى باب ميراث البنات قال: حدثنا الحميدى، حدثنا سفيان، حدثنا الزهرى، أخبرنى عامر بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه قال: «مرضت بمكه مرضاً فأشفيت منه على الموت فأتانى النبى صلى الله عليه وآله يعودنى، فقلت: يا رسول الله، إن لى مالاً كثيراً، وليس يرثنى إلا ابنتى أفأصدق بثلثى مالى؟ قال: لا، قلت: فالشطر؟ قال: لا، قلت: الثلث؟ قال: الثلث كبير، إنك إن تركت ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عاله يتكففون الناس»... (١) الحديث.

وفى مسلم فى باب الوصيه بالثلث وفيه: (ولا يرثنى إلا ابنه لى واحده) وفى الترمذى فى باب ما جاء فى الوصيه بالثلث قال: وهذا حديث حسن صحيح.

وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن سعد بن أبى وقاص، وأخرجه كما فى الدر المنثور مالک والطيالسى، وابن أبى شيبه وأبو داود والنسائى، وابن خزيمة وابن الجارود وابن حبان.

وهذا الحديث نص على بطلان القول بالتعصيب؛ لأنه قال: (وليس يرثنى إلا ابنتى) ولم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وقرره على ما قال، ومقتضاه كون جميع ٥.

ص: ٧٧

١- كتاب البخارى: ج ٨ ص ٥.

التركه للبنت، ولا تجوز جميعها إلبالرد عليها، ويؤكد دلاله هذا النص على المذهب المختار فى الفقه الشيعى، وأنه لا دلاله لآيات الميراث فى الفرائض على حرمان أربابها عما بقى، أن واقعه سعد ومرضه هذا وقعت بعد نزول آيات الموارىث.

نص آخر من السنه يدل على بطلان التعصيب

ومما يدل من السنه الشريفه على بطلان القول بالتعصيب خبر واثله بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (المرأه تحوز ثلاث موارىث: عتيقها، ولقيطها وولدها الذى تُلاعن عليه) وفى لفظه الآخر: (والولد الذى لاعنت عليه)(١).

وجه دلالته أنه لما منعت الملاءعنه إرث الأب من الولد تحوز الأم - مع أنها من أرباب الفرائض - ما بقى من فرضه بالرد لا محاله، ولا يسمع دعوى انصراف ما دل من الكتاب عن سهم الأم من تركه ولدها الذى لاعنت عليه حتى يكون الخبر وارداً فى مورد لم يفرض له فريضه فى الكتاب، لعدم وجه لهذا الانصراف مع شمول الآيه للأم مطلقاً، سواء كان ولدها الولد الذى لاعنت عليه أو غيره.

نعم هذا الخبر نص على صحه رد ما بقى من الفرض على صاحب الفرض، كما بين فى الفقه الشيعى، وهو وإن لم يدل على حرمان العصبه من الباقي، لأن لائم الحكم لعدم لحوق الولد بالملاءعنه عدم وجود العصبه له بحكم الشرع، إلا أن القائل بالتعصيب حيث يقول بحرمان أرباب الفرائض من الباقي، سواء كان

ص: ٧٨

١- المسند: ج ٣، ص ٤٩٠ وج ٤ ص ١٠٧، وابن ماجه: باب تحوز المرأه ثلاث موارىث.

للميت عصبه أم لا، هذا الخبر يرد ما اختاره في المال الباقي من السهام فتدبر.

وكيف كان، فالإعتماد على خبر سعد المخرّج في الصحيحين النص على بطلان التعصيب.

ومثله ما أخرجه البيهقي في السنن الكبرى عن سويد بن غفله في ابنه وامرأه ومولى قال. قال: كان على عليه السلام يعطى الإبنه النصف، والمرأه الثمن ويؤد ما بقى على الإبنه(١).

ما هي الأدله في الفقه الشيعي على صحه قولهم بالردّ؟

ربّما يقال: إنّه وإن ثبت بما ذكرتم بطلان القول بالتعصيب وخروجه على النصوص القرآنيه كما ثبت أنّ القول بمنع العصبه من إرث الباقي وردّه إلى أرباب الفرائض من قربي الميت ليس خروجاً على النصوص إلّا أنّه لا يثبت بذلك أنّ حكم الله تعالى فيما بقى هو الرد إلى أرباب الفرائض (غير الزوج والزوجه) بحسب سهامهم المقدّره، فلا يجوز الفتوى بذلك والقول به إلابدليل من الكتاب أو السنه أو الإجماع.

فيقال: نعم هذا صحيح لا بد من إثبات القول بالرد من دليل من الكتاب أو السنه أو الإجماع، وعلى ذلك بنى الفقه الشيعي في جميع المسائل.

وفي مسألتنا هذه، وإن ظهر مما ذكرناه أدله القول بالرد من الكتاب والسنه، ٨.

ص: ٧٩

إلا أنه لمزيد التوضيح نقول: قد ثبت هذا القول بالدليل من الثلاثة:

أما الإجماع: فإنه لا شك في أن إجماع الأمة قد انعقد على قولين، ولا شك في أن إجماعهم كذلك إجماع على نفي القول الثالث يعبر عنه في الإصطلاح بالإجماع المركب، ومعه لا يجوز لأحد إلا اختيار أحد القولين، ومعناه أن الحق ليس خارجاً عنهما في إثبات بطلان أحدهما تثبت صحه الآخر وإن لم تثبت صحته بدليل خاص، فلا بد من القول به، وإلا يلزم رد ما عليه جميع الأمة ومخالفه إجماعهم.

وأما الكتاب العزيز: فيدل على أن ما بقى من المال بعد إلحاق الفرائض بأهلها يكون لذوى قرباهم قوله تعالى: [وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله] (١) حيث دل على أن من كان قرباه أقرب إلى الميت كان أولى بتركته، سواء كان هنا عَصِيْبَهُ أم لم تكن، أو كان له التسميه أو لم تكن؛ لأنه مع كونه أقرب يكون هو أولى يارث جميع المال من غيره الأبعد.

فإذا لم يكن للميت غير البنت أو البنات، ترث بحكم هذه الآيه تمام التركة، لكونها أقرب دون غيرها.

فإن قلت: لاتصريح في الآيه الكريمة بأن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث أو أن هذه الأولويه في غير ذلك.

قلنا: لا ريب في ظهور الآيه في الميراث، وإن احتمل اللفظ الميراث وغيره، وغايه الأمر حملة على العموم مما يحتمله اللفظ من الميراث وغيره، فادعاء ٦.

ص: ٨٠

التخصيص بغير الميراث مضافاً إلى أنه لا- دليل عليه خلاف الظاهر، فإن أظهر مصاديق العموم وما يتبادر منه هو الميراث والآية نص فيه.

وأما السنه: أما من طرق أهل السنه، فالذى يدلّ عليه من الصحيحين وغيرهما خبر سعد بن أبي وقاص الذى هو نص على صحه مذهب الشيعة، وخبر وائل بن الأسقع وخبر سويد بن غفله، وقد مر بيان الإستدلال بهما، فلانعيد الكلام فى ذلك.

وأما من طرق الشيعة: فالأحاديث الثابته عندهم من طرق أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله كثيره متواتره مخرّجه فى جوامعهم فى الحديث فى باب الفرائض والمواريث، بحيث لايشك من راجعها أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الأصل لهذا المذهب بأحاديثهم ورواياتهم، وأقوالهم الثابته بالأحاديث المتواتره لا- عذر لمن ترك الرجوع إلى هذه الأحاديث التى تحمل فقهاً ضخماً، وعلومها جمّة، وتغنى المراجع عن إعمال القياس والقول بالرأى والإستحسان فى دين الله، والعجب ممن يأخذ بأخبار النصاب وأعوان الظلمه، ويترك هذه الأحاديث المرويه عنهم عليهم السلام.

وقد قيل فيهم ونعم ما قيل:

إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهبا

هذا مضافاً إلى أنّ حجه ما عند أهل البيت من العلم قد ثبت بمثل أحاديث الثقلين المتواتره، التى نص فيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على وجوب التمسك

بالكتاب والعترة، وقال: [ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض] (١). فالعلم الذي هذا شأنه مأمون عن الخطأ فيه، وروايه من شأنه عدم الإفتراق من الكتاب أولى بالأخذ والإتباع من روايه غيرهم كائناً من كان، وإذا كان مثل الشافعي في مسأله التعويل على أخبار الآحاد يعوّل على عمل أئمه أهل البيت عليهم السلام، ويقول: وجدنا على بن الحسين رضى الله عنه يعوّل على أخبار الآحاد، وكذلك محمد بن علي (٢).

فكيف يجوز الإعراض عن علومهم وأحاديثهم تعصياً لأعدائهم، وتمسكاً بالخوارج والنواصب، وجرحهم الثقات الأثبات بجرم ولائهم لأهل البيت عليهم السلام والتمسك بهداهم، فتراهم يخرجون حديث من ثبت نفاقه ببغض أمير المؤمنين على عليه السلام الذي قال له النبي صلى الله عليه وآله: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»، ويصدّقونه، مع أنّ الله تعالى يقول: [والله يشهد إن المنافقين لكاذبون] (٣) وربّما يؤوّلون هذا الحديث وأمثاله بتأويلات بارده غير مقبوله (٤)، وقد خسر الإسلام وأُمتة بهذه السيره السيئه خسارات كبيره، لا يمكن تداركها إلا بإعادة النظر في الأحاديث بقطع النظر عن الشرائط السياسيّه السائده على أخذ الحديث وتحمله وروايته.ف.

ص: ٨٢

١- أنظر: نفحات الأزهار: ج ١؛ شرح إحقاق الحق: ج ٩ و ٢٤.

٢- المستصفي: ج ١ ص ٩٦.

٣- المنافقون: الآية ١.

٤- راجع كتاب: العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل، ومقدمه دلائل الصدق، وكتابنا أمان الأمة من الضلال والإختلاف.

قال فضيله الشيخ جاد الحق فى آخر كلمته المنشوره فى الأهرام: (وبالمقارنه العلميه إجمالاً بين أدلّه من يرون الإرث بالتعصيب وهم فقهاء المذاهب السبعه المدوّن فقهم وغيرهم، ومن الفقهاء الذين توالى الروايات عنهم فى كتب الفقه العام، وبين من لا يرون هذا وهم الشيعة الجعفريه، إنّ المقارنه ترجح أدلّه الأولين على الآخرين؛ وذلك لأنّ الشيعة حينما منعوا الإرث بالتعصيب كمبدأ لمذهبهم قالوا: يرد باقى التركه على أصحاب الفروض بوجه عام، حتى إذا ما كان للمتوفى بنت أو بنات فقط، ووجد معها أو معهنّ عاصب من غير الأبناء والأب، حازت البنت أو البنات كل التركه فرضاً ورداً، والتوريث بالرد أمر اجتهادى لا يستند إلى نص خاص، ومن ثم كان الإختلاف واسعاً فى مداه وفى مواضعه، وليس لدى الشيعة من سند فى هذا إلّما يتردّد فى كتبهم - على ما سبقت الإشارة إلى نصه المنقول فى كتاب جواهر الكلام - وهو قول أئمتهم وهو قول لا يثبت عند غيرهم).

أقول: أما المقارنه العلميه فمن تأمل فيما ذكرناه من الأدله على عدم وجود نص قرآنى على القول بالتعصيب، والمناقشه فيما استندوا به من السنه للقول بالتعصيب سنداً ودلاله، وفيما يترتب على القول به من اللوازم الفاسده والأدله على خروج القول به على النصوص القرآنيه والسنه الشريفه يظهر له رجحان قول المانعين من إرث العصبه ما بقى من السهام.

وأما استناد الشيعة الجعفريه إلى نص خاص فنقول: كأنه يرى دلالة النص العام على الفقه الشيعى فى الموضوع فيسأل منه أنه ما الفرق بين دلالة النص الخاص على حكم ودلاله النص العام عليه بعمومه، نعم إذا كان النص الخاص وارداً على النص العام يقدّم عليه لكونه أخص وأظهر، وأما العام الذى لم يرد عليه الخاص فهو حجه لجميع الأفراد، فكما لافرق بين أن يكون دليل وجوب إكرام زيد العالم قوله: أكرم زيد العالم الدال بخصوصه، أو قوله: أكرم العلماء الدال بعمومه على وجوب إكرامه، وكذلك لافرق بين أن يكون فى البين نص خاص يدلّ على ردّ ما بقى من الفرائض إلى أصحابها أيضاً، أو يثبت ذلك بدليل عام يشمل عمومه الموضوع، مثل قوله تعالى: [وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله] (١).

هذا وقد ظهر لك وجود الدليل الخاص على بطلان القول بالتعصيب ووجوب رد ما بقى إلى أصحاب الفرائض من طرق أهل السنه فضلاً عن طرق الشيعة، فإنّ ذلك ثابت من طرقهم المتواتره. ٦.

ص: ٨٤

وأما قوله: إن قول أئمتهم قول لا يثبت عند غيرهم فلم يعلم ماذا أراد بذلك فضيله الشيخ.

يقول: إن قول أئمتهم ليس بحجه فلا يحتج مثلاً بقول الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين الباقر عليهم السلام، وبأحاديثه التي تفرد هو بروايتها عن آبائه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فهذا خروج ظاهر على نصوص الثقلين المتواتره التي نصت على أنّ التمسك بالكتاب وبعتره النبي صلى الله عليه وآله هو سبب الأمن من الضلال، ولا أظنه يقول هذا، وكذا قول الإمام أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام ورواياته، والشيعة ترجح أقوالهم ورواياتهم في علوم الدين من العقائد والتفسير والفقه على روايات غيرهم أخذاً بهذه النصوص ونصوص متواتره أخرى، فيرجحون قول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام على قول غيره من الصحابه، وإن كان الجميع على قول والإمام علي قول يخالف الجميع، كل ذلك ثابت عندهم بالأدلة القاطعه الصحيحه(1).هـ.

ص: ٨٥

١- وقد مدح أئمتهم جماعه من أسلاف الشيخ جاد الحق من شيوخ الأزهر السابقين عليه مثل الشيخ عبدالله الشبراوي الشافعي مادح أهل البيت عليهم السلام بقصائده الرائعه، ومؤلف كتاب الإتحاف بحب الأشراف المملوء بفضائل أئمه الشيعة ومناقبهم، فقال ناقلًا عن بعض أهل العلم ومعجباً بكلامه ومصداقاً له: إنّ آل البيت حازوا الفضائل كلها علماً وحلماً، وفصاحه وصباحه، وذكاء وبديهه، وجوداً وشجاعه، فعلومهم لا تتوقف على تكرار درس، ولا يزيد يومهم فيها على ما كان بالأمس، بل هي مواهب من مولاهم، من أنكرها وأراد سترها كان كمن أراد ستر وجه الشمس، فما سألهم في العلوم مستفيد ووقفوا، ولا جرى معهم في مضممار الفضل قول إلّا عجزوا وتخلّفوا، وكم عاينوا في الجلال والجدال أموراً فتلقّوها بالصبر الجميل، وما استكانوا وما ضعفوا، تفر الشقائق إذا هدرت شقائقهم، وتصغى الأسماء إذا قال قائلهم ونطق ناطقهم سجايا خصّهم بها خالقهم... إلخ (الإتحاف بحب الأشراف: ص ٩). وهذا الشيخ سليم البشري المالكي من شيوخ الأزهر يقول: مخاطباً للشيخ الشريف الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي: أشهد أنّكم في الفروع والأصول على ما كان الأئمه من آل الرسول، وقد أوضحت هذا الأمر فجعلته جلياً، وأظهرت من مكنونه ما كان خفياً، فالشك فيه خيال والتشكيك تضليل، وقد استشففته فراقني إلى الغايه، وتمخرت ريحه الطيبه فأنعشني قدسى مهبتها بشذاه أيضاً... إلخ (المراجعات: المراجعة رقم ١١١ ص ٣٣٧ و ٣٣٨) وأما الشيخ الأكبر الشيخ محمد شلتوت فقد أفتى بفتواه التاريخيه جواز التعبد بمذهب الشيعة الإماميه.

أو أن الشيخ يريد بقوله: إن قول أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يثبت عند غير الشيعة، يعني لم يثبت صدوره منهم عند غير الشيعة.

فيقال له: وهل يثبت قول الشخص ورأيه إلّا من طريق أصحابه وخواصه وتلامذته الذين أخذوا منه العلم، فمن راجع كتب الشيعة في الحديث والفقه والتفسير يعرف اختصاصهم بأهل البيت عليهم السلام، وإن علومهم منذخوره عندهم وفي كتبهم، لا شك أنّهم معتمدون في مذهبهم وفقههم على هؤلاء الأئمة الذين شهد بعلمهم وفقههم حتى ألد أعدائهم، لم ينكر ذلك أحد عليهم، وصحة نسبه كثير مما انفرد به فقه المذهب الشيعي الجعفري إلى أئمة العتره عليهم السلام ثابتة عند أهل العلم والباحثين، مشهور بين العلماء كقولهم ببطلان العول والتعصيب.

وبعد ذلك نقول: يا فضليه الشيخ! أنتم تقولون: إنّ الشيعة لم يستندوا إلى نص خاص، ومنعوا الإرث بالتعصيب حتى إذا كان للمتوفى بنت أو بنات فقط ووجد معها عاصب من غير الأبناء والأب حازت البنت أو البنات كل التركة فرضاً وردّاً.

فما تقولون في خبر سعد بن أبي وقاص الذي أخرجه الشيخان في عدّه

مواضع من صحيحيهما، والترمذى وغيرهم، ألا يدل على أن البنت الواحده ترث جميع التركة، وأن الأب إن أوصى بثلث ماله ترث بنته الباقي وهو الثلثان؟ فإن لم يكن هذا النص الخاص فما هو إذن النص الخاص؟

فإن كان الشيعة هم القائلون بالتعصيب أفلا- تحتجون عليهم وتستدلون على بطلانه به، وتقدمونه على خبر ابن طاووس وخبر عبدالله بن محمد بن عقيل لما فيهما من العلل الكثيره، وصحه سند خبر سعد بن أبي وقاص وقوه متنه فليكن عملكم هكذا والحال بالعكس فأنتم القائلون بالتعصيب، والشيعة قائلون بمنع العصبه عن إرث ما بقى من المال ورده إلى أرباب الفرائض من قرابه الميت، فلماذا تركتم هذا النص الصحيح السالم من العلل، وخبر واثله بن الأسقع المخرج فى المسند وسنن ابن ماجه، وخبر سويد بن غفله المخرج فى السنن الكبرى للبيهقى، وأخذتم بالخبرين المذكورين مع ما فيهما من العلل ومخالفتها لنصوص الكتاب، وهل بعد ما علم، الترجيح يكون مع خبر سعد وخبر واثله وسويد مع موافقتها لنصوص الكتاب أو لهذين الخبرين؟ أنتم وفقهكم وإنصافكم.

وإذا كان الحال فى الموضوع الذى درسه الشيخ ونظر فيه هكذا، فما ظنك بغيره مما حكم فيه على الشيعة أهل البيت بالخروج على النصوص فى سائر الأبواب، والله هو المستعان على ما يصفون.

من راجع الأحاديث المخرجه فى جوامع حديث أهل السنه يعرف أنّهم فى الفروع التى لا- نص فيها من القرآن والسنه الثابته معتمدون على آراء عده من الصحابه متناقضه بعضها مع بعض، ففى مسأله واحده ينقلون مثلاً أن عمر قال كذا، وزيد بن ثابت قال كذا، وابن عباس قال كذا، فى حين إنّهم كثيراً ما لم يستندوا فيما قالوا إلى دليل من الكتاب والسنه، حتى أنّهم رووا عن عبيده السلماني أنّه قال: حفظت من عمر بن الخطاب فى الجدمائه قضيه مختلفه كلها، ينقض بعضها بعضاً (١).

وقضى هو فى ميراث، فلما اعترض عليه رجل بأنّه قد قضى فيه فى عام كذا خلاف هذا القضاء، فقال عمر: تلك على ما قضيناه يومئذ وهذه على ما قضيناه (٢).

ومن قضاياه أنّه لم يورث أحداً من الأعاجم إلّا أحداً ولد فى العرب (٣).

وورث عمر جدّه رجل مع ابنها، وكان عثمان لا يورث الجدّه وابنها حتى (٤).

وأخرج ابن جرير والحاكم وصححه، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس: إنّّه

ص: ٨٨

١- كتر العمال: ج ١١، ص ٥٨، ح ٣٠٦١٣.

٢- راجع كتر العمال: ج ١١، ص ٢٦ ح ٣٠٤٨١.

٣- كتر العمال: ج ١١، ص ٢٩، ح ٣٠٤٩٣.

٤- كتر العمال: ج ١١، ح ٣٠٤٨٧ وح ٣٠٥١٨.

دخل على عثمان فقال: إنَّ الأخوين لايردّان الأم عن الثلث، قال الله: [فإن كان له إخوه] فالأخوان ليسا بلسان قومك إخوه، فقال عثمان: لا أستطيع أن أردّ ما كان قبلي ومضى في الأمصار وتوارث به الناس (١).

وأخرج ابن راهويه وابن مردويه عن عمر إنّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله كيف تورث الكلاله؟ فأنزل الله: [يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله] (٢) إلى آخرها فكان عمر لم يفهم، فقال لحفصه: إذا رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله طيب نفس فسليه عنها، فرأت منه طيب نفس فسألته، فقال: أبوك ذكر لك هذا، ما أرى أباك يعلمها، فكان عمر يقول: ما أراني أعلمها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال.

والأخبار بذلك عن عمر كثيره (٣).

فهذه المناقضات القولية والفعليه التي نرى نموذجاً منها في باب الموارث من أقوى الشواهد على أنه يجب أن يكون في الأمة عالمٌ بالأحكام يكون قوله حجة على الجميع، لا يفارق الحق ولا يفارقه الحق، وهم الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وآله عدلاً للقرآن، وأخبر بأنّ التمسك بهم وبالكتاب أمان من الضلاله أبداً، وهم الذين أراد النبي صلى الله عليه وآله الوصيه بهم والنص عليهم بالكتاب لما قال في مرضه: «إيتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» فخرج بعضهم على نص النبي صلى الله عليه وآله وقال: غلبه الوجع وحسبنا كتاب الله فاختموا، ومنهم من يقول: قَرَّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كِتَابًا لَنْ تَضَلُّوا بَعْدَهُ، ومنهم من يقول: ما قال عمر، فلما كثر اللغو ٩.

ص: ٨٩

١- الدر المنثور: ج ٢، ص ١٢٦، كنز العمال: ج ١١، ص ٣٤-٣٥، ح ٣٠٥١٧.

٢- النساء: الآية ١٧٦.

٣- الدر المنثور: ج ٢، ص ٢٤٩.

والإختلاف عند النبي صلى الله عليه وآله ورأى بأبي هو وأمي أن الأمر انتهى إلى التخاصم، وأنهم مصرون على منعه من كتابه وصيته، وآل الأمر إلى ما آل، قال: قوموا، فكان ابن عباس يقول: الرزیه كل الرزیه ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب(١).

عيد سعيد عيد سعيد عيد سعيدم.

ص: ٩٠

١- يراجع في ذلك: البخارى، كتاب العلم، باب كتابه العلم، وكتاب المرضى والطب، باب قول المريض: قوموا عنى. وكتاب المغازى، والإعتصام، والمسند، وصحيح مسلم.

من راجع جوامع الحديث رجوع تبصير وتعمق يظهر له أن ادعاء إجماع الصحابه فى مسائل كثيره ليس مقطوعاً به، لا يثبت بنقل أقوال عدّه قليله منهم، فإنهم لم ينقلوا فى المسائل التى عدوها إجماعيه إلا أقوال عدّه من الصحابه لعلها لا تتجاوز فى مسأله واحده عن العشره، وأكثر هؤلاء أيضاً كان من الفئه السياسيه الغالبه على الأمر والحكم والسلطه، ثم فى نقل أقوالهم ورواياتهم أيضاً عملت السياسه عملها الغاشم، ومع ذلك من أين يأتى الجزم بإجماع الصحابه ويحكم بتحقيقه وهم أُلوف، وفيهم مئات من أكابرهم وعظمائهم.

ومن أين يحصل العلم بالإجماع الذى يدعى تحقيقه بعد عصر الصحابه فى المسائل التى امتاز أهل البيت عليهم السلام برأيهم الخاص بهم، الذى لا ترضى السياسه والحكومه الأخذ بها واتباعها وإشاعتها دون آراء غيرهم، ممن يرى شرعيه حكوماتهم ولا ينكر عليهم استبدادهم واستضعافهم عباد الله، واتخاذهم إياهم خولاً ومال الله دولاً.

وكيف يحكم بإجماع الصحابه بعدما نرى أنّ مثل حبر الأمه عبداللّه بن عباس رضى الله تعالى عنهما حينما يقول: (ترى إن الذى أحصى رمل عاليج عدداً لم يحص فى مال نصفاً ونصفاً وثلاثاً إذا ذهب نصف ونصف، فأين موضع الثلث؟ وقال: أول من عال الفرائض عمر بن الخطاب، قال: والله ما أدرى كيف أصنع بكم ما أرى أئكم قدّم الله وأئكم أئخر، ثم قال ابن عباس: وايم الله لو قدّم من قدّم الله، وأئخر من أئخر الله ما عالت فريضه، فقيل: ما منعك أن تشير بهذا الرأى على عمر؟ قال: هبته والله (١).

فإذا كان هذا حال مثل ابن عباس فما ظنك بغيره، وما ظنك بأعصار وقعت فيها شيعه أهل البيت عليهم السلام وحاملوا علومهم وحفظه أحاديثهم تحت أشد الإضطهاد من الحكام، وصار نقل العلم عنهم من أكبر الجرائم السياسيه، فمع ما نرى ذلك فى نقل آراء الصحابه وأنّ السياسه لم تكن تسمح لنقل الحديث وآراء الصحابه إلّا عن فئه ممن كان هواه موافقاً لهوى الحكام كيف يجوز للعارف بالتاريخ الحكم بإجماع الصحابه فى المسائل الفقهيّه.

هذا مضافاً إلى أنّ حجيه إجماع الصحابه إن تحقّق لا تكون إلّا بأمرين:

أحدهما: أنّ إجماعهم قد يكشف عن السنه الشريفه وأنهم أخذوا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإجماعهم يكون بمنزله روايه الجميع عنه صلى الله عليه وآله وذلك إذا علم أنهم لم يعتمدوا فيما أجمعوا عليه على آرائهم.

وثانيهما: وجود من ثبت بالنص الصحيح أنّه لا يفارق الحق ولا يفارقه الحق ٩.

ص: ٩٢

١- كتر العمال: ج ١١، ص ٢٧-٢٨، ح ٣٠٤٨٩.

يدور معه حيثما دار فيهم، وأما إذا كان مَنْ هذه صفته خارجاً عنهم ويقول غير ما قالوه فلاحجيه لقول السائرين.

عيد سعيد عيد سعيد عيد سعيد

ص: ٩٣

لا يكاد ينقضى عجبى من فضيله الشيخ وهو شيخ الأزهر الأكبر، وما فى كلمته من الغمز بالشيعه بأنه ليس لهم فقه صحيح مدون.

قال: (ولهم - يعنى للشيعه - فى هذا فروع ترددت فى المصادر الفقيهيه لمذهبهم هذا الذى انفرد بهذه القاعده دون باقى مذاهب الفقه الإسلامى التى نقل فقهاً نقلاً مدوناً صحيحاً ثابتاً).

يقول الشيخ هذا، تعريضاً على الشيعة فى حين أنه يقول عنده أحد الموسوعات الفقيهيه الشيعيه (جواهر الكلام) وهى موسوعه كبيره طبعت فى هيئتها الجديده فى أكثر من أربعين مجلداً تتضمّن جميع أبواب الفقه من العبادات والمعاملات، والقضاء والشهادات و الحدود والديات وغيرها قد أبدى فيه مؤلفه فى المسائل الفقيهيه أقوى الأدله على ضوء الكتاب والسنة المأثوره المرويه من طرق أهل البيت عليهم السلام، وأقوالهم المعتمده على ما عندهم من العلوم والأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وللشيعة موسوعات كبيرة في خلافات الفقهاء، والنظر في أدلتهم، ومقايسه آراء المذاهب بعضها مع بعض، مثل كتاب الخلاف للشيخ الإمام أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (م ٤٦٠) المؤلف في أكثر العلوم الإسلامية، وهو كتاب قيم لا يستغنى عنه الباحث في المذاهب الفقهية ممن لم يجعل اجتهاده تقليداً ومحصوراً في فقه مذهب خاص ويجتهد في مستوى أعلى من ذلك، ويرى لنفسه الحق أن يقابل كل هذه المذاهب برأيه الفقهي الذي استنبطه باجتهاده في الكتاب والسنة.

ومثل كتاب تذكره الفقهاء للعلامة الحلبي (م ٧٢٦) وكان سيدنا الأستاذ الفقيه الأ-كبر الإمام البروجردي (م ١٣٨٠) تغمده الله بغفرانه عالماً بفقته جميع المذاهب وآراء جميع الفقهاء والصحابه والصحابيات يتذاكرها ويدرسها في بحوثه الفقهية التي كان يلقها يوماً على مئات من الفقهاء والمجتهدين وطلبه الفقه.

ومن يراجع كتب الفقه للشيعة يظهر له جلياً أنهم متمسكون في العقائد والأصول والفروع بأقوى الأدلة من الكتاب والسنة، لا يحكمون آراءهم ولا رأي أحد من الناس على دين الله، إليهم ينتهي الفخر في الإبتداء بالتأليف في أكثر العلوم الإسلامية، وهم بدؤوا واهتموا بحفظ الحديث وضبطه وكتابته، حينما تركه غيرهم حتى نهوا عن كتابته، وأمروا بمحو ما كتب منه (١).

وبعد ذلك نقول: ماذا يريد الشيخ من نقل المذاهب السبعة فقهاً نقلاً مدوناً صحيحاً ثابتاً، فإن أراد به مثلاً أن الشوافع أو الأحناف نقلوا فقه الشافعي أو أبي).

ص: ٩٦

١- يراجع في ذلك (كتاب أضواء على السنة المحمدية) و (كتاب تأسيس الشيعة).

حينفه بالنقل الصحيح الثابت، فمضافاً إلى اختلافهم في ذلك ما قيمه هذا النقل لغيره من المجتهدين وإن كان صحيحاً، فكل مجتهد هو واجتهاده وما يستنبطه من الكتاب والسنة سواء ثبت عنده نقل المذاهب السبعة نقلاً مدوّناً صحيحاً ثابتاً أم لم يثبت؛ لأنّ المجتهد ينظر في هذا المقام إلى المنقول لا إلى المنقول منه؛ فإن وجده صحيحاً عندما يعرضه على الكتاب والسنة يختاره ويقول به وإن لم يثبت نقله عن المنقول منه، وإن لم يجده صحيحاً عليه أن يذره ويتركه وإن ثبت نقله عن الشافعي وغيره أو سمعه بنفسه منه، فلم يدلّ دليل من الشرع على أنّ ما أدى إليه اجتهاد أئمة المذاهب السبعة هو أصوب وأقرب إلى الواقع من اجتهاد غيرهم، ولم ينفع تقسيم المذاهب الفقيهيه بالمذاهب المعروفة إلّا الاختلاف بين الأمة وإثاره الفتن الداميه التي ليس هنا محلّ الإشاره إلى بعضها.

وتمام القول والقول التمام أنّه لا حجيه لهذه المذاهب بنفسها للمجتهد والباحث في الأدلّه، ولا يجوز للمجتهد أن يقصر اجتهاده في فقه مذهب خاص من المذاهب الأربعة أو السبعة، ولا يكفيه هذا الاجتهاد في العمل بالتكاليف الشرعيه.

إن قلت: فما تقول في الفقه الشيعي؟

قلت: أوّلاً: في الفقه الشيعي يجتهد الفقيه بالنظر في أدلّه المذاهب ويرجّح ما هو أقوى من الأدلّه التي أخذت من الكتاب والسنة.

وثانياً: يمتاز الفقه الشيعي بأنّه معتمد على فقه العتره الطاهره الثابت حجتيه ووجوب الأخذ به بالسنة الثابته المتواتره، فكما لا يجوز التقدّم على الكتاب ولا التأخر عنه، كذلك لا يجوز التقدّم عليهم ولا التأخر عنهم، قال رسول

اللّٰه صلى الله عليه و آله: «فلا تقدّموهما (الكتاب والعتره) فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم».

ولاريب أن مذاهب أهل البيت عليهم السلام فى الفقه منقوله عنهم بالنقل الصحيح المدوّن الثابت من عصر الأئمه عليهم السلام إلى زماننا، وليس فى الأئمه من يختص بهم فى فقهه غير الشيعة الإماميه.

وإن أراد الشيخ من نقل فقه المذاهب نقلاً... نقل مصادرهم فى الفقه فهذا أمر لا يعترف أهل كل مذهب للآخر، ولا يخلو من المجازفه سيما فى المسائل الخلافيه التى ربّما ينتهى القول بصحة مصادر الجميع إلى التناقض والتهافت.

ثم إنّ فى ذلك - أى نقل المصادر - الفقه الشيعى معتمد على الأدلّه الصحيحه من الكتاب والسنة، ينظر فى عمومهما وخصوصهما ومطلقهما ومقيّدتهما ومجملهما ومبينهما، وهم فى معرفه الرواه وتمييز المجاهيل عن المعاريف، والثقات والأثبات عن الضعاف معتمدون على الأصول العقلائيه العرفيه المقبوله، ومصادر فقههم من السنه الشريفه التى جلتها ثبت من طرق أهل البيت عليهم السلام، كانت فى الأعصار المتتاليه ثابتة مدوّنه.

حتى أنّه حكى أنّ الحافظ ابن عقده الشهير، خرج عن أربعة آلاف رجل من تلامذه مدرسه الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

والحاصل: أنّ استناد الشيعة فى مذهبهم وفقههم إلى أهل البيت عليهم السلام من الأمور المعلومه الثابته بالتاريخ والنقل الصحيح بل المتواتر، من يطلب علوم أهل هذه البيت لايجدها عند غير الشيعة، وفى غير الجوامع الشيعيه، مثل

ولم يكن لترك هذه العلوم الكثيره والأخذ بأخبار أمثال سمره بن جندب، وعمران بن حطان، وحريز بن عثمان، وأزهر الحمصي، وخالد بن سلمه الذى ينشد بنى مروان الأشعار التى هجا بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وشبابه بن سوار، وشبث بن ربعي، وعمرو بن سعيد، والمغيره بن شعبه، وغيرهم وغيرهم باعث إلاً سياسه الحُكَّام والأغراض السياسيه التى حملت الناس على سب أخ النبي صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين على عليه السلام على رؤوس المنابر، حتى عدّ ذلك من السنه، وكان منهم من يفتخر علناً تقرباً إلى الولاه ببعض من قال النبي صلى الله عليه وآله: «لا- يحبه إلاً مؤمن ولا يبغضه إلاً منافق»^(١) وآل الأمر إلى ما آل، وصار الحديث فى يد تجاره وسيله للتقرب إلى الحُكَّام وأخذ الجوائز منهم، وترك حديث من عرف بالميل إلى أهل البيت عليهم السلام أو اتُّهم بذلك، وقتل وسجن وعذب فى سبيل ذلك خلائق كثيره، وهدرت دماء الأبرياء، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلاً بالله العلى العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

حرّره فى شهر رمضان المبارك ١٤٠٩ هـ

لطف الله الصافى..

ص: ٩٩

١- رواه الفريقان؛ راجع: الغدير: ج ٣، تاريخ مدينه دمشق: ج ٤٢، وشرح إحقاق الحق: ج ٧، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٣٠، و....

الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين أبى القاسم محمد وآله الطاهرين.

من الأمور الواضحه البينه أنّ الكتاب المُبين الذى: [أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] (١)، والذى نَزَّله الله على عبده محمد صلى الله عليه وآله: [تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ] (٢) و [لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا] (٣) و [لِيَهْدِيَ بِهِ مَنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ] (٤) و [لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...] (٥).

هو هذا الكتاب المشهور المعروف الذى وصل منذ عصر نزوله، ولا يزال فى أيدي المسلمين شيعة وسنه، يعرفونه جميعاً أنه هو كتاب الله المنزل على قلب ا.

ص: ١٠٣

١- هود: الآية ١.

٢- النحل: الآية ٨٩.

٣- الفرقان: الآية ١.

٤- المائدة: الآية ١٦.

٥- إبراهيم: الآية ١.

الرسول الكريم صلى الله عليه و آله الموسوم بالقرآن، والمشمول على مائه وأربعه عشر سورة، يحترمونه أسمى الإحترام ويعظّمونه أعظم التقديس بكله، بسوره وآياته وكلماته وحروفه، لا يستثنون من هذا الإحترام والتعظيم والتقديس كلمه واحده ولا حرفاً واحداً.

ولا ريب أنّ هذا التعظيم والتقديس، الذى أخذه الخلف عن السلف، ينتهى إلى عصر نزوله، عصر بزوغ شمس الرساله الخاتمه المحمديه، وأنهم كانوا يستنكرون ما يشعر الإهانه به عملاً أو لفظاً فى جميع الأدوار والأعصار أشد الإنكار، ويعتبرونه جريمه كبيره كإهانه الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله يكفر فاعلها ويعاقب عليها. لا يلصق بكرامته وعلو قدس فصاحته وبلاغته كلام أحد من البشر، فهو بنفسه وبلاغته يشهد بقدسيته الكامله ويردّ دعوى لحوق غيره به (رد الغيور يد الجانى عن الحرم).

ومن البراهين القائمه التامه القاطعه على عدم وقوع التحريف فيه زياده ونقيصه أنه معجزه الإسلام الخالده، معجزه باقيه تثبت بها رساله سيدنا محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله، بل وسائر رسالات السماء لأنها كلها تثبت بالقرآن الكريم.

والتحدى به لإثباته مستمر إلى زماننا هذا وما بعده، فلكل مسلم أن يتحدى به فى جميع الأزمنه.

ولارىب أنّ وقوع الزيادة أو النقيصه فيه تمنع من ذلك، لأنه حينئذ لا يكون مصوناً من المعارضه والإتيان بمثله، فعجز البشر عن الإتيان بمثله فى مر الزمان، مع هذا الإعلام والإعلان العام الشامل لجميع الأعصار والأدوار، دليل واضح على صيانتته من الزيادة والنقصان.

فها نحن وجميع المسلمين نتحدى به لإثبات رساله الإسلام ونبوه سيدنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ونقول: يا أيها الناس! إن كنتم في ريب من أن القرآن مصون وأنه في حفظ الله من التغيير والتبديل والزياده والنقصان:

[فأتوا بسوره من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجاره أُعدت للكافرين] (١).

هذا مضافاً إلى أن العارف بالتاريخ الإسلامى واهتمام النبى صلى الله وآله بشأن القرآن تبليغاً وحفظاً وكتابه، وكذا اهتمام الصحابه بأخذه وحفظه وتعليمه وتعلمه، وكذا تجزئه بالآيات والسور بأسمائها المعروفة فى عصره، يعرف أن مثل هذا الكتاب مع هذا الإهتمام البليغ بشؤونه لايمكن عادة أن يزداد عليه أو ينقص منه، فإذا كان ديوان شعر شاعر مشهور مصوناً من التصرف فيه والتغيير، والقصائد السبع المعلقه فى نزول القرآن محفوظه عن ذلك، وإن زيد عليها بيت عرفه أهل الأدب والعارفون بفنون البلاغه بل وغيرهم، فكيف يمكن عادة وقوع ذلك فى القرآن الكريم مع كثره الدواعى إلى حفظه لفظاً بكلمه بكلمه؟ ومن الذى لايعرف من أهل اللسان أن ما نقل فى المنقولات الضعيفه أنه سقط من القرآن لايلتصق به فصاحه وبلاغه وأسلوباً ومضموناً وهدايه.

فإن قلت: نعم احتمال الزيادة مردود قطعاً، وأما احتمال النقصه وإن كان بمكان من الضعف لايعتد ولايعتنى به، إلاأنه غير مقطوع به.

قلت: أولاً: إن بقاء التحدى به إلى يوم القيامه وعجز الإنس والجن عن الإتيان ٤.

ص: ١٠٥

١- البقره: الآيه ٢٣ و ٢٤.

بمثله ينفي هذا الإحتمال.

وثانياً: هذا الاحتمال كما ذكرتم لا يعتنى به عند العرف فهو كالعدم، والعلم بالشىء لغه وعرفاً أعم من ذلك ومن عدم احتمال الخلاف.

وثالثاً: هذا الاحتمال منفي بدلاله آيات من القرآن الكريم الذى أثبتنا ضروره عدم وقوع الزياده فيه، مثل قوله تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] (١) ، وقوله عز من قائل: [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ] (٢).

ورابعاً: بالإحاديث المأثوره الثابته عن النبي صلى الله عليه وآله.

وخامساً: بالأحاديث المتواتره المرويّه عن الأئمه المعصومين من عترته عليهم السلام مثل الأحاديث المرويّه فى ثواب قراءه السور، والأخبار الآمره بعرض الأخبار على الكتاب، وكذا الأحاديث المتواتره الآمره بالرجوع إلى الكتاب والتمسك به، والأخبار الداله على استشهاد الأئمه عليهم السلام بالآيات الكريمه، وأحاديث الثقلين المتواتره، وغيرها.

وأما الأخبار الضعيفه التى يستشعر منها النقيصه فضعاف جداً، معلوله بعلة كثيره فى أسنادها وألفاظها ومداليلها يطول الكلام بنا بالإشاره إليها، وكلها لاتقاوم الطائفه الأولى من الأخبار الداله على أنّ القرآن المنزل من الله تعالى هو هذا الكتاب.

هذا مضافاً إلى أنّ هذه الأخبار مردوده مطروحه بمخالفتها للكتاب والإجماع ٢.

ص: ١٠٦

١- الحجر: الآية ٩.

٢- فصلت: الآية ٤٢.

العملى من جميع المسلمين شيعه وسنه القائم على صيانه القرآن من التحريف، ولذا لم يقع ذلك محل خلاف بين الأمة شيعه وسنه، إلّا ما عن بعض الحشويه من أهل السنّه وظاهر بعض الإخباريين من الشيعة الذين لا يعتد بخلافهم، فصار خلافهم متروكاً مهجوراً، وصار القول بعدم التحريف قولاً ظاهراً واضحاً عرفه الخاص والعام من الفريقين وحتى العوام، حتى صار أنّ التفوّه باحتمال خلاف ذلك يعدّ من التفوّه بخلاف الضروره.

فلا يصح عدّ ذلك من الخلافات الواقعه بين الفريقين التى يقال فيها رأى الشيعة كذا، ورأى السنه كذا.

فالقرآن الموجود بين الدفتين هو كتاب دين الفريقين، وهو أصلهم الأول الذى تأتى بعده السنه المشروط صحه الإعتماد عليها بأن لا تكون مخالفه للقرآن، وهذا الأمر يحتج به الجميع فى الأصول والفروع، وفى خلافاتهم ويعتمدون عليه وعلى السنه.

فكل الأمة شيعه وسنّه يتمسكون بجميع محكماته وفى متشابهاته أيضاً يقولون: [آمنّا به كلّ من عند ربّنا] (١).

ومن عجيب ما وقع فى هذه المسأله التى سمعت الإتفاق والإجماع عليها من السنه والشيعة وعدم الخلاف بينهم فيها: أن العصبيات الطائفية، والأغراض السياسيه العامله لتوهين الإسلام، وكتابه العزيز، ولتمزيق المسلمين، وتفريق كلمه الأمة، والقضاء على وحدتهم الإسلاميه، بعثت بعض الكتاب إلى نسبه ٧.

ص: ١٠٧

١- آل عمران: الآية ٧.

القول بالتحريف إلى الشيعة، لوجود أخبار ضعيفه لم يعمل بها أحد منهم، ولم يعتبروها حجه حسب أصولهم المحكمه للأخذ بالحديث والإعتماد عليه والإحتجاج به.

والذى يزيد فى التعجب أنّ هذا الخلاف المحدث من جانب هؤلاء ليس فى دعوى وقوع التحريف من جانب وإنكاره من جانب آخر.

بل فى العمل على إصاق تهمه التحريف بالشيعة بسبب هذه الروايات المشتركة فى مصادر الجميع، ثم العمل على تصوير الشيعة بصورة مشوّهه، مع أنهم طائفه تعتقد عقيدته مؤمنه بالكتاب وصيانته عن التحريف، وتدافع عن كرامته بالأدله القاطعه، والبراهين الساطعه وينكرون التحريف أشد الإنكار بأعمالهم وعباداتهم وكل سيرتهم العمليه، وبأقوالهم وتصريحات علمائهم ورجالاتهم، والجميع يعلم أن تمسكهم بالكتاب واعتقادهم بصيانته أضوء وأنور من الشمس فى رائعه النهار.

وأعجب من ذلك أنّ مثل هذه الروايات من طرق إخواننا السنه، الصحيحه عندهم، كثيره جداً، ولو جاز نسبه القول بالتحريف إلى إحدى الطائفتين دون الأخرى، بسبب نقل مصادرهما لمثل هذه الأحاديث، لكان نسبه إلى غير الشيعة أولى، لأن فى الأخبار المخرّجه فى كتب غيرهم ما يعتبر عندهم من الصحاح دون ما ورد من طرق الشيعة فإنّها ضعاف.

مضافاً إلى أن أكثرها ورد فى تفسير الآيات وبيان مصاديقها وشأن نزولها، ولا إرتباط لها بالتحريف.

ولكن مع ذلك لم تقابل الشيعة غيرهم بالقول بالتحريف لما فى جوامعهم ومسانيدهم من الأخبار الصريحه الداله عليه:

أولاً: لأن غيرهم إلا النزر القليل الذين لا يعتدّ بهم متفقون مع الشيعة على صيانه الكتاب من التحريف.

وثانياً: لأن رميهم بهذا القول يحط من إعتبار القرآن وإصالته، والشيعة لاتسلك طريقاً ينتهى إلى ذلك.

وثالثاً: لأنهم فى المسائل الخلافية يعتمدون على أقوى الحجج والأدله من الكتاب والسنة ولا يحتاجون إلى رمى غيرهم بمثل ذلك.

والذين يتهمون الشيعة بهذا القول لجؤوا إلى ذلك حيث رأوا أنه لا حجه لهم فى المسائل الخلافية على الشيعة، فرموهم بافتراءات هم أبعد عنها من المشرق عن المغرب، ومن جملتها نسبه القول بتحريف الكتب والإعتقاد - والعياذ بالله - بألوهيه الأئمه عليهم السلام، أو أن أمين الوحي جبرائيل خان، لأنه كان مأموراً بالنزول على الإمام ونزل على رسول الله صلى الله عليه وآله والعياذ بالله، وفسّروا به ما قيل فى أبى عبيده الجراح الملقّب بالأمين: خان الأمين وصدها عن حيدر! فسّروا ذلك أنه فى جبرئيل عليه السلام، إلى غير ذلك من الإفتراءات التى سوف يحاكمهم الشيعة عليها عند الله تعالى، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

وأعجب من ذلك أنهم فى الموسم الذى يأتى الناس من كل فج عميق لحج بيت الله الحرام العتيق، والحضور فى أعظم مشاهد عظمه الله تعالى، وأكرم المواقع القدسيه العباديه التى يظهر فيها جلال وحده الأُمة، وعزّه توحيد

كلمتهم، وإعلانهم نفى الطواغيت والمستعبدين المستكبرين بإعلان كلمة التوحيد، كلمة الإسلام وكلمة الحرية، وكلمة المساواة الإنسانية، وكلمة السماء والأرض.

نعم، فى مثل هذا المشهد العظم، والمؤتمر الكبر الذى ينبغى، بل يجب على المسلمين، سيما علمائهم ومصلحيهم وقادتهم أن يجلسوا على بساط واحد، بساط الأخوة الإسلاميه، والإعتصام بحبل الله تعالى، وينظروا فيما أحاط بالمسلمين، وابتلوا به من المشاكل والمصاعب وفى علاجها، فهذه فلسطيننا العزيزة اولى القبلتين أرض النبؤات مازالت مغتصبه فى أيدي الصهاينه، وهذه ... وهذه... مما أنت أيها القارئ العزيز أعلم به، وترى منه ما ترى وتعلم منه ما تعلم.

نعم، فى هذه الظروف الحرجه نرى فى كل سنه منشورات توزع على ضيوف الرحمن تدعو الأمم إلى التباغض والتباعد، منشورات مملوءه بالزور والبهتان من أمثال نسبه القول بتحريف الكتاب إلى شيعه العتره الطاهره، والذين لهم سهم بارز وقدم راسخ فى إعلاء كلمه الله وإعلان الإسلام النظام الوحيد الذى فيه نجاه الإنسان.

وليس وراء هذه التهم غير إشغال المسلمين بما فيها، وصرْفهم عن مواجهه المشاكل السياسيه ووقوفهم فى مواجهه أعداء الإسلام.

ولما فمن لا يعلم أنّ نسبه القول بالتحريف إلى الشيعه هجوم عنيف على الكتاب أكثر من الهجوم على الشيعه؟ من لا يعلم أنه لو كان لناشري هذه الأكاذيب، والذين من ورائهم، والذين ينفقون عليهم، أقل غيره على الإسلام

وعلى كتابه العزيز، لاتخذوا موقفاً غير ذلك، ودافعوا عن الكتاب، وردّوا تهمة التحريف عن الشيعة، ولسلكوا مسلك أعلام الأمة ومصليحيهم من السنة والشيعة، ونشروا مقالات الشيعة العلميّة في صيانه الكتاب وتصريحات أعلامهم، ولم يفتحوا لأعداء الإسلام والقرآن باب الغمز بكتاب الله تعالى والإشكال عليه، فمنّ المستفيد يا ترى من إصاق تهمة تحريف القرآن بطائفه كبيره من المسلمين، فيها من أعظم علماء الإسلام وأئمة العلم والأدب وأعلام الفكر والورع؟!

وهل يحسب ذلك إلتاعماً لمصلحه الإستعمار؟ وهل يكون هدف القائم بنشر هذه الكتيبات في عصرنا هذا، الذى قام فيه المسلمون بحمد الله تعالى سيما شبابهم لإعاده مجدهم وعزّهم الذى ذهب، إلتأا إيجاد المجادلات والمخاصمات وقلب الحقائق؟! فالواجب على كل مسلم غيور على دينه وقرآنه الكريم الوقوف في وجه هذه الحركات الشيطانية، وتنزيه المسلمين شيعة وسنه عن هذا الرأى.

كما أنّ الواجب على المسلم أيضاً أن يعرف الذين هم من وراء هذه الأقلام المأجوره وما قصدوا به من الحط من عظمه القرآن وإسناده الثابت اليقيني إلى الوحي النازل على الرسول الأمين صلى الله عليه وآله.

ومن شاء أن يعرف الشيعة وإجلالهم وتعظيمهم القرآن الكريم فليتنجّل في بلادهم في ايران ولبنان والعراق والبحرين والقطيف والإحساء وغيرها، وفي مكباتهم ومساجدهم، حتى يرى رأى العين في جميع مجتمعات الشيعة، في شرق الأرض وغربها، كمال اهتمامهم بشؤون القرآن وتعظيمهم له، وإنه ليس لهم

ولا عندهم كتاب غير ما هو عند جميع المسلمين، فلا تجد منهم بيتاً ليس فيه القرآن، بل لا تجد منهم أحداً إلا ويتقرب إلى الله بتلاوته، فهم يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وفي إذاعاتهم وفي مجالسهم للذكر والوعظ والإرشاد والدعاء وجميع المناسبات، ليس عندهم ما يقدسونه ويعظمونه مثل تعظيمهم القرآن الكريم حتى بمقدار آية أو جملة أو كلمة منه، حتى لو كان ذلك كلام الرسول صلى الله عليه وآله أو الأئمة الطاهرين من عترته الطاهرة عليهم السلام.

ولكن المصيبة كل المصيبة أن البعض يكذبون أسماعهم وأعينهم التي تكذب افتراءاتهم ويصرون على عدائهم لشيعة أهل البيت عليهم السلام وتفريق كلمة المسلمين، ويشوهون بافتراءاتهم كرامه كتاب الله، ويجعلونه غرضاً لتشكيك الأعداء.

قال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] (١).

وقال عز شأنه: [إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] (٢).

وقال: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَعْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا] (٣).

وقال: [وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا] (٤). ٣.

ص: ١١٢

١- الأحزاب: الآية ٧٠.

٢- فصلت: الآية ٤٠.

٣- الحجرات: الآية ١٢.

٤- آل عمران: الآية ١٠٣.

[ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاّ للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم] (١) حرّره إجابَه
لالتماس بعض الفضلاء الأعزّه

لطف الله الصافي .٠

ص: ١١٣

١- الحشر: الآية ١٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه على خير خلقه وسيد أنبيائه أبي القاسم محمد وآله الطاهرين، واللعن على أعدائهم أجمعين.

وبعد... فهذه رساله وجيزه حول بعض الفروع المتعلقة بأوقات الصلوات لا سيّما وقت صلاه الغداه، وابتداء الزمان الذي يجب فيه على الصائم ترك الأكل والشرب وسائر المفطرات كتبتها في (لندن) عاصمه انكلترا، وقد وقع الاختلاف موضوعاً وحكماً في وقت صلاه الغداه فيها، وما جاورها من البلدان، وفي أول زمان يجب على الصائم الإمساك عن المفطرات.

وقد عرضت المسأله جمع من المؤمنين على حضره فقيه عصره ومرجع الطائفه المحقّه السيد الكپايگانی (قدّس سرّه).

وإليك نصّ الاستفتاء بطوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على محمد وآله الطاهرين

وبعد، فان في بعض النقاط من الكره الأرضيه وبالتحديد في شمالها ينعدم

ص: ۱۱۷

الفجر المتعارف في البلاد الإسلاميه حيث ان الكره الأرضيه مائله المحور فهذه البلدان لا يغيب عنها نور الشمس تماماً بل يصلها عبر القطب الشمالي (حيث لا حاجز بينها وبين البلده) ويتم هذا في أواخر الربيع وأوائل الصيف (حيث النهار الأطول) فعندما تغرب الشمس يبقى تمام الليل ذا نور كنور الفجر الذى هو متعارف في البلدان الإسلاميه (مثلاً) حيث أنّ الشمس لم تغب بالمقدار الذى تغيبه في البلدان الأخرى أو الأيام الأخرى.

ولكن هناك حاله ثانيه وهى التى يبتدئ بازياد النور بعد ثباتها. وللمثال على هذا: فإنّ الفجر في مدينه «لندن» ينعدم في خلال شهرين تقريباً من ٢٣ آيار الى ٢٠ تموز؛ وفي هذه الأيام المذكوره نرى حاله الليل فيها حاله الفجر، حيث لم يكن هناك ظلام مطبق لأن الشمس لم تغب عنها تماماً كما في سائر البلدان أو سائر الأيام فيها، بل إنّ نور الفجر في هذه الليالى متواصل فلم يكن أن يتحقّق الفجر، ولكن هناك في وقت مبكّر من الصباح يبتدئ هذا النور بالازدياد والانتشار، فلو اعتبرناها فجرًا لهذا البلد لكان الفارق بين اليوم الذى يتحقّق فيه الفجر بلندن مثلاً كسائر البلدان يكون الفجر في الساعه (١:٢٢) وطلوع الشمس في الساعه (٤:٥٨) (١) وفي يوم ٢٣ آيار الذى لم يتحقق فيه الفجر كسائر البلدان أو الأيام يكون ابتداء إزدياد النور فيه في الساعه (٣:١٢) وطلوع الشمس في الساعه (٤:٥٧).ى.

ص: ١١٨

١- بتوقيت مدينه لندن الصيفى.

هناك ملاحظات لا بدّ من ذكرها:

١ - إنّ الفجر الحقيقي يتحقّق بنزول الشمس عن خط الأُفق ب (١٨) درجة في سائر البلدان، ولكن في لندن مثلاً في بعض الأيام من (٢٣ آيار الى ٢٠ تموز) فقط لا يتحقّق نزول الشمس عن خط الأُفق (١٨) درجة بل غايه نزوله (١٢) درجة فقط، فيبقى نور الشمس مبناً - كما في الفجر في الأيام العاديه - في تمام الليل.

٢ - إنّ المتعارف عند المسلمين في لندن مثلاً هو الاعتماد في تمام السنه على (١٢) درجة حتى في الأيام التي يتحقّق فيها الفجر الحقيقي والتي هي عشره أشهر تقريباً خلافاً للبلدان التي يتحقّق فيها الفجر في تمام السنه فإنهم يعتمدون على (١٨) درجة.

٣ - إنّ الشهرين المذكورين اللذين لم يتحقّق فيهما الفجر مختص بمدينة لندن وما جاورها، وأما البلدان التي في أقصى الشمال فالمده التي لا يتحقّق فيها الفجر أكثر.

٤ - إنّ عدم تحقّق الفجر غير مختص بشمال الكره الأرضيه بل إن هذه الحاله موجوده في جنوبها أيضاً، فالبلدان التي لم يتحقّق فيها الفجر في بعض الأيام كثيره، فالسؤال الآن بالنسبه إلى هذه البلدان يتوجّه على النحو التالي:

١ - هل الاعتماد في تمام السنه على الحاله التي يبتدئ بانتشار النور (درجه ١٢) ولو تحقّق الفجر في بقيه أيام السنه وعلى هذا نقطع بأن أكثر أيام السنه (يعنى ما يقارب عشره أشهر في لندن مثلاً) لم يكن الاعتماد على الفجر الحقيقي

٢ - أو أن الاعتماد في تمام السنه الحقيقي (١٨ درجه) وفي الأيام التي لم يتحقق فيها الفجر يتماشى فيه على الفجر التقديرى حيث يتجدد الفجر بتقدم الفجر وتأخره التدريجى كما في سائر الأيام، وفي هذه الحاله يلزم في أكثر البلدان أو في أكثر الأيام تقدم وقت الفجر التقديرى على الغروب الحقيقى، وهذا غير صحيح قطعاً.

٣ - أو إن الاعتماد على ما له فجر حقيقى، كما في الأشهر العشر مثلاً بلندن على الفجر الحقيقى (١٨ درجه) وعلى ما ليس له فجر حقيقى (كما في الشهرين مثلاً بلندن) على الوقت الذى يتبدئ النور بالازدياد والانتشار (١٢ درجه) ولكن سبق وقلنا: إن الفارق بين اليوم الذى يتحقق فيه الفجر (١٨ درجه) واليوم الذى لم يتحقق فيه الفجر (١٢ درجه) كثير جداً.

ففى يوم ٢٢ آيار بلندن مثلاً الفجر الحقيقى يكون الساعه (١:٢٢) وفي ٢٣ آيار الذى لم يتحقق فيه الفجر يكون الساعه (٣:١٢) على اعتبار انتشار النور وازدياده (١٢ درجه) فالفارق بين القولين (١:٥٠) أى مائه وعشره دقائق (١١٠) وهذا غير مألوف.

٤ - أو إن الاعتماد على ماله فجر حقيقى كما في الأشهر العشر بلندن مثلاً على الفجر الحقيقى (١٨ درجه) وعلى ما ليس له فجر حقيقى (كما في الشهرين بلندن مثلاً) على أقرب بلد يتحقق له فجر حقيقى والذى هو نصف ما بين مجموع غروب الشمس وشروقها بمعنى: أن الفجر في هذين الشهرين مثلاً يبقى ثابتاً تقريباً.

٥ - أو إن اللجوء إلى الاحتياط فيمسك عن المفطر على (١٨ درجة) ويصلى على (١٢ درجة) وهذا موجب للعسر والحرَج في أكثر البلدان إن لم تصل إلى كلها؟

٦ - أو أن هناك حل آخر؟

ولأبأس بإبداء رأيكم إنَّ الفجر والغروب هل هما موضوعان أو طريقيان؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

جمع من المؤمنين - لندن.

١٠ رمضان ١٤٠٦ هـ

هذا تمام الاستفتاء بألفاظه والجواب عن الأسئلة التي وردت فيه يظهر من بيان أمور:

الأمر الأول

هل الفجر والصبح والدلوك والغسق وغيرها مما له مسمى حقيقى فى الخارج أخذت فى لسان الأدله الشرعيه على نحو الموضوعيه، فأحكامها مختصه بمسمياتها، وتدور مدار تحققها كسائر الموضوعات التى لها أحكام خاصه، أو أخذت على نحو الطريقه مثلاً: يكون الفجر طريقاً الى أمرٍ آخر هو فى الحقيقه موضوع الحكم كماوجهه معينه معلومه بين الشمس والأرض، مثل: نزول

ص: ١٢١

الشمس عن خط الأفق ب (١٨ درجة) أو مضى مداه معلومه من غروب الشمس، أو أول مداه معينه تطلع عند انتهائها الشمس عرض السنه بحساب معين، وعليه:

لو فرض في بعض البلاد أو الأزمنه عدم تحقق الفجر - سواء كان مفهومه الضوء، الحادث المنتشر بعد انعدام نور الشمس أو أعم منه ومن اشتداد الضوء كما يجيء في الأمر الآتي - المعيار تحقق ما هو الفجر طريق اليه، فلو علم ذلك من الطرق الفنيه وغيرها يبني عليه وهو المعتمد شرعاً؟

ظاهر الآيات الكريمه والأحاديث الشريفه هو الموضوعيه كقوله تعالى:

[وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً] (١) وقوله سبحانه وتعالى: [من قبل صلاه الفجر] (٢) وقوله عز من قائل: [سلام هي حتى مطلع الفجر] (٣) وأظهر منها في الأحاديث الشريفه كقوله عليه السلام: «إذا طلع الفجر فقد دخل وقت الغدا» (٤) ، وقوله عليه السلام: «وقت صلاه الغدا ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس» (٥).

فإن قلت: إن لازم أخذ الفجر أو طلوع الشمس مثلاً- على نحو الموضوعيه تأخير البيان عن وقت الحاجه، وسكوت الشارع عن بيان ما هو التكليف الواقعي لطائفه من المكلفين، أو القول بعدم كونهم مكلفين بمثل الصلاه، وهو خلاف الإجماع والضروره. ٨.

ص: ١٢٢

١- الإسراء: الآيه ٧٨.

٢- النور: الآيه ٥٨.

٣- القدر: الآيه ٥.

٤- الكافي: ج ٣ ص ٤٤٨.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٣٨.

لا يقال: إن ذلك إنما يتم إذا لم تكن الأحكام الظاهره مجعوله من قبل الشارع، ولم يتمكن المكلف من الإحتياط ومعها يرجع الشاك في الحكم الواقعي إليها، وان لم يجد في الأحكام الظاهرية ما يرجع إليه في ظاهر الحال، ويرفع شكه، بالعمل بالإحتياط لامحاله.

لأنه يقال: إن الموضوع في الحكم الظاهري هو الشك في الحكم الواقعي، والإحتياط إنما يستحسن ويرغب فيه إذا احتمل المكلف اشتغال ذمته بأمر، وفيما نحن فيه لازم القول بالموضوعية عدم كليه الضابطه التي أعطاه الشارع وعدم شمولها لسائر الأماكن والأزمته التي لا يتحقق الفجر فيها مثلاً فمع العلم بخروج أهالي هذه البلاد عن تحت ما صدر من الشارع في بيان أحكامه (كما هو الفرض) لا يبقى موضوع للحكم الظاهري، والإحتياط أيضاً في مثل هذا الفرض أى صوره عدم احتمال التكليف بلا موضوع، لاحسن له.

قلت: أولاً: من أين علم أن الشارع لم يبين ما هو وظيفه المكلف في هذه المناطق والأزمته؟ فلعله بيّن وخفى علينا لعدم ابتلاء المشافهين به، والبيان الذي يحتج به وإن كان هو البيان الواصل الى المكلف، ومع عدمه يكون معذوراً في المخالفه، ولا يجب عليه الإحتياط إلا أن حسنه محفوظ، فلا يقال: إن الإحتياط بلا موضوع بالمره.

وثانياً: لا يخفى عليك الفرق بين الحكم الواقعي الأصلي المتصل وبين التكليف والحكم التبعي الذي يبين ويحدّد موضوع الحكم الكلي ويبين أجزائه وشرائطه ومصاديقه وأفراده بحسب حالات المكلف.

ففي الأول: وهو الحكم الواقعي الأصلي إذا علم بعدم صدور بيان من الشارع

لامحل للشك فيه للعلم بعدم التكليف فضلاً عن الحكم الظاهري الذي هو موضوعه الشك في الحكم الواقعي. نعم لو شك فيه لإحتمال صدور البيان وعدم الظفر به، فالمرجع فيه البراءة، ويجوز فيه الاحتياط.

وأما في الثاني: فالحكم الذي يدل الدليل على أجزاء ما هو موضوع له، وشرائطه إما أن يكون معلوم التعلق بجميع المكلفين مطلقاً وإن كان الشرط الذي دل على شرطيته الدليل متعذراً، أو كان تعلقه به في صورته تعذراً شرطه مشكوكاً فيه، فإن كان مشكوكاً فيه فظاهر دليل الشرطية والجزئية انتفاء التكليف بالمشروط بتعذر الشرط أو الجزء.

وأما إن كان الحكم معلوم التعلق بالمكلف في جميع حالاته، فالدليل الدال على الشرائط وأجزاء موضوع الحكم الكلي الثابت على جميع المكلفين مثل:

الصلاة إذا كان قاصراً عن شموله للجميع، فالواجب علينا الاحتياط إن أمكن وقلنا بوجوبه وعدم جواز اجراء البراءة في الشرائط والأجزاء، وإلا فيجوز الاكتفاء بما بقي من الأجزاء والشرائط.

وإن شئت قلت: إن في تحديد موضوع الحكم الكلي وتعيين شرائطه وأجزائه لا يجب على الشارع بيان تكليف المكلف في الحالات النادرة، أو تكليف النادر من المكلفين، بل وغير النادرين بعد إمكان إتيان المكلف بالتكليف الكلي بالعمل بالاحتياط، أو العمل بالأصول العملية لو كان مورد ابتلائه مجرى تلك الأصول كما فيما نحن فيه، فإنه في جانب الصلاة يأتي بها بعد العلم بدخول الصبح وفي جانب الصوم يأخذ باستصحاب جواز الأكل والشرب (استصحاب الحكم).

وأما استصحاب الموضوع أي الليل، فقد يقال بعدم جريانه لتردد مفهومه بين

الفرد المحقق عدم بقائه وبين الفرد المتيقن بقائه.

وفيه: إنَّ الزمان مثل الليل إن كان موضوعاً للقطعه الخاصه منه المحدوده بين الحدّين، وتردّد مفهومه بين قطعه خاصه محدوده بالحدّين الكذائيين ما، وما هو محدود بالحدّين الآخرين اللذين يكون بهما أطول من الأولى، وبعبارة أخرى:

يكون بالحدّين الأولين مقطوع التحقيق وبالحدّين الآخرين غير المحقق، فلاريب في عدم جريان الاستصحاب فيه لافرداً ولا كلياً، لأنه إن كان الأول فقد تحقّق بعد وصول الى حدّه الثانی، ومضى وتصرم بعده، فلاشك في تحقّقه في الزمان السابق وعدم تحقّقه في الزمان اللاحق، وإن كان الثانی فلاشك في عدم تحقّقه قبل تحقّق حدّه الثانی، وهذا نظير الحركه القطعيه التي لا تتحقق بالنسبه إليها اجتماع اليقين والشك.

وأما إن كان موضوعاً لما يتحقّق بين الحدّين (لا لما يتحقّق بالحدّين) كالحركه التوسطيه، فاجتماع اليقين والشك فيه يتحقّق بالوجدان سواء كان الشك فيه من جهه وصول الفرد المتحقّق الى منتهاه، أو من جهه أن الفرد المتحقّق هو الذي ينتهى وجوده ويزول بعد ساعه أو ما يزول ويرتفع بعد ساعتين، وسواء كان ذلك من جهه تردد مفهومه بين ما يزول بعد ساعه وما يرتفع بعد ساعتين، ففي الجميع يجتمع اليقين والشك ويجرى الاستصحاب فيه.

نعم لايجرى استصحاب الفرد إلأفى الصوره الأولى، وهى التى شك في بقاء الفرد المتحقّق من جهه الشك في وصوله الى منتهاه المعلوم، وأما الكلى فيجرى في هذه الصوره وسائر الصور، وعلى هذا لا- إشكال في استصحاب بقاء الليل على نحو الكلى، وترتيب آثاره وأحكامه عليه مثل جواز الأكل وغيره مما

لا يكون من أحكام فرد خاص من الليل.

فإن قلت: سلّمنا ظهور العناوين المذكوره الداله على الظواهر المسميه بها فى الأدله على الموضوعيه إلّا أنّ العرف بعدما يرى من الربط بين هذه الظواهر وأوضاع فلكيه أُخرى، وإنّ الأولى لاتحدث بدون الثانيه.

ويرى أنّ بعض المقصود من جعل هذه العناوين دخيلاً فى الحكم توزيعه على الأوقات واشتغال المكلف بالعباده فى فصل زمانى خاص، يرى بمناسبه الحكم والموضوع عدم الفرق بين أزمنه حدوث هذا الوضع الفلكى الخاص، فلا يرى فرقاً بين كون حدوثه سبباً عرفياً لظاهرة خاصه مثل الفجر وكانت هذه معه، أو لم تكن معه.

ويرى أنّ الأخذ بالظاهرة فى لسان الدليل كان لأجل عدم إمكان دلالة العرف إلى هذا الوضع الفلكى فى المتعارف والأغلب إلّابيه، فلذلك يلحق العرف بالفجر مثلاً- الزمان الذى يتحقق فيه الوضع الفلكى الفجرى وإن لم يتحقق الفجر معه، لأنّ المناط بتنقيحه أعم مما يتحقق معه الفجر ومما لا يتحقق، وهذا قول بالموضوعيه لكن لا بدلاله المنطوق، بل بدلاله المفهوم وتنقيح ما هو مناط الحكم.

قلت: فى الموارد التى يكون الوضع الفلكى الخاص مسيره موافقاً على حسب المتعارف مع مسيره فى الأزمنه التى تكون معه الظاهره المجمعوله فى لسان الدليل موضوعاً للحكم كالفجر مثلاً، فلا يتفاوت مثلاً مده ما بين الطلوعين فى الأيام التى لا يتحقق فيها الفجر مع الأيام التى يتحقق فيها تفاوتاً فاحشاً بحيث لا يرى العرف فرقاً بين الحالتين إلّا أنّه فى حاله يؤثر هذا الوضع فى حدوث الظاهره الخاصه، وفى حاله بواسطه فقد شرط أو عروض مانع لا يؤثر، يمكن

دعوى تنقيح المناط والقطع به خصوصاً إذا كان المدعى من العارفين بالهيئة والأوضاع الفلكية إلا أن الموارد مختلفه جداً، ودعوى القطع بتنقيح المناط فى بعضها يجب أن يكون مقبولاً عند العرف لا يعدّ من الاجتهاد فى مقابل النص هذا فى الموارد المذكوره، وأما فى الموارد التى يتفاوت آثار وجود هذه الظاهره مع غيرها فالقول بتنقيح المناط باطل قطعاً.

ثم إنه لا يخفى عليك أنه لا مجال للبحث عن موضوعيه الفجر أو طريقيته عند القائل بموضوعيه التبين فى قوله تعالى: [حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر] (١). إما إذا كان ما يعدّ الفجر طريقاً اليه قابلاً للتبين مثل الفجر حتى يقول بقيام تبينه مقام تبين الفجر، وأما إذا لم يكن ذلك الأمر قابلاً للتبين فلامجال للبحث عن طريقه الفجر أو موضوعيته مع القول بموضوعيه التبين، وهذا واضح جداً. ٧.

ص: ١٢٧

١- البقره: الآيه ١٨٧.

الأمر الثاني: في مفهوم لفظ (الفجر) لفظه واصطلاحاً

قال الراغب في «مفرداته»: الفجر شق الشيء شقاً واسعاً (إلى أن قال:) ومنه قيل للصبح: فَجْرٌ لكونه فَجَرَ الليل قال: [والمفجر وليال عشر] (١) [إن قرآن الفجر كان مشهوداً] (٢) وقيل: الفجر فجران الكاذب وهو كذنب السرحان والصادق وبه يتعلّق حكم الصوم والصلاه.

وفي «لسان العرب» (٣): الفجر: ضوء الصباح وهو حمرة الشمس في سواد الليل، وهما فجران؛ أحدهما المستطيل وهو الكاذب الذي يسمى ذنب السرحان؛ والآخر المستطير وهو الصادق المنتشر في الأفق الذي يحرم الأكل والشرب على الصائم، ولا يكون الصبح إلّا الصادق. قال الجوهري: الفجر آخر

ص: ١٢٨

١- الفجر: الآية ١.

٢- الإسراء: الآية ٧٨.

٣- لسان العرب: ج ١١، ص ١٣٠، باب حرف الفاء.

أقول: يمكن أن يقال: إنّ الفجر موضوع للضوء الحادث المنتشر في الأفق ويفجر ظلمه الليل التي حصلت بسبب غروب الشمس، وتكملت ووصلت الى نهايتها بسبب بعد الشمس عن الأفق، سواء وصلت الظلمه إلى نهايتها بإنعدام نور الشمس عن الأفق بالمره بسبب غيوبتها كما هي الحال في البلاد المتعارفه، أو لم تصل وبقى تمام الليل بواسطه عدم غيوبه الشمس بتمام ضوئها عن الأرض ذا نور كنور الفجر، ففي كلتي صورتين النور يطلع ويفجر الظلمه الحادثه بسبب غروب الشمس، وإن كانت ظلمه الليل في الصورة الثانيه ضعيفه، إلما أنه لا شك في وجودها كظلمته في أول الليل التي هي توجد بغروب الشمس عن الأفق، والضوء الحادث على الأفق يفجر هذه الظلمه وإلا لم يكن مرثياً.

وبعباره أخرى نقول: إنّ الفجر عباره عن حاله نوريه تحدث بشروق الشمس وتفجر ظلمه الليل وتشققها شقاً وتزداد إلى أن تطلع الشمس؛ سواء كان الليل ظلمته مطبقه أو غير مطبقه، وسواء انعدم نور الشمس فيها أو لم ينعدم، وبقى تمام الليل ذا نور كنور الفجر، فكل هذه الحالات التي تحدث بشروق الشمس من أفراد الفجر، وكما في لسان العرب، ضوء الصباح.

فإن قلت: هذا مقبول لو كان اشتداد الضوء في الليالي التي لاينعدم نور الشمس فيها موافقاً لطلوع الفجر في غيرها بحساب التقاويم، أو لا يختلف عن سائر الأيام اختلافاً فاحشاً، وأما مع الاختلاف الفاحش كما إذا كان طلوع الفجر المتعارف على ما ذكر في الاستفتاء في (لندن) في يوم ٢٢ آيار في ساعه (١:٢٢) وفي يوم ٢٣ آيار الذي لايتحقق فيه الفجر المتعارف، بل يشتد الضوء

الموجود ويزداد، يكون الفجر أى أول زمان شروع النور فى الشده والإزدياد فى ساعه (٣:١٢) فيكون الفارق بين يومين متوالين مائه وعشره دقائق (١:٥٠) وهو وضع غير مألوف.

قلت: لاعتناء بهذا الإختلاف والتفاوت بعد تحقّق الفجر وشق ظلمه الليل وطلوع ضوء الصباح تاره بالكيفيه المألوفه وتاره بكيفيه غير مألوفه.

هذا مضافاً إلى أنّ فى إنكار صدق اسم الفجر على شروع النور بالإزدياد الذى لايمكن تحقّقه إلّا بشروق الشمس على الأفق، وتحقّق الوضع الفجرى، لافائده عمليه فيه، فإنه كما يظهر من عمل مسلمى (لندن)، على ما فى هذا الاستفتاء، واعتمادهم على (١٢ درجه) فى تمام السنه، لاختلاف بين عرفهم فى دخول الصبح ووجوب الإمساك عن المفطرات عند اشتداد الضوء.

فلاينبغى الإختلاف فى أن هذا هو الفجر الحقيقى والإعتماد عليه، والحكم بجواز ارتكاب المفطر قبل حدوثه لعدم تحقّق الفجر واقعاً، أو إنّ هذا الانتشار والاشتداد بعد مضى (١:٥٠) من زمان الفجر المتعارف فى اليوم السابق عليه، وإن كان دليلاً على اليوم ويجب الإمساك عنده إلّا أنه لايدل على تحقّق الفجر به فلعله تحقّق قبل ذلك وإنما منع من ظهوره ورؤيته النور الباقى من أول الليل، كما يمنع منه نور القمر فى الليالى المقمره، ولكن مع ذلك يحكم بعدم جواز الأكل والشرب قبل ذلك بحكم الاستصحاب، فلافائده عمليه فى ذلك، فإنه كيف كان يجوز الأكل والشرب قبل ذلك كما يجب تركهما بعده.

نعم، لو ادعى أحد بمناسبه الفارق الزمانى المذكور سبق طلوع الفجر على زمان اشتداد الضوء وانتشاره، وادعى تحقّقه فى زمان معين قبل ذلك، فعليه

العمل على طبق قطعه، فلا يجوز له الأكل والشرب من هذا الزمان.

هذا تمام الكلام فى هذا الأمر والله هو الموقّق للصواب.

ص: ١٣١

هل الحكم المستفاد من قوله تعالى: [وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود] (١) حكم واقعى أم حكم ظاهرى مجعول للشاك فى بقاء الليل وجواز الأكل والشرب؟ وهل التبين المذكور فى الآيه الكريمة اخذ على نحو الطريقيه أو الموضوعيه؟

والجواب: إنه يجوز أن يكون حكم جواز الأكل والشرب المستفاد من الآيه الشريفه حكماً واقعياً تكون غايته التبين المذكور فيها، وهى تتحقق بتحقق الخيط الأبيض المتبين من الخيط الأسود للناس من ذوى الأبصار المتعارفه كسائر المبصرات إذا لم يكن عن تبينه مانع كغلبه نور القمر فى الليالى المقمره، وعليه: يكون الحسّ والرؤيه الطريق للإحراز هذا الأمر المتبين بنفسه كسائر

ص: ١٣٢

١- قال فى مجمع البيان: والخيط الأبيض بياض الفجر، والخيط الأسود سواد الليل، وأول النهار طلوع الفجر الثانى لأنه أوسع ضياءً. وقال ابن الأثير فى النهايه: وفى حديث عدى: (الخيط الأبيض من الخيط الأسود) يريد به بياض النهار وسواد الليل.

الموضوعات المحسوسة والمبصرة من غير احتياج إلى جعل من الشارع، وعلى هذا الاستظهار يكون ما هو الموضوع لتحقق الغايه
أمراً واحداً، وهو الخيط الأبيض المتبين بنفسه من الخيط الأسود، لأمرين يكون أحدهما الخيط الأبيض والآخر تبين ذلك.

وعليه: حيث يكون التبين لازماً لوجود الموضوع لا ينفك عنه ليس هو من الموضوع بشيء، أى لم يؤخذ فيه وليس هو طريقاً
إليه، فيكفى حصول العلم بذلك الأمر المتبين بنفسه، ويقوم مقام رؤيته فى الليالى المقمره التى لا يدرك ذلك بالبصر لمنع
المانع. ويجوز أن يكون الحكم المذكور واقعياً غايته التبين المذكور على أن يكون التبين جزء للغايه المركبه منه ومن الخيط
الأبيض.

وعليه: أيضاً الحكم بجواز الأكل فى الليالى الغير المقمره يكون حكماً واقعياً لامحاله، وأما الليالى المقمره فلا تشملها الغايه
المذكوره إذا شك فى بقاء الليل، نعم يجوز الأكل والشرب إلى العلم بدخول اليوم بالاستصحاب.

هذا، وهل - على البناء على استظهار الحكم الواقعى من الآيه - الأظهر هو الوجه الأول أو الثانى؟

يمكن أن يقال: إنَّ الوجه الثانى وهو كون التبين جزءً للموضوع خلاف الظاهر، أو كون الأول أظهر منه.

أولاً: لأنه خلاف مفهوم الفجر بحسب العرف فإنه أعم من تبين الخيط الأبيض حسياً أو تقديراً.

وثانياً: لاستلزامه عدم شمول الضابطه المستفاده من الآيه لليالى المقمره مع

ظهور الابتلاء بها ولزوم بيان حكمها، فلذلك يستضعف استظهار الوجه الثاني من الآيه الكريمة ويرجح الوجه الأول.

هذا كله مبني على استظهار كون الحكم المذكور حكماً واقعياً.

ولكن التحقيق أنه كما يجوز ذلك يجوز أن يكون الحكم المذكور حكماً ظاهرياً مجعولاً للشاك في الفجر وبقاء الليل حكماً أو موضوعاً كالأستصحاب، فالشاك في بقاء الليل يبني على بقاءه الى أن يتبين له الفجر.

ويمكن عدّ الآيه من أدله حجيه الاستصحاب في غير هذا المورد أيضاً بادعاء دلالة الآيه الكريمة على إرجاع العرف الى ما هو المركز في أذهانهم، واستقر عليه عملهم من إبقاء ما كان على ما كان، والأخذ بحاله السابقه عند الشك في بقائها، وأنها لاتنقض إلباليقين، وسواء استظهرنا ذلك منها أو لم نستظهره.

القول بظهور الآيه في كون حكم جواز الأكل ظاهرياً قوى جداً، ولازمه الالتزام بطريقه التبين الحسي وقيام القطع وكل طريق شرعي معتبر مقامه، وأما القول بموضوعيته فرده الظهور المذكور وصحته منوط بكون الحكم المستفاد من الآيه الحكم الواقعي، ومع ظهور الآيه في طريقه التبين وكون الحكم حكماً ظاهرياً مجعولاً للشاك لاوجه للذهاب إليه.

ولو تنزلنا عن ذلك وقلنا بظهور قوله تعالى: [كلوا واشربوا... (١)] في الحكم الواقعي فالقول بموضوعيه التبين عليه أيضاً خلاف الظاهر كما أشرنا إليه، فالظاهر على هذا البناء هو الوجه الأول وهو كون الغايه تحقّق الخيط الأبيض ٧.

ص: ١٣٤

١- البقره: الآيه ١٨٧.

المتبين للناس؛ سواء أحرز ذلك بالحسّ والبصر أو بالعلم أو بطريقٍ معتبرٍ آخر، فتأمل جيداً.

هذا ولو شككنا في طريقه التبين وموضوعيته فالمرجع في الصوم هو الإستصحاب، وفي الصلاة الإحتياط بتأخير أدائها إلى زمان العلم بانقضاء الليل ودخول الصبح.

ولا يقال: إنّ مقتضى الأخذ بالظاهر هو الموضوعية.

فإنّه يقال: الأمر كذلك في مثل قولنا: صلّ حتى الفجر، أو قوله تعالى: [أقم الصلاة لدلوك الشمس].

وأما إذا قال: أقم الصلاة حتى يتبين لك الفجر، أو دلوك الشمس، فالظاهر هو الطريقيه، وفرض الشك في الطريقيه أو الموضوعية تنزّل عن هذا الظهور.

ثم لا يخفى عليك أنه على القول بموضوعية التبين والقول بأنّ مفهوم الفجر أعم من الفجر المتعارف ومما هو مثل شروع النور في الإزدياد والشده بشروق الشمس على الأفق كما لا بد من التبين الحسي في الفجر المتعارف لا بد من تبيّضه بشروع النور في الاشتداد.

هذا، وقد تم بيان ما أردنا من الأمور فنذكر الجواب عن المسائل المطروحة في الإستفتاء والمربوطه بها في ضمن فروع:

الأول: الأظهر بل الظاهر أنّ العناوين المأخوذه في لسان الأدله، مثل الفجر والمغرب وغيرهما اخذت على نحو الموضوعية، فلا يتعدى عنها إلى غيرها إلّا بمفهوم الموافقه من المساواه أو الأولويه، أو تنقيح المناط كما مر في الأمر الأول.

الثانى: إن مفهوم الفجر وهو شق ظلمه الليل - سواء كانت مطبقة أم غير مطبقة - أعَم من الفجر المتعارف الذى يحدث فى الأفق بعد الفجر الكاذب، واشتداد النور وشروعه فى الإزدياد فى البلاد أو الليالى التى لاينعدم نور الشمس فى الليل ويبقى فى كمال ظلمته كالفجر.

وعليه: ففى مثل مدينة لندن التى فى أشهرها العشر - على ما فى هذا الاستفتاء - ينعدم نور الشمس، ويتحقق الفجر كسائر البلاد، الاعتماد على الفجر المتعارف، وفى الشهرين اللذين لاينعدم نور الشمس فى الليل الاعتماد على شروع النور فى الإزدياد والإشتداد، وهو فجر هذين الشهرين لأنّ النور الزائد يفجر الظلمه المختلطة بالنور ويذهب بها شيئاً فشيئاً إلى أن لايبقى منها شىء كما هو الحال فى الفجر المتعارف.

الثالث: الاعتماد على اشتداد الضوء فى الفرض المذكور فى الاستفتاء فى الشهرين اللذين لاينعدم نور الشمس فى الليل معتبر شرعاً؛ إمّا لأجل صدق الفجر على حاله اشتداد النور كما ذكرناه فى الفرع الثانى، وإمّا لأجل القطع بتحقيق النهار عنده، فلايجوز بعد ذلك تناول المفطر.

نعم، بالنسبه إلى قبله وإن كان يجوز تناول المفطر ولايجزى الإتيان بصلاه الصبح إلّا أنّ جواز المفطر وعدم أجزاء الصلاه على الأول للعلم ببقاء الليل، وعلى الثانى للعمل بالاستصحاب والتعبّد على بقاء الموضوع أو الحكم.

الرابع: لايجوز ترك الاعتماد بالفجر المتعارف المحقق فى عشره أشهر السنه والإعتماد فى كل السنه على الفجر الذى يتحقق باشتداد الضوء فى الشهرين، بل يختص ذلك بهما.

الخامس: الظاهر أنّ التبيّن المذكور فى الآيه طريقي، فيكفى وجود الفجر بمصداقيه سواء احرز بالحس أو بالقطع أو بأى طريق معتبر شرعى.

السادس: لو لم يتحقق الفجر فى بعض البلاد أو الأزمنه إذا شك فى بقاء الليل يعتمد فى صومه على الاستصحاب وفى صلابته على الاحتياط، فيجوز له الأكل والشرب إلى أن يعلم بتحقق النهار ويؤخر أداء الصلاه الى ذلك.

السابع: إذا اشتبه تحقق الفجر وعدمه فى بعض المناطق على أهله، فإما أن يكون الأمر مشتبهاً على الجميع لعدم وصول فحصهم إليه فحكمه يظهر مما تقدم فى الفروع السابقه.

ولو اختلف أهله فى تحققه وعدمه، فادعى طائفه منهم تحققه استناداً الى رؤيتهم الحسيه وطائفه ادعت عدم تحققه استناداً إلى عدم رؤيتهم مع الفحص الكامل المستمر وربما يؤيد ذلك ببعض القواعد العلميه الدال على عدم تحقق الفجر فى ذلك المكان، ففى هذا الفرض يعمل كل منهم على مقتضى علمه.

وأما الشاك فى تحقق الفجر فى المنطقه المذكوره، فهل يرجع الى الطائفه الأولى التى ادعت تحققه استناداً الى رؤيتها الحسيه؟

الظاهر جواز الرجوع إذا كانوا من العدول أو الثقات، ولا يعارض شهادتهم عدم انتهاء الفحص الطائفه الثانيه إلى رؤيته والتصديق بتحقيقه، بل والتصديق بعدم تحقيقه لأنه لو كان أمر قابل للمشاهده والرؤيه لرأوه.

وذلك لأن ما هو الموضوع للأحكام هو تحقق الفجر الذى يحرز بشهاده الشهود، اللهم إلا أن يكون اللذين يدعون عدم الرؤيه جمع لا يجوز فى العاده

عدم رؤيتهم مع الفحص وعدم المانع سيّما إذا كان فحصهم مستمراً في طول السنين والأعوام، وبقي الأمر مختلفاً فيه، فالإعتماد على قول مدّعى الرؤية وإن كانوا من أهل العدالة والوثاقه في مثل هذا الفرض لا يخلو عن الإشكال، لأنّ من مباني الاعتماد على قول العادل أصاله عدم الاشتباه، ومع إختلاف جماعه من ذوى الأبصار الصحيحه في ذلك لا يعتمد بأصاله عدم الإشتباه، فالشاك يعمل على طبق الأصل والإحتياط، والله العالم بأحكامه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطاهرين سيّما بقيه الله في الأرضين وحقته على العالمين أرواحنا له الفدا.

كتبه في بعض ضواحي (لندن) في شهر الله الأعظم من شهور سنه ١٤٠٧ هـ عبده المفتاق الى رحمه الله، وجدّدت النظر في بلده قم المشرفه، عش آل البيت عليهم السلام.

لطف الله الصافي الكلپايگانی

٧ - جمادى الأولى - ١٤٠٨ هـ

ص: ١٣٨

حديث عرض الدين

اشاره

ص: ١٣٩

إنّ الاعتقاد بالمبدأ و المعاد و النبوه و الإمامه، يُعدُّ من موجبات السعاده و إطمئنان القلب و رفع الاضطراب الروحى، و إحياء الأمل و التفاؤل بالحياه، و السير نحو الفلاح و الفوز.

و لا نبالغ إذا ما قلنا: أنّه لا توجد طلبات أدعى للسعاده و الراحة من هذه الطلبات الثلاث التى ذكرت فى هذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا تَبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي، وَ يَقِينًا صَادِقًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يَصِيْبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَ رَضَّيْنِي مِنَ الْعَيْشِ بِمَا قَسَمْتَ لِي» (١).

الحاجه الأولى: الايمان الذى يجعله الله تعالى مستولياً على قلب الإنسان و

ص: ١٤١

١- ورد فى أدعيه عدّه، منها: دُعاء أبى حمزه الشمالى.

الحاجه الثانيه: اليقين الصادق، و هو أن يعتقد الإنسان أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

الحاجه الثالثه: الرضا بالرزق المقسوم و العيش المقرّر من قبل الحق جلّ و علا.

إنّ الإيمان و اليقين و الرضا، من الحالات و المقامات التي لها درجات و مراتب متفاوتة بين البشر، ففي الوقت الذي يصح إطلاق الإيمان و اليقين و الرضا على كل مرتبه منها، لكنّ أفرادها متفاوتة كتفاوت مراتب و أفراد النور، و قد تصل الفاصله بين مرتبه و أخرى إلى درجه بحيث لو كان بالإمكان تطبيق مقياس سرعه الضوء عليها، لأشرنا إليها بذلك المقياس.

فكما نعلم، أنّ نور الشمس نورٌ، و نور المصباح نور، و نور السراج نور، و نور الشمعه نور أيضاً، و لكنها متفاوتة شدّه و الدرجه، فكذلك الإيمان الذي عبّر عنه في القرآن الكريم بالنور، كما في تفسير الآيه الشريفه: [رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا] (١).

و الآيه الشريفه: [يَوْمَ تَرى الْمُؤْمِنِينَ و الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ] (٢).

و لذا فإنّ إيمان النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله إيمانٌ و نورٌ مكّنه من القيام بأكبر و أثقل وظيفه أو كَلَّت إلى أحدٍ من الخليقه من قِبَل الله تعالى، حيث قام بمهمته على ٢.

ص: ١٤٢

١- التحريم: الآيه ٨.

٢- الحديد: الآيه ١٢.

أفضل وجه ممكن متحدياً الدنيا بأسرها ومغيّراً الكفر والعادات الباطلة، والشرك إلى التوحيد والصلاح.

و كذلك إيمان أمير المؤمنين عليه السلام نورٌ وإيمان وصل إلى مرتبه قال عنه على عليه السلام:

«لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا إِزْدَدْتُ يَقِيناً»(١).

و قال عليه السلام: «لَوْ أُعْطِيَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصَى اللَّهَ فِي نَمْلِهِ أَسْلُبُهَا جُلِبَ شَعِيرِهِ مَا فَعَلْتُهُ»(٢).

و هكذا سائر الأئمة المعصومين و الأنبياء العظام عليهم السلام كانوا مظاهر لقوه الإيمان و مراتبه الكامله، التي تعدُّ دورساً نافعه و مثبتةً لإيمان الناس.

و الحاصل: أَنَّ إِيْمَانَ خَوَاصِّ الْأَصْحَابِ وَ الشَّخْصِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّذِي تَجَلَّى فِي عَمَلِهِمْ وَ إِيْثَارِهِمْ وَ فِدَائِهِمْ فِي الْغَزَوَاتِ مِثْلَ بَدْرِ وَ أُحُدٍ وَ الْخَنْدَقِ وَ الْجَمَلِ وَ صَفِّينَ وَ النَّهْرَوَانَ وَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ قَدْ إِرْتَفَعَ بِهِمْ إِلَى أَعْلَى مَرَاتِبِ تَجَلِّيَّاتِ الْإِيْمَانِ، وَ كَانَ نُوراً.

إِنَّ إِيْمَانَ حَمْزِهِ بِنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَ جَعْفَرَ الطَّيَّارِ وَ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ وَ سَلْمَانَ وَ الْمُقَدَّادِ وَ عَمَّارَ وَ حَبِيبَ بِنِ مَظَاهِرِ وَ زَهَيْرِ وَ رَشِيدِ وَ مِيثَمِ، وَ الْمَثَاتِ بِلِ الْأَلْفِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ بَوْتَقِهِ الْإِمْتِحَانِ خَالِصِينَ مِنَ الْغَشِّ وَ إِنْ لَمْ يَكُونُوا فِي دَرَجَةِ وَاحِدَةٍ مِنَ الْإِيْمَانِ، لَكِنَّ مَا قَامَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ تَجَلِّيّاً مِنْ تَجَلِّيَّاتِ ٤.

ص: ١٤٣

١- بحار الانوار: ج ٤٦ ص ١٣٥، غرر الحكم، الفصل ٧٥، ح ١ و ٢ ص ٦٠٣.

٢- نهج البلاغه: الخطبه ٢٢٤.

عظمه إيمانهم وقوه عقيدتهم و حاكياً عن إطمئنانهم و عدم اضطراب قلوبهم.

وإيمان الأشخاص الآخرين إيماناً أيضاً، لكن درجه التفاوت بين إيمانهم و إيمان اولئك الخُص، يصعب قياسها و تقديرها.

فكل هؤلاء و بحسب درجات إيمانهم، يتمتعون بالاستقرار و سكون الباطن و راحه البال و التسليم و الرضا و التوكل على الله و الثقه بالنفس، ليتصلوا إلى المرتبه العاليه، فلا يفرحوا بما يصلهم و لا يأسوا على ما يفوتهم من الدنيا مصداقاً لقوله تعالى: [لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ] (١) و يصلوا إلى حيث لا يخافون إلا الله: «حَدُّ الْيَقِينِ أَنْ لَا تَخَافَ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً» (٢).

والحاصل: أَنَّ للتوكل و التسليم و الرضا و التفويض إلى الله - و كلها من مقامات السعداء - مراتب يحوزها بعض الناس بمقدار قوه درجات إيمانهم و خلوص عقيدتهم عن الشرك و الخرافات و الانحرافات الأخرى.

وعلى هذا، ليس ثمه و سيله لنيل الإنسان السعاده الواقعيه، أعلى من الإيمان الصحيح و اليقين الخالص، فإنه يدفع كل اضطراب و خوفٍ من زوال النعم، و يرفع كل اضطراب و توجس من إبهام المستقبل.

[الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] (٣) .٨.

ص: ١٤٤

١- الحديد: الآيه ٢٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٨٠ و ١٤٣.

٣- الرعد: الآيه ٢٨.

فطالب السعاده عليه أن يسعى جاهداً للإيمان بحقائق مفاهيم هذه الجمل النورانيه:

[حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ] (١).

[مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ] (٢).

[أَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ] (٣).

[وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ] (٤).

[حَسْبِيَ اللَّهُ] (٥).

[إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] (٦).

لينجو من ظلمات الحيره و التردد.٦.

ص: ١٤٥

١- آل عمران: الآيه ١٧٣.

٢- الكهف: الآيه ٣٩.

٣- غافر: الآيه ٤٤.

٤- الطلاق: الآيه ٣.

٥- التوبه: الآيه ١٢٩، الزمر: الآيه ٣٨.

٦- البقره: الآيه ١٥٦.

من جملة الطرق الرئيسية لتحصيل الإيمان الثابت و تقويته، هي التأمل في الآيات الآفاقية و الأنفسيه، و التفكر في خلق السماوات و الأرض ضمن مضامين القرآن المجيد. كما إنَّ مطالعه سيره النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و الأئمه المعصومين عليهم السلام و مراجعه الأحاديث و الروايات الواردة عنهم و خطبهم و أقوالهم في مختلف المجالات العقائديه مفيدٌ في توسيع المعرفة و دليلٌ للوصول إلى منبع عين الإيمان و اليقين الصافيه.

و في طيات الكتب، كبحار الأنوار، كم هائل من الروايات و الأحاديث الواردة عنهم عليهم السلام في العقائد، ما يُغني عن الجوع إلى الآخرين و طرق أبوابهم.

و من جملة الطرق التي يمكن بها معرفه العقائد و مطابقتها للوحي و هدى القرآن الكريم و تعليمات الرسول الأعظم و أهل بيته الطاهرين عليهم السلام و التي تؤدي إلى الإطمئنان و سكون القلب أكثر فأكثر، هو «عرضُ الدين» على قاده الدين، و خاصه في تفصيلات المسائل العقائديه التي ينحصر إثباتها بطريق الوحي و إخبار الرسول الأعظم و أهل بيته عليهم السلام و لا- طريق لمعرفة إلا بالرجوع إلى

فمثلاً: فى تفاصيل الثواب و الجزاء، و هل أنه روحانى أو جسمانى أم أنه بكلاهما؟ أو فى تفصيلات الميزان و الصراط و وجود الملائكه و الحقائق؟ و أمور كثيره اخرى من هذا القبيل، يعتبر المرجع الوحيد المصون من الاشتباه هو رسول الله و الأئمه الطاهرين عليهم السلام.

لا- يخفى، إنَّ الشرع و العقل يتفقان فى أصل بعض العقائد، كما إنَّ الحاكم فى اصول العقائد هو العقل، و القرآن الكريم ساق الإنسان و أرجعه إلى العقل و أمر الناس باتباع العقل فيها، و لكن فى التفصيلات و الاعتقادات الأخرى -\ غير الأصول -\ الأبد من مراجعه الشرع، و من ثمَّ نجد أنه لا- طريق للعقل فى معرفه تلك الأمور، أو أنَّ الإنسان غير مكلف بمعرفه تلك الأمور، بملاحظه أنَّ بعض الأمور و المطالب الاعتقاديه ليست من المستقلات العقلية و الأوليات البديهيه و الفطريه، و لذا لا تكون نتائج البحث العقلى فيها مصونه من الاشتباه و الخلط، و بلحاظ غموض فهمها و دركها من قبل أغلب الناس أو جميعهم، سيكون التكليف بمعرفتها تكليفاً بما لا يطاق. و من هنا نُهى الناس عن تحصيل الاعتقاد بها عن طريق العقل لاحتمال الوقوع فى الضلاله، و حينئذٍ يكتفى بالدليل السماعى الذى ثبت جواز الاعتماد عليه عقلاً، فلا يكون الإنسان معذوراً فيما إذا وقع فى الضلاله نتيجة سلوكه طريق العقل لمعرفه تلك الأمور.

و كما نعلم، فإنَّ الكثير من المواضيع التى تبحث فى الفلسفه و الكلام و ما يصطلح عليه بالعرفان، و التى ترتبط بالإلهيات هى من هذا القبيل.

و الحاصل: أنَّ المرجع الوحيد المصون من الخطأ و الاشتباه فى مثل هذه

المسائل هو الشرع، وإنَّ أولئك الذين يسلكون طريقاً آخر لمعرفة، و الذين يُؤولون الكتاب و السنّه بما يوافق استنتاجاتهم العقلية، يكونون قد سلكوا طريقاً خطراً، يطوون به الظلمات بلا دليلٍ و مرشدٍ من الكتاب و السنّه، و إنَّ هذا الطريق لن يوصلهم إلّا إلى الحيره و التشكيك و التردد.

و إنك لن تجدَ تعارضاً أبداً بين الاستنتاج العقلى فى الموارد التى يجوز لنا اتباع المسلك العقلى لمعرفة، و بين الأدله القطعيه من القرآن و السنّه القطعيه الصدور، و لو فرض و وجد مثل هذا التعارض، فإنَّ الفهم القطعى العقلى سيكون قرينه قطعيه عقليه على عدم إرادته ظاهر الكلام، و هذا الحكم العقلى سيكون قرينه على المجازيه، و سيكون الحاكم هو قاعده «إذا تعذرت الحقيقه فأقرب المجازات هو المتعين».

و أمّا فى غير هذه المباحث، إذا تعارض الاستنتاج العقلى مع دلالة الكتاب و السنّه، و وقع الشخص فى الاشتباه، فلا يكون معذوراً لأنه منهى من البدايه عن الورود فى هذا الطريق.

و كمثل لما ذكرنا نقول: نحن و من خلال الآيات القرآنيه الكثيره و الأحاديث الشريفه، نفهم بالقطع و اليقين أن الخالق هو غير المخلوق، و لا يوجد أى قدر مشترك ذاتى أو حقيقى بينهما، [ليس كمثل شىء] (1) و هذه الحقيقه لا يمكن تطبيقها على بعض المسالك العرفانيه أو الفلسفيه المبتنيه على أصاله الوجود، أو القول بأن كل شىء هو الله تعالى. ١.

ص: ١٤٩

١- الشورى: الآيه ١١.

أو تشبيه الخلق و الخالق بالموج و البحر و الحبر و الحروف، أو الإصطلاحات و التشبيهات الأخرى، و صرف النظر عن واقعيه كلِّ عالم الكون الذى تعرّض له القرآن الكريم و أخبر عن واقعيته كُلاًّ و أجزاءً، فمن غير المعقول القول: أن كلَّ هذه السماوات و المجزّات و المنظومات و الجبال و البحار و المخلوقات اللامتناهيه التى يتركّب الإنسان نفسه و كذا الحيوانات الأخرى من المليارات منها، غير متحقّقه واقعاً، و أنّ كلَّ ما هو موجود هو الوجود المطلق و ظهوراته فقط، أو مطلق الوجود و مراتبه فقط، و أنّه لا شىء حقيقى فى العالم إلّا نفس الوجود و لو وجد إختلافٌ فهو فى المراتب فقط.

و حتى لو قلنا بأنّ وجود الأشياء غير وجود الحقّ، و أنّ كلَّ شىء هو غير وجود الأشياء الأخرى، لكن قلنا بالاشتراك المعنوى و اعتبرنا أنّ كُنه الحقّ و كُنه الأشياء الأخرى واحدٌ بهذا المعنى، و ادّعينا معرفتها، و أنّه يُطلق على الجميع بنحو التشكيك «الوجود» فهذا المسلك مخالف للكتاب و السنه و الاعتقادات الشرعيه و غير منسجم معها.

فما نفهمه من ظاهر الكتاب الكريم هو شئيه الأشياء كلّها و واقعيته و تحقّقها الخارجى، و مغايره الذات الإلهيه المقدّسه لها و تنزّهها عن المشابهه معها.

و كذلك فى مسأله ربط الحادث بالقديم، و التى إذا لم يكن الكلام فيها منهيّاً عنه، فإنّه بلا شك غير مأثور به، فإذا وصل البحث إلى حيث القول: أنّ الله عاجز - \ نعوذ بالله - \ عن خلق غير ما هو موجود، و أنّ صدور العالم و الكائنات عنه بالإيجاب، و أنّه لا إبداع فى ما يسمى بعالم العقول و المجردات، و أنّ العالم عباره عن تشكيلات ميكانيكيه، فكما أنّ المخترع البشرى أو الصانع الذى هو

استاذ في صنعته فقط و يمكنه أن يصنع ما هو ماهرٌ في صنعه فقط، فكذلك في خلق الكائنات، فلا يمكن أن يترك هذا النحو من الخلق -\نعوذ بالله -\ و أنه عاجز خلق خلقٍ آخر، إذا وصل الكلام إلى مثل هذه النظريات أو ما يقاربها، و يُشابهها -\ حتى لو لم يقال بهذه الصراحة -\ فإنه مخالف لظواهر القرآن المقبوله و المسلّمه، و منافٍ لها.

فقولنا: إنَّ هذا العالم قد أُوجد طبقاً لحكمه و مصلحه و أنّ الله أحسن الخالقين و أنه حكيم عليم، هو غير ما يقوله هؤلاء من أنّ برنامج الإيجاد و الخلق لا- يمكن أن يكون إلا- بهذه السلسله -\ التي يدّعيها هؤلاء -\ و أنّ النظام الأتم هو النظام القائم على أساس الصادر الأول للمعلول الأول و... إلخ، و أنه بدون الصادر الأول للمعلول الأول و العقل الأول و غيره مما يقولون، يكون الله عاجزاً -\ والعياذ بالله -\ عن خلق عالم المحسوسات بدون وسائل، و سلسله عوامل يفترضها هؤلاء.

فهذه الآراء لا- يمكن مطابقتها للقرآن الكريم أبداً، فإنَّ مفهومها هو إدعاء عجز الله عزوجل، و إثبات عوالم و مخلوقات و نظم [ما أنزل الله بها من سلطان] (١).

و بحسب ما جاء في الكتاب و السنّه، فإنَّ الله هو الخالق، و مفهوم هذا القول لايساوى مفهوم: أنّ الله علّه و أنه علّه أولى.

و الخوض في مثل هذه المباحث قد يجرُّ إلى القول بقدم العالم، و قد ذهب البعض إلى أنّ إجماع المسلمين قائم على أنّ هذا القول يوجب الكُفر. ٠.

ص: ١٥١

١- النجم: الآيه ٣٣. يوسف: الآيه ٤٠.

وقد اعترض العالم المتبحر الملائم محمد إسماعيل الخاجوئي رحمه الله في رساله له في تفسير قوله تعالى: [و كان عرشه على الماء] (١) على أحد كبار أساتذه الحكمة حيث قال: (إنَّ اسم «الماء» قد أُطلق في كثير من الموارد في الكتاب و الحديث على العلم و العقل القدسي الذي يحمل العلم، و إنَّ اسم «الأرض» قد اطلق على النفس المجرّده القابله للعلوم و المعارف) بأنَّ هذا الحمل هو حمل اللفظ على غير ظاهره و لا- شاهد من الكتاب و السنه و العقل على مثل هذا الحمل، كما أنَّه لا قائل به من المفسرين و المحدّثين، و أنّ هذه التأويلات هي من قبيل التعبير عن السماء بالحبل.

ثم يبسط الخاجوئي اعتراضه و يقول: كلُّ من يقول بوجود العقل المجرد ذاتاً و فعلاً، فهو قائل بقدمه، و هذا يستلزم القول بقدم العالم، و من قال بقدم ما سوى الله تعالى فهو كافراً بإجماع المسلمين حتى لو كان من الإماميه.

و كما قال آيه الله العلامه في جواب من سأله عن حال رجل يعتقد بالتوحيد و العدل و النبوه و الإمامه، لكنه قائل بقدم العالم، و عن حكمه في الدنيا و الآخرة، قال العلامه:

«مَنْ اعتقد قَدَمَ العالم فَهُوَ كافرٌ بلا- خلاف، لأنَّ الفارق بينَ المسلم و الكافر ذلك، و حكمه في الآخرة حكم باقي الكفار بالإجماع» (٢).

و الحاصل: إننا و إن لم نكن في مقام ردِّ و إبطال و إثبات بعض الآراء و٧.

ص: ١٥٢

١- هود: الآية ٧.

٢- الأجوبه المهئائيه: ص ٨٨ بحار الانوار: ج ٥٤ ص ٢٤٧.

الأفكار ولا في مقام بيان الحكم الفقهي لمعتقدي تلك الآراء، و لكن نقول: بأن طرق هذه المباحث - حتى لو تصوّر القائلون بها إنهم غير ملزمين بتبني القول بالحدوث الدهري أو الزمان التقديري و تبعاته - أو البحث فيها ليس لازماً، لا شرعاً و لا عقلاً، و أنه خطير، و لا - ضمان بالخروج بنتيجته صحيحة منها حتى من قبل أساطين الحكمة و الفلسفه، و إن انحرف في نقطه و مورد واحد، و ضلّ ضلاله بسيطه.

و هنا نبين هذا المعنى بذكر عدّه جمل من خطبه أمير المؤمنين عليه السلام الرائعه المعروفه بخطبه الأشباح، و التي يقول عنها السيد الرضى (عليه الرحمه) أنّها من جلائل خطبه عليه السلام، ليتّضح هذا المطلب العرفاني الدقيق، بل هو من أعلى المطالب العرفانيه الصادره عن لسان الله الناطق و أمير البيان عليه السلام.

روى مسعده بن صدقه عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أنشأ هذه الخطبه على منبر الكوفه بعد أن سأله رجل قائلاً:

«يا أمير المؤمنين، صِفْ لنا ربّنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حُبّاً و به معرفه»

فغضب عليّ عليه السلام و دعا الناس للصلاه جامعه، و لما اجتمع المسلمون و غصّ المسجد بالمصلين، صعد عليّ عليه السلام المنبر و لم يزل على غضبه...

و هنا، يطرح هذا السؤال نفسه، لماذا غضب الإمام عليّ عليه السلام من مثل هذا السؤال؟

يبدو أنّ كيفية طرح هذا السؤال هي التي أثارت غضب عليّ عليه السلام حيث أنّ

السائل كان يظن إمكانه توصيف البارى عزوجل بدرجه من الوضوح يتمكن عامه الناس من معرفه كنه حقيقته و صفاته، كما لو كان يُشاهد عياناً، أو أنّ عبداً من عباده و إنّ كان رئيس العارفين و مولى الموحدين يمكنه خدُّ صفاته أو معرفه حقيقه ذاته و توضيحها و تبسيطها لدرجه التصور و لو كان تقريبياً، و مهما كان ظن السائل، فإنّ مجرد التفكير فى مثل ذلك يثير غضب أمير المؤمنين عليه السلام حيث انه عليه السلام استعظم نفس السؤال، فكان على عليه السلام يرى أنّه ليس لأحدٍ الحقّ مهما علّت معرفته أن يسأل مثل هذا السؤال فضلاً عن أن يكون لأحدٍ الحقّ فى وصف البارى عزوجل إلى درجه أكبر مما وصف هو نفسه به تبارك و تعالى.

و هذا هو الذى دعاه إلى أن يصعد المنبر و يخطب تلك الخطبه التى إفتتحها بالحمد و الثناء ثم الصلوات على النبى محمد صلى الله عليه و آله حتى توجه بخطابه إلى السائل قائلاً:

«فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ: فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأَتَمَّ بِهِ وَ اسْتَضَىءَ بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَ مَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فَرَضُهُ وَ لَا- فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ أُمَّةِ الْهُدَى أَثَرَهُ فَكُلُّ عِلْمِهِ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مَنتهى حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنْ إِقْتِحَامِ السُّدُودِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجَمَلِهِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا. وَ سَمَى تَرَكَهُمْ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفَهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَ لَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ

و هذا الكلام الإعجازى لأمير المؤمنين عليه السلام هو أفضل دليل و مرشد و أعلى مرتبه من المعرفه الممكنه للملائكه و الإنسان، و كل ما عدا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام و كل ما كتب خارج حدود هذه الخطبه، فهو غرور و التباس عقلى، أو هى مجرد كلمات و إصطلاحات و ألفاظ.

يقول الشيخ الأجل، فخر الشيعة و عالم الإسلام الكبير، الشيخ المفيد قدس سره فى مسأله توقيفيه الأسماء الحُسنى:

«لا يجوز تسميه البارى تعالى إلا بما سمى به نفسه فى كتابه أو على لسان نبيه أو سماء حُججه و خلفاء نبيه و كذلك أقول فى الصفات، و بهذا تطابقت الأخبار عن آل محمد عليهم السلام و هو مذهب جماعه الإماميه و...»(٢).

و قال المحقق القدوسى الطوسى قدس سره فى كتاب الفصول (ص ٢٢) و هو مصنف باللغه الفارسيه، قال ما ترجمته:

لطفه: بعد أن علمنا أن البارى سبحانه و تعالى ذاتٌ واحدهٌ منزهةٌ، لا مجال للتعدد و التكثر فى كبرياء عظمته من أى جهه كانت، أطلق على نفسه لفظ «الله» بلا ملاحظه أى اضافه و أطلق الأسماء الحسنى الأخرى باعتبار الإضافات أو بحسب تركب الإضافه و السلب، كالحى و العزيز و الواسع و الرحيم. و عليه:

فكل لفظ لائقٌ بجلاله و كماله، يمكن إطلاقه عليه، إلا أنه من غير الأدب إطلاق ٣.

ص: ١٥٥

١- نهج البلاغه: الخطبه ٩١.

٢- أوائل المقالات للمفيد، ص ٥٣.

الأسماء التي لم تصدر الإجازة من حضرته لإطلاقها عليه، إذ لعله لا يليق بمقامه من جهة أخرى لأنَّ ظاهر الحال يقتضى أنَّه إذا لم يكن قد تَلَطَّف برأفته و عنايته اللامتناهية و ألهم أنبيائه و المقرَّبين من عبادته، لما كان لأحد اللياقة بإطلاق أى لفظٍ على حقيقته، إذ لا يمكن بأى وجه مطابقه الاسم على المسمَّى.

و بحسب بعض الآيات مثل قوله تعالى: [اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى] (١) و قوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] (٢) فَإِنَّ الشَّيْءَ المَعْلُومَ هو غير العالم، و بحسب بعض المسالك أنَّه لا يوجد شَيْءٌ غير علم الله بذاته و مراتب ظهور وجوده.

و أما البحث فى حقيقه العلم و كفيته و ماهيته، فإننا إذا كننا مجازين فى البحث عن حقيقه علمنا نحن و ماهيته، و الوصول الى الآراء المختلفه فيه، لكننا ممنوعون عن البحث فى حقيقه علم الله الذى هو عين ذاته، إذ لا يمكن لنا درك حقيقه علمه: [و لا يُحيطُونَ به علماً] (٣).

إذن، فلسان الكتاب العزيز و السنه الشريفه و مفهوم الاصطلاحات الإسلاميه و الأسماء الحسنى التى يُسمع بإطلاقها على ذات البارى تعالى، هى غير مفهوم الاصطلاحات الأخرى التى راج إطلاقها عليه، و التى ظهرت بعد ظهور الفلسفه و العرفان الاصطلاحى و اشتغال المسلمين بهذه المباحث و رواجها، و التى حجبتهن عن السير العلمى الإسلامى الخاص، و عن التفكير فى الآيات الإلهيه .

ص: ١٥٦

١- الرعد: الآيه ٨.

٢- البقره: الآيه ٢٣١.

٣- طه: الآيه ١١٠.

التي أمروا بالبحث فيها.

فلا بدّ من معرفه الله بالطريق الذي عرّف نفسه به و هو طريق الوحي و رسالات الأنبياء و الكتاب و السنّه و السبل المنطقيه القرآنيه، و يستحيل معرفته بغير هذا الطريق، و ينبغي عدم التقدّم على هذه الإرشادات كما ينبغي عدم التأخر و الابتعاد عنها.

إنّ معرفه الله في القرآن المجيد و في أحاديث العرض، عريضه و شامله، بل هي غير متناهيه، كلما سار الإنسان في إطار الإرشادات القرآنيه و الأحاديث الشريفه و تقدّم فيها، فإنّه سيبقى المجال أمام سيره و عروجه مفتوحاً على مصراعيه.

و لا بدّ من طرق باب أهل بيت الوحي عليهم السلام و الالتزام باتّباعهم، و أخذ الاصطلاحات المطابقه للواقع عنهم، و توسعه المعرفه بالتفكّر و العباده و الدعاء و الرياضات الشرعيه.

و هناك في الأدعيه المأثوره عن الرّسول الأكرم صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام و سائر الأئمه الأطهار عليهم السلام، من العبائر و الجمل ما يفتح أبواباً الى طريق المعرفه.

ففي الوقت الذي تتضمّن فيه تلك الأدعيه مضامين عاليه و عرفانيه حقيقيه، فهي أيضاً كانت ترشد اولئك المسلمين من سكنه الصحارى و البوادي الذين لم يتلمذوا في مدرسه ما، و لم يقرأوا «الشفاء» و «النجاه» و «الإشارات» و «الأسفار» و «الفصوص» و جعلت منهم مؤمنين إلى مرتبه لم يحلم بمثلها أمثال ابن سينا و الفارابي.

ص: ١٥٧

فلو أننا اشتغلنا بقراءه تلك الأدعيه و شرحها و تفسيرها بدلاً من تلك الكتب، لفهمنا بأننا مع ما نملك من هذه المعارف و الآثار، لا ينبغي أن نذهب إلى غيرها و ننسى حديث: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا لَمَا وَسِعَهُ إِلَّا إِتِّبَاعِي»^(١).

فكلامنا هنا هو أنّ علينا أن نعرض عقائدنا على القرآن الكريم و على الأحاديث الصحيحه و على حمله هذين المصدرين الأساسيين، أمثال «زكريا بن آدم» الذي قال فيه الإمام الرضا عليه السلام: «المأمونُ على الدين و الدنيا»^(٢) و الشيخ الطوسي و المجلسي، ليشهد هؤلاء على أنّ الدين الذي عُرض عليهم، دينٌ موافق لما أنزله الله تعالى على نبيه الأكرم صلى الله عليه و آله، و أن يقولوا:

«هذا دينُ الله الذي أنزله على نبيّه صلى الله عليه و آله و بلغه عنه أوصياؤه».

إنّ اولئك الذين أمضوا أعمارهم في طي الطرق الأخرى، و اشتغلوا بغير ما ورد عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام، سيدعون بأنّه لا يمكن نسبه محصول و نتائج بعض الاشتغالات و البحوث إلى الله و النبي الأكرم صلى الله عليه و آله، فمدرسه الأنبياء و مدرسه القرآن و الوحي و الإمام الباقر و الصادق عليهما السلام يعرفها زراره و أبان بن تغلب و محمد بن مسلم و عمّار بن ياسر و الأصبغ بن نباته و حذيفه و أبوذر و أمثالهم، لا الآخرون.

فلم نعهد و لم نسمع يوماً أنّ شخصاً ذهب إلى مثل يعقوب ابن إسحاق الكندي .

ص: ١٥٨

١- بحار الأنوار: ج ٣٠ ص ٣٦١.

٢- جامع الرواه: ج ١ ص ٣٣٠.

و عرض عليه دينه، فأمثال يعقوب بن إسحاق و سائر الفلاسفه و العرفاء الاصطلاحيين، هم أنفسهم إذا أرادوا عرض دينهم، كان عليهم عرضه على النبي صلى الله عليه و آله و الأئمه عليهم السلام و رواه أحاديثهم.

ص: ١٥٩

و في عصرنا الحاضر، على الجميع و خاصة جيل الشباب و المثقّفين و الجامعين المؤمنين الأعزاء، أن يهتموا بمسأله عرض الدّين على علماء الدّين الذين عرفوا الدين من القرآن الكريم و أحاديث أهل البيت عليهم السلام فقط، إذ أنّ يد التحريف و التأويل و التصرّف و إتباع الاستحسان و السليقه الشخصيه، قد امتدّت إلى العقائد و التعاليم الإسلاميه من قبل بعض الأشخاص، و لاسباب عديده منها: التأثير بالحضاره الغربيه، و إنّ بعض فاقدى الأهليه و الصلاحيه قد نصّبوا أنفسهم خطباء للدّين، فتراهم يعقدون جلسات الحوار و المناقشه، و يخطبون و يكتبون المقالات الدينيه التي تستهدف الإسلام و التزام الناس بالعقائد و الاحكام الشرعيه، و يوحون للناس بأنّ التقيّد بالأحكام الشرعيه و مداليل الكتاب و السنه، بعيدٌ عن الانفتاح الفكري و الحضارى، و يحاولون تخطئه ما تلقاه كبار العلماء و الفقهاء على إمتداد القرون المتماديه، معتقدين بأنّ الكثير من الأحكام الالهيه لا تناسب المزاج العصرى الذى أسسه الغرب أو الشرق،

متوسِّلين ببعض المصطلحات الرئانه مثل «الفقه المنفتح» أو «انقباض وانبساط الشريعة» لاتهام بعض الأحكام و تعطيل خاتميته و أباديه المنهج الشرعي و نظام الجزاء و القوانين الاجتماعيه الإسلاميه و غيرها.

و قد تدخَّل هؤلاء حتى في العقائد و عرّفوا الكتاب و السنه باصطلاحات عرفانيه، و بذلك يكونوا قد سلكوا طريقاً إذا استمروا به لم يؤد إلا إلى تضعيف الالتزام الديني عند الكثير من الناس.

لقد كان عمل الأنبياء المهم و العظيم هو هدايه الناس إلى المنهج الذي أمروا بتبليغه من قبل الله، و حثّهم على العمل بهذا المنهج و الالتزام الوجداني به، هذا العمل الجبار الذي عجز عن مثله كلّ الفلاسفه و كل أدعياء الفكر و الثقافه الحديثه، و لا زالوا عاجزين.

إنّ هؤلاء الأشخاص الذين يدّعون الثقافه و الفكر، أينما وجدوا فإنّهم حاولوا إضعاف الإيمان و مواجهته، و يفتخرون بأنهم يستطيعون أن يخدشوا المعتقدات و المسلّمات الإسلاميه و أن يقلّلوا من تمسّك الناس و التزامهم بدينهم، و يفسّرون الدين بما تشتهيهِ أذواقهم المتأثره بالثقافات الأجنبيه و أحوال و أوضاع الغرب، و ينكرون أو يشككون في الأصاله الفكرية الإسلاميه.

و للأسف الشديد، فإنّ بعض هذه الأحابيل قد أثرت في بعض طبقات المجتمع الإسلامى برجاله و نساءه، خاصه و أنها منمّقه و مطليه بطلاء التجديد الديني و الرجوع إلى الذات مما أدى إلى إدخال الوسوسه في بعض المسائل الدينيه المسلّمه، و الالتزامات الإسلاميه عند البعض.

ولا يخفى أنّ مثل هذه المخالفات و المواجهات للشرع الحنيف يكون لها صدى إعلامي، و من هنا تجد أنّ أبطال مثل هذه الاتجاهات هم من عشاق الشهرة و الصيت الذائع الذين يحاولون الظهور على ساحه المجتمع بأيّ ثمن حتى لو كان إنكار المسلمات الدينيه و المقدسه عند المسلمين، فهؤلاء عاجزون تماماً عن شق طريق الواجهه و الرفعه، لخوائهم و ضعفهم و عدم أهليتهم، فيتشبتون بمثل هذه الإطروحات الهزيله لكسب السمعه و الشهرة، و هم يعرفون تماماً، أنّهم كلما إزدادوا في هتك الحرمات و إثارة الشبهات و إهانته المقدسات و إنكار القيم الاجتماعيه، إزدادت شهرتهم، و هذا ما يطمحون اليه، و لا شكّ في أنّ هؤلاء سيكون لهم أتباع و مروّجين ممن تتعارض مصالحهم الشخصيه و أهوائهم و أمزجتهم مع تلك المسلمات العقائديه و الدينيه.

فالكثير من المتأثرين بالغرب و من يتصوّرون أنهم من المجدّدين يعتبرون أنّ الكاتب و الخطيب المتحرر المثقّف هو الأ-كثر جرأه على محاربه المقدّسات و المسلمات الإسلاميه و الاستهزاء بها.

و من ثمّ تجد بأنّ كتاب المرتدّ سلمان رشدي، و الذي كان عارياً عن أيّ استدلال منطقي و توجيه معقول، و الخالي من أيّ ردّ فكري و جيه، قد عدّته بعض المحافظ التي لا ترى للحرية حدّاً، من الكتب الفكرية المتحرره المنفتحه، كلّ ذلك لأنّ ما ورد في الكتاب هو أعلى ما يمكن من درجات الإهانته و الجرأه على الشخصيات المقدّسه عند المسلمين بل عند كل العالم، فصار رشدي و كتابه مشهوراً عن طريق هتك القداسه و إهانته العصمه و الطهاره، و لذا فقد قامت القوى الاستعماريه التي رقصت على أنغام هذه السنفونيه، قامت بحمايه هذا المرتد و

الدفاع عنه، مع أنّ الكتاب فاقد للمحتوى الفكرى المنطقى المستدل.

ولذا، فإنّ شبابنا إذا ما أرادوا الأمان من شرِّ إضلال مثل هؤلاء المجدّدين الصوريين، و أن يتعلّموا الدين الإسلامى الصحيح و المنزّه و كما أنزل على قلب النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، و أخذته من مصادره الأصيله النقيّه، عليهم أن يراجعوا بأنفسهم تلك المصادر، و أن يعتبروا الكتاب و السنه الخاليين من التأويل و التوجيه، حُجّه دامغه، أو أن يرجعوا إلى حمله الإسلام، أى أولئك الذين أخذوا الدين من مكتب أهل البيت عليهم السلام، و الذين غاصوا بحار هذين المصدرين و سبروها، فإنّ هؤلاء معروفون عند الجميع، أمثال أبى ذر و المقداد و سلمان و سُليم و محمد بن مسلم و ابن أبى عمير و الفضل بن شاذان و ابن بابويه و الكلينى و الشيخ الطوسى و تلامذتهم و تلامذه تلامذتهم إلى يومنا هذا، من العلماء و الفقهاء و المراجع الكرام.

فهذه الطبقة من العلماء هم الذين تناقلوا الإسلام و الدين الصحيح على مرّ الأعصار و الأدوار بعد أن تلقّوه من مصادره الأصيله يدّاً بيد و صدرّاً بصدر و روحاً بروح، و نقلوه إلى الخلف عن السلف، فلو لم يكن هؤلاء المخلصون لم يتمكّن الآخرون من الحفاظ على هذه الأمانه الغاليه، و لعمت غوغاء البحوث الفلسفيه و أفكار و آراء الصوفيه لهذا و ذاك، و لم يكن ليبقى شىء ثابت و خالص و لا لتسلّم المبانى الاعتقديه الإسلاميه من خطر الانحراف و التأويل.

فكلُّ المطلّعين المنصفين يعرفون تماماً أنّ أمثال هؤلاء الأفاضل من العلماء هم المنفردون من سائر أقرانهم من أرباب العلوم العقليه و المشهورين من المتبحّرين فى العلوم الإسلاميه، فى حفظ الإسلام و صيانتها، فكان لهم الدور الأساسى فى

تبلغ الدين للأجيال اللاحقه، و المناهج الأخرى كالفلسفه و العرفان الاصطلاحى لم يكن لها مثل هذا الاهتمام و لم تسعى لتحقيق هذا الهدف.

و لا شك فى أنه لو خُلَى الأمر بين المسلمين و بين أمثال علاء الدوله السمنانى و بين يزيد و أبو سعيد و صوفيه الهند و ايران و الخانقاهات الكئيبه، كان الشىء الوحيد الذى يفتقده المسلمون اليوم هو «الإسلام» و كل ما كان موجوداً حينها، يعجز عن إداره الدين و الدنيا.

فمثل «ابن الفارض و السهروردي و ابن العربى»، لم يكن لهم دورٌ فى هذا المجال، و ما قام به السيد المير داماد (عليه الرحمه) من خدمات فى حفظ الدين و صيانه آثار أهل البيت عليهم السلام، لا يمكن حسابه فى خانه تجرّه فى الفلسفه و ما قال هو عنه فى مشاركته لفلاسفه اليونان فيه، و مع أنه (رحمه الله) قد استعان بالفلسفه فى بعض آرائه و نظراته فى بعض المسائل الإسلاميه، لكن خدماته وخدمات أمثاله للإسلام، كانت نتيجة تخصصه فى مجالات العلوم الإسلاميه و المعارف القرآنيه و آثار أهل البيت عليهم السلام لا غير.

و على أى حال، فى مسأله «عرض الدين» و تحصيل الإطمئنان بمطابقه دين الشخص مع الدين الذى جاء عن النبى و الأئمه الأطهار عليهم السلام و أنه دين الله، يكون المعيار و المناط الوحيد هو الوحي الإلهى و كلمات أهل البيت عليهم السلام.

و بمقتضى: «هذا العلمُ دينٌ فانظروا عَمَّنْ تأخذونَ دينكم»^(١) لابدّ من أخذ دين الله و علم الدين من أهله و فى كل المجالات.٩.

ص: ١٦٥

١- منه المريد: ص ٢٣٩.

إنّ قضيه تحصيل الإطمئنان بمطابقه المعتقدات الدينيه مع النصوص الشرعيه و الوحي النازل على النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و ما ورثه عنه الأئمه الطاهرون عليهم السلام بصوره عرض الدين و العقائد، أو بصوره السؤال عن أصول و مباني الدين، كانت موجوده منذ زمن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله، فكان بناء الأشخاص المؤمنين من ذوى المعرفه على عرض معتقداتهم و ما فهموه من الإسلام على نفس النبي صلى الله عليه و آله أو على أهل بيته، أو يعرضونه على كبار العلماء الذين كانت لهم إحاطه بالنصوص الشرعيه، و هذا ما يندر القيام به فى زماننا الحاضر على أهميه هذه القضيه.

نقل فى البحار الشريف(1) ضمن روايات عن كتاب أمالى الشيخ الطوسى و معانى الأخبار للشيخ الأجلّ الصدوق، و رجال الشيخ الجليل الكشى، قضيه عرض دين إبراهيم المخارقى و حمران بن أعين و عمرو بن حريث و خالد

ص: ١٦٧

البجلي و الحسن بن زياد العطار و يوسف، على حضره الإمام الصادق عليه السلام.

و فى الكافى الشريف روى روايه عرض دين إسماعيل بن جابر على حضره الإمام الباقر عليه السلام، و عرض دين منصور بن حازم على حضره الإمام الصادق عليه السلام.

و لم يكتف أمثال هؤلاء العظام بما حصلوا عليه من العلم و اليقين بالاجتهاد فى الأمور العقائديه، فكانوا يعرضون ما يتقنوه من الدين على الأئمه عليهم السلام ليطمئنوا من تطابقه مع ما نزل من الله على رسوله صلى الله عليه و آله و مع ما عند الأئمه عليهم السلام و خشيه الزيادة و النقصان.

ص: ١٦٨

من جملة الشخصيات المرموقة الكبيّرة التي عرضت دينها على إمام زمانها هو السيد أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن السبط الأكبر الإمام أبي محمد الحسن المجتبي، ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذا السيد الجليل من أعظم ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و أولاد المرتضى و البتول عليهم السلام، و من أجله معارف علماء أهل البيت و من كبار أصحاب الإمامين الجواد و الهادي عليهما السلام، و من محارم أسرار الأئمة عليهم السلام، و يظهر أنّه كان من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام - كما يقول بعض علماء الرجال - بمقتضى كونه من نفس الطبقة في سلسله النسب إلى حضره أمير المؤمنين و سيده نساء العالمين الزهراء البتول عليهما السلام.

و السيد عبد العظيم الحسنى و إن لم يدرك عصر إمامه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، كما سيأتي في الرواية، و لكن يقوى الاحتمال بدرك خدمته عليه السلام قبل إمامته.

و أما الروايه الداله على فضل زياره السيد عبد العظيم، و وفاته فى عصر إمامه الهادى عليه السلام فهى الروايه التى نقلها الصدوق فى ثواب الأعمال بسندٍ عن شخص تشرف بحضره الإمام الهادى عليه السلام فسأله الإمام عليه السلام قائلاً:

«أين كنت؟» قال: «زرت الحسين عليه السلام» فقال الإمام الهادى عليه السلام: «أما إنك لو زرت قبر عبد العظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين بن علي عليه السلام»^(١).

و من جمله الروايات الداله على فضل و علم هذا الشريف الجليل، الروايه المرويه عن الإمام الهادى عليه السلام حيث يقول لأحد شيعه الرى:

«إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناصيتك فسل عنه عبد العظيم بن عبد الله الحسنى و اقرأه منى السلام»^(٢).

و يُعلم من قضيه عرض دين مثل هذه الشخصيه الجليله، أهميه تصحيح العقائد، أعم من ما يجب الاعتقاد به أو أكثر من ذلك و أبعد.

و ما يجب الاعتقاد به أمور يجب الاعتقاد بها - بحسب إرشادات الكتاب و السنه - بمفهومها و تعريفها الوارد فى الكتاب و السنه ليصح إطلاق لفظ المسلم و المؤمن على المعتقد بها.

و ما هو أبعد من الواجب، و هو ما لا يضر عدم الالتفات و الاعتقاد به، بإسلام و إيمان الإنسان، و لكن الاعتقاد بها بعنوان الأمور الدينيه، أيضاً يجب أن يكون .

ص: ١٧٠

١- ثواب الأعمال للصدوق: ٩٩، كامل الزيارات: باب ١٠٧، ص ٥٣٧.

٢- مستدرک الوسائل، كتاب القاضى - باب حكم التوقف و الاحتياط فى القضاء و الفتوى و العلم ج ١٧ ص ٣٢١ ح ٣٢ الرقم ٢١٤٧٠.

بدليل معتبر من الكتاب و السنه، كما إنَّ عدم الاعتقاد بها مع وجود الدليل عليها من الكتاب و السنه و الالتفات إلى ذلك الدليل، يُعدُّ من عدم الإيمان بالنبوه.

و على هذا، يجب على كل مسلم أن يُحرز مطابقه عقائده مع الكتاب و السنه، و بهذا الترتيب:

أولاً: أن يعرف ما وجب شرعاً الاعتقاد سلباً أو إيجاباً به.

ثانياً: أن يحرز مطابقه معتقداته مع ما عرفه.

ثالثاً: أن يعرض معتقداته في المسائل الأخرى بالمعنى الذى ذكرنا من عدم لزوم الاعتقاد بها، على الكتاب و السنه.

رابعاً: أن لا يحمل الكتاب و السنه على ما يعتقد به دون قرينه عقليه أو شرعيه واضحه للعرف بلا إشكال و لا خلاف في قرينتها، فمن أراد التحصن من التعرض للضلاله و الانحراف عليه أن يطبق هذا الترتيب ليطمئن من رضى الله تعالى عن معتقداته، و لا طريق سوى القرآن و السنه لضمان السلامه من الوقوع في خطر الضلاله و البدعه و الانحراف.

فإذا كان مثل السيد الجليل عبد العظيم الحسنى عليه السلام مع ما أُوتى من علم و إطلاع بالكتاب و السنه، و تأليف كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام، و أنه كان يحمل من المعتقدات الجزميه القطعيه، يرى ضروره عرض عقائده على حضره الإمام عليه السلام ليحصل على تصديق الإمام عليه السلام لتلك المعتقدات و ذلك الدين.

فالآخرون - و خاصه أمثالي أنا - ينبغي عليهم بالأولويه المبادره إلى عرض دينهم لكسب الإطمئنان بالموافقه، بل عليهم تكرار العرض على أكثر من طرف

من علماء القرآن و الحديث و معارف أهل البيت عليهم السلام و الذين استقوا علومهم من الأئمة عليهم السلام.

فلا بدّ إذن، و بكل تواضع و خضوع، أن نعرض معتقداتنا على الخبراء المعتمدين و العلماء بالصحيح و السقيم و الكامل و الناقص منها.

ص: ١٧٢

فى قضيه عَرَضَ الدين للسيد الشريف الجليل عبد العظيم الحسنى عليه السلام، نكتة أدبيته أخلاقيه مهمه ينبغى تعلمها، ألا وهى عدم الاغترار بالعلم و المقام العلمى، و التواضع فى سبيل نيل المكارم. فالغرور آفه خطيره تهدد شجره الإنسانيه و تمنع من رُقَى الإنسان و نيل الكمالات، و من أخطر أنواع الغرور هو الاغترار بالعلم و العقل و الفهم، فلا بد من الحذر منه و تهذيب النفس و تخليتها من هذا المرض.

و لذا، فإنّ الأعاظم و تلامذه مدرسه أهل بيت الوحي و النبوه الذين وصلوا إلى مقام الإنسانيه، كلّما ازدادوا علماً و دركاً للحقائق، ازدادوا خضوعاً و تواضعاً قبال أساتذتهم و مربّيهم، و ابتعدوا عن العناد و التعنّت، و باصطلاح الفقهاء، لا يتسرّعون فى الفتوى، فهؤلاء يعرفون تماماً أنّ رفع أىّ جهل يوجب الالتفات إلى جهل بمجهولاتٍ و مجهولات، و إنّ كلّ جوابٍ يحصلون عليه سيكون مصدراً للأسئله و أسئله.

ولذا، فإنك لو سألت من شخص قليل المعرفة عما يعرفه عن الإنسان أو الحيوان أو الشجره أو الشمس و القمر و حقيقه الحياه و أمور اخرى، فإنه و بلا تأمل و تفكير سيدعى أنه يعرف كل شيء عنها، لكنك لو سألت عالماً قضى عمره فى الفنون المختلفه للمعرفه و مجالات العلم، عن هذه الأمور التي هي مظاهر لقدره الله تعالى، فإنه سيجيب قائلاً: للأسف إن أكثر هذه الأشياء لازالت مجهوله لدينا. فنفس هذه الإدراك دليل على وصول هذا العالم إلى أوج معرفته و إلى سعه أفق علمه و فكره، تلك المعرفة التي يفتقدها الشخص المسؤول الأوّل، و السيد عبد العظيم الحسنى عليه السلام، مع كثره دركه للحقائق و العلوم و المعرفة، نجده يتقدم بكل تواضع و يجلس متأدّباً بين يدي إمام زمانه و يعرض عليه دينه بلا تكبر و لا غرور.

نقطه أخرى:

و هنا صفه ممتازه أخرى و أدبٌ يضاف إلى أدب هذا السيد الجليل فى هذه القضية، و هي صفه التسليم و القبول من الإمام عليه السلام بلا أىّ اعتراض أو تشكيك، و هذا درسٌ لا بدّ أن نتعلّمه جيداً فى مقابل مقام الولاية و الإمامه و بين يدي حجه الله، فعلى المؤمن أن يُدعّن للحق و يقبله بلا- تغطرس و عناد، و هذا شعبه من «إنصافُ الناسِ مِنْ نَفْسِكَ»^(١) و هو أحد أصعب الأعمال الجليله و الفضائل ٥.

ص: ١٧٤

١- وسائل الشيعه، كتاب الجهاد، باب وجوب اجتناب المحارم: ج ١١ ص ٢٠ ح ٤٣٨٧ و ج ١٥ ص ٢٥٥.

الممتازة الثلاث التي وردت في الحديث، و التي لا يقوى كل واحدٍ على الاستمرار في ميدان سبق عندها.

إنَّ السيد عبد العظيم الحسنى عليه السلام ينتسب إلى الإمامين الهمامين الحسنين عليهما السلام و هو أقرب في سلسله النسب إليهما من الإمام الهادى عليه السلام بواسطتين، إذ أنَّ الإمام على الهادى ينتهى نسبه إلى الإمام سيد الشهداء الحسين عليه السلام بسته وسائط، فهو في عمود النسب، السابع من ولد الحسين عليه السلام و الثامن من ولد أمير المؤمنين عليه السلام و فاطمه الزهراء عليها السلام، و أمَّا السيد عبد العظيم فهو ينتهى إلى الإمام الحسن المجتبى بأربعة وسائل فقط.

ففى عمود النسب: يعتبر الخامس من ولد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام والسادس من ولد أمير المؤمنين و فاطمه الزهراء عليهما السلام، و مع هذا نجده متأدباً بين يدي حجه الله و صاحب الولاية، متواضعاً فى أخذ المعارف و العلوم من أهل البيت عليهم السلام، فنفس هذا الأدب و عرض دينه على الإمام الهادى عليه السلام دليل باهر على كمال معرفته و جلاله قدره و إحكام اعتقاده بولايه و إمامه على الهادى عليه السلام، مع أنه الأقرب فى سلسله النسب إلى رسول الله و أمير المؤمنين و فاطمه الزهراء عليهم السلام من الإمام الهادى عليه السلام، و لكنه و لعمق معرفته، كان يعى تماماً أنَّ الوقوف فى وجه مقام الولاية و الإمامه و الحجّه هو محوٌ وفناء، و أنَّ الإيمان بالولاية يقتضى رعايه أعلى درجات التواضع و الأدب و التسليم و الإطاعه، فهو لا يعتبر نفسه رقماً فى قبال وجود الإمام الهادى عليه السلام و هو حجّه الله على الناس.

و قد عُرفَ مثل هذا التواضع و الأدب عن السيد الجليل عليّ بن جعفر عليه السلام و هو من مشاهير و أعظم علماء و محدّثي أهل البيت عليهم السلام و صاحب تأليفات و

آثار مهمه، فلقد كان تام الانقياد و التسليم للإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام، مع أنّ علي بن جعفر هو عمُّ أب الإمام الجواد عليه السلام و أنّه ينتسب إلى الإمام الحسين عليه السلام بثلاث وسائط، بينما ينتسب الإمام الجواد عليه السلام بخمس وسائط إلى الإمام الحسين عليه السلام، و كان علي بن جعفر شيخاً كبيراً و لم يكن الإمام الجواد عليه السلام قد تجاوز مرحله الصبي و الشباب، و مع ذلك كان هذا السيد الجليل يظهر كمال الأدب و الاحترام و يقبل يد الإمام الجواد عليه السلام.

الأولى: الحديث سنداً

الثانية: الحديث لفظاً و دلالة

سند الحديث

إنَّ سندَ الحديث و بحسب ما جاء في كتاب «كمال الدين» للصدوق هو:

«حدثنا علي بن أحمد بن موسى الدقاق و علي بن عبد الله الوراق - رضي الله عنهما - قالوا: حدثنا محمد بن هارون الصوفي قال: حدثنا أبو تراب عبد الله بن موسى الروياني عن عبد العظيم الحسني»^(١)

و سند الحديث في كتاب التوحيد للصدوق أيضاً هو:

ص: ١٧٩

١- كمال الدين، الباب ٣٧، ما أضربه الهادي عليه السلام من وقوع الغيبة: ص ٣٧٩ ح ١.

حدثنا علي بن محمّد بن عمران الدّقاق - رحمه الله - | وعلّي بن عبد الله الوردّاق قال: حدّثنا محمّد بن هارون الصوفى قال: حدّثنا أبو تراب عبيد الله بن موسى الرويانى عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى (١).

و ما نراه هو إنّ هذا السند و إنّ لم يُعدّ صحيحاً أو حسناً بحسب الاصطلاح الحديثى، ولكن إذا اعتبرنا أنّ الصحيح هو ما يمكن الإطمئنان له، كان هذا الحديث صحيحاً، فإنّ مثل الصدوق قد ذكره فى عدّه كتب فى مقام الإحتجاج به على صحه المذهب، مضافاً إلى أنّه ترصّى على راويين من رواه السند و هم من مشايخه يعنى على بن أحمد و على بن عبد الله أو عبيد الله.

و الظاهر أنّ محمّد بن هارون و عبد الله أو عبيد الله بن موسى و هما من مشايخ الصدوق بواسطه، كانا معروفين عنده أيضاً و من رواه الأحاديث.

أضف إلى ذلك احتمال كون محمّد بن هارون هو محمّد بن هارون بن عمرانّ و الذى يُعلم جلاله قدره من كتاب الارشاد و الكافى و كمال الدين.

و أمّا عبد الله بن موسى الرويانى، فالظاهر أيضاً أنّ الصدوق قد إعتد على روايته فى مثل «كمال الدين» و «التوحيد»، هذا و قد صرّح صاحب «روح و ريحان» و «جنّه النعيم» بحسن حاله.

و فوق هذا كلّه، فإنّ جمعاً من الأعاضم قد احتجّ فى مؤلفاته بهذا الحديث و إستند عليه، كما فى الكتب التالىه: ٧.

ص: ١٨٠

١- التوحيد: ص ٨١، باب ٢، ح ٣٧.

١ - \صفات الشيعة.

٢ - \كمال الدين.

٣ - \التوحيد.

٤ - \كفايه الأثر.

٥ - \أعلام الورى.

٦ - \كشف الغمه.

٧ - \روضه الواعظين.

٨ - \كفايه المهتدى (الأربعين).

٩ - \العوالم.

١٠ - \بحار الأنوار.

١١ - \الإنصاف.

١٢ - \إثبات الهداه.

و غيرها من الكتب.

و على هذا، و بالأخذ بنظر الإعتبار أنّ هناك شواهد كثيره فى سائر الروايات على مضمون هذا الحديث، و عدم وجود شاهدٍ على ضعفه و وضعه و جعله، يكون هذا الحديث معتبراً سنداً و متناً، و يمكن الاعتماد عليه.

ص: ١٨١

و أود أن أشير إلى نقطه هنا، و هي: أن نظري القاصر في الروايات التي لم يذكر بعض الرجال أسانيدھا في كتب الرجال المتداوله و التي تختص بذكر رجال الاسانيد مثل «الكافي» و «من لا يحضره الفقيه» و «التهذيب» هو إنَّ مثل هذه الروايات إذا ذكرت في كتب مثل مؤلفي تلك الكتب المختصه أو من طرازهم و المقاربين لزمانهم أو السابقين على عصرهم، و لم تكن متونها مشتملة على مطالب ضعيفه و مستغربه، و خاصه إذا كان في سائر الروايات ما يتضمن مثل تلك المداليل، كان بالإمكان الإعتماد على مثل هذه الروايات، فإنَّ ظاهر روايه هؤلاء الأعاضم لها دليل، على إعتمادهم عليها و قبولها.

أجل: إذا كان هناك قرينه في البين على إنَّ المؤلف كان في مقام جمع مطلق الأخبار، دون الإعتماد عليها، لم يكن نقل الروايه مع جهاله الراوى موجبا للإعتماد عليها و قبولها.

و لذا، فإنَّ مثل كتاب «التوحيد» للصدوق أو «كمال الدين» أو «غيبه الشيخ

الطوسي» أو «غيبه النعماني» لا- يمكن ترك الروايات الواردة فيها إذا لم يرد قدحٌ ظاهرٌ ثابتٌ لسندها أو متنها و عدم الاعتناء بقبولها من قبل مؤلفي تلك الكتب لمجرد أن واحداً أو أكثر من روايتها مجهول، في حين أن السيره العقلانيه قائمه على الأخذ بالاخبار المرسله التاريخيه إذا لم تقم الشواهد الثابته على ردّ مضمونها فضلاً عن دلالة الشواهد على مضمونها.

و على أيّ حال، و بالإلتفات إلى الروايات الكثيره الأخرى، يكون مضمون هذه الروايات مقطوع الصدور عن الائمه عليهم السلام و خاصه هذه الروايه فإنها ليست بأقلّ من سائر أخبار الآحاد المعتمده، و لذا فإن العلماء اعتمدوها، و إنّ الأفاضل شرحوها، حيث نقل إنّ من جمله من تناولها هو المرحوم القاضي سعيد القمي حيث كتب فيها شرحين مفصلين.

ص: ١٨٣

روى الصدوق فى كمال الدين الحديث بهذا اللفظ:

«قال: دَخَلْتُ على سَيِّدِي على بن مُحَمَّدٍ عليهما السلام»

إنَّ شرح الحقائق الدقيقه التى يتضمنها هذا الحديث الشريف بشكل وافٍ و إن كان مستعصياً على أمثالى، بل قد يكون خارجاً عن قدره الكثير من الأعظم و شرحه بالشكل المتعارف يحتاج إلى فرصه كافيه و مجالٍ واسع، و لكن انطلاقاً من «ما لا يُدركُ كُله لا يُترك كُله» سنحاول و بنحو الإختصار تفسير و بيان معنى ألفاظه جملةً فجملة، مستمدّين العون من الله تعالى و مستجدين عنايه الإمام الهادى عليه السلام على ذلك.

«١ - قال: دَخَلْتُ على سَيِّدِي على بن مُحَمَّدٍ - عليهما السلام - فَلَمَّا بَصَرَ بِي قال لى: مَرَحَباً يا أبا القاسم، أنتَ وئينا حقاً»

و هنا أمور مهمه لابدُّ من الإشاره اليها:

أولاً: تكريم و تعظيم السيد عبد العظيم الحسنى للإمام الهادى عليه السلام و وصفه

ثانياً: تلتطف الإمام الهادي عليه السلام و عنايته بالسيد عبد العظيم و ترحيبه به و مخاطبته بكنيته (أبو القاسم)، مما يدل على إحصرامه.

ثالثاً: وصف الإمام عليه السلام للسيد عبد العظيم بالولي الحقيقي، و هذا تصديق مهم من قبل الإمام مع الأخذ بنظر الإعتبار ما في الروايات و الأحاديث من مدح لتولي أولياء الله، و هو دليل على عظمه مقام السيد عبد العظيم، و من أهم ثمار هذا التولي هو حشر الولي مع إمامه يوم القيامة بمقتضى «يُحْشَرُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». (١) - ٢ - قال: فَقُلْتُ لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ دِينِي فَإِنْ كَانَ مَرْضِيًّا ثَبَّتْ عَلَيْهِ حَتَّى الْقِيَامَةِ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ»

«٣ - قال: هاتِ يا أبا القاسم»

«٤ - قال: إِنِّي أَقُولُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاحِدٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»

إنَّ لفظ الجلاله «الله» هو أشهر أسماء الله الحسنى و اليه تنسب الأسماء الأخرى كالرحيم و الرحمن و الغفار و التواب و الخالق، فيقال: أَنَّها من أسماء الله، و لا يقال: إِنَّ الله اسم من أسماء الرحيم أو الخالق أو الرزاق أو الواحد أو الأحد، و السرفى ذلك هو إِنَّ «الله» اسم للذات المقدسه للبارى تعالى، و أمّا البارى، و الخالق، و العليم، و العلام، و القدير، و الاسماء الاخرى هى أسماء ١.

ص: ١٨٦

لصفات الذات أو صفات الأفعال له عزوجل.

و الحاصل، إنّ هذا الإسم الجليل يطلق على الذات الإلهيه الجامعه لكل صفات الكمال، و مقدّم على سائر الأسماء، و حاوٍ لمعاني كل الاسماء الحسنی، و أمّا الأسماء الاخری، فإنّ كلّ واحدٍ منها يدلُّ على أحد تلك المعاني لا كلّها.

فمثلاً إسم «القادر» الشريف، يدلُّ فقط على قدره الحق تعالى و لا يدلُّ على علمه، و إن دلَّ على بعض الأسماء الاخری كالحیّ فعلاً، فإنّ ذلك من باب الإلتزام، لا أنّ مفهوم ذلك الإسم هو المعنى المطابقى للقادر.

و الأمر الآخر هنا: هو إنّ المشار اليه و مرجع الضمير فى مثل قوله تعالى: «إنَّه حميدٌ مجيدٌ» أو «إنَّه على كلِّ شىءٍ قدير» هو لفظ الجلاله، و أمّا فى مثل قوله تعالى: «هو الله لا إله إلا هو» فقد يكون الضمير الأول هو ضمير الشأن، أو أنّه إشاره إلى الذات و مسمّى «الله»، كما إنّ الضمير الثانى قد يكون إشاره إلى الذات الإلهيه المقدسه، و قد يكون راجعاً إلى «الله».

و على أىِّ حالٍ، فإن كتب شروح الأسماء الحسنی و كتب الأدعيه الشريفه، تناولت هذا اللفظ الذى هو أجلُّ الألفاظ و اشرف الكلمات، باسهاب و تفصيل، كما أنّ الروايات الوارده فى فضيله هذا الاسم الشريف كثيره و من جملتها ما ورد عن الصادق عليه السلام من أنّ من قال عشر مرات «يا الله» فسيقال له:

«لَبَّيْكَ عَبْدِي، سَلْ حَاجَتَكَ تَعْطَهُ» (١) ٧.

ص: ١٨٧

١- وسائل الشيعة، باب أنّه يستحب أن يقال فى الدعاء...: ج ٧ ص ٨٨ ح ٨٨٠٧.

و أمّا «الواحد» فهو أحد الأسماء الحسنی، و لكن هناك عنایه خاصه بخصوص هذا الاسم و إسم «الاحد» من بین سائر الأسماء، و بالاقرار به من خلال كلمه التوحيد التي لا يتحقق إسلام الشخص إلا بها، و بالإعتقاد بمعناها و أنه لا يتحقق الإيمان الا بإدراك معنى هذا الاسم الشريف و الإعتقاد به.

و بحسب ما جاء فى روايه الصدوق فى «التوحيد» عن أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ إطلاق «الواحد» على الله تعالى له معنيان: أحدهما: أنه لا شبهه له و لا نظير.

ثانيهما: أنه لا يقبل الإنقسام لا فى عالم الوجود الخارجى و لا فى العقل و لا فى الوهم، بمعنى أنه لا يتصور التركيب و التجزئه فيه. (١) و بعد هذه المقدمه القصيره نقول:

إنّ السيد عبد العظيم قال: أقول إنّ الله تبارك و تعالى واحد، أى ليس له عضوٌ و لا جزءٌ و لا عدیل و لا نظير، و لا شريك له و لا شبهه و لا مماثل، «ليس كمثله شىء» فالكلُّ مخلوق و هو خالق، و الكلُّ فقير و هو الغنى، و الكلُّ عاجز و هو القادر المقتدر، و الكلُّ مسبوق بالغير و هو السابق على الكلّ، فلا شىء مثله.

سواءً كان ذلك الشىء خارجياً أو ذهنياً، و سواء كان شيئاً أو جزء الشىء، و سواء كان ذلك الجزء مما به الامتياز عن الاشياء الاخرى، أو كان مما به الاشتراك الحقيقى معها. ٣.

ص: ١٨٨

إذن، فهو شيءٌ و لا شيءٌ هو، و بهذا يُعرَف بأنَّ كلَّ ما نقوله أو نراه أو نتصوره في أذهاننا، فهو غير الله، لان معنى عدم المثلث هو أنه غير أي شيء على الاطلاق و إلا لزم أن يكون له مثل.

« ٥ - \خارج عن الحدّين حدّ الإبطال و حدّ التشبيه»

و لشرح و تفسير هذه الجملة العميقة و الدقيقة لا بد من ذكر نقطه و هي: أنه ورد في الروايه عن الإمام الجواد عليه السلام ما يستفاد منه أنّ توصيف الباري عزوجل ب (الخارج عن الحدّين حدّ الابطال و حدّ التشبيه) هو توصيف ذاته جلّ شأنه بهذا الوصف، يعنى ان ذاته خارجه عن هذين الحدّين (١)هـ.

ص: ١٨٩

١-) لا يخفى أنه في النسخه المطبوعه، إبتداءً ربط البحث في جمله الأبطال و التشبيه بالصفات، و قد بينا رأينا هناك بأنه و بملاحظه هذه الروايات الوارده يتضح لنا بأنّ البحث مرتبط بالذات، و لكن و لأنّ أصل ذلك المطلب صحيح في حدّ ذاته أيضاً، و يرتبط نوعاً ما بكلّ البحث و جمله (خارج عن الحدّين) تشمل بإطلاقها البحث في الصفات، لذا سنأتى بوجهه نظرنا تلك في هوامش هذا الكتاب: الخارج عن الحدّين... يعنى أنّ الله ليس محدوداً بهذين الحدّين و ليس معرّفاً بهذين التعريفين: الأول: حدّ الإبطال و هو القول بنفى الصفات الثبوتيه له بالمرّه، و هذا القول ناشى عن الإفراط في الحذر من القول بالتركيب و إثبات صفه له عزّ اسمّه، و نتيجة هذا الرأى هي القول بأنّ الباري تعالى - \نعوذ بالله - \فاقد لصفاتٍ مثل العلم و القدره. الثانى: حدّ التشبيه، و هو القول بتشبيه الباري بالخلق و إنّ العلم و القدره و بعض الصفات الأخرى خارجه عن ذاته و حاله حال سائر الموجودات، و الحقُّ أنّه هنا لا بد أيضاً من القول بالأمر بين الامرين و أن نعتقد بأنّ صفاته هي عين ذاته، لا أن ننفي عنه الصفات، فإنّ ذلك مخالف للعقل و الشرع، و لا- أن نشبهه بخلقه و نعتبر أن تلك الصفات أمور زائده عن ذاته فكما أن ذاته منزّه عن الشبيه فكذلك حقيقه صفاته التي هي عين ذاته منزّه عن معرفتها. فنحن نعلم بان علمه ليس امراً زائداً على ذاته مثل علم المخلوقات، كما نعلم بأنه عالم بكلّ شيء في العالم و عليم به.

١ - \روى العلامة المجلسي - \رضوان الله تعالى عليه - \عن كتاب المحاسن للبرقي أنه سُئل الإمام الجواد عليه السلام:

«أ يجوز أن يُقال لله أنه موجود؟ قال: نعم تُخرجه عن الحدّين حدّ الإبطال و حدّ التشبيه»^(١)

٢ و ٣ - \روى الصدوق - \أعلى الله مقامه - \روايتين عن الإمام الجواد عليه السلام بانه سُئل: «أ يجوز أن يُقال إنَّ الله عزَّوجل شيء؟

فقال: «نعم تُخرجه عن الحدّين حدّ التعطيل و حدّ التشبيه»^(٢).

شرح و بيان:

حدّ الإبطال و التّعطيل هو أننا كما ننزه الذات عن أن تكون موضوعاً لحمل عناوين مثل الجسم، و الجوهر، و سائر العناوين الخاصه التي تطلق على المخلوقات، فكذلك ننزهه عن أن يكون موضوعاً لحمل العناوين العامه كالشيئيه و الموجوديه أيضاً، و حدّ التشبيه أن نحمل على الذات ما يمكننا أن ا.

ص: ١٩٠

١- بحار الانوار: ج ٣ ص ٢٦٥.

٢- التوحيد، باب ٧، ح ١ و ٧، ص ١٠٤، الأصول في الكافي، كتاب التوحيد، باب إطلاق القول بأنه شيء، ج ٢ ص ٨٢ ح ١.

نتصوره، سواء أكان لهذا المتصوّر فرداً خارجي حيث يستلزم الشرك أم لم يكن، وكان وجوداً ذهنياً فحسب.

و بعبارة اخرى نقول: لأنَّ كُنه و ماهيه الله المتعال منزّه عن التصور و التوهم، إذن فكُلّ ما يمكن تصوّره إذا قيل أنه هو، فليس ذلك صحيحاً، فما ذلك التصور هو الله و لا يمكن حمله عليه و لا يصدق عليه، إذ فرض صدقه عليه يستلزم التشبيه بغيره.

و بعبارة اخرى: إنَّ كُنه ماهيه الله تعالى لَمَّا كانت منزّهه عن التصور و التوهم، لذا فإنَّ كُلّ ما يمكن تصوّره إذا حمل على الذات و قيل أنَّه هو، فليس هو و لا- يمكن حمله عليه و لا- يصدق عليه ذلك، إذ أنَّ فرض صدق هذا الحمل يستلزم التشبيه بغيره، و نتيجة ذلك هي: إنَّه إذا لم يُحكّم على الذات بحكّم و لم يُخبر عنها بخبر فهذا هو التعطيل و الابطال، و ترك الاعتراف و الاقرار بها. إذا حكم عليها بحكّم و قيل عنها أنها شيء متوهم و متصور في الذهن، فهذا هو التشبيه بالأشياء المتصوره، فالشخص بين أمرين و محذورين، الإلتزام بأيّ منهما باطل فلا بد من الخروج عن هاذين المأزقين و الإعتراف و الإقرار بالذات و لتوضيح هذا المطلب الدقيق نقول:

إنَّ الإخبار عن الصفات و الاسماء الحُسنى مثل الخالق و القادر و الرزاق و العالم و اطلاقها على الله تعالى، أمرٌ صحيح يقيناً و قد نطق الكتاب و السنّه بذلك، و كذلك سلب الصفات السلبيه عنه عزّ اسمه صحيح و لا إشكال فيه، مع أنَّ صحه هذا الاطلاق تتوقف أيضاً على جواز الاخبار عن الذات و الاعتقاد بها، و هو بين المحذورين السابقين.

و على كل حال، فإنه لا يصحّ الإخبار عن كنه و حقيقه الذات الإلهيه تعالت و جلت بأنها شيء معيّن حتى لو كان في الذهن، لأنّ تصور ذاته و كنهه غير مقدور لاحد حتى الأنبياء أولى العزم و الملائكه المقربين، إذن، فلا يمكن أن تكون الذات بعنوان القضية الموجبه موضوعاً لاثبات محمول و عنوان خاصّ أبداً، و لا يصدق عليه مثل تعريف الإنسان بالحيوان الناطق أو الجواهر أو العرض و التي تصدق على الإنسان، فذاته المقدسه تأتي عن التعريف لأنّ ذلك فرع إمكان تصور كنهه و حقيقته و هو محال، و كلّ ما قيل من أنه ذات الله و كنهه فهو يستلزم المحذورين و يتوقف على محالين و هما:

الاول: تصور و معرفه كنه و ذات البارى تعالى.

الثانى: تشبيهه بالغير و بما يتصور في الذهن.

و الحاصل هو أن الإخبار عن ذات و كنه الله عزوجل، أمرٌ دائر بين التعطيل و الإمتناع عن الإخبار و الاقرار أو الإخبار و التشبيه، و كلاهما باطل و الخروج عن هذين المحذورين، انما يكون فقط بما ذكره الإمام الجواد عليه السلام بحسب ما جاء في هذه الروايات، و ما ذكره السيد عبد العظيم في قضية عرض دينه على الإمام عليه السلام من إنّ الله تعالى خارج عن هذين الحدّين و إن لم يُبين تفصيل كيفية ذلك الخروج، و كأنّه إكتفى بوضوح ذلك الأمر فيما بينه و بين الإمام عليه السلام، و حاصل هذه الروايات هو الاقرار و الاعتراف و الاعتقاد بالذات بانها موجودٌ و شيءٌ بدون القول بالتشبيه، و الله هو العالم بذاته و صفاته و نعوذ بالله أن نقول فيه ما لم يقله هو سبحانه و تعالى، و أنبياؤه و أولياؤه.

و في كتاب «التوحيد» الشريف، روى أنّ ابن أبي نجران قال: سألت أبا

جعفر الثانى (الإمام الجواد عليه السلام) فقلت: «أتوهم شيئاً» أى أتوهم الله تعالى شىء. «فقال: نعم غير معقول ولا محدود فما وقع وهمك عليه من شىء فهو خلافه لا- يشبهه شىءٌ ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل و خلاف ما يتصور فى الأوهام، إنما يتوهم شىء غير معقول ولا محدود»(1)

و للعلامه المجلسى - رضوان الله تعالى عليه - بيانٌ فيما يرتبط بهذا الحديث يقول فيه: إن المفاهيم والمعانى على قسمين، مفاهيم لها عموميه و شمول و لا يخرج عنها شىءٌ من الأشياء الذهنيه و العينيه منها: مثل مفهوم الشىء و الموجود و المخبر عنه، و لذا فهى تطلق أيضاً على ما لا يقبل التعقل و التصور و غير المحدود.

ومفاهيم عند اطلاقها يمكن توهم و تصور مصاديقها.

وإطلاق المفاهيم من القسم الأول على الله المتعال هى إثبات و نفي إنكارٍ و إبطال و تعطيل، و نفي إطلاقها على الله تعالى هو إبطال و تعطيل و إنكار.

و لذا نجد أن الإمام عليه السلام يجيز أن يقال «الله موجود» أو «الله شىءٌ»، إذ لا يتصور له مصداق فى الذهن، و لأن المفهوم عام يصدق على غير المتصور، و المنتزه عن التصور، بل ليس به مفهومٌ متصور و مصداقٌ ذهنى خاص، فيصدق إطلاقه على البارى تعالى، و كل ما يتصور فى الذهن من المفاهيم فلا يعقل أن يكون هو الله، و أن الله ليس ذلك الشىء و هو منتزه عنه، و لذا فإن إطلاقه ٦.

ص: ١٩٣

١- التوحيد: باب ٧، ص ١٠٦، ح ٦.

«الشيء» و «الموجود» على ذات البارى عزوجل، خارج عن حدّ التعطيل و مأذون و مجاز، و إثبات، و نفى «الشيء» و «الموجود» عنه تعالى فى حدّ الإبطال و الإنكار و التعطيل غير مأذون و مجاز.

و بالجمله، يمكن القول أنّ المستفاد من هذه الأحاديث و الروايات هو: لما كانت معرفه حقيقه الذات و كنه الحق تعالى محاله، و أنّ الشيء غير المحدود لا يقبل التعقل و التصور، فلا يوجد لفظ و إسمٌ و عنوانٌ يدل عليه، و فى مقام التعريف و الإشاره إلى تلك الذات يقتصر فقط على إستعمال العناوين العامه مثل «موجود» و «شيء» و «حقّ» و «ثابت» و هذا نهايه التعريف و معرفه الذات الإلهيه المقدسه، و الذى ينبغى أن يعرفه الجميع، و إذا قال أحدٌ أنّه «ليس بموجود» أو «ليس بشيء» أو «ليس بحقّ» حذراً من التشبيه، كما يخبر عن تلك الذات بأنها ليست جسماً و لا صوراً و لا جوهرراً و لا عرضاً، فإنّ ذلك الحادّ و تعطيلٌ و إنكار، بخلاف الأول الذى يعدّ إيماناً و إقراراً و إقراراً، و هذا هو أيضاً جواب للشبهه القائله: إذا كان الله تعالى لا يمكن لاحد أن يتصوره و يتعقله بما نتصور و نتعقل به الممكنات من الحدّ و التعريف و التوصيف، فكيف يُشار إليه إذن؟

فالجواب: هو أنّه يمكن الإشاره إليه بهذه العناوين العامه من أنّه «شيء» و لا يصح إطلاق غير هذه العناوين عليه، و لا وجود للفظٍ خاص يدلُّ على كنه ذاته حتى لو كان مثل «الوجود بالمعنى» الذى يقوله القائل بأصالة الوجود.

و مثال ذلك: ما لو رأينا نقشاً أو بناءً أو أمراً حادثاً و لم نشاهد النقاش أو البناء أو المحادث، و لم نسمع بوصفه، لكننا مع ذلك نحكم بوجوده و عدم تصور شكله

لا يكون مانعاً عن الحكم بوجوده، فكذلك إستحاله تعقل ذات البارى تعالى، لا تمنع من إطلاق لفظ «الشيء» و «الموجود» عليه والإشارة اليه بها، و غايه و نهايه معرفه الذات هي: «أنه شيءٌ و موجودٌ و ليس كمثلته شيء» و هذا هو معنى أنه خارج عن الحدّين، فهو منزّه عن التعطيل و الإبطال و منزّه عن التشبيه، فإثبات أنه شيءٌ و موجود و قادر و عالم و ليس كمثلته شيء، نكون قد أقررنا و آمننا و إعتقدنا به، و هذا لا-يعنى أن ذاته تعالى هي أمرٌ بين أمرين، بل المقصود هو أنه فيما يرتبط بالإقرار و الإ-عتراف به و قبوله لا-بإد أن نعتقد أنها أمرٌ بين أمرين، بمعنى أنه حصل الاقرار بوجود الله تعالى و كذلك حصل تنزيهه عن التشبيه، ففي مقابل الإنكار أو الاقرار و مع تشبيهه كان إثبات الذات و نفي التشبيه بين هذين الأمرين، و بعبارة أخرى، إنَّ مقابل عدم الثبوت أو الثبوت و التشبيه هو الثبوت و عدم التشبيه.

و على أىّ حال، سواءً كان التعبير بالأمر بين الأمرين دقيقاً أو لم يكن كذلك، فالمطلب معلوم، و ليس الكلام فى هويّه و كُنّه البارى تعالى ليقول قائل: إنَّ التعطيل و التشبيه ليسا نقيضين، إذ يمكن ارتفاعهما فلا تعطيل و لا تشبيه، فاذا لم يكن تعطيلاً و لا تشبيهاً فما هو إذن؟

و يقول هو أوسع و هو حقّ، لا بمعنى أنه ثابت، و أنّ له واقعيه و حقيقه و أنه موجد الأشياء و خالقها طبق حكمه و مصلحه، و لا بالمعاني الاخرى التى ذكرت فى كتب التفسير للحق، و التى بيّنها مثل الراغب الاصفهاني فى مفردات القرآن، بل إنّ الحق هنا بمعنى أنّ فى مقابله العدم، لا عدمه هو بل عدم كل الأشياء، و حقٌّ غير متناهٍ و أنّ كل ما هو موجود فهو هو و أنّ غيره باطل و عدمٌ

و هذا المعنى للخارج عن حدِّ الابطال و التشبيه، معنى عجيب لا يخلو من المغالطه، ففي هذه الروايات طرحت مسأله الإثبات و الإقرار بوجود الله و نفى الإبطال و الإنكار و التعطيل، و ليست المسأله مسأله ماهيه الله و لا الحديث عن كنهه جلّ و علا ليقول هذا القائل: أنه الحقُّ أو يقول أنه الوجود غير المتناهي و أنّ غيره باطل حقيقي و عدمٌ محض.

فلا- يستفاد ذلك أبداً من الروايات فالله تعالى هو الله و أنّ ذاته هي ذاته، فلا- يمكن تفسير روايه عرض الدين و الروايات المشابهه لها بهذه المعانى التى قالها بعض العامه فى القرن السابع و بعض الخاصه فى القرن العاشر، فينبغى أن لا تنسب هذه المعانى الى مدرسه أهل البيت عليهم السلام و معارفهم الأصليه.

فالله شىءٌ و موجودٌ أو له وجود، و مثل هذه العناوين العامه يجوز إطلاقها على الله تعالى، و كذلك مثل «الله حقّ» بمعنى أنّه ثابت و أنّه خلق العالم طبق الحكمه و لم يخلقه بالباطل، و أنّ غيره باطل يعنى غير ثابت، و أمّا أنّ «الله حقّ» بمعنى أنّه حقٌّ و وجود و أنّ مقابله باطل و عدمٌ و أنّ وجود أى شىء عداه هو نقيضه، فهذا ما لا- يوافق القرآن و الروايات و الوجدان، و الاسماء الحسنى و الرحمن و الرحيم و الخالق و البديع و الرزاق و المحى و المميت و المعزّ و المذلّ و المجيب و الشافى و الغفّار و التوّاب و... الخ. بل هو مخالف لها.

فوجود الشىء أو عدم وجوده يعنى أنّه موجود أو غير موجود، لا الوجود أو العدم بالمعنى المستقل الذى هو أنّه لا يوجد شىء غير الوجود و أنّ وجوده وجود الوجود و عدمه عدم الوجود.

فَاللَّهُ تَعَالَى حَقٌّ، يَعْنِي أَنَّهُ ثَابِتٌ وَدَائِمٌ وَأَزَلِيٌّ وَأَبَدِيٌّ وَأَنَّ غَيْرَهُ بَاطِلٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ زَائِلٌ وَفَانٍ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ كُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ (١)

وَبِهَذَا التَّوْجِيهِ يَصْدُقُ هَذَا الشَّعْرُ، وَأَمَّا إِذَا قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ حَقٌّ بِمَعْنَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ اللَّهُ، أَوْ أَنَّهُ لَا شَيْءَ سِوَاهُ وَأَنَّ الْأَمْرَ يَدُورُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، إِيمَانِ الْحَقِّ وَالْوُجُودِ أَوِ الْبَاطِلِ وَالْعَدَمِ، وَإِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكُلَّ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي هِيَ بَاطِلٌ، إِذَا كَانَتْ مَوْجُودَةً أَيْضًا، كَمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي هُوَ الْحَقُّ أَوِ الْحَقُّ الَّذِي هُوَ اللَّهُ مَوْجُودًا، كَانَ ذَلِكَ مِنْ قَبِيلِ إِجْتِمَاعِ النَّقِيضَيْنِ وَاجْتِمَاعِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ! فَهَذَا الْكَلَامُ لَيْسَ صَحِيحًا، لِأَنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ لَيْسَا مِنَ النَّقِيضَيْنِ وَاجْتِمَاعُهُمَا مُمْكِنٌ وَالْبَاطِلُ بِمَعْنَاهُ الصَّحِيحُ الَّذِي يَعْنِي أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ مُحَدَّثَةٌ وَلَهَا وَجُودٌ، كَمَا أَنَّ الْحَقَّ وَالْوُجُودَ الثَّابِتَ الْأَزَلِيَّ الْأَبَدِيَّ مُحَدَّثُ الْمُمْكِنَاتِ، مَوْجُودٌ وَمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُودِ هُوَ أَنَّ وَجُودَهُ وَاجِبٌ وَعَدَمُهُ مُمْتَنِعٌ، لِأَنَّ وَجُودَهُ وَجُودٌ وَفِي مَقَابِلِهِ عَدَمٌ، بِمَعْنَى نَفْيِ مُمْكِنِ الْوُجُودِ الْمَوْجُودِ بِالْوُجُودِ.

وَالآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الشَّرِيفَةُ، ابْتِدَاءً مِنْ بِسْمَلِهِ الْفَاتِحَةِ إِلَى سُورَةِ النَّاسِ صَرِيحَةٌ بِهَذَا الْمَعْنَى، فَالرَّحْمَنُ وَالرَّاحِمُ وَالْخَالِقُ وَالرَّازِقُ وَالْمَالِكُ وَالْحَقُّ وَالثَّابِتُ وَالْمَصُورُ وَالْقَادِرُ وَالْحَافِظُ وَالْغَفَّارُ... الخ، مَوْجُودٌ وَكَذَلِكَ الْمَرْحُومُ وَالْمَخْلُوقُ وَالْمَرْزُوقُ وَالْمَمْلُوكُ وَالْمَحْفُوظُ وَالْمَغْفُورُ لَهُ... الخ، لَهَا وَجُودٌ.

وَلَا يَخْفَى، أَنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنْ كَلِمَاتِ الْبَعْضِ هُوَ: لَمَّا كَانَ مَعْنَى الْخُرُوجِ عَنْ حَدِّ ٧.

ص: ١٩٧

١- بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٤٧.

التعطيل أو حدّ التشبيه ليس هو الأمر بين أمرى التعطيل و التشبيه أو الإنكار و التشبيه، إذن لابدّ أن يكون شيءٌ رابع أبعد من هذه الثلاثه، و هو الحقّ و الوجود، بذلك المعنى للحق و هو، الغير متناهى و المقابل للباطل و العدم، و كأنّ هذا البعض يريد القول بأنّ الخروج عن الحدّين لا يكون بإطلاق «الشيء» عليه تعالى و الذى له معنى عام، بل إن الخروج عن الحدّين هو إثبات الذات و الاخبار عن الذات و ما به الذات، و هو الحق و الوجود، و استشهدوا لذلك بالحديث الأول من الباب ٣٦ من كتاب التوحيد، و الذى ينتهى سنده إلى هشام بن الحكم - رحمه الله -، و هو حديث غنى بالمعاني مشحون بالحقائق الراقية فى معرفه الله.

يقول فى ضمن هذا الحديث: و لابدّ من إثبات صانع الأشياء خارج من الجهتين المذمومتين إحداهما النفى إذ كان النفى هو الابطال و العدم، و الجبهه الثانيه التشبيه إذ كان التشبيه من صفه المخلوق الظاهر التركيب و التأليف...

الخ. (١) فيقول البعض: أنّ المستفاد من جمله: «و لابدّ من اثبات صانع الاشياء..» أنّ المراد من «خارج عن حدّ الابطال و حدّ التشبيه» ليس هو الإقرار و إثبات أنّه شيءٌ أو موجودٌ، بل لابدّ من إثبات صانع الاشياء بعنوانه الخاص و بذاته الخاصه و أنّه حقّ و وجودٌ و أنّه غير متناهٍ، و الذى يتضمن نفي الإبطال و التشبيه، و أمّا القول بأنّه شيءٌ، فهو أعم من نفي أو إثبات التعطيل و التشبيه، حتى لو دلّ ٦.

ص: ١٩٨

١- التوحيد للصدوق: باب ٣٦، ح ١، ص ٢٤٦.

على نفى الابطال فانه لا يدل على نفى التشبيه و لذا يقول فى الروايه أنه لابد من إثبات صانع الاشياء بنحو ينفى التعطيل و التشبيه معاً.

و من هنا يمكن القول بأن قول السيد عبد العظيم «خارج عن الحدّين» هو عبارته أخرى عن «الحقّ» و «الوجود» و «غير المحدود» و «غير المتناهي» و لكن ذلك السيد الجليل، اعترف بالخارج عن الحدّين، إما بنحو الإجمال مع أنه آمن بالحق و الوجود مع عدم معرفته بان الخارج عن الحدّين هو الحق و هو الوجود، و إمّا أنه اعترف بذلك مع معرفته بان الخارج عن الحدّين هو «الحقّ» و «الوجود» و لكنه اكتفى بذلك التعبير لدلالته عليه.

الجواب:

أمّا ما يرتبط بانّ القول بأنّه «شئٌ» أو «موجودٌ» هو إخراج عن حدّ التعطيل و التشبيه فيبانه هو أنّ التشبيه إمّا فى الذات أو فى الصفات، و ما تشير اليه الروايه هو إنكار الذات أو تشبيه الذات، و القول بأنّه شئٌ أو موجودٌ، لا هو تعطيلٌ و لا هو تشبيه و إمتناع عن القول بالتعطيل و التشبيه.

وظاهر الرويات هو أنّ السائل كان خائفاً من الوقوع فى التعطيل و التشبيه، فكان محتاراً فى إختيار اللفظ الذى يثبت به الذات الالهيه و يُخبر عنها، و لذا، سأل الإمام عليه السلام عن لفظ «الشئ» و لفظ «الموجود» فاجابه الإمام عليه السلام بانّ هذين اللفظين ليس فيهما خطر التعطيل و التشبيه بل و فيهما الخروج عن هذين الحدّين.

كما أنّ المستفاد من روايه هشام، لا يعدو هاتين الصفتين، «هو صانع

ص: ١٩٩

الأشياء» و «هو خارج عن الحدين»، و الصفه الاولى ثبوتيه و الصفه الثانيه تنزيهيه، أى: إنّه منزّه عن الحدين و إنّ التعبير عنه بالشىء لا يشتمل على مفهوم التعطيل و التشبيه، بل إنّ فيه دلالة على إثبات الذات.

و بعابه أخرى، إنّهُ أطلق عليه لفظاً ليس فيه مفهوم الابطال و لا التشبيه، إذ فى مقام الاخبار عنه عزّ إسمه، قد يتلفظ بلفظ يشتمل على مفهوم الإنكار أو التعطيل و التشبيه مع أنّ الالفاظ يُنزه ذلك الإله عن التعطيل و التشبيه واقعاً، و أمّا لفظ «الشىء» و «الموجود» فانه يدلّ على الذات و الإقرار بها فقط، بدون الدلالة على تلك المفاهيم المحذوره.

و نضيف فى خاتمه هذا البحث الدقيق، أنّ البعض قالوا:

ليس المراد من الابطال و التعطيل، ترك إثبات وجود الله تعالى، و الذى هو بديهى، بل إنّ المراد من ذلك، التعطيل فى التعبير عن حقيقه ذات الالوهيه بالألفاظ، و تعطُّل العقل عن معرفه ذاته عزّ إسمه، إذ لا يوجد لفظٌ دالّ على ذلك الوجود، فيكتفى فى إثبات تلك الذات المقدسه و الاعتراف و الاقرار بها، باطلاق تلك العناوين العامه مثل «شىء» و «الوجود» و «ثابت»، كما إنّ الأسماء الحسنى مثل القادر و العالم و باعتبار دلالتها على الذات أو الشىء الموجود الذى له قدره و علم، تدلّ على الذات و الصفه كليهما، و إثباتها أيضاً إثبات للذات و للشىء.

يقول العلامة المجلسى: «حدّ التعطيل هو عدم إثبات الوجود و الصفات الكماليه و الإضافيه له، و حدّ التشبيه الحكم بالاشتراك مع الممكنات فى

أقول: اذا كان حدّ التعطيل ما ذكره بالتفصيل فلا يخرج منه بالقول بانه شىء.

و حدّ التشبيه لا ينحصر بالاشتراك مع الممكنات فى حقيقه الصفات، بل يكون بالاشتراك فى حقيقه الذات مثل ما يقوله القائل بأصالة الوجود و الله هو العالم و نستغفره و نتوب اليه من الورد فى المباحث التى لم يكلفنا بالورد فيها لعجز عقولنا عن إدراكها أو لصعوبه فهمها و لكونها من مزال الاقدام و لا حول و لا قوه الا بالله العلى العظيم.

«٦- أو إنه ليس بجسم و لا صوره و لا عرض و لا جوهر»(٢)

فلا- هو بجسم و لا- صوره، و لا- هو عرض و لا- جوهر، و لا- فرق فى سلب الجسميه و الصورتيه و العرضيه و الجوهريه، سواءً فسّرناها طبقاً لإصطلاح أهل المعقول كما نقل عن المحقق الطوسى - عليه الرحمه - أو فسّرناها بالمعنى العرفى و الذى يبدو أنه أظهر، و هو أنّ الجسم بمعنى الجسد أو الشىء الذى له الأبعاد الثلاثه (الطول و العرض و العمق)، و إنّ الصوره بمعنى التشكّل بشكل يتميز به عن الأشكال الاخرى، و العرّض فى الإصطلاح العرفى هو الشىء القائم بالغير و فى المحل.

و بعبارة أخرى: الجوهر الذى هو عرفاً فى مقابل العرض، لا الجوهر الذى هو.

ص: ٢٠١

١- مرآه العقول، كتاب التوحيد، باب إطلاق القول بأنّه شىء: ج ١ ص ٢٨٢ ذيل ح ٢.

٢- و لو أن جمله (ليس كمثل شىء) تدلّ بالالتزام على تنزّه البارى عن الجسميه و سائر صفات و ذاتيات الممكنات، لكن جمله «ليس بجسم...» تدلّ على ذلك بالمطابقه.

فى مقابل المعانى الاخرى و الذى ينقسم فى الاصطلاح الى خمسة أقسام، و أحد قسمى الممكن، و أما الجوهر بمعنى ذات الشىء و حقيقه الشىء فليس مراداً.

و على كل حال، فالله تعالى، منزّه عن هذه المعانى، أعم من أن يكون المقصود هو المعانى الاصطلاحيه أو كان المقصود، المعانى العرفيه فى مقابل المعانى الاخرى.

«٧- ابل هو مجسم الأجسام و مصوّر الصور و خالق الأعراض و الجواهر»^(١)

إنّ الأجسام و الأعراض و الجواهر و الصور، لم توجد من قبل نفسها، كما أنّ وجودها ليس قديماً و دائماً، و لا أنها غير محتاجه لخالق و موجد، فكما يصرّح القرآن الكريم: «أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون»^(٢)

فجواب هذا التساؤل الشريف فى الآيه، هو النفى بداهه و فطره، فمثل هذا الوجود غير متصور و ممتنع، فكلّ هؤلاء عاجزون عن إيجاد أنفسهم، كما أنّ كسب الوجود من أمثالهم محالّ أيضاً، كما لو طلب محتاج من محتاج شيئاً، و طلب مقروض من مقروض ديناً.

و عليه، اذا كان الله تعالى و هو مجسم الأجسام و مصوّر الصور، جسماً أو صورة، كان محتاجاً إلى مجسم و مصوّر. ٥.

ص: ٢٠٢

١- أمالى الشيخ الصدوق: ص ٤١٩.

٢- الطور: الآيه ٣٥.

لذا، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«بَشَعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشَعَرَ لَهُ، وَ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ» (١)

«٨- أَوْ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ مَالِكُهُ وَ جَاعِلُهُ وَ مُحْدِثُهُ»

الرَّبُّ، بمعنى المرئى و موصل الشىء من النقص إلى الكمال، و هذا المعنى للتربيه متصور فى الموجودات التى ليس لكل أو بعض كمالاتها فعلية و لكنها حائزه على الإستعداد للكمال بالقوة، لتكون تربيتها مؤثره، و لإيصالها من النقص إلى الكمال و من القوة إلى الفعلية.

و على هذا، تدلُّ جملة «رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ» على أَنَّ كل الأشياء بحاجة إلى تربيه، و ليس لها الفعلية المستغنية عن المربى، حتى لو كانت من قبيل المجردات و العقول، التى يعتقد القائلون بوجودها أنها فعلية محضه، فالقول بها و أَنَّ صدور المخلوقات غير المجردة لابدَّ أن يترتب على صدورها و خلقتها، مستلزمٌ لعيوب و مفاسد عديدة.

والمعنى الآخر للرَّبُّ هو السيد و الصاحب و المالك. و من يصنف المخلوقات إلى صنفين، لابد أن يقول بأن إضافه «رَبِّ» إلى كلِّ شىء، يفيد أن المراد من الربِّ هو المعنى الثانى، إذ بعد فرض أَنَّ المخلوقات على قسمين تكون إضافه «رَبِّ» إلى كلِّ شىء جاعلةً المعنى الأول بحاجة إلى تفسير و تأويل و توجيه.٦.

ص: ٢٠٣

و عليه، يكون المعنى هو إنَّ من أوصاف الله تعالى هو أنَّه صاحبُ كلِّ شيءٍ و مالكه، و جاعلُه و موجدُه.

و لا- يخفى أنَّ الصفات التي وردت في هذه الفقرات من كلام السيد عبد العظيم في مقام عرض الدين، هي بعض الصفات السلبية و بعض الصفات الثبوتية الفعلية، التي مصدرها الصفة الثبوتية الذاتية، لأنَّ كلَّ الصفات الفعلية ترجع إلى صفة العلم و القدره، و تدلُّ على صدور الفعل و الظهور الخارجي للقدره.

و المطلوب الدقيق هنا هو إنَّ عدّه مسائل اخرى ترتبط بعرض العقائد و التي لم يبيّنها السيد عبد العظيم الحسنی، كالإعتقاد بالعلم و قدره الله، و مسأله الكلام و الإراده، و يبدو أنَّه أوكلها لوضوحها، مضافاً إلى استفادتها بالملازمه من تلك الجمل، لا أنَّه غفل عنها تماماً.

و قد يكون المراد و المقصود هو بيان العقائد المختلف فيها بين الشيعة و سائر الفرق الاسلاميه، و خاصه الأشاعره، و إنَّ الغرض هو بيان العقيدة الحقّه في هذه المسائل الخلافية، و بعض الجمل الاخرى ناظره إلى هذا المعنى أيضاً.

و الأمر المهم هنا هو إنَّ هذا الوصف للبارى عزوجل، إما هو للصفات الثبوتية الفعلية، أو للصفات السلبية للذات الإلهية المنزهه عنها، و لا يستفاد إثبات الصفات الثبوتية الذاتية إلا من جملة «خارج عن الابطال»، و أمّا ما يرتبط بكنهه و حقيقه هذه الصفات التي هي منزّهه عن الإدراك مثل تنزه الذات عن إدراكها من قبل المخلوقات فلم تتعرض له أىّ عباره، و ذلك لأن الكلام عنها منهيٌّ عنه و ممنوع.

و من هنا يُعلم عدمُ جواز البحث في هذه الصفات الذاتية كالعلم و الحياه و الذى يرتبط بحقيقه هذه الصفات، و أنّ البحث فيها قد يوجب الضلال و الإضلال.

و ما أجمع و أتمّ و أكمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى حيث يقول:

«دَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ، وَ الْخَطَابُ فِيمَا لَا تُكَلِّفُ وَ أَمْسِكْ عَن طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنَّ الْكُفَّ عِنْدَ خَيْرِهِ الضَّلَالَةَ خَيْرٌ مِّنْ رَّكُوبِ الْاَهْوَالِ»^(١)

و ما أروع ما أنشأه الفاضل المعتزلى ابنُ أبي الحديد:

و الله لا موسى، و لا، عيسى المسيح و لا محمد .

ص: ٢٠٥

١- وسائل الشيعة، كتاب القضاء، باب وجوب التوقّف و الاحتياط في القضاء، ح ٣٣٤٦، ح ٢٠، ج ١٨ ص ١١٧.

«٩ - وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتِمُ النَّبِيِّينَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ شَرِيْعَتَهُ خَاتِمَةَ الشَّرَائِعِ فَلَا شَرِيْعَةَ بَعْدَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

الجملة الاولى من هذه الفقره هي نفس العبارة التي نرددها تسع مرات يومياً في صلواتنا اليومية «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» و يُستفاد من هذه الجملة الشريفه، عظمه مقام العبودية لله، و بطبيعته الحال فإن الجميع هم عباد الله بالمعنى العام بهذه الكلمة، أى: أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ هُمْ فِي مَلِكِيَةِ اللَّهِ وَ تَحْتَ إِرَادَتِهِ وَ أَمْرِهِ، وَ لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَ لَا ضَرًّا، وَ إِنَّ نَشَاتِهِمْ وَ نَمُوهُمْ وَ تَكَامُلُهُمْ كُلُّهَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَ كَمَا وَرَدَ فِي دَعَاءِ أَبِي حَمْزَةَ الشَّمَالِيِّ:

«سَيِّدِي أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتَهُ وَ أَنَا الْجَاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتَهُ وَ أَنَا الضَّالُّ الَّذِي هَدَيْتَهُ،... وَ الْفَقِيرُ الَّذِي أَغْنَيْتَهُ» (١)

ص: ٢٠٧

١- إقبال الأعمال: ص ١٦٥، الصحيفة السجادية: ص ٢٢٣.

و لكن اذا نسب العبد تشریفاً إلى سيّده و مولاه، فالمناسب هو إلتزام هذا العبد بلوازم العبوديه له، و إلاّ لم تصح هذه النسبه، كما أنّ المولى لا ينسب عبداً إليه إلاّ اذا كان ذلك العبد قد سلّم أمره إلى مولاه تسليماً مطلقاً محضاً، و لم يتبع هواه و لم يكن له إرادته في عرض إرادته مولاه.

و بناءً عليه، عندما نشهد بعبوديه خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و آله لله تعالى، فاننا نشهد بنيله أعلى مراتب العبوديه و التسليم و الطاعه لله عزوجل، الأمر الذى من اكتسبه و مهما كانت الدرجه و المقام المقدس الذى وصل اليه، فانه باعتبار درجه عبوديته و تسليمه و إطاعته لله تعالى.

و لذا، فان النبى الأكرم صلى الله عليه و آله هو الشخص الاول، لأنّه العبد الأوّل. فبحسب الروايات هو أوّل من أقرّ بالربوبيّته من الأنبياء فى مرحله أخذ الميثاق من الخلق.

و كذلك، فإنّ الله تعالى، و باعتبار أنّ النبى محمد صلى الله عليه و آله هو العبد الحقيقى الذى حاز أتمّ و أكمل مقامات العبوديه لله، وصفه بأنه عبد و قال:

«سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ»(١)

و كذلك الاشخاص الذين ذكرهم تعالى فى سوره الفرقان بقوله:

«و عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا»(٢) و الذين نسبهم اليه، فقد قبل عبوديتهم له.٣.

ص: ٢٠٨

١- الإسراء: الآية ١.

٢- الفرقان: الآية ٦٣.

و العبوديه بالمعنى الاول و الشامله لجميع البشر، لها جنبه تكوينيه و قهريه، ليس لأحد التمرد عليها و لو بمقدار ذره، و أما بالمعنى الثانى، للعبوديه فهى إختياريه إراديه فالعبد فى مسير هذه العبوديه يتعرف على نفسه و يدرك فقره و إحتياجه إلى الله، و أنّ عليه أن يفوض أمره إليه تعالى و أن يتقدم فى طريق التسليم و الطاعه المحضه و يرضا برضاه.

أجل، بعد الاقرار بعبوديه خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله، يقرّ برساله و خاتميه النبى محمّد صلى الله عليه و آله و أنّه لا نبى بعده إلى يوم القيامه، و أنّ شريعته هى خاتمه الشرائع و الأديان إلى يوم الدين.

أمّا الاقرار و الشهاده بالرساله، فهو شرطٌ فى إسلام الشخص فما لم يشهد أحدٌ بالرساله، لا يُحكم باسلامه، و لا تجرى عليه أحكام الإسلام إلاّ- إذا كان مسلماً بفطرته فيحكم باسلامه تبعاً لأبويه، و لا يبعد أن يبقى هذا الحكم باسلامه جارياً عليه بعد بلوغه مادام لم يظهر ما يخالف الإسلام.

و على كلّ حال، لا توجد كلمه أعظم من الشهاده بالرساله و الاقرار بنبوه محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله، بعد كلمه التوحيد و الاقرار بالوحدانيه لله تعالى، و كما إنها تأتي بعد الشهاده بالتوحيد فى الأذان و التشهد، فكذلك بين الأمور الاعتقاديه يأتى الاقرار بالرساله و النبوه فى المقام الثانى بعد التوحيد.

و من ضمانم الإيمان بالرساله، الايمان بان محمداً صلى الله عليه و آله هو خاتم النبيين، فلا نبى بعده.

و الظاهر أنّ السرّ فى إنّ السيد عبد العظيم الحسنى و فى مقام الإعتراف

بالنبوءه، يعبر عن النبي بالرسول الذي يفهم منه الواسطه و السفير بين الخالق و الخلق، و أمياً في مقام الاقرار بالخاتميّه فعبر عنه بخاتم النبيين، لا خاتم المرسلين، السرّ هو أنّ الرسول معنى و مفهوم أخصّ من النبي صلى الله عليه و آله، فكل رسول هو نبي و لا عكس.

و عليه يكون معتقده هو أنّ الرسول مضافاً إلى أنّه خاتم المرسلين فكذلك هو خاتم النبيين، و لذا عبر بخاتم النبيين ليفهم المعنيان معاً، فإنّ ختم النبوءه يعنى بالضروره ختم الرّساله.

و من الواضح: أنّه بختم النبوءه، تختم الشرائع، إذ إنّ تشريع شريعته جديده يتوقف على مجيء سفير و نبي جديد، و بدون ذلك لا يمكن مجيء دين جديد.

و هذه الخاتميّه ثابتة في كلّ أبعادها، بالأدله القرآنيه و الاحاديث القطعيه المسلّمه، و منكرها يعدّ منكراً لضروره من ضروريات الدين.

و هذا الدّين، كما أنّه عامٌ لكلّ الازمنه، «حلالٌ محمد حلالٌ إلى يوم القيامه و حرامٌ محمد حرامٌ إلى يوم القيامه»^(١)، فكذلك هو شامل لكلّ الامكنه، فقد مرّ أكثر من ١٤٠٠ سنه على ظهور هذا الدّين، و هذه الفتره تؤيد خاتميّه هذا الدّين.

إذ طيله هذه الفتره الطويله، لم نسمع بنبوه ثابتة و معقوله و مقبوله، و لم نسمع بشريعته جديده صالحه و جامعته و كافيّه و محكمه و وافيّه إدعى أحد بالمجىء بها. ٣٥

ص: ٢١٠

فهذا الدين متأصل و خالد، و باقٍ ما طلع قمرٌ و أشرقت شمس، و هو أكمل الأديان و اكثرها جمعاً للشرائع و التعليمات، و لعلَّ أحد أسرار إعطاء النبي صلى الله عليه و آله المعجزه الباقيه و هى القرآن الكريم، هو الخاتميه لهذا الدين، فهذه المعجزه باقيه إلى الأبد، و لازال إعلان «و إن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ و اذْعُوا شُرَكَائِكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا و لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ و الْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» (١) يرنّ في أسمع أهل العالم، يترنم به كلّ مسلم و في كل عصر و مكان متحديا الدنيا باجمعها.

«١٠- \ أو أقول إنّ الإمام و الخليفة و وليّ الأمر بعده أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علىّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن علىّ، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علىّ بن موسى، ثمّ محمّد بن علىّ، ثمّ أنت يا مولاي فقال عليه السلام و من بعدى الحسن ابني فكيف للناس بالخلف من بعده؟ فقلت: فكيف ذاك يا مولاي؟ قال: لآته لا يرى شخصه و لا يحلُّ ذكره باسمه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً»

و هنا ينبغى التنبيه على أمور:

الأوّل: إنّ كلمه «إمام» و «خليفة» و «وليّ الأمر» ليست مترادفه، و إن كانت متجسّده في مصداق واحد، أى أنه يصدق اطلاق الولي و الإمام على ٤.

ص: ٢١١

الخليفه كما يصدق إطلاق خليفه و وليّ على من يصدق إطلاق «الإمام» عليه، فهذه الالفاظ متلازمه فى التصادق، و لكنّها ليست مترادفه فى المفهوم، فمن كل واحدٍ منها يُستفاد بعدد من أبعاد الشخصيه التى هى مصداقٌ لهذه العناوين، و إن كان لازم الاتصاف بمعنى كل واحدٍ منها، هو الإتصاف بمعنى الآخرين أيضاً.

فالمفهوم الظاهرى للفظ «إمام» هو الزعيم و القائد، و من يكون فعله و سيرته و كلامه، أسوه و حجّه، و يجب على الجميع الإقتداء و التأسى به و إطاعته.

و من الواضح: أنّ مثل هذا الشخص لابدّ أن يكون الأعلم من بين الجميع، و أن يكون معصوماً عن الخطأ و الاشتباه، و إلا لم تتحقق الأمامه فى وجوده، ذلك أنّه إذا لم يكن كذلك، لم يكن لاحدٍ الثقه و الإطمئنان بصحة متابعتة و الاقتداء به فضلاً عن وجوب طاعته و التسليم له. فمع إحتمال خطأ و اشتباه المرشد و الدليل، لا يكون طى طريق بمعيتة مقبولاً عند العقلاء، كما أنّه لا يجوز شرعاً تجويز طى مثل هذا الطريق فضلاً عن ايجابه.

و المستفاد من قوله تعالى، «و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلماتٍ فاتمهنّ قال إني جاعلُك للناس إماماً قال و من ذريّتى قال لا ينال عهدى الظالمين» (١)

كذلك يستفاد من الحديث الوارد فى تفسير هذه الآيه الشريفه، و من الدرجات التى طواها خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام حتى وصل إلى مرتبه الإمامه، المستفاد هو أنّ مقام الامامه مقام عظيم.

كما إنّ المستفاد من الحديث المشهور «من مات و لم يعرف امام زمانه ٤.

ص: ٢١٢

مات ميتة جاهلية» (١) هو إمامه و لزوم عصمه صاحب هذا المقام.

و أما الخلافة و التي تعنى بمفهومها العام النيابة عن الغير و القيام بدوره و عمله، فمفهومها الخاص هنا هو أنها منصب إلهي، بنحو يستلزم نسبه ما يصدر من الخليفة، إلى الله، و أنّ الخليفة هو عاملٌ و مجرّ لاراده الله، إذ لا يمكن هدايه العباد أو الحكم بينهم بلا وساطة البشر، فيتم ذلك بواسطة الخليفة، و لا شكّ حينئذٍ في وجوب إتصاف الخليفة النائل لهذا المنصب الشريف بالأعلميّة و العصمه، و التقوى العاليه التي اشترطناها في الإمامه.

و أمّا ولاية الأمر، بمعنى صاحب الاختيار في الأمور من قبل الله تعالى، فهو منصبٌ من المناصب التشريعيه، مشروط بشرائط تختلف باختلاف إقتضاء سعه و ضيق متعلقات الولاية و حدود مداخلات الولي.

فولاية النبي أو الإمام و الخليفة، و لأنّ حدودها واسعة، تشمل كلّ الأمور، و لوجوب الطاعه لهم بصريح الآيه الكريمة «أطيعوا الله و أطيعوا الرّسولَ و أولى الأمر منكم» (٢) تكون هذه الولاية مطلقه و غير مشروطه، و هي مثل مقام الإمامه و الخلافه مشروطه بالعصمه، و بهذا المعنى عدّت في رديف الصلوه و الصوم و الزكوه و الحج، في الحديث المعروف:

«بني الإسلام على خمس على الصلوه و الزكوه و الصّوم و الحجّ و ٩.

ص: ٢١٣

١- الغدير: ج ١٠ ص ٣٥٩ و قد ذكر بعبارات مختلفه.

٢- النساء: الآيه ٥٩.

الْوَلَايَةِ وَ لَمْ يُنَادَ بِشَيْءٍ كَمَا نُودِيَ بِالْوَلَايَةِ» (١)

و بجملة «و لم يُنادَ بشيءٍ كما نُودِيَ بالولاية» يُشار إلى أهميتها الخاصة فالملاحظ في الحديث أنَّ الولاية عُيِّدَت في سلسلة أحكام الله، مع أنَّ صاحب هذا المقام لا يكون إلا الإمام و الخليفة.

و موضوع وجوب إطاعه ولى الأمر، هو نفس الأوامر الولايتية للإمام و الخليفة، و الأوامر الصادره بعنوان إداره النظام، و رتق و فتح الأمور.

و بهذا اللحاظ، تكون ولاية أمر و نهى الولي مستنده اليه هو، بينما هي مستنده إلى الله في حاله الخليفة.

عبارتُنَا شَتَّى وَ حُسْنُكَ وَاحِدٌ وَ كُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ (٢)

الثانى: و الدرس المستفاد من كلام السيد عبد العظيم و المقرون بتأييد الإمام عليه السلام، و هو قوله: «إِنَّ الْإِمَامَ وَ الْخَلِيفَةَ وَ ولى الأمر بعده...» هو أنَّ النبى عليهما السلام أيضاً إمامٌ و خليفَةٌ و ولىٌّ أمرٌ، و لذا فيجب أن تستمر هذه الإمامه و الخلافة و الولاية من بعده، بخلاف النبوه، التى أقر بها فى فقره السابقه فإنها ختمت برسول الله محمد صلى الله عليه و آله و أنه لا يجب إستمرارها، حيث إنها تدور مدار وجود مصلحه و حاجه فى المجتمع، و من جعلها الخاتمه يظهر عدم وجود مصلحه و حاجه فى الدين الجديد، بخلاف الامامه و الخلافة و ولايه الأمر، فانه لا يخلو زمنٍ من الحاجه اليها و لا أرضٍ من ضرورتها، و كما روى عن أمير ١.

ص: ٢١٤

١- الأصول من الكافي، كتاب الإيمان و الكفر، باب دعائم الإسلام: ج ١ ص ٨١ ح ٢.

٢- كشف الرموز: ص ٨١.

«اللَّهُمَّ بَلِّغْ! لَا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا»^(١)

و مما ذُكر، يمكن القول: إِنَّ بُعْدَ الْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ فِي شَخْصِيَةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْجَامِعَةُ لِمَقَامِ النَّبَوَّةِ وَالْخِلَافَةِ وَوَلَايَةِ الْأَمْرِ، هُوَ أَشْرَفُ مِنْ بُعْدِ النَّبَوَّةِ وَالْوَلَايَةِ، وَ لَيْسَ مَفْهُومٌ ذَلِكَ أَفْضَلِيَّةَ الْأَيْمَّةِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - أَعْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - نَعُودُ بِاللَّهِ - فَاِنْ هُوَ الْأَطْهَارُ وَ إِنَّ حَازُوا مَنَصِبَ الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ وَالْوَلَايَةِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَصَفَوْا بِصِفَةِ النَّبَوَّةِ، أَمَّا النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَدْ حَازَ الْمَقَامَاتِ الْارْبَعَةَ جَمِيعًا.

أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ، إِنَّ وِلَايَةَ وَ إِمَامَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي كَانَ أَفْضَلَ كُلِّ الْأَيْمَّةِ الْمَعْصُومِينَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - كَانَتْ خَاضِعَةً لَوَلَايَةِ وَ إِمَامَةِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِمَا فِيهِمْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ: «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ»^(٢) تُشْمَلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا.

الثالث: بيان خلافة أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله و آله بلا فصل و ولايته من بعده، و على ذلك أدله قطعية و مدارك يقينية ثابتة، من جملتها نص الغدير المتواتر، و الذي رواه العامه و الخاصه من المحدثين و المورخين و المفسرين و ٤٠.

ص: ٢١٥

١- نهج البلاغه، الحكمه ١٤٧.

٢- الأحزاب: الآية ٤٠.

علماء الرجال و غيرهم، فى الكتب و الجوامع و المجاميع و المسانيد و بأسانيد متعدده عن جماعه كثيره من الصحابه و التابعين و تابعى التابعين.

و من جملتها واقعه يوم الإنذار، و النصوص على امامته و ولايته عليه السلام فى المشاهد و المواقف الاخرى، كثيره و لو أنصف المناقش و لم يُعاند، لما كان بالإمكان خفاء هذا الأمر عليه و عدم إتضاحه كونه كالشمس فى رابعه النهار.

و كل الفضائل و المناقب التى ذكرت لأمر المؤمنين عليه السلام فى آلاف المصنفات و الكتب المعتمده، تثبت هذا المعنى و هو أنّ الشخص الوحيد الصالح لمقام خلافه الله و خلافه الرسول صلى الله عليه و آله، لم يكن إلاّ على بن أبى طالب عليه السلام و كل العلوم التى كشفها على عليه السلام للمسلمين، و عدم إحتياجه إلى غيره، و احتياج الكلّ اليه، و اخباراته عن المعنيات و سائر معجزاته، كلها تشهد على خلافته بلا فصل للنبي صلى الله عليه و آله فكلّ ما نقوله و نكتبه هو من قبيل توضيح الواضحات، و هو أقلّ من قطره من بحر و ذره من شمس.

«سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَهُ وَ جَعَلَهُ آيَتُهُ الْكُبْرَى وَ حُجَّتْهُ الْعِظْمَى وَ أَعْطَاهُ وَ مَنَحَهُ مِنَ الْعُلُومِ وَ الْكِمَالَاتِ مَا حَيَّرَ بِهِ عُقُولَ ذَوَى الْاَلْبَابِ»

الرابع: الأمر الرابع: المستفاد من هذه الروايه هو إمامه الاثمه الإثنى عشر - عليهم السلام - ، و بحسب مآت الروايات الصحيحه و المعتمده من طرق الشيعة و السنّه، فإنّ إمامتهم ثابتة و محرزه، من جملتها ما نقله الإمام أحمد بن حنبل لوحده، فقد نقل باربعين طريقاً عن جابر و عبد الله بن مسعود، من الروايات ما يفيد حصر عدد الاثمه و الخلفاء فى إثنى عشر رجلاً، و هذا العدد لا ينطبق على رأى أى فرقه من الفرق الاسلاميه إلاّ الفرقة الإماميه الاثنى عشرية،

فعلى المنصف إما أن يطرح كل هذه الروايات المتواترات المسلمات و يرتكب ما لا يرتكبه أى مسلم مؤمن برسالة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله، و على أقل التقادير إذا لم يشأ التجاسر و ردّ قول النبي صلى الله عليه وآله، أن يعتذر بجهله بالمقصود من هذه الروايات فيطرحها، أو أن يقبل مذهب الشيعة الذى ينفرد فى إنطباق هذه الروايات على رأيه و منهجه فى الامامه.

مضافاً إلى ذلك، فإن أكثر من مئتي حديث من هذه الأحاديث تضمن شرح و تفسير تلك الطائفة التى تضمنت ذكر عدد الخلفاء و الأئمة فقط، فوضحتها بالصفات و العلامات، بل و حتى ذكر أسماء هؤلاء الاثنى عشر من أولهم و هو على ابن أبى طالب عليه السلام و إلى آخرهم و هو المهدي بن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

أضف إلى أن روايات كثيره أخرى، و شواهد عديده من معجزاتهم و خوارقهم للعاده، تثبت إمامه هؤلاء الأئمة الإثنى عشر بما لا يبقى مجالاً للشك و الشبهه.

و من جملة ذلك: نفس هذه الروايه التى تحصر الأئمة و تعينهم فى هؤلاء الاثنى عشر، و السيد عبد العظيم الذى توفى قبل وفاه الإمام الهادى عليه السلام و قبل ولاده صاحب العصر - \أرواحنا فداه - \ روى خبر ولاده الإمام الحجج بن الحسن - \ أرواحنا فداه - \ و غيبته عن الإمام الهادى عليه السلام.

الخامس: لقد وردت الاشاره فى هذه الروايه إلى ثلاث صفات من أوصاف صاحب الزمان - \أرواحنا فداه - \ بنحو الاجمال.

الأولى: لا يُرى شخصه، و هو إشاره إلى استتاره عن الأنظار، و هذا لا يعنى

النفى الكلى لرؤيته، إذ تشرف بزيارته قبل الغيبة الكبرى جماعه من المؤمنين، وكذا نال شرف زياره قطب عالم الإمكان و كهف الأمان جماعه فى غيبته الكبرى، و إنما المقصود من العبارة أن الالتقاء به غير ميسر للجميع بصورة عاديه، و إنَّ أغلب الناس محرومون من لقاءه، و يجهلون مقر إقامته و أحواله و إنَّ اولئك الذين يحظون بشرف لقاءه خاصة فى الغيبة الكبرى إنما يوفقون لذلك بنحو غير طبيعى و بالاتفاق، كما أن الظاهر من نفى الرؤيه فى الروايه هو نفى الرؤيه مع المعرفه الشخصيه التى لا تيسر إلا للأوحدى من الناس، و أمّا الرؤيه مع عدم المعرفه الشخصيه فهى جائزه و لا تنافى الهدف من غيبته و الحكمه فيها.

الثانيه: الصفه الثانيه هى، عدم حليته ذكره باسمه الشريف، فبحسب هذه الروايه و روايات أخرى، لا يجوز ذكره باسمه الذى هو اسم رسول الله صلى الله عليه و آله.

و فى حكم تسميته - \أرواحنا فداه - \فى عصر الغيبه و أنه هل إنَّ ذلك لا- يجوز مطلقاً أو يجوز مطلقاً؟ و إن كان مكروهاً مطلقاً أو أنه مكروه فى المجامع فقط، أو أن الحرمة خاصة بذكره فى المجالس و المجامع، أو أن الحرمة من باب التقيه و أن ذكره جائز مع عدم التقيه، احتمالات، و لعلَّ احتمال أن النهى عن التسميه إلى زمان الظهور مختص بالمجالس و المجامع تعظيماً له، و أنه جائز فى الموارد الاخرى، هو الإحتمال الأرجح.

و على أى حال، فالقول بالحرمة مطلقاً و الجواز مطلقاً ضعيف، و الاحتياط يقتضى ترك التسميه، إلا فى بعض الموارد، كما لو ورد إسمه الشريف فى روايه يُراد نقلها، أو فى مورد الضروره التى يلزم فيها إعلان إسمه الشريف، و هذه المسئله من جمله المسائل التى اختلفت فى الفتوى بها بين الشيخ الأجلَّ بهاء

الدين العاملى و السيد الجليل ميرداماد - \عليهما الرحمه - \ و قد كتب الميرداماد كتاب «شرعه التسميه» و الذى طبع أخيراً بتوصيه من الداعى تأييداً لنظرة و رأيه فى المسأله.

الثالثه: ما ذكره الإمام الهادى عليه السلام من أنّ خليفه الإمام الحسن العسكرى عليه السلام سيملاً الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً. و قد ورد اكثر من مائه حديث معتبر بطرق الشيعة و السنه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و الائمه الطاهرين، وصف المهدي - \عجل الله تعالى فرجه الشريف - \ بهذا الوصف، و هو من أوصافه البارزه و المهمه إلى حدّ عدت هذه الصفه و هى من أوصافه الفعلية، فى جملة أهداف و غايات الظهور المهمه، كظهوره و غلبه الإسلام على سائر الأديان و إنتشار عقيدته التوحيد و الحكم الإسلامى فى كل العالم و... الخ، من أهداف الظهور.

و هذه الصفه و إن كانت فى هذه العبارات من جملة أوصافه الفعلية و أنّ ذلك من منجزاته المهمه و الكبيره، و لكن تدلّ بالالتزام على إتصافه ذاتاً بصفه العدالة و كمال النفس و استقامه الفكر و الروح - \صلوات الله و سلامه عليه - \ فمن البديهي، أنّ القيام بمثل هذه الاعمال و تحقيق هذه الاهداف و البرامج، يتوقف على الاتصاف الذاتى بهذه الكمالات، و على حيازه الأهليه العظيمه التى لم يحزها إلاّ الأنبياء و الائمه الطاهرين - \عليهم السلام - \، المؤيدين من عند الله تعالى.

« ١١ - \قال: فقلتُ: أقررتُ و أقولُ: إنّ وليهمُ ولىّ الله، و عدوّهمُ عدوّ الله و طاعتهمُ طاعه الله و معصيتهمُ معصية الله»

من خلال هذه الكلمات التي قالها السيد عبد العظيم الحسنى، نقف على عظمه مقام الإمامه و الولايه، و التي يظهر مما ذكرناه، أنها تالى ولايه الله تعالى، فوليتهم ولئى الله.

و يستفاد من بعض الأحاديث المعتبره، أن العبد لو عبد الله مده دعوه نوح فى قومه (٩٥٠ سنه)، يصوم يومه و يقوم ليله، و قتل بين الركن و المقام مظلوماً، لم يشم رائحه الجنة ما لم يتولى هؤلاء الأطهار. (١) «من أتاكم نجى و من لم يأتكم هلك» (٢) «من أطاعكم فقد أطاع الله و من عصاكم فقد عصى الله» (٣).

و قد ورد فى بعض الروايات التي نقلت بطرق العامه أيضاً، أن العبد يُسئل يوم القيامة و قبل أن يرفع قدماً على قدم فى جملة أمور أربعة عن ولايه أهل البيت - عليهم السلام - بكل معانيها، و عن محبتهم و أنهم أولياء الأمر و الائمه و الخلفاء، و هذا أمر مسلم بين المسلمين منذ صدر الإسلام و عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله

يقول الفرزدق فى قصيدته:

مِنْ مَعَشِرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ وَ بُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَ قَرْبُهُمْ مَنَجَى وَ مُعْتَصِمٌ

«١٢ - أو أقول: إن المعراج حق و المسائله فى القبر حق و إن الجنة حق و ١.

ص: ٢٢٠

١- بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ١٧٢.

٢- تهذيب الاحكام، باب الزياره الجامعه: ج ٦ ص ٩٨.

٣- المصدر السابق: ج ٦ ص ١٠١.

النَّارَ حَقًّا وَالصِّرَاطَ حَقًّا وَالْمِيزَانَ حَقًّا وَإِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ»

و في هذا القسم، يعرض السيد عبد العظيم قسماً آخر من معتقداته، و يشهد بحقانيه المعراج و سؤال القبر و الجنه و النار و الصراط و الميزان و الساعه و القيامة و البعث و الإحياء، و سنحاول بيان هذه الامور بنحو الإختصار.

نُذَكِّرُ مُقَدِّمَةً بِأَنَّ الْاِعْتِقَادَ بِالْمَعَادِ وَ حَشْرَ الْأَمْوَاتِ وَ الثَّوَابِ وَ الْعِقَابِ وَاجِبٌ، وَ إِنْ اِكْتَفَيْنَا فِي مَقَامِ الْحُكْمِ بِاسْلَامِ الْإِنْسَانِ، بِاِقْرَارِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَ التَّوْحِيدِ وَ الرِّسَالَةِ، وَ الَّذِي يَتَضَمَّنُ الْاِعْتِقَادَ بِحَقَانِيهِ كُلِّ مَا نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ الْاِقْرَارِ الْاِجْمَالِيَّ بِهِ، لَكِنَّ الْاِعْتِقَادَ تَفْصِيلاً بِخُصُوصِ الْمَعَادِ وَ عَالَمِ الْعَقَبِيِّ وَ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ، وَاجِبٌ كَمَا إِنَّ الْاِعْتِقَادَ بِالْجَنَّةِ وَ النَّارِ وَ الصِّرَاطِ وَ الْمِيزَانَ بِنَحْوِ التَّفْصِيلِ لَازِمٌ وَاجِبٌ، وَ لَعَلَّ عَلَّهْ وَ جُوبَهُ تَفْصِيلاً وَ عَدَمَ كَفَايَةِ الْاِجْمَالِ هُنَا، هُوَ وَضُوحٌ وَ ظُهُورٌ وَ ضَرُورَةٌ إِشْتِمَالِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ، كَالْاِعْتِقَادِ بِالْمَلَائِكَةِ وَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ وَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ النَّازِلَةِ عَلَيْهِمْ.

و بعد بيان هذه المقدمة، نبين عدة امور ترتبط بهذه المواضيع:

الف) المعراج

من جملة معتقدات المسلمين، أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى، وَ فِي لَيْلِهِ سَمِّيَتْ بَلِيلَةُ الْمَعْرَاجِ، سَارَ بِحَبِيبِهِ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَ مِنْ هُنَاكَ عَرَجَ بِجِسْمِهِ الْعَنْصَرِيَّ إِلَى الْعَوَالِمِ

ص: ٢٢١

العليا حتى وصل إلى مرتبه «ثُمَّ ذَنَى فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» (١)

و تفاصيل هذا الإسراء و المعراج الذى تَمَّتْ بالقدره الالهيه و بالإعجاز و خرق النواميس الطبيعيه، ذُكِرَ بعضها فى القرآن الكريم و بعض الاحاديث، و إن كان الاعتقاد بكلِّ تفاصيلها التى جاءت فى الاحاديث و خصوصاً أخبار الآحاد، ليس بواجب.

و من جمله الآيات الداله على هذا المعراج، قوله تعالى:

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (٢)

و كذلك ورد فى سورة النجم عدة آيات فى هذا المعنى، و كذلك قوله تعالى:

«وَ إِسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا» (٣)

و قوله تعالى:

«فَسْئَلُ الَّذِينَ يُقْرُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» (٤)

و بناءً على هذا، فإنَّ أصل المعراج، حقٌّ و هو أمرٌ ثابت و مسلمٌ لا يتردّد فيه المسلمون و يعدّونه من معجزات الرّسول الأكرم صلى الله عليه و آله الكبيره، و أنّ العروج كان بالجسد العنصرى، و الظاهر أنّ مثل هذا الأمر إنّما يكون إعجازيا فيما لو تمَّ ٩٤

ص: ٢٢٢

١- النجم: الآيه ٨-٩١.

٢- الإسراء: الآيه ١

٣- الزخرف: الآيه ٤٥

٤- يونس: الآيه ٩٤

بالجسد، لأنَّ السير الروحي متيسر لكلِّ البشر و الى كلِّ النقاط في هذا العالم، و إن كان سيِّرُ النبي صلى الله عليه و آله يختلف عن سير أرواح الآخرين بانكشاف الحقائق التي لا تنكشف لغيره عادةً.

و لكن الإنصاف هو إنَّ التلقّي الأول للمسلمين من هذا المعراج و الذي آمن به المؤمنون و صدّقوا النبي الاكرم صلى الله عليه و آله عليه، و الذي أنكره الكفّار حينها و استهزؤا به، هو المعراج الجسماني، و ليس في الادله ما يدلُّ على أنَّ النبي صلى الله عليه و آله قال لهم إنه أسرى بروحه لا بجسمه، دفعاً لاستغرابهم و استبعادهم، بل الظاهر أنه - \ صلوات الله عليه - \ أكّد جسمانيه المعراج لهم.

و على أيِّ حالٍ، فإن الكثير من العلماء يرى أنَّ إنكار جسمانيه المعراج هو إنكار لضروره من ضروريات الدين و موجبٌ للكفر، و تترتب عليه أحكام الارتداد، و البعض الآخر منهم قيّده بصوره استلزامه إنكار النبي صلى الله عليه و آله.

و ما لا- ينبغي إهماله و السكوت حياله هو إنَّ شبهات بعض أهل المعقول في مورد المعراج الجسماني و أنّه يستلزم الخرق و الالتئام في الأفلاك، مردودهٌ لعموم قدره الله و صدور المعجزات و خوارق العاده الكثيره، و لإخبار الرسول الصادق المصدّق، مضافاً إلى منافاتها للإكتشافات العلميه المعاصره الثابته.

فهؤلاء الحضرات، قد رسموا لما سوى الله خارطةً فرضيه على أساس نظرياتهم الشخصيه، عيّنوا على أساسها هيكلية الكون و الأفلاك، ظناً منهم أنهم رسموا خارطة ربط الحادث بالقديم، و صدور الكثير عن الواحد، و كأنّهم كانوا مع الله في كل مكان و زمان و شاهدوا كلَّ التحوّلات التي جرت على هذا الكون و الكيوان في كل أدوار العالم، و على هذا الأساس عنونوا عالم العقول و

المجزّذات، و اعتقدوا بسلسلاتٍ ظهر بطلانها بتقدم العلوم و الفنون الحديثه.

و طريق الصواب و المصون من الخطر هو الإكتفاء بأخبار النبي الصادق المصدّق في هذه الأمور، و الاعتقاد بالمعراج و إنّ عجزنا عن معرفه كفيته و ديناميكيته و امكانه للبشر و أن لا نقول من عندنا ما لم يصلنا من الشرع و أن لا نكلّف أنفسنا في فهم ما لم يكلفنا الشرع فهمه و معرفته و الخوض فيه.

و قد حاول بعض الماضين من أهل المعقول التوفيق بين القول بالمعراج الجسماني و القول بالمعراج الروحاني، في رساله موسومه ب «الوردية» على ما حكي عنها، فقال: إنّ النبي صلى الله عليه و آله كان له معراج جسماني و معراج روحاني و معراج عقلائي، و معراجه الجسماني كان مسير جسده الشريف إلى منتهى مراتب الأجسام، و الذي طواه على البراق.

و العبارة التي نقلت عن صاحب الرساله الوردية هي:

«و سُرى بسيره إلى الله من ظلماتِ عالمِ الأجسامِ و الأجرامِ على مركبه الذي سُمى بالبراق في كمال الشَّرَعه»

و يقول في خصوص الجنبه الروحانيه للمعراج:

«و إرتقى برُوحه القُدسيّه إلى مدارجِ الأرواحِ و خرق الحُجُب و بلغَ قَمّه الضِراحِ إلى أن صارَ إماماً لصفوف الأرواح النوريّه»

و يقول في المعراج العقلائي:

«ثُمَّ تَرَقَّى بِعَقْلِهِ النُّورِيّ و نورِهِ العَقْلِيّ و دَخَلَ سُرَادِقَاتِ الجَلالِ و رَفَعَ أَسْتارَ البَهاءِ و الجَمالِ إلى أن وَصَلَ إلى حَدِّ لَمْ يَكُن بَيْنَهُ و بَيْنَ رَبِّهِ أَحَدٌ حَتَّى

ص: ٢٢٤

و هذه العبارات و إن كانت لا تخلو من لطافه، خاصه تعبيره عن المعراج الجسماني ب «سرى» و عن الروحاني ب «ارتقى» و عن العقلاني ب «ترقى»، و كذلك لطافه تقسيمه المعراج إلى ثلاث مراتب و تحديد الجسماني منه بالسير إلى منتهى عالم الأجسام، تخلصاً من مخالفه ضروريه المعراج الجسماني، و لكن من الواضح إنَّ المعراج الذي كان مرتكزاً في أذهان المتشرعه و المستفاد من ظواهر الآيات و الروايات هو إنَّ كلَّ المعراج كان معراجاً جسمانياً، و أنَّه صلى الله عليه و آله أينما ذهب، فقد ذهب بجسده العنصري لا غير، و ما أروع ما قاله الشهيد -\قدس سره -\ في مديحه للنبي صلى الله عليه و آله، حيث يقول:

وَمَنْ قَد رَقِيَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بَنَعْلِهِوَعَوَّضَهُ اللَّهُ الثُّبْرَاقَ عَنِ الْمَهْرِ(١)

و يقول الآخر:

سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ بِالْإِسْرَاءِ رُبَّتَهُ ٧.

ص: ٢٢٥

١- الروضه البهيته -\ترجمه حياه الشهيد الثاني -\قدس سره -\شعر الشهيد: ج ١ ص ١٨٧.

له البراق جوادٌ و السما طُرُقٌ مَسْلُوكَةٌ و دَلِيلُ السَّيْرِ جَبْرِيْلُ (١)

و أما ما ذكره من أنه ترك جسمه فى منتهى عالم الأجساد و عرج بروحه إلى منتهى عالم الارواح النوريه و من ثم ذهب بعقله النورى و نوره العقلى إلى حيث لم يكن بينه و بين الله سبحانه احدٌ حتى نفسه الشريفه و ذاته الرفيعه، فالحقيقه أننا لا ندرى شيئاً من هذا الكلام، و حتى اولئك الذين عاصروا هذه الواقعه، و الذين جاءوا من بعدهم، لم يفهموا هذه المعانى منها، فهذه العبارات أشبه ما تكون ب «رجماً بالغيب»، فلو أنّ الإنسان أذعن بعجزه عن معرفه حقائق هذا المطلب، كان أدلّ على علمه و فهمه و معرفته من إظهار علمه عن هذا الطريق.

فلا يمكننا أن نقيس كلّ الأشياء بميزان خيالى مبتنٍ على أساس سلسله مزاعم و نظريات حول ما سوى الله و عوالم خياليه رتبناها بمخيلتنا، ذلك الميزان الذى لا يصلح الالقياس التخيلات.

إذن، بحسب دلالة القرآن الكريم، و الأحاديث الشريفه، كان معراج النبى جسمانياً، و إنّ كل الحقائق التى انكشفت له صلى الله عليه و آله كانت قد انكشفت لشخصه المتجسم بهذا الجسم الشريف، و لا نفهم معنى لما ذكره الفاضل المذكور، فإن كان مراده أنّ روح أو عقل النبى صلى الله عليه و آله قد عرجا إلى عالم الارواح و العقول مع بقائها فى الجسد العنصرى، فهذا لا ينسجم مع ما قاله من سير الجسم إلى منتهى عالم الاجسام، و إنّ كان مراده أنّ هذه الروح الشريفه قد خلعت البدن العنصرى و ٣.

ص: ٢٢٦

١- الأنوار البهيّه، فصل فى بيان ولاده النبى صلى الله عليه و آله...: ص ٣٣.

اخترقت العوالم الاخرى فوصلت إلى عالم الارواح و من ثمَّ إلى عالم العقول، فإنَّ هذا المعنى لا يفهم من الآيات و الروايات إلاَّ بالتأويل و التوجيه، ثمَّ إنَّ أصل وجود عوالم ماوراء عالم الاجسام و بالمعنى الذى يطلق على الملائكة (أولى أجنحه)، هو محل كلام.

و الحاصل، إنَّ هؤلاء الحضرات قد خططوا للكائنات، و إصطنعوا عالم الأرواح و عالم العقول، و طبقوا المعراج و حقائقه على اساس هذا المخطط الذهني الشخصي، و أولوها بما ينسجم معه، فلا نبالغ إن قلنا إنَّ كلامهم مصداقٌ لقوله تعالى: «إنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ و آبَاؤُكُمْ ما أنزل الله بها من سلطانٍ»^(١) إذ ليس لديهم دليلٌ شرعى على دعواهم.

يقول السيد شبر: إنَّ المعراج من ضروريات الدين فى الجملة و منكره خارج عن ربه الإسلام و المسلمين، و قد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لَيْسَ مِنْ شِيعَتِنَا مَنْ أَنْكَرَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ: الْمِعْرَاجَ وَ الْمَسَائِلَةَ فِى الْقَبْرِ وَ خَلْقَ الْجَنَّةِ وَ النَّارَ وَ الشِّفَاعَةَ»^(٢)

ثم يقول: و ما عليه الإماميه هو إنَّ المعراج كان ببدن و جسم النبي صلى الله عليه و آله الشريف.

و من جملة الروايات المهمة و التى رويت فى كتب أهل السنه، هذه الروايه عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت أن النبي صلى الله عليه و آله قد سئل: ٨.

ص: ٢٢٧

١- النجم: الآية ٢٣.

٢- بحار الأنوار ج ٨ ص ١٩٧، ح ٨.

«بأى لُغَةٍ خَاطَبَكَ رَبُّكَ لَيْلَةَ الْمَعْرَاجِ؟»

فقال صلى الله عليه وآله: خاطبني بلغه علي بن أبي طالب عليه السلام فألهمني أن قلت يا رب أنت تحاطبني أم علي؟

فقال: يا أحمد أنا شئٌ ليس كالأشياء لا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء خلقتك من نوري و خلقتُ علياً من نورك إطلعتُ على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحب اليك من علي بن أبي طالب عليه السلام فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك» (١)

ب) سؤال القبر

من المسائل الاعتقادية التي ينبغي الإيمان بها، هي مسألة القبر والمسائل بعد الموت، والتي ثبتت بالأحاديث والروايات الكثيرة، وإن إنكارها مخالف للإسلام ورد للأحاديث المتواترة، ولذا فإن السيد عبد العظيم قد عرض إعتقاده بهذه القضية على الإمام عليه السلام.

روى الصدوق (عليه الرحمه) في كتاب «الاعتقادات» إنَّ مسألة القبر حقٌ لا مهرب منه، و من أجاب في القبر بالصواب و المطابقه للواقع، فقد فاز بروح و ريحان، و من لم يجب بالصواب فله نُزْلٌ من حميم. ٦.

ص: ٢٢٨

١- الجواهر السيئه: ص ٢٩٥. بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٣٨٦.

ج) الجنّة و النار

إنّ الاعتقاد بحقانيه الجنّة و النار، لهو من العقائد المحكمه و المسلّمه عند المسلمين، و قد صرّحت الآيات القرآنيه و الأحاديث الشريفه الكثيره بهذه الحقيقه، خذ مثلاً على ذلك:

قال الله تعالى في وصف الجنّة:

«مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ» (١)

و قال عزّوجل:

«إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ و سَاءَتْ مُرْتَفَقًا» (٢)

د) الميزان

و كذلك الاعتقاد بالميزان، عقيدة انبثقت من الآيات القرآنيه المجيده و الاحاديث الشريفه، و لابد من الاعتقاد بها إجمالاً، و إن لم يعتقد بتفاصيلها التي لا ضروره في الاعتقاد بها.

و التفاسير و التعاريف التي ذكرت للميزان و ما يوزن به متعدده، و كلها قابله ٩.

ص: ٢٢٩

١- محمد صلى الله عليه و آله: الآيه ١٥.

٢- الكهف: الآيه ٢٩.

للتحقق، وقد تختلف الكيفيات باختلاف الأشخاص و باختلاف مواقف القيامه و الحساب.

ه) الصراط

يقول السيد شبر - عليه الرحمه - إنّ الصراط من ضروريات الدين و لا يخالف فيه أحدٌ من المسلمين، و هو بحسب الروايات جسرٍ على جهنم، أحدٌ من السيف و أدقُّ من الشعره.

و كما يقول الصدوق - عليه الرحمه - فإنَّ جميع الناس لابدّ أن يعبروا من على هذا الجسر.

و هناك معنى آخر للصراط ورد في الروايات و هو أئمه أهل البيت - عليهم السلام - و أنّ المراد من «الصراط المستقيم» هو ولايه أمير المؤمنين و سائر الأئمه الاطهار - عليهم السلام - .

و بالتأمل بالآيات القرآنيه و الروايات الشريفه، يستفاد أنّ لفظ الصراط قد إستعمل في لسان القرآن و السنّه و أطلق على كلّ واحدٍ من المعنيين مستقلاً، كما أنه فسّر في المورد الواحد بالمعنيين معاً.

و) المعاد

يبيّن السيد عبد العظيم إعتقاده بالمعاد بهذه العبارة:

ص: ٢٣٠

«وَأَنَّ السَّاعَةَ (القيامة) آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ.»

إنَّ مسأله القيامة و عوده الأرواح إلى الأجسام و يوم البعث و احياء الموتى من المعتقدات الأولى و الأصيلة في الإسلام، و قد دلت على ذلك آيات قرآنية كثيرة:

و لا يخفى، أن يوم القيامة له أسماء متعددة، أحدها: الساعة.

و قد سُمى به يوم القيامة في موارد عديدة من الآي الحكيم، كقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» (١) و قوله تعالى:

«وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ» (٢) و قوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ» (٣).

و من جملة أسماء القيامة، كما يقول تعالى: «لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٤).

و من أسمائها: الحاقّة، القارعة، الآزفة، يوم الدين، يوم الحساب، يوم الحسرة، يوم التغابن و غيرها من الأسماء المصرّح بها في الآيات القرآنية الشريفة.

«١٤ - أو أقول: إنَّ الفرائض الواجبه بعدَ الولاية: الصلاة و الزكاة و الصوم و الحجّ و الجهاد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر»

هنا عدّه أمور يمكن إستفادتها من هذا الكلام: ١

ص: ٢٣١

١- الحج: الآيه ١

٢- طه: الآيه ١٥

٣- الاعراف: الآيه ١٨٧

٤- القيامة: الآيه ١

أولاً: أهميه الولاية و تقدمها على الصلوه و سائر الواجبات، إذ بدون الولاية لا يكون العمل مقبولاً من قبل الله تعالى.

ثانياً: أهميه الفرائض المذكوره من بين كل الفرائض الاخرى، مع عدم إنحصار الفرائض فى المذكورات.

ثالثاً: إن فضيله هذه الفرائض كثيره كما ورد فى القرآن و الأحاديث فقد أكدت الآيات القرآنيه على الصلوه و الزكوه، و كذلك الصوم و الحج و الجهاد و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، كما هو ثابت و مسلم عند الجميع، و أن على المسلم الاعتقاد و التدبیر بوجوبها.

رابعاً: الظاهر أن المراد بالفرائض هنا كل التقديرات و الأنظمه و التعليمات الإلزاميه الشرعيه، بقرينه وصفها بالوجوب.

و قد يكون المقصود من الفرائض، التكاليف المأمور بها و الالزاميه و إن المقصود من وصفها بالواجبه، ثبوتها بحسب القرآن المجيد.

خامساً: كما أشرنا، لا تنحصر الفرائض فى هذه الأبواب و إن كانت الفرائض المذكوره هى عمدته و أهم الفرائض.

« ١٥ - قال علي بن محمد عليه السلام: يا أبا القاسم هذا و الله دين الله الذى إرتضاه لعباده فاثبت عليه بكتك الله بالقول الثابت فى الحياه الدنيا و (فى) الآخره»

و هذا القسم الأخير من الحديث يتضمن تصديق الإمام عليه السلام بصحة دين السيد عبد العظيم الحسنى، و أمره بالثبات عليه، و دعاؤه له.

و لنا على هذا الفقرة توضيحات ثلاث:

الاول: إنّ الإمام عليه السلام قال للسيد عبد العظيم: «يا أبا القاسم هذا و الله دين الله الذى إرتضاه لعباده»

و كما نعلم، إنّ المعتقدات الدينيه و كذلك الفرائض الواجبه، لا تنحصر بما ذكره السيد عبد العظيم هنا، بل هناك مسائل أخرى فى الإلهيات و فى النبوه و غيرها، لم يُشر اليها صراحةً هنا، كمسأله الإيمان بالعدل الالهى و الإيمان بالملائكه و الأنبياء السابقين، و مع ذلك نجد أنّ الإمام عليه السلام يقول له: «هذا و الله دين الله».

و يبدو إن ذلك بملاحظه ما يلى:

١ - إنّ الإيمان بالله و رساله خاتم الأنبياء متضمّن لكل هذه المسائل الإعتقديه الإسلاميه.

٢ - بعض هذه الامور ليست جزءاً من العقائد التى تُعدّ معرفتها و الاعتقاد بها بخصوصها شرطاً فى الاسلام و النجاح و النجاه، بل حتى لو غفل عنها الإنسان، و كانت معتقداته الاصليه صحيحه و عمل بتكاليفه، كان من الناجحين الناجين أيضاً.

فمثلاً لو أنّ شخصاً لم يعرف الملائكه معرفه تفصيليه، أو أنّه لم يعرف بعض الأنبياء السابقين كذلك، مثل داود و سليمان و شعيب، بل و لم يعرف أسماءهم و عناوينهم، أو أنّه لم يعرف بعض الأحكام الواجبه التى لم يبتل بها، فان كلّ ذلك لا

ص: ٢٣٣

يقدم في إيمانه وإسلامه، إلا إذا كان معتقده مخالفا لما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله مع التفاته لذلك، وهو ما يستلزم إنكار النبي صلى الله عليه وآله والذي يعدُّ كفراً وإرتداداً.

ولذا و تفاديا لخطر مخالفه الاعتقاد الدينى لما جاء به النبي صلى الله عليه وآله و ثبت بالكتاب و السنّه، ينبغي على المرء أن يكتفى بالمعرفه الإجماليه فى غير الامور التى يلزم الاعتقاد بها تفصيلاً، و إلا كان عليه عرض عقيدته و دينه فى كل الامور على الكتاب و السنه لئلا يقع فى الضلال و البدعه عن قصدٍ أو بدونه.

الثانى: المسأله الاخرى التى تستفاد من كلام الإمام عليه السلام، هى مسأله الثبات على العقيدة الصحيحه و على الإيمان السليم، فعلى المرء أن يسعى جاهداً للحفاظ و الثبات على عقيدته، و أن يحذر دائماً و سوسه الشيطان و النفس الأماره، و خاصه فى زمن غيبه حضره وليّ الأمر - أرواحنا فداه -، حيث الإمتحانات شديده على أهل الإيمان، إلى الدرجه التى عبّر عنها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فى حديث جابر المعروف، حيث قال:

«ذاك الذى يَغيبُ عن شيعته و أوليائه غيبه لا يثبتُ فيها على القول بامامته إلا مَنْ إمتَحَنَ الله قلبه للإيمان»(١)

ففى هذا الزمن الذى كثرت فيه الأفكار و الآراء المضلّه، و فى هذا الدور الذى هو دور التمحيص و التخليص، على المرء أن يستغيث بالله طلباً للثبات على العقيدة الصحيحه، و أن يداوم على هذا الدعاء: ٤.

ص: ٢٣٤

١- كمال الدين، الباب الثالث و العشرون، ح ٣-١، و كفايه الأثر: ص ٥٤.

«يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، و أن يستحضر دائماً عقائده، و أن يودعها عند رب العالمين بقراءه هذا الدعاء المنقول عن فخر المحققين - عليه الرحمه - :

«اللهم يا أرحم الراحمين إني قد أودعتك يقيني هذا و ثبت ديني و أنت خير مُستودعٍ و قد أمرتنا بحفظِ الودائعِ فزده على وقت حضور موتي» (١)

و نُقل عن البعض، قراءه هذا الدعاء بعد الإقرار بالعقائد الحقه:

«يا الله يا رحمان يا رحيم أودعتك هذا الإقرار بك و بالنبي صلى الله عليه و آله و بالائمة - عليهم السلام - و أنت خير مُستودعٍ فزده على في القبر عند مسأله منكر و نكير» (٢)

إجمالاً، إن جوهره الاعتقاد بالله و بالرسول و بالائمة - عليهم السلام - إلا تضاهيها لا تساويها جوهره في الكمال و الغلاء، فلو أن الإنسان فقد الدنيا بما فيها و حافظ على عقيدته، فلا ضير عليه، و أما إذا فقد عقيدته فقد خسر الدنيا و الآخرة مهما كان عنده، و من ثم نجد المحتالين و القراصنه و السراق قد نصبوا شباكهم لإختلاس هذه الجوهره النفسيه.

«عصمنا الله تعالى من فساد العقيدة و رزقنا الإيمان بتمامه و كماله و ٦.

ص: ٢٣٥

١- مفاتيح الجنان: ص ٨٦، و من جمله الأدعيه لحفظ الدين و كمال الإيمان، الدعاء المنقول في المفاتيح أيضاً عن الشيخ الطوسي - عليه الرحمه - عن الإمام الصادق عليه السلام و الذي يُقرأ بعد كل صلاه واجبه، و الدعاء موجود في مفاتيح الجنان: ص ٦٨.

٢- منازل الآخرة: ص ١١٦.

الثبات عليه بحق محمد وآله الطاهرين - صلوات الله عليهم - .

الثالث: فى هذا القسم، نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام قد دعا للسيد عبد العظيم بتثبيت الله له على القول الثابت فى الحياه الدنيا والآخرة، وهذا الدعاء مقتبس و مأخوذ من قوله تعالى:

«يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» (١)

و التى يستفاد منها أن الله تعالى يثبت إيمان المؤمنين على القول الثابت - الذى هو بحسب بعض الروايات، كلمه التوحيد، و فى كلام الإمام هنا هو كل هذه الأقوال الثابته - فى الحياه الدنيا و فى الآخرة.

و يظهر من كلمات البعض، إنّ أحد مصاديق أو أهمّ مصاديق التثبيت على القول الثابت، هو فى حاله الإحتضار و النزح و ظهور سكرات الموت، و هى حال خطيره جداً، نعوذ بالله من هولها.

فينبغى على المؤمن أن يطلب من الله، حُسنُ العاقبه و الموت بإيمان خالصٍ.

و من الطبيعى فإنّ المواظبه على الطاعات و العبادات و ترك المحرمات، و مجالسه الأخيار، و المواظبه على قراءه القرآن و التأمل فى الآيات و سائر الأعمال النافعه، موثره بأجمعها ساعه الإحتضار، و إنّ خواتيم الامور مرتبطه بنحو ما بسوابقها الحسنه.

فعلى المؤمن السالك لطريق الشرع أن يواظب فى كلّ الجهات و أن يحذر.

ص: ٢٣٦

١- إبراهيم - الآية ٢٧.

سوء الخاتمه، و أن يداوم على قراءه الأدعيه المفيده لحسن العاقبه و النجاه من العدول عن العقائد الحقه.

كما إنه يستحب لذوى الميت أن يلقنوه الشهادتين و العقائد الحقه في حال إحتضاره، و خاصه كلمه التوحيد، و كما ورد في الخبر: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (١)

و يقول السيد في «الدُّرَّة»:

و لقن الشهادتين المحتضر

و أما الثبات على العقيدته في الآخره، فقد ورد في جملة تفاسيره أنه الثبات حال سوآل منكرٍ و نكير، عند ما يسألونه: من ربُّك؟ ما دينُك؟ من نبيُّك؟ من إمامك؟

فيقول: الله جلَّ جلاله ربِّي، و الاسلامُ ديني، و محمَّدٌ نبيِّي، و علي و الحسن و الحسين و علي بن الحسين و محمد بن علي و جعفر بن محمَّد و موسى بن ٨.

ص: ٢٣٧

١- من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٧٨.

جعفر و على بن موسى و محمد بن على و على بن محمد و الحسن بن على و الحجّج بن الحسن - عليهم السلام - ائمتى.

«اللهم ثبتنا على دينك ما أحييتنا و لقننا حجّتنا عند موتنا و لا تكلنا إلى انفسنا طرفه عين أبداً فى الدنيا و الآخرة و أحيانا حياه محمد و أهل بيته و أمتنا مماتهم، و ارزقنا شفاعتهم و أحشرونا فى زمرةهم، و صلّ عليهم صلاه لا يحصى عددها و اغفر لنا و لوالدينا و لمن كان له حق علينا و لجميع المؤمنين و المؤمنات يا خير الناظرين و يا ارحم الراحمين.»

ص: ٢٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على سيد الأنبياء

والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطاهرين

لا ريب في أنّ للاعتقاد الصحيح أو الفاسد تأثيراً كبيراً في تقدم الإنسان ورفيه وكماله وسعادته، وبناء شخصيته في الدنيا والآخرة، أو إنحطاطه وتأخره فيهما فالعقيدة هي التي تدفع الإنسان إلى العمل والنشاط والتضحية والإيثار، والعقيدة هي التي تسوق إلى النهضة والثوره والمقاومه والثبات في الجهاد والحرب، وهي من وراء السلام والإعمار أو الدمار.

وإنّ مظاهر التمدن والحضاره التي تبدو في صور مختلفه كلها ناشئه عن العقيدة...

فالمسجد تبنيه العقيدة، ومعبد الأصنام ترعاه العقيدة أيضاً، ومراحل النمو السياسى والفكرى والاجتماعى والاقتصادى في كل أمه أو قوم إنّما ترتبط بعقيدتهم.

ص: ٢٤١

والأنبياء والرسل أساس هدايتهم العقيدة، العقيدة بالتوحيد وسائر الاعتقادات النزيهه عن الخرافات.

وقد أوضح نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله للبشرية بكلمه طيبه وهى: (لا إله إلا الله) عقيدة التوحيد، ونفى الشرك وجعلها أساس دعوته وتبليغه، وإن قسما مهماً من آيات القرآن المجيد يدعو إلى الاعتقاد الصحيح والعقائد الحقه.

والمسائل الأخلاقية والعبادية والعملية تعد فى المرحله الثانيه والثالثه من مراحل هدايه الأنبياء وتعاليمهم للبشر (بعد مرحله التوحيد)، والفقهاء الأَكبر الذى هو حسن المعرفة بالله، الشامل لجميع المسائل الاعتقادية كالتوحيد والنبوه والإمامه والمعاد، إنما هو الإيمان والاعتقاد بهذه الحقائق...

وجميع المواجهات والتصديات التى كان يقوم بها المشركون بوجه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله إنما كانت مواجهات وتصديات لما كان يديه من إعتقاده!...

وعلى كل حال؛ فإنه ما لم تصح عقيدة الإنسان والمجتمع وتخلص من الخرافات وتتنزه عن الأوهام، فلا سبيل للمجتمع إلى الرقى الحقيقى والرشد والتقدم، بل حتى لو قدر له أن يتقدم فى المظاهر المادية أو الظواهر الإقتصادية فإن ذلك سيحدث له صعوبات ومشاكل، وسيبتلى بالظلم والإستكبار والإستعلاء، ولذا فإنحرف العقيدة وتلَوْن الاعتقاد أشد خطراً من أى سقم ومرض...

لذا فثمة تعاليم مهمه يطبقها الإسلام صوناً للأنام عن الانحراف العقائدى والفساد الفكرى، لئلا يختطف المدلسون وسراق العقيدة هذه الثروه الإنسانيه

النفيسه التى لا- نظير لها، فكان من هذه التعاليم والفرائض المهمه وجوب كشف البدع والبراءه من أهل البدع، والرد على شبهاتهم، وتحريم نشر عقائدهم الفاسده، والحظر على انتشار كتب الضلال، ووجوب إبطال الباطل وإظهار الحق، ونظائر هذه الأمور وذلك من أجل صيانه العقائد عن الانحراف، وحمايه ثغور المسلمين الفكرية والعقائديه.

فمثل هذا التحذير (من أصغى إلى ناطق فقد عبده) والتأكيد على مجالسه العلماء والإجتناى عن مجالسه أهل البدع إنما كان ذلك لهذا الغرض.

وما يأمر به القرآن الكريم فى قوله تعالى: [وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره] (١) وفى قوله تعالى: [إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم] (٢) كل ذلك للحفاظ على العقائد والأخلاق وصونها...

وإن على كل مسلم أن ينظر فى عقائده ليطمئن إلى مطابقتها لتعاليم القرآن المجيد وإرشاداته، وتعاليم النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسيرته. وليخلص نفسه من خطر الضلال.

والمرجع الأول أو الأساس لبلوغ الإنسان هذا الهدف هو القرآن المجيد، والأحاديث المتواتره المقطوعه الصدور التى رواها رواه أحاديث علوم أهل .

ص: ٢٤٣

١- الأنعام: الآية ٦٨.

٢- النساء: الآية ١٤٠.

البيت عليهم السلام وحمله علومهم.

ثم عليه أن يعرض دينه في الدرجة الثانية على العلماء الذين لهم تعمق في القرآن والحديث، وليس الغرض من ذلك التقليد طبعاً، بل من أجل أن يتعلم منهم ويصل إلى اليقين والإعتقاد بالاستدلال المناسب في كل باب.

ومن جملة السبل لتصحيح الاعتقاد من حيث مباني الاعتقاد الإسلامي مطالعة الكتب التي ألفها أساطين العلماء أمثال الصدوق، والشيخ المفيد، والشيخ المجلسي (1) والشيخ البهائي، والشهيدان ونصير الدين الطوسي، وغيرهم من الأعظم ممن كتب في الاعتقادات.

ولا يخفى أن كتب الاعتقادات والعقائد في أصول الدين وسائر عناوينه كثيرة جداً، يضاف إليها ما كتب بكثرة في بعض المسائل الإعتقادية بوجه خاص، كالتوحيد والنبوه والإمامه.

والهدف من تأليف هذه الكتب هو أن لئلا يضيف ذوو الأهواء والأغراض والمبدعون شيئاً على العقائد والمعارف الإسلامية، ولتصان المسائل الاعتقادية والمباحث التي استنبطت من مصدر إسلامي للرد ثانياً على أولئك الذين ينسبون إلى المسلمين وخاصة شيعة أهل البيت عليهم السلام منهم العقائد الفاسده ردّاً قامعاً.

ص: ٢٤٤

١- من الطريف أن نذكر هنا أن هذه (الاعتقادات) التي جمعها العلامة المجلسي في ٧٥٠ بيتاً، وفقاً لما يرويه المحدث النوري في ليله من اخريات ليالي محرم الحرام سنة ١٠٨٦ هـ ق في مشهد الرضا عليه السلام، هي حسب تصورنا دليل على تأييده من عند الله لاستحضاره الذهنى وإحاطته الشامله، وهي كسائر التوفيقات التي لا نظير لها التي كانت من نصيب مفخره الإسلام المجلسي قدس سره.

والفائدة الثالثة: هي أن ينظر المسلمون فيها ليصححوا اعتقاداتهم ويعرفوا آراء علماء مذهبهم.

ومما لا ينبغي أن يجهل أن بعض هذه الكتب لو اشتملت على مسائل لا يجب الاعتقاد بها في حد نفسها، فهو لكي تحتضن الثقافه الإسلاميه جميع المسائل التي تتعلق بالمعارف الإسلاميه من تفسير، وقصص أنبياء، وما يجرى في القيامه وعالم البرزخ، والملائكه والجنه والنار، والأمور الأخرى المستفاده من الكتاب العزيز والأحاديث الشريفه، ولثلا يؤول أحد القرآن أو الحديث حسب ظنه وسليقته على خلاف ظواهره، والمعاني المقبوله فيعد ذلك عرفاناً أو فلسفه من نفسه، ثم ينسبه إلى الإسلام وأولياء الإسلام.

من أجل ذلك كانت مطالعه كتب العقائد مفيده جداً، نافعه مانحه الوعي والمعرفه.

كتابان قيমান

من جمله الكتب القيمه النفيسه التي ألفت في هذا الحقل كتاب (الاعتقادات) للشيخ الجليل الحافظ لأسرار علوم آل البيت عليهم السلام الشيخ الصدوق، وكتاب (تصحيح الاعتقاد) للشيخ الأعظم فخر الشيعه، وقامع البدع، ورافع رايات الحق الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليهما.

فهذان الكتابان قيمان نافعان متضمنان فوائد جمه، وإنّ مطالعتهما جميعاً تفتح للقراء آفاقاً بعيدة المدى. في كتاب (الاعتقادات) مسائل يجب على الكل

ص: ٢٤٥

الاعتقاد بها، كما ذكرت إلى جانبها مسائل لا يجب الاعتقاد بها، وفي بعض الموارد أثرت بحوث فقيهه وفرعيه وعمليه، وهي تحت عنوان (اعتقادنا) ولم تفرق بين هذه المسائل لامن قبل الشيخ أبي جعفر الصدوق نفسه، ولا من قبل أبي عبد الله المفيد.

وما هو مسلم في المسائل التي لا يجب الاعتقاد بها أنه ينبغي أن يكون الاعتقاد بها غير مخالف للمسائل والاعتقادات الواجبه الأصلية، ولا مخالفاً لضروريات الدين، لكن لا يلزم أن يكون الإنسان معتقداً بها أو بكيفيات بعضها الآخر، وإن كان يجب الاعتقاد بأصلها ولا يكلف الانسان بأن يعتقد بها او يبلغ درجه اليقين فيها.

فمثلاً في باب الاعتقاد في التكليف: الاعتقاد بأن الله تعالى يكلف بما لا يطاق لكان ذلك منافياً للعقيدة بعدل الباري، وتنزهه عن الصفات والأفعال القبيحه، إلا أنه لا يلزم مع الاعتقاد بتنزه الله تعالى عن فعل القبيح، الالتفات إلى تفاصيله مثل أنه تعالى لا يكلف بما لا يطاق.

وفي باب الجبر والتفويض: الإعتقاد بالجبر المستلزم إثبات صدور الظلم والقبيح عن الله مناف للاعتقاد بالعدل، والاعتقاد بالتفويض في بعض معانيه مناف للتوحيد، إلا أن عدم الالتفات (بالأمر بين الأمرين) إذا لم يكن مفهومه العقيدة بأحد الأمرين لا يوجب الخروج عن الإيمان، فليست معرفه الأمر بين الأمرين شرطاً في الإيمان.

وفي مسأله الوحي: يجب الاعتقاد بالوحي وارتباط النبي بعالم الغيب، ورسالته من قبل الله ونبوته، لكن لا يجب الاعتقاد بكيفيه ذلك وإن افترضنا إمكان

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيره فى الاعتقادات مما لسننا فى صدد استقصائه، ولعلنا سنشير إلى بعضها خلال بحثنا فى أبواب هذين الكتابين.

والآن نود بمراجعتنا هذين الكتابين للتلمذه أن نجلس فى مدرسه علم هذين نابغتين فى الحديث والكلام وعمّدين معارف الدين، وننهل من معانيهما الفياض، وأن نقتطف من ثمار علومهما اليانعه.

وأول باب فتحه أبو جعفر عليه الرحمه فى هذه الرساله الموسومه بالاعتقادات، باب له تقدم مطلق على جميع الأبواب، وهو باب التوحيد الذى عبر عنه ب (باب اعتقاد الإماميه فى التوحيد) ثم قال:

(إعلم أنّ اعتقادنا فى التوحيد: أنّ الله تعالى واحد أحد ليس كمثله شىء، قديم لم يزل ولا يزال سمياً بصيراً، عليمًا حكيمًا، حيًا قيومًا، عزيزاً قدوساً، عالماً قادراً غنياً، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورته ولا عرض ولا خط ولا سطح، ولا ثقل ولا خفه، ولا سكون ولا حركه، ولا مكان ولا زمان، وإنه تعالى متعال عن جميع صفات خلقه، خارج (عن الحدين) حد الإبطال وحد التشبيه).

ثم واصل هذه الكلمات الرفيعه العرفانيه مشيراً إلى بعض آيات القرآن وتفسيرها.

ومنها: هذه الآيه الكريمه: [يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود.. وهم

سالمون] (١) فقال فى مقام نفى توهم دلالة الساق على ساق الرجل: الساق وجه الأمر وشدته.

وقال المفيد قدس سره أيضاً «يوم يكشف عن ساق» يريد به: يوم القيامة ينكشف فيه عن أمر شديد صعب عظيم وهو الحساب والمداقه على الأعمال والجزاء.

ومنها هذه الآية: [والسماء بنيناها بأيد] (٢) فقال فى تفسيرها: الأيد: القوه، ومنه قوله تعالى: [واذكر عبدنا داود ذا الأيد] (٣) يعنى ذا القوه.

وجاء فى كلام المفيد (ومضى فى كلام أبى جعفر رحمه الله شاهد اليد عن قدره قوله تعالى: [واذكر عبدنا داود ذا الأيد] (٤) فقال: ذو القوه).

قال الشيخ المفيد: وفيه وجه آخر وهو أن اليد عبارته عن النعمه قال الشاعر:

له على أيد لست أكفرها وإنما الكفر ألا تشكر النعم

فيحتمل أن قوله تعالى: [داود ذا الأيد] (٥) أن يريد به: ذا النعم، ومنه قوله تعالى [بل يدها مبسوطتان] (٦).

أقول: كأنه اشتبه الأيد المفرد الذى هو بمعنى القدره والقوه بالأيد الذى جمع ٦٤

ص: ٢٤٨

١- القلم: الآيه ٤٢ و ٤٣.

٢- الذاريات: الآيه ٤٧

٣- ص: الآيه ١٧

٤- ص: الآيه ١٧.

٥- ص: الآيه ١٧.

٦- المائده: الآيه ٦٤

يد، والشيخ أبو جعفر فسّر الآية على الأيد المفرد لا على الأيد الذي هو جمع، والشيخ أبو عبد الله فسّره على ما هو جمع اليد. والظاهر هو الأول الذي فسر اللفظ به.

ومنها تفسيره لهذه الآية: [ونفخت فيه من روحي] (١) إذ قال: وهو روح مخلوقه جعل الله منها في آدم وعيسى، وإنما قال روحي كما قال بيتي وعبدى وجنتي، أي مخلوقي وناري وسمائي وأرضي.

وقد استدرك الشيخ أبو عبد الله المفيد على هذا التفسير فقال (ليس وجه إضافه الروح إلى نفسه والبيت إليه من حيث الخلق فحسب، بل الوجه في ذلك التمييز لهما بالإعظام والإجلال).

لكن هذا الاستدراك على الصدوق - كما يبدو - غير موجه؛ لأنّ الظاهر هو أنّ الغرض من وصف الروح بقوله: هي روح مخلوقه، بيان حدوث الروح ومخلوقيتها وإثبات صفات الحدوث والمخلوقيه لها، ودفع توهم عدم حدوثها لا أنّه لم يلتفت إلى أنّ الإضافة تكريميه وتشريفيه، ويكفي دليلاً على التفاته إلى هذه اللطيفه أنّه في مقام التشبيه شبه إضافه الروح بإضافه البيت إلى ذاته المقدسه.

ومن الآيات التي فسرها الصدوق في هذا الباب في رفع توهم المجسمه قوله تعالى: [يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي] (٢) فقال: إنّ المراد: بقدرتي ٥.

ص: ٢٤٩

١- الحجر: الآية ٢٩ و ص: الآية ٧٢.

٢- ص: الآية ٧٥.

وقد استدرك عليه الشيخ المفيد فقال: هذا يفيد تكرار المعنى فكأنه قال:

بقدرتى وقدرتى، أو بقوتى وقوتى، إذ القدره هى القوه والقوه هى القدره، بل المراد من (بيديّ) هو: بنعمتى، والمراد منهما نعمه الدنيا ونعمه الآخرة و (الباء) فى قوله تعالى (بيديّ) تقوم مقام اللام واللام لام الغايه، أى خلقت لنعمتى كما قال فى سوره الذاريات: [وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون] (١) ثم قال: وفى تأويل الآيه وجه آخر وهو أن المراد باليدين فيهما هو القوه والنعمه فكأنه قال:

خلقت بقوتى ونعمتى، وفيه وجه آخر وهو أن إضافه اليدين إليه إنّما اريد تحقق الفعل وتأكيده إضافته إليه وتخصيصه به دون ما سوى ذلك من قدره أو نعمه، وشاهد ذلك قوله تعالى: [ذلك بما قدّمت يداك] (٢) والعرب تقول (يداك أوكتا، وفوك نفخ).

ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الصدوق قال فى تفسير الآيه أيضاً: [بل يداه مبسوطتان] يعنى نعمه الدنيا ونعمه الآخرة.

وربّما استفيد ذلك من قول اليهود: [يد الله مغلوله] (٣) حيث ذكروا اليد مفرده بمعنى أنّ اليهود لما كانوا غير معتقدين بعالم الآخرة، بل كانوا يعتقدون بنعمه الدنيا وهذا العالم فحسب، فإنّهم عبروا عن ذلك باليد، وبما أنّهم كانوا يزعمون أنّ ٤.

ص: ٢٥٠

١- الذاريات: الآيه ٥٦.

٢- الحج: الآيه ١٠.

٣- المائده: الآيه ٦٤.

هذا العالم يجرى لوحده وأنّ الله فرغ منه وخرج عن أمره، فقد أنكروا استمرار نعمه الله وإفاضه فيضه، ولذا فقد عبر عن قولهم:
[يد الله مغلوله]

وفى عبارته: [بل يدها مبسوطتان] رد على الإعتقادين الفاسدين، وذلك بأنّ الدنيا ونعمتها واستمرارها منه سبحانه، والآخرة ونعمتها واستمرارها من قبله أيضاً. فالله لم يفرغ من الأمر و [كلُّ يوم هو في شأن] (١).

أما تفسيره لقوله تعالى: [لما خلقت بيدي] حيث إعتبر الباء بمعنى اللام وجعل اللام للغايه فيبدو بعيداً، أضف إلى ذلك أن لفظي القوه والقدره ليسا مترادفين بمعنى واحد، فمعناهما مختلف بحسب اللغه، ولذا فقد قيل في الأسماء الحسنی لله: إن معنى القادر غير معنى القوی.

وبعد هذا نقول: يبدو أنّ أظهر الوجوه في تفسير الآيه الشريفه هو الوجه الثالث من الوجوه التي أشار إليها المفيد، وهو بما أن ظهور قدره الإنسان إنّما يكون بكنتي يديه، وبكنتي اليدين تتجلى القدره بصوره أكمل وأكثر لذا فقد بيّن بهذا التعبير ظهور كمال قدره الله في خلق آدم وعبر عن ذلك [بيديّ]، وليس المراد منه أنّ قدره الله لها مراتب، وليس شأنها كما هي الحال بالنسبه إلى المقدورات كالإنسان مثلاً، إذ لا يستطيع أن يحمل بيد واحد ما ينبغي حمله بيديه معاً.

وفى علم الله وقدرته لا يوجد هذا التفاوت والإختلاف فيهما بالنسبه إلى المقدورات والمعلومات، لكن قدره الله الواسعه غير المتناهيه هذه هي التي ٩.

ص: ٢٥١

١- الرحمن: الآيه ٢٩.

أظهرها بخلق المخلوقات الصغيره والكبيره، وما يرى وما لا يرى، والإنسان والحيوان، والملائكه والمجردات، والنمل والجراد، والذره الخ.

وفى ذكر بيان وجود الإنسان إظهار للقدره بصوره أجلى، ومن البشر الكاملين آدم عليه السلام وسائر الأنبياء، وخاصه الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وأوصيائه، فهم أكمل وأجلى وأتم صوراً لإظهار قدره الله.

ولهذه الجبهه كان التعبير (بيديّ) فى خلق آدم أكثر ملائمته ومناسبه وموافقه للبلاغه. والله هو العالم بمراده.

ومن جمله الآيات التى فسرها الصدوق فى هذا الباب، دفعاً لتوهم النقص فى ذات البارى تعالى، هذه الآيات: [يخادعون الله وهو خادعهم] (١) وقوله تعالى:

[ومكروا ومكر الله] (٢) و [الله يستهزى بهم] (٣) فقال: وفى القرآن: [يخادعون الله وهو خادعهم] (٤) وفى أن [الله يستهزى

بهم] (٥) وفى القرآن: [سخر الله منهم] (٦) وفى: [نسوا الله فنسيهم] (٧) ومعنى ذلك كله أنه عز وجل يجازيهم جزاء المكر،

وجزاء المخادعه، وجزاء الإستهزاء، وجزاء النسيان، وهو أن ٦٧

ص: ٢٥٢

١- النساء: الآية ١٤٢

٢- آل عمران: الآية ٥٤

٣- البقره: الآية ١٥

٤- النساء: الآية ١٤٢.

٥- البقره: الآية ١٥.

٦- التوبه: الآية ٧٩

٧- التوبه: الآية ٦٧

ينسيهم أنفسهم كما قال عزوجل: [ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم] (١)؛ لأنه عزوجل في الحقيقه لايمكر ولا يخادع ولا يستهزىء ولا يسخر ولا ينسى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقد استدرك المفيد عليه قائلاً (هو كما قال إلاً أنه لم يذكر الوجه في ذلك، والوجه أن العرب تسمى الشيء باسم المجازى عليه للتعلق فيما بينهما والمقارنه، فلما كانت المجازى عليها مستحقه لهذه الأسماء كان الجزاء سمي بأسمائها (ص ٢١).

ثم استشهد بهذه الآيه: [إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً] (٢) ثم قال (فسمى ما يأكلون من الطيبات تسميه النار وجعله ناراً لأن الجزاء عليه النار).

وبديهي أنه إذا كان غرض المفيد من الإستشهاد بهذه الآيه لبيان أنه بمجرد المقارنه بين الجزاء والمجازى عليه يطلق أحدهما على الآخر كما هي الحال في آيات المكر والخديعه والإستهزاء، اذ اطلق الجزاء وأريد به المجازى عليه، وفي هذه الآيه انعكس الأمر فأطلق المجازى عليه مكان الجزاء وهو النار، فذاك إتمام للمطلب.

وقد استدرك المفيد على الصدوق في تفسير قوله تعالى: [نسوا الله] (٣) فقال: ٩.

ص: ٢٥٣

١- الحشر: الآيه ١٩

٢- النساء: الآيه ١٠

٣- الحشر: الآيه ١٩.

النسيان فى اللغة هو الترك والتأخير، وبناء على هذا فمعنى: [نسوا الله] تركوا إطاعه الله ومعنى: [نسيهم] تركهم من ثوابه، ومعنى قوله تعالى: [فأنساهم أنفسهم] (١) أى ألجأهم إلى ترك تعاهدها إلخ.

لكن يمكن أن يقال إن المتبادر إلى ذهن العرف هو تفسير الصدوق والله أعلم. ٩.

ص: ٢٥٤

١- الحشر: الآية ١٩.

قال الشيخ أبو جعفر الصدوق (كلما وصفنا الله تعالى من صفات ذاته؛ فإنما نريد بكل صفة منها نفى ضدها عنه عز وجل ونقول: لم يزل الله عز وجل سمياً بصيراً عليمًا حكيمًا قادرًا عزيزًا حيًا قيومًا واحدًا قديمًا، وهذه صفات ذاته (ص ٨) ولانقول: إنه عز وجل لم يزل خلاقًا فاعلاً شائياً مريداً راضياً ساخطاً رازقاً وهاباً متكلمًا، لأن هذه الصفات صفات أفعاله وهي محدثه لا يجوز أن يقال: إن الله لم يزل موصوفاً بها).

أما المفيد فقد استدرك على الصدوق قائلاً (صفات الله تعالى على ضربين، أحدهما: منسوب إلى الذات فيقال: صفات الذات وثانيهما: منسوب إلى الأفعال، فيقال: صفات الأفعال والمعنى في قولنا: صفات الذات أن الذات مستحقه لمعناها استحقاقاً لازماً لا لمعنى سواها، ومعنى صفة الفعل: أن الله - بوجود الفعل وصدوره عنه - يوصف بالفعل وبدونه، أو كما قال المفيد... قبل وجوده لا يوصف به، فصفات الذات تطلق على الذات، والله متصف بها دون

واسطه معنى آخر غير ذاته جل وعلا، إلا أنّ اتصافه بصفه الفعل بواسطه معنى آخر وهو صدور الفعل عنه.

وقال: إنّ صفات الذات لا يصح لصاحبها الوصف بأضدادها ولاخلوه منها، وأوصاف الأفعال يصح الوصف لمستحقيها بأضدادها وخروجه عنها، ألا- ترى أنّه لا يصح وصف الله تعالى بأنّه يموت، ولا بأنّه يعجز، ولا بأنّه يجهل، ولا يصح الوصف عن كونه حياً عالماً قادراً ويصح الوصف بأنّه غير خالق اليوم ولا رازق لزيد ولا محيي لميت، الخ.

وتوضيحاً لذلك نقول: الظاهر أنّ الصدوق أراد من قوله (كلما وصفنا الله تعالى من صفات ذاته؛ فإنّما نريد بكل صفه منها نفى ضدها...) نفى الصفات الزائدة على الذات ولا نقول (الله علمٌ وعالمٌ ذاته وعلمه).

كأنّه أراد أن يقول: إنّ مدلول العالم والقادر... وما يفهم من ذلك مع ملاحظه نفى الصفات الزائدة على الذات: أنّ الله ليس بجاهل أو الله ليس بعاجز، وبتعبير آخر: لعل مراده أنّ الفرق بين صفه الذات وصفه الفعل، أنّ مفهوم صفه الذات هو نفى ضدها عن الله، أى معنى (الله عالم) هو إثبات العلم لله، بهذا المفهوم أن ضده منفى عن الله، وأن الله ليس متّصفاً بضع ذلك و (ليس بجاهل) الذى مفهومه نفى كل نوع من الجهل كالجهل بالجزئيات، لأنّ نقيض السالبه الكليه (ليس بجاهل) الموجه الجزئيه (جاهل بالجزئيات) بخلاف قولنا (الله الشافى) أو الله الكافى الذى ليس مفهومه أن الله ليس بالشافى وليس بالكافى. وبهذين المعيارين تتميز صفات الذات عن صفات الفعل.

واللطيفه المهمه الأخرى هنا: هى أنّه إذا كانت فى الصفات التى ذكرها

الصدوق، وسائر صفات الله الكمالية، سواء كانت جمالية أو جلالية، ما اختلف فيه أهي صفة الذات أم صفة الفعل، ولم تتضح ماهيتها من الكتاب والسنة؛ فإنَّ طريق السلامة والنجاه أن نتجنب الخوض فيها ونكتفى بالإعتقاد الإجمالي في مورد الاعتقاد والتدين بها، وأن نعرض عن الجدل والنقاش في مثل هذه الأمور.

وينبغي أن نروى بعض الأحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة في هذا المقام لمناسبه الكلام، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لمحمد بن مسلم: «يا محمد، إن الناس لا يزال بهم المنطق حتى يتكلموا في الله فإذا سمعتم ذلك فقولوا: لا اله إلا الله الواحد الذي ليس كمثلته شيء»^(١). وروى عنه عليه السلام أنه قال أيضاً «من نظر في الله كيف هو هلك»^(٢).

كما روى عن أحد الصادقين (إما الباقر أو ابنه أبي عبد الله عليهما السلام) أنه عند ما سُئِلَ عن شيء من الصفه: «رفع يده إلى السماء ثم قال: تعالي الجبار تعالي الجبار من تعاطى ما ثمَّ هلك!»^(٣).

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنَّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الإقتحام على السدد المضروبه دون الغيوب، إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا: [آمنا به كلُّ من عند ربنا]^(٤). وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم ٧.

ص: ٢٥٧

١- الكافي: ج ١ ص ٩٢.

٢- الكافي: ج ١ ص ٩٣.

٣- الكافي: ج ١ ص ٩٤.

٤- آل عمران: الآية ٧.

التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً^(١).

الاعتقاد فى التكليف

لم يستدر ك الشيخ أبو عبد الله المفيد فى هذا الباب على الشيخ الصدوق رحمهما الله وخلاصه كلام الشيخ أبى جعفر هو أن الله تعالى لم يكلف عباده إلّا دون ما يطيقون واستشهد بقوله تعالى: [لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها]^(٢). ثم فسّر الوسع بأنه (دون الطاقه) كما تمسك بحديث روى عن الصادق عليه السلام فى هذا الشأن أيضاً.

الاعتقاد فى أفعال العباد

قال الصدوق عليه الرحمه: اعتقادنا فى أفعال العباد أنّها مخلوقه خلق تقدير لا- خلق تكوين، ومعنى ذلك أنه لم يزل عالماً بمقاديرها.

وقد إستدر ك الشيخ المفيد قدس سره على الشيخ أبى جعفر بقوله: الصحيح عن آل محمد صلى الله عليه و آله أنّ أفعال العباد غير مخلوقه لله، والذى ذكره أبو جعفر قد جاء به حديث غير معمول به ولا مرضى الإسناد، والأخبار الصحيحه بخلافه، وليس يعرف فى لغة العرب أنّ العلم بالشىء هو خلق له، ولو كان ذلك - كما قال المخالفون للحق - لوجب أن يكون من علم النبى صلى الله عليه و آله فقد خلقه، ومن علّم

ص: ٢٥٨

١- نهج البلاغه [شرح صبحى الصالح]: الخطبه ٩١.

٢- البقره: الآيه ٢٨٦.

السماء والأرض فهو خالق لهما، ومن عرف بنفسه شيئاً من صنع الله تعالى وقرره في نفسه لوجب أن يكون خالقاً له. وهذا محال لا يذهب وجه الخطأ فيه على بعض رعيه الأئمة عليهم السلام فضلاً عنهم...

فأما التقدير فهو الخلق في اللغة؛ لأنَّ التقدير لا يكون إلّا بالفعل، فأما بالعلم فلا يكون تقديراً ولا يكون أيضاً بالفكر، والله تعالى متعالٍ عن خلق الفواحش والقبايح على كل حال.

وعقّب على ذلك بروايه عن أبي الحسن الثالث عليه السلام فقال: إنّه سئل عن أفعال العباد فقيل له: هل هي مخلوقه لله تعالى؟ فقال عليه السلام: «لو كان خالقاً لها لما تيزراً منها، وقد قال سبحانه: [الله برىء من المشركين ورسوله] (١) ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم وإنما تيزراً من شركهم وقبائحهم» (٢). ثم ذكر الإمام عليه السلام ما جرى بين أبي حنيفة والإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في هذا المقام واستشهد ببعض الآيات التي تدلّ على تنزّه الله عن فعل القبيح.

ونحن نقول في هذا البحث: من المتيقن به أنّ الشيخ الصدوق كالشيخ المفيد لا يرى أنّ الله فاعل أفعال العباد، وما ذكره الشيخ المفيد من الآيات والروايات فيه تطابق نظر ووحده رأى بينه وبين الشيخ الصدوق، إلّا أنّه هنا أراد أن يفسر ظواهر من قبيل (الله خالق كل شيء) (٣) أو (كلُّ من عند الله) (٤) ففي الوقت ٧٨

ص: ٢٥٩

١- التوبة: الآية ٣

٢- بحار الأنوار: ج ٥، ص ٢٠.

٣- الزمر: الآية ٦٢

٤- النساء: الآية ٧٨

الذى يكون الإنسان نفسه فاعل أفعال نفسه، لكن لما كان العلم بما فيه من هذا النظام والترتيب والتقدير، ومن جملته كون الإنسان مختاراً هو فعل الله ومحكوم تقديره، فمن هذه الجهة يكون صدور المعصية والقيح من الإنسان باختياره بتقدير الله ومن لوازم خلقه وتقديره وآثارهما أيضاً، لذا فلو قيل بأن أفعال العباد هي مخلوقه من الله، فإنه لم يقع في ذلك خلاف ولا إثبات نقص واستناد قبيح إليه سبحانه، ولعل ذلك هو معنى (الحديث القدسي) (يا بن آدم بمشيئتي كنت أنت الذى تشاء لنفسك).

وبديهي أن العالم بالمقادير هو خالق التقادير، ومن هذا المنطلق جاز أن يطلق عليه خالق المقادير، وهذا هو غير الفعل المتعلق بالتقدير الواقع في التقدير، كما أن تقدير أمور عالم الخلق ونظامه المقدر والمقرر، غير العلم بالنظام والتقدير، وعلم الله وإن كانت حقيقته التي هي حقيقه الذات عينها غير معلومه لأحد، إلا أننا نعلم هذا القدر وهو أن غير العلم مخلوق.

إذن فلا يمكن القول: بأنه إذا كانت أفعال العباد مخلوقه بخلق التقدير فمن علم النبي فقد خلقه فهذا الإشكال لا يرد ونقول: فإنه لا يرد على الصدوق، أى:

إشكال، وما قاله الصدوق وتوضيحنا عليه هو ما قاله الشيخ المفيد في ذيل (باب الجبر والتفويض).

وعلى كل حال فما قاله المفيد هو الحقيقة عينها، وهو أن (الله تعالى متعال عن خلق الفواحش والقبايح على كل حال) وهذه حقيقة يعتقد بها الصدوق وأهل العلم جميعاً والشيعه قاطبه، والآيات والروايات صريحة في ذلك، ولايتهم أى شيعى بغير هذا الإعتقاد.

أما الاستدلال بخصوص الآيه: [ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت] (١) فمحل نظر وتأمل، لأننا إذا لم نقل: إنّ الخلق - هنا - ظاهر في معناه المصدري وهو الإيجاد، لا بمعنى اسم المصدر، فعلى الأقل أنّ المعنى الثانى غير راجح أو ليس بأرجح من المعنى الأول.

الاعتقاد فى نفى الجبر والتفويض

قال الشيخ أبو جعفر الصدوق: إعتقادنا فى الجبر والتفويض قول الإمام الصادق عليه السلام «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين» فقيل له: وما أمر بين أمرين؟ فقال: «ذلك مثل رجل رأته على معصيته فنهته فلم ينته، فتركته، ففعل تلك المعصيه، فليس حيث لا يقبل منك فتركته، كنت أنت الذى أمرته بالمعصيه».

ولتوضيح هذا الحديث الشريف وقبل التعرض إلى كلام الشيخ أبى عبد الله المفيد نقول: يحتمل أن يكون المراد أن الأمور غير مفوضه إلى الناس أنفسهم، وإلّا لكان كل من التكليف والأمر والنهى فى غير محله، كما أنّ الإختيار لم يسلب منهم، وإلّا لما كان يتحقق منهم العصيان فى التكليف.

وهذا البيان يكون وجيهاً فى صورته ما لو كان المراد من التفويض هو التفويض المطلق، أى: الأعم من التفويض التكويني و التشريعي؛ لأنّ التفويض التشريعي ينتفى بهذا البيان.

ويمكن أن يبين بهذا النحو وهو أنّ الأمر بين الأمرين، يعنى أن نهى العبد عن

ص: ٢٤١

المعصية لا يكون سبباً عن صدّه عن المعصية، وتركه على حاله لا يكون دافعاً له إلى المعصية، وفي هذا الأمر (الوسط) يكون اختياره محفوظاً لكنّه ليس بلاكليف ولا مفوض إليه.

إلّا أنّ الشيخ أبا عبد الله المفيد عرف الجبر أولاً فقال: هو الحمل على الفعل... بالقهر والغلبه، وحقيقته إيجاد الفعل في الخلق دون أن يكون لهم القدره على الإمتناع. ثم قال: وقد يعبر عما يفعله الإنسان بالقدره التي معه على وجه الإكراه له على التخويف والإلجاء، أنه جبر، والأصل فيه ما فعل من غير قدره على إمتناعه منه حسب ما قدمناه، وإذا تحقق القول في الجبر على ما وصفناه كان مذهب أصحاب المخلوق هو بعينه، لأنهم يزعمون أنّ الله تعالى خلق في العبد الطاعه من غير أن يكون للعبد قدره على ضدها والإمتناع منها، وخلق فيه المعصية كذلك، فهم المجبره حقاً والجبر مذهبهم على التحقيق.

والتفويض: هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال، والإباحه لهم مع ما شاءوا من الأعمال، وهذا قول الزنادقه وأصحاب الإباحات، والواسطه بين هذين القولين: أنّ الله تعالى أقدر الخلق على أفعالهم ومكّنهم من أعمالهم وحدّ لهم الحدود في ذلك، ورسم لهم الرسوم، ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها الخ... (١).

وتعقيباً على ما قاله هذان الشيخان العظيمان، ينكشف بما ذكرناه آنفاً من شرح توضيحي لمفاد الروايه التي رواها الشيخ الصدوق عليه الرحمه - أن ٣.

ص: ٢٦٢

التفويض عندهما جميعاً بمعنى واحد.

كما ينبغي أن نستدرك قائلين: إن التفويض اطلق على معنيين آخرين:

أحدهما: تفويض الخلق والرزق إلى الأئمة عليهم السلام كما روى عن الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: «من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليه فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله فوّض الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال:

بالتفويض. فالقائل: بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك»^(١).

وما يلمس من خلال هذا التعريف: أنّ مورد الجبر والتفويض ليس واحداً، فالجبر في مورد أفعال العباد، والتفويض في أمر الخلق والرزق، ووفقاً لهذا التعريف، فإنّ تصور الأمر بين الأمرين اللذين هما في مورد واحد يكون بغير موضوع.

وثانيهما أنّ العباد في أفعالهم مخيرون وهم في غنى وإستقلال عن المدد الإلهي وقوته، وأعمالهم تصدر دون حوله وقوته، ولا توجد في البين مسائل من قبيل التوفيق والخذلان.

والظاهر: أنّ المسألة التي أُثيرت بين المتكلمين والأشاعرة والعدليه في الجبر بمعناه المذكور والتفويض، هي بهذا المعنى، والحديث الشريف «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين» والأحاديث الكثيرة الأخرى والوجوه المذكورة في المراد من «الأمر بين الأمرين» تشعر بهذا المعنى وهو أنّ التفويض في قبال الجبر، كالرواية الواردة عن محمد بن عجلان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فوّض الله الأمر إلى العباد؟ فقال: «الله أكرم من أن يفوّض الأمر إليهم، ٤.

ص: ٢٦٣

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٢٤.

قلت: فأجبر الله العباد على أفعالهم؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثم يعذبه عليه»(١).

وقال عليه السلام في حديث آخر: «الله تبارك وتعالى أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقونه، والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد»(٢).

الاعتقاد في الإرادة والمشيه

ما قاله الصدوق عليه الرحمه في هذا الباب ليس بمكان من الوضوح يصل إليه فهم مثلى بسهولة، ونستطيع أن ندرك نظرات هذا الرجل العظيم، لذا فنحن في حدود ما فهمناه واستظهرناه من أقواله في هذا الشأن نسجل ملاحظتنا فنقول:

الظاهر من كلمات الصدوق: أنه عدّ الإراده والمشيه بمشابه اللفظين المترادفين، وفرق بينهما وبين الحب والرضا والسخط والكراهه.

فما كان متعلق الإراده والمشيه فهو حتمى الوقوع، وما كان متعلق الحب والرضا فلا يلزم منه الوقوع، كما أنّ ما هو متعلق السخط والكراهه لا يلزم منه العدم، بل أراد ما يكون متعلق حبه أو كرهه أن يفعل أو يترك بإختيار الفاعل.

ولإيضاح هذا الأمر أستشهد بآيات من قبيل: [لا يرضى لعباده الكفر](٣) و

ص: ٢٦٤

١- التوحيد للصدوق: ص ٣٦١.

٢- الكافي: ج ١ ص ٣٨٩.

٣- الزمر: الآية ٧.

[ولو شاء ربُّك لآمن في الأرض كلهم جميعاً] (١) ولديه عبارات هي محل نقاش، كما نرى كقوله (شاء أن لا يكون شيء إلابعلمه)؛ لأنَّ الإرادة أو المشيئة تتعلَّق بأمر لا يوجد لولا الإرادة والمشيئة، أما الشئ الذي لا يكون إلابعلمه فهذا تحصيل حاصل وواقعيه ثابتة...

وما ينبغي التنويه عنه هنا أنَّ العبارة في النسخة المطبوعه عندي من إعتقادات الصدوق وردت كلمة (بعلمه) في جملة (شاء الله أن لا يكون شيء إلابعلمه) بالباء الموحده، وإذا أردنا أن نؤوِّل هذه الجملة بما يلي: شاء الله أن لا يقع شيء إلا بسبب علمه، أي: أراد أن لا يقع ما لا يعلمه، فهذا مستلزم للجبر والدور، وهو ما نقله الشيخ المفيد عن قول المجبره الذين لم يصرحوا أنَّ الله أراد المعصيه فيكونوا كفاراً بذلك، فقالوا: يريد أن يكون ما علم كما علم، ويريد أن تكون معاصيه قبائح منهاً عنها!.

والجواب على ذلك: أنَّه يستلزم الدور؛ لأنَّ إرادته (ما علم) - (المعلوم) مثلاً - وجود زيد - متوقفه على إرادته وجوده، وإرادته الوجود ستكون متوقفه على كونه معلوماً...

وخلاصه الكلام هنا - ولعله ينسجم ونظري في هذين الشيخين الجليلين - هو أنَّ النظام المقرر بتقدير الله وتدييره في العالم كله، والله عالم به، سيقع وفقاً للنظم المقرر بالإرادة الإلهيه، ومن جملته صدور الأفعال عن العباد بإختيارهم متعلق هذه الإرادة، أما الكفر والظلم والأعمال القبيحه فلا يرضاهما وقد نهى عنها ولو صدرت عن العباد في هذا النظام فقد اسند صدورهما إليهم أنفسهم، فما هو ٩.

ص: ٢٦٥

متعلق الإرادة كون العباد مخيرين، ومن هذه الجهة، فإنه لم يجبر العباد ولم يضطرهم على صدور أفعال الخير، ولم يرد أن يضيق عليهم ويثقلهم ويعسر عليهم، لذا فإن جميع العالم يجرى وفقاً لإرادة الله تعالى ومشيئته، ولا يقع شيء خارج إرادته ومشيئته، ومن ذلك أفعال العباد أيضاً فلا تصدر عنهم جبراً، ومع ذلك فجريان نظام العالم تحت رعايته ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو يجرى بحوله وقوته و (كل يوم هو في شأن).

الاعتقاد في القضاء والقدر

ذكر الصدوق رحمه الله في هذا الباب روايات مهمة وغزيره جداً، يدرك مضامينها المتضلعون في المعرفة إلى حد ما.

وهذه الروايات تشير إلى غموض أمر القدر وعظمه أسرار الخلق ودقائقه، وعجز البشر عن أن يتوصل إلى معرفه جميع أسرار عالم الخلق والأفعال، بحيث يبسط العارفون ألسنه التقديس والتسييح تلقائياً خاضعين خاشعين لله وهم يصغون إلى هذا النشيد الصوفي الرائع:

أنى يحيط بكنه ذاتك عابد

فسبحان الذى دانت له السماوات والأرض بالعبوديه.

ص: ٢٦٦

والغرض أن هذه الروايات عند أولئك الذين ذاقوا من عين طعم معرفه الله وأسماءه الحسنی، فی منتهی العذوبه واللذه والانعاش.

أما الشيخ أبو عبدالله المفيد فقد أشار في ما يتعلق بمعنى القضاء إلى أربعة معان بل إلى (خمسة معان) وهي (الخلق) و (الأمر) و (الإعلام) و (القضاء في فصل الخصومات و (الفراغ من الأمر) وقد استدل على هذه المعاني مستشهداً بالقرآن المجيد، وإن كان الأنسب أن يستشهد في الاستدلال على (الفراغ من الأمر) بقوله تعالى: [فإذا قضيت الصلاة] (١).

وواضح أن المعنى المناسب من هذه المعاني الخمسة للقضاء الذي يقترن ذكره بالقدر، هو: الأمر والحكم الذي يشمل الحكم والقضاء التكويني والحكم والقضاء التشريعي.

وما ورد النهي عن التكلم فيه هو الكلام في القدر، وليس المراد منه أن الكلام والفحص عن كيفية الأشياء ممنوع ومنهي عنه - كما لو أردنا أن نعرف مثلاً ممّ يتألف الماء وكم هي نسبه عناصره بالمئه، أو نعرف مقدار الهواء والأشياء الأخرى - فكل ذلك ليس منهيّاً عنه، وما هو بواحدٍ مظلم حتى يكون السلوك فيه خطراً، فإكتشاف علل الأشياء الظاهريه والطبيعيه والكلام فيها وفي ما هو مبدأ العلوم المتعارفه، كالطب والكيمياء والفيزياء والهيئه وغيرها، كل ذلك غير منهي عنه، بل التدبر والتفكر فيه مما رغبت فيه الآيات وحضت عليه الأحاديث كما يقول القرآن الكريم: [وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون] (٢). ٠.

ص: ٢٦٧

١- الجمعة: الآية ١٠

٢- الذاريات: الآية ٢٠.

كما أنّ البحث أو الفحص عن الحكمه من الأحكام الإلهيه وما فيها من مصلحه، وهو ما تتناوله أقلام المتكلمين، كل ذلك ليس بحثاً عن القدر، إلّا أنّ يكون البحث فى سلسله أحكام عباديه بحثه، ومعرفه أسرارها وعللها لاتتم إلّا عن طريق الوحي والنبى الأكرم نفسه صلى الله عليه وآله والأئمه من بعده عليهم السلام الذين هم خلفاءه، فبواسطتهم يمكن استكشافها ومعرفه كنهها، فليس بيان حكمتها تعويلاً على الحدس والتخمين فيها مقنعاً والقول بغير علم فيها منهى عنه.

ولعل المقصود من القدر، الغامضه معرفته والمظلم مسلكه وواديه، هو المعايير والمقادير والنظم الكائنه فى عالم الخلق - غير النظم الظاهرية والأسباب والمسببات المعلومه - والأمور التى لا-يرقى إليها إدراك البشر والبعيده عن متناول العلوم البشريه، وبعبارة اخرى أسرار الخلق والإيجاد والنظم والأحوال الكليه، العامه الجاربه على العالم وسر قسمه الأرزاق.

والخلاصه: الأمور التى يكون البحث فيها والفحص عنها، موجباً للشك والحيره والتردد وظهور فلسفه التحير (لست أدري)، وربّما يكون مدعاه للإعتراض وسوء الظن، وسالباً لحال الإطمئنان فى النفس وحسن ظن الإنسان بكل ما يجرى فى العالم، ومزلزلاً لركونه وتسليمه لأمر الله الذى يكون فيه فى أحسن الحالات وأسعدها، أى: أنّ السلوك فى هذا الوادى والتفكير فيه لايعيق الإنسان من أن ينتهى إلى هدف فحسب بل يجعله مبتلى بمرض سوء الظن والحيره، وهو من أخطر الأمراض النفسيه، وربّما تسوق صاحبها إلى التفكير فى انتحاره وتدمير أحبابه.

والكلام الآخر - هنا - الذى فيه مجال للاستدراك على الشيخ المفيد رحمه الله أنّه قال: قال الشيخ أبو جعفر فى القضاء والقدر: والكلام فى القدر منهى عنه،

وروى حديثاً لم يذكر إسناده.

فإذا كان مقصوده الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب رجل سأله عن القدر فأجابه: «بحر عميق فلاتلجه»^(١)، فلم يكتف السائل بذلك وسأله ثانية فقال له: طريق مظلم فلاتسلكه، ثم سأله ثالثة فقال له: «سرّ الله فلاتتكلفه»^(٢)، وهذا الحديث هو الحديث الثالث من الكتاب القيم (توحيد الصدوق) وقد رواه في الباب (٦٠) (باب القضاء والقدر والأرزاق والأسعار والآجال) عن أبيه على بن الحسين بن بابويه القمي بسند ينتهي إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يذكر مسنده في هذه الرساله (الإعتقادات)؛ لأنها مختصره.

واستدراك المفيد الآخر على الصدوق قوله: عوّل أبو جعفر في هذا الباب على أحاديث شواذ لها وجوه يعرفها العلماء متى صحت و ثبت أسنادها ولم يقل فيه قولاً محصلاً.

أولاً: لم يكن الصدوق في صدد بيان معنى القضاء، وإنما روى حديثاً قيماً عن زراره أنه سأل الصادق عليه السلام فقال له: يا سيدي ما تقول في القضاء والقدر؟ قال:

أقول: «إن الله تعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عما عهد إليهم، ولم يسألهم عما قضى عليهم»^(٣)، وروى نظير هذا الحديث في الباب المذكور من كتابه (التوحيد) بسند ينتهي إلى ابن أذينة. وروى حديثاً آخر في باب القضاء والقدر من كتابه المشار إليه آنفاً بسند ينتهي إلى الأصبغ بن نباته. ٥.

ص: ٢٦٩

١- التوحيد للصدوق: ص ٣٤٥.

٢- التوحيد للصدوق: ص ٣٦٥.

٣- التوحيد للصدوق: ص ٣٦٥.

ومع ذلك فإن الصدوق إذا لم يكن هنا قد بين معنى القضاء وربما أعرض عنه لوضوحه، فإنه ذكر للقضاء في كتابه (التوحيد) عشر معانٍ، واستشهد لجميع هذه المعاني بآيات القرآن الكريم، بينما لم يذكر المفيد قدس سره هنا أكثر من أربعة معانٍ للقضاء، وإن كانت المعاني العشره يمكن إرجاعها بعضها إلى بعض، ونحن لسنا في مقام البحث اللغوي عنها هنا، وإنما مقصودنا أن يعلم أن مثل هذه المعاني لم تكن خافية على الصدوق.

وثانياً: على أى أساس ومعيار عدت هذه الأخبار من الشواذ، مع أن الصدوق نفسه روى في كتابه التوحيد في باب القضاء والقدر ستة وثلاثين حديثاً؟!.

ومما رواه من الأحاديث في هذا الباب حديث آخر مهيب وقيم جداً وهو:

«ألا إن القدر سر من سر الله، وستر من ستر الله، وحرز من حرز الله، مرفوع في حجاب الله»^(١).

وعلى كل حال فإننا في هذا الباب نتزوّد من كلمات هذين العلمين ونجلس على خوان نعمه ومائده بسطها هذان العلمان وأمثالهما للامة الإسلامية عامه وللعلماء والباحثين خاصه، فشكر الله مساعيهم.

والأولى أن نتأدب في هذه الأبواب بأدب الروايات وأن نتجنب عن الخوض في القدر، والأولى من ذلك: أن نقيّد النهى المطلق في هذه الروايات ونعتبره خاصاً بأولئك الذين يعدّ تكلمهم في القدر خلاف مصلحتهم ويعرضهم للضلال.

وعلى أى حال، نحن نظن أن إثارة مسأله قضاء الله وقدره والإيمان بها، من فوائدها أن لا يعد أحد أن يد الله لادخل لها في الأمر، ولا يغفل الناس عن التوكل .

ص: ٢٧٠

على الله والإستمداد من حوله وقوته، فى الوقت الذى هم يتوسلون بالأسباب الظاهرية، ولايسطوا ألسنه الاعتراض والشك بوجه الحوادث والمصائب المكدره أيضاً، وأن لا ينسوا الحقيقه المشار إليها فى هذه الآيه الكريمة: [عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون] (١) فيرضوا بقضاء الله الذى هو (من الأركان الأربعة) وفقاً لتعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والله هو العالم.

الاعتقاد بالفطره

للشيخ المفيد فى بحث الاعتقاد بالفطره رأى آخر غير ما ذهب إليه الشيخ الصدوق.

ولتوضيح ذلك نقول: توجد فى باب الإعتقاد بالفطره وآيات الفطره وأحاديثها كالحديث: «فطرهم على التوحيد» (٢) أو «كل مولود يولد على الفطره» (٣)، ثلاثه أوجه:

الوجه الأول: أنّ المراد من ذلك هو أنّ الله جعل فطره الإنسان نقيه مقتضيه للتوحيد والعقائد الحقه، وحب الحق والخير، والتصديق بحسن العدل وقبح الظلم، والنفور عن الباطل والشر، بحيث لو لم يحجب هذه الفطره تلك الأمور المخالفه من قبيل سوء التربيّه، فالإنسان بنفسه سيهتدى إلى الله ويقر بوجود

ص: ٢٧١

١- البقره: الآيه ٢١٦.

٢- الكافي: ج ٢ ص ١٣.

٣- الكافي: ج ٢ ص ١٣.

الصانع كما يتقبل العقائد الحقه عند ما تعرض عليه.

والصدوق فسّر الفطره بهذا المعنى وقد بحثنا بتفصيل فى (رسالتنا) فى تفسير آيه الفطره حول هذا الوجه، وكونه موافقاً لأصول العقائد الإسلاميه فى الفطره والأحاديث الشريفه التى تدلّ على هذا المعنى.

٢ - والوجه الثانى: أنمعنى «فطر الله الخلق على التوحيد»^(١) فطرهم للتوحيد، أى: خلق الناس للاعتقاد بالتوحيد، وإلى هذا المعنى ذهب الشيخ الأعظم الشيخ المفيد وإختره.

٣ - الوجه الثالث: هو أنه عبّر عن إرادته التوحيد منهم بالإرادته التكوينيّه، والظاهر أنّ المفيد استظهر من كلام الصدوق هذا الوجه فأجاب عن ذلك بقوله:

لو كان الأمر كذلك لكان الجميع موحدين.

وبديهى أنه لو كان الأمر دائراً بين الوجه الثانى والثالث فالقول الصحيح والمعتبر هو قول المفيد (الوجه الثانى) لكن بما أننا ناقشنا: بأنالوجه المعتبر المستفاد من الآيه والروايات هو القول الأول، وهو ما اختاره الصدوق ظاهراً، وفيه رجحان على القول الثانى ظاهراً.

الإعتقاد فى الإستطاعه

إختلاف وجهتى نظر هذين العلمين فى باب الاعتقاد أشبه ما يكون بإختلاف اللفظى، فتعريفنا بأن الاستطاعه بأنّها الوجود المقتضى للقدره، أو

ص: ٢٧٢

١- تصحيح اعتقادات الإماميه: ٦٠.

الوجود المقتضى للقدره على الفعل بشرطه فعلى كل حال: لما كان عدم القدره مستنداً إلى عدم المقتضى فمع وجود المقتضى وعدم الشرط، فالمستند هو عدم الشرط.

وقد عبر عن الاستطاعه بالمعنى الأول فى الآيات والروايات أحياناً، وعبر عنها بالمعنى الثانى فى موارد أُخرى، فإذا كان المقصود من مصطلح الإستطاعه ما يقابل عدم الاستطاعه والجبر، فالقدره على الفعل وتركه استطاعه وإن لم يوجد شرط أعمالها، وعلى أى حال، لا يوجد اختلاف جوهرى بين هذين العلمين، أو لانعرفه.

الإعتقاد فى البداء

يبدو أنّ هذين العلمين متفقان فى رأى مسأله البداء، وإن كان تعبير المفيد أكثر تفصيلاً ونفعاً، وأنا الحقيقير كاتب المقال قد تعرّضت لجميع جوانب هذه المسأله فى رساله (سر البداء) وبوسع القارىء العزيز أن يرجع إلى تلك الرساله.

الإعتقاد فى التناهى عن الجدال

يظهر أنّ هذين العلمين متفقاً النظر فى باب الجدال أيضاً، وإن كان كلام المفيد أبسط وأبين، ولو قلنا: بأنّ كلام المفيد موضح لكلام الصدوق وشرح له لم نعد فى ذلك وجه الصواب.

ص: ٢٧٣

الرواية التي رواها الصدوق في باب (اللوحة والقلم) يحتمل أن يكون المراد منهما الملكين القائمين على اللوح والقلم بأمر الله، وهما يقرآن ما يكتب بقلم القدره ويبلغانه سائر الملائكة.

وأما القول بأن الملائكة يدعون بالألواح والأقلام فغير مستبعد، حيث يكفي في التسميه أدنى مناسبة، وما ورد في حديث (سلسله الذهب) المعروف الذي رواه الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام وذكر سند الحديث فقال «عن اللوح عن القلم عن الله تبارك وتعالى»^(١) الذي يظهر منه أن اللوح والقلم إسم ملكين.

وعلى كل حال فإن ما ورد في هذه المصطلحات على لسان الشرع من اللوح والقلم والعرش والكرسي، وما يتعلّق بعالم الغيب، فمصدر رواياته صحيح حتماً، والإستظهار البدائي منها غير صحيح، وما قاله الصدوق من هذه الجهة قابل للمناقشه، إذ كيف يمكن التعويل على خبر الواحد الذي لا يكون موجِباً للعلم، فيدعى الإعتقاد به، ثم يعبر عنه بلفظ (اعتقادنا) الذي يوهم بأنه هو عقيدة الشيعة جميعهم.

وفي تعريف هذه المصطلحات الإسلاميه والعقائديه:

أولاً: كل تعريف مخالف للأصول الإسلاميه، مثل تنزه الخالق عن صفات المخلوق فهو باطل ومردود.

ص: ٢٧٤

١- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ١٣٦.

ثانياً: لا يصح التعبير القاطع بالجزم بمحض خبر الواحد خاصة إذا كان سنده ضعيفاً غير قوى؛ فإنه لا يحصل الاعتقاد واليقين بالخبر الظنى الصدور، وكل تعريف ينافي اصول المذهب أيضاً في مثل باب (الكرسى والعرش)، وعدم تنزه البارئ تعالى عن الجسميه وصفات المخلوق الأخرى فهو في عقيدته الشيعه باطل ومردود.

أما تعريف العرش بالملك أو المعانى الأخرى، بالإستناد إلى ظاهر اللفظ أو الروايات الشارحه فقابل للطرح، لكن الروايات إذا لم تكن متواتره أو قطعى الصدور، فلا توجب اليقين والعلم والعقيدته نوعاً ما وتجرى في مثل هذه الروايات عبارته (لا يوجب علماً ولا عملاً).

فكما قال الشيخ المفيد: لا يجوز القطع والعمل بالروايات التي هي أخبار آحاد، أى: أن القطع لا يحصل منها عادةً، إلا أنها إذا لم يعارض مضمونها اصول المذهب فلا يجوز ردها أيضاً.

وعلى هذا ففي مقام الكرسى والعرش أيضاً يرد هذا البحث في المراد من «اعتقادنا» وهو أنه إذا كان المقصود منه اعتقاد جميع الشيعه، وأنه يجب على جميع الشيعه أن يكونوا معتقدين فكيف يمكن أن يحصل الاعتقاد في شيء غالباً ما يكون سبباً للإحتمال أو الظن؟ عد هذا المعنى من المسائل الإعتقاديه عند الشيعه؟ كيف يكون توجيهه وإذا كان المراد هو اعتقاد الصدوق شخصياً فلانقاش فيه طبعاً... فقد يحصل لمثله من أخبار الآحاد هذا الاعتقاد بها لوجود القرائن، لكن ذلك لا يلزم منه اعتقاد الآخرين بها، ويكون القول ما قاله الشيخ المفيد عندئذ (إذا كان لمثل كلمتي (الكرسى والعرش) ظاهر، فيعول على ذلك الظاهر،

وإلا فالوجه الوقوف عندها)(١).

الإعتقاد في الكرسي

قال الصدوق رحمه الله: اعتقادنا في الكرسي أنه وعاء جميع الخلق والعرش والسموات والأرض وكل شيء خلقه الله تعالى، والكرسي في وجه آخر هو العلم، وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: [وسع كرسيه السموات والأرض] (٢) قال: هو علمه، وليس للمفيد استدراك على الصدوق في هذا الباب.

الاعتقاد في العرش

يستفاد من كلام الصدوق أنّ العرش يطلق على مجموع الخلق، ويطلق على (العلم) أيضاً، وروى الشيخ الصدوق هنا حديثاً عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قد رواه في كتاب (التوحيد) أيضاً، إذ سئل عليه السلام عن تفسير الآية: [الرحمن على العرش استوى] (٣) فقال عليه السلام: «استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء». والظاهر من هذه الرواية أنه استشهد بإطلاق العرش على العلم، وإستفاد منه أن نسبه جميع الأشياء إلى علم الله على سبيل الإستواء والتساوي، فليس شيء أقرب إليه من شيء.

ثم روى بعض الأخبار الواردة عن حمله العرش من الملائكة، وينبغي أن

ص: ٢٧٦

١- لم نقف على نص للشيخ المفيد وإنما نقلنا مضمون الترجمة.

٢- البقرة: الآية ٢٥٥.

٣- طه: الآية ٥.

نقول: إنها إذا لم يمكن تأويلها من الأخبار نفسها فلانفَى ظاهرها بل نقول: [وما يعلم جنود ربك إلا هو] (١) وسبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك، وما أصغر عظيمه في جنب ما غاب عنا من قدرتك.

ومع ذلك كما اشرنا آنفاً للاعتقاد واجب بهذه المعانى، ولا بأخبار الاحاد يحصل اليقين والاعتقاد لكل أحد.

وفى القسم الآخر من هذا الباب فسّير حمله العرش بالمعنى الثانى، أى: (العلم) ومن جملتهم بل أكملهم رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وكل شيعى مؤمن بولايه الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام يعتقد بذلك، وقد أدلى المفيد فى هذا الباب بدلوه فقال (٢) (العرش فى اللغة هو الملك، والإستواء عليه هو الإستيلاء عليه، فأما الوصف للعلم بالعرش فهو فى مجاز اللغة دون حقيقتها... فأما العرش الذى تحمله الملائكة فهو بعض المملك، والأحاديث التى رويت فى صفه الملائكة الحاملين للعرش، أحاديث آحاد وروايات أفراد لا يجوز القطع بها ولا العمل عليها) والله هو العالم.

الاعتقاد فى النفوس والأرواح

فى بحث النفوس والأرواح جرى نقاش من قبل فأورد على كلام الصدوق حيث قال (اعتقادنا فى النفوس أنّها هى الأرواح، وأنّها الخلق الأول، وأنّها

ص: ٢٧٧

١- المدّثر: الآية ٣١.

٢- يحسن بنا أن نشير أنّ ما بين المعقوفين هو مقاطع من أقوال المفيد ذكرت مراعاة لترجمه الأصل؛ لأنّ الكاتب لم يذكر من أقوال المفيد إلّا عصارته - المترجم.

خلقت للبقاء، وأنها في الأرض غريبه وفي الأبدان مسجونته). فرد عليه بشده قائلاً (كلام أبي جعفر في النفس والروح على مذهب الحدس دون التحقيق، ولو إقتصر على الأخبار ولم يتعاط ذكر معانيها كان أسلم له من الدخول في باب يضيق عنه سلوكه). ثم ذكر المفيد لكل من النفس والروح أربعة معانٍ لاتلاقى بين كل معنى و معنى لا في الترادف ولا في المفهوم.

ونحن نقول هنا محتملين: إنَّ الظاهر أنَّ الصدوق أراد بالنفوس هنا ذوات الناس، أى: الخصوصيه أو الإمتياز ما بين هذا الإنسان وذاك الإنسان، وهذا هو المعنى الأول من المعانى الأربعة التى ذكرها المفيد (لنفس).

وبعبارة اخرى: إنَّ نفس الإنسان وذاته روح، وفى قبال هذا المعنى ما قيل فى نفس الحيوان (1) وذاته: بأنَّها بدنه العنصرى الحى، فإذا لم نقل بأنَّ الحيوانات لها روح بحسب طبيعتها ونفسها، أو روح أطلقها الصدوق على النفس، لاتصح على أى معنى من المعانى التى عرفها المفيد للنفس.

فإنَّ معنى هاتين الكلمتين غير منحصر بهذا العدد من المعانى.

فقد قال المفيد (وأما الروح فعباره عن معان، أحدها: الحياه. والثانى:

القرآن. والثالث: ملك من ملائكة الله تعالى. والرابع: جبرئيل عليه السلام).

مع أنه ورد فى أحاديث كثيرة التعبير بالروح وأريد بها روح الإنسان، والمفيد نفسه أشار إلى أن الروح تطلق على سائر الملائكة أيضاً، وقال إضافه إلى ذلك - بصراحه -: (إن الأرواح بعد موت الأجساد على ضربين) مع أنَّ هذا المعنى هوم.

ص: ٢٧٨

١- ورد التعبير فى أصل المقال بصيغه الجمع وقد استغنى المترجم بصيغه المفرد الداخلة عليها لأم الجنس لأنها تدل على العموم، فاعلم. المترجم.

غير المعانى الأربعة التى ذكرها المفيد للروح.

وعنده ما فى نقاش المفيد وإشكاله على الصدوق فى ما يلى:

أولاً: فى خلق الأرواح قبل الأجسام الذى يعتقد به الصدوق وفقاً لدلاله الروايات الكثيره عليه، وكأن المفيد أنكر ذلك حتى نسبه إلى القائلين بالتناسخ والحشويه من الشيعة الذين يقولون بأنّ الذوات الفعاله أو الأرواح مخلوقه فى عالم الدر، واستدل على نفى كل ذلك بقوله: (ولو كان ذلك كذلك، لكننا نعرف نحن ما كنا عليه، وإذا ذكرنا به ذكرناه ولاخفى علينا الحال فيه).

وقد فسّر حديث الأرواح بالملائكه، وإعترض على شيخه الصدوق بشده حتى قال: (والذى صرّح به أبو جعفر فى معنى النفس والروح هو قول التناسخيه بعينه! من غير أن يعلم أنه قولهم، فالجنايه بذلك على نفسه وعلى غيره عظيمه) (1).

وينبغى أن ننوه هنا قائلين: إنه وإن كانت حقيقه الروح والنفس والعقل وما بطن من وجود الإنسان، كسائر كثير من الحقائق الأخرى، ما تزال مجهوله، إلا أنه ورد التصريح بخلق الأرواح قبل الأجساد فى أحاديث كثيره، ولما لم يكن للصدوق رحمه الله سبيل إلى ردها فقد أظهر اعتقاده بها، ولاعلاقه لهذا الاعتقاد بالتناسخ؛ لأنّ التناسخ هو عبارته عن تعلق الروح بالأجسام العنصريه المتعدده فى هذه الدنيا، فهى تحلّ بعد فناء كل جسم بجسم آخر (2)، وأن تظهر الحقيقه الواحده فى صور متعدده، وأن تنال فى كل مرحله جزاء المرحله السابقه منم.

ص: ٢٧٩

١- راجع تصحيح الاعتقاد: ص ٦٨، طبعه قم.

٢- ليس هذا رأى صاحب المقال بل هو زعم القائلين بالتناسخ. المترجم.

ثواب أو عقاب، مع أنّ خلق الأرواح قبل الأجسام، يعنى تعلق الروح منحصرأً بجسم عنصري واحد، وهو غير الأرواح والأجسام الأخرى روحاً وجسماً.

وهذا المعنى ممكن فى حد نفسه دون أن نكون فى صدد إثباته، وإن كان عند مثل الصدوق ثابتاً فقد أخذه عن رجال كان لهم تحديق وتتبع كامل فى الأخبار، ولا ينبغى قياسه بالقول بالتناسخ!...

والبحت الآخر: ويظهر أنّ مناقشة المفيد الثانية للصدوق، فى مسأله بقاء الأرواح، حيث قال: (اعتقادنا أنّها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء، لقول النبى صلى الله عليه و آله: «ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء، وإنما تنقلون من دار إلى دار وإنما فى الأرض غريبه وفى الأبدان مسجون» واعتقادنا أنّها إذا فارقت الأبدان فهى باقيه منعمه ومنها معدّبه إلى أن يردها الله عزوجل بقدرته إلى أبدانها).

فاستدرك المفيد على هذا التعبير بقوله (ما ذكره من أنّ الأنفس باقيه فعباره مذمومه ولفظ يضادّ ألفاظ القرآن، قال الله تعالى: [كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام](1).

وفى استدراكنا على كلام الشيخ المفيد نقول: إنّ بقاء الأرواح بالجمله مستفاد من آيات القرآن، وفى مقام الجمع بين هذه الآيات والآيه التى تمسك بها المفيد، يرد هذا الإحتمال، وهو أنّ الحكم أو الإخبار فى قوله تعالى: [كل من عليها فان](2) يتعلق بمخلوقات الكره الأرضيه، ولا ينافى بقاء الروح بعد فناء ذات ٦.

ص: ٢٨٠

١- الرحمن: الآيه ٢٦، ٢٧.

٢- الرحمن: الآيه ٢٦.

الإنسان بعد الموت، كما ورد التصريح بحياء الشهداء بعد الموت في هذه الآية:

[ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله...] (١) وجاء التصريح في بعض الآيات الأخرى، وكثير من الأخبار بحياتهم بعد الموت، وأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام كل منهما خاطبهما بعد الموت.

مضافاً إلى ذلك أن الشيخ الأعظم أبا عبد الله المفيد نفسه بيّن الحياء بعد الموت في هذا الفصل، وأكد على ذلك في الجمله، وفي كتابه (أوائل المقالات) أيضاً، في مثل باب (القول في احتمال الرسل والأنبياء والأئمة، الآلام وأحوالهم بعد الممات)، أبان المفيد حياء الأنبياء والأئمة عليهم السلام بعد الموت، واستشهد بهذه الآية: [ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً] (٢) واستشهد في قصه مؤمن آل فرعون بالآية: [قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين] (٣) ، وأكد على هذا المعنى أيضاً في المسألة ٢٤ من (المسائل العكبريه)، وصرّح بحياء الروح في أبواب (القول في أحوال المكلفين) و (القول في نزول الملكين) و (القول في تنعيم أصحاب القبور) أيضاً.

وعلى هذا فالظاهر أن مراد المفيد هو:

أولاً: أن أرواح الجميع في البرزخ لا تنتقل إلى حال الثواب أو العقاب، وهو في قبال جماعه يقولون: إن أرواح المؤمنين تحيا في البرزخ جميعاً، وأما من لم ي.

ص: ٢٨١

١- آل عمران: الآية ١٦٩.

٢- آل عمران: الآية ١٦٩.

٣- يس: الآية ٢٦-٢٧.

يَمَحْضُوا الْإِيمَانَ أَوْ الْكُفْرَ فَتَنْعَدَمُ أَرْوَاحَهُمْ.

وثانياً: كل الأرواح تفتنى وتنعدم بحكم الآية: [كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام](١).

وكما يستفاد من كلامه في باب (المسألة في القبر) أنّها تحيا هناك، حيث قال (وهذا يدلّ على أنّه تعالى يحيى العبد بعد موته للمسألة، ويديم حياته لنعيم إن كان يستحقه، أو لعذاب إن كان يستحقه)(٢).

ويدهى أنّه لا الاعتقاد بأنّ الأرواح تفتنى، ولا الاعتقاد بأنّ الأرواح لا تفتنى، لا يصطدم بالبرهان العقلى على استحالتها، وينبغى استفاده ذلك من دليل النقل، ومسلك المحدثين في هذا الباب - طبعاً - هو أكثر مظنه للاعتماد، وتصريحهم بالبقاء أدعى للاطمئنان، وإن كان لا يصح الاعتماد على التقليد في مثل هذه المسائل، لأنه لا يكون موجباً لعلم ولا لعمل.

وأكثر الكلمات - كما يظهر - متفق على أنّ الأرواح باقية إلى يوم القيامة، فإما هي في العذاب والنقمة، أو الثواب والنعمة، والحديث المعروف «القبر روضه من رياض الجنة، أو حفرة من حفرات النيران» يشير إلى هذا المعنى.

وقال المفيد في باب (في ما يوصف به الموت): «الدنيا سجن المؤمن، والقبر بيته، والجنة مأواه، والدنيا جنة الكافر، والقبر سجنه، والنار مأواه»(٣).٦.

ص: ٢٨٢

١- الرحمن: الآيه ٢٦-٢٧.

٢- تصحيح الاعتقاد: ص ٧٩، ط قم.

٣- تصحيح اعتقادات الإمامية: ص ٩٦.

إعترض المفيد على الصدوق في باب الاعتقاد في الموت فقال: (ترجم الباب بالموت، وذكر غيره، وقد كان ينبغي أن يذكر حقيقة الموت، أو يترجم الباب بمآل الموت، وعاقبه الأموات) (١) إلماً أنّ أبا جعفر عنون الباب بالاعتقاد بالموت لبحقيقه الموت حتى يرد عليه هذا الاعتراض من قبل المفيد، كما أنّ قصده في بعض الأبواب الأخرى لم يكن بيان الحقيقة، مثل باب النفوس والأرواح.

وأما التعريف الذي ذكره المفيد للحياه وهو (ما كان بها النمو والإحساس، وتصح معها القدره والعلم)، فليس تعريفاً لحقيقه الحياه أيضاً، بل هو تعريف لأثر الحياه وحقيقه الحياه، حسب اعتقاد بعض من الأمور المجهوله أيضاً.

فبناءً على هذا فإنّ تعريف الموت بأنّه (ما استحاله معه النمو والإحساس) ليس تعريفاً لحقيقه الموت أيضاً، أجل لو قلنا: إن الموت: هو إنعدام الإحساس واستحاله النمو والعجز عن الحركة، والحياه: هي النمو والإحساس أنفسهما فنحن وإن لم نعرف حقيقه كل منهما الا أنّنا عرفنا لفظي الحياه والموت ظاهراً.

وأما ما قاله أبو عبد الله المفيد: (وليس يُميت الله عبداً من عبده إلّا وإماتته أصلح له من بقائه، ولا يحييه إلّا وحياته أصلح له من موته، وكل ما يفعله الله تعالى بخلقه فهو أصلح لهم وأصوب في التدبير)، فمراده غير واضح عندنا، وبديهي أنّ (كل ما يفعله الله تعالى بخلقه فهو أصلح لهم وأصوب في التدبير)، فهو مُسلّم وثابت في نظام (الكل) وكل النظام، ولا ريب فيه، والإحياء والرزق

ص: ٢٨٣

والخلق، ومثل هذه الأمور التي تعطى هي في صالح العباد جميعاً.

أما إذا كانت (إماته العبد) المقصود منها الإماته عند الأجل المسمى، فهذه هي الإماته التي في صالح العبد، ولكن إذا اريد بها ما يشمل غير الأجل المسمى، أيضاً من أسباب يحصل بها الموت كالقتل ظلماً مثلاً، فتصور هذه الإماته في صالح العبد هو في منتهى الإشكال!.

ومما لا ريب فيه، أنه في نظام الخلق قُدر أن يحصل ويقع الموت بالأسباب العدوانية أيضاً، والمصلحة الكلية تقتضى ذلك، أما فهم المصلحة الشخصية تقتضى ذلك أيضاً فهذا مشكل جداً... وأكثر إشكالاً من ذلك أن يقال أو يحكم:

بأن جميع الهالكين بالحوادث المختلفه من زلزال، أو حادثه دهس أو هجمه حيوان كاسر أو انهدام، أو غرق كل ذلك من مصلحة الشخص، فذلك ما يدعوا تأمل.

وأن قلنا: بأن الله يتدارك الضرر الوارد على الشخص، فإن نسبه مثل هذه الإماته إلى الله تختلف عن نسبه الشرور والسيئات إلى البارى تعالى...

ويبدو أنه وإن كان الموت بسبب ارتكاب القتل وتأثير فعل القاتل في القتل، ماضياً ومقررأ في نظام كل العالم الذى هو خلق الله وفعله، إلماً أن هذا الفعل ينسب إلى الفاعل القريب آن يكون قاتلاً. وإن كان الفعل صادراً من الفاعل القريب من قدره التي منحها الله، وتأثيره أيضاً وفقاً للنظام الذى قرره الله سبحانه.

لا يقال: فما تقولون: إذاً في معنى قوله تعالى: (يحيى ويميت)؟.

والجواب: أن جريان الموت والحياه في الكائنات على الدوام، في جسم الإنسان، وفي خلايا الإنسان والحيوانات وجميع الموجودات الحيه، حتى

النباتات، فالأرض تحيا بالربيع ثم تموت فى فصلى الصيف والخريف تدريجاً، والله يميّتها ويحييها بحكم الآيه الكريمة: [واعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها] (١) إن آثار إمامته الله وإحياءه واسعه وكثيره إلى درجه لا يتم شرحها وبسطها بكتابه مجلدات كثيره! كما أن أسرار هذا الإحياء والإمامته فى غايه من الغموض والكثرة إلى درجه يجد البشر نفسه معها - على الرغم من جده واجتهاده وبحثه فى كائنات هذا العالم - ما يزال فى المرحله الابتدائيه من الدراسه، وفى صفها الأول.

فالله سبحانه المميت والمحيى وهو يميت ويحيى، ولكن الفلاح مثلاً: ينثر حب من الحنطه أو البذور الأخرى ويحرث الأرض ويسقيها، والله هو الذى ينمى الزرع وهو الزارع الحقيقى كما قال سبحانه فى كتابه: [أفأنتم ما تحرثون؟ أنتم تزرعون أم نحن الزارعون] (٢) ؟

ولكن هناك فرقاً بين من ينثر الحب ويحرث الأرض أو يغرس الشجر، والله ينمى كل ذلك، ويهبه النضره والخضره، ويونعه بالأزهار والأثمار... وبين من يهلك الحرث ويحرقه ويقطع الشجر، فهذا الأمر وإن كان بسبب القوه التى منحها الله إياه، وما أودعه من أثر فى الآلات، لكن ذلك لا يسند إليه ولا يكون فى صالح العبد دائماً.

وعلى كل حال فنحن لانسهب فى الكلام هنا خوفاً أن ننتهى إلى الخوض فى قدر الله المنهى عنه، ونأتمر مطيعين لأمر الامام الصادق عليه السلام: «إذا انتهى الكلام ٤.

ص: ٢٨٥

١- الحديد: الآيه ١٧.

٢- الواقعه: الآيه ٦٤.

إلى الله فأمسكوا»(١).

يا من علا كل شيء

المساءلة في القبر

يبدو أن هذين العلمين متفقان في المسألة (المساءلة في القبر)، وإن كان الشيخ أبو عبد الله المفيد بين ذلك بتفصيل أكثر، وبما أنّ أبا عبد الله لم يعترض على أبي جعفر الصدوق في أمر (الرجعه)، فيبدو أنّه متفق معه، كما أنّه لم يعلق على الأبواب التالية (البعث بعد الموت) و (الحوض) و (الشفاعة) و (الوعد والوعيد) و (ما يكتب على العبد).

وفي مسألة العدل جاء كلام أبي عبد الله ببيان وافٍ وشرح كافٍ مكماً ومتمماً لكلام أبي جعفر رحمه الله.

الإعتقاد في الأعراف

وفي باب (الأعراف) أيضاً لا يوجد اختلاف كبير بين وجهتي نظر الصدوق

ص: ٢٨٦

١- الكافي: ج ١ ص ٩٢.

والمفيد، سوى ما قاله الصدوق في الأعراف: إنه (سورٌ بين الجنة والنار).

أما المفيد فقد قال: قد قيل: إنَّ الأعراف جبل بين الجنة والنار، وقيل: أيضاً إنه سورٌ بين الجنة والنار.

فالإختلاف بينهما إن وجد فهو من حيث الإيجاز والتفصيل، وكلام المفيد في ذيل هذا الباب في منتهى الكمال إذ قال: (وكل ما ذكرناه جائز في العقول وقد وردت به أخبار والله أعلم بالحقيقه من ذلك، إلّا أنّ المقطوع به في جملة أن الأعراف مكان بين الجنّة والنار، يقف عليه من سميناه من حجج الله تعالى على خلقه، ويكون به يوم القيامة من المرجئين لأمر الله، وما بعد ذلك فالله أعلم بالحال فيه)(١).

وفي (باب الصراط) كلام كلٍ منهما قريب من الآخر بل موافق للآخر، قدس الله سرهما.

الاعتقاد في العقبات

خلاصه رأى الشيخ أبى جعفر الصدوق في العقبات على طريق المحشر: أنّها (اسم كل واحدٍ منها اسمٌ على حده، اسمٌ فرضٌ أو أمرٌ أو نهى، فمتى انتهى الإنسان إلى عقبه إسمها الفرض وكان قصّر في ذلك الفرض حبس عندها وطولب بحق الله، فإن خرج منها بعمل صالح قدّمه و برحمه تداركه، نجا منها إلى عقبه اخرى، فلا يزال يدفع من عقبه إلى اخرى، فإن سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء، وإن لم ينجح عمل صالح ولا أدركته من الله تعالى رحمته، زلت به قدمه

ص: ٢٨٧

عن العقبة فهوى فى نار جهنم، (نعوذ بالله منها)(١).

ثم قال: (وهذه العقبات كلها على الصراط، اسم عقبة منها الولايه، يوقف جميع الخلائق عندها، فيسألون عن ولايه أمير المؤمنين والأئمه عليهم السلام من بعده، فمن أتى بها نجا وجاز، ومن لم يأت بها بقى فهوى الخ...).

أما خلاصه رأى المفيد هى قوله (ليس المراد بها جبال فى الأرض تقطع، وإنما هى الأعمال شبهت بالعقبات، وجعل الوصف لما يلحق الإنسان فى تخلصه من التقصير فى طاعه الله تعالى كالعقبة التى يجهد صعودها وقطعها)، واستشهد بقول الله تعالى: [فلا اقتحم العقبة وما أدريك ما العقبة فك ربه] (٢) وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أمامكم عقبه كؤودا، ومنازل مهوله، لا بد من الممر بها، والوقوف عليها، فإما برحمه من الله نجوتم وإما بهلكه ليس بعدها انجبار».

ونقول تعقيباً على ذلك، إن استظهار أبى عبد الله المفيد لطيف فى حد نفسه، إلا أنه غايه ما يمكن أن يقال هنا: إن استظهار الشيخ أبى جعفر لا يرجح عليه، وكل على استظهاره! لكن الاستدلال على ذلك، بالاستناد إلى ما ظنه الحشويه، وأن الحكمه لا تقتضى هذه العقبات، ولا وجه لخلق عقبات تسمى بكذا وكذا...

فذلك موقوف على إحاطه الإنسان بجميع الحکم من الأفعال الإلهيه، والمعيار هنا هو أولاً: وجود خبر معتبر وصحيح، ثانياً: الترجيح العرفى لأحد الاستظهارين. والله سبحانه هو العالم.٣.

ص: ٢٨٨

١- مقاطع من أقوال الصدوق فى باب الاعتقاد فى العقبات.

٢- البلد: الآيه ١٣.

لا يظهر فى هذا الباب اختلاف بين هذين العالمين العلمين أيضاً، إلا أن الشيخ أبا عبد الله فى كتابه (تصحیح الاعتقاد) و (أوائل المقالات) قال:

(بأن الحساب هو المقابله بين الأعمال والجزاء عليها والمواقفه للعبد على ما فرط)، وأراد به ان يختص اصحاب المعاصى من أهل الايمان وقال: (الكفار حسابهم وعقابهم على حسب الاستحقاق، ويوفى المؤمنون أجرهم بغير حساب).

وقال: وليس هو (أى الحساب) كما ذهب العامه إليه من مقابله الحسنات بالسيئات والموازنه بينهما، على حسب استحقاق الثواب والعقاب عليهما، إذ كان التحابط بين الأعمال غير صحيح.

وأنكر ما ذهب إليه أهل الحشو من أن فى القيامه موازين كموازين الدنيا، لكل ميزان كفتان توضع الأعمال فيها؛ إذ الأعمال أعراض والأعراض لا يصح وزنها. وبديهي أن مطالب فى هذه المقوله مرجع السمع، وهى تستفاد من ظواهر القرآن والأحاديث الشريفه، ويمكن أن يكون المراد من وزن العمل هو وزن المثال، كما هو مذكور فى باب تجسم الأعمال، وهى أمور خفيت حقائقها علينا، فلا يمكن إنكارها بمثل هذا المعيار: (الأعمال أعراض والأعراض لا يصح وزنها).

وإجمالاً: ما يمنع أن تكون هناك موازين تزان فيها الأعمال ليعلم موافقتها من مخالفتها للأوامر والنواهي، وليوزن صاحب العمل، أو العمل نفسه مع سجل العمل وصحائف الأعمال، وقد وردت عندنا فى باب تجسم الأعمال روايات

تقول: بتجسم العمل الذى يقول عنه إنه عرض، فيبدو فى صورته حسنه جميله، وإليه أشارت الآيه الكريمة: [فمن يعمل مثقال ذره خيراً يره] (١).

ويحتمل أن يكون المراد منه أنّ العمل نفسه يحفظ، كما يلاحظ اليوم فى التلفاز، مع أنّ صاحب العمل ترك مكانه مثلاً، أو انه قد مات لكن عمله يعرف فى التلفزه.

ويحتمل أن يكون المراد منه سجل الأعمال، أو يكون المراد جزاء العمل الثواب، أو العقاب عليه. فكل هذه الأمور محتمله، ولا ينبغي أن يقال: إنّ الصوت لا يسمع فى ذلك العالم، مع أنّه قد أمكن سماعه فى هذا العالم.

والخطأ الذى وقع فيه بعض المتكلمين هو أنّ هذه الأمور التى أخبر عنها الوحي والنبي صلى الله عليه وآله، جعلوها محلاً للمناقشه والرفض والقبول بسلسله من المعلومات الناقصه عندهم، ثم أرادوا أن يزنوا الأشياء الضخمه الهائله، بميزان توزن فيه الأشياء اليسيره، شأن من يريد أن يزن الكرات والمجرات بميزان أعده للبطيخ مثلاً، أو العكس من ذلك، كمن يزن الذهب بميزان يوزن فيه الصخر الذى اجتلب من ظهور الجبال!!

وعلى كل حال فإن الصدوق والمفيد كليهما متفقان على أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمه من أهل بيته عليهم السلام هم المتولون أمر الحساب. ٧.

ص: ٢٩٠

في ما يتعلق بالجنة والنار وجهتا نظر هذين العلمين متقاربتان في كتابيهما، وفي كل من الكتابين تفاصيل لم يذكر بعضها في الكتاب الآخر، فما هو ثابت من هذه التفاصيل بموجب الآيات والأخبار الصحيحة فهو حق وإن لم يجب الاعتقاد به، لكن إنكاره بل الشك فيه بعد الاطلاع على موارده ومصادره غير جائز.

والأمر الذي لا يوافق الشيخ المفيد فيه أبا جعفر الصدوق، هو أن الصدوق جعل أهل الجنة أنواعاً (على مراتب منهم المتنعمون بتقديس الله وتسيحه وتكبيره في جملة ملائكته الخ...).

إلا أن المفيد ردّ على هذا القول بما يلي: (وقول من زعم أن في الجنة بشراً يلتذ بالتسيح والتقديس من دون الأكل والشرب، قول شاذ عن دين الإسلام، وهو مأخوذ من مذهب النصارى الذين زعموا أن المطيعين في الدنيا يصيرون في الجنة ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينعجون) ثم عقب على ذلك مستشهداً بآيات من الكتاب العزيز كقوله تعالى: [اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا] (١) وقوله تعالى: [إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون. هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون] (٢) وغير ذلك من الآيات... ومثل هذه الآيات كثير في القرآن، وما قاله المفيد أوفق بمدلول هذه الآيات.

ولاريب أن التنعم بهذه النعم غير منافٍ للالتذاذ بحصول القرب الإلهي، وبلوغ

ص: ٢٩١

١- الرعد: الآية ٣٥.

٢- يس: الآية ٥٥، ٥٦.

الثواب ومجالسه الأنبياء والأئمة الطاهرين والمقربين... والله أعلم.

الاعتقاد في كيفية نزول الوحي

ما قاله الشيخ أبو عبد الله المفيد في حقيقه الوحي ونزوله، أكثر قبولاً (ومتاناً) مما قاله الشيخ أبو جعفر الصدوق.

فالوحي والعلاقه القائمه بين الله سبحانه والمصطفين من عباده لرسالتهم إلى الناس حقيقه إظهار العجز عن إدراكها، والاكتفاء بمعرفتها عن طريق آثارها، خير من إظهار وجهه النظر في حقيقتها، فالأمور التي تعرف بالآثار فحسب، أو تعرف بإخبار الأنبياء، كثيره، ولا يلزم أن تكون منحصره بالوحي... وقد عرّف الشيخ المفيد الوحي قائلاً: (قد يطلق على كل شيء قصد به إفهام المخاطب على السر له عن غيره، والتخصيص له به دون سواه).

الإعتقاد في نزول القرآن

رأى الشيخ أبي عبد الله المفيد في هذا الباب، أرجح وأقوى من رأى شيخه الصدوق، وملخص ما قاله الشيخ المفيد: أن نزول القرآن جمله في بدء البعثه مع وجود آيات كقوله تعالى: [قد سمع الله] (١)، أو قوله: [لقد سمع الله] (٢)، أو الآيات النازله في مناسبات خاصه ونزولها قبل تلك المناسبات، لا ينطبق

ص: ٢٩٢

١- المجادل: الآية ١.

٢- آل عمران: الآية ١٨١.

معانيها، ولو كانت هناك روايه صحيحه معتبره، فينبغي حملها على معنى يوافق هذه الآيات، لأن حمل الحديث على خلاف الظاهر أولى وأهون من حمل القرآن على خلاف الظاهر.

الإعتقاد في مَبْلَغ القرآن

لم يضيف الشيخ أبو عبد الله المفيد في هذا الباب شيئاً على ما قاله أبو جعفر الصدوق، ويبدو أنه متفق وإياه في أنّ القرآن النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله، هو هذا الذي (ما بين الدفتين)، وأنه وافقه في سائر الأمور الأخرى هنا.

الإعتقاد في الأنبياء والرسل والحجج والملائكة

إتفق هذين العلمين الجليلين إتفاقاً تاماً في الاعتقاد بالأنبياء والرسل والحجج والملائكة، وفي عدد الأنبياء والأوصياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام حتى خاتم الأئمة ومنقذ الأمة مولانا وسيدنا المهدي المنتظر أرواح العالمين له الفداء إتفاق تام متطابق، ولاشبهه ولاكلام في ذلك...

الإعتقاد في العصمه

قال أبو جعفر الصدوق في باب الإعتقاد بالعصمه (اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة أنّهم معصومون، مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً، لا صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمه في شيء من أحوالهم فقد جهلهم. وإعتقادنا فيهم أنّهم

معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل امورهم وأواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل(١).

لكن يستفاد من كلام أبي عبد الله المفيد أنّ الأنبياء جميعهم والأئمة الطاهرين معصومون وموصوفون بالكمال حال النبوه، إذ قال (والأنبياء والأئمة من بعدهم معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم، من الكبائر كلها والصغائر، والعقل يجوز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمد للتقصير والعصيان، ولا يجوز عليهم ترك مفترض؛ لأنّ نبينا صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب والمفترض قبل حال إمامتهم وبعدها(٢).

ومع أنّه صرّح بأنّهم (لم يكن لهم قبل أحوال التكليف أحوال نقص و جهل؛ فإنّهم يجرون مجرى عيسى ويحيى في حصول الكمال لهم مع صغر السن...)، وقال (هذا أمر تجوزه العقول ولا تنكره، وليس إلى تكذيب الأخبار سبيل) إلّا أنّه قال (والوجه أن نقطع على كمالهم عليهم السلام في العلم والعصمه في أحوال النبوه والإمامه، ونتوقف في ما قبل ذلك، وهل كانت أحوال نبوه وإمامه أم لا؟ ونقطع على أنّ العصمه لازمه منذ أن أكمل الله تعالى عقولهم إلى أن قبضهم...).

وينبغي أن ننوّه موضحين بأنّ هذا الكلام مخالف لضرورة المذهب والأحاديث المتواتره، فالشيعة متفقون على أنّ النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثته، والأئمة عليهم السلام قبل تكليفهم بالقيام بمسؤوليه الإمامه، كانوا في مقام العصمه وكمال الصفات الإنسانية. فهذا الكلام لا ينسجم، وقداسه مقام خاتم الأنبياء الرّبيع صلى الله عليه وآله ٧.

ص: ٢٩٤

١- اعتقادنا: ص ٧، ط قم.

٢- تصحيح الاعتقاد: ١٠٧.

الذى وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بما كان عليه قبل بعثته.

وفى إعتقاد كل شيعى ومن جملتهم أبو عبد الله المفيد نفسه أنّ أمير المؤمنين كان معصوماً فى عصر النبى صلى الله عليه وآله، وإن كانت مسؤوليه الإمامه مناطه بشخص رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذٍ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام مؤهلاً لكل ما يستلزم الإمامه معصوماً.

وكذلك الحال بالنسبه للحسن عليه السلام وهو فى عهد أبيه إذ كان معصوماً مؤهلاً لمستلزمات الإمامه. ومثله أخوه الحسين عليه السلام فى عهد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وأخيه الحسن عليه السلام، حيث كان معصوماً مؤهلاً لخصائص الإمامه ومستلزماتها... هكذا سائر الأئمه عليهم السلام كانوا معصومين مؤهلين للإمامه قبل إمامتهم...

والأحاديث الدالّه على هذه العقيدته فاقت حد التواتر، وتترتب عقلاً على عدم عصمه النبى والإمام قبل النبوه والإمامه من المفاسد الكثيره ما تترتب من المفاسد نفسها فى حال النبوه والإمامه إذا قلنا بعدم عصمتهم.

ولا يجوز شرعاً ولا عقلاً التفكيك أو الفصل بين هاتين الحالتين وقبول النبوه وإمامه أصحاب السوابق السيئه، وليس من حقنا أن نُسىء إلى ساحه المفيد القدسيه، لكن الشيخ الصدوق لو قدر له أن يواجهه فى عالم ما من العوالم كعالم الرجعه أو العالم الذى هما فيه الان وعاتبه على كلماته، لكان يقول له: إذا كنت مقلداً ولم تكن من أهل التقليد إلّا إنك مع إحاطتك بالعلوم الاسلاميه وتحذقك فى معارف أهل البيت عليهم السلام قد وقعت فى هذا الخطأ!!

وعلى كل حال فنحن نقر بعظمه هذين العلمين، ونقول: العصمه عن الخطأ خاصه بالله تعالى وبمن أعطاه هذه الحاله القدسيه من أنبيائه والأئمه الطاهرين

والملائكة عليهم السلام والجواد قد يكبوا.

الاعتقاد فى نفى الغلو والتفويض

لا يوجد إختلاف جوهري فى هذا البحث ما بين هذين العلمين وكلاهما يتفقان فى نفى الغلو والتفويض، لكن فى مسأله من نسب بعض المشايخ إلى التقصير كأن الشيخ المفيد قد تدارك الشيخ المفيد فى البحث السابق، وأورد على الصدوق فى قوله (علامه المفوضه والغلاه وأصنافهم، نسبتهم إلى مشايخهم (أو مشايخ قم وفقاً لما جاء فى كلام الشيخ المفيد) وعلمائهم، القول بالتقصير).

فقال المفيد: ليس نسبه هؤلاء القوم إلى التقصير علامه على غلو الناس، الخ... ثم قال الشيخ المفيد: وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبى جعفر محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله، لم نجد لها رافعاً فى التقصير، وهى ما حكى عنه أنه قال (أول درجه فى الغلو، نفى السهو عن النبى والإمام) ثم قال المفيد (فإن صحت هذه الحكاية عنه فهو مقصر مع أنه من علماء القميين ومشيختهم).

وعقب ذلك بقوله (وقد وجدنا جماعة وردوا إلينا من قم يقصرون تقصيراً ظاهراً فى الدين، وينزلون الأئمة عليهم السلام عن مراتبهم ويزعمون أنهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينيه، حتى ينكت فى قلوبهم، ورأينا من يقول: إنهم ملتجئون فى حكم الشريعة إلى رأى والظنون، ويدعون مع ذلك أنهم من العلماء، وهذا هو التقصير الذى لاشبهه فيه).

ثم قال: ويكفى فى علامه الغلو نفى القائل به عن الأئمة، سمات الحدوث، وحكمه لهم بالإلهيه والقدم إلى أن قال: ولا يحتاج مع ذلك إلى الحكم عليهم

وتحقيق أمرهم بما جعله أبو جعفر (الصدوق) سمه للغلو على كل حال(١).

الإعتقاد فى الظالمين

لم يستدرک الشيخ المفيد فى هذا الباب، على الشيخ أبى جعفر الصدوق، ويظهر أن وجهتى نظرها متحدثان.

الإعتقاد فى التقيه

فى فصل التقيه التى تعرض لها أبو جعفر بإجمال، فضّل الشيخ أبو عبد الله فيها، وكما قال الشيخ المفيد: فإنه لا يجوز كتمان الحق بصوره مطلقه، والصدوق وإن لم يصرح بذلك إلّا أنّ مراده هذا المعنى نفسه أيضاً.

وبديهى إذا لم يكن موجب للتقيه ولا ضروره فى الأمر، ولا يجوز حينئذٍ إنكار الحق وترك الاعلان به، وجميع أدلّه التقيه فى القرآن والأحاديث تدلّ على هذا التفصيل، ومعنى ما يقال: إنّ التقيه ثابتة والعمل بها واجب حتى ظهور المهدي أرواحنا له الفداء، هو أنّه قد تحصل ضرورات أو أخطار قبل ظهور المهدي سلام الله عليه مما توجب التقيه أو تجيزها وذلك ممكن، لكن بعد ظهوره حيث يظهر الله الإسلام والإيمان على الدين كله وينتشر ذلك فى العالم وبحكم قوله تعالى:

[يبدل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمناً] (٢) لا وجود للخوف حينئذٍ، فلا يبقى

ص: ٢٩٧

١- تصحيح الاعتقاد: ص ١١٤.

٢- النور: الآية ٥٥.

الإعتقاد فى آباء النبى صلى الله عليه وآله

كلا- العلمين متفقاً القول أنّ آباء النبى صلى الله عليه وآله كانوا موحدين مؤمنين، وكما قال المفيد: إجماع عصابه الحق على هذا الاعتقاد، ويتفق الشيخ المفيد والصدوق فى وجهتى نظريهما فى إيمان أبى طالب وآمنه ام النبى صلى الله عليه وآله وإن لم يصرح الشيخ المفيد بذلك.

الإعتقاد فى العلويه

إن اختلاف نظر هذين العالمين العلمين الجليلين هو فى تفسير الآيه الكريمة:

[قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّه فى القربى] (١) حيث فسّر الصدوق كلمه (إلا) فى الآيه بمعنى الإستثناء، لكن المفيد جعل كلمه (إلّا) بمعنى لكن، فىكون مفاد الصدوق بناءً على هذا أنّ النبى صلى الله عليه وآله قال لأمته ما معناه لا أطلب منكم أجراً غير موده القربى ويكون مفاد الشيخ المفيد من تفسير الآيه إنّى لا أطلب منكم أجراً، وإنّما أطلب منكم أو أوجب عليكم الموده فى القربى.

وقد قال المفيد: لا يصح القول بأنّ الله تعالى جعل أجر نبيه موده أهل بيته عليهم السلام ولا أنّه جعل ذلك من أجره عليه السلام؛ لأنّ أجر النبى صلى الله عليه وآله فى التقرب إلى الله تعالى هو الثواب الدائم وهو مستحق على الله تعالى فى عدله وجوده وكرمه،

ص: ٢٩٨

وليس المستحق على الأعمال يتعلق بالعباد؛ لأنَّ العمل يجب أن يكون لله تعالى خالصاً، وما كان لله فالأجر فيه على الله تعالى دون غيره.

هذا مع أنَّ الله تعالى يقول: [يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلّاعلى الذى فطرني] (١) فلو كان الأجر على ما ظنّه أبو جعفر فى معنى الآيه لتناقض القرآن حتى قال فىكون قوله: [قل لا- أسألكم عليه أجراً] (٢) كلاماً تاماً، ويكون قوله: [إلا- الموده فى القربى] (٣) كلاماً مبتدأ الخ... (٤)

لكن الظاهر أنّ هاتين الجملتين بعضها مرتبط ببعض مسوقتان للترغيب فى:

[الموده فى القربى] (٥) وليست الجملة الأولى: [لا أسألكم عليه أجراً] (٦) هى لعدم سؤال الأجر، بل هى مقدمه وتمهيد لبيان مفاد الجملة الثانية، فهى بهذا المعنى أنّى لأريد منكم أجراً قبال حق الرساله العظيم عليكم سوى الموده فى القربى، ولما كانت الجملتان مترابطتين فلا تهافت بينهما.

وأما (قول المفيد) بأن الرساله لكونها عملاً لله فأجرها على الله، فجواب هذا الكلام: أنّه لازم أداء هذا العمل لله هو إثبات الحق لرسول الله على أمته، والأمه مسؤوله أيضاً أن تؤدى ما عليها من الحق، لذا فقد كلّفت هذه الأمه عرفاً وترغيباً لأداء حق الرساله بهذا البيان وهو موده ذوى القربى من أهل بيت محمد صلوات ٣.

ص: ٢٩٩

١- هود: الآيه ٥١.

٢- هود: الآيه ٥١؛ الشورى: الآيه ٢٣، الأنعام: الآيه ٩٠.

٣- الشورى: الآيه ٢٣.

٤- تصحيح الاعتقاد ص ١١٨

٥- الشورى: الآيه ٢٣.

٦- الشورى: الآيه ٢٣.

اللّٰه عليهم أجمعين...

وعلى كل حال، فينبغي أن يعالج هذا الكلام برؤيته في التفسير، لكن ما ينبغي الإشارة إليه وبناءً على التفسيرين ووفقاً لما ورد في الروايات الكثيرة فإنّ المراد بالقربى هو قربى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد إتفقت وجهتا نظر الصدوق والمفيد على ذلك.

الإعتقاد في الأخبار المفسره والمجمله

لا يوجد في هذا الباب نقاش بين الصدوق والمفيد، إلّا أنّ الظاهر اتفاقهما على أنّ الأخبار المفسره حاكمه على الأخبار المجمله.

الإعتقاد في الحظر والإباحه

قال الصدوق في هذا الباب (الأشياء كلها مطلقه حتى يرد في شيء منها نهى) وخلاصه كلام الشيخ المفيد المتين: أنّه ليست الأشياء كلها مطلقه ومحكومه بالإباحه فالأشياء في أحكام العقول على ضربين:

أحدهما: معلوم حظره بالعقل... كالظلم والسفه والعبث (فالعقل لا يجيز ارتكابها وإن لم يصلنا نهى عنها). والضرب الآخر: وهو ما ليس للعقل فيها حكم، فهذه القاعده جاريه في هذا الضرب.

ولكن يمكن أن يقال: إنّ رأى الصدوق يوافق هذا الرأى أيضاً وهذا تعبيره إنّما هو بلحاظ أنّ كل ما قبحه العقل ووبّخ عليه فاعله فقد نهى عنه الشارع، لذا بوسعنا أن نقول: الناس أحرار في جميع الأمور، إلّا ما ورد النهى عنه.

ص: ٣٠٠

الإعتقاد فى الأخبار الواردة فى الطب

فى باب (الأخبار الواردة فى الطب) أيد الشيخ أبو عبد الله شيخه أبا جعفر الصدوق وأضاف قسماً آخر على هذه الأحاديث التى ذكرها الشيخ أبو جعفر...

غايه ما فى الأمر أنّ الشيخ المفيد قال: الطب صحيح والعلم به ثابت وطريقه الوحى وإنّما أخذ العلماء به عن الأنبياء... إلخ.

ولكن الظاهر أنّه وإن لم يكن هناك سبيل إلى النفى، أن (الطب وتعلّمه إنّما هو من تلقين الأنبياء) إلّا أنّ القول بأنّ علم الطب كله من السماء مخالف للتجربه والحس. فالبشر وقف على الطب الذى هو واحد من العلوم الكثيره والصناعات التى تعلّمها بذكائه واستعداده وتجاربه، وإن قلنا بجواز الإقتباس فى بعض موارد وأقسامه من الأنبياء والوحى فى ما مضى، أو فى ما سيأتى من الزمن.

الإعتقاد فى الحديثين المختلفين

هذا البحث طويل الذيل وقد اشبع تفصيلاً فى باب التعادل والترجيح فى الأصول، لذا فقد ارتأينا أن لاندج هذا البحث الذى تعرض له هذان العلمان الجليلان بل نحيل تحقيق مطلبه إلى مراجعه أصول الفقه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاه والسلام

على سيدنا محمد وآله الطاهرين واللعن على أعدائهم أجمعين

لطف الله الصافى

٧ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ

ص: ٣٠١

سِرُّ الْبِدَاءِ

اِشَارَهُ

ص: ٣٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب والصلاه والسلام على أفضل أولى الألباب سيدنا أبى القاسم محمد وآله الأطيب أعدل الكتاب سيما الإمام الذى يملأ الأرض بالعدل والصواب، ويجعل كيد الكافرين فى تباب، واللعن على اعدائهم من الآن إلى يوم الحساب.

وبعد: فهذه رساله وجيزه فى البداء سميتها (سرّ البداء) كتبتها تبصره لنفسى ورجاء ان ينتفع بها غيرى، وإن يجعلها الله تعالى ذخرًا لى ويتقبلها منى بفضله وكرمه ويعفو عن زلاتى وخطيئاتى بعفوه ورحمته انه كريم رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

ص: ٣٠٥

والكلام فيه يقرر في ضمن مباحث:

الأول: أعلم إنَّ من جملة معتقدات الشيعة الإماميه والفرقة الناجيه المقتبسه من الكتاب والسنة ومما يفصح عنه اتفاق كلمات علمائهم في التفسير والحديث والكلام والعقايد أمران:

الأمر الأول: الاعتقاد بأن الله تعالى عالم لجميع الأشياء من الأزل وقبل وجودها لا يزيد في علمه شيئاً، ولا يزداد فيه ولا تأخر لعلمه عن ذاته، ولا هو غير ذاته بل هو عين ذاته، وهو العالم بالاشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها ليس علمه مسبقاً بالجهل كما أن وجوده ليس مسبقاً بالعدم، وقدرته ليست مسبوقة بالعجز فهو منزّه عن كل ما فيه وصمه الجهل، والنقص، ومقدس من أن يظهر له أمر على خلاف ما علم أو بعد خفائه عنه (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)

وقد أثبتوا في كتبهم الكلاميه وغيرها إستحاله خفاء شيء عنه كاستحاله كونه محلاً للحوادث والتغيير والتبديل. ويترتب على كل من الإستحالتين إستحاله

البداء بمعنى ظهور الشيء بعد الخفاء، وحصول العلم به بعد الجهل به على الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثانى: اعتقادهم بان الله تعالى قادر مختار ينشئ الاشياء بمشيئته، ويفعل ما يشاء بحكمته. له الخلق والامر والتدبير، لم يفرغ من أمر الخلق والرزق لايفعل ما يفعل بالايجاب، بل بالاراده والمشيئه.

فكل يوم هو فى شأن، ولايغير ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم.

يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب.

يقدم أجل هذا ويؤخر مده ذاك.

يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي.

يعز من يشاء ويذل من يشاء يرسل الرياح وينزل الغيث، وما من دابة فى الارض الا عليه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها.

بعث النبيين واحداً بعد واحد مبشرين ومنذرين وأنزل عليهم الكتاب كتاباً بعد كتاب.

يسمع دعاء عباده ويستجيبه، ويدفع عنهم ميتة السوء، والبلاء، ويفرج عنهم الغموم، ويكشف عنهم الهموم. يزيد فى الأعمار، والآجال، والأرزاق، والأمطار، والبنين، وسائر ما أنعم به على عباده بالايمان والتقوى والأعمال الصالحة كالصدقه وقضاء حوائج الناس، والاحسان اليهم، وصله الرحم، والبرّ بالوالدين وشكر النعمة، والإستغفار، والتوبه.

ص: ٣٠٨

قال الله تعالى: [لئن شكرتم لازيدنكم] (١).

وقال سبحانه: [استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً] (٢).

وقال عز وجل: [ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً] (٣).

وقال سبحانه وتعالى: [ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب] (٤).

وقال: [ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون] (٥) و... و...

فالآيات الكثيره المشتمله على الجملة الفعلية المضارعه داله على أن الله تعالى لم يفرغ من الأمر والتدبير، ومنها يعلم تفسير قوله تعالى: [كل يوم هو فى شأن] (٦) وانه لا يشغله شأن عن شأن، وان نزول كثير من النعم ودوامه وبقائه مشروط بأعمال العباد وحسن تصرفهم فى النعم ومقدار شكرهم عليها. ٩.

ص: ٣٠٩

١- إبراهيم: الآية ٧.

٢- نوح: الآية ١٠-١٢.

٣- النساء: الآية ٦٤.

٤- الطلاق: الآية ٢-٣.

٥- الأعراف: الآية ٩٦.

٦- الرحمن: الآية ٢٩.

وأما الأحاديث: فهي أيضاً من طرق الشيعة فوق حد الإحصاء، كقوله صلى الله عليه وآله:

«صله الرحم تزيد في العمر وتدفع ميتة السوء وتنفي الفقر»^(١).

وقال صلى الله عليه وآله: «من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب»^(٢).

وروايات كثيرة رويت في الترغيب على الإنفاقات والصدقات والخير والإحسان، واکرام الذرية الطاهرة، واعانه الضعفاء، وقضاء الحوائج، والبرّ بالوالدين، والأيتام واداء حقوق الجار والاخوان وغيرها من الاعمال الصالحه سيما الصلاه والصيام والدعاء.

ومن طرق العامه ايضاً كذلك:

منها ما أخرجه السيوطى فى الدر المنثور^(٣) قال: أخرج ابن مردويه وابن عساكر عن على رضى الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (يمحو الله....)؟ فقال له: لا قرن عينيك بتفسيرها ولا قرن عين امتى بعدى بتفسيرها: الصدقه على وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف يحول الشقاء سعاده، ويزيد فى العمر ويقى مصارع السوء.

(وقال) اخرج ابن ابى شيبه فى المصنف، وابن ابى الدنيا فى الدعاء عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات الا وسع الله له فى ٦.

ص: ٣١٠

١- بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٧٢.

٢- نفس المصدر.

٣- الدر المنثور: ج ٤ ص ٦٦.

(يا ذا المن ولا- يمنّ عليه يا ذا الجلال والا-كرام يا ذا الطول لاله الا انت ظهر اللاجين، و جار المستجيرين، ومأمن الخائفين ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقياً فامح عني اسم الشقاء واثبتنى عندك سعيداً، وإن كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب محروماً فامح حرمانى ويسّر رزقى واثبتنى عندك سعيداً موفقاً للخير فانك تقول فى كتابك الذى انزلت: [يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب](١).

وأخرج أيضاً فى الدر المنثور (٢) (قال) وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: (يسأله من فى السماوات والارض) يعنى: يسأل عباده آياه الرزق والموت والحياه كل يوم هو فى ذلك.

(قال) وأخرج الحسن بن سفيان فى مسنده، والبرزاز وابن جرير والطبرانى، وأبو الشيخ فى العظمه، وابن مردويه، والبيهقى فى شعب الايمان، وابن عساكر عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله: (كل يوم هو فى شأن) قال: من شأنه ان يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين، وزاد البرزاز وهو يجيب داعياً.

ومنها ما أخرج فى الصحيحين عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من سره ان ينبسط له رزقه او ينسا له فى اثره فليصل ٣.

ص: ٣١١

١- الرعد: الآيه ٣٩.

٢- الدر المنثور: ج ٦ ص ١٤٣.

رحمه(١) وكذلك يتلى عباده بالفقر والمرض، ونقص الأعمار والأرزاق وتغير النعم وحبس الدعاء ونزول البلاء بكفرانهم النعم وتكذيبهم الرسل، وظلم بعضهم بعضاً وقطع الرحم والزنا وسائر المناهي والمعاصي لإستصلاحهم، وتكفير ذنوبهم، وتمحيصهم ولحكم اخرى وعنايات يختص بها بعض عباده المخلصين فيبتليهم لترفع درجاتهم وظهور شؤونهم العاليه، وتسليمهم وانقيادهم ليكونوا اسوه حسنه لمن اراد أن يتأسى بهم ولغير ذلك من الحكم المتعاليه التي هو أعلم بها.

قال الله تعالى: [ضرب الله مثلاً- قريه كانت آمنه مطمئنه يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون](٢) وقال جل ثناؤه: [ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون](٣).

وقال تبارك وتعالى: [ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمه انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم](٤).٣.

ص: ٣١٢

١- صحيح البخارى ج ٢، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق ص ٤ صحيح مسلم: ج ٨، كتاب البرّ، ص ٨ قال ابن الأثير: الأثر الأجل وسمى به لأنه يتبع العمر، قال زهير: المرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر.

٢- النحل: الآيه ١١٢.

٣- الروم: الآيه ٤١.

٤- الانفال: الآيه ٥٣.

وقال عز وجل: [وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب] (١).

وقال سبحانه: [وواعدنا موسى ثلاثين ليله واتممناها بعشر فتمّ ميقات ربه اربعين ليله] (٢).

وقال الله تعالى: [ولنبلوّنكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشّر الصابرين] (٣).

وقال سبحانه وتعالى: [ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون] (٤).

وقال عز وجل: [وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو، وان يردك بخير فلا راّد لفضله] (٥).

وقال: [امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض] (٦).

وقال تعالى شأنه: [فلولا- كانت قريه آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياه الدنيا ومتعناهم الى حين] (٧). ٨.

ص: ٣١٣

١- فاطر: الآيه ١١.

٢- الاعراف: الآيه ١٤٢.

٣- البقره: الآيه ١٥٥.

٤- الاعراف: الآيه ١٣٠.

٥- يونس: الآيه ١٠٧.

٦- النمل: الآيه ٦٢.

٧- يونس: الآيه ٩٨.

وقال عز اسمه: [فلولا انه كان من المسيحين للبت في بطنه الى يوم يبعثون] (١).

وقال جل ثناؤه: [فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر] (٢).

و و و.....

وروى عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنَّ الله يبتلى عباده عند الاعمال السيئه بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر» (٣) ، «ولو أنَّ الناس حين تنزل بهم النقم ونزل عنهم النعم رجعوا الى ربهم بصدق من نياتهم ووله من قلوبهم لرد اليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد» (٤).

وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه و آله: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرِّ والتقوى فاذا لم يفعلوا ذلك نزعتم منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر فى الأرض ولا فى السماء» (٥).

وملخص الكلام: إنَّ من سبر الآيات الكريمة والأحاديث من طرق الخاصه ١.

ص: ٣١٤

١- الصافات: الآيه ١٤٣-١٤٤.

٢- الأنبياء: الآيه ٨٤.

٣- نهج البلاغه [صبحى الصالح]: ١٩٩ خ ١٤٣؛ بحار الأنوار: ج ٨٨ ص ٣١٢.

٤- نهج البلاغه [صبحى الصالح]: ٢٥٧ خ ١٧٨؛ بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٥٩٧.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٨١.

والعامه لا يبقى له شك في أن الله تعالى يمحو ما يشاء ويثبت ولم يعجزه ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء يختار لعبيده ما يشاء حسب ما تقتضيه حكمته الكامله من الزيادة في الرزق أو النقص منه، وكذا يزيد في عمر بعضهم، وينقص عن عمر البعض الآخر، ويديم الصحة أو يزيلها، ويبدلها بالمرض ويقدم أمراً ويؤخر آخر، ويكتب من كان مكتوباً من الأشقياء في السعداء وبالعكس، ويوفق بعض الناس للخير ويحرم بعضهم منه خذلاناً بأعمالهم، ويختار لهم في جميع شؤونهم ما يريد على حسب حكمته. لم يترك امر تدبيره فيهم ولم يفرغ منه وهو العليم الخبير القدير المدبر الحكيم.

هذا هو البداء بمعناه الصحيح واعتقاد الشيعة فيه الذي جاءت به مآه من النصوص في الكتاب والسنة ومآله وحقيقته العقيدة بالقدره المطلقه الأزليه للذات الإلهيه المقدسه كما إن نفي البداء عن الله تعالى بمعناه الباطل وهو ظهور الشيء له بعد خفائه عنه ايضاً يرجع الى العقيدة بصفه كماله اخرى وهي علمه الأزلي بالكليات والجزئيات وتقديسه ذاته المقدسه عن الجهل مطلقاً.

ولا يخفى عليك إن أمر النبوات، والعقيدة بها، والبشاره والإنذار والوعد والوعيد والامر والنهي والترغيب والتهديد، والحث على الدعاء والتوبه والتوكل والتفويض، وشكر النعمه وأمثالها إنما يتم بهذه العقيدة والإيمان بأن الله لم يفرغ من الامر وكل يوم هو في شأن، ولا ينافي ذلك علمه الأزلي بكل ما يقع في المستقبل وما يقدمه وما يؤخره، وما يزيد وما ينقص، وهذا مذهب جمع من الصحابه، ولم اطلع على احد منهم ومن التابعين كان مذهبه نفي ذلك ولا أظن بأحد من العلماء من أهل القبله إلبعض من يأتي الإشاره اليه غير ذاك.

وزيادة على ذلك نقول: إن علمه تعالى لا ينقض حكمته ولا يقيد قدرته ومشيته، وقدرته لا تنفى علمه لا حدّ لكل واحد منهما ولا يتصور زياده كل منهما على الآخر وكل منهما على سعته التي لانهايه لها فهو العليم القادر المريد العزيز، الحوادث كلها تجرى بأمره وتدييره، يزيد فى الخلق ما يشاء وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير القائم بشئون خلقه ولم يفرغ من ذلك، يتلى الانسان فيكرمه وينعمه ويقدر عليه رزقه، والحوادث كلها وكل واحد منها ليس واجب الوقوع حتى لا يكون لله فيه أمر ونهى ولا يقدر على تغييره والزياده فيه أو النقصان بل له الأمر والتدبير قبل كل شىء ومع كل شىء وبعده (ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله وبعده ومعها) (١) يفصل فيه ما يشاء، وصفاته وأسمائه الفعلية كالمنان، والرزاق، والكافى، والشافى، والمعطى، والمجيب، والمصور، والمدبر، والبديع، والبدىء، والحافظ، والرقيب، والواهب، والمنعم، والمحسن، والمغيث، والمميت، والمحيى كلها يدل على ذلك، وان معانيها لم ينقطع، ولا ينقطع، وإنه لم يزل، ولا يزال من شأنه أن يرزق، ويشفى، ويكفى، ويعطى ويمنع ويجيب، ويخلق ويصور، ويبدىء، وينعم، ويغيث، وينجى، ويهلك، ويرسل الرياح والمنان بالعطيات و...

ومن الواضح إنّه اذا كان قد فرغ من الامر، ولم يكن له الزيادة والنقصان فى شئون عباده لا يتصور مفهوم فعلية حقيقى لهذا الاسماء، ولا يتعقل اتصافه بهذه الصفات إلا بالتمحل والتكلفت وسيأتى زياده توضيح فى المبحث الثالث ان شاء الله تعالى. ١.

ص: ٣١٦

١- انظر: مرآة العقول: ج ١٠ ص ٣٩١.

المبحث الثانى: قد ظهر لك مما ذكرنا أنّ الخاصه، والعامه تشتركان فى العقيدته بما اوجب توهم القول بالبداة بمعناه الفاسد المردود عندهما ولكن التعصّب والعناد حمل النصاب واعداء أهل البيت يرمى الشيعة بهذا القول وهم بفضل تمسكهم بالكتاب والعترة (الثقلين) بريئون عن هذه العقيدته الفاسده، وأبعد من هذا الضلال المبين من السماء عن الأرض نعم حكى عن غير الشيعة مثل النظام وبعض المعتزله: القول بأن الله تعالى قد فرغ من الأمر بخلقه الموجودات دفعه واحده على ما هى عليه الآن معادن ونباتاً وحيواناً وانساناً ولم يتقدم خلق آدم على خلق اولاده والتقدم إنما يقع فى أمورها لافى حدوثها ووجودها واخذوا هذه المقاله من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفه ومثل هذه العقيدته ما ذهب اليه بعض الفلاسفه القائلين بالعقول والنفوس الفلكيه وبأن الله تعالى لم يؤثر حقيقته الا فى العقل الاول فهم يعزلونه تعالى عن ملكه، حكى عن بعضهم:

أن الله تعالى أوجد جميع مخلوقاته دفعه واحده دهره لا ترتب فيها باعتبار

الصدور بل أنما ترتبها في الزمان فقط كما إنه لا ترتب الأجسام المجتمعه زماناً وإنما ترتبها في المكان فقط (1) مثل هذا القول، قول المجبّره في «المقتول لو لم يقتل» فقالت: إنه كان يموت قطعاً ومن يستنكر القول بالبداء ولا يؤمن بما دلت عليه ما تلونا عليك من الآيات والروايات نسئل عن رأيه في قدرته تعالى: لله جل شأنه أن يفعل ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء ويشفى ويعطى من يشاء ويستجيب دعاء من يشاء ويعزّ من يشاء ويذل من يشاء؟ فان قال: نعم فهذا ما يقوله الشيعة وهو ما يسمونهم بالبداء، وان قال: لا فقد أنكر قدره الله تعالى وأنكر الكتاب والسنة ووافق اليهود في قولهم: يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا فمن ذهب الى انكار البداء يتبع اليهود وغيرهم في هذه المقالة الكافره ونفى قدره الله تعالى المطلقة ونفى سائر صفاته الكماليه واسمائه الحسنى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فان قلت: فلماذا سمى تلك العقيدة الصحيحه بالبداء الذى هو بمعنى ظهور الشيء بعد الخفاء.

قلت: أولاً نمنع هذا الظهور وثانياً نقول ان ظهوره بدوى يزول بالقرائن العقلية والمقالية وليس بأقوى من ظهور الآيات والروايات فى ذلك لولا تلك القرائن فكما لادلاله لهذه الآيات على علمه بشيء بعد الجهل به بدلاله آيات أخرى والقريته العقلية، لادلاله لهذا اللفظ أيضاً على ذلك اصلاً بدلاله الآيات والروايات وما إستقر عليه عقيدة القائلين بالبداء سيما أئمة أهل بيت عليهم السلام. ٢.

ص: ٣١٨

١- مرآة العقول: ج ٢، ص ١٣١ و ١٣٢.

ولا يخفى إنَّ باب المجاز في جميع اللغات سيّما اللغه العربيه باب واسع وفي الكتاب والسنه ما لا يحصى والمتبع في الدلالات الكلاميه و غيرها هو الذوق السليم والرأى المستقيم وإنّما دخل بعض الآراء الفاسده مثل القول بالتجسيم وإنّ له تعالى يد و جنب ورجل وغيرها من الأعضاء - لَمَّا جاء في الكتاب والسنه مجازاً وتعبيراً عن احاطه قدرته وعلمه وغيرها من صفاته الكماليه - لا عوجاج فهم البعض والحرمان عن صفاء الذهن ونورانيه الضمير فتمسكوا في عقايدهم الفاسده الى الألفاظ المجازيه الموهمه عند صاحب الذهن السقيم لآرائهم فنعوذ بالله من الحرمان والخذلال ونسأله التوفيق والإيمان.

المبحث الثالث: إنّه وإن ظهر بما لا يزيد عليه أنّ العقيدة بالبداء بمعناه الصحيح الذى بسطنا الكلام فيه مأخوذة من الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة وعليها قام نظام التشريع ومصلحه النبوات، وإستكمال النفوس وتربيتها وتركيتها وقيام الامور بالقسط ولذا جاء فى الأحاديث تعظيماً لهذه العقيدة:

ما عبد الله بشيء مثل البداء (١) إلا أنه لقائل أن يقول:

نعم لا يريب فى بطلان القول بالبداء بمعناه الفاسد الذى أشرت الىه لإستحاله الجهل على الله تعالى شأنه عن ذلك وعن كل نقص، وإستحاله عروض التغير والتبديل عليه ولا يريب ايضاً فى صراحه الآيات والروايات فيما ذكرتم للبداء من معناه الصحيح الا أنّ الأخذ بالآيات والروايات، وما دلت عليه إنما يصح لو لم

ص: ٣٢٠

١- التوحيد: ص ٢٣١ و ٢٣٣ ب ٥٤ ح ١ و ٢، البحار: ج ٤ ب ٣ ح ١٩ و ٢٠.

يصادم ذلك اشكال عقلي والا يلزم تأويل الظاهر والصريح على ما لا يدفعه ذلك الإشكال.

بيان الاشكال: كيف يوفق بين هذا الأصل الاصيل الذى يقتضى وجوب وقوع جميع الحوادث على وفق علمه تعالى، وعدم إمكان احداث تغيير وتبديل وتقديم وتأخير فيه لتنزهه تعالى شأنه عن صيرورته محلاً للحوادث وبين ما تقتضيه ظواهر هذه الآيات، واسمائه الحسنی، والاحاديث على كثرتها من أنه يفعل ما يشاء، ويستجيب الدعاء ويدفع البلاء، ويزيد فى الآجال، وينقص منها وإنه يُخبر بعباده اذا غيروا ما بأنفسهم ويمحو ما يشاء ويثبت على وفق حكمته، واقتضاء أفعال عباده من الخير والشر فهو كل يوم فى شأن وكل ذلك لا يجمع مع تعلق علمه بالحوادث من الازل ولاريب أن القائل بالبداء بالمعنى الذى ذكرتم له لا- يرضى لنفسه أن يكون لازم اعتقاده انكار علم الله تعالى الازلى بالحوادث واثبات تجدد علمه بها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً اذا فكيف يوفق بينهما؟

أقول: هذه الشبهه، وشبهه المجبره ترتفعان من ثدى واحد ولو تمت لبطل أكثر مسائل النبوات.

والجواب: أولاً: إن علمه تعالى قد تعلق بوقوع أفعاله باختياره وارادته ومشيته، وأفعال العباد أيضاً باختيارهم وارادتهم فلو كان تعلق العلم بها موجباً لخروج الفعل عن إختيار الفاعل ومشيته لزم الخلف وتخلف العلم عن المعلوم.

وثانياً: العلم بالشىء لا-يمكن أن يكون علّه لوجوب وجود المعلوم لأنّه مع غصّ النظر عن تعلق العلم به إن كان وجب وجوده بواسطه وجود علته ولذا صار وجوده متعلقاً للعلم به لامعنى لتأثير العلم فى وجوب وجوده وإن لم يجب

وجوده بحيث كان تعلق العلم به عله وجوده أو من أجزاء علته يلزم الدور المحال لتوقف العلم به على وجوده في ظرفه، وتوقف وجوده على وجوبه فان الشيء ما لم يجب لم يوجد وتوقف وجوبه على تحقق علته التي هي عين العلم به.

وعلى هذا لا يلزم من علم الله تعالى بأفعاله وأفعال عباده الإيجاب في الأفعال الصادره منه تعالى ولا الجبر في أفعال المكلفين، ولا تخلف المعلوم عن العلم به.

ص: ٣٢٢

المبحث الرابع: ربما یسأل فیقال: کیف یجوز أن یمنع فی هذا العالم المادى الحاکم علیه الأسباب المادیه مثل صلہ الرحم والصدقه والدعاء وغيرها عن تأثير الاسباب المادیه فی مسبباتها، وکیف تؤثر هذه الامور فی حصول مسببات مادیه لها أسباب مادیه إختصت بها، وکیف یتغیر بها السنن السائده على الكون، والقواعد المحکمه الحاکمه علیها التی قام علیها باذن الله تعالى وتقديره نظام هذا العالم فمن یزرع الحنطه مثلاً یحصد الحنطه ولا یحصد منها الشعیر والأرز، ومن سعی وجدّ واجتهد یحصل أكثر ممن قعد وتهاون وكسل، والنار مقتضی للإحراق لا یمنعه من ذلك الا عدم وجود شرطه أو وجود مانعه المادی،

والحاصل: أن تأثير المقتضیات المادیه فی مقتضياتها التی تكون ایضاً مادیه لامحاله لیس موقوفاً على أزيد مما نرى وهو وجود المقتضى والشرط وعدم المانع، وبعد حصول ذلك الذى نسمیه بالعله التامه لا یتخلف المعلول المادی عن علته المادیه.

أقول: كان هذا القائل توهم أن القائل بالبداء بمعناه الصحيح إنما يقول بتأثير الأسباب الغيبية وعالم الغيب في عالم الشهادة فقط فيمنع من وقوع بعض الحوادث والأمور حتى بعد تحقق سببه المادى أو تؤثر ما له سبب مادى بدون تحقق سببه المادى فلا يقع البداء في عالم الأسباب والمسببات العادية التي يدرك الإنسان استنادها الى أسبابها بالحسّ وغفل من أن ناموس البداء جار في الامور التكوينية سواء كان ذلك أى حصول البداء بواسطه أمر مثل الدعاء وصله الرحم، والذنوب والأعمال الصالحه أو بواسطه أمر من الامور الماديه فالامر الذى يقع فيه البداء ما ليس وقوعه من الامور المحتومه بل موقوف فى كثير من الموارد على أفعال العباد وكسبهم سواء كان هذا الفعل يعد سبباً عادياً فى الامر البدائى وجوداً أو عدماً كسعى العبد أو تكاسله عن السعى والعمل فالذى يقتل نفسه أو غيره لم يحكم علمه بذلك وليس عمله هذا من الامور المحتومه، والمقتول أيضاً لم يكن موته محتوماً عليه فى هذا الزمان بل كان حياته موقوفه على عدم حدوث ما يقطع إستمرار حياته وهو قتله وعلى هذا المبنى يجب على الإنسان التحفظ ودفْع العدو نعم قد يكون ذلك من الامور المحتومه بحيث لو لم يقتل فى هذا الوقت لكان يموت فيه بحتف الأنف وهذا أيضاً وإن كان بلحاظ أن موته بحتف الانف موقوف على عدم موته بالقتل يكون من الامور البدائيه الا أنه بملاحظه أن زهاق روحه فى هذا الزمان كان محتوماً لايقع فيه البداء وإن كان أيضاً من الامور البدائيه بلحاظ جواز وقوع البداء فيه عقلاً لولا كونه فى تقدير الله تعالى من الامور المحتومه التي لايقع فيه البداء.

نعم لم يبحث عن مثل هذه الأمور فى مبحث البداء وإختصوا المبحث فيه

بالامور التى يقع تحت سيطره عالم الغيب، وما لا يعدّ من الاسباب الماديه كالدعاء والصدقه وغيرها مع أن ملاك البحث والنفى والاثبات بالنسبه إليها واحد.

وبعبارة أخرى نقول: أن الاسباب سواء كانت ظاهره مرئيه محسوسه أو كانت غيبه مخفيه تحقق بها مسبباتها باذن الله تعالى وتقديره وتمنع عن وقوعها موانعها سواء كانت ظاهره أو غيبه وحيث أن الكل مستند اليه وهو جاعل الاسباب وفاعلها وخالق موانعها ويقدرها ولو باقداره العبد عليها وإن كان ما يجرى فى العالم يجرى باراده الله تعالى التكوينيّه فهو الماحى والمانع اذا منع - المانع الظاهري أو الغيبى - السبب، كذلك عن تأثيره وهو المثبت اذا أثر السبب فى مسببه وتحقق سواء كانا هذا أو من ذاك فالمرض الكذائى يمنع المريض من أن تمتد حياته الى أجله المسمى فيمحو الله تعالى ذلك بالصدقه وصله الرحم ويثبت حياته ويؤخر فى أجله والشخص الصحيح تقتضى صحته بقائه الى اجله المسمى ويمنع من ذلك بعض اعماله السيئه كل ذلك باذن الله تعالى وتقديره فى نظامه الأتم الأحسن الذى قرره فى خلقه.

ويمكن أن يقرر هذا بوجه آخر وهو أن يقال: أن الاسباب الظاهريه العاديه التى تتحقق فى عالمنا المحسوس والشهاده تقتضى تحقق مسبباتها فكما أنه يمحق أثرها بالموانع الظاهريه يمحق أثرها ببعض الموانع الغيبه فمثل صله الرحم تدفع ميتة السوء التى تحقق سببها الظاهري وكذلك توجب بعض الامور الزيادة فى العمر والرزق إما لأن الله جعل فى هذه الامور هذه الخواص أو لأن الله تعالى وعد عباده بأنه يفعل ذلك عند إتيان المكلف بها وعلى كلا الوجهين قد

دلت الآيات والروايات قال الله تعالى: [ولئن شكرتم لازيدنكم] (١) ، وقال جل اسمه: [ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض] (٢) ، وقال: [أفأنتم ما تمنون أم أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون] (٣) وفي الدعاء «اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء» (٤) والحاصل أن كل الامور الغير المحتومه واقع تحت سنه المحو والإثبات.

وثانياً نقول: أن الظاهر من هذا الايراد الاستبعاد أو انكار سلطان عالم الغيب وتأثير الاسباب والموانع الغيبية على عالم الشهاده.

وهذا التوهم: إما ينشأ من قصر النظر الى عالم الشهاده، والتأثر من تسويلات الحسينيين والماديين الغافلين أو المنكرين لعالم الغيب وتأثيره في عالم الشهاده.

وإما ينشأ من قضاء العاده على وقوع أمر بعد أمر آخر بمشيئه الله وتقديره فيتوهم أن هذا مقتضى تماميه الأمر الأول في العليه للأمر الثاني فلا يجوز أن يتخلف عنه كما لا يجوز تخلف المعلول عن علته التامه فكانه لم يعرف المتوهم الفرق بين المقتضى والعله التامه، وبين العله وأجزائها، وبين ما يقارن وجوده وجود شىء آخر، ولم يتفطن الى جواز احاطه البشر بجميع العلل ومعلولاتها، وشرائطها وموانعها وكون عالم الظاهر تحت سيطره عالم الغيب، وتأثير الأسباب الغيبية باذن الله تعالى في عالم الشهاده فيزعم العله ما ليس بها،^٥.

ص: ٣٢٦

١- إبراهيم: الآية ٧.

٢- الأعراف: الآية ٩٦.

٣- الواقعة: الآية ٥٨-٥٩.

٤- الكافي: ج ٢ ص ٥٩٠.

ومعلولها ما ليس هو مع أنه لا يرى شيئاً غير وجود شيء عند وجود شيء آخر أو أشياء أخرى ولم ير عليه هذا لذاك ولم يفهم لماذا صار هذا الأمر المادى عله لهذا ولماذا صارت عليه هذا لذاك ذاتيه له ولم تصر ذاتيه لشيء آخر، أليس هذا يعنى القول بالعلل الماديه وأنها من ذاتيات العلل الأخبار عن الغيب وما أحسن قولهم فى تعريف المعجزه أنها خرق عاده يأتى بها النبى عند التحدى وطلب القوم منه الآيه والمعجزه كما جاء فى القرآن الكريم حكاية عن فرعون فى محاجته مع النبى موسى على نبينا وآله وعليه السلام قال: [ان كنت جئت بآيه فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين] (١).

لايقال: أن ما تقول ينتهى الى نفي قاعده العليه، ولازمه تأثير كل شيء فى كل شيء أو عدم تأثير شيء فى شيء.

فإنه يقال: أن القاعده تامه لاخده فيها، والعله التامه كلما وجدت لاتنفك عن معلولها، ولايجوز وجود المعلول بدون العله كما لايجوز وجود الحادث بدون المحدث القديم ووجود المخلوق بدون الخالق لكن لاتعرف بنفس هذه القاعده مواردنا ولا تثبت بها مصاديقها. فربما يتحقق المقتضى والشرط وعدم المانع فيزعم الغافل من الشرط وعدم المانع أن المقتضى تمام العله كما ربما يغفل من عدم المانع فيستند المعلول الى المقتضى والشرط أو بالعكس يستنده الى المقتضى وعدم المانع.

وعلى هذا يجوز أن يمنع اراده الله القاهره على جميع ما سواه النار من ٧.

ص: ٣٢٧

١- الأعراف: الآيه ١٠٦-١٠٧.

الإحراق وغير ذلك مما وقع في التكوينيات على خلاف العاده وجريان الأسباب والمسببات العاديه.

فمن قصر نظرها الى ما يعرف من الأسباب الظاهره ولم يلتفت الى غيرها مما يجهلها من الأسباب الظاهره والباطنه وحكم الله تعالى وسننه في تربيته عباده، وإستصلاح أمورهم لا- يرى تخلف المسببات عن الاسباب الظاهره تشمله هذه الآيه الكريمه: [يعلمون ظاهراً من الحياه الدنيا وهم عن الآخره غافلون](١).

ولو طرح حجاب الغفله والالتهفات الى ظاهر الحياه الدنيا يفهم ان سنن الله تعالى لا تنحصر فيما يعرفه من قصر نظره الى عالم الظاهر فالدعاء والصدقه وصله الرحم، وإعانه الضيف وشكر النعمه وغيرها، وكذا الظلم وقطع الرحم وغيرهما من الاعمال السيئه تؤثر في وقوع كثير من الحوادث باذن الله تعالى وسنته ويغير الله تعالى لها مظاهر حياتنا الماديه من الرخاء والخصب، ونزول الأمطار، وظهور البركات كما يغير بها حالات النفوس وأحوال القلوب فتشملها التوفيق أو تحرم منه وتبتلى بالخذلان. ولانعنى بالبداء إلا ذلك.

فيزيد الله تعالى بصله الرحم في عمر من لايتجاوز عمره بحسب الأسباب الظاهره - لو لا- هذه الصله - من ثلاثين مثلاً- الى أربعين، أو ينقص منه بواسطه قطع الرحم مثلاً الى عشرين، وهكذا يدفع بصله الرحم أو الصدقه أو الدعاء عن البلاء وميته السوء. وكذا يؤثر عمله في شقاوته وسعادته فيكتسب بالأعمال الصالحه، والتوبه السعاده فيمحو الله إسمه من الأشقياء ويثبته في زمره السعده كما هو في ٧.

ص: ٣٢٨

١- الروم: الآيه ٧.

أم الكتاب. ولا يزيد في العمر ولا ينقص منه إلا الله، ولا يدفع البلاء، ولا يكتب الشقى سعيداً إلا الله، وملائكته العاملين الموكلين على هذه الامور بأمره اذاً فليس لنا إلا القول بذلك، وإنه لم يخلق باب رحمه الله على عباده، وأنه هو الحاكم البارىء المصور المعز الخالق لما يشاء والفاعل لما يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم.

ص: ٣٢٩

المبحث الخامس: لا يخفى عليك أن محل البداء بمعناه المعقول المستفاد من الكتاب والسنة ليس جميع الامور حيث أن الحوادث كما دلّ عليه العقل والنقل ليست كلها موقوفه غير محتومه بل بعضها محتوم، وبعضها مما هو مكتوب في لوح المحو والإثبات موقوف على أمر من الامور كالدعاء والصدقه وبعبارة أخرى كلما يحدث في العالم وما يعرضه من الحالات والعوارض اما يكون بأمر الله تعالى محتوم الوقوع ليس وجوده أو عدمه أو طرؤ حاله عليه مثل عروض زياده أو نقص موقوفاً على امر من الامور وشأن من الشئون أو لا يكون كذلك بل لوجوده أو فنائه وطرؤ حاله عليه، صورتان، طبيعیه وهی ما يقتضيها طبع الكائن، وغير طبيعیه وهی ما يمنع طبع الكائن عن التأثير مطلقاً أو يؤخر أو يقدمه فمثلاً يمكن أن يقال إن لبعض أفراد الإنسان بحسب القضاء الإلهي أو بحسب طبعه وإستعداد مزاجه اقتضاء أن يعيش إلى تسعين سنه فلا يعيش أزيد من ذلك إلا أن له أجل آخر بل مده أخرى قبل ذلك فيموت به في ستين مثلاً لامر

من المرض وغيره فان وصل الرحم أو تصدق بصدقه يؤخر موته به وكذلك قطع الرحم يعجل فناءه قبل الستين استمرار بقائه الى تسعين بالنسبه الى كل سنه وكل يوم يمكن أن يكون في علمه تعالى معرضاً لخطرات وهجوم ما يقطع حبل عمره ويدفع كل ذلك بمثل الدعاء والصدقه وكل ما يدفع البلاء من ترك الذنوب وغيره كما يمكن أن يعجل ذلك ايضاً بالذنوب الجالبه للبلبات.

ويمكن أن يكون الشخص بسبب حاله أو حالات كثيره مورداً لامور محتومه و بحسب حالات كثيره أخرى مورداً لامور موقوفه لايعلم تفاصيل ذلك إلا-الله تعالى وليس علينا الا الإيمان والتسليم والإعتقاد بالبداء اجمالاً لانعرف المحتوم من الموقوف الآ باخبار الله تعالى وانبيائه وأوليائه وفي موارد غير قليله ربما يعرف الموقوف من المحتوم بالمنامات الصادقه وما يظهر لنا في الوقايح بالأمارات والقرائن.

هذا وكل ذلك كما حققناه وذكرناه مراراً لاينافى علمه تعالى بما تصير اليه الامور، وما يحصل شرطه وما لا يحصل، وهو ما محتوم ليس مشروطاً بشيء لكيفيات وجود الأشياء، وخلقها، وشرائطه، وجميع ما هو مرتبط بها معلومه لله تعالى من الأزل كما لاينافى علمه بكل هذه الامور وقوع البداء فيها.

ويمكن أن يقال والله أعلم به: أن البداء يقع في قدر الله تعالى دون قضائه فما قدر الله من تأثير الأشياء وخواصها وآثارها وكونها أسباباً لمسببات خاصه ليس محتوم الوقوع بل يمحو أثر بعضها ببعض الامور الماديه التي يستند في الإنسان محوه به لانسهو بذلك التأثير والتأثر والغير الماديه كالدعاء والتوكل وصله الرحم فالبداء في هذه الامور معناه أمران أحدهما: أن ما قدر من الآثار

والتأثيرات للأشياء لا يجب أن يحقق مطلقاً بل يمكن أن يمنعه تقدير الله الآخر، وما قدر من الأثر شيء آخر من الامور الماديه أو غيرها كصله الرحم والدعاء ولا ينافى علمه أزلاً بما ينتهي اليه ذلك التقديرات المقدره.

وثانيهما: أن الله تعالى يمنع من هذه المقدرات فيجعل مثلاً النار التي من شأنها الإحراق بتقدير الله على عبده برداً وسلاماً ويمنع تأثير السيف والحديد على مولانا الرضا عليه السلام ويدفع البلا عن عبده بالدعاء وهذا بخلاف ما تعلق به قضائه تعالى فإنه يقع لامحاله وكل ذلك من شؤون قدرته وحكمته والله هو العالم بحقايق الامور.

ص: ٣٣٢

المبحث السادس: لا مجال للريب في أنه لا يقع البداء المعقول الذي جاءت به الآيات والروايات فيما أخبر الله تعالى ورسله به عباده لأنه موجب لتكذيبه تعالى أو تكذيب رسله بل هو مختص بما هو علمه مخزون مكنون عند الله تعالى وعند أوليائه المأمونين على أسرارهم المودعه فيهم والخير والناس عنه.

ويدل على ذلك طائفة من الروايات مثل روايه الفضيل بن يسار: قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: العلم علمان فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه وعلم علمه ملائكته ورسله فإنه سيكون لا يكذب نفسه ولا ملائكته، ولا رسله وعلم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء ويثبت ما يشاء (١) وعلى هذا ليس البداء في مثل تنصيب الأنبياء بعضهم على بعض وفي

ص: ٣٣٣

تنصيبهم على خلفائهم، وأوصيائهم كتنصيب الأنبياء الماضين على نبوه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وتنصيبه على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، وأخباره عن الملاحم والمغيات كشهاده أمير المؤمنين عليه السلام وشهاده مولانا أبي محمد الحسن السبط الأكبر عليه السلام بالسلم وشهاده أبي عبد الله سيد الشهداء عليه السلام بالسيف بالطف، وشهاده عمار وأنه تقتله الفئة الباغية، وغيرها من أخباره الغيبية.

كما أنه ليس البداء فيما وعد الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وآله في القرآن المجيد وأخبره به من الحوادث المستقبله كظهور الإسلام على جميع الأديان وخروج دابه الأرض، وخلافه المؤمنين في الأرض، وعجز البشر عن الإتيان بمثل سوره من القرآن الى الأبد والى آخر الدهر وغيرها دون غير ذلك مما لم يخير الله تعالى له ولا أنبيائه وخلفائه بالتنصيب.

ولولا ذلك لبطل تنصيبات الرسل على من يأتي بعدهم من الأنبياء، ولما تم الاستدلال بتنصيب الأنبياء على بنوه نبينا صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين مع ان الله تعالى احتج بذلك في كتابه الكريم.

قال الله تعالى: [الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم] (١).

وقال سبحانه وتعالى: [الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراه والإنجيل] (٢). ٧.

ص: ٣٣٤

١- البقره: الآيه ١٤٦؛ الأنعام: الآيه ٢٠.

٢- الاعراف: الآيه ١٥٧.

وقال عز من قائل: [ذلك مثلهم في التوراه ومثلهم في الإنجيل] (١).

وقال تعالى شأنه: [واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصداقاً لما بين يدي من التوراه ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد] (٢).

ألا ترى أنه لا يسمع من أهل الكتاب إدعاء وقوع البداء في مثل هذه النصوص كما لا يسمع إدعاء الإمامه من غير الأئمه الإثنى عشر عليهم السلام (٣).

والحاصل إن وقوع البداء في هذه التنصيصات، والتعريفات و ما به يعرف المحق من المبطل، والآيات والعلامات والملاحم لا يوافق حكمه الله تعالى، ه.

ص: ٣٣٥

١- الفتح: الآيه ٢٩.

٢- الصف: الآيه ٦.

٣- بل يمكن أن يقال أن التنصيص على امامه الأئمه وولايتهم لا يجوز أن يقع فيه البداء لانه اخبار عن الولاية التي هو من الامور الانشائية والمجعولات الشرعيه كما قال الله تعالى (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال: انى جاعلك للناس اماماً) بل يمكن أن يقال ذلك في رساله أيضاً استناداً بقوله تعالى: الله أعلم حيث يجعل رسالته فلا يتطرق في مثل ذلك البداء لانه بعد الانشاد يقع على ما يقع ورفعه بعد وجوده في وعاء الامور الاعتباريه قبل مجيء زمان القيام به لا يجوز، ويكون من رفع الحكم قبل مجيء وقت اتيانه نعم اذا لم يكن المولى في انشائه جاداً وكان انشائه صورياً يجوز رفعه لكن هو خارج عما نحن فيه، واما بعد قيامه به فلا يجوز رفعه وقطع استمراره لان الله تعالى لا يتشرف احداً بنصبه للإمامه والولاية ألتى هي عهدته الذى لا يناله الظالمين الا اذا كان جامعاً بشرائط توليها من العصمه عن الذنوب والخطاء في ماضى عمره و مستقبله لا ينتزع منه لباساً وتشريعاً شرفه به فكيف يجوز بعد أن ابتلى ابراهيم بما ابتلاه وجعله للناس اماماً انتزع هذه الكرامه التي كرمه بها منه هذا مضافاً الى أن النصوص قد دلت على استمرار الولاية والامامه العامه لمن نصبه الله لها صراحه.

ومفسد لنظام النبوات، ويبطل الإتكال على التنصيصات وأخبار الانبياء والأوصياء، ولذا لم يحتمل أحد في قصه صلح الحديبيه جواز وقوع البداء فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله من فتح مكة المكرمة، ولم يرد النبي صلى الله عليه وآله إعتراض المعترض المناق بعدم لزوم وقوعه في هذا العام لجواز وقوع البداء فيه بل اجابه بانه صلى الله عليه وآله لم يقيده بهذا العام قال الله تعالى: [لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين] (١).٧.

ص: ٣٣٦

١- الفتح: الآيه ٢٧.

المبحث السابع: ربما يتوهم استفاده وقوع البداء فى بعض ما نص الله والنبي أو الولي به من بعض الآيات والروايات مثل قوله تعالى:

[وواعدنا موسى ثلاثين ليله، واتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليله] (١).

وقوله تعالى: [فلو لا كانت قريه آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحياه الدنيا وامتعنا هم الى حين] (٢).

ومن الروايات مثل ما ورد فى وقوع البداء فى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وفى أبى جعفر محمد بن الامام على النقى عليه السلام.

ومثله ما ورد فى أخبار روح الله عيسى على نبينا وآله و عليه السلام بموت امرأه تهدي الى زوجها فى ليلتها فلما اصبحوا جاؤوا فوجدوها على حالها.

ص: ٣٣٧

١- الاعراف: الآيه ١٤٢.

٢- يونس: الآيه ٩٨.

وفى أن الله تعالى أوحى الى نبي من أنبيائه بأن يخبر فلان الملك إنى متوفيه الى كذا وكذا، وفى شاب كان عند داود اذ أتاه ملك الموت فسلم عليه واحداً ملك الموت النظر الى الشاب.

وما ورد فى نبي من أنبياء بنى اسرائيل أن الله وعده أن ينصره الى خمسة عشر ليله ونبي وعده الله النصره إلى خمسة عشره سنه،

وفى أخبار النبي صلى الله عليه و آله بقتل يهودى اسود فى قفاه، وما ورد فى تعيين وقت الفرج والرشاء.

والجواب عن هذا التوهم:

أولاً: أنه يمكن أن يقال أن ما قلنا بعدم وقوع البداء فيه بدلاله العقل والنقل عليه هو أخبار النبي أو الولي عمّا من شأنهما أن يخبرا عنه كالتنصيص على الأوصياء والخلفاء والأخبار عن المغيبات إظهاراً للمعجزه وفى مقام التحدى والإحتجاج واعلاماً لعلائم الحق والباطل واعلاماً لبعض ما يقع من جلائل الحوادث والفتن كفتنه الرجال والشجره المعونه وغيرها من الاخبارات التى تؤكد وقوعها معنى النبوات وتقوى الوغى الإيمانى والإهتداء الى الحق والصواب.

وأما ما ذكرتم من الآيات والأخبار فما فيها من الأخبار اخبار عن امور جزئيه لا ترتبط بالعقائد والشرعيات من الاصول والفروع، والأخبار عنها كان بعد اثبات نبوه النبي أو ولايه الولي المخبر عنه بالمعجزه أو بالنص أو كليهما مع ما يدل فى نفس الواقعه بعد ظهور كونها بدائيه من أن ما اخبر عنه انما لم يقع لكونه من

الامور الموقوفه فكان موت هذا مثلاً موقوفاً على ترك الصدقه أوصله الرحم أو بقاءه وتأخير أجله موقوفاً على الصدقه وصله الرحم فلما وصل الرحم أخّر في أجله، ومع وجود هذه الدلاله فى الواقعه ليست دلالة الأخبار عن الأمر الموقوف الذى لم يقع على جلاله قدر شأن النبى أو الولى بأقل من وقوعه على طبق أخباره بل يكون هذا افيد وأكد فى استصلاح الناس ومو عظمتهم ودعوتهم إلى البر والخير.

ولو تأملنا فى الموارد التى ورد عدم وقوع ما أخبر عنه النبى أو الولى نجد فى جميعها شاهداً على ذلك سواء إعتبر هذا الشاهد بمنزله القرينه على أن المخبر عمل بالتوريه فى خبره أو أنه كان مأموراً بالأخبار عنه، وإن لا تبجح فى ذلك بعد وجود فائده ومصلحه فيه، وظهور حقيقه الامر على الناس ويأتى لذلك مزيد بيان انشاء الله تعالى.

وثانياً: نقول: إن الآيات التى فسرت بالبداء بعضها لا يدل على أزيد من كون بعض الامور بدائياً وموقوفاً على أمر وجودى أو عدمى بل لا يدل أزيد من كونه غير حتمى الوقوع وأنه بمشيئه الله تعالى كقوله تعالى محو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب.

وقوله جل وعز: [وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب] (١).

وبعضها وان ادعى دلالة على اخبار الله تعالى أو نبيه بأمر وقع خلافه الا أنه لم يثبت دلالة على ذلك مثل قوله تعالى: [وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها ١].

ص: ٣٣٩

١- فاطر: الآية ١١.

بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة [١]. فان صحه دعوى دلالاته على عدم زياده زمان الميعاد على ثلثين موقوفه على حجيه مفهوم العدد الذى ثبت فى الأصول عدم حجيته بل عدم دلالاته ومثله لا يدل على أزيد من الوعد بالثلثين، ولا يدل على تقييده بعدم تشرف موسى بالزياده على ذلك العدد، ففي الحقيقه ما هو الموقوف الإتمام بالأربعين فانه موقوف على ثلثين دون العكس فلا يجيء منه تكذيب النبى، وإن شئت فقل: أنه يدل على عدم وقوع الميعاد على الاقل لا الأكثر.

وبعض الآيات كقوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام: [يا بنى انى أرى فى المنام إنى اذبحك] [٢] فلا دلالة لقوله تعالى: [انى اذبحك] على أزيد من الشروع بالذبح بالإشتغال بمقدماته، والاقال: إنى أرى فى المنام انى ذبحتك، وكان الواجب على ابراهيم الاشتغال بمقدمات الذبح والشروع فيه ثم ذبح ابنه لأن الظاهر من الحكم بالمقدمه الحكم بذى المقدمه ولكن هذا بدلاله العقل بعد ما لم يرد من الأمر بيان فى ذلك وليس بدلاله اللفظ كما يستفاد من (انى ذبحتك) وبعد ما جاء البيان يعلم أن المأمور به هو الشروع والاشتغال بمقدمات الذبح طبقاً لما رآه فى المنام ولذا قال الله تعالى (قد صدقت الرؤيا) ومثل هذا ليس من البداء بشيء ولا من تأخير البيان عن وقت الحاجة.

وبعض الآيات مثل قوله تعالى: [فلو لا كانت قريه آمنت فنفعها إيمانها الا قوم] ٢.

ص: ٣٤٠

١- الأعراف: الآيه ١٤٢.

٢- الصافات: الآيه ١٠٢.

[يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين] (١) لادلاله فيها الا على أن الايمان يمنع من العذاب، وهذا مدلول آيات كثيره وروايات متواتره وقد ورد في التفسير إنَّ يونس على نبينا وآله و عليه السلام أخبرهم بالعذاب إنَّ لم يتوبوا، ولم يؤمنوا، وهذا لا يجعله معرضاً لتكذيب المكذبين نعم ورد في تفسيرها في بعض الروايات أنه أخبرهم بالعذاب، ولم يقيده بعدم الايمان والاستمرار على الكفر والعصيان، وظاهر هذه الأخبار وإنَّ كان يجعل النبي معرضاً للتكذيب الا أنه يمكن أن يقال: إنَّ عدم تقييده نزول العذاب بعدم الايمان في اللفظ كان اتكالاً على القرنيه المعلومه، وهي عدم نزول العذاب بعد الايمان لأنه ظن بهم عدم الايمان وخرج من بينهم لظنه ذلك لا لأن العذاب كان محتوماً عليهم غير موقوف بعدم الايمان ولذا أمرهم عالم بالايمان والتوبه هذا ويمكن أن يقال أن الأخبار بنزول العذاب كان اخباراً بمقدماته، وإشرافه عليهم كما في قوله تعالى: [ولما ورد ماء مدين] (٢) وكما قيل في تفسير قوله تعالى: [ان منكم الا واردها] (٣).

هذا مختصر الكلام في الآيات التي قيل بأخبارها عن وقوع أمر وقع فيه البداء من غير تقييد بأنه موقوف يمكن أن يقع فيه البداء.

وأما الأحاديث فهي مع الغض عن ضعفها من حيث السند أو المتن أو كليهما وقوه الأحاديث الداله على أن الله لا يكذب رسله بحيث لو وقعت المعارضه بينها ١.

ص: ٣٤١

١- يونس: ٩٨.

٢- القصص: الآيه ٢٣.

٣- مريم: الآيه ٧١.

وبين هذه الأحاديث يجب الإعتماد عليها وترك هذه الأحاديث ورد علمها اليهم عليهم السلام على طوائف.

منها ما ورد في وقوع البداء في إسماعيل (1) ابن سيدنا الامام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام وفي أبي جعفر محمد بن مولانا الامام أبي الحسن على الهادي عليه السلام الا إنه لا دلالة في ما ورد فيهما على الاخبار بوقوع امر فيهم كالامامه وغيرها قبل موتها حتى يلزم من موتها تكذيب هذا الخبر بل كان الأمر بالعكس اذ لم يرد في امامتهما نص وخبر وورد التنصيص على الائمة الاثني عشر المعروفين في أحاديث متواتره روتها الثقاه قبل ولادتهما.

قال السيد الأجل شارح الصحيفة: فائده: روى عن الصادق أنه قال: «ما بدا لله أمر كما بداله في اسماعيل» فتوهم بعضهم أن معناه أنه جعله أولاً قائماً بعده مقامه فلما توفي نصب الكاظم عليه السلام بدله وهذا وهم باطل وخطأ محض كيف وقد ثبت وصح من طرق الاماميه، ورواياتهم إن النبي صلى الله عليه وآله قد انبأ بأئمه امته).

ص: ٣٤٢

١- قد نبشت الحكومه الجائره المتسميه بالسعوديه في زماننا باسم توسعه الشارع قره فوجد جسده طرياً كأنه مات في الحال فنقل الى البقيع ودفن والقصه مشهوره معروفه: واسماعيل هذا توفي سنه ثلاث و ثلاثين ومأه قبل وفاه أبيه الصادق عليه السلام مبشرين سنه توفي بالعريض قرب المدينه، وحمل على اعناق الرجال حتى دفن بالبقيع وكان أبو عبد الله عليه السلام يحبّه حباً شديداً ويكرمه اكراماً عظيماً وروى انه لما مات جزع عليه ابو عبد الله عليه السلام جزعاً شديداً ووجد به وجداً عظيماً وتقدم سريره ولا رداء وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيره وكان يكشف عن وجهه وينظر اليه يريد بذلك تحقيق الرد فإنه عند الظانين خلافته له من بعده وازاله الشبهه عنهم في حياته (راجع رياض السالكين شرح الصحيفة).

وأوصيائه وعترته، وأنه سماهم بأعيانهم عليهم السلام وأن جبرئيل عليه السلام نزل بصحيفه من السماء فيها اسمائهم، وكفاهم كما شحنت بالروايات في ذلك كتب الحديث سيما كتاب الحجج من الكافي، وأتت معنى الحديث المذكور أن صح وثبت ما قاله الصدوق قدس سره في كتاب التوحيد أنه يقول: ما ظهر لله أمر كما ظهر له في اسماعيل إذا إخترمه قبلي ليعلم أنه ليس بامام بعدى. انتهى

ولا يخفى عليك أن الروايات على عدد الأئمة الاثني عشر من طرق العامه أيضاً متواتره وقد وردت فيها أسمائهم بأعيانهم، وأما الروايه فقد حكى عن كتاب زيد النرسى عن عبيد بن زراره عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: ما بدا لله بدء أعظم من بدء بدا له في اسماعيل ابني(١) فيمكن حملها على أنه ما بدأ وظهر لإثبات امر الله تعالى وإن عهد الإمامه لم يكن معهوداً للاسماعيل كما بدا لله فيه وعلى هذا استعمل البدء في ظهور الأمر بعد خفائه، أى: ظهور أن أمر الامامه ليس للاسماعيل للناس بعد ما كان مخفياً عنهم لإثبات امر الله تعالى

وهنا احتمال آخر وهو أن المراد من اسماعيل هو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وكلمه ابني، أما هو تصحيف (أبي) كما يدل عليه ما روى الصدوق عن أبي الحسين الأسدى وهو أنه روى أن الصادق عليه السلام قال: ما بد الله بدء كما بداله في اسماعيل أبي اذ امر أباه بذبحه ثم فداه بذبح عظيم أو زيدت على الحديث سهواً من بعض الناقلين ويدل على ذلك إن أعظميه البدا تناسب قصه اسماعيل المشهوره بين الناس المعروفه بالعظمه والتي هي من أعظم الشواهد على تسليمه. ٩.

ص: ٣٤٣

المؤمن الموحد لربه تعالى قال الله تعالى: [قال يا بُنَيَّ اِنِّي ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ما ذا ترى قال يا اُبت افعل ما تؤمر ستجدنى انشاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله للجبين ونادىناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجرى المحسنين. ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم](1) وعلى كل ذلك المراد بوقوع البداء فيهما ليس وقوعه فى إمامتهما لما دلت من الروايات المصرحة بإمامه الاثني عشر عليهم السلام فليرد علم هذه الأحاديث لو صحت وسلمت ممّا يرد عليها من المناقشات السندية الدلالية اليهم عليهم السلام أو يحمل على المحامل الصحيحة مثل إن بقاء اسماعيل وهكذا محمد الى بعد مضى والدهما كان موقوفاً على ان لا يصير ذلك سبباً لتوهم إمامتها أو موقوفاً على أن لا يظن إمامتها فى حياها أبيها وهذا حمل صحيح بل إستظهار مستقيم من مثل قوله ما بد الله بداء كما بدا فى اسماعيل ابني سيما بقرينه الروايات المتواتره الناصه على امامه الاثمه عليهم السلام المرويه بالطرق الصحيحه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا وقد سمعت أن الصدوق خريت صناعه الحديث وإمام أهله وحامله فسرّ هذا الحديث بانه عليه السلام يقول: «ما ظهر لله امر كما ظهر فى اسماعيل إبنى إذا اخترمه قبلى ليعلم أنه ليس بإمام بعدى»(2).

هذا وقد سمعت ما إحتملنا ايضاً فى مفاد الخبر والله أعلم.

وقال: حبر الطائفة الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه فى (تصحيح .)

ص: ٣٤٤

١- الصافات: الآيه ١٠٢-١٠٧.

٢- التوحيد: ص ٣٣٦ باب ٥٤ ح ١٠.

الاعتقاد): قول أبي عبد الله عليه السلام: ما بدا لله في شيء كما بداله في اسماعيل فانما أراد به ما ظهر به من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه وقد كان مخوفاً عليه من ذلك مظنوناً به فلفظ له في دفعه عنه وقد جاء في الخبر بذلك عن الصادق عليه السلام فروى عنه عليه السلام انه قال: «ان القتل قد كتب على اسماعيل مرتين فسألت الله في دفعه عنه فدفعه»^(١).

وظاهر كلامه أن الصادق عليه السلام سئل عن قوله: (بد الله...) فأجاب عنه، وفسر كلامه بأن القتل قد كتب... وعلى هذا فالمعول في مقام بيان آراء من الحديث على تفسير الإمام عليه السلام.

ثم لا يخفى عليك إنَّ من الأحاديث الواردة في وقوع البداء في أبي جعفر محمد بن الامام علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام بل أظهرها ما روى فيه أن مولانا أبا الحسن علي الهادي عليه السلام لما توفي ابنه أبو جعفر قال: لإبنه الامام أبي محمد عليه السلام: يا بنى أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك امرأً^(٢) أقول: لو لم نقل بأنه ومثله من الأحاديث من متشابهاتها فلا ظهور له على أن محمد بن علي عليه السلام كان منصوباً عليه بالإمامه فبدا لله فيه قبل موته فإماتته أو بدا لله فيه بعد موته فأقام مقامه أخاه أبا محمد عليه السلام كما أنه لادلاله له على أن مولانا أبا محمد لم يكن منصوباً عليه قبل موت أخيه أبي جعفر فلما توفي اخوه جعله الله تعالى خليفه لأبيه ونصبه إماماً للناس بعده فهذا الاحتمال لا يستظهر من الخبر ٦

ص: ٣٤٥

١- تصحيح اعتقادات الاماميه: ص ٦٦.

٢- الكافي، كتاب الحجج، باب الإشاره والنص على أبي محمد عليه السلام، ح ٤ و ٥ و ٦

مضافاً الى أنه يزده الاحاديث الصحيحه الصريحه على ان أبا محمد كان منصوباً عليه بالامامه من الله تعالى ومن النبي صلى الله عليه وآله ومن أجداده الطاهرين قبل ولادته وولاده أخيه محمد إن قلت: نعم لادلاله لهذا الخبر على أن محمداً كان منصوباً عليه بالامامه الا أنه لا شك في دلالة على وقوع بدء فيه اذا فما هو ومالمراد من الامر في قوله فقد احدث فيك امراً.

قلت: يمكن أن يكون المراد من أحداث الامر إظهار إمامه مولانا أبي محمد عليه السلام لمن يظنّ اخاه أبا جعفر خليفه لأبيه وليس معنى ذلك أن الله تعالى توفاه لإظهار هذا الأمر بل المراد ان بطلان هذا الظن كان امراً يترتب على موته فاسند إحدائه الى الله تعالى لإسناد سببه وهو موته اليه.

هذا ولا يخفى عليك أن ما صدر من بعض الأعيان والعباقرة، وأكابر العلماء في تفسير هذا الخبر فقال: أي: جعلك الله اماماً بموت أخيك الأكبر قبلك فبدأ الله فيك (١) فكلام لا يصدر من مثله ولا أدري كيف نعالج ذلك مع أنه ثبت في كتابه فهل دس هذا في كلامه أو سقط هنا من كلامه ما يوضح مراده وكيف كان فهو أجلّ من أن يفسر الخبر بمثل هذا مع مخالفته لإتفاق الإماميه وللأحاديث المتواتره.

أخبار أخرى: ومن الأحاديث التي قيل بدلائلها على وقوع البدء فيما أخبر به الأنبياء عليهم السلام ما فيه الاخبار بموت شخص لم يتفق موته في الوقت المعين مثل الحديث المروي عن أمالي الصدوق بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله ٧.

ص: ٣٤٦

الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: أن عيسى روح الله مر بقوم مجلبين فقال: ما لهؤلاء قيل: يا روح الله أن فلانه بنت فلان تهدي الى فلان بن فلان في ليلتها هذه قال: يجلبون اليوم وييكون الغد فقال قائل منهم: ولم يا رسول الله؟ قال: لأن صاحبهم ميتة في ليلتها هذه فقال القائلون بمقالته: صدق الله وصدق رسوله، وقال أهل النفاق؟ ما أقرب غداً فلما أصبحوا جاؤا فوجدوها على حالها لم يحدث بها شيء فقالوا: يا روح الله إن التي أخبرتنا أمس أنها ميتة لم تمت فقال عيسى على نبينا وآله و عليه السلام: [يفعل الله ما يشاء] (١) فإذهبوا بنا اليها فذهبوا يتسابقون حتى قرعوا الباب فخرج زوجها فقال له عيسى عليه السلام: استأذن لي على صاحبتك قال: فدخل عليها فأخبرها أن روح الله وكلمته بالباب مع عده قال:

فَتَخَدَّرَتْ فدخل عليها فقال لها: ما صنعت ليلتك هذه؟ قالت: لم اصنع شيئاً الا وقد كنت أصنعه فيما مضى أنه كان يعترينا سائل في كل ليله جمعه فننيله ما يقوته الى مثلها، وانه جاءني في ليلتي هذه وأنا مشغولة بأمرى وأهلى في مشاغيل فهتف فلم يجبه أحد ثم هتف فلم يجب حتى هتف مراراً فلما سمعتُ مقالته قمت متنكره حتى نلتته كما كُنَّا ننيله فقال لها: تنحى عن مجلسك فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعه عاضاً على ذنبه فقال عليه السلام بما صنعت صرف عنك هذا (٢) وما روى عن العيون بسنده عن النوفلى يقول: قال الرضا عليه السلام سليمان المروزى: ما انكرت من البداء يا سليمان والله عز وجل يقول: [أو لا يذكر الانسان ١].

ص: ٣٤٧

١- ابراهيم: الآية ٢٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٤ ص ٩٤ باب ٣ ح ١.

انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً [١] ويقول عز وجل: [وهو الذى يبدء الخلق ثم يعيده] [٢] ويقول: [بديع السماوات والأرض] [٣] ويقول عز وجل: [يزيد فى الخلق ما يشاء] [٤] ويقول: [وبدأ خلق الانسان من طين] [٥] ويقول عز وجل: [وآخرين مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم] [٦] ويقول عز وجل: [وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب] [٧] قال سليمان: هل رويت فيه عن آباءك شيئاً؟ قال: نعم رويت عن أبى عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: أن لله عز وجل علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه الا هو، من ذلك يكون البداء، وعلماً علمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه قال سليمان: أحب أن تنزعه لى من كتاب الله عز وجل قال: قول الله عز وجل لنبيه: [فتول عنهم فما أنت بملوم] [٨] أراد إهلاككم ثم بدأ فقال: [فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين] [٩] قال سليمان: زدنى جعلت فداك قال الرضا عليه السلام. لقدس.

ص: ٣٤٨

- ١- مريم: الآية ٦٧.
- ٢- الروم: الآية ٢٧.
- ٣- البقره: الآية ١١٧؛ الانعام: الآية ١٠١.
- ٤- فاطر: الآية ١.
- ٥- السجده: الآية ٧.
- ٦- التوبه: الآية ١٠٦.
- ٧- فاطر: الآية ١١.
- ٨- الذاريات: الآية ٥٤.
- ٩- الذاريات: الآية ٥٥.

أخبرني أبي عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه أن أخبر فلان الملك إنني متوفيه إلى كذا وكذا فاتاه ذلك النبي فأخبره فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير، وقال: يا رب أجلني حتى يشب طفلي، وأقضى أمرى فأوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي إن أنت فلان الملك فأعلمه إنني قد أنسيت أجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة فقال ذلك النبي: يا رب إنك لتعلم إنني لم أكذب قط فأوحى الله عز وجل إليه أنما انت عبد مأمور فابلغه ذلك والله لا يسأل عما يفعل.

ثم التفت إلى سليمان فقال له: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب قال:

اعوذ بالله من ذلك وما قالت اليهود؟ قال: [قالت اليهود يد الله مغلولة] (١) يعنون ان الله قد فرغ من الامر فليس يحدث شيئاً فقال الله عز وجل: [غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا] (٢) ولقد سمعت قوماً سألوا أبا موسى بن جعفر عليه السلام عن البداء فقال: وما ينكر الناس من البداء، وان يقف الله قوماً يرجئهم لامره.

قال سليمان: الا تخبرني عن: [انا انزلناه في ليله القدر] (٣) بما في أى شيء أنزلت؟ قال: يا سليمان ليله القدر يقدر الله عز وجل فيها ما يكون من السنه إلى السنه من حياه او موت أو خير أو شر أو رزق فما قدره في تلك الليله فهو من المحتوم.

قال سليمان: الآن قد فهمت جعلت فداك فزدني فقال: يا سليمان أن من ١.

ص: ٣٤٩

١- المائدة: الآية ٦٤.

٢- المائدة: الآية ٦٤.

٣- القدر: الآية ١.

الامور أموراً موقوفه عند الله تبارك وتعالى يقدم منها ما يشاء و يؤخر ما يشاء يا سليمان إنَّ علياً عليه السلام كان يقول: العلم علمان فعلم علمه الله ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه احداً من خلقه يقدم منه ما يشاء و يؤخر ما يشاء، ويمحو ويثبت ما يشاء قال سليمان للمأمون: يا أمير المؤمنين لا أنكر بعد يومى هذا البداء، ولا أكذب به إن شاء الله (١). وما روى عن كتاب الامامه والتبصره لعلی بن بابويه باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان فى بنى إسرائيل نبي وعده الله أن ينصره الى خمسه عشر ليله فأخبر بذلك قومه فقالوا: والله اذا كان ليفعلن وليفعلن فأخره الله تعالى الى خمسه عشره سنه، وكان فيهم من وعده الله النصره الى خمس عشره سنه فأخبر بذلك النبي قومه فقالوا: ما شاء الله فعجله الله لهم فى خمس عشره ليله (٢).

وما روى عن كتاب قصص الأنبياء وبالإسناد الى الصدوق بسنده عن هشام بن سالم قال: سأل عبد الأعلى مولى بنى سام الصادق عليه السلام وأنا عنده حديث يرويه الناس، فقال: وما هو؟ قال: يروون أن الله عز وجل أوحى الى حزقيل النبي صلوات الله عليه إن أخبر فلان الملك إنى متوفيك يوم كذا فأتى حزقيل الملك فأخبره بذلك قال: فدعا الله وهو على سريره حتى سقط ما بين الحائط والسرير فقال: يا رب ائخرنى حتى يشب طفلى وأقضى أمرى فأوحى الله الى ٢.

ص: ٣٥٠

١- البحار: ج ٤ ص ٩٥ و ٩٦ ب ٣ ح ٢.

٢- البحار: ج ٤ ص ١١٢ ب ٣ ح ٣٢.

ذلك النبي إن أتت فلاناً وقل: إني أنسأت في عمره خمسة عشره سنه فقال النبي:

يا رب وعزتك إنك تعلم اني لم أكذب كذبه قط فأوحى الله اليه إنمأ أنت عبد مأمور فأبلغه(١) وما روى عن الكافي بسنده عن سالم بن مكرم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَرَّ يهودى بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وآله: و آله: عليك فقال أصحابه: إنمأ سلم عليك بالموت فقال: الموت عليك فقال النبي صلى الله عليه وآله: وكذلك رددت ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: أن هذا اليهود يعضه أسود في قفاه فيقتله قال: فذهب اليهودى فإحتطب حطباً كثيراً فاحتمله ثم لم يلبث أن انصرف فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:

ضعه فوضع الحطب فإذا اسود في جوف الحطب عاض على عود فقال: يا يهودى ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت عملاً الا حطبي هذا حملته فجننت به وكان معى كعكتان فأكلت واحده وتصدقت بواحدة على مسكين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بها دفع الله عنه وقال: أن الصدقه تدفع ميتته السوء عن الإنسان(٢) والذي يقال فى هذه الأحاديث أولاً أن المخبر عنه فيها ليس من الامور المحتومه التى ليست فيها البداء وأنمأ كان من الامور الموقوفه كما يدل عليه نفس ما فى هذه الاخبار من ظهور الحقيقه وإنكشاف الواقع على نحو لا يكذب به النبى، ولا يبقى لذى مقال مقالاً بل يقوى اعتماد الناس به.

وثانياً ما فى هذه الاحاديث من الأخبار ببعض الوقايح ليس من الامور٧.

ص: ٣٥١

١- البحار: ج ٤ ص ١١٢ و ١١٣ باب ٣ ح ٣٣.

٢- البحار: ج ٤ ص ١٢١ و ١٢٢ باب ٣ ح ٦٧.

التبليغيه التي هي من وظائف الأنبياء والائمة عليهم السلام وما يدور مدارها وجود مفهوم النبوات والأنباء من الله تعالى والسفاره بين الخالق والخلق، وإتمام الحججه على العباد وغير ذلك مما به يقوم مصالح النبوات وتقتضيه قاعده اللطف وغيرها من القواعد العقلية التي يثبت بها لزوم بعث الرسل وانزال الكتب وهداياه الناس وتبليغهم وإرشادهم الى كل ما يقر بهم الى الجنة ويبيدهم عن النار.

ويؤيد هذا ما في نفس هذه الاخبار مثل خبر العيون فإنه لو لم يحمل ما علمه الله تعالى ملائكته ورسله على ما علمهم من الامور التبليغيه وما هو من شأن الرسل الاخبار به يقع التنافي بين قوله عليه السلام وعلماً علمه ملائكته ورسله... وما روى فيه عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويرفع التنافي برفع اليد عن عموم ما علمه الله تعالى وتخصيصه بغير مثل قضيه النبي المرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفي نفس هذا الحديث التي قرينه على عدم شمول عمومه لمثل ما في هذه الأحاديث فتدبر.

وثالثاً: الأخبار بما في هذه الأحاديث كان بعد ثبوت نبوتهم بالمعجزات، والبيانات وبعد ذلك لا يضر وقوع مثل ما في هذه الأحاديث بأمر نبوه ولا يضعف به الإيمان بصدقهم سيما بعد ما في هذه القصص من الشاهد على أن الأخبار بها لم يكن جزافاً وكذباً هذا وقد تلخص من جميع ما ذكر أن ما نص الله تعالى وأنبياءه والائمة الطاهرين عليهم السلام عليه من الامور الاعتقاديه والمطالب الدينيه لا يقع فيها البداء يجب أن يقع الاخبار بهذه الامور كما أخبر بها البتة والا لاختل نظام النبوات ويترتب عليه مفسد كثيره.

إن قلت فما تقول في النسخ فإنه واقع في التشريعات مما نص عليه النبي

الذى نسخ بعض أحكام شرعه من التكاليفات أو الوضعيات بل ربما وقع ذلك فى شرع نبى واحد فكان الحكم فى موضوع فى برهه من عصر نبوته تحريمه ثم نسخ وجاء الوحى بوجوبه أو إباحته قلت: النسخ ليس من البداء الذى قررنا صحته فى التكوينيات بل إظهار الحكم فى موضوع يظن استمرار حكمه السابق وان شئت قلت هو ردّ حكم العقلاء أو بنائهم باستمرار حكم المولى ما لم يرد منه بيان انتهائه فاذا قال المولى اكرم العلماء فكما أن له عموم افرادى يشمل به الحكم جميع أفراد العلماء وليس إخراج بعض أفراد العلماء منه بالمخصص المنفصل أو المتصل نسخ الحكم. كذلك له عموم أزمانى شامل لجميع الأزمنة وليس إخراج بعض الأزمنة منه بالدليل المتصل أو المنفصل نسخ لهذا الحكم بل فى كل منهما دليل على أن شمول الحكم الذى انشأ ضرباً للقاعده والقانون للمورد المخصص لم يكن الجدوى.

هذا ويمكن أن يقال أن العموم بالنسبه الى أفراد العام يستفاد من اللفظ بخلافه بالنسبه الى الازمان فلا دلالة لللفظ باحدى دلالته الثلاث عليه بل مستند ذلك أما بناء العقلاء على الإستمرار أو حكمهم بالاستمرار وبقاء الحكم فالاول إنّما يثبت الحكم به على جميع أفراد العام بالحجه اللفظيه، والثانى بالحجه العقلية ليس فى موردها دليل قطعى أو الظهور اللفظى الحجه على أن الحكم كان كذا حتى يكون انشاء حكم آخر نسخاً له فتدبر جيداً.

نعم اذا دلّ دليل بالخصوص على حكم فى مورد خاص مثل وجوب صلاه الظهر ثم جاء دليل آخر على نسخ هذا الحكم قبل مجيئ وقت العمل به فللبحث فيه من جهه البداء مجال الا أنه لم يقع مثله فى التشريعات والموارد التى توهم

ذلك فيها مثل أمر ابراهيم الخليل عليه السلام بذبح أبيه لم يكن الأمر بها حقيقه بل كان الأمر بها على بعض المقدمات أو فهم بالقرينه عدم جد الأمر في أمره، وأن ارادته لم تكن جديده وإنما أمر بما أمر لمصالح أخرى وأما اخراج بعض افراد الظهر مثلاً من دليل وجوب صلاه الظهر تقييداً أو تخصيصاً في هذا المورد الذي يستفاد من اللفظ شمول الحكم للافراد والازمان على وزان واحد فليس من البداء

أخبار من تعيين وقت الفرج:

وأما الأخبار الواردة في تعيين وقت الفرج والرخاء مثل مضمرة أبي بصير قال: قلت له: الهذا الأمر أمر تريخ اليه ابداننا ننتهى اليه قال: بلى ولكنكم اذعتم فزاد الله فيه (١) وحديث أبي حمزه الثمالى قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن علياً كان يقول: الى السبعين بلاء وكان يقول: بعد البلاء رخاء وقد مضت السبعون ولم نر رخاء فقال:

أبو جعفر عليه السلام يا ثابت أن الله تعالى كان وقت هذا الأمر فى السبعين فلما قتل الحسين إشتد غضب الله على أهل الأرض فأخره الى أربعين ومأه سنه فحدثنا كم فإذعتم الحديث وكشفتم قناع السر فآخره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال أبو حمزه: وقلت ذلك لأبى عبد الله عليه السلام فقال: قد كان ذلك (٢) وخبر عثمان النواء قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان هذا الأمر فى ٩.

ص: ٣٥٤

١- البحار: ج ٤ ص ١١٣ ب ٣ ح ٣٨.

٢- البحار: ج ٤ ص ١١٤ ب ٣ ح ٣٩.

فأخره الله يفعل بعد في ذريتي ما يشاء(١)

وحديث فضل بن أبي قره قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوحى الله إلى ابراهيم أنه سيولد لك فقال لساره فقالت: أألد وأنا عجوز فأوحى الله إليه أنها ستلد ويعذب أولادها اربعمائة سنة بردها الكلام على قال: فلما طال على بنى إسرائيل العذاب ضجوا وبكوا الى الله أربعين صباحاً فأوحى الله الى موسى وهارون يخلصهم من فرعون فحط عنهم سبعين ومأه سنة قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام هكذا أنتم لو فعلتم لفرج الله عنا فاما اذا لم تكونوا فإن الامر ينتهى الى منتهاه(٢) وخبر عمرو بن الحمق قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام حين ضرب على قرنه فقال لى: يا عمرو إننى مفارقكم ثم قال: سنه السبعين فيها بلاء قالها ثلاثاً فقلت: فهل بعد البلاء رخاء؟ فلم يجبنى وأغمى عليه فبكت أم كلثوم فأفاق فقال: يا أم كلثوم لاتؤذيني فاتك لو قدرين ما أرى لم تبكى أن الملائكة فى السماوات السبع بعضهم خلف بعض والنبيون خلفهم وهذا محمد صلى الله عليه وآله أخذ بيدي يقول: إنطلق يا على فما أمامك خير لك مما أنت فيه فقلت: بأبى أنت وامى قلت: الى السبعين بلاء فهل بعد السبعين رخاء قال: نعم يا عمرو إن بعد البلاء رخاءاً ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب(٣). .

ص: ٣٥٥

١- البحار: ج ٤ ص ١١٤ ب ٣ ح ٤٠.

٢- البحار: ج ٤ ص ١١٨ ب ٣ ح ٥٠.

٣- البحار: ج ٤ ص ١١٩ و ١٢٠ باب ٣ ح ٦٠.

هذه الاخبار ما ربما يوهم ظاهرها البداء فى حصول الفرج قبل قيام مولانا المهدي عليه السلام وبأبى هو وامى مع أن الاخبار المتواتره من طرق العامه والخاصه قد دلت على أن الفرج التام لا يتحقق الا بظهوره عليه السلام فهو الذى يملأ الارض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

والجواب عن هذه الأخبار:

أولاً بضعف سند بعضها وجهاله رجالها كخبر عثمان النوا و بالإجمال أو ضعف متن بعضها.

وثانياً بما فى بعضها من عدم التصريح والجزم بالوقت بل والتصريح بعدم الجزم وأن سنه البداء تؤثر فى ذلك ولذا تلى عليه السلام كما ترى فى خبر عمرو بن الحمق وأبى حمزه (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وهذا لا ينافى الخبر الجزمى والتصريح بأن الرخاء والفرج إنما يتحقق بظهور الامام المنتظر والولى الثانى عشر عليه السلام فالله تعالى وأوليائه بتعليمه تعالى اياهم عالمون بوقوع البداء فى جميع هذه الاوقات وان ظهور هذا الامر والعدل الكلى والرخاء التام لا يتحقق الا بعد امتحان شديد وفتن كبيره كثيره لا يبقى فيها على الايمان الا- من إمتحن الله قلبه بالايمان بعد غيبه الامام الثانى عشر عليه السلام غيبه يطول أمدها يرتاب فيها الجاهلون الى ان من الله تعالى على عباده بظهوره عليه السلام فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

وربما يكون وجه الحكمة فى أخبارهم عليهم السلام بظهور الامر فى هذه الازمنه لو قلنا بدلاله هذه الاخبار به مع علمهم بعدم تحققه لوقوع البلاء فيه، هو بيان ان عدم ظهور الامر وتمكن الاثمه من القيام بالامر راجع الى الناس ووجوده لطف

وتصرفه لطف آخر وعدمه منّا وأن يكون هذه الأخبار تسليه للمؤمنين المنتظرين لفرج أولياء الله وغلبه الحق ونصره الدين وأهله فأخبروا الشيعة بجواز حصول الفرج والخلاص عن حكمه الجباريه والطواغيت في بعض الأزمنه لحصول مقتضيه وان كانوا عالمين بما يمنع تحقق ذلك ولذا ارشدوهم الى ان ذلك قد لا يتحقق لقوله تعالى: [يمحو الله ما يشاء ويثبت وعند ام الكتاب] (١) والحاصل إنّ هذه الأخبار أنّما صدرت لاجل تأليف القلوب وتقريباً للفرج ومنعاً لاستيحاش الناس لو قيل لهم بانه لا يتحقق الا مثلاً بعد الألف أو مده طويله كذا وكذا وقد صرح في بعض الأحاديث بهذه الفائده.

وثالثاً فرق واضح بين القول: بأن بعد كذا رخاء وبين القول: بأن الرخاء بعد كذا وما يستفاد من بعض هذه الأحاديث، بل صريح لفظه هو الأول وإنّ بعد كذا يكون رخاء ومثل هذا ليس الأخبار عن تقدم أمر الفرج العام الشامل لجميع البشر بظهور الإمام المنتظر عليه السلام.

ورابعاً نقول: يجوز أن يكون الأمر الذي جاء في هذه الأحاديث قد وقت له أوقات بحسب الأسباب التي هي واقعته تحت اختيار المكلفين، وكان تأخره لعدم تحقق تلك الأسباب بسوء اختيارهم كما أشرنا اليه، أو نقول كما يستفاد من شيخ الطائفة قدس سره ايضاً: أن المصلحه إقتضت تحقق الأمر في وقت من الاوقات مشروطه بأن لا يتحقق ما يقتضى المصلحه تأخيره الى زمان آخر لا يقع فيه ما يقتضى أيضاً تأخيره والّا فيؤخر الله تعالى الى ذلك الزمان. ٩.

ص: ٣٥٧

فالمصلحه قد اقتضت وقوع هذا الأمر، اى: أمر إداره امور الأمه وتديبر شئونها السياسيه والاجتماعيه وغيرهما من حين إرتحال الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وآله الى الرفيق الاعلى تحت يد من نصبه الله تعالى ولياً على الامور، وجعله حجه على عباده، فلمّا وقع ما وقع لم يتحقق الامر كما إقتضته المصلحه الأولى، واقتضت مصلحه أخرى وهى حفظ كيان الاسلام ودفع الخطر عنه، وعدم قيام الولي لمطالبه بالأمر بالمحاربه والقوه فتأخر تحقق هذا الأمر لهذه المصلحه ومصالح أخرى من إمتحان العباد وغيره مما لانحيط به والله أعلم به.

وبعباره أخرى: لاشك فى أن اصلاح حال العباد وقيام الامور بالقسط منوط بكون اداره الامور والولايه عليها لمن له الولايه عليها من قبل الله تعالى، وحيث لايعرف من له هذه الأهليه واللياقه الا الله تعالى يجب على حسب قاعده اللطف وغيرها تعيين من يلى الامر بعد النبى ونصبه فلا يجوز إهمال هذا الامر الخطير مع دخله العظيم فى تحقق أهداف النبوات، ورسالات السماء وتوقف كمال الدين وتمام النعمه عليه قال الله تعالى: [اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً] (١) وقد نص النبى صلى الله عليه و آله بأمر الله تعالى على ولايه الأئمه الاثنى عشر عليهم السلام حفظاً لهذه المصلحه، ولئلا يكون للناس على الله حجه وقد أقتضت تحقق هذا الأمر بعد النبى صلى الله عليه و آله أسبابه ومقتضياته وكانت الامور تجرى على مجراها الذى ينتهى الى ذلك لولا مخالفه الفئه المنافقه، وحزب ٣.

ص: ٣٥٨

١- المائده: الآيه ٣.

الشیطان الذین منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله من كتابه وصيته فهتكوا حرمة وقالوا وأسمعوه ما لا يقوله المسلم المؤمن بالله ورسوله وانه: [ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى] (١).

وعلى هذا يصح أن يقال: إن الأمر أى: كون الولاية بعد النبى لأمر المؤمنين عليهما الصلاة والسلام، وإن كان من الامور الحتميه المتحققه له عليه السلام بنصب النبى صلى الله عليه وآله اياه لها بل كانت متحققه له قبل ذلك وكان نصب النبى صلى الله عليه وآله اعلاماً بهذا الأمر المتحقق الا إن ميعاد تحققه الظاهرى كان عند ارتحاله صلى الله عليه وآله الى الرفيق الأعلى ولكنه منع من ذلك ما صدر من المخالفين وطلاب الرياسه من الاجتماع فى السقيفه ونقض البيعه، وبعد قيام من لم يكن له أهليه القيام بهذا الأمر الخطير ولم يعينه النبى صلى الله عليه وآله، ثم بعدما وقع الامر بيد من عيّنه الله تعالى فجاهد فى الله حق جهاده الا أن بقيه الفئه المنافقه ومجبى الدنيا والرياسه حالوا بينه وبين الأمور نكثوا بيعته وخرجوا على الإمام الحق فقام أمير المؤمنين مولانا أبو الحسن عليه السلام بدفع مكايدهم عن الاسلام وأخمد فتنهم الى أن استشهد عليه السلام بضربه أشقى الأشقياء آل الأمر الى أن تغلب مثل معاويه على بلاد الاسلام وارتكب مظالم تقشعر منه الجلود (٢) وجهد فى إطفاء نور النبوه والتوحيد وإرجاع الناس إلى القهقرى حتى مات وترك الأمر لابنه الفاسق الفاجر بعد ما أكره الناس على البيعه له تحت سيوف عماله فاقتضت الأسباب والأوضاع الاجتماعيه رجوع الأمر إلى أهله لكن هذه الأسباب أيضاً لم تؤثر لأن الأمه الا القليل منها لم تجب دعوه).

ص: ٣٥٩

١- النجم: الآيه ٣-٤.

٢- راجع كتاب (النصائح الكافيه لمن يتولى معاويه) وكتاب (معاويه بن أبى سفيان فى الميزان).

مولانا أبى عبد الله الحسين عليه السلام التى قام به اتماماً للحجه فتركت نصرته وباعت الدين بالدنيا فلما قتل الحسين عليه السلام آخر ذلك، أى: لم يتهىء ما يقتضيه من الأسباب الى سنه مائة وأربعين وفى هذا الأوان أيضاً لما اذيع ذلك للظالمين وإنكشف السرّ شدّ اعداء الله واعداء آل محمد عليهم السلام على المؤمنين وشيعه الحق فردوهم عما يأملون وبعد ذلك اخر الرخاء والفرج ولم يعلموا الشيعة بأزمته أخرى ربما حصل فيها بعض الأسباب المقتضيه لهذا الأمر ويمنع المانع من تأثيرها وهكذا يستمر الأمر إلى زمان لا يعلمه إلا الله يوم الوقت المعلوم يوم ظهور مولانا المهدي عليه السلام ومما يؤثر حصول المقتضيات ويقويها ويجب رفع الموانع الدعاء لتعجيل الفرج.

وعلى هذا نقول: ما ورد فى تعيين وقت الفرج والرخاء أنما ورد فى مقام بيان هذه المراحل والأوضاع التى مرت على الأمة وبيان لبعض الأسباب الذى صار سبباً لتأخير ظهور هذا الأمر وتحقق ما وعد الله تعالى به أنبيائه ورسله وعباده قال الله تعالى: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون.

هذا وقد ظهر لك أن ما فى بعض الأخبار من توقع الرخاء فى سنه كذا أو تأخيره الى سنه كذا ليس معناه أن الأمر يتحقق بمشيه الله تعالى لامحاله فى سنه كذا حتى اذا أخر منها يلزم منه العجز أو الجهل عليه تعالى الله عنهما علواً كبيراً.

أو يقال: كيف يكون هذا مع دلالة الأخبار المتواتره على عدم تحقق ذلك لواحد من الأئمه عليهم السلام الا بقدر ما تحقق لأمير المؤمنين والامام المجتبى عليهما السلام، والأ ما يتحقق على النحو الكامل لمولانا المهدي بأبى هو وأمى.

فإن المراد من هذه الأخبار ان أمر ولايتهم من حيث الظهور وفعليه توليهم الأمور مشروطه بأمر مثل قبول الأمه وتسليمهم لهم وغير ذلك مما لا يعلم الا بأخبار الله تعالى، وتخصيص بعض السنين والأوقات بالذكر أنما يكون لأصل أن زوال بعض الموانع يجعل الفرج والرخاء أرجى وأسهل حصولاً

فإن قلت: ما فائده الأخبار بذلك مع العلم بعدم حصوله له لعدم تحقق شرطه أو وجود مانعه.

قلت: مضافاً الى ما مر في ضمن الجواب الثاني فائدته أولاً: اتمام الحجه وبيان أن الله تعالى لم يكتب على خلقه الذل والصغار وسيطره الظالمين عليهم، وأنه لا يصيبهم ما أصابهم الا بما كسبت أيديهم.

وثانياً الترغيب الى العمل وتشويق الناس وتشجيعهم على حفظ مواضعهم قبال الكفره والظلمه، وعلى حفظ الثبات، والإستقامه في إداء الواجبات.

وثالثاً تقويه روح الرجاء وحسن الظن بالمستقبل حتى لا يتسلط عليهم القنوط عن رحمه الله تعالى، ولا يأسوا من روح الله، وهذه حكمه كبيره يجب على من يسوس الناس بالسياسه الالهيه رعايتها حتى لا يخرجوا عن الطريق المستقيم، ولا يتكاسلوا، ولا يتقاعدوا عن العمل.

هذا، اللهمنا الله تعالى حول هذه الأحاديث والله ولي التسديد والتوفيق

ومنه يظهر لك تفسير غيرها من الأحاديث إنشاء الله تعالى

المبحث الثامن: أن قيل: جاء في بعض الأحاديث المرويه في باب البداء أنّ لله علمين، علم علمه لملائكته ورسله فذلك لايجيء فيه البداء وعلم مخزون عنده لم يطلع عليه أحداً من خلقه فذلك الذي يقع فيه البداء، وأنتم قد أجبتم عن الأخبار التي دلت على وقوع البداء فيما علمه الله تعالى بعض رسله بحمل العلم الأول على الأمور التبليغيه وما من شأن النبي بيانه وإرشاد الناس إليه والإعلام به وأيضاً اختصاص مفاد ما دل على وقوع البداء فيما علمه الله تعالى رسله على موارد ظهر وجه الحكمة فيها على الخلق فصار مؤيداً للنبي وموجباً لمزيد الإيمان به.

إذا فكيف يوفق بين هذه الأخبار والأخبار التي رواها الكليني رضوان الله تعالى عليه الداله على أن النبي والأئمه صلوات الله عليهم كانوا عالمين بما كان وما يكون وما هو كائن وكيف يوجه هذا التقسيم وحصر علمهم فيما لايجيء فيه البداء؟

أولاً: يستفاد من قوله عليه السلام في هذه الأحاديث (فإنه يكون ولا يكذب نفسه لا- ملائكته ولا رسله) أن المراد من العلم المخزون عنده هو ما لم يطلع عليه أحداً بهذه الخصوصيه، أى: لما لم يطلع عليه أحداً وقوع البداء فيه لا يستلزم تكذيب الله وتكذيب ملائكته ورسله دون ما علمه ملائكته ورسله ومن المعلوم، أن ما علمه أنبيائه إنما يستلزم تكذيبهم لو كانوا مأمورين بأخبار القوم به وأمّا لو لم يخبروا الناس به وعلمهم الله تعالى ليكون مخزناً عندهم لا- يستلزم ذلك تكذيبهم، فإنّ الملائكته والأنبياء بل والمؤمنين الكاملين لا يكذبون الله ولا رسله اذا وقع البدأ فيما أخبروا عنه، اذا ليس نفس التعليم مستلزماً للتكذيب، بل أخبارهم الناس بما علمهم الله تعالى ووقوع البداء فيه يجعلهم معرضاً لتكذيب الجاحدين والمنافقين وضعفاء النفوس، والإيمان وعلى هذا لا يستفاد من الحديث ما يخالف ما يدل على سعه علم الائمه عليهم السلام، بل يدل على أن ما علمهم ولم يأذن لهم بالأخبار عنه لا يقع فيه البداء كما يدل بالمنطوق على أنّ الله تعالى أو النبي أو الولي إذا أخبروا الناس عن أمر لا يقع فيه البداء فالحديث يوضح محل البداء وليس في مقام تعيين مقدار ما يتعلق علم النبي والإمام به من المغيبات.

وثانياً: ما كان مخزوناً عند الله تعالى يشمل ما كان مخزوناً عند ملائكته ورسله والائمه عليهم السلام بإذنه، ولم يأذن لهم أن يخبروا به أحداً من خلقه، بل ما يقبل التقسيم هو ما عندهم دون ما هو عنده، لأن هذا التقسيم إن كان بملاحظه خصوصيه في المعلوم وامتياز بعضه عن بعض فلا- يوجد خصوصيه في العلم وتعدد علم الباري جلّ شأنه فإن علمه يتعلق بكل ما يجوز أن يكون معلوماً

ومتعلقاً للعلم على وزان واحد فكما لا يجوز الإشارة الى ذاته منحازاً عن صفاته، ولا يجوز الإشارة الى صفات ذاته، منحازاً عن ذاته ولا يجوز الإشارة الى علمه بخصوصيه تعلقه الى المعلوم المعين ممتازاً عن علمه بالمعلوم الآخر، فلا- تبعض ولا تجزئه في علمه تعالى ولا يشار الى علمه بالمعلوم الخاص، لأن كل ذلك ينتهي الى القول بالتجزئه والتركيب الذي ينافي القول الحق وعينه الذات والصفه وإتحادهما مصداقاً بالنسبه إلى الباريء تعالى فلا يمكن كما لا يمكن تصور حقيقتها أيضاً.

إن قلت: فكيف تقول: إنَّه عالم بالجزئيات قلت هو تعالى شأنه عالم بالجزئيات والكليات لا يعزب عن علمه شيئاً، ولكن لا تعدد ولا- تكرر لعلمه والكثرة المتصوره إنما جاءت من ناحيه معلوماته كقدرته ولا تكثر في قدرته ولا يتصور فيه الشده والضعف والتكرار والتعدد، بل الشده والضعف يخيل للجاهل الذي يرى المقدورات وكراتها وتعددتها وكبيرها وصغيرها فيتوهم هذه في حقه تعالى.

والحاصل: ان التقسيم الحقيقي بالنسبه الى صفاته الذاتيه باطل مستلزم للنقص واثبات ما هو تعالى منزه عنه.

والذى يؤيد ما قلناه: من أن لفظه (عنده) ليست صريحه فى أن العلم مخزون فيه وعند نفسه وإنه يصح أن يكون مخزوناً عند ملائكته وعمال إرادته وانبيائه ورسله وأوليائه، ويقال: إنه مخزون عنده قوله تعالى: [قال علمها عند ربي فى

كتاب [١] أى: مخزون ومكتوب فى كتاب وقوله تعالى: [وعنده ام الكتاب] [٢] فالمراد بما هو مخزون عنده ما هو مجعول ومخزون فى وعاء مناسب من الأوعيه كنفس الملك وقلب النبى والولى واللوح المسمى باللوح المحو والإثبات مما جعله بحكمته وقدرته مظاهر علمه فهذا ليس بعلمه الحقيقى الذاتى بل يطلق عليه العلم تنزيلاً، لكونه حاكياً عنه فالعلم المخزون محتاج الى الخازن والى المخزن وهو يتصور بالنسبه الى علمه تعالى إذا كان مخزوناً فى قلب النبى أو الولى أو نفس الملك أو كتاب مناسب له، فالله هو الخازن والمخزون العلم والمخزن هو باطن النبى ومع ذلك يصح أن يقال إنه مخزون عنده كما انه مكتوب عنده فى كتاب.

ويدل على أن العلم يطلق على ما فى الكتاب وما يحكى عنه قوله تعالى: [قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا] [٣] فإن العلم الذى طلب منهم إخراجهم ليس ما هو من الكيفيات النفسانيه بالنسبه اليها، بل إنما أريد عنه ما عندهم من الكتب والآثار.

فتلخص من جميع ما ذكرناه عدم دلالة هذه الأخبار على حصر علم النبى والأئمة عليهم السلام بالمغيبات فيما أخبروا عنه، هذا مضافاً الى عدم معارضتها مع الأخبار المتواتره الداله على علمهم بها سواء فى ذلك ما أخبروا عنها وما لم.

ص: ٣٦٥

١- طه: الآيه ٥٢.

٢- الرعد: ٣٩.

٣- الأنعام: الآيه ١٤٨.

يخبروا عنه.

إن قيل: كيف يوجه مع القول بالبداء أخبار الأنبياء والأولياء، بل وأخبار الله تعالى عن المغيبات وما يقع في مستقبل الزمان لجواز وقوع البداء، فيها.

أقول: أولاً: إن بعض الأمور ليس من الأمور الموقوفة فلا يجيء فيه البداء.

وثانياً: جواز وقوع البداء في أمر غير وقوعه، أو لا- وقوعه فيه وكون أمر موقوفاً على أمر لا- يلازم وجود الموقوف عليه، فيجوز الأخبار بوقوع أمر بدائي موقوف لتعلق العلم بوقوعه وعدم وقوع البداء فيه كما يجوز الأخبار بعدم وقوعه في الظرف الذي إقتضت الأسباب الظاهره وقوعه للعلم بوقوع البداء فيه، وكون وقوعه موقوفاً على أمر يعلم عدم تحققه، فكما يجوز الأخبار عن المغيبات التي لا يتطرق فيه البداء يجوز الأخبار عن وقوع الأمور البدائية أو لا وقوعها.

إن قيل: ما قلتم يرفع الإشكال إذا لم يقع البداء فيما أخبروا عنه وأما إذا وقع فيه البداء وخالف الواقع الخبر كما روى ذلك في عدده من الروايات كيف يوجه ذلك فإنه ينافى مصلحه النبوات، وقاعده اللطف ومستلزم لنقض الغرض وتنفر الناس عن المخبر واستنكارهم عليه، وتقيحهم إياه.

فإن كان النبي أو الولي غير عالمين بما أخبر عنه ولو بإحتمال وقوع البداء فيه فكيف يجوز لهما الأخبار عنه من غير أن يشترطه بالبداء وكونه متوقفاً على عدم حدوث بعض ما يمنع منه، وإن قيل إن النبي والولي كانا عالمين بما أخبرا به يقال: من أين حصل لها العلم بذلك مع علمهما بإمكان وقوع البداء فيه ومضاده هذا العلم مع العلم بما أخبرا عنه.

أقول: الجواب عن هذه الشبهة - بعد الغض عن ضعيف هذه الروايات من

حيث السند والمتن وعدم جواز الإلتزام والإعتقاد بمفادها - وإن كان يظهر مما ذكرناه من ذى قبل، أوّلاً: أنا لانسلم منافات الأخبار بأمر اتفق عدم وقوعه لعدم حصول شرطه أو وجود مانعه لمصلحه النبوات، وقاعده اللطف بعد ما ظهر وجه ذلك وسيما إذا كانت فيه مصلحه أخرى ايضاً من مصالح النبوات، مثل توجيه الناس الى المعارف الالهيه وصفاته الجلالتيه والجماليه وتقويه الوعي الاعتقادي وبصيره الواعين فى الإيمان بالله وصفاته الكماليه، وإنه لم يزل ولا يزال قادر ورحمن، وكريم، غفار وهاب لا يشغله شأن عن شأن، وأنه المفزع فى كل نائبه مفرج الهموم وكاشف الغموم يعفو ويصفح ويفعل ما يريد حتى لا يزعم من قلت بصيرته إنه فرغ من الأمر وفوضه إلى ما يرى ويتولد من الأسباب والقواعل الظاهره على سبيل التسلسل فيستند الأفاعيل إليها على سبيل الحقيقه على نحو لم يكن لله تعالى فيه تدبير ومشيه فيقول بمقاله اليهود.

قال الله تعالى: [وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطان](١) وقال عزّ شأنه: [أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون](٢).

وقال سبحانه: [أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون](٣).

وقال تعالى جده: [أفرأيتم الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن ٤.

ص: ٣٦٧

١- المائده: الآيه ٦٤.

٢- الواقعه: الآيه ٥٨-٥٩.

٣- الواقعه: الآيه ٦٣-٦٤.

وعلى هذا لا يحكم بقبح الأخبار عن أمر لا يقع بالبذاء اذا ظهر وجه الحكمة فيه ونمنع كونه سبباً لتفتر الناس عن النبي أو الإمام الذى ثبت نبوته أو إمامته بالمعجزه والنص، بل ربّما يكون ظهور الأمر للناس وإن ما أخبر به كان لازم الوقوع لولا إنتفاء شرطه أو حدوث مانعه سبباً لقوه إيمانهم وكمال رغبه النفوس إليه، لأن أقل ما يستفاد من ذلك هو أنه مطلع على المغيبات التى ربما لا تتحقق بالبذاء.

وثانياً نقول: إن الكذب ليس من العناوين المقبحة بالذات كالظلم الذى يحكم العقل بقبحه الذاتى؛ وبنفس عنوانه كيف اتفق، وفى أى زمان اتفق، وعلى أى وجه وفى أى مكان اتفق.

وأما الكذب فهو مثل الضرب المولم، وكثير من العناوين حسنه وقبحه يختلف بحسب إختلاف أفراده والوجوه، والاعتبارات فبعض افراده يقع تحت العناوين المحسنه بالحسن الذاتى كحفظ النفس المحترمه من الوقوع فى التهلكه، ومنع الظالم من الظلم، ودفع الخطر عن جماعه المسلمين ومصالحهم العامه، ومثل الكذب وضع اليد على مال الغير، والتصرف فيه فإنه إذا كان بإذنه أو لحفظه واحساناً اليه يكون حسناً لامحاله. (٢) ولو سلم قبح مجرد الكذب ولو لم يكن واقعاً تحت عنوان آخر من العناوينه.

ص: ٣٦٨

١- الواقعه: الآيه ٦٨-٦٩.

٢- يستفاد ذلك من القرآن المجيد فى ما حكاه من قصه موسى وعبد من عباد الله.

المقبحة بالذات فلا شك إنه ليس مثل الظلم الذى لا يمكن أن يقع حسناً، بل إذا وقع تحت أى عنوان يكون حسنه غالباً على قبح مجرد الكذب بحيث يذم تاركه على تركه يحكم بحسنه، وعلى أى حال فلا يحكم بقبح الأخبار عن وقوع أمر بحسب اقتضاء أسبابه العامه الظاهره وقوعه مع العلم بعدم وقوعه، أو الشك فى ذلك إذا ترتبت على هذا الأخبار مصلحه مهمه، وخصوصاً إذا دفعت حزازه الأخبار عن خلاف الواقع بظهور حقيقه الأمر، وإن الأخبار كان معتمداً على منشأ عقلائى، وهو العلم بوجود المقتضى والأسباب.

وثالثاً نقول: إن الموارد المذكوره فى الروايات بعضها أخبار وإنذار عن وقوع ما ينذر به لإتمام الحججه على المنذر (بالفتح) وتحذيره عن وقوعه فيه، وترغيبه بالتحذير عنه بالتوبه والإنابه والصدقه وغيرها، وفى مثله يكون الخبر مشعراً بجواز وقوع البداء، وإن الواجب على المنذرين التوبه والرجوع إلى الله تعالى.

فتلخص إنه لا يثبت بهذه الأخبار أمر غير إيضاح أمر البداء وتبيين موارد فالأخبار فيها إما كان اتكالاً على القرنيه الحالیه وهى معلومیه جواز وقوع البداء فى موارد بها بالإيمان والتوبه والصدقه وغيرها، كما يستفاد ذلك من قصه قوم يونس على نبينا وآله عليه السلام أو كان الفرض آرائه الشاهد على ذلك ليطمئن به قلوب المؤمنين ويدفع به إستبعاد المرتابين والله ورسوله أعلم فارتفع الإشكال بحذافيره والله الموفق للصواب.

فإن قيل: فما تقول فى ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: لولا آيه فى كتاب الله لاخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة وهى هذه

الآية: [يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب] (١) وروى نحوه عن سيدي شباب أهل الجنة وعن الإمام زين العابدين والباقر وأبي عبد الله عليهم السلام (٢) فإنه يدل على أنهم غير عالمين بالوقائع البدائية والأمور الموقوفة.

أقول: ليس المراد منه لولا- هذه الآية لكانوا عالمين بما كان وبما يكون وبما هو كائن ولكن الآية ونظام البداء السائد باذن الله على أمور الخلق منعهم عن العلم بذلك، بل الظاهر إن المراد التنبيه على أنهم عليهم السلام إنما إمتنعوا عن اظهار ما عندهم من العلوم وبيان ما يقع فيه البداء وما لم يقع، لأن المصالح المتضمنه في نظام البداء المحققه لمصالح النبوات وكمال النفوس في المعارف الإلهيه لا تتحصل إلا بخفاء العلم بمواردها على الناس، فالأخبار بكل ذلك أو بجلها ينافي المصالح العظيمه الكامنه في نظام المحو والإثبات ويشعر بل يدل على ذلك كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته بعد النهروان «وأيم الله لولا إن تنكلوا وتدعوا العمل لحدثكم بما قضى الله على لسان نبيكم» (٣) إذا فلا دلالة لمثل هذا الحديث على أنه لولا هذه الآية وهذا النظام الكامل التام لكنا عالمين بما يكون إلى أن تقوم الساعه، فإن هذا مضافاً إلى أنه لا يستفاد من هذه الأحاديث يرد بالأخبار الكثيره المتواتره الداله على أنهم عالمون بما يكون إلى قيام الساعه (٤). ٢.

ص: ٣٧٠

-
- ١- الرعد: الآية ٣٩.
 - ٢- البحار: ج ٤ ص ٩٧ ب ٣ ح ٤ و ٥.
 - ٣- الغارات: ج ١ ص ٧.
 - ٤- راجع الكافي ج ٢.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لو شئت إن أخير كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف ان تكفروا في برسول الله صلى الله عليه وآله الا واني مفضيه الى الخاصه ممن يؤمن ذلك منه والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما انطق إلا صادقاً ولقد عهد إلى بذلك كله وبمهلك من يهلكو ومنجى من ينجو ومآل هذا الأمر وما أبقى شيئاً يمر على رأسى إلا أفرغه في اذننى وأفضى به الى»(١).

وقال عليه السلام: في خطبه ذكر فيها طائفه من الملاحم: «سلونى قبل أن تفقدونى (إلى أن قال) والذي نفسى بيده لاتسألونى عن شىء فيما بينكم وبين الساعه ولا عن فئه تفضل مأه إلا نبأتكم بناعقها وسائقها»(٢).

قال السيد الأجل شارح الصحيفة إنجيل أهل البيت وزبور آل محمد صلوات الله عليهم فى الروضه الثانيه والأربعين:

تواترت الأخبار عن العتره الزاكيه وأجمعت الصحابه من الفرقة الناجيه إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه والأوصياء عن أبنائه علموا جميع ما فى القرآن علماً قطعياً بتأييد إلهى، وإلهام ربانى وتعليم نبوى وقد طابق العقل فى ذلك النقل، وذلك إن الإمام إذا لم يعلم جميع ما فى القرآن لزم إهمال الخلق، وبطلان الشرع، وانقطاع الشريعة وكل ذلك باطل بحكم العقل والنقل.

ومن الأخبار ما ورد من طرق العامه عن أبى الطفيل قال: شهدت علياً عليه السلام ٢.

ص: ٣٧١

١- نهج البلاغه [صبحى الصالح]: ٢٥٠ خ ١٧٥ [نشر هجرت].

٢- الغارات: ج ١ ص ٧ و ٨ نهج البلاغه الخطبه ٩٢.

يخطب وهو يقول: «سلوني فوالله لا تسئلوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل» (١).

وقال أبو نعيم في حليه الأولياء عن ابن مسعود قال: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف وما منها حرف إلا وله ظهر وبطن وإن على بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن» (٢).

وأيضاً أخرج من طريق أبي بكر بن عياش عن نصير بن سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي عليه السلام قال: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت، وأين أنزلت إن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً ستولاً» (٣).

وأما الروايات في ذلك من طرق الخاصه فأكثر من أن تحصى منها ما رواه ثقه الإسلام بسند حسن عن جابر قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادعى أحد من الناس إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب وما جمعه وحفظه كما نزله الله إلا على بن أبي طالب والأئمه من بعده صلوات الله عليهم أجمعين» (٤).

وعن سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام: «إن في القرآن علم، مضى وعلم ما يأتي» ٨.

ص: ٣٧٢

١- بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٧٩.

٢- حليه الأولياء: ج ١ ص ٦٥.

٣- حليه الأولياء: ج ١ ص ٦٧.

٤- الكافي: ج ١ ص ٢٢٨.

إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون فلو سألتموني عنه لعلمتكم»(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام إنه قال: «ما يستطيع أحد أن يدعى إن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء»(٢).

وعنه عليه السلام: «إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن»(٣).

وعن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «والله انى لاعلم كتاب الله من أوله الى آخره فكأنه فى كفى فيه خبر السماء وخبر ما كان وخبر ما هو كائن قال الله عز وجل فيه تبيان كل شىء»(٤).

قال بعض المحققين: قوله عليه السلام: (كأنه فى كفى تنبيه على أن علمه عليه السلام بما فى الكتاب علم شهودى بسيط واحد بالذات متعلق بالجميع كما أن رؤيه ما فى الكف رؤيه واحده متعلقه بجميع أجزائه، والتعدد إنما هو بحسب الإعتبار وقوله عليه السلام: (فيه خبر السماء) يعنى أحوال الأفلاك وحركاتها وأحوال الملائكه ودرجاتها، وحركات الكواكب ومداراتها، ومنافع تلك الحركات وتأثيراتها إلى غير ذلك من الأمور الكائنه فى العلويات، والمنافع المتعلقه بالكليات، وقوله عليه السلام: (وخبر الأرض) يعنى من جور مرها وانتهاها وما فى جوفها٩.

ص: ٣٧٣

١- الكافى: ج ١ ص ٦١.

٢- الكافى: ج ١ ص ٢٢٨.

٣- الكافى: ج ١ ص ٢٢٩.

٤- الكافى: ج ١ ص ٢٢٩.

وإرجائها، وما فى تحتها وأهوائها، وما فيها من المعدنيات، وما تحت الفلك من السايط والمركبات التى تتحير فى ادراك نبذ منها عقول البشر، ويتحير دون بلوع أو فى مراتبها ظاهر الفكر، والنظر، وقوله: (وخبر ما كان وما هو كائن) أى: من أخبار السابقين، وأخبار اللاحقين كليّاتها وجزئياتها، وأحوال الجنه ومقاماتها، وتفاوت مراتبها ودرجاتها، وأخبار المثاب فيه بالإنقياد والطاعة والمأجور فيها بالعباده والزهاده، وأهوال النار ودرجاتها، وأهوال مراتب المعقوبه، ومصيباتها، وتفاوت مراتب البرزخ فى النور والظلمه، وتفاوت أحوال الخلق فيه بالراحه والشده كل ذلك بدليل قوله تعالى: (فيه تبيان كل شىء) أى: كشفه، وإيضاحه فلا سبيل إلى إنكاره والله أعلم انتهى كلام شارح الصحيفه.

هذا آخر، ما وفقنا بتحريه حول البداء والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على رسوله الأمين وأهل بيته الطاهرين، وقد تم تحرير ذلك فى شهر ذو القعدة الحرام من شهر من شهور سنه ١٤٠٥ الهجرية القمرية وقد تجنّبنا فى هذه الرسالة عن الاستشهاد بمخترعات الفلاسفه اذئاب اليونانى واتباعهم من المنتحلين إلى المذاهب الاسلاميه، أولئك الذى لم يهتدوا بهدى أهل بيت الوحي والنبوه عليهم السلام وسلوكوا سبلاً متشعبه أبعدتهم عن التمسك بالثقلين.

وأنا أقل العباد لطف الله الصافى الكليپايگانى ابن العالم الفقيه المرحوم المولى محمد جواد الصافى غفر الله تعالى له ولوالديه وحشرهم مع ساداته الأنجيين عليهم الصلاه والسلام.

فتنه ردّ النصوص أو الاجتهاد في مقابل النص

اشاره

ص: ٣٧٥

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير اّما يشركون وصلّى الله على سيّدنا اّبي القاسم محمد وآله الطاهرين.

وبعد: فلا يخفى على الباحثين العارفين برسالة الإسلام إن من أهمّ ما تدعو به هذه الرسالة السماوية العظمى هو الإنقياد الخالص والتمسّك الصادق بالهدايات الإلهية، والتسليم الكامل لشرائع الدين وأحكامه والالتزام بما يستفاد من ظواهر الأدلّة الشرعيّة (كتاباً وسنّه) على نحو جرت عليه سيره العقلاء وترك الإجتهد بعرض النظر والرأى قبال نصوص الكتاب والسنّه.

وهذا: أى: الالتزام المطلق وقبول كلّ ما بيّنه الشارع سواء كان من المعارف الحقّه الإعتقادية أو التعاليم العبادية، والنظم الإجتماعية، والسياسية والمالية، وغيرها هو الإسلام الخالص والدين الحنيف الذى بعث به جميع الأنبياء فمن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين

لا يستكمل، بل لا يتحقّق الإيمان الذى هو عبارته عن عقد القلب والقبول القلبي إلّا بهذا التسليم الجامع الشامل.

وإن قلنا بأن الإيمان عمل كلّه ومبثوث على القوى والجوارح والأعضاء وإن

عقد القلب إيمان القلب وعمله القلبي كما ورد في بعض الأحاديث مثل حديث أبي عمرو الزبيري، لأن الإيمان القلبي ليس كإيمان سائر الأعضاء والقوى فإيمان اللسان يجتمع مع إيمان العين مثلاً ويتحقق بدونه أيضاً، وهكذا إيمان العين بالنسبة إلى إيمان اللسان والأذن والرجل واليد وغيرها، وهذا على خلاف إيمان القلب فإنه لا يمكن أن يتحقق إيمان أى قوه من القوى وأى عضو من الأعضاء بدونه فلا يكون العمل الصادر من اللسان إيمانياً، إلّا إذا كان منبعثاً من إيمان القلب بهذا العمل وإنه المأمور به الشرعى وكان القلب مؤمناً مضافاً إليه بوظائف سائر الأعضاء الشرعيه أيضاً فالعمل الصالح المأمور به من قبل الشرع، وكذا ترك ما نهى الشرع منه لا يكون عملاً إيمانياً إلّا إذا كان القلب مؤمناً بجميع الأوامر والنواهي الشرعيه وما أنزل على النبي صلى الله عليه وآله وهذا بخلاف الإيمان القلبي، فإنه يتحقق بدون إيمان سائر الأعضاء الذى هو عبارته عن أعمالها فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه.

وعلى هذا وإن كان إيمان القلب مقولاً بالتشكيك ذو مراتب ودرجات بحسب القوه والضعف ليس قابلاً للتجزئه بالإيمان ببعض الشرعيات والكفر ببعضها (الإيمان ببعض والكفر ببعض) كالإيمان بالصلاه والكفر بالزكاه، أو غيرها من العقائد والأحكام المعلومه إنها من الدين كالقصاص، والحدود وأحكام الأموال والأحوال الشخصيه وإذا كان العبد غير مؤمن بواحد منها لا يكون مؤمناً وإن كان مؤمناً بغيرها، بل تصور الإيمان بغيرها أيضاً مع عدم الإيمان بواحد منها فى غايه الإشكال، بل لا يمكن إلّ بالتعسف والتكلف.

والسرّ فى ذلك عدم تحقّق الإيمان بالله تعالى وإنه حكيم وعالم بجميع

المصالح والمفاسد، وأعلم من العبد في تدبير أموره وتنظيم شؤنه إلابالإيمان بجميع ما أنزل الله تعالى من دون إستثناء شىء منه وعدم الإيمان حتى بشىء منه يكشف عن عدم الإيمان بالجميع ويعلمه وحكمته تعالى، بل يكشف ذلك عن إجتهاد العبد وإستبداده وإعتماده برأيه في تعيين مسير أموره.

ولذا يكفر من أنكر ضرورياً من ضروره الدين أو ما كان معلوماً عنده انه من الدين، ويكفر من ردّ على النبي صلى الله عليه وآله ولم يقبل منه ولو مرّه واحده وفي مورد واحد.

ولا ريب أن ذلك التسليم كان ولا يزال من أقوى ما يحفظ به الدين عن التغيير والتبديل وإدخال ما ليس منه فيه فالدين في عين تقومه به بقائه أيضاً متقوم به.

ويضمن ذلك، أى: الالتزام الصحيح بالدين ومعرفة مفاهيم مصطلحاته التمسك بالعترة الطاهره الذين نصّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله على أن التمسك بهم وبالكتاب الكريم معاً أمان من الضلال والإختلاف فيرجع إليهم في معرفه جميع مصطلحات الدين، وتفسير القرآن الكريم والسنة النبويه إذا صارت مثار الإختلاف، وتنازع الآراء.

وهذا، أى: لزوم وجود من يكون مرجعاً للأئمة في ما يحدث بينهم من الإختلاف مؤيّد بالحكم العقل القطعى أيضاً لأنه إذا كان من أهداف الدين والوحي رفع الإختلاف بين الناس يجب أن يكون مرجعاً بينهم إذا وقع الإختلاف في نفس الدين ومفاهيم مصطلحاته، وإلّا تسقط فائده الدين في رفع الإختلاف وينقض الغرض من بعث الرسل وإنزال الكتب ولا تبقى للدين قائمه ولا دعامه.

وقد إهتم الإسلام بهذين الأصلين الأصليين إهتماماً بليغاً فإليك بعض ما جاء من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفه فيهما.

قال الله تعالى: [يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم] (١).

وقال سبحانه: [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً] (٢).

وقال عزّ من قائل: [يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم] (٣).

وقال عزّ ثنأؤه: [إنما أنت منذر ولكلّ قوم هاد] (٤).

وأما الأحاديث فيهما فكثيره لا تحصى.

منها: ما روى عن النبي صلى الله عليه و آله: «لا يكون العبد مؤمناً حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ولا يزيغ عنه» (٥).

منها: ما روى عن أبي جعفر عليه السلام: «لا تتخذوا من دون الله وليجه فلا تكونوا مؤمنين فإن كل سبب ونسب وقرابه ووليجه وبدعه وشبهه منقطع إلّما أثبتته».

ص: ٣٨٠

١- الحجرات: الآية ١.

٢- النساء: الآية ٦٥.

٣- النساء: الآية ٥٩.

٤- الرعد: الآية ٧.

٥- فتح الباري: ج ١٣ ص ٢٤٥.

منها: ما روى أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كل شيء يجزه الإقرار والتسليم فهو الإيمان وكل شيء يجزه الإنكار والجحود فهو الكفر»(٢).

ومنها: ما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو ان العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا»(٣).

ومنها: ما عن أبي جعفر عليه السلام قال بريد العجلي: سألته عن أدنى ما يكون العبد به مشركاً فقال: «من قال للنواه: انها حصاه وللحصاه: أنها نواه ثم دان به»(٤).

ومنها: ما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لو ان قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنع الله أو صنع النبي صلى الله عليه وآله الا صنع خلاف الذي صنع أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية: [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً](٥) ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: فعليكم بالتسليم»(٦).٨.

ص: ٣٨١

١- الكافي: ج ١ ص ٥٩.

٢- الكافي: ج ٢ ص ٣٨٧.

٣- الكافي: ج ٢ ص ٣٨٨.

٤- الكافي: ج ٢ ص ٣٩٧.

٥- النساء: الآية ٦٥.

٦- الكافي: ج ٢ ص ٣٩٨.

وأما الأحاديث المأثوره الدالّه على وجوب الرجوع إلى العتره والتمسك بهم وانهم أمان من الضلال و... فهي أيضاً كثيره متواتره من طرق الفريقين قد أخرجنا طائفه منها في كتابنا أمان الأئمه من الضلال والاختلاف فراجع إن شئت فمنها الأحاديث المتواتره المشهوره بين الخاص والعام بأحاديث الثقلين، ومنها أحاديث السفينه ومنها أحاديث الأمان وغيرها.

ص: ٣٨٢

أوّل من ردّ النصوص هو إبليس الذى خالف أمر الله تعالى بالسجود لآدم إستكباراً وردّ على الله تعالى بما جاء عنه فى القرآن المجيد قال: [لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون] (١) وفى سورة الإسراء: [قال أسجد لمن خلقت طيناً] (٢) وفى سورة ص قال: [قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين] (٣).

والمستفاد من الآيات الثلاثة أمر واحد، وهو أنه إستكبر وأبى أن يسجد لآدم واستند فى إستكباره بإعمال رأيه واجتهاده فى ما يرجع إلى علّه الأمر وحكمته، وإنّه لم يصدر هذا الأمر من الله تعالى كما ينبغى فنفى اّمّا علمه تعالى أو عدله

ص: ٣٨٣

-
- ١- الحجر: الآية ٣٣.
 - ٢- الإسراء: الآية ٦١.
 - ٣- الأعراف: الآية ١٢؛ ص: الآية ٧٦.

بصدور ما لا ينبغي صدوره منه تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

وهذا شأن كل رادّ لنصوص الكتاب والسنة وإن كان للأغراض الخاصة من حبّ الجاه والرياسة والزخارف الدنيويّة، أو استكباراً واستعلاء عصمنا الله تعالى من هذه المهلكات التي أهلكت طوائف كثيرة من الأمم الماضية وهذه الأمة حتى من ذوى السوابق الحسنه.

وكان قارون أيضاً ممن سلك مسلك إبليس في معارضته لمن يوعظه بما وعظ الله الخلق به ويأمره بالإحسان وينهاه عن الفساد فى الأرض حيث قال: [أنا أوتيته على علم عندى] (١) يعنى لا- وجه فيما أمر فى الله بالزكاه ولا حق لله تعالى وللفقراء فى مالى فإنما أوتيته على علم عندى.

وقد سلك هذا السبيل من ردّ حكم متعه الحجّ وبقي مصرّاً على منع الناس منه إلى آخر أيامه، وردّ على النبي صلى الله عليه و آله صلح الحديبيه ورد أيضاً عليه صلى الله عليه و آله لما أراد أن يكتب لهم كتاباً لا يضلّوا بعده أبداً فمنع النبي صلى الله عليه و آله عن ذلك، وردّ عليه وقال ما لا- نجسر على حكايته وقال ابن عباس: إنّ الرزيه كلّ الرزيه ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب وهذا أشنع صور ردّ النصوص وأضرّها على الأمة وأفسدها لأمرهم.

وكذا أسقط من الأذان (حى على خير العمل) وجعل مكانه (الصلاه خير من النوم) (٢) وتخلّف فى سائر المتخلفين عن جيش أسامه وقد لعن رسول الله صلى الله عليه و آله).

ص: ٣٨٤

١- القصص: الآيه ٧٨.

٢- لا- يخفى على كلّ من له ذوق وفطانه وبصيره بالألفاظ والمعانى إنّ هذا الفصل لا يناسب سائر فصول الأذان ولا شىء تحته فمن لا يعرف ان الصلاه خير من النوم ومن سائر الأعمال المباحه وأين هذا المضمون من مضمون قول المؤذن حى على الصلاه وحى على الفلاح وحى على خير العمل وما الفرق بين قولك الصلاه خير من النوم و (الماء أعذب أو أطيب من البول).

من تخلف عنه وكذا حرم متعه النساء وغير ذلك مما يطول الكلام بذكره.

ومن الإجهاد في مقابل النص وبالتعبير الصحيح ردّ النص صريحاً حياً للجاه والرياسة ردّ النصوص المتواتره على ولايته أمير المؤمنين عليه السلام فغيروا به مسير الإسلام في سياسته والحكم، واعتذر بعضهم للذين ردّوا هذا النص بأن ذلك إنّما صدر منهم حفظاً لبعض المصالح ودفع الفتن والمفاسد، وقد قيل إنّ الضرورات تبيح المحظورات فإمامه الإمام عليه السلام وولايته بعد النبي صلى الله عليه وآله وإن كانت منصوباً عليها ولا شك فيها وكان هو الأولى والأحقّ بها من جميع الصحابه أحقيه أوجبت تعيينها لهذا المنصب الإلهي الذي ليس أمره بيد غير الله تعالى كما لا شك في أنّه ليس لأحد من الصحابه، بل لجميعهم سوابق كسوابقه الجليله ومناقب كمناقبه الكبيره الكثيره لا يدانيه أحد منهم في العلم والزهد والعباده والشجاعه والجهاد في سبيل الله ولولا- سيفه لما قام عمود الدين، ولولا علومه وخطبه في التوحيد ما إهتدت الأمم إلى المعارف التوحيديه فإحتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل على أنّه إمام الكل إلّا أنّه تقدّم عليه من تقدّم مخافه إنّ سوابقه الكريمه الكثيره في نصره رسول الله صلى الله عليه وآله ومجاهدته بين يديه ومنازلاته مع رؤساء الكفر وشجعان المشركين وقتل صناديدهم تجدد ولايته.

الأ-مور في النفوس حقدهم وحسدكم لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته خاصّه ولبنى هاشم عامّه وتحملهم وبقية المقتولين بيده في غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله

ما يفسد أمر الإسلام ووحده الأمة.

وهذا الاعتذار أو الإستدلال شبيه بإستدلال إبليس بل يرتضعان من لبن واحد ولو لم يكن أسوء من تركهم النصوص وتقديم من أخره إليه وتأخير من قدّمه إليه يكون مثله سواء بسواء فلا معنى لهذه المقالة إلّا إن الله تعالى لما اختار عليّاً خليفه لرسوله صلى الله عليه وآله وأمره بتبليغ ذلك إلى الأمة ما كان عالماً بما يترتب عليه مما ذكره هذا المعتذر أو كان عالماً به ومع ذلك أمر به.

وجوابه واضح: وهو أن الله تعالى كان عالماً بثقل ذلك على المنافقين والذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم إلّا إنّه لولا مخالفه هذه الفئة التي يعتذروا لهم ولما أحدثوا في الإسلام بهذا الاعتذار لم يثر ثقل ذلك على بعض النفوس في وقوع الأمور تحت ولايه وليه، بل كان ثقل ولايه غير من له الأمر على النفوس أكثر ولعلّ من ذلك حدث بعض الحروب، بل إرتدّ بعض الناس ولو قام الوصي عليه السلام مقام النبي صلى الله عليه وآله ما وقعت الفتن التي وقعت في أوّل حكمه الأوّل، والحاصل إنّ هذا عذر غير مقبول وإجتهد في مقابل النص الصريح وربما يكون من التفسير بما لا يرضى صاحبه، والتاريخ يشهد بأنّه لم يحمل الذين استبدوا بالأمر وتركوا النصوص وأتمروا على أن يصرفوا هذا الأمر عمّن نصبه النبي صلى الله عليه وآله في حياه الرسول صلى الله عليه وآله وتركوا جثمان الرسول المقدس وإجتمعوا في السقيفه على ما فعلوا وارتكبوا إلاّ حب الجاه والرياسه قال الله تعالى: [قل أنتم أعلم أم الله] (١).

ثم إنّ الأمر استمرّ بعد ذلك حتّى آل الأمر في سلطنه معاويه بسبب تركه .

ص: ٣٨٦

النصوص والقول بالرأى إلى مرتبه من الهبوط والسقوط التي يشتكى عنها أنس بن مالك بدمشق ويقول: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلّا هذه الصلاه وهذه الصلاه قد ضيّعت، وقال أبو الدرداء: واللّه ما أعرف من أمه محمد صلّى الله عليه وآله شيئاً إلّا إنّهم يصلّون جميعاً.

وبقيت هذه السيره السيئه فى أيدى أولى الرياسه والسياسه ومن يريد هدم الدين، وصرف الناس عن أحكامه وبرامجه إلى زماننا هذا الذى وصلت النوبه لإظهار هذا الإستكبار الإبليسى إلى أمثال القذافى الملعون الملحّد المؤمن بالمبادئ السوسياليستيه وبورقيه طاغيه تونس أراح الله المسلمين من شرورهم وفتنتهم وضلالهم وإضلالاتهم، من ناحيه أخرى.

ص: ٣٨٧

لَمَّا شاع من عصر المأمون فلسفه اليونانيين بين المسلمين صارت نصوص الإسلام سَيِّما في أصول الدين غرضاً لتأويلات المتفلسفين فصرفوا النصوص على آرائهم وعدّ من الثقافه الخروج من نصوص الشريعة وظواهرها وتأويلها على ما يوافق ما حرروها في الفلسفه حتى في الطبيعيات فبعدوا وأبعدوا الناس عن مفاهيم نصوص الدين، في التوحيد والصفات ومفهوم الحدوث والقدم والخالق والمخلوق وغيرها، فأولوها بما لا يوافق ظواهرها فبنوا دينهم على الظنون والزعم وفسروه بما لا يرتضيه صاحبه وأهل تفسيره فقرروا المعارف العاليه على الأسس التي قرّرها الذين لم يسلكوا مسلك الأنبياء، ولم يستضيئوا من نور هدايتهم السماوى فاستقلوا بعقولهم ومشوا في مذاهبهم وجاءوا بإصطلاحات التي لا توافق اصطلاحات القرآن الكريم ووقعوا في القول بالإيجاب والحلول والاتحاد ووحده الوجود، وفسروا ربط الحادث بالقديم كربط المعلول بالعلله لا كربط المخلوق بالخالق مع الفرق الواضح بين

الاصطلاحين، فكم فرق بين الخالق والمخلوق والعلّة والمعلول؟ لا يدرك بالاصطلاح الثاني ما يدرك بالاصطلاح الأول، وما يدرك من الثاني لا يدرك من الأول، لا يتحد الطريقتان ولا ينتهيان إلى مقصد واحد والعلّة يعبرون عنها بالعلّة الأولى والثانية و... وأما الخالق فلا يعبر عنه بالخالق الأوّل والثاني وكذا المعلول الأوّل والثاني والثالث.. ولا يقال المخلوق الأوّل والثاني والثالث (1). فجميع المخلوقات وإن وقعت خلقه بعضهم في طول خلقه البعض الآخر مخلوقون لخالق واحد نسبه الجميع إليه سواء لا كالمعلول الثاني، والعلّة الثالثه الذي هو معلول للمعلول الأوّل والعلّة الثانيه و..

وكتب الفلاسفه مع ما يوجد فيها ممّا يوافق وحى السماء لا يوافق جميع مباحثها مع الوحي وما هو ثابت بالكتاب والسنة ففيها الغث والسمين والحقّ والباطل، وما يتفق مع ما جاء به الأنبياء وما يخالفه وذلك لأنهم سيّما القدماء منهم اقتنعوا واستغنوا بمنسوجاتهم عمّا جاء به رسل الله تعالى واستقلّوا بعقولهم عن هدايتهم فيما لا يهتدى العقل إليه لولا هدايه الأنبياء، والذين جاؤا بعدهم سلكوا مسالكهم واتبعوا طريقهم غير أنهم سعوا بعد ما أثبتوا عليه في المسائل تطبيق الكتاب والسنة عليه فكأنهم أرادوا أن ينزّهوا المشرّع عمّا وصل إليه عقولهم، ولذا لم يأمنوا عن الأخطاء والعرثه والزله إلّا القليل منهم فنرى إن إثنان من أشهر حكماء المعاصرين بالغوا في تخطئه اثنين من مشاهير الفلاسفه في مسأله المعاد..

ص: ٣٨٩

١- نعم جاء في بعض الأحاديث أوّل ما خلق الله... ولكن المراد منه ليس ما يريد هؤلاء من المعلول الأوّل المسمّى بالعلّة الثانيه والعقل الثاني والمعلول الثاني للعلّة الثانيه و..

الجسماني حتى رماهما بما نعوذ بالله منه(١).

هذا مع انهم تكلفوا الكلام فيما لم يكلفوا بالتكلف فيه، بل نهوا عنه.

فهل هؤلاء يسلكون سبيل أرسطو وأفلاطون وسقراط والرواقيين والمشائين، والفارابي وابن سينا وغيرهم؟ أم هم المهتدون بهدى محمد وأهل بيته صلى الله عليهم، والسالكون سبيلهم، نحن لا نحكم على الجميع على إنهم من الطائفة الأولى أو الثانية ونرجو أن يكون جلّ فلاسفة المسلمين من الثانية وأما حسابهم فعلى الله تعالى.ء.

ص: ٣٩٠

١- راجع رساله الخاجوئي محمد إسماعيل المازندراني في تفسير قوله تعالى: وكان عرشه على الماء.

ومن الذين بنوا أمرهم على تأويل النصوص وصرفها على ما يوافق أهوائهم وخیالاتهم وأعظمهم ضرراً وأقبحهم تأويلاً الطائفه المتسميه بالعرفاء والمتصوفه، الذين لعبوا بأصول الدين وفروعه وطبقوها على آرائهم الفاسده وصححوا بها أعمالهم الخبيثه، لهم مقالات واهيه وكلمات باطله حرموا الحلال وحلّلوا الحرام، وجاءوا مع إختلافهم فى سيرهم وسلوكهم وسلاسلهم بما يخالف صريح النصوص، وتأويلات أوهن من بيوت العنكبوت وحسبك فى ذلك أن تطالع بعض كتبهم وتاريخ رؤسائهم وأشعارهم حتى تعرف إنهم من العرفان الحقيقى ومن الشرع أبعد من الأرض عن السماء، أعاذ الله المسلمين من شرورهم فلم يتقهقروا إلا لإشتغالهم بترهات هؤلاء وإنصرافهم عن التمسك بالثقلين.

وأكثر ضرراً من هاتين الطائفتين على أنفسهم وعلى غيرهم من خلط ما تسميه هؤلاء بالعرفان بفلسفه اليونان فزاد فى الطنبور نغمه أخرى.

وإن شئت أن تعرف ما عليه المتصوفه ومن سلك مسالكهم فراجع تفسير ملا- عبدالرزاق القاساني تجد فيه كثيراً من هذه التأويلات، فإنه في مثل الآيه الكريمة: [وانظر الى حمارك] (١) تأول الحمار بالعزير النبي (٢) والصفاء والمره بالقلب والنفس (٣) ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين (٤) بالعقل النظرى والعقل العلمى، وفي خلقكم من نفس واحده، تأول النفس بالنفس الناطقه، وفي: خلق منها زوجها تأول الزوج بالنفس الحيوانيه، والتأويلات الفاسده فى كلماتهم كثيره جداً، فراجع الفصوص وغيرها ولا يهمننا ذكر أكثر من ذلك، والغرض الإشاره إلى فساد الطريقه.].

ص: ٣٩٢

١- البقره: الآيه ٢٥٩.

٢- تفسير ملا عبدالرزاق: ج ١ ص ١٤٧.

٣- نفس المصدر: ص ١٠٠.

٤- فى سوره الكهف الآيه ٨٢: [وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينه].

ظهرت في عصرنا الموسوم بعصر الذره والفضاء صورته جديده من صور ردّ النصوص نسميها فتنه المتهورين والمثقفين أو أتباع النهضه الحديثه المفتونين بالتقدم الصناعى، والمظاهر الماديه والمكاتب العلمانيه المؤمنه بفصل الدنيا عن الدين، وتفسير الحوادث الخارقه للعادة المستنده فى الكتاب والسنة بإرادته الله تعالى بالتفسير والتعليل المادى فينكرون تأثير عالم الغيب فى عالم الشهاده.

ومما يتفاقم الداء إنهم يظهرون الإسلام ويتظاهرون بالنصيحه له وللمسلمين وإنه يجب أن يفسر الدين على أساس يقبله الفكر الغربى أو لا يستنكره الملحد الشرقى ويأول إصطلاحاته على نحو يوافق المذاهب الماديه، والقوانين الوضعيه، وبعضهم يريد أن يوفق بين الدين وأنظمتها فى الإداره والحكم وغيرهما مع الأنظمه الديمقراطيه كما يريد بعضهم التوفيق بين الدين وهو نظام إلهى مع الأنظمه الماركسيه الملحده.

فالثقافه عندهم الترديد فى الحقايق المقبوله فى الدين ودلت عليها نصوص

الكتاب والسنة ممّا لا يمكن أن يعلل بالعلل المادّيه فينكرون أو يأولون النصوص المصرّحه بمعجزات الأنبياء وينكرون وجود الشيطان الذى أمرنا الله بالإستعاذه منه ووجود الملائكه ونصره النبى صلى الله عليه بهم وأنهم أولى أجنحه، وكذا ينكرون خروج الدجال ودابّه الأرض وظهور المهدي عليه السلام لا- لضعف إسناد أحاديثها بل لمجرّد عدم تفسيرها بدون التأويل بالتفسير المادى مضافاً إلى إنّ كثيراً من هذه الأمور ثابت بالكتاب الكريم.

وأما فى ناحيه الأحكام الشرعيّه سواء السياسيه منها، والماليّه والإجتماعيه والفرديه وحتى العباديه منها ففتنتهم وإنكارهم أكثر وأظهر فينكرون بعض أحكام المواريث مثل قوله تعالى: [للذكر مثل حظ الأنثيين] (١) ويطلبون بمساواه المرأه مع الرجل فى الميراث ولا يقبلون جواز تعدّد الزوجات، وجواز الطلاق وكونه بيد الرجل وكذا عدم جواز قضاء المرأه وعدم جواز قيامها بتدبير أمور الدوله والحكومه، وكذا لا يصوبون إجراء أحكام القصاص والحدود والديات والتعزيرات والمالكيه الفرديّه فى هذا الزمان لأن هذه الأحكام بعد مضى أربعه عشر قرن من إنشائها لا تنطبق بزعمهم الفاسد على عصرنا هذا، الذى وصل فيه البشر فى العلم والتكنيك إلى مرتبه السماء وملخص الكلام انهم ينكرون إكمال الدين وإتمام النعمه واحتياج الناس إلى النظم السماويّه ويزخرفون ملتقطاتهم المأخوذه من أعداء الإسلام بتوجيهات ربّما يقبلها ضعاف النفوس والذين وقعوا تحت تأثير سلطان المادّه وسلبت المظاهر المادّيه وقوه الصنعه والتكنيك ١.

ص: ٣٩٤

١- النساء: الآيه ١١.

استقلالهم وحريتهم في التفكير وصرفتهم عن عالم الغيب والفكره في كرامه الإنسان وقصرت همهم على الأمور الماديه والحياء
الدينيه والمآرب الجسمانيه، يعلمون ظاهراً من الحياه الدنيا وهم عن الآخره غافلون فلا يفسرون الحياه وما يتحمّل لها الإنسان
من المشاقّ والمتاعب والمصائب تفسيراً مقنعاً تطمئن به النفس إلماإنه لا- مقصد، ولا هدف لكلّ ما في هذا العالم من كرتنا
الأرضيه والكرات السماويه تتحرّك المتحرّكات وتتبدّل الحالات عبثاً.

إذاً فما قيمه الإنسان؟ وما قيمه كدحه وسعيه وما قيمه اكتشافاته واختراعاته؟ وهل الحكم عليه بالفناء والنجاه من العناء أحسن؟ أم
الحكم عليه بالبقاء وتحمل هذه الشدائد العظيمه؟

والحاصل: إنّ فتنه المفتونين بالمظاهر الماديه فتنه لا يجوز إهمالها فلو لم تقم لدفعها رجالات العلم والدين الذين وجب عليهم
أن يظهروا علومهم عند ظهور البدع لا يبقى للدين إصطلاح إلاغيرته.

فإلى الله نشكو بثنا وحزننا ومنه نستمدّ ونطلب العون والتوفيق فقد أصبحنا في عصر محفوف بفتنه تحريف الدين وردّ النصوص
وصرفها إلى الأهواء من جوانب كثيره سيّما الجهّال المتسمّين بالمتقّفين والمتهورين المقبلين إلى مذهب الحسيّين والمعرضين
عن المؤمنين.

فما أحوج عصرنا بين العصور إلى تبين مفاهيم إصطلاحات الكتاب والسّنه وتثبيت معاني ما قام به دعوه هذا الدين الحنيف وردّ
الناس والباحثين إلى النصوص وربّ أهل التأويل الغير الراسخين في العلم وتاركى التمسك بالثقلين عن حريم المتشابهات فضلاً
عن المحكمات.

وقد قام بحمد الله تعالى من أقدم العصور لدفع أهل الأهواء عن حريم الكتاب والسنة جماعه من العلماء من أصحاب أهل البيت عليهم السلام وتلامذه مدرستهم فدافعوا عن النصوص واحتفظوا بمتون الكتاب والسنة وأثبتوها وبيّنوا مفاهيمها فبقى الدين بفضل مساعيهم ومجاهدتهم على أمره الأوّل غصّاً سليماً عن التحريف والتبديل وجعلوه في متناول أيدي الجميع فشكر الله مساعيهم الجميله وجزاهم عن الإسلام أحسن الجزاء.

كما قد قام في عصرنا عدّه من الأعلام فأبطلوا ثقافه المثقّفين وأظهروا بدعهم وفساد تحريفاتهم وتأويلاتهم، وأثبتوا خاتميّه الرساله المحمديّه صلّى الله عليه وآله وجامعيّتها وانها وافيّه لجميع مطالب الإنسان في جميع الأعصار والأزمان وكافله بأحكامها ونظام المجتمع الحالى البشرى كما كانت كافله للمجتمع البشرى في عصر الرساله وبعدها إلى زماننا هذا والله هو المستعان وعليه التكلان.

لطف الله الصافي الكلپايگانی

٢٣ - ربيع الثاني - ١٤٠٦ هـ

ص: ٣٩٦

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع :: www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

